

مكتبة
طريق العلم

سلسلة الدراسات الكبرى

الدكتور موسى لقبال
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الجزائر

دور كتابته

في تاريخ الخلافة الفاطمية

منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)





books4arab.com



الذكتور موسى لقبال
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الجزائر

دور كتابة

في تاريخ الخلافة الفاطمية

منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)

المركز الوطني للنشر والتوزيع
الجزائر

بالتقارن مع
بالتقارن مع

بنة التعمير

بنة التعمير

بنة التعمير

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 1979

بنة التعمير

بنة التعمير

الإهداء

- إلى المؤمنين بوحدة شعوب المغرب العربي ضرورة حيوية ومرحلة تمهيدية لعمل أوسع وأشمل .
- إلى الذين يؤمنون بأن حاضر الأمة مرتبط بماضيها ، في إطار عربي إسلامي تقدمي .
- إلى الصامدين في مواقفهم النضالية المبنيّة من أجل تحقيق تعريب جنري .
- إلى الذين يهبون طاقات خلاقة ، وجهودا مظفرة للوطن في هذا الميدان ، لازالة بعض المعوقات ، وعلاج بعض العقد تدريجيا .
- إلى العاملين بوعي ، على غرس ، وترسيخ القيم النضالية والثورية والروحانية في النشء .
- إلى الذين يملأهم الإيمان والتصميم ، لتجديد « روح نوفمبر » 1954 ، وأحياء عصر الشباب « في الثورة » ، بدعم المؤسسات والشرعية الدستورية ، وبعث « فرحة الحياة » بين المواطنين ، و « السلام الاجتماعي » بين الجماهير العربية .

إلى هؤلاء جميعا
أهدي كتابي .

المؤلف

فطره وهرف

هذا امير المؤمنين تضعفت
هنا الامام الفاطمي ومن به
والشرق ليس لشامه وعراقه
حتى يفوز من الخلافة بالنى
لقدومه اركان كل امير
امنت مفاربها من الحنور
من مهرب من جيشه المنصور
ويفاز منه بعلقه المنصور

سعدون الورجيني

ت بعد 322 هـ / 934 م

بسم الله الرحمن الرحيم

التصدير

بقلم

دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية آداب
جامعة القاهرة

من دواعي فخر كل عربي أن حركة التحرير في الجزائر جاءت مصحوبة برغبة صادقة في تعريب البلاد . وإذا كان الاستعمار عندما ثبت أقدامه في القرن الماضي في هذا القطر الشقيق قد بذل أقصى ما وسعه الجهد لمحو الطابع العربي للجزائر ، فإن صمود الجزائر في وجه الاستعمار إنما نتج أساسا من تمسكها بعروبتها وإسلامها ورفضها ذلك الطلاء ذا البريق الزائف من الحضارة الغربية حتى نجحت ثورة الجزائر التحررية وعندئذ وجد الجزائريون في التراث العربي الإسلامي خير عاصم يحمي كياناتهم ويستعيدون في ظله مجد بلادهم .

وكان أن بدأت سياسة التعريب على نطاق واسع في التعليم ، ووفد في الخمسينات من هذا القرن بعض أبناء الجزائر يتلقون تعليمهم في جامعات مصر العربية ليعودوا رسلا للعروبة والتعريب في بلادهم . ومن هؤلاء صاحب هذه الرسالة الدكتور لقبال موسى بن علاوة ، الذي تتلمذ على أيدينا بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، حتى إذا ما تخرج وواصل دراسته العليا كان لنا حظ مناقشته في هذه الرسالة التي تقدم بها للحصول على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس .

وطوال هذه السنوات التي عرفنا فيها السيد لقبال موسى ، عهدناه رجلا ناضجا بكل معاني الكلمة ، في فكره وخلقه وسلوكه . والحق أنه كان دائما أبدا يمثل الثمرة اليانعة من شباب الثورة الجزائرية ، ويعطي صورة صادقة للرجل الجزائري الشديد الإيمان بالله وبوطنه وبعروبيته ، وهذه كلها صفات جعلته موضع حب وتقدير كل من عرفه واتصل به من قريب .

وهذا الكتاب الذي ألفه الدكتور لقبال موسى وحصل به على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى له دلالة قومية وطنية ، فوق ما له من أهمية علمية . ذلك انه يمثل بحثا ضخما يعالج صفحة خطيرة من صفحات العروبة والاسلام ، كتبه وألفه شاب جزائري بأسلوب عربي سليم ، وأجازته جامعة من كبرى الجامعات العربية . وبعبارة أخرى فان هذا الكتاب يعبر عما بلغه تيار العروبة من تقدم في الجزائر الحرة الثائرة ، ويبشر بما سيلفقه هذا التيار من قوة وازدهار بفضل سياسة القائد البطل هواري بومدين ورفاقه حتى يزول تماما ذلك الطلاء الغريب الزائف الذي حاول الاستعمار طوال قرن من الزمان تثبيتته ، ليمحو الشخصية العربية الاسلامية لهذا الجزء الاصيل من الوطن العربي الاسلامي .

ومن ناحية أخرى ، فان الدكتور لقبال موسى نجح في بحثه هذا في ان يعالج مسألة لها أهميتها في التواريخ الاسلامي بوجه عام وفي تاريخ المغرب بوجه خاص ، هي دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية . ولا يخفى على الباحثين في حقل التاريخ الاسلامي ان هذا الدور ظل حتى الآن يشوبه الغموض ويكتنفه الابهام ، فلم يحاول أحد من المؤرخين قبل الدكتور لقبال موسى ان يتصدى لعلاجه ، نظرا لصعوبة مسالكة وتشعب درويبه . ولكن كافة هذه الصعوبات لم تقف حائلا في وجه الدكتور لقبال موسى ، فتصدى لعلاج الموضوع في شجاعة وظل أعواما يبذل الجهد الشاق في السعي وراء الحقائق ، تارة في أعماق المصادر المعاصرة من وثائق ومخطوطات ، وتارة أخرى في آراء الباحثين المحدثين يمحصها ويقارن بعضها ببعض حتى يصل الى لب الحقيقة وجوهر الموضوع .

وهكذا نجح الدكتور لقبال موسى في ان يلقي أضواء جديدة على صفحة خالدة من صفحات تاريخ الآباء والاجداد ، وفي أن يسد - بهذا الكتاب - الذي يقدمه اليوم للباحثين ثغرة كانت ملموسة في المكتبة العربية ، فله مني ومن جميع الحريصين على تاريخ العروبة والاسلام كل ثناء وتقدير ، سائلين الله أن يوفقنا جميعا لخدمة تاريخ الآباء والاجداد .

المقدمة

يحمل تاريخ قبيلة كتامة ، وعلاقتهم بالحركة الاسماعيلية منذ القرن الثالث للهجرة عدة معان ودلالات هامة منها :

ان عملهم يعبر عن فترة حاسمة في نهضة الفروسية الاسلامية في بلاد المغرب ، وهو ايضا يمثل دورا ايجابيا للاسلام الشيعي ، ثم لقبائل البرانس في افريقية والمغرب الاوسط في التاريخ الاسلامي ، وفي العلاقات السياسية والمذهبية لمدي قرنين . ثم ان ما اسفر عنه هذا العمل في النهاية ، تمثل في نجاح حركة التحدي للاسلام السني ، الذي يمثله العباسيون ، الذين اضطروا تحت ضغط اولياء الفاطميين من كتامة ، الى الاعتراف بالامر الواقع وبتعديل الحدود السياسية ، وبتنوع جديد من العلاقات بين المغرب والمشرق .

ولم يكن دافع الكتاميين عقائديا فحسب ، وانما يبدو أن الاحساس بضرورة رد الجميل لما قام به عرب المشرق لفائدة سكان المغرب ، منذ عصر الفتوح ، كان وراء حركة التوسع التي اخذت طريقا عكسيا .

وبفضل عمل كتامة ، سرى تيار الوحدة ، واصبحت اصداؤه هي المسموعة في ارجاء المغرب والمشرق ايضا .

كما ان نشاطهم خاصة في ميدان المغرب ، قد ساعد على ظهور حركات تطهيرية تمثلت في مهدويات المرابطين ، والموحدين ، وفي نهضة حركة الاشراف بعد ذلك . وتاريخ كتامة ، يمثل زاوية هامة لدراسة اهم فصول العلاقة في نطاق دار الاسلام ، ودار الحرب على السواء .

ومن الواضح ان منزلة كتامة ، واهميتهم بالنسبة للخلافة الفاطمية ، لا تشبهها الا منزلة الخراسانية والاتراك في حياة الخلافة العباسية ، مع فارق هام ، هو أن كتامة ، كانوا عنصر التأسيس ، والتدعيم ، وقلب الحراسة ، ورفيق النصر ، والهزيمة منذ بداية قيام الدولة حتى سقوطها .

ومع كل هذه المعاني ، التي يمثلها تاريخ حلف كتامة ، وارتباطهم بنظام الخلافة الفاطمية العتيد ، فلم يلقوا من العناية ما لقيه فرعاً صنهجة في الشمال والجنوب ، ثم حلف مصمودة ، وبعض فروع زناقة ودولهم .

وقد نسب بعض الجغرافيين والرحالة الى كتامة بعض تقاليد خاصة ، وأهمهم المؤرخون وغطوا محاسنهم ، تأثراً بالسياسة ، وبالمدهية ، وخوفاً من الحكام ، وتملقاً لجماهير السكان الذين غدوا سوط عذاب بالنسبة لكتامة بعد تدهور شأنهم ، بحيث وجد بقايا كتامة من جور الحكام وتعسفهم ، واضطهاد العامة ، وكراهيتهم ، وإهمال المؤرخين وتجاهلهم ما أثر على تاريخهم وشخصيتهم ، فضلاً عن وضعيتهم الاجتماعية ، فبقي اسم كتامة مصطلحاً يكاد يكون غامضاً ، ولغزاً محيراً ، غير أنه في نفس الوقت كان محوطاً بأسرار ضخمة أشبه بتلك التي واكبت فترة في تاريخ الأئمة الاسماعيلية . واستمر إهمال تاريخهم قاعدة ، شدوذها ، محاولات متأخرة لتوضيح بعض بيوتاتها في الأندلس تنسب لابن حزم ، وأخرى عن مجمل فروعها ومضاربها وبقاياها ووضعيتها وهي تنسب لابن خلدون ، وهذه المحاولات الأخيرة غدت أساساً ، أو عمدة الباحثين المحدثين حتى أن ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، لا يعدو أن يكون ترجمة نصية مختصرة لمضمون ما جاء في كتاب العبر .

ولم توجد دراسة مستقلة تعرف بقبيلة كتامة وبفروعها وعلاقاتها ببعض القبائل التي يتضمنها مدلول كلمة البرانس في المغرب الأوسط ، ولا محاولة للبحث عن بعض من يمثلها الآن في مضاربها القديمة . ولعل عذري وهو عذر الباحثين قبلي ، أن التاريخ للقبائل محوط بالآخطار ، ومظنة لتجنب سبيل الاعتدال ، عكس التاريخ للدول ، أو للظواهر السياسية .

ويزيد مهمة مؤرخ القبائل صعوبة وتعقيدا ، ندرة النصوص المعاصرة ، أو عدمها أو عبث الأهواء بالموجود منها خاصة بالنسبة لكتامة التي انتحلت مذهباً شاذاً في نظر الجماهير ، وطبقات المثقفين أيضاً . ولكل هذه الاعتبارات التي أسلفناها . تأتي محاولتنا المتواضعة ، لكشف النقاب عن « دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية » وكأنها فريدة والأولى من نوعها ، باعتبار أن حلف كتامة هو محور الدراسة وأساسها ، وأن دورهم درس بوضوح وعناية ، على أساس أنه دور شامل ومتكامل الحلقات ، تتصل أولاه وهي التي كانت في قلعة إيكجان وافريقية والمغرب بأخراه ، وهي التي وقعت في مصر وبلاد الشام ، أي منذ أن انطلقت شرارة الدعوة

في دار الهجرة بايكجان ، الى الوقت الذي تدهور فيه شأن كتامة ، وصارت ضمن الرعية في القرن الخامس الهجري .

وتوزعت مواد الدراسة على خمسة فصول ، تتصل ببعضها اتصالا وثيقا ، فالتعريف الشامل بمسرح الأحداث في المغرب ، وبفروع كتامة ، وعلاقاتهم بأهم القبائل البرنسية التي تأثرت بالحركة وأثرت فيها ، وبالامارة الأغلبية حتى القرن الثالث الهجري ، كان موضوعا للفصل الأول .

تلاه شرح مستفيض عن جهود فروع كتامة في سبيل نشر الحركة الاسماعيلية حتى نجاحهم بقيام الخلافة الفاطمية في رقادة ، في الفصل الثاني .

اما نشاط كتامة في ميادين التوسع ، والحياة المذهبية ، منذ قيام الخلافة ، حتى بعد منتصف القرن الرابع الهجري ، فقد تضمنه الفصل الثالث .

اما محاولات كتامة نقل النفوذ الفاطمي الى المشرق ، بعد اقرار الأوضاع في بلاد المغرب ، فقد كانت موضوع الفصل الرابع .

ولان حادث انتقال الخلافة من المهديّة الى القاهرة ، خلق وضعاً خاصاً لبلاد المغرب ، ولأن أبعاد الحركة الجديدة فرضت أعباء ومسؤوليات على رجالات كتامة خاصة في ميدان العلاقات مع الزيريين ، فقد خصص الفصل الخامس لتوضيح دور كتامة في هذه العلاقات .

وانتهى البحث بخاتمة عن آفاق الدراسة ، تلتها ملاحق من نصوص خطية تكتسي طابعا خاصا في الأهمية هو الذي سنشير إليه ، أثناء بحث المصادر والمراجع .

وعسى أن أكون بهذه الدراسة ، قد أسهمت بجديد في حقل التاريخ الإسلامي ، وأن يكون التوفيق حليفي ، في معظم الآراء التي انتهت إليها ، والا تكون هفواتي فوق ما قدرت أو أقوى من حسناتي .

والدراسة قبل كل شيء مدينة لجهود السلف ، سائرة على درب الخلف ، شكورة للباحثين الذين انعكست آثارهم عليها ، وفخورة بأن استفادت من خبرة ومناقشة جمهرة من الباحثين والمؤرخين النقاد ، في مقدمتهم عبد المنعم ماجد ، وعبد الهادي شعيرة ، وسعد زغلول ، وسعيد عاشور ، وحسن محمود . فإله يجازيهم ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، أحمدته ، في البدء وفي الختام .

نقد المصادر

مصادر أصلية - كتب الرحلة والجغرافية - كتب الأنساب ، والطبقات
والملل والنحل ، كتب التاريخ العامة والخاصة بالمغرب ، أو بمصر الإسلامية ،
المراجع الحديثة ،

ترتكز دراستنا حول قبيلة كتامة وعلاقتها بالفاطميين على مجموعة
من المصادر والمراجع والدراسات يهمننا في هذا المجال - توضيح مدى
أهميتها ، ومساهمتها ، في نطاق ما ينفرد به كل مصدر عن آخر . وليس
فيما كان قدرا مشتركا بينها وهو الذي ترك تسجيله لهوامش البحث
وحواشيه .

ويلاحظ أنه من بين المصادر الأصلية التي بقيت ، تحتل أعمال أفقه
فقيهاء الشيعة وأعلم علمائهم أبي حنيفة النعمان بن محمد بن حيون
التميمي (1) (ت 363 هـ / 974 م) منزلة كبرى ، إذ أن أهمية هذا المؤلف ،
تبدو في أكثر من ناحية ، فهو رجل مخضرم ، أي عاش لفترة طويلة
سنيا ، حيث كانت له ارتباطات برجال السنة ، وعلاقات جاهد للبقاء
عليها بعد انضمامه إلى الحركة الإسماعيلية وإلى خدمة الخلفاء الفاطميين
في بلاد المغرب ، وهو معاصر لما سجله من أحداث عن هؤلاء وأولئك ،
وبحكم ارتباطاته المختلفة كان مطلعاً على الآراء وعلى سير الوضع ، وعلى
الوثائق أيضاً ولم تكن أعماله الأدبية والتاريخية وفي ميدان العقائد تلقائية ،
وإنما كان معظمها قد تم بوحى ومراقبة أشهر خلفاء الدور المغربي وأبي
خلفاء الدور المصري وهو المعز لدين الله .

1 - محمد الجودي : تاريخ قضاة القيروان . ورقة 20 ب ، 21 عن ترجمة حياته وقصته
مع أبي محمد عبد الله بن هاشم المعروف بابن الحاج وكيف أن النعمان سلم عليه فرد
الفقيه بقوله حسينا الله ونعم الوكيل ، « عدة مرات » فانصرف النعمان عنه ولا أغضب
المشاركة بقوله « تكون قاضي قضاة السلطان وداعيته تسلم على صبي فما رد عليك
اذلت نفسك واذلتنا » رجع إليه لكنه لم يتعرض له بسوء وقال لهؤلاء المشاركة
« هذا ليس من أهل الدنيا فيتم ما تريد » ، ابن خلكان الوفيات 5 : 48 . كامل
حسين : أدب مصر الفاطمية 63 وما بعدها عادل العوا : منتخبات إسماعيلية 4 .
ومن ضمن المنتخبات : تربية المؤمنين أو تأويل الدعائم . انظر ص 20 وما بعدها .
E.I. ART ; AL NUMAN, T 3, p. 1019-20, yahya EL. KHACHAB : NASIRE
HOSROW, p. 87-89.

وبفضل التشجيع تمحضت جهود النعمان - كما أراد المعز لدين الله ،
نخمة الدولة ، وأنصارها ، في ميدان القضاء والدعوة ، وفي تنشيط
حركة التأليف .

والنعمان بعد كل ما سبق هو عربي ، ومن قبيلة تميم ، عصبية الامارة
الاغلبية ومن ثم يصعب أن يتهم بأنه عنصري ضد العرب أو متحامل على
الاغلبية ، اذا ما صور أخبارهم ، أو عرض جوانب من مساويء امرائهم ،
مثل ابراهيم بن أحمد ، وأبي العباس عبد الله ، وابنه زيادة الله ، واظنبت
في ذكر محاسن ومزايا اولياء الدولة الكتاميين .

ودليل موضوعيته فيما كتب عن أحداث الفترة ، رغم تشييعه واخلاصه
للدولة تآثر المؤرخين المغاربة ، السنيين بروايته ، واعتمادهم على أهم
كتبه ، وهو افتتاح الدعوة وابتداء الدولة الذي يعتبر قصة متكاملة عن
الحركة الاسماعيلية منذ أن ابتدأت في المغرب ، بفضل جهود الدعاة الاوائل
الذين جاؤوا من مركز الدعوة في اليمن الى أن تطورت الى نظام خلافة
عتيدة . وفي هذا الكتاب : اشارات عن تنظيمات الداعي في كتامة ، وعن
أحداث المنطقة ، وردود الفعل المختلفة ، لانتشار الحركة الاسماعيلية
سواء كان مصدرها فروع حلف كتامة ، المعارضين ، أو الامراء الاغلبية ،
وفيه أيضا عرض يصور فن البطولة الكتامية ، التي تجلت في الميدان
الداخلي - في كتامة والزاب ، كما تجلت في الميدان الخارجي في افريقية
وأرض المغرب .

وعلى رواية النعمان - حول أحداث قبيلة كتامة وافريقية في هذه الفترة
اعتمد كل من ابن الاثير ، وابن خلدون والمقرئزي والنويري ويبدو التأثير
واضحاً في أكثر من موطن ويرقى حتى الى استخدام نفس العبارات التي
جاءت في افتتاح الدعوة للنعمان ، ومن ذلك ان الأخير مهد للحديث عن
معركة الاربس (2) الحاسمة بقوله « ولما دخل فصل الربيع وطاب الزمان
جمع أبو عبد الله » (3) ، هذه العبارة نجدها بنصها ، في المقرئزي (4) ،

2 - قرية توجد بجوار مدينة الكاف شمال مدينة تونس

3 - افتتاح الدعوة ورقة 146 خ. مكتبة جامعة القاهرة رقم 24088

4 - اتمام الحنفا 1 : 63 ط . 1967

نقلها مباشرة عن النعمان ، أو عن ابن الأثير (5) ، الذي يصرح المقرئزي بالنقل عنه (6) أو نقلها عن شيخه ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون (7) ، الذي تتفق روايته مع رواية النعمان في مواطن كثيرة ، وبالجملة فتأثير النعمان لم يقتصر على هؤلاء فقط ، بل يتجاوزهم الى غيرهم من مؤرخي المغرب ، والشرق . « وكتاب افتتاح الدعوة » وثيقة هامة في ميدانها ولا يؤثر على جانب الموضوعية فيها أو ينقص من قيمتها ، المذهب الخاص أو كون النعمان تحت تأثير وضغط معاصرتة لأعظم الخلفاء الفاطميين في المغرب ، الذي حرص النعمان - أرضاء له - على تسجيل ، وجمع اقواله ، وروايته عن أقوال الأئمة السابقين له ، التي كانت تلقى في مجالس الدعوة الحكيمية ، في كتابه « المجالس والمسائرات والمواقف والتوقيعات » عن الامام المعز لدين الله وعن آبائه صلوات الله عليهم (8) .

ويعتبر هذا الكتاب أيضا وثيقة هامة عن الدور المغربي للخلافة الفاطمية ، فقد تضمن صورة صحيحة عن سياسة خلفاء هذا الدور ، تجاه توار المغرب ، سواء كانوا من كتامة أو من مكناسة ، أو زناتة ، وعن علاقاتهم المختلفة ، بالأمويين في الأندلس ، والروم وسكان اقريطش وعن نظرتهم للخلفاء العباسيين ، ويتسع الكتاب لعرض شتى المشاكل التي عانى منها الخلفاء (9) ، وتسبب فيها ، أما أعداؤهم أو غلاة الاسماعيلية وجهلة الدعاة وأولياؤهم الكتاميون كما يتسع لأدق المعلومات وأوقاها عن نظرة الخلفاء لهؤلاء وامتيازات كتامة في نظام الدولة ، ومراحل قوتهم وضعفهم وحماسهم أو فتورهم ، وجهاد الخلفاء ضد المنحرفين منهم أو من غيرهم ، وتبرؤهم مما ينسب اليهم بهتانا كل هذه نجدتها في ثنايا هذا الكتاب الهام ، الذي يزيد اعتبارا وأهمية صيغته العلمية المتزنة ، وبلاغته ، وكونه صورة لكلام المعز وللكلام آبائه كما رواها عنهم ، وسجلها النعمان بكل دقة وأمانة .

وفي الرسالة المذهبية (10) ، وهي تنسب الى النعمان - ما يفيد تبرؤ الأئمة ممن يدعى الوهيتهم أو ينسب اليهم ما ليس لهم من خوارق وصفات ،

5 - الكامل في التاريخ ، 8 : 16

6 - انعاظ الحنفا 1 : 226

7 - المقرئزي : الخطط 3 : 136 ط 1325 هـ ، وعن علاقة المودة بينهما انظر : السخاوي الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ 151 .

8 - مخطوط : مكتبة جامعة القاهرة رقم 26060

9 - انظر مثلا : 1 ، 179 ، 183 ، حيث يقول المعز « فليس يعلم ما نقاسيه من ذلك الا الله » .

10 - توجد ضمن « خمس رسائل اسماعيلية » نشرها عارف تامر

كما أن كتابه الهمة في آداب اتباع الأئمة ، يعتبر شرحا مستفيضا لأهم واجبات المريدين نحو الامام المعصوم وهي الطاعة المطلقة (11) .

ولقد استفدنا من أعمال المقرئزي ت 1442/845 م ، فمن خلال كتابه **المغنى الكبير** (12) اتضح لنا تراجم بعض شخصيات قسنطينة (13) ، وبعض حقائق تاريخية هامة عن بعض رجالات بني خزر الزناتيين (14) كما أن « **آعاط الحنفا** » في صورته الجديدة (15) ، يعتبر بحق - أهم وثيقة تاريخية عن العصر الفاطمي ، بدوريه المغربي والمصري ، حيث يتناول أحداث الفترتين منذ أن بدأت محاولات نشر الدعوة الاسماعيلية في كتامة الى نهاية عهد المستنصر بالله ومن خلال هذا الكتاب يبدو دور كتامة متكاملا ، ابتدأت حلقاته الاولى في المغرب وانتهت حلقاته الأخيرة في مصر وبلاد الشام ، كما أن سياسة الخلفاء نحوهم ونحو بقية الطوائف المذهبية وموقف الكتاميين من الخلفاء ، ومن غيرهم تبدو هي الأخرى ، استمرارا للذي عرف في بلاد المغرب . - ولقد اتسمت اشارات المقرئزي في كتاب آعاط الحنفا عن بعض حوادث بلاد المغرب في العصرين الفاطمي والزييري بقدر كبير من الضبط والدقة والوضوح ماتاها ، سعة آفاقه ، وتأثره بالمدرسة المغربية حيث يلاحظ أنه أشار في بعض المواطن الى مؤرخ صنهاجة وبلاد المغرب في القرن الرابع للهجرة وهو ابراهيم الرقيق القيرواني (16) .

ولكتاب « **الخطط** » أهمية خاصة في توضيح آثار كتامة وميزة بعض قادتها والحوادث التي ساهمت فيها في مصر ، وموقف بعض الخلفاء منهم ، فمن هذا المصدر عرفنا أن جيش بن الصمصامة أوصى بأمواله للحاكم بأمر الله الذي تنازل عنها بعد أن أطلع على الوصية - الى ورثته الحقيقيين وهم

11 - انظر ص 39 ، 78 - 79 تحقيق كامل حسين - دار الفكر .

12 مخطوط دار الكتب رقم : 5372 تاريخ

13 انظر 1 : ورقة 239

14 - انظر 1 ورقة 243 حيث يوضح أن زعيم زنانة محمد بن الخير بن محمد بن خرز الزناني ، هو الذي قتل نفسه بسيفه ، ربيع الآخر 360 هـ . انظر أيضا ج 3 : ورقة 22 ، عن ترجمة ابن حافي داسه الزناني ثم 11 عن ترجمة ابن خيرون الزاهد المشهور .

15 - حقق النص الجديد لهذا الكتاب اعتمادا على نسخة فيوسراي - ونشر منه حتى الآن جزآن ، الاول سنة 1967 بعناية الشيال وينتهي عند وفاة العزيز بالله . اما الثاني فنشر سنة 1971 بعناية محمد حلمي وينتهي بوفاة المستنصر بالله وقد تم نشر هذا العمل تحت اشراف لجنة احياء التراث بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية وعن شمول النص الاقدم لكل حوادث العصر الفاطمي انظر السخاوي المصدر السابق 131 .

16 - آعاط 2 ، 171 - 172 .

أبناؤه . ومن المقريري عرفنا كيف تقلبت السبل بآبائه أبي عبد الله محمد حتى أصبح شبه مجذوب ، يصرح بعدائه للدولة في عصر الظاهر لإعزاز دين الله . كل ذلك من أثر الظلم والفقر وكيف أنه بعد أن سجن وعذب أطلق سراحه مجاملة لكتامة ومراعاة لدور أبيه في خدمة الدولة (17) . ومنه عرفنا بعض فترات الصفاء والتعاون بين كتامة وعامة السكان الذين انضموا إليهم ضد الأتراك (18) .

ومن خلال « كتاب آفائة الأمة بكشف الغمة » الذي هو أشبه ببعض جوانب مقدمة ابن خلدون - إنما في إطار اقليمي ، يقتصر على مصر ، عرفنا أخبارا عن أزمة غلاء ومجاعة وقعت في سنة 387 هـ ، أي في عهد وساطة ابن عمار ، وسيطرة كتامة ، وذلك بسبب عدم وفاء النيل (19) .

ومن خلال « كتاب البيان والإعراب » عرفنا أن بني الشعرية وهم من البربر كانت مضاربتهم مع أحلاف كتامة ، وهم مزائه ، في منطقة المنوفية . كما أشار إلى حقيقة نسبة كتامة إلى فرع البرانس (20) .

وبمدنا « كتاب شنور العقود في ذكر النقود » بمعلومات طيبة عن مظاهر التطور التي دلت عليها الشعارات الجديدة التي حملها أول دينار فاطمي ضرب في مصر بعد فتحها على يد جوهر الصقلي (21) .

وقد أوضح ابن ظافر (ت623هـ/1226م) في « أخبار الدول المنقطعة » (22) دور كتامة في المؤامرة التي دبرها الشيعي ضد المهدي ، الذي عرف بابن البصري (23) . هنا كما عرف بذلك في الطبري وصلته لعريب بن سعد كما لاحظ أن جبر بن القاسم ، ولي الوساطة بعد تكية بن كلس ، وفيه

17 - نفسه 2 ، 164 - 165 .

18 - نفسه 2 ، 177 ،

19 - آفائة الأمة 13 حمص 1956 ، وعن وفاء النيل وزياداته انظر عبد اللطيف البغدادي الآفائة والامتبار 44 - 45 ط 1 والنيل 1286 ، أبو الصلت أمية : الرسالة العربية 19 وما بعدها . ابن آياس الحنفي : نبذة من نشق الاخبار في عجائب الامصار 121 وما بعدها وهنا نلاحظ وجود جدول عن زيادات النيل منذ سنة 20 هـ/640م حتى 825 هـ / 1421 م .

20 - انظر : 56 من كتاب البيان والاعراب .

21 - انظر : ص 34 - 35 منه . عبد الرحمن فهمي ، موسوعة النقود العربية : 197 - 199 - ماجد : النقود العربية - مقال حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس مجلد 2 ، 1953 ، نظم الفاطميين 1 ، 125 - 130 ، النويري نهاية الأرب ج . 26 ورقة 41 .

22 - مخطوط دار الكتب رقم 890 تاريخ .

23 - انظر : ورقة 43 منه .

أشارات عن طابع علاقة الخلفاء المصريين بالامراء الزيريين حتى عصر المعز ابن باديس ، وعن ميل الخلفاء الى التعلق بمبدأ الوحدانية واطهار الصبغة الدينية لحكمهم وظهر ذلك حتى في الشعارات التي نقشوها على الخواتم ، فكان نقش المعز « بتدبير الاله الصمد دعا الامام معد » ، أو « لتوحيد الاله العظيم دعا الامام أبو تميم » ونقش العزيز بالله نصه « بنصر العزيز الجبار ينتصر الامام نزار » ونقش الحاكم « بنصر العلي الولي ينتصر الامام أبو علي » (24) ، كما تضمن شرحا للأسباب التي أدت الى الخلاف بين الحاكم وأخته ست الملك (25) ، أما القصة بكل تفاصيلها مع توضيح دور ابن داواس الكتامي في المؤامرة التي حيكت ضد الحاكم ، فنجدها في مخطوط « اللعة » مؤلف مجهول (26) وينفرد ابن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ 1679 م) في كتابه « شذرات الذهب في أحوال من ذهب » برواية أن ابن دواس الكتامي في المؤامرة التي حيكت ضد الحاكم ، فنجدها في مخطوط بست الملك (27) ، أما عبد الله الشرقاوي في « التحفة » فالصق التهمة بالحاكم نفسه ، واعتبرها سببا لتأمر أخته عليه (28) .

ويتفق القضاعي (ت 454 هـ / 1062 م) في مخطوط « عيون المعارف وفنون اخبار الحلائف » مع ابن ظافر وابن أبيك الدواداري في « الدررة المضية » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » والنويري في « نهاية الأرب » على رواية موت المهدي في سجلماسة بتأثير اليسع بن مدرار ، بينما لا نجد أثرا لها في بقية المصادر التاريخية مثل سيرة الحاجب جعفر التي تصف دور كتامة في تخليص صاحب الدعوة من سجنه . ويوصف الخلفاء الفاطميون في مخطوط القضاعي ، « بالادعاء » كما يوصفون بذلك في البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (ت 774 هـ / 1372 م) أو بالعبيدين ، والرافضة في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي (911 هـ / 1505 م) ويشير القضاعي الى وجهات النظر حول نسب الفاطميين (29) ، كما يشير الى حملة جوهر ضد مصر ، والى قطع الدعوة اليهم في بلاد المغرب في عهد المستنصر بالله ، ويبدو أن تأثير القضاعي من خلال تأليفه في التاريخ وفي الخطط لم يقتصر

24 - انظر : ورقة 50 ، 65 من اخبار الدول النقطمة ، اتعاظ الحنفا 1 ، 235 ، 292 ، ج 20 ، 122 .

25 - انظر : ورقة 64 من اخبار الدول النقطمة .

26 - انظر : ورقة 9 ويقلب ابن دواس في اللعة بشرف الدولة انظر النويري المصدر السابق ورقة 58 .

27- انظر : ج ، 3 : 143 .

28 - انظر : ورقة 61 من كتاب التحفة - مخطوط مكتبة جامعة القاهرة رقم 21432 .

29 - انظر : النويري - نهاية الأرب 26 ورقة 21 .

على مؤرخي مصر الاسلامية ، بعد القرن الخامس للهجرة (11 م) وانما تجاوزهم الى بعض مؤرخي المغرب الاسلامي ومنهم ابن عذارى المراكشي (اواخر القرن السابع الهجري / 13 م) الذي ينقل عنه في اكثر من مكان في ثنايا كتابه « البيان المغرب » (30) .

وفي كتاب ابن ظهيرة (ق 9 هـ) « الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة » اشارات لطيفة حفل بمثلها كتاب عمر بن محمد بن يوسف الكندي « فضائل مصر » عن مزايا مصر ، وخراجها بعد فتح جوهر ، وكيف انه ارتفع في بداية العصر الأيوبي وتضمن رواية عن أسباب فتح مصر . لكنه ينفرد بالقول بأن المعز لدين الله تحاشى أن يقود الحملة بنفسه قصداً لأنه خشى أن ينهزم فلا تحصل له مصر ، وتضيع عليه بلاد المغرب (31) .

وقد تضمن كتاب بيبرس الدوادار (ت 725 هـ / 1325 م) زيادة الفكرة في تاريخ الهجرة (32) . حوادث هامة جرت في العصر الفاطمي وكان لكتامة دور رئيسي فيها ، مثل حملة جوهر ، 347 هـ 958 - 959 م وثورة ابن واسول ، وولاية الكلبين ونشاطهم ضد الروم ، وضد الأمويين واستعرض نشاط كتامة في بلاد الشام وعلاقتهم بسكانها ، وبعنصر الاحداث وثوراتهم في بلاد المغرب ، ضد أبي الفتح المنصور ، وهي التي أشير اليها في ابن عذارى وابن الأثير والمقريزي والنويري 732 هـ / 1332 م في نهاية الأرب ، وهنا نجد أخبارها مفصلة (33) كما انفرد النويري بالقول بأن ابن الصائغ لم يكن متشيعاً ، وذلك على خلاف كثير من المؤرخين . ويصرح النويري أيضاً باعتماده على الرقيق القيرواني وأبي محمد عبد العزيز بن

30 - أنظر : ج . 1 : 126 ، 313 ط . بيروت . وعن توليه لمنصب القضاء وسفارته الى تيودرا امباطورة بيزنطة سنة 447 هـ ، من قبل المستنصر بالله وكيف أنه كان سبياً لنقض سياسة الصلح بين الامبراطورية والخلافة الفاطمية التي استاءت من اعلان الخطبة في جامع القسطنطينية باسم القائم بأمر الله العباسي أنظر : انعاظ الحنفا 2 : 230 ابن ميسر أخبار مصر 2 ، 7 مشرفة : نظم الحكم 24 - 25 ، ومما يلاحظ انه رغم كونه على غير مذهب الدولة فقد ولي منصب القضاء والسفارة مما يشير الى حقيقة تسامح الخلفاء الفاطميين .

31 - أنظر : ورفات 67 ، 73 - 74 ، وقد طبع الكتاب اخيراً 69 بعناية السقا وكامل المهندس مثل فضائل مصر لابن الكندي الذي نشر بعناية ابراهيم العدوي 1971 .

32 - وهو مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقمي 26 . 24 - 27 . 24 .

33 - أنظر ورفات . 5400 من القسم 22 مخطوط دار الكتب رقم 549 معارف عامة ويوجد تحت ارقام مختلفة في المكتبة الاهلية بباريس . 1576 وتضمن الدعوة الطالبية وصراع القرامطة مع الفاطميين وموت جعفر ابن فلاح 78 - 79 ثم رقم 1577 وفيه أخبار فتح المغرب ودولة الاغالبية ورقم 1760 وفي ثناياه عصر الحاكم من ورقة 207 وحاترات القاهرة 8 - 10 .

شداد بن ميم بن المعز في كتابه **الجمع والبيان في اخبار المغرب والقيروان** (34) . ولم يتضمن كتاب الاسحاقى (ت 1032 هـ) في **لطائف اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول** (خ . باريس رقم 1839 - ط . العثمانية 1304 هـ وبهامشه تحفة الشرقاوى) معلومات ذات قيمة عن « الفواطم » سوى قوله عن الحاكم « انه : كان يروم ان يدعى الألوهية » وعن نسب الفاطميين يقول : « انهم يدعون الشرف وهم في الحقيقة موضوعون » (35) . كما أن ابن غلبون في كتابه **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار** (خ . باريس رقم 1889 هـ ط 1963 م) ردد آراء الطاعنين في نسبهم ، وفيه اشارات عما صحبه المعز لدين الله معه من اموال وتحف الى مصر وعما صار اليه الوضع بالنسبة للشيعة في عصر سميّه ابن باديس ، الذي كان على علاقة طيبة بأبي القاسم أحمد الجرجاني (ت 436 هـ / 1044 - 1045 ر) والذي يلاحظ أن ابن غلبون يصرح باعتماده على كتاب **تاريخ افريقية والمغرب** للرقيق (36) .

وقد أفادني الذهبي ت (748 هـ / 1347 م) في **تاريخ الاسلام** (37) (ج . 3) بمعلومات عن دور كتامة في محاولات الفاطميين الاولى لفتح مصر ، وهي التي نجد عنها اشارات في **تاريخ الأمم والملوك للطبري** ، (38) **وصلته** لعريب بن سعد القرطبي **والولاة والفضاة للكندي** ت (350 هـ / 961 م) وفي نهاية الارب للنويري وفي البيان لابن عذارى وفي المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الذي يشير الى محاولة الجانبين الفاطمي والاششيدي ، وفي عصر القائم بأمر الله ربط علاقات سلمية بناءً وذلك بعد أن فشلت الأعمال العسكرية ضد مصر ، كما تعرض الذهبي لما صار اليه حال ابن دواس الكتامي بعد اشتراكه في قتل الحاكم بأمر الله ، كما أشار الى بعض رجالات كتامة وأسرههم في دمشق مثل أسرة ابن منزو .

وفي مخطوط « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » للعيني (ت 855 هـ 1451 م) لاسيما جزؤه 19 ، بأقسامه (1 - 2 - 3 - 4 - 5 معلومات هامة عن جيش بن الصمصامة ، والحسن بن عمار (39) وعن علاقة كتامة بالمعز بن باديس وموقف المغاربة من عبد الوهاب البغدادي المالكي الذي ورد مصر عصر الظاهر لاعزاز دين الله فوجد الترحيب منهم (40) .

34 - انظر : قسم 22 ورقة 42 ثم القسم 26 ورفات 22 - 25 .

35 - انظر : ص 114 - 115 .

36 - انظر ورقة 10 - 11 من التذكار .

37 - مخطوط دار الكتب رقم 396 تاريخ .

38 - من ترجمته انظر ابن خلكان الوفيات 3 : 332 .

39 - انظر : ج . 19 « القسم الثالث » ورفات 462 ، 507 .

40 - نفسه ق : 5 من عقد الجمان ورقة 789 .

وينفرد برواية أن بني الشهيد في مدينة نابلس في عصره هم من نسل الزاهد النابلسي الذي اشتهر بمواقفه العدائية ضد كنانة والفاطميين فقتل في القاهرة في عصر المعز لدين الله وقد ترجم له عياض اليعقوبي (41) في ترتيب **المبارك** ، ضمن فقهاء وزهاد المالكية وقد لاحظ سبط ابن الجوزي (ت 654 هـ / 1257 م) في مخطوط «**مرآة الزمان**» تأييد كنانة للمستنصر بالله ، أثناء فتنة ابن حمدان ، وتعاون أسرة ابن منزو الكنانية في دمشق مع سكانها ومع عرب بني كلب ضد بدر الجمالي والي الخليفة المستنصر بالله (42) وألقت قطعة من كتاب أبي الاصبغ عيسى بن سهل (43) ت 486 هـ 1093 م **الاعلام بنوازل الاحكام وفقر من سير القضاة والحكام** (44) اضاء كاشفة عن صفحة هامة من الصراع الحاسم بين الأمويين والفاطميين ، تجلت فيها قمة نجاح دعاة الفاطميين في غزو الأفكار في كثير من كور الاندلس وأقاليمها ، في عهد الحكم المستنصر الأموي وردود فعل فقهاء المالكية الذين تصرفوا بحزم تجاه الداعي أبي الخير وأنصاره انما في نطاق الأحكام الشرعية .

وجانب العلاقات بين الأمويين والفاطميين نجد اشارات عنها في مخطوط **زبدة الفكرة لبيبرس النوادار** وفي البيان المغرب لابن عذارى وفي العبر لابن خلدون وفي **النجوم الزاهرة** لابي المحاسن وفي **يتيمة الدهر** للشمالي وفي تاريخ أبي الفداء وتكملته لابن السوردي وفي **فتح الطيب** للمقري ت 1041 / 1631 م - 1632 م . أما رسائل الحاكم التي عرفت أيضا بسجلات موحدة (**نسخة تونس**) فتنسب الى مجموعة من اللعاة منهم محمد بن اسماعيل الدرزي وحمزة بن علي الذي لقب بالهادي أو هادي المستجيبين في الرسائل وقد ورد مصر سنة 408 هـ ، (45) فاهميتها :

انها تلقي ضوءا على فصل مجهول من فصول العلاقة بين الفاطميين والقرامطة بعد سنة 386 هـ وقبل سنة 411 هـ / 1020 م .

- 41 - عن ترجمته انظر : ابن خلكان المصدر السابق 3 : 152 .
- 42 - انظر : ج . 12 من **مرآة الزمان** ق . 2 ورقة 120 (احداث 462) مخطوط دار الكتب رقم 551 تاريخ .
- 43 - عن ترجمته انظر : ابن بشكوال ، **الصلة** ج . 2 : 415 ترجمة رقم 942 : Levi PROVENÇAL : Hist. de l'Esp. Mus. T 3, p. 116, N° 2.
- 44 - وتوجد صورة لمخطوط **الاعلام** في الخزنة العامة بالرباط وفي المكتبة العامة بالجزائر . وتوجد نسخة على ملك حسن حسني عبد الوهاب وهي التي أخذ منها النص .
- 45 - **المقرئزي** : **انعاظ الحنفا** 2 : 113 ، ابن عذارى **البيان** 1 : 413 وهنا لقب حمزة بلقب المهدي . انظر E. I ; Art Hamza, t. 2, p. 270-271. حيث يشير الكاتب الى مجيء حمزة الى مصر بين سنتي 405 - 406 هـ .

وتحمل إحدى الرسائل عنوان « ميثاق ولي العهد » وهي التي وضعت فيما يبدو لولي عهد المسلمين الجديد عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي الذي ارتضاه الحاكم حجة له وأماما بعده ، وأذن بتكريمه وبجلوسه للمظالم ثم ولاء دمشق (46) .

وكان هذا التدبير يعني التغيير في النص لفائدة الاقارب وحرمان الابناء وهي السابقة الاولى من نوعها في هذا العصر لأن ما حصل في عهد المعز لدين الله إنما كان انشاء للنص بالنسبة لأحد ابنائه وهو نزار بعد وفاة أخيه ولي عهد المسلمين عبد الله (47) ، كما أن ما حصل بعد وفاة المستنصر بالله من ولاية المستعلي بالله ، وحرمان أخيه نزار لا يعدو كونه تفضيلاً للاصغر على الأكبر لظروف خاصة ولم يرق إلى ابعاد النص عن الابناء كما حصل في عصر الحاكم . ولم يكن عبد المجيد (الحافظ) غير كفيل لحمل منتظر ثم حول النص لفائدته في ظروف خاصة وعلى غير رضى من المحافظين على التقاليد . وقضية النص على عبد الرحمن بن الياس وردت في مصادر تاريخية كثيرة منها ابن القلانسي وابن عذارى والمقرئزي والنويري وأبو المحاسن والعيني وفي اللمعة لمجهول (48) . وقد قضى على هذه السابقة الخطيرة تدبير معاكس نفذته ست الملك التي تأمرت على الحاكم وعلى ولي العهد أيضاً (49) وقد أشار المستشرق سلفستر دي ساسي إلى بعض رسائل الحاكم في كتاب **الانيس المفيد** وترجم نص رسالة القرامطة ورد الحاكم عليهم في مقدمة كتابه : *Exposé de la religion des Druzes T, 1, PCC XXIII - V* كما أشار إلى فحواها سامي النشار في كتابه **نشأة التفكير الفلسفي** .

ومن خلال كتب وأعمال الإباضية ، الدرجيني (ق 7 / 13 م) في **الطبقات** وأبي زكرياء (ق 5 هـ / 11 م) في **السيرة** تبدو وجهة نظر الطائفة حول انشقاقات الإباضية ، وأحداث الإمامة الرستمية قبيل سقوطها وشخصية أبي يزيد النكاري « الملعون » وحملة وارقلان في عصر المهدي . ويشير الوارقلاني ت 570 هـ / 1174 م في كتابه **الدليل لأهل العقول** (50)

46 - انظر النويري المصدر السابق 26 ورقة 57 .

47 - المقرئزي اعطاء الحنفا 1:217 ، 229 .

48 - ذيل تاريخ دمشق 69 - 70 البيان 1 ، 375 ، اعطاء الحنفا 3 ، 101-102
النجوم الزاهرة 4 ، 35 عند الجمال ج 19 (ق 4) ورقة 683 اللمعة ورقة 9 ، النويري
نهاية الأرب 26 ورقة 57 . ماجد : الحاكم بامر الله 176 - 179 .

49 - المقرئزي اعطاء الحنفاء 2 ، 115 - 116 ، 183 أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4 ،
193 - 194 .

50 - وعن ترجمته انظر : الشماخي : السير 443 - 445 الزركلي الاعلام 9 ، 281 .

الى وجهة نظر الإباضية في الشيعة كما يشير الشماخي (القرن العاشر هـ) في السير الى عدة حقائق معتبرة عن الطائفة وعن الحياة السياسية في تاهرت ، كتلك التي سجلها فقيه مالكي عاصر بعض الأئمة الرستميين وعاش في كنفهم وهو ابن الصفيّر المالكي (ت بعد 281 هـ) في سيرة الأئمة (51) والباروني في الإزهار الرياضية . وتبدو أهمية الشماخي فريدة في اشارته لبعض علماء وشيوخ صدغيان وسدويكش الإباضية في جزيرة جربة (52) .



ولكتب الرحلة والجغرافية دورها في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (53) وأهميتها في بحثنا أنها أمدتنا بمعلومات قيمة عن اقليم كتامة وخصائصه وثوراته ومعاله التاريخية ومراكزه الساحلية والداخلية وعلاقاته المختلفة ، فاليعقوبي (ت 284 هـ) في كتاب « البلدان » أشار الى معظم مدن كتامة في اطار اقليم الزاب باستثناء قلعتي أيكجان وتازروت كما أشار الى أغلب مراكز ومدن العلويين الداخلية والساحلية ، في عدة جهات في المغرب الاوسط وهي حوض الشلف وساحل تنس ومنطقة متيجة وتلمسان (54) .

أما ابن خرداذبة (ق . 3 هـ) في المسالك والممالك فقد اكتفى بالإشارة الى بعضها مثل أيزرج التي كانت بيد ابراهيم بن محمد البربري المعتزلي ثم تلمسان (55) وتميز مثل الادريسي فيما بعد بأن ذكر قالة - في اطار قبائل البربر ، غير كتامة وهي فعلا موجودة وشهدت منطقتها أحداثا هامة أثناء توسع الداعي في منطقة الزاب ، كما أمدنا ابن خرداذبة بالصيغة الخاصة التي كان يحيا بها أمراء بني أمية في قرطبة قبل عبد الرحمن الناصر وهي « السلام عليك يا ابن الخلائف » والهدف من ذلك كما أوضح

51 - انظر : اعمال المستشرقين 14 لسنة 1905 القسم الثاني من المجلد الثالث .

52 - انظر : السير 576 .

53 - عن كتب الرحلة والجغرافيا انظر آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هـ . ج 2 ص 1 - 8 . كراتشوفسكي الادب الجغرافي جزآن ، الترجمة العربية . بلاشر : منتخبات من آثار الجغرافيين في القرون الوسطى . باريس 1932 .

54 - البلدان 102 وما بعدها .

55 - المسالك والممالك ص 188 المكتبة الجغرافية ط . بريل - ليدن 1967 .

الرحالة احترامهم للقب الخلافة الذي لا يستحقه الا من ملك الحرمين الشريفين (56) .

ولم يقتصر ابن حوقل النصيبي (ق 4 هـ) في كتابه « صورة الارض » على وصف مراكز كتامة ومدنها في الزاب وافريقية وانما اشار ايضا الى بعض عناصرهم من لهيصة في بالرم في جزيرة صقلية وهو اول جغرافي ينسب الى بعض فروع كتامة عادات اجتماعية غريبة تحت ستار المبالغة في اكرام الضيف ، ويبدو ان مبالغته في وصف ثراء بلاد الاندلس (57) وتقديم صورة سلبية عن شجاعة سكانها (58) ، الذي استنتج منه دوزي كونه عينا للفاطميين وتلقف الفكرة عنه بعض الباحثين ولم يناقشوها (59) فانها لا تعدو كونها انطبعا خاصا يصور حقيقة البلاد وسكانها من وجهة نظره مثل سائر اوصافه عن البلاد الاخرى ومن الصعب ان يستدل منها على اتجاه مذهبي معين وان لم يكن مستغربا ان يكون الجغرافي ذا ميول شيعية او عباسية ايضا باعتباره كان مواطنا عباسيا وقد نهض في القرن 7 هـ (13 م) مواطن اندلسي هو ابن سعيد (ت 685 هـ / 1268 م) فهاجم آراء ابن حوقل وانطباعاته عن رحلته الاندلسية لكنه لم يشر الى تهمة التشيع (60) ، كذلك يلاحظ ان احدا لم يتهم المقدسي (ت 378 هـ 988 م) الذي قدم مسودة كتابه الى الخليفة الفاطمي بالتشيع وبانه جاسوس للفاطميين رغم انه كان مبغضا من المعاصرين (61) كما لم يتهم بتهمة التجسس لفائدة النورمان ، الشريف الادريسي مع انه عاش في كنفهم وكان حديثه عن روجر أو الملك المعظم كما يصفه مليئا بالود وبالتقدير .

56 - نفسه ص 90 اما بعض الامراء العلويين في المغربين الاوسط والاقصى فيسلم عليهم بصيغة « السلام عليك يا ابن رسول الله » ويسلم على ميمون الرستمي بالخلافة حسب رواية الرحالة انظر 87 ، 89 .

57 - انظر صورة الارض 112 .

58 - نفسه 113 ونص ما قاله (وليس لجيوشهم حلوة في العين لسقوطهم عن اسباب الفروسية وقوانينها وان شجعت انفسهم ومروا بالقتال فان اكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة ، وما رايت ولا راى غيري بها انسانا قط جرى على فرس فاره او برذون هجين ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ولا بلغني عن احد منهم) .

59 - انظر ، كراتشوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي 1 ، 204 مشرفة نظم الحكم 32 علي مكي التشيع في الاندلس 115 مختار العبادي سياسة الفاطميين في المغرب والاندلس 205 ، زكي حسن الرحالة المسلمون 41 .

60 - نفسه 1 ، 205 ، نيقولا زيادة الرحالة العرب 103 - 104 .

61 - يعترف المقدسي بذلك في قوله (رايت دول العيارين واتبعني الازدلون وعاندني العاسدون وسعيى بى الى السلاطين) احسن التقاسيم 44 - 45 ، 8 - 9 مشرفة المرجع السابق 372 - 373 وعن ترجمته انظر زكي حسن المرجع السابق 42 ومابعدها .

أما عبيد الله البكري (ت 487 هـ / 1094 م) في المغرب في وصف بلاد إفريقية والمغرب ، الذي هو جزء من كتابه « المسالك والممالك » فيعتبر ثمرة لنضج المدرسة الأندلسية الجغرافية التي كان عمادها محمد بن يوسف الوراق الفيرواني (363هـ/973م) وأحمد بن عمر العذري (ت478 هـ) (62) ولقد تضمن كتاب البكري معلومات ذات فائدة كبرى عن إقليم كتامة وثوراته ومميزاته ومراسيه الهامة وموقع جبال الرحمن منه ، ومراكز كتامة في الزاب (63) والمغرب الأقصى ومنازل العلويين في تنس وتلمسان (64) وفي ثنايا كتابه الهام نعثر على حقائق تاريخية معتبرة تتعلق بثورات كتامة ضد أبي الفتح المصور وبتخريب سور سطيف بواسطة كتامة منذ عصر التوسع الشيعي ولقد أوضح ان المهدي كان يستحب من طرائف الزاب تمر اللياري والملح وكلاهما في مدينة بسكرة النخيل (65) ولسوء الحظ لم نعثر في ثنايا كتابه الثاني « جغرافية بلاد الأندلس » على ما يتصل ببيوتات كتامة وزواوة في بعض كور الأندلس التي أشار إليها مواطنه ابن حزم الظاهري في **جمهرة أنساب العرب** . ورغم أن البكري لم يفارق قرطبة إلى المغرب فان وصفه للمناطق المغربية كان دقيقا لأنه اعتمد على الوراق (66) وابن يומר الهواري ، كما استفاد من سجلات قرطبة (67) .

وقد ظهر تأثير البكري واضحا في مؤلف كتاب « الاستبصار في عجائب الإحصار » الذي لم يختلف عن البكري في مستوى المعلومات ولم يصف شيئا جديدا بقدر ما اختلف معه في ترتيب المادة وتصنيفها . ويلاحظ ان ما لم يذكره البكري عن كتامة مثل أيكجان وتازروت أهمله صاحب الاستبصار أيضا لكن ميزته انه على عكس البكري - وصف بلاد المغرب - بعد أن رآها فكانه بذلك يقدم تطبيقا عمليا لما حفل به كتاب مسالك البكري ، كذلك نقل في كتابه رواية جديدة عن كيفية بدء الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب كما أشار إلى بعض أحداث العصر .

62 - كراتشوفسكي المرجع السابق 1 ، 169 ، 273 زكي حسن المرجع السابق 44 .

63 - انظر : المغرب ص 33 ، 83 .

64 - نفسه 108-110 ، 61-76-78 وغيرها .

65 - نفسه 52 ، 63 - 64 ، 76 .

66 - انظر : المغرب 53 ، 160 وعن ابن يومز انظر 160 .

67 - كراتشوفسكي : المرجع السابق 1 ، 275 ، حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الأندلس 59 - 60 مجلد 7 ، 8 ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1959 - 1960 .

وإذا كنا لم نعثر في ثنايا كتابه على وصف إيكجان فان الشريف الإدريسي (ت 560 هـ / 1166 م) في قطعة من نزهة المشتاق بعنوان : **وصف أفريقية الشمالية والصحراوية** لم يقتصر على ذكر هذه القلعة ضمن مراكز كتامة وإنما زودنا بمعلومات عن موقعها الجغرافي ضمن الإقليم وبجوار سطيف ، كذلك تفرد بحقيقة هامة حول احصائية نادرة عن بقايا كتامة في القرن السادس للهجرة (68) وهي حقيقة لم نظفر بها عند أي رحالة أو جغرافي آخر وقد لاحظنا كيف أن رغبة الداعي الشيعي في معرفة عدد كتامة في القرن الثالث للهجرة لم تسفر عن شيء محدد يفيد .

ولاحظ الإدريسي (69) وجود بطون من كتامة وزواوة في جبال الونشريس وحول فاس ثم عناصر من دنهاجة (فرع من كتامة) في قصر عبد الكريم بالمغرب الأقصى وإذا كان قد أشار مثل ابن حوقل - إلى بعض عادات اجتماعية شاذة في كتامة فالذي يلاحظ أنه أشار إلى ما يشبهها في مناطق أخرى غير كتامية كما أنه نفاها عن سكان سطيف وحصرها فقط في سكان جبال القل البدائيين ولقد اعتبر الإدريسي مرسى الزيتونة هو أول جبال الرحمن الساحلية في إقليم كتامة (70) .

أما الرحالة الذي ذكر قلعة باسم تازروت في نطاق أراضي المغرب وفي خارج إقليم كتامة فهو المقدسي في « **أحسن التقاسيم** » الذي أشار إلى وجود قلعة بهذا الاسم في إقليم سجلماسة وفيما عدا ذلك فقد ذكر إيكجان بجانب سطيف ومرسى الدجاج وميلة وقسنطينة وجيجل وتانزيت ، ثم سوق حمزة ، وسوق دار إبراهيم وهما من مراكز العلويين ولاحظ أن سوق الكتامي يوجد في نطاق أرض المغرب الأقصى (71) .

وقد أفادنا الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر بين (437 هـ / 1045 م و 444 هـ / 1052 م) بمعلومات عن فرقة كتامة في الجيش الفاطمي في عهد المستنصر بالله حيث كانت أولى الفرق العسكرية التي رآها بمناسبة فتح الخليج وقد بلغ عددها 20 ألف فارس تليها فرقة الباطلية وهم من المغرب أيضا .

68 - انظر : وصف أفريقية ص 70 .

69 - انظر من ترجمة الإدريسي زكي حسن المرجع السابق 64 نيقولا زيادة المرجع السابق 56 وما بعدها .

70 - انظر : وصف أفريقية الشمالية 73 .

71 - انظر : أحسن التقاسيم 56 - 57 ، 218 المكتبة الجغرافية 1967 .

أما العبدري (ق 7 هـ / 13 م) فيقدم للباحث صورة قائمة عن أهم حواضر اقليم كتامة وهي ميلة وقسنطينة وبونة . والسبب انه لم ير فيها ما يشار اليه بالنباهة والعلم لان نزعته ان يروي عن علماء كل بلد وفقهائه ويسجل مروياته عنهم ضمن رحلته (72) .

وينفرد ياقوت الحموي (73) (ت 626 هـ / 1229 م) في « معجم البلدان » بذكر بعض مراكز كتامة في الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس الجنوبي أي في مواجهة مركز قصر عبد الكريم في ساحل المغرب الاقصى الشمالي كما يشير الي بعض علمائه الذين ارتبط معهم برباط الصداقة والمعرفة (74) وفي كتابه « إرشاد الأريب الي معرفة الأديب » الذي يعرف بمعجم الأدباء حقائق هامة منها اشارته الي ان الكاتب والمؤرخ الرقيق القيرواني كان هو سفير أبي مناد باديس الي الحاكم بأمر الله سنة 388 هـ ، وأن كتابه عن تاريخ افريقية والمغرب كان معروفا لديه ، مثلما عرف ياقوت أيضا كتاب ابن الجزار عن تاريخ الدولة الفاطمية ، الذي لاحظ انه كان يقع في عدة مجلدات ، وهذان الكتابان يعتبران من بين المصادر التاريخية الهامة عن الخلافة الفاطمية وعن الامراء الزيريين (75) . وقد لاحظ ياقوت أيضا ان ابن أبي الصلت أمية مؤرخ صنهاجة وصاحب كتاب « الديباجة في مفاخر صنهاجة » (76) الذي ألفه للحسن بن علي بن تميم بن العز بن باديس ، قد ورد مصر في عصر الأمر بأحكام الله واتصل بوزيره الارمني الافضل شاهنشاه (77) .

72 - كراتشوفيسكي : المرجع السابق 1 ، 367 - 368 العبدري : الرحلة 28 - 30 تحقيق أحمد بن جدو .

73 - عن ترجمته انظر : ابن خلكان المصدر السابق 5 ، 178 .

74 - انظر ج . 7 ، 106 ، 109 .

75 - نشرت قطعة من كتاب الرقيق في تونس سنة 1968 بعناية الكعبي وقد عثر عليها في الخزانة العامة بالرباط وعن الرقيق القيرواني انظر : ياقوت معجم الادباء 1 ، 216 ج ، 2 ، 136 - 137 ، السخاوي الاعلان بالتوبيخ 122 لقبال : حول تاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيرواني مقال مجلة تاريخ وحضارة المغرب عدد 5 ، 1968 .

76 - عنه انظر : مفاخر البربر (المجهول) 51 - وهو غير مخطوط « النبد المحتاجة باخبار ملوك صنهاجة لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد ومخطوطته يملكها المستشرق شاربونو ومنه اقتبس ميشيل اماري : الكتبة الصقلية 317 ط . الثني نصا هاما عن وصف المظلة عند الفاطميين وكيف انهم اقتصوا بها دون سواهم انظر : ابن حماد اخبار ملوك بني عبيد 14 - 15 . وكان للمظلة موظف خاص يعرف بحامل المظلة وهو من موظفي القصر ومن أشهر حاملي المظلة شفيح الصقلبي في عصر العز لدين الله وزيدان في عصر الحاكم انظر القرظي اعانف الحنا 1 ، 138 ، ج 2 ، 39 ، ماجد ، نظم الفاطميين 2 ، 28 .

77 - انظر معجم الادباء 7 ، 52 وما بعدها .

ورغم ان معرفة ياقوت بأحوال المشرق الاسلامي كانت افضل بكثير من معرفته بأحوال المغرب الا ان معلوماته عن هذا الجزء من العالم الاسلامي كانت هامة ودقيقة وطريفة ايضا . وقد أوحى كتابه « معجم البلدان » لصفى الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739 هـ / 1338 م) بموجز واف سماه « مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع » (78) وقد رجعنا اليه في أماكن كثيرة . وللرحالة المغربي أبي القاسم الزياني (ت 1249 هـ / 1809 م) أهمية محدودة حيث استفدنا منه ما يشير الى بقاء كتب « انساب البربر » حتى وقته في مدينة تلمسان ، وهي التي ألفها النسابة المحليون الذين اعتمد عليهم ابن حزم في جمهرة انساب العرب وابن خلدون في كتاب « العبر » وأبو علي صالح عبد الحليم في « الأنساب » كما عثرنا في ثنايا كتابه « الترجمة الكبرى » على وصف قصر كتامة في بلاد المغرب الاقصى وعلى اسم جديد للجزء المتوسط من بلاد المغرب العربي وهو اسم الواسطة .

أما الحسين بن محمد الورتيلاني (ت 1193 هـ / 1779 - 1780 م) وهو رحالة متصوف ينتمي الى قبيلة زواوة فقد قصر اهتمامه أثناء رحلته الى الحج على شرح مزايا اقليم زواوة ومناقب علمائه وصلحائه وعدد مشاهده وزواياه ، كما أشار الى ظاهرة الشرافة التي يدعيها بعض فروع هذه القبيلة التي تعتبر حليفا لكتامة ومن نفس أصلها (79) وقد قصد أبو العباس الفبريني (ق 7 هـ / 13 م) وهو من بني غبرين من زواوة دائرة مدينة العزازقة حاليا في كتابه « عنوان الدراية » تقديم صورة عن الحياة الثقافية في عصره في مدينة بجاية وما اتصل بها في اقليم زواوة وفي الكتاب حشد كبير من علماء زواوة وصلحائها الذين تميز بعضهم بالمستوى الثقافي الرفيع الذي اكتسبوه نتيجة الرحلة والاقامة في مصر وبلاد الحجاز وغيرهما من بلاد المشرق العربي .



ولكتب الانساب والمناقب والطبقات والنحل دورها الهام في توضيح شكل الكلمات وتحقيق نسبة القبائل ثم في رسم صورة عن مستوى التدين وسير الحياة الثقافية والعقائدية .

ولأول وهلة يلاحظ أن ابن القيسراني (80) (ت 507 هـ / 1113 م) في كتابه « الأنساب المتشابهة » لا يذكر في اطار لقبى الشيعي والصنعاني ،

78 - انظر : كراتشوفيسكي المرجع السابق 1 ، 343 .

79 - يصرح الورتيلاني بأنه اعتمد على كتاب النبد المحتاجة في اخبار ملوك صنهاجه انظر ص 4 من رحلته .

80 - عنه انظر : ابن خلكان المصدر السابق 3 : 415 - 416 .

أبا عبد الله الداعي (81) . كما لم يذكره السمعاني (ت 562 هـ) في كتابه « الأنساب » وان أشار الأخير إلى لقب الكتامي (بالضم) ونسبة كتامة وصنهاجة إلى حمير ، كذلك ذكر بعض علماء كتامة وهو (ابن مليكة) الذي هاجر إلى صنعاء اليمن للرواية ثم رجع إلى بلاده (82) . وقد حظى معجم الأنساب للسمعاني بعناية فائقة من المؤرخين فاخصره ابن الأثير في كتاب سماه « اللباب في تهذيب الأنساب » كما اختصر الأخير جلال الدين السيوطي في كتاب سماه « لب اللباب » وفي هذين الكتابين توضيح لضبط كلمة كتامة ونسبتها الحميرية كما جاءت في الأنساب للسمعاني (83) أما ابن رسول في « الطرف » فلا يقتصر على الإشارة إلى نسبة كتامة لحمير فقط ، بل يلاحظ وجود بطن من قبيلة قضاة باسم « الفاطميين » وطائفة من أشرف اليمن يعرفون بالحمزيين غير أولئك الذين ينتسبون إلى حمزة بكتامة وعرفت حارة الحمزيين في القاهرة بهم (84) .

وروى القلقشندي (ت 821 هـ / 1418 م) في « نهاية الأرب في أنساب العرب » نسبة بني كتامة إلى فروع البرانس بجانب رأي الطبري ، الذي ينسبهم إلى حمير (85) كما أشار إلى بقايا هوارة وصنهاجة في مصر لكنه سكت عن بقايا كتامة في عصره ولم يشر إليهم في كتابه « قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان » . (86)

ويذكر كتاب « الأنساب » لأبي علي صالح عبد الحليم (87) حول أنساب البربر، وكتامة اعتماداً على كتب النسابة المحليين ، ومنه اقتبس ليفي بروفنسال نصاً بعنوان « نبذة عن مفاخر البربر في العصور الوسطى » تضمن معلومات كثيرة عن مناقب البربر وعن شخصيات كتامة الهامة مثل

81 - كراتشوفسكي 1 ، 319 - 320 وهنا يلاحظ اعتماد السمعاني عليه ، انظر الأنساب المتشابهة 84 - 85 ، 87 - 90 ط : المثنى .

82 - السمعاني : الأنساب ورقة 474 ب ، وعن السمعاني انظر : كراتشوفسكي 1 : - 355 - 356 .

83 - السيوطي : لب اللباب 219 ط المثنى . ويوجد لب اللباب مخطوطاً تحت رقم 2237 تاريخ تيمورية دار الكتب .

84 - انظر طرفة الأصحاب 12 ، 13 ، 94 - 95 .

85 - انظر : نهاية الأرب 405 ط 1963 .

86 - انظر : قلاند الجمان 167 - 168 ، 170 - 171 .

87 - ينسب لأبي حيان مع أن اسم المؤلف وهو : عبد الحليم قد صرح به في ورقة 22 من نص المخطوط « قال عبيد الله صالح عبد الحليم » انظر المنوني المصادر الدينية في تاريخ المغرب ص 10 مقال مجلة البحث العلمي عدد 10 - مايو 1966 وعن عبد الحليم انظر : مفاخر البربر 75 ابن عذارى 2 ، 5 ط بيروت ، ويبدأ كتاب مفاخر البربر الذي استخرجه ليفي بروفنسال من ورقة 58 من نص مخطوط الأنساب . خ : الخزائن العامة بالرباط رقم 1275 ل .

عروبة بن يوسف وجعفر بن فلاح وحباسة وأبي حدو وغيرهم وقد أشرت من قبل إلى أن ابن حزم (88) في جمهرة أنساب العرب يشير إلى بيوتات كتامة وزواوة في كور الأندلس في القرن الخامس الهجري وهو في ذلك يعتمد على نسبة محليين ، كانوا معاصرين له ومنهم أبو يكتي البرزالي الإباضي .

وميزة كتب الطبقات أنها تقدم معلومات مفصلة عن حركة الجدل وموضوعاته ورجاله . وهي الحركة التي كانت في العصر الأغلبي ثم استمرت بعد ذلك في عنف وشدة في العصر الفاطمي .

فأبو العرب تميم (ت 333 هـ / 944 - 945 م) في **طبقات علماء إفريقية** يشير إلى ذلك وإلى المالكية والأحناف الذين اشتهروا بالجدل والمناظرة وبحرارة الدفاع عن المذهب السني ، رغم موجة الاضطهاد وفيه أيضا اشارات إلى أولئك الذين ضعفوا وافتتنوا بالمذهب الاسماعيلي وأصبحوا متشركين في نظر معاصريهم واشتركوا في حركة اضطهاد السنة ، وفي الضغط على رجالها بمختلف الوسائل والافراءات ومنها المال والجاه والدعوة والاكراه .

ويلاحظ الخشني « ت 361 هـ / 971 - 972 م » في كتابه « **قصة قرطبة وعلماء إفريقية** » كيف أن حركة الجدل المذهبي اشتدت والتجأ الفاطميون إلى استخدام سلطاتهم المادية للاقناع والارهاب . فمهدوا بذلك بسبب اصرار المالكية على مذهبهم لعصر جديد هو عصر المحنة والشهادة ، حيث غدا المضطهدون في مذهبهم وقتلى الشيعة « شهداء » عند أهل المذهب وما أكثر هؤلاء الشهداء في كتب طبقات المالكية .

ويمدنا الخشني ، بصورة مشرفة عن دور المالكية في الدفاع عن مذهبهم بالجدل والحجة الواضحة والاقناع . ويذكر مجالس المناظرة التي جمعت دعاة الشيعة مع فقهاء السنة وكيف أن أبا سعيد عثمان بن الحداد ، لم ينجح في دوره كمدافع عن المذهب فحسب بل اجتذب كثيرا من الشيعة

88 - من ترجمته انظر : ابن خلكان المصدر السابق 3 ، 13 - 17 ، وقد ابتداء حياته شافعيًا ثم أخذ بمذهب داود بن علي الظاهري فأصبح يعرف بلقب الظاهري ، يؤخذ عليه مقالاته في التشيع لبني أمية واعتقاد صحة خلافتهم انظر ابن بسام الذخيرة في محاسن الجزيرة ق : 1 مجلد 1 ، 140 ومابعدها .

الذين أعجبوا بذكائه وشجاعته وصراحته وقوة حجته وكان الداعي أبو عبد الله يخصه بتقدير كبير (89) .

ويحفل كتاب **رياض النفوس** لأبي بكر المالكي (ق 5 هـ / 11 م) وكتاب **(معالم الإيمان)** للدباغ بمعلومات كثيرة عن عصر الشهادة والشهداء المالكية ويلاحظ الدباغ كيف أن الوضع انقلب لفائدة المالكية في عصر المعز بن باديس الذي تغاضى عن اضطهاد الشيعة وكان ابن أبي الرجال والخولاني وأبو عمران الفاسي في القرن الخامس الهجري نماذج حسنة لزعماء المالكية الذين واصلوا سيرة أسلافهم في النضال ضد مظاهر السلطة الشيعية ، لمحوها وتصفية آثارها (90) .

ومن كتاب **(ترتيب المذرك)** للقاضي عياض اليحصبي السبتي (91) (ت 544 هـ 1149 م) استنفدت عدة حقائق عن بقايا كتامة المالكية وعلمائهم مثل ابن العجوز وكان قد هاجر أسلافهم من قبل واستقروا في ستة وطنجة ودمنة عشيرة وغيرها . ومن كتاب عياض استخراج محمد طالبي - مجموعة نصوص اعطاها عنوان **(تراجم أغلبية)** وحقيقتها أنها تضمنت تراجم لشخصيات عاشت في العصر الفاطمي أيضا ، ومن بينهم أفراد أسرة أبي المنهال العراقية ، الذين أسهموا مع أفراد أسرة النعمان في خدمة القضاء . ولقد فضل أبو طالب أحمد بن أبي القاسم محمد بن أبي المنهال قاضي المنصورية الانتقال إلى مصر في عصر العزيز بالله فاستجيب له (92) .

ومن بين كتب الملل والنحل يقدم شمس الدين بن طولون (ت 953 هـ / 1546 م) في كتاب **الشذرات الذهبية** نصا هاما عن تاريخ الأئمة الاثني عشرية ، وأحمد حميد الدين الكرمانلي (ت 411 هـ / 1020 م) في كتابه **المصباح في اثبات الإمامة** ، معلومات هامة عن قضية النص وأنه في علي

89 - يشير التويري : 26 ورقة 31: إلى نهى الداعي أبي عبد الله لأخيه أبي العباس المحطوم عن التشدد وتنفيذ فكرة نفي الفقهاء المخالفين للشيعة بقوله : (أن دولتنا دولة حجة وبيان وليست دولة قهر واستطالة فانزل الناس على مذاهبهم) وعن ترجمة محمد ابن حارث الخشني انظر : ياقوت معجم الادباء 18 ، 111 .

90 - انظر الدباغ معالم الإيمان : 3 ، 209 ، 241 - 245 وقد نهى أبو عمران الفاسي المعز بن باديس عن انتحال لقب الخلافة بقوله (ولأنك ان فتحت هذا الباب تسمى به كل من أردت التفوق عليه ممن صافيك وغيرهم فبطل ما اخصصت به) انظر ابن حزم نطق العروس في تواريخ الخلفاء 77 .

91 - انظر عنه ابن خلكان المصدر السابق 3 : 152 .
92 - القرظي انماط الحنفا 1: 247 .

وفي ابنه الحسن والحسين ثم اسماعيل من بين أبناء جعفر الصادق والاهم والطريف في هذا الكتاب أن مؤلفه خصص المصباح السابع من المقالة الثانية (93) للتدليل على وجوب امامة الحاكم بأمر الله كأن الامر يقتضي التدليل على امامته وحده ، ولا ادري اذا كان ذلك تم بسبب المعاصرة ، أو هو نوع من الرد على ما تضمنه محضر القدح في نسب الفاطميين الذي تم بأمر الخليفة القادر بالله العباسي في (402 هـ - 1011 - 1012 م) .

واتخذ الكرمانى ميل الحاكم الى البساطة فى العيش ، ثم اجراءاته الحازمة لمحاربة المنكر والانحراف دليلاً على وجوب طاعته (94) ولقد فند الكرمانى فى الرسالة الواعظة آراء مدعى الوهية الحاكم وشدد النكير عليهم خاصة على الحسن الفرغانى الاخرم الذى لقبه بالاجدع (95) . وفى كتاب المصابيح اشارة الى القرامطة أو « السادة بالاحسان من اولاد الجنابى » ضمن الذين كانوا يدعون الخلافة فى عصره ومنهم الامويون فى الأندلس والعباسيون فى بغداد (96) .

وقد لا حظ الكرمانى فى البرهان الثالث عن الحاكم قوله (لما كانت الامامة لا تصح الا بالنص والتوقيف وكان النص من النبى جاء فى على ، ومن على جاء فى الحسن ومنه فى الحسين ، ومنه فى على ومنه فى محمد ومنه فى جعفر يقوم خلف مقام سلف وكان النص منتهياً الى الحاكم بأمر الله أمر المؤمنين والنص موجود ، كان الحاكم بأمر الله ماير المؤمنين اماماً مفترض الطاعة (97) .

ومما تضمنه كتاب الملل والنحل للشهرستاني (98) (548 هـ / 1153 م) ومقدمات كتب : **المجالس المستنصرية والهمة والسيرة المؤيدية**

93 - انظر : المصابيح فى اثبات الامامة 140 - 155 ط : بيروت 1969 تحقيق مصطفى غالب .

94 - نفسه : 150 - 151 وعن شخصية الحاكم واجراءاته انظر عبد المنعم ماجد الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدى عليه 89 وما بعدها ، عبد الله عنان الحاكم بأمر الله 129 وما بعدها ، القرزى اتمام الحنفا 2 ، 53 وما بعدها ابن طاهر المصدر السابق ورقة 56 ، التويرى المصدر السابق 26 ورقة 52 - 53 .

95 - انظر : صفحة 7 - 10 من الرسالة الواعظة ومقدمة كامل حسين الذى يميل الى تصديق شبهة ادعاء الالوهية بسبب عدم معاقبة الحاكم للغلاة ولنقمته على أهل مصر بسبب قتلهم الأخرم ثم مساعدته القرزى فى الفرار الى الشام .

96 - انظر كتاب المصابيح فى اثبات الامامة 148 .

97 - نفسه : 146 .

98 - انظر عنه : ابن خلكان المصدر السابق 3 ، 403 - 404 .

وسيرة جوند والسجلات المنصرية استفدنا حقائق هامة عن الشيعة وعن فرقة الاسماعيلية وخلافاتها . واتضحت هذه الحقائق في كتب ادب مصر الفاطمية ، وطائفة الاسماعيلية لكامل حسين ثم في نظم الفاطميين وظهور خلافة الفاطميين لعبد المنعم ماجد . وفي ابحاث مصطفى غالب في اعلام الشيعة وتاريخ الاسماعيلية كما آمدنا كتاب الحاكم لعنان والصلحيون في اليمن للهمداني وتاريخ التفكير الفلسفي للنشار . وتاريخ فلسفة الاسلام في الشمال الافريقي ليحيى هويدى وفاطمة الزهراء للعقاد بمعلومات ذات قيمة في هذا الشأن .

ونلاحظ أن ابن حزم الظاهري في كتابه الفصل يصدر حكما عنيفا ضد الاسماعيلية حيث يرميهم بالاحاد والمروق عن الدين . ومثله يحيى بن حمزة العلوي (ت 745 هـ / 1344 م) . في كتابه « الافحام لافئدة الباطنية الطغام » . وابو حامد الغزالي (ت 505 / 1111 م) في كتابه « فضائح الباطنية » حيث فند آراءهم حول النص ، وعصمة الائمة والتأويل الباطني للتصوص المقدسة .

وتحفل كتب التاريخ العامة والخاصة بالمغرب او بمصر الاسلامية باشارات متنوعة ومفيدة في موضوع تاريخ كتامة وأهمية دورهم في تاريخ الفاطميين ، فأهمية ابن قتيبة في الامامة والسياسة انه أشار الى كتامة في عصر الفتح الاسلامي وبخاصة في عهد موسى بن نصير (99) وفي قطعة من كتاب « تاريخ افريقية والمغرب » للريقي القيرواني لاحظنا كيف ان اقليم كتامة وقلاعه كانت هامة كمراكز لجوء توفر الحماية للقادة والثوار منذ ولاية يزيد بن حاتم وهو من الولاة المهالبة في افريقية (100) الاسلامية . وقد لاحظت بان الرقيق القيرواني تأثر به كثير من المؤرخين في المغرب والمشرق ايضا مثل ابن الاثير والمقريري وابن خلدون وابن عذارى والنويري .

وقدم ابن عذارى في كتابه « البيان المغرب » صورة واضحة لوجهة نظر المدرسة المغربية في القرن السابع الهجري (101) عن كيفية انتشار الحركة الاسماعيلية في اقليم كتامة وما نتج عنه من قيام الخلافة الفاطمية التي نشرت نفوذها على بلاد المغرب بملحقاته الطبيعية ورتت ببصرها نحو شبه

99 - انظر الامامة والسياسة 2 ، ص 66 ط 3 : 1963 .

100 - انظر تاريخ افريقية والمغرب ، قطعة منه 161 - 162 .

101 - وعن عصره انظر البيان المغرب 1 ، ص 294 - 16 - 17 وهنا يذكر ابن عذارى تطور وضع مدينة القيروان في عصره فيقول (وهي الآن في وقتنا هذا وهو آخر المئة السابعة قد ابتدأت في العمارة) .

جزيرة الاندلس ورواية ابن عذارى تخالف ما جاء في النعمان وابن خلدون وابن الأثير وتجد عنده تفاصيل كثيرة لأحداث لم يشر إليها هؤلاء ومعلومات لطيفة عن حوادث العصر الفاطمي وعن علاقات الخلفاء مع كتامة ومع جماهير السنة ثم مع الأمراء الزيريين . ومن خلال كتاب البيان يظهر دور كتامة دورا رئيسيا وموجها لحوادث العصر منذ قيام الدولة حتى القرن الخامس الهجري وقد أشار الى تطور وضع كتامة في مصر في عصر العزيز بالله بقوله عن ابن كلس انه « أذل كتامة وقهرهم وقدم الترك » (102) كما أشار الى حوادث بلاد المغرب اثناء ثورة أبي الفهم الخراساني (103) والى سائر السفارات المتبادلة بين الأمراء الزيريين والخلفاء الفاطميين منذ عصر المعز حتى نهاية عصر الأمر بأحكام الله ويروي ابن عذارى خبر قتل سيف الدولة ذي المجدين حسين بن علي بن دواس الكتامي بأمر الظاهر الفاطمي وبتدبير عمته ست الملك التي يسميها هنا بلقب « السيدة الشريفة » (104) .

وينفرد ابن عذارى بين المؤرخين بالإشارة الى ان شيخ حجيج كتامة في مكة كان يميل الى مذهب النكارية الإباضية (105) أما الباجي السعودي في « الخلاصة النقية » فيلاحظ أن الرجلين أبا عبد الله الشيعي وشيخ الحجيج تقاربا في المذاهب بعد أن تباحثا (106) ويعني ذلك أن الشيخ كان يميل الى المذهب الشيعي شأن معظم المغاربة الذين يميلون الى حب آل البيت جبلة كما لاحظ ذلك ابن أبي الضياف في كتابه **تحاف أهل الزمان**.

وأهمية ابن عذارى تظهر أيضا في نواحي أخرى منها أهمية مصادره بالنسبة لحوادث المغرب والمشرق على السواء فهو ينقل عن الوراق والبكري والعدري وابن القطان والرقيق وابن شرف وأبى الصلت والقضاعي أيضا (107) ، ويحفظ كتابه البيان شذرات من تاريخ الرقيق وقطعا من نظم الجمان لابن القطان ومن تكملة الطبري لعريب بن سعيد القرطبي (108) والأهم من ذلك أنه يقدم ملخصا وافيا لكتاب أبي عبد الله محمد بن سعدون ابن علي المالكي (ق 5 هـ / 11 م) وهو **تعزية أهل القيروان بما جرى على**

102 - انظر البيان 1 : 339 النوري 26 ورقة 49 .

103 - نفسه 1 : 345 .

104 - نفسه 1 : 391 ثم انظر النوري 26 ورقة 60 - 61 .

105 - نفسه 1 : 166 - 167 وقارن ذلك بما ورد في النوري 26 ورقة 25 الذي يشر الى ان وفد حجيج كتامة كانوا من الشيعة .

106 - انظر الخلاصة النقية ورقة 28 ا مخطوط تونس رقم 459 وقد طبعت 1283 هـ .

107 - انظر : البيان 1 : 126 ، 313 .

108 - وعن مصادر ابن عذارى انظر البيان 1 ، 13 ، 36 ، 351 ، 395 ، 401 ، 402 ، 404 .

البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان (109) الذي تضمن رواية جديدة عن أصل الحركة الاسماعيلية ونبدا من سيرة الخلفاء الفاطميين في المغرب وفي مصر حتى بداية عهد المستنصر بالله (110) وفي ثنايا هذا الملخص الذي يعكس وجهة نظر المالكية أعداء الحركة الاسماعيلية بعد انتعاش السنة نلاحظ تركيزا مقصودا على نقط الضعف في الخلفاء الفاطميين فالمعز لدين الله ادعى النبوة والعزیز بالله سب الصحابة والحاكم ادعى الربوبية من دون الله وجعل داعيا يدعو اليه هو حمزة الهادي (111) أما الظاهر فكان مدمنا على شرب الخمر وعلى التزين بزى النساء والمستنصر كان ميالا الى الطرب واللهو فاذا مشى « كان بيده الشبابة ومن ينشد الشعر » .

وامدنا **كتاب العبر (112)** لابن خلدون بمعلومات مستفيضة عن انساب البربر وكنامة كما يراها النسابة العرب مثل ابن حزم والنسابة البربر مثل هانيء بن منصور الكومي وفيه وصف لاقليم كتامة وحدوده ومدنه ولغروغ كتامة ومضاربهم واهمية ابن خلدون انه وثيقة هامة بالنسبة لبقايا كتامة في عصره وقد لاحظ ان سدويكش وبني ثابت من بقايا كتامة كما لاحظ تدهور شأنهم وسجل نظرة العامة والحاكم اليهم كأحفاد لقوم ناصروا من قبل نحلة شاذة وفرضوها على جمهور السكان بالارهاب وفي كتاب « سيرة جوذرت 361 هـ » لابي منصور العزيزي الجوذري معلومات قيمة عن حياة كتامة في افريقية بعد قيام الدولة وعن علاقاتهم بالسكان وبرجال الدولة وبالخلفاء لاسيما المنصور الذي نوه بأهمية دورهم اثناء حركة ابي يزيد ثم المعز لدين الله الذي اشرف على تكوين جيل جديد من شبابهم وفي الكتاب عرض عن سير الحياة السياسية والادارية في بلاد المغرب حتى رحيل المعز الى مصر وعن أهمية طبقة الفتيان ودور الأسر العربية الكبيرة مثل أسرة الكلبيين وبني حمدون وفي الكتاب كثير من العقائد الاسماعيلية منها ما يتعلق بقضية النص على الحجة واقامة مستودع له وقد ولي جوذر هذه المهمة عدة مرات (113) ومنها ما يتعلق بصدى الخلاف في صميم الأسرة الفاطمية الذي ابتدا قبيل وفاة المهدي واستمر حتى رحيل المعز

109 - نفسه 1 : 405 - 406 .

110 - نفسه 1 : 414 .

111 - وقد عرف في كتاب ابن سعدون بالمهدي وهو الذي كتب سنة 410 هـ كتابا يدعو الى الوهية الحاكم منه قوله (الحمد لولاي الحاكم وحده باسمك اللهم الحاكم بالحق) ويخاطب حمزة الناس بقوله (وامرني باسقاط مالا يلزمكم اعتقاده من الاديان الماضية والشرائع الدارسة) انظر البيان 1 ، 413 - 414 .

112 - يصفه السخاوي بأنه ليس (الا من المصنفات التي سارت القابها بخلاف مضمونها) ويلاحظ ان المقرئ بالبحر في مدح كتاب العبر بسبب رابطة الصداقة بينه وبين ابن خلدون انظر الاعلان بالتوبيخ 151 .

113 - انظر : سيرة جوذر 39 - 40 ، 139 .

لدين الله حيث يلاحظ أن قريبه احمد بن المهدي يشنع عليه ويتأخر في الهجرة معه الى مصر ومن نسل أحمد بن المهدي الذي وصفه المعز بالشقي ، عبد الرحيم بن الياس ولي عهد المسلمين في عهد الحاكم بأمر الله (114) .

والكتاب بعد كل هذا وثيقة معاصرة ونموذج رفيع لبلاغة الخلفاء ومهارتهم الخاصة في صياغة التوقيعات أما خطب المنصور بالله فتعتبر في الكتاب آية في الروعة وفي الجمال (115) وتضمن كتاب الإشارة فيمن نال الوزارة لابن الصيرفي (ت 542 هـ / 1147 م) تراجم لبعض شخصيات وقادة كتامة أظهرهم أمين الدولة ثم علي بن جعفر بن فلاح الذي تقلب في عدة مهمات ادارية وعسكرية قبل أن يلي خطة الوساطة للخليفة الحاكم بأمر الله . وفي كتاب رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (ت 853 هـ / 1449 م) كما في الملاحق التي أضيفت الى كتاب الولاية والقضاة للكندي معلومات مستفيضة عن دور آل النعمان في الدعوة وفي القضاء في مصر الفاطمية .

أما كتاب ابن القلانسي (ت 555 هـ / 1160 م) « ذيل تاريخ دمشق » فيعتبر بحق أهم وثيقة عن حويلات العصر الفاطمي في بلاد الشام منذ أن فتحت على يد جعفر بن فلاح الى أن سقطت في القرن الخامس الهجري في أيدي أنسز بن أوق (الأقسيس) اثر فرار واليها الكتامي معلى بن حيدرة بن منزو .

ويتسع ذيل تاريخ دمشق لسياسة ولاية كتامة في بلاد الشام سواء كانوا من آل ابن فلاح أو من أسرتي ابن الصمصامة وابن منزو ولوقوفهم من السكان ومن عناصر الشغب وهم الأحداث والإشراف . وقد اتضح كيف أن جيش بن الصمصامة استدرج هؤلاء وتكل بهم كما تكل بشوار مدينة صور وحلفائهم الروم كما اتضح أيضا مدى تأثير وضع كتامة في الشام بالأحداث التي تجري في مصر خاصة أثناء وساطة ابن عمار حيث لاحظنا أن كتامة في بلاد الشام فقدت زمام المبادرة وتخلت تدريجيا عن الدور القيادي اثر سقوط ابن عمار وفرار أبي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح من الشام (116) . ولأبي المحاسن (ت 874 هـ / 1496 م) في

114 - نفسه 105 - 106 .

115 - نفسه 55 وما بعدها وما جاء فيها قوله يخاطب كتامة (يا أهل دعوتنا يا انصار دعوتنا يا كتامة احمداوا الله واشكروه) وقد اثني عليهم وطيب خاطرهم بقوله : (اللهم اني اصبحت راضيا عن كتامة لانتصامهم بحبك وصبرهم على البساء) .

116 - انظر النويري : المصدر السابق 26 ورقة 50 وما بعدها .

مطالبهم ويعاد اليهم اعتبارهم في الدولة وقد حفظ ابن مسير (122) والمقريري (123) صورة عن مطالبهم وموقف الحاكم منها .

وفي ابن خلكان كما في « **يتيمة الدهر** » للتعالي « **والبلاية والنهاية** » لأبي الغداء ابن كثير (ت 732 هـ / 1331 - 1332 م) اشارات عن بعض رجالات كتامة مثل جعفر بن فلاح وابنه أبي تميم سليمان .

ومن سيرة الحاجب جعفر بن علي (124) لمحمد اليماني استفدنا حقيقتين هامتين اولاهما تتعلق برغبة المهدي في التوجه الى كتامة مباشرة لولا اكتشاف أمره الذي جعله يواصل السير الى سجلماسة وذلك ملاحظه أيضا يحي بن سعيد الأنطاكي في تاريخ الذيل (125) أما الثانية فتتعلق بوجود مجموعة من كتامة كانوا يرافقون المهدي أثناء رحلته من سلمية الى بلاد المغرب وانهم الذين رافقوا ابا العباس المخطوم بقصد ان يوصلوه الى اخيه أبي عبد الله في ايكجان وفي كتاب ابن العديم (660 هـ / 1261 - 1262 م) **زينة الحلب في تاريخ حلب** معلومات ذات أهمية عن دور بعض قادة كتامة في الشام مثل جعفر بن كليد في حمص وبني ثعبان في حلب وقد قاموا بدور لفائدة الخلافة الفاطمية في عهدي الظاهر والمستنصر ضد عرب بني مرداس وأمرائهم وصدى أعمالهم نجدها أيضا في ابن الأثير وابن خلدون والمقريري (126) .

ويحتفظ ابن الخطيب (ت 776 هـ / 1374 م) في كتابه **اعمال الاعلام** بنص رسالة ابراهيم بن أحمد الاغلبى الى أبي عبد الله الداعي عندما كان مقيما في قلعة ايكجان ثم رد الداعي عليها ، أما ردود الفعل الأخرى ضد الحركة الاسماعيلية فقد حفلت بها مصادر أخرى مثل ابن عذارى وابن خلدون والنعمان والنويري وفي **مجموعة الوثائق الفاطمية** (127) اشارات

122 - انظر اخبار مصر 2 ، 53 - 54 .

123 - انظر اتعاظ الحنفا 2 ، 4 - 5 .

124 - سيرة جعفر 116 وجعفر بن علي هو أخو المهدي من الرضاعة وهو غير جعفر ابن منصور اليمن الذي لم يتصل بالمهدي ، انظر سيرة جعفر 107 - 110 ، سيرة جوند 126 - 127 ولقد حظى جعفر بن منصور اليمن بمكانة كبيرة عند المعز الفاطمي الذي مدحه بقوله (انه أجل أوليائنا المسعود برضى الله ورضى مواليه) .

125 - انظر تاريخ الذيل 751 وقد نشر في :

Patrologia Orientalis T. 18 et 23 Paris 1924-32.

126 - انظر اتعاظ الحنفا 2 ، 147 ، 172 وعن حيدرة بن ثعبان متولي الصعيد انظر 137 منه .

127 - نشرها الشيبان والقسم الاول منها يتضمن 23 وثيقة ، 10 وثائق عن الخلافة وولاية العهد و 13 عن الوزارة .

كثيرة يهمننا منها وثيقة تضمنت تظاهر الحاكم بأمر الله أمام شيوخ كتامة بعد أن قتل برجوان الصقلي بان عصرا جديدا قد بدأ في حياتهم وان اعتبارهم عاد الى سالف عهده مثلما كانوا (شيوخ الدولة وأولياءها) .
والذي يلاحظ عن هذه الوثائق انها خلقت من عهود الأمراء الزيريين مع انهم كانوا نوابا عن الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب كله وأهميتهم بدون شك كانت تتجاوز دور حكام الأقاليم والاطراف وقد دل عليها أعلام الحاكم لأبي مناد باديس بقضية النص على عبد الرحيم بن الياس .



وقد أنار لي الطريق جهد مجموعة من مؤرخي مصر الاسلامية كما كان فضل مجموعة من مؤرخي المغرب الاسلامي كبيرا .

ولقد أفدت كثيرا من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب الخطية التي آلت الى المكتبة العامة في تونس ثم من أعماله المنشورة وأهمها كتاب **ورقات عن الحضارة ومجمل تاريخ الأدب التونسي** . وبعد من أعماله الخالدة انشاؤه لمتحفين احدهما خاص بالعملة التونسية ويوجد في مدينة تونس وثانيهما متحف أسد بن الفرات في قصر الرباط بمدينة سوسة وفيه نماذج لدراهم فاطمية ضربت في المهديّة سنة 325 هـ / 936 - 937 م ولدنانير ضربت في عصري المعز والعزيز ولطراز فاطمي يرجع الى عصر العزيز بالله ثم نسيج من الكتان هذا فضلا عن نماذج من الزجاج الذي صنع في صبرة (المنصورية) ثم طبق من خزف ذي بريق معدني يرجع الى القرن الرابع الهجري (128) .

ويكتسي كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الملي أهمية خاصة لأن المؤرخ من البيئة فمعلوماته عنها موثوق بها نسبيا كما أن أبحاث توفيق المدني تمتاز بأنها أنبتت على معرفة جيدة بالمنطقة ومن هذه الزاوية فكتاب « قبائل المغرب » لعبد الوهاب ابن منصور يعتبر أحدث ما كتب عن الموضوع انما في اطار تقليدي قديم والرجل من بيئة المغرب الأوسط ومن إحدى قرى العلويين في منطقة تلمسان (صبرة) ويملك تحت حوزته وثائق قديمة كما تجول لفترة طويلة في أنحاء البلاد وهو الآن ومنذ فترة يقيم في المغرب الأقصى ، ويحظى بلقب شرفي هو « مؤرخ المملكة » الذي استحقه على كتابه السابق .

128 - انظر : عبد الرؤوف علي يوسف : خزافون من العصر الفاطمي واساليبهم الفنية مقال المجلة التاريخية المصرية مجلد 20 ج 2 ديسمبر 58 .

انما يؤخذ على المؤلف أنه يعتبر كل قبيلة بربرية بمثابة شعب قائم بذاته ويبدو ذلك في عناوينه ، شعب صنهاجة شعب مصمودة ، وهكذا . .

ومن بين المراجع الأجنبية التي استشرتها استفدت من كتاب جوتيه :

Le passé de l'Afrique du Nord. Paris 1942. عن نقش « فج فيدول » الذي عثر عليه في مكان بين ميلة ، وجيجل وتضمن اسم الاكوتوماني « Ucutemani » « وهي الصيغة اللاتينية لاسم كتامة في العصر البيزنطي الذي يبدو انه ورد بصيغته الاغريقية عند الجغرافي بطليموس الفلودي (129) .

وقد لاحظ جوتيه نأ اقليم كتامة يقع في اطار موريطانيا السطيفية في العصر البيزنطي وبالاعتماد على معلومات شفوية استقاها من جورج مارسيه أشار الى أن قلعة ايكجان انما تقع بجوار قرية بني عزيز (130) .

وقد أكد كريستيان كورتوا في كتابه :

Les Vendales et l'Afrique. Paris 1955.

أن الاكوتوماني عرفوا كمجموعة أو قبيلة منظمة يشرف عليهم أمير منهم في جنوب منطقة جبل بابور ، أي في نفس مجال كتامة (131) .

وبهذا الرأي أخذ محمد طالبي في كتابه (132) .

L'Emirat Aghlabide. Paris 1966.

كما حاول أن ينسق بين الآراء المقترحة حول تحديد قلعة ايكجان (133) .
وفي كتاب شارل جوليان :

Histoire de l'Afrique du Nord. Paris 1961.

ما يشير الى حياد اقليم كتامة اثناء الفتن والحروب التي تسبب فيها الخوارج وبالتالي لم تكن قبيلة كتامة خارجية وبقيت على مذهبها السني حتى السنوات الأولى من حكم ابراهيم بن أحمد الاغربي وذلك عندما تبنت

Cf. 338.

- 129

Cf. p. 343 n° 2, 341.

- 130

Cf. p. 121.

- 131

Cf. p. 594.

- 132

Cf. p. 600 n° 4.

- 133

الحركة الاسماعيلية التي بثها الدعاة الاوائل (134) وأكد حقيقة حياذ كتامة في كل ما جرى من فتن مذهبية رينية باسيه في مقاله عن كتامة في دائرة المعارف الاسلامية :
Art. Ketama T. 2 p. 909.

وتعرض ووجر ادريس في كتابه عن الامراء الزيريين :

La Berberie Orientale sous les Zirides. Paris 1962.

الى علاقة هؤلاء الامراء بالخلفاء

الفاطميين والى دور كتامة في بعض الاحداث الخاصة والى اهميتها لحراسة النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب . كذلك استفدت من كتاب فوندرهايدن عن الاغلبة :

M. Vonderheyden : La Berberie Orientale sous la Dynastie des Banou L. Arlab. Paris 1927.

ومن كتابي جورج مارسيه عن شمال افريقية والمشرق

في العصور الوسطى ثم عن العالم الشرقي منذ سنة 395 الى 1081 م :

La Berberie Musulmane et l'Orient au Moyen Age. Paris 1946, et le Monde Oriental de 395 à 1081 2^e Edition 1944.

كما رجعت الى كتاب عبد الله العروى المغربي :

L'Histoire du Maghreb. Paris 1970.

وافدت من رحلة الحسن انوزان المعروف بليون الافريقي

(ت 944 هـ / 1537 م) عن وصف اقليم كتامة ومدنه المشهورة مثل جيجل

وسطيف وسكيكدة وميلة . وقد تعرض لها في ثنايا القسم الخامس من

كتابه : (135)

Description de l'Afrique, nouvelle édition E. Epaulard. Paris 1956.

وقد لاحظت اثناء وصفه لموقع مدينة قسنطينة قوله انه يوجد بجوارها نهر

سوققمار « Sufegmar » والكلمة بربرية تعني وادي الرمل وهو الاسم الذي

جاء في النصوص العربية ومعنى ذلك أن (سوق جمار) الذي قيل ان بعض

الدعاة الاوائل نزل فيه واضطربت النصوص حول ضبطه وموقعه ان هو الا

الكلمة المحلية التي تعني وادي الرمل ، وبذلك يكون اوائل الدعاة وهو

الحلواني قد نزل في عمق ارض كتامة بجوار حاضرة كبرى من حواضرها وهي

قسنطينة (136) .

Cf. T. 2, p. 55.

- 134

Cf. p. 361 Sq. (5^e partie).

- 135

Cf. p. 365 n° 34, A. Benachenhou opcit. P. 174 E.F. Goutier opcit 354.

ومن كتاب وصف افريقية للحسن الوزان اختار عبد الحميد بن اشنهو
نصوصا عن بلاد المغرب وقبائلها بعنوان : L'Algérie en 1515. Alger 1969.

وقد رجعت اليها في كثير من المواطن لانها صورة طبق الأصل . ويقطع
النظر عن النصوص العربية التي اختارها سلفستر دوساسي بعنوان **الأنيس
المفيد للطالب المستفيد وجامع الشفور من منظوم ومنثور** « و
Christomathie Arabe. Paris 1826 et 1827.

التي تضمنت بعض رسائل الدعاة (137)
خاصة رسالة القرمطي ، ورد الحاكم عليها (138) فان ترجمة البارون
دوسلان للجزئين السادس والسابع (139) من كتاب العبر بعنوان :
Histoire des Berbères et des Dynasties Musulmanes de l'Afrique Septen-
trionale. Nouvelle édition publiée sous la direction de Paul Casanova
Paris 1925.

قد افادتنا في ضبط بعض الأعلام وفي تصحيح الأخطاء التي توجد في طبعتي
بيروت وبولاق .

ويعتبر من المقالات الرئيسية التي رجعت اليها في دائرة المعارف الاسلامية
ما كتبه موتلنسكي عن الإباضية وشخصياتهم وكرادفو ، عن **الداعي والباطنية**
وجورج أيفر عن بعض مدن **كتامة وزواوة** واقليم الزاب ، وديمونيين عن
الأغالبة وجورج مارسيه عن **الرستميين** ، **والرباط** وجرايف ثم كثار عن
الفاطميين وكلود كاهين عن طائفة **الإحنات** وهيوارث عن **العلويين** وجورج
كولان عن **سجلماسة** الى غير ذلك من المقالات الهامة التي يضاف اليها مجموعة
أخرى تضمنتها الدوريات العربية والأجنبية وتنسب لباحثين مختصين .

Cf. p. 67 Sqq.

- 137

Cf. p. 81-82 et 205 sq.

- 138

Cf. T. 1 p. 291 Sqq.

- 139

الفصل الأول

هدف كتامة وبرانس افريقية والمغرب الأوسط في العصور الوسطى

البربر - التقسيمات الاجتماعية : فرع البرانس ، مضارب برانس ، المغرب الاوسط ، ازداجة - عجيسة اربعة ، هواره ، صنهاجة ، بقاياهم وآثارهم - كتامة ، الاسم ومدلولاته ، الاصل النسبي - ضبط الكلمة - حدود اقليم كتامة وخصائصه وبعض عادات سكانه - فرعا كتامة : غرسن - يسوده ، بطون كل منهما - زواوة فرع من كتامة - بطونهم مناقشة رأي ابن خلدون حول كتامة وزواوة بيوتاتهم في الاندلس - احصاء كتامة في عصر الادريسي وتوجيهه ، بقايا كتامة وزواوة في عصر ابن خلدون - علماء وفتاه كتامة وزواوة مراكز كتامة في افريقية والمغرب الاوسط : مرسى الخرز - بونه ، سكيكدة - القل - جيجل - بجاية - مرسى النجاج - مرسى بني جناد - تدلس - فسنتينة - ميله - سطيف - ايكجان موقعه . تيجس - توبوت - باغاية - اوراس - الزاب - مراكز كتامة في المغرب الاقصى والاندلس : قلعة ابن خروب سوق كنامي - قصر دنهجه - البصرة - اصيلا - قصر كتامة في الجزيرة الخضراء - كتامة من خلال المصادر التاريخية حتى اواخر القرن الثالث بعد الهجره - افاق الرحلة التالية .

من الكلمات ما شاع اطلاقه خطأ على غير أهله ورغم رفضهم له بقي علما بالغلبة عليهم عند أكثر المؤرخين حتى عند أولئك الذين تحروا الدقة وحشوا غيرهم على توخيها (1) ولا يتبين هذا المعنى في كلمة بقدر ما يتبين في كلمة البربر في عرف اليونان والرومان التي عرف بها سكان شمال افريقية الاقدمون ولم تكن من قبل علما على جنس معين أو فصيلة معينة . وكان من الحق أن ترتبط ببعض شعوب أوربا من القبائل الجرمانية المهاجرة

1 - ابن خلدون : تاريخ الدول الاسلامية 1 ، 106 ط دوسلان ، 6 ، 175 - 176 ط : بيروت وفي مواطن كثيرة من الجزئين 6 ، 7 من كتاب العبر ، ملاحظ البربر (المجهول 1 وما بعدها ابن حزم : جمهرة انساب العرب 461 :

Encyclopédie de l'Islam. (Art Berbères) T. 1 p. 716 Sqq.

ومن ضمنها وندال شمال افريقية الذين كانوا حربا على العمران وعلى مظاهر الحضارة الرومانية بدرجة يستحقون معها أن تلتصق بهم كلمة البربر لا بسكان شمال افريقية المسالين الذين ارتضوا لانفسهم اسما محليا يدل على طبيعتهم واتجاههم وهو اسم مازينغ (2) الذي نطق به وفدهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب عند ما سألهم عن نسبهم بين الشعوب . وبقيت قبائل منطقة زكار تحتفظ به حتى عهد متأخرة (3) . وأشبه الكلمات بمصطلح البربر عند الاغريق كلمتا « عجم » و « علوج » عند العرب فقد اطلقوا الكلمتين على الشعوب التي لا تتكلم لغتهم ولو كانت من التي لها ماض عريق في الحضارة مثل الفرس والاتراك (4) .

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الاعجمي « في مقابل كلمة » العربي في قوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . سورة فصلت 42) ووصف القرآن مرة بأنه « غير ذي عوج » لانه بلغة العرب في قوله تعالى (قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون . الزمر : 26) . ووصف مرة اخرى بأنه مفصل الآيات واضح القسما في قوله تعالى (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . فصلت : 1) .

وذكر أبو التاريخ اليوناني (هيرودوت) في ديباجة كتابه « ان الغرض من أبحاثه الدقيقة هو أن يحفظ من النسيان وقائع الاجيال الماضية والحاضرة وعظائم الاغريقين والبربر وأعمالهم العجيبة » (5) . فجاءت كلمة البربر في مقابل كلمة الاغريق لتشمل كل الشعوب والفصائل غير الاغريقية وهذا ان دل على شيء فانما يدل قطعاً ، على خطأ في التقدير وعلى انحراف عن المفهوم الصحيح .

وأساس ذلك استعلاء جنسي وثقافي كان يشعر به سكان شبه جزيرة اليونان ، وعنصر الاغريق عموماً ، تجاه غيرهم من الشعوب .

2 - ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 107 ، السلاوي : الاستقصاء 1 ، 35 ابن منصور قبائل المغرب 1 ، 26

Christian Courtois : Les Vendales et l'Afrique p. 119 n° 4.

Ibid. p. 120.

- 3

4 - فازيليف : العرب والروم ، ترجمة شعيرة . دار الفكر 1934 م .

5 - هيرودوت : تاريخه 11 هامش 2 من الكتاب الاول وعنوانه « كليو » ترجمة عربية بعناية حبيب ستريس بيروت 1886 م ، ارسطو : السياسيات 6 هامش 2 ، 7 ، 8 وغيرها ترجمة عربية بعناية اوسطيس بربارة بيروت 1957 .

وأصبح ذلك من سمات وريثة حضارتهم المباشرين وهم الرومان والروم البيزنطيون ، كما لم يسلم من ذلك من تأثر بهم وأخذ عنهم ، وهم العرب الذين صدروا في اطلاق كلمة « العجم » (6) على شعوب أخرى ، لكل منها اسمه الخاص ، وتراثه وتاريخه عن احساس بالتفوق السياسي أو الثقافي عن الاتراك ، والفرس وغيرهم من الشعوب غير العربية .

وقد يبرر اطلاق كل من كلمتي البربر والعجم في عرف الاغريق والرومان والعرب ، عن سواهم من الشعوب المجاورة والبعيدة ، سلطان سياسي واسع ورصيد حضاري قوي اكتسبته اللغات اليونانية واللاتينية والعربية في عصر ازدهار الحضارة الاغريقية والرومانية والاسلامية هذا بالقياس الى بدائية لغات بعض الشعوب الاخرى أو انحلال سلطانها السياسي ونضوب معين لغاتها القومية تبعا لضالة قوة الدفع السياسي في بلدانها .

ولعل مما يؤيد وجود فكرة الاحساس بالتفوق وتبادل التأثير وراء اطلاق كلمتي بربر وعجم وحدة معناهما في اللغات العربية واليونانية واللاتينية وتدور حول انعدام الفصاحة في النطق والخلط في الكلام ، وما يلزمهما عادة من الانفعال السريع ، والتأخر الفكري .

واغلب هذه المعاني تظهر في قول الشاعر العربي القديم (7) :

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الضنك للخصب العجيب
اي ارض سكنوها ولقد فازت البربر بالعيش الخصيب

ثم في الآيات القرآنية التي اشرنا اليها من قبل .
واذا تجاوزنا بعض الاعتبارات التي املت اطلاق اسم البربر على سكان شمال افريقية وحدهم حتى أصبح علما بالغلبة عليهم ولصقا بهم ، يعرفون به دون سائر اخوانهم أينما مازغ ، وهم سكان النطاق الجغرافي الذي يمتد من خليج العرب أو بحر القلزم الى البحر المحيط وهو التحديد الذي أكده وفد عن البربر في الصدر الاول من عصر الاسلام أمام الخليفة عمر بن الخطاب (8) .

6 - امين واصف : الفهرست والخريطة التاريخية للممالك الاسلامية 16 - 17 ویرادف كلمة عجم عند العرب كلمة علوج .

7 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 111 ط دوسلان ، ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 268 .

8 - أبو حيان : الانساب ، ورقة 104 خ الخزائن العامة بالرباط رقم 1257 ، ومنه استخراج ليفي بروفتسال نبذا عن مفاخر البربر في العصور الوسطى ، وخبر الوفد رواه أبو عبد الله محمد بن أبي المجد القيلي في تاليفه عن « الانساب » .

وقد لا يستبعد أن يكون وفد مغراوة من قبيلة زناتة البترية برئاسة « اقليدها » وهو الامير خزر بن حفص صولات بن وزمار قد ذكر له ذلك فيما بعد ، في مجلس الخليفة عثمان بن عفان فأنبته ، ولم يصف اليه ، لأن بعض النصوص التاريخية تشير الى اسلامه في هذه المناسبة بين يدي الخليفة وصورته منذ ذلك اليوم مع سائر قبيلة زناتة من موالي عثمان ومن شيعة بني أمية بصفة عامة (9) .

وإذا تجاوزنا ذلك - لاحظنا عدة أمور هامة منها :

1 - أن اسم البربر يعتبر أقدم اسم ذي مدلول شامل يظهر منذ بدء عصر التاريخ وينطوي تحته سائر سكان شمال افريقية ، وبلاد المغرب سواء كانوا من أهل السواحل ، أو من أهل الدواخل ، من سكان الصحراء ، أو من أهل التلول والجبال والسهول من ذوي البشرة البيضاء أو الزنجية بحيث لا تماثل كلمة البربر في مدلولها الشامل في حدود منطقة المغرب أية كلمة قبل ظهور العرب المسلمين في الناحية إذا - استثنينا - كلمة « ليبي » في العصر القديم .

أما بعد أن تمكن المسلمون من ناصية الامور وفتحوا بلاد المغرب فتحا سياسيا وثقافيا ، فقد أصبح لكلمة « مسلم » في المنطقة نفس الدلالة الشاملة التي تتجاوز قطعاً معنى ومدلول كلمة « عربي » كما تتجاوز أيضاً مدلول كلمات «نوميدي» و «موريطاني» و «جيتولي» (10) التي أطلقت على مناطق محدودة من شمال افريقية في عرف المؤرخين والرحالة غير المسلمين .

2 - ثم ان دور العرب المسلمين ، نسبة ومؤرخين ، في تسمية السكان بالبربر اقتصر فقط على تبني المصطلح كاسم جامع شامل لكل السكان محاكاة لئن سبقوهم في المنطقة ، ويعني هذا أنهم لم يكونوا أول من ابتدعه ، أو أطلقه ، أما سر تمسكهم به ، فهدفه التيسير والالتزام بالعرف المألوف دون أن يكون في اعتبارهم ملاحظة المعنى السيء الذي كان يلازم الكلمة في اذهان القدماء ، ويلزمه الآن عند بعض المحدثين .

9 - ابن خلدون المصدر السابق 2 ، 4 - 5 (ج 7 ط بيروت وبولاق) ابو حيان المصدر السابق ورقة 30 ويلاحظ ان هناك من الباحثين من يرى ان الانساب ، لابن عبد العظيم وليست لابي حيان .

10 - يلاحظ جوتيه ، ان من بين بقايا الجيتوليين في الواحات الغربية والجزائرية مجموعة الحارطان الزراعين ، ثم بعض سكان مرتفعات التبستي (التبو وهم من الرنوج ويعرفون قديماً باسم (Melano Getules) انظر الصحراء 189 ، ترجمة عربية ، سلسلة (1000 كتاب) رقم 117 .

3 - ثم ان نسبة البربر وجلهم قد نبه ذكره ، وازدهر انتاجه وتفتقت ذهنيته في ظل الاسلام ، قد استساغوا الكلمة واخذوا بها واقروها في كتبهم دون ما شعور بالنقص أو بالهزيمة ، وانطلقوا منها ، الى آفاق أخرى حول فرعي البربر وتحقيق نسب كل منهما .

ومما يلاحظ ان كتب هؤلاء النسابة والمؤرخين المحليين ، كانت متداولة ، ولم تضع الا في العهود المتأخرة وآية ذلك ان اصداؤها تظهر في العديد مما دونه المؤرخون المسلمون منذ بدء حركة تدوين التاريخ الى عصر مؤرخ الدولة العلوية الشريفة في المغرب الاقصى وهو أبو القاسم الزياني (ت 1249 هـ / 1809 م) .

فقد سجل هذا المؤرخ والرحالة المغربي ، ضمن ذكرياته ومشاهداته في مدينة تلمسان احدى قواعد زناتة البترية ، انه نزل بجوار ضريح الفوثن أبي مدين (ت 594 هـ / 1197 - 1198 م) وهو من مشاهد المدينة . وطلب من خطيب المسجد بعض ما يفيد ويسليه ، فأتخفه بكتب تاريخية هامة منها : الكتب التي ألفها مشاهير نسبة البربر وهم : سليمان بن اسحاق المطماطي ، وهانيء بن مصدور الكومي وكهلان بن أبي لؤي الاوربي . هذا عدا تاريخ العقباني عن دولة بني زيان وتاريخ ابن مرزوق عن مناقب السلطان المريني أبي الحسن والمعروف « بالسند الصحيح الحسن في محاسن أبي الحسن » و « واسطة السلوك في سياسة الملوك » لأبي حمو موسى وهو من سلاطين دولة بني زيان (11) .

وفيما عدا الاخير والذي قبله من هذه الكتب ، لا يوجد أي اثر للكتب وللأعمال السابقة خاصة منها أهمها ، وهي كتب النسابة المحليين اذا استثنينا بعض النصوص والفقرات المقتبسة والتي نجدها في ثنايا وتصانيف ما كتبه النسابة ، والمؤرخون المسلمون مثل محمد بن يوسف الوراق ، وابن حزم وابن عذارى ، وأبي المجد ، وابن عبد الحليم الذي يظن أنه هو صاحب كتاب الأنساب الذي اختيرت منه نبذة عن مفاخر البربر ، وابن خلدون وأبي العباس السلاوي (ت 1315 هـ / 1897 م) الذي يرجح أنه استفاد كثيرا من كتب هؤلاء النسابة ومن غيرها ، نظرا لقصر الفارق الزمني بين عصره وعصر أبي القاسم الزياني .

وقد ترعرع كل منهما في عصر الدولة العلوية الشريفة ، وينتسب أحدهما وهو الزياني الى البربر .

11 - الزياني : الترجمانة الكبرى في اخبار العمود برا وبعرا 144 ، نشرها الفيلاي - الرباط 1967 وعن أبي القاسم الزياني المؤرخ انظر : ليفي بروفنسال في : E I, Art Zayani T 4 P. 1269-70.

4 - لم ينكر الباحثون المحدثون كلمة البربر وحتى أولئك الذين ينتسبون الى عنصر البربر ، نلاحظ أنهم يدون اهتماما خاصا بالتسمية . ربما فاق اهتمام الباحثين القدماء ونراهم يتمسكون بالكلمة اعتزازا وفخرا ، ويتصيدون منها الدليل على انفصالهم وتفردهم بمميزات الامة المستقلة على غيرها . وقد لا يختلف اعتزاز هؤلاء بالكلمة ، عن مستوى اعتزازهم وتغنيهم بكلمة أخرى ، وهي مازيغ ومشتقاتها وتعني في نظرهم الشرف والنبالة وتعشق الحرية الفردية .

وهنا قد يعرض للباحث سؤال هام فحواه ، كيف غدت كلمة البربر علما بالغلبة على سكان المغرب الاقدمين ؟

ولتوضيح المقصود من السؤال لابد من الاشارة الى عدة ملاحظات هامة :

(أ) اولها ما أشار اليه المؤرخون من أن افريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ وهو من ملوك التتابة ، الذي غزا المنطقة ، وباسمه سميت افريقية هو الذي سمى السكان باسم - البربر - عندما سمع رطانتهم ولهجاتهم المتنوعة ، وقد تصيد النسابة كلمة البربر من قوله لهم متعجبا ما أكثر بربرتكم !!

انما يؤخذ على هذه الرواية أن الملك الحميري لم يأت أرض المغرب غازيا ، لاستحالة ذلك عادة . وأن صح افتراض مجيئه ، فكيف لا يفهمهم وهو قائدهم الذي نصرهم في أرض الشام حسب الرواية نفسها وبهم فتح الأمصار في أرض المغرب ، فكيف يصح أن يقبل تعجبه من رطانتهم في هذا المكان . وكان قد سبق له أن عرفهم في أرض الشام وسافر بهم هذه المسافة الطويلة . (12)

(ب) أما الملاحظة الثانية فتتمثل في طبيعة العلاقة السياسية بين المتجاورين في بلاد الشام ، وما كان يحدث بينهم من نزاع وحروب في المنطقة خاصة بين الكنعانيين أهل البلاد ، وبين العبرانيين الطارئين ، الذين انتظم أمرهم بقيادة « يوشع بن نون » النبي وحاربوا خصومهم وأجلوهم عن وطنهم واستمر اضطهاد من بقي في عصر طالوت (شاؤول) (1095 ق.م) أول ملوك بني اسرائيل بعد عصر القضاة ، كما استمر أيضا في عصر داوود النبي .

وهؤلاء المضطهدون هم الذين كانوا نواة للهجرات الكنعانية الى أرض المغرب فلعل العبرانيين الذين وجدناهم يجلون الكنعانيين عن بلدهم ، هم الذين أرادوا المبالغة في الاساءة اليهم ، فأطلقوا عليهم

كلمة البربر - تشنيعا ، فلما هاجر هؤلاء الى بلاد المغرب حملوا معهم هذا الاسم . (13)

وهذا الافتراض ربما يؤكد ميل اليهود الى الالتواء وسلوكهم سبيل التحريف حتى في الكتب المقدسة ، كي يرضوا ما في أنفسهم ضد أي خصم من خصومهم أو معاند لهم ، ولو كان قريبا منهم في الاصل ، ويشترك معهم في الشجرة النسبية . وأوضح مثال على ذلك اقضاء اليهود للكنعانيين خصومهم عن نسب سام بن نوح ، والحاقهم حسب جدول الانساب الوارد في التوراة ، بنسب أخيه حام . وهدفهم من وراء ذلك تحقير الكنعانيين واذلالهم لأن حاما في زعمهم على عكس سام - كان ابنا عاقا ، وغير مطيع لآبيه (14) ورغم أن بعض المؤرخين المسلمين ومنهم ابن خلدون - قد أخذوا بنسبة كنعان لحام ، فان بعض الباحثين المحدثين قد أبدى الشك في مدى صحة جدول الانساب الوارد في التوراة ، على أساس ان اليهود اقصوا بني عمومته عمدا لأسباب سياسية ودينية . (15)

(ج) وقد يكون سبب اطلاق كلمة البربر على السكان ما يفيد معنى نسبتهم الى أحد أجدادهم القدامى . لأن بعض المؤرخين المسلمين ذكروا أنهم من ولد : بربر بن كسلوجيم ، أو بر بن مازيع أو بربر بن تملأ . (16)

(د) ولا يستبعد أيضا أن تكون كلمة البربر العربية هي نفس الكلمتين اليونانية (Barbaros, Barbaroi) واللاتينية (Barbarus, Barbari)

13 - نفسه 1 ، 112 ، مفاخر (لجهول) 1 .

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول 35 - 48 .

E.F. GAUTIER : Le passé de l'Afrique du Nord. P. 41-42.

(نقلا عن بروكوبيوس) .

14 - ابن خلدون العبر 2 ، 11 ط بيروت ، ابن منصور المرجع السابق 1 ، 226 ، ابن حزم المصدر السابق 461 ، نور الدين عبد القادر ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر 34 ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك 1 ، 97 ، 102 .

15 - نفسه 11 ، 21 وهنا يبدو واضحا اعتماد ابن خلدون على جدول الانساب المذكور ونراه ينفي فكرة التحريف ويحملها على التاويل أو التبديل في الكلمات غلظة وقلّة ضبط وجهلا ، وعلى حين يذكر من أبناء سام فارسا يحكي الاتفاق على بنوة كنعان لحام ويؤكد كنعانية البربر وهجرتهم ثم يستدرك فينسبهم للزيغ - ابن منصور المرجع السابق 1 ، 256 ، نقلا عن تاريخ اللغات السامية لبروكلمان عبد الوهاب حموده : نظرية الانساب في الميزان ص 123 - 124 مقال مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة 1952 .

16 - نفسه : 1 ، 110 - 111 ط . دوسلان سعد زغلول تاريخ المغرب 24 هامش 1 حيث يذكر افتراضا آخر عن سبب تسمية البربر ، ابن منصور 1 ، 266 .

بدون تحريف وان الاغريق واللاتين كانوا يسمون بها كل من لم يعرف لغتهم ، وحضارتهم أو عاداتهم ولم يخضع لسلطانهم السياسي ومن هؤلاء سكان بلاد المغرب الذين قاوموا الحكم الروماني ، والبيزنطي مقاومة عنيفة ، ولم يتم المؤرخون المسلمون بشيء غير نقلهم الكلمة الى العربية كما فعلوا ذلك بالنسبة لاسماء اجنبية اخرى ، مثل اطرابلس ، وبنطابلس وافريقية .

(هـ) ثم ان كلمة البربر اطلقت أيضا على الشعوب الجرمانية ، الذين اشتهروا بتخريب مظاهر الحضارة وال عمران في كثير من ولايات الامبراطورية الرومانية الشرقية والغربية ومن هؤلاء فرع الوندال الذين سلكوا سلوكا وحشيا مع سكان شبه جزيرة ايبيريا ، وشمال افريقيا (17) حتى غدا اسمهم علما على التخريب والتدمير في لغات العالم (Vandalisme)

ويبدو ان الاعمال التي ارتكبتها الوندال في شمال افريقية ضد السكان ومظاهر العمران ، في القرن 5 م ، هي التي جعلتهم جديرين في نظر الامبراطورية بلقب البربر بكل ما يتضمنه من معان سيئة وقد الصقت الكلمة تبعا لهم برعاياتهم في ذلك الوقت وهم سكان البلاد الاقدمون ، وعندما اختفى من ميدان شمال افريقيا كيان الوندال كأمة وكدولة وسيقوا عبيدا وحشما الى القسطنطينية في عصر جستنيان ، حيث ذابوا وسط المجتمع البيزنطي بقي التاريخ يعي من ذكراهم فضلا عن معاني التخريب والوحشية كلمة البربر التي بقيت في ذاكرة الشعوب وتجري على سنتها انما على غير مستحقيها . (18)

وعن أصل البربر بين شعوب العالم القديم ، نلاحظ ان النسابة العرب والبربر ، والمؤرخين القدماء والمحدثين جالوا في كل مجال ، وافترضوا كل افتراض ولم يتركوا سلالة من سلالات البشر الا وظنوا ان البربر منها مما يجعل من المتعذر الاعتماد على رأي او على نقل في مثل هذه المشكلة .

ولقد تميزت طريقة القدماء من المؤرخين والنسابة المسلمين بالاعتماد على الروايات والنقول الخاصة بالانساب التي تعتمد في أغلبيتها على شجرة الانساب الواردة في التوراة .

17 - امين واصف المرجع السابق 16 - 17 سعيد عاشور : تاريخ اوربا العصور الوسطى
1 ، 65 - 66 ، 89 - 90 .

18 - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 21 - 22 .
سعيد عاشور : المرجع السابق 1 ، 47 وما بعدها .

والذي يلاحظ على الروايات التي سبقت عن أنساب البربر القلق والأضطراب والتناقض ودورانها على فكرة أن هؤلاء البربر كلا أو بعضا غير أصلاء في بيئتهم المغربية ، أي أنهم طارئون عليها من المشرق أتت بهم الهجرات في ظروف تاريخية غامضة وفي فترة غير محددة ، ثم تختلف الآراء بعد ذلك حول أي البلاد كانت منطلقا لهجرة البربر ؟

فعلى رواية أنها مصر ، فهم إذا أبناء مصر ايم ، أو قبط بن حام ، وإن كانت من الشام فهم أبناء كنعان بن حام وأخوة الفلسطينيين ، وعلى رأي أن تيار الهجرة انطلق من شبه الجزيرة العربية وبلاد اليمن منها بنوع خاص يكون البربر من حمير ، أي من عرب الجنوب ، أو من بعض قبائل مصر ، الشماليين .

وقد بدأ لبعض المتأخرين من المغاربة وهو مالك بن المرحل أن يوفق بين هذه الآراء فظهر بفكرة أن البربر خليط جنسي من العناصر السابقة كلها مع من انضاف إليها من عناصر سامية أو حامية . (19)

ويبدو لي أن هذه الآراء كلها مجتمعة تعبر عن أثر ما من الحقيقة التي ينشدها الجميع وإن بقيت هذه الحقيقة غير معروفة في ظل اضطراب الآراء وتناقضها . ورغم اقتناعي بأن البحث عن أصل البربر بحث عقيم وغير مجد ومسدود المنافذ إلا أن ما يظهر لي ملاحظته هو أن هذه الآراء السابقة تعبر أما على نوع الجاليات والشعوب التي كانت لها صلة احتكاك بالمنطقة وبسكانها القدماء ، أو على الجماعات التي ترسبت في المنطقة واستقرت بجوار سكانها السابقين وبطول العهد تناسى الناس أصلها الأول ، فأصبحت كغيرها من سكان البلاد ذات طابع قومي لا يلتفت أحد إلى مواطن انطلاقها القديمة ، ولعل هذا هو منشأ الخلط في الروايات السابقة بدرجة لا تتضح معها الحقيقة ، وتوضح جانب من هذه الحقيقة ، يؤدي إلى أن البربر فيما يرجح ، هم من سكان البلاد الأصلاء وقد انحدر جانب

19 - الطبري : المصدر السابق 1 ، 106 وهنا ينسبهم إلى حام وفي مكان آخر ص 105 يرجعهم إلى العاصمة ، وهم من سام . ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 115 - 117 ابن حزم المصدر السابق 461 ، ابن حوقل : صورة الأرض 97 ، اليعقوبي البلدان 1097 أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر 1 ، 97 ، ابن منصور المرجع السابق 1 ، 266 وما بعدها سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 28 ، وقد لاحظ هذا المؤرخ أن الهجرة من بلاد الشام تعبر فيما يبدو عن هجرة الفينيقيين إلى شمال افريقية وهذه ثابتة تاريخيا ، أبو حيان : المصدر السابق : ورقات 110 ، 111 ، 106 ، والظر عبد الحميد بن اشنهو في النصوص التي اختارها من ليسو الافريقي بعنوان : A. BENNACHENOU : *L'Algérie en 1975*, p. 89-90.

منهم من آخر سلالة الانسان القديم ، الذي عرفته شمال افريقية ، كما عرفته بلدان أخرى في عصر ما قبل التاريخ . (20)

وان سماتهم الخلقية وأهمها الشعر ، بروز الانف وسواد العيون واعتدال القامة لا تخرج عن تلك التي تتميز بها مجموعة سكان حوض البحر الابيض المتوسط ، وجنوب غرب آسيا .

ولقد انضافت اليهم في أزمنة لاحقة ، وعن طريق الهجرات التي انطلقت عبر الصحراء أو البحر ، بواسطة المنافذ المؤدية الى شمال افريقية وهي باب المندب وبرزخ السويس ، ومضيق جبل طارق ، عناصر أخرى وموجات بشرية بعضها من السلالة السامية والبعض الآخر ينتمي الى السلالة الحامية وبذلك نصل الى حقيقة أن البربر قدماء في بلادهم وفدت عليهم من الخارج عناصر مهاجرة ، وامتزجوا بهم عن طريق التزاوج فأصبح السكان في المنطقة خليطا (21) .

ويلاحظ أن ظاهرة اختلاط الاجناس هي السمة العامة في سائر البلدان اذ النقاء في الجنس البشري ، سواء في العالم القديم أو الحديث لا وجود له تقريبا ، مع وجود المصاهرة والجوار وتدفق سيل الهجرات في موجات بشرية مستمرة وابن خلدون رغم أنه غرق في بحر من الروايات المتناقضة ، وانساق وراء النقول المختلفة ، ولم يستخدم ما قرره في المقدمة من ضرورة التمحيص والنقد ، نلمس عنده اتجاهها لرفض فكرة الهجرة خاصة منها هجرة البربر من الشام أو من اليمن ويعني هذا أنه يميل بقوة الى تأييد فكرة أصالة السكان في منطقتهم وذلك تلحظه من خلال نصوص كثيرة نكتفي منها بقوله في معرض اقامة الدليل على رفض فكرة الهجرة « لأن مثل هذه الأمة المشتعلة على أمم وعوالم ملات جوانب الارض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور ولأن البربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم ، متميزون بشعارهم من الامم منذ الاحقاب المتطاولة قبل الاسلام » .

20 - شارل أندريه جوليان : تاريخ شمال افريقية 1 ، 67 - 68 ترجمة عربية بعناية محمد مزالي وابن سلامة تونس 1969 .

21 - دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا 1 ، 140 - 141 انظر هامش 6 الذي يوضح تشابه العرب والبربر في الطباع وقد ترجم الكتاب حسن حبشي ، ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية 1 ، 226 ابن منصور الرجوع السابق 1 ، 267 - 268 شارل جوليان : المرجع السابق 1 ، 166 وما بعدها : حليمي عبد القادر جغرافية الجزائر 123 وما بعدها :

E.F. GAUTIER : Le passé de l'Afrique du Nord. P. 41-42.

A. LAROUÏ : L'histoire de Maghreb. P. 21, S99.

وفي مناسبة أخرى يستهل حديثه عن البربر بقوله « ان هذا الجيل من
الآدميين هم سكان المغرب منذ القديم » .

وفي معرض حديثه عن زناة يذكر انها كثيرها من البربر في مضاربها
« منذ احقاب متطاولة لا يعلم بدءها الا الله » . (22)

ويؤكد هذا المعنى بوضوح في قوله : « لم تزل بلاد المغرب الى طرابلس
بل الى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل منذ أزمنة لا يعرف اولها ولا ما
قبلها » (23) .

ثم نلاحظ انه عندما يستبعد فكرة الهجرة الحميرية وينفي النسبة
السامية عن البربر ، ينتهي الى رأي يعتبره الحق ، والصواب وفجواه
انهم ابناء مازيغ بن كنعان وهم ذوو رحم مع الفلسطينيين ، لذلك انتصروا
لهم ضد جموع بني اسرائيل في الحروب التي نشبت بين الطرفين (24) .

وابن خلدون لم يمنعه رفضه لفكرة الهجرة الخارجية من رواية بعض
آراء النسابة المسلمين التي تنسب بعض قبائل المنطقة الى اصل حميري ،
أو مضري وانما ساق الرواية في كتابه ، لكي يدحضها ، ويؤكد ان جميع
قبائل المنطقة بحكم لهجاتها المتشابهة ومضاربها المتقاربة تجمعها وحدة
الاصل وتقارب الطباع ، وهي اقرب لشعوب الى العرب ، في انماط الحياة
الاجتماعية وفي وجوه الكسب وغيرها (25) .

والذي يبدو لي ان رفض ابن خلدون لمبدأ الهجرة غير سليم لأن المنطقة
كانت مفتوحة على ثلاث قارات ، والقول بان هذه القبيلة أو تلك تنتمي
الى هذا الصقع أو ذلك ، انما يعبر على تأييد فكرة الهجرة ، غير ان وجود
بعض الفوارق الاجتماعية ، بين قبائل المنطقة التي تبرز احيانا بشكل
واضح هي التي دفعت البعض لاستنتاج انها ناشئة فعلا عن فارق سلالي ،

22 - ابن خلدون : المصدر السابق ، 2 ، 8 (ط دوسلان) يرى جوتيه ان ظهور زناة
مرتبط بظهور الجمل في الصحراء ، وزناة هم سكان الواحات ويرى انهم كانوا
متأثرين باليهودية : الصحراء 123 - 124 .

23 - نفسه : 1 ، 131 .

24 - نفسه : 1 ، 117 ، مفاخر البربر (لمجهول) 68 وهنا يذكر صاحب المفاخر ان
مازيغ اسم بلدة داخلية في منطقة الاطلس المتوسط ومثلها ايمازيغن لكنها تقع على
الساحل ، سعد زغلول : المرجع السابق 26 .

25 - نفسه .

ولا ننسى ان تفوق بعض النزعات القبلية في الميدان السياسي مدعاة لانجذاب بعض القوم اليها فينتحلون نسبها او يرتبطون معها برابطة الحلف والولاء .

وقد لا يبدو مستبعدا ان شعورا بالنقص في وقت ما هو الذي حمل بعض نسبة البربر على انتحال انساب غيرهم حتى يمحوا عن انفسهم ذل المغلوب ولينعموا بممارسة الحياة السياسية الجديدة على قدم المساواة مع العرب الفاتحين (26) .

ويذهب بعض الباحثين المحدثين من المغاربة مذهباً خاصاً في أصل البربر يتمثل في أن منطقة شمال افريقية خلال تاريخها الطويل قد داهمتها موجات من الهجرات البشرية من جهات مختلفة استطاعت هذه العناصر المهاجرة أن تمكن لنفسها في مهجرها الجديد وتختلط وتتكامل وتندمج مع مجموعة السكان السابقين بحكم رابطتي الجوار والمصاهرة والحياة المشتركة في بيئة واحدة . وبطول المدة تكون من هؤلاء وأولئك شعب ذو ميزات خاصة (27) .

وهذا الرأي فضلا عن كونه يؤكد فكرة الهجرة ولا ينفي النسب العربي عن بعض قبائل البربر هو أقرب الآراء لفكرة مالك بن المرحل التوفيقية .



لم يهتم الحكام الدين توالو على شمال افريقية قبل الاسلام بالمنطقة ولا بسكانها الا بقدر ما يحفظ السكينة ، ويضبط الامن في الداخل ويجعل الجباية مستمرة وطريق التجارة والتموين آمنا غير مخوف لا فرق في ذلك بين القرطاجيين وبين الرومان والوندال والروم . فأغلبهم كان غريبا عن المجتمع الذي فرض نفسه حاكما عليه ، فلم يفهم انماط حياته ولا حاول أن يختلطاً او يرتبط بسبب من الاسباب به بل أن الحكام الاجانب بقي اكثرهم في اغلب الاحيان قابعين في المراكز والمدن الساحلية او متمركزين في معسكرات محصنة معزولة عن الداخل ، لا يتسرب اليها شيء ، من سكان داخل البلاد اذا استثنينا غارات الهدم والنهب والترويع التي كانت تستهدفها هذه المعسكرات :

وهكذا بقي الحاجز قائما وتبادل التأثير ضعيفا ، بين سكان البلاد وحكامهم الفينقيين والرومان والبيزنطيين ، ولهذا لم نلاحظ وجود تقسيمات للبلاد وسكانها حسب اعتبارات اجتماعية او ثقافية ، لان

26 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 127 . حسن محمود : قيام دولة المرابطين 37 .

27 - ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 260 ، 279 .

ذلك لا يهمهم بقدر ما يهمهم تقسيمها الى مناطق ووحدات ادارية تكبر أو تصغر حسب الحاجة وحسب الظروف ، ومن ثم وجدنا أسماء كثيرة تعتبر من نتاج هذه العصور ، وتدل على جهات معينة من بلاد المغرب افريقية ونوميديا وموريطانيا وجيتوليا كلها تعبر على نطاقات جغرافية غير قارة اذ سرعان ما تقسم كل منها الى اجزاء صغيرة « وتفتت الى وحدات صفرى ويخترع لكل منها اسم يميزه اداريا عن غيره ، وهكذا وجدنا افريقية القديمة بجانب افريقية الجديدة ونوميديا الشرقية بجانب الغربية والجديدة والعسكرية ثم موريطانيا وهي طنجية وقيصرية وسطيفية هكذا الى أقسام أخرى وجدت في ظروف معينة وروعى في التقسيم دائما تسهيل الامر على الحياة وعلى الجنود والتفريق بين ما هو مخلص للنظام وما هو دائب الثورة عليه .

ويعتبر جهل الشعوب الحاكمة ، بالحياة القبلية لبعدها عن البداوة ثم عدم توغل حكامها في داخل البلاد ، وترفعهم عن السكان استعلاء ، واعتبارهم بربرا دون - تمييز ، أو محاولة جدية لتفهم أسلوب حياتهم ولهجاتهم وعاداتهم ورفض الاختلاط بهم أو معاملتهم على قدم المساواة والاعتراض عن قبولهم في الفرق الرومانية تعتبر هذه من العوامل التي نفرت السكان من الحكام الاجانب وبالتالي قضت على حكمهم بالفشل بعد أن صار السكان في أغلبهم البيا واحدا ضدهم .

ويعتبر العرب المسلمون انجح حكام عرفتهم البلاد ، واكثرهم استفادة من اخطاء الذين تواردوا على هذه المنطقة .

فالى جانب الف المسلمين للحياة البدوية والحياة المستقرة في بيئتهم الاصلية وهو امر سهل عليهم فهم حياة السكان . نلاحظ أنهم الوحيدون الذين استطاعوا أن يتوغلوا بنفوذهم السياسي والزوحي الى أعماق البلاد وبالاعتماد على مخالطة السكان وفهم حياتهم وتقاليدهم تمكنوا من تكوين تجمع جديد على نهج جديد ، فالعرب المسلمون لم يأنفوا من مصاهرة السكان ، أو من قبول ولائهم أو التحالف معهم بل ساروا شوطا بعيدا ، في التمهيد لاندماج العنصرين في كتل جديد . وقد نجحوا في ذلك ايما نجاح لأن اهدافهم لم تكن مادية ومبادئهم لم تكن معقدة ، وانما كان همهم الوحيد نشر لواء الاسلام واللغة العربية وأحلال السلام العربي في أرض كان يسودها التمزق والاضطراب في ظل السلام الروماني . وقد أهمل المسلمون أغلب التقسيمات والاسماء الادارية القديمة ، وأوجدوا تقسيما لم يراعوا فيه غير اعتبار واحد هو قرب المنطقة أو بعدها عن مركز الفتوح في مصر ، أو عن قاعدتي الخلافة الاسلامية في دمشق وفي بغداد .

ومن ثم حل محل الاسماء الكثيرة التي شاعت في العهود الوثنية مصطلحات اسلامية قليلة هي المغرب الادنى أو افريقية والمغرب الاوسط أو الواسطة والمغرب الاقصى (28) .

* * *

وظهر العرب المسلمون لأول مرة بتقسيم اجتماعي فريد لسكان بلاد المغرب لم يكن معروفا قبلهم ، ذلك هو تقسيمهم الى مجموعتين كبيرتين تسمى احدهما :

مجموعة البرانس أو حلف البرانس ، وتسمى الاخرى :
مجموعة البتر ، أو حلف البتر .

ومازال الباحثون في حيرة من أمر هذا التقسيم (29) واشتد اختلافهم حول الاساس الذي لوحظ اعتباره في هذا التقسيم .

وقد اتسعت الافتراضات وتشعبت الآراء حول هذا التقسيم البدائي لسكان المغرب ، فهل أن اساس التقسيم هو ملاحظة اختلاف أساليب الحياة الاجتماعية بين مجموعتين كبيرتين من السكان ، وهنا يلاحظ أن أغلب قبائل البتر (30) تعيش وفق انماط وأساليب المجتمع البدوي من النقلة لانتجاع الماء والكلا ، وسكنى الخيام ، وامتلاك النوق والجمال والميل الى قطع السابلة والاغارة على مراكز الاستقرار وال عمران والاعتصام بالصحراء ، أو بالاماكن النائية عن مراكز السلطة السياسية في قنن الجبال أو فوق الهضاب والتلول .

28 - الزباني : المصدر السابق 148 ، وفيه اشارة لاسم الواسطة علما جديدا على المغرب الاوسط ، حسن محمود ، المرجع السابق 28 ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 292 ، سعد زغلول : المرجع السابق 9 - 12 .

29 - ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 107 (ط دوسلان) ابن حزم المصدر السابق 461 ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار المغرب 1 ، 73 ط المناهل بيروت الفاخر (لجهول) 64 ، سعد زغلول : المرجع السابق 30 ، (نقلا عن ابن خلدون) E.F. Gautier op. cit. p. 227 Sq. Julien His. de l'Afrique du Nord T. p. 22. Nomades ويلاحظ أن البرانس تعني المستقرين Sédentaires والبتر تعني البدو

30 - لاحظ بعض الباحثين أن كلمة بتر ربما اشتقت من الكلمة اليونانية بوتروس Botros وتعني الرعاة والبدو وهم أهل الوبر في رأي ابن خلدون انظر : نور الدين عبد القادر المرجع السابق 35 .

E.F. GAUTIER : Op. cit. P. 229.

وبعكس البتر ، البرانس (31) ، فأغلبهم مستقرون في القرى الساحلية أو التلية ومنتشرون في السهول للفلاحة وللغراسة ويحترفون سائر المهن التي اعتاد ممارستها المستقرون ومنها مزاولة النشاط التجاري والصناعي . والبرانس بحكم استقرارهم هم قرييون من مراكز السلطة السياسية ومن ثم فهم يتأثرون بكل ما يطرا على البلاد من هجرات وثقافات وحروب .

وهنا نلاحظ أن سمة البداوة كما تبدو وحيدة بالنسبة لبعض فروع البتر من زناتة كبنو خزر من مغراوة وتوجين ، بحيث لا تترك مجالا لغيرها من السمات ، كذلك سمة الاستقرار بالنسبة لبعض فروع البرانس مثل كتامة وزواوة وصنهاجة الشمال ، فلم يحدث أن فرعا من كتامة أو زواوة سلك سبيل البداوة أو عرف بذلك أو أشير اليه في ماضي حياته كما لم يحدث أن استقر بنو توجين أو بنو عبد الواد ، أو بعض فروع مغراوة في غير الصحراء وحتى عندما تمكن بعض هؤلاء من تأسيس ملك وراثي حول عاصمة سياسية بقيت صفة البداوة غالبية عليهم ، وبيئة الصحراء تجذبهم ، ومواشيهم وأنعامهم وخيولهم هي خير ما يملكون .

ويرد على هذا الاعتبار الاجتماعي للتقسيم جملة ملاحظات منها :

أن العرب المسلمين لم تجر عاداتهم في مثل هذه الحالات بملاحظة الأسس الاجتماعية سواء في تصنيفهم لأنفسهم أو لغيرهم من الشعوب .

ثم أن ظاهرتي النقلة ، والاستقرار بالنسبة لقبائل البربر ، مسألة نسبية ، قد تكثر هنا ، وتقل هناك حسب الظروف .

وقد اشتهرت بعض قبائل البتر بالحياة المستقرة للزراعة واحتراف مهن المستقرين مثل قبيلة كومية بفروعها الثلاثة ندرومة وصعارة وبنو يلول ، وتعرف كومية بصطفوره أيضا ومضاربها حول جبال ترارة الواقعة على سيف البحر شمال غربي تلمسان وارشقول وعلى ساحل هنين . وكومية هي قبيلة عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين وهانيء بن مصدور التسابة المشهور (32) .

31 - يرى بعض الباحثين أن برانس ، ربما كانت من كلمة برانوس اليونانية (Baranos) ومعناها المستقرون أو أهل المدر في مصطلح المؤرخين المسلمين - نفس المرجع السابق والصفحة :

E.F. Gautier Op. Cit. P. 236 sqq. Hady Roger Idris : la Berberie Orientale sous les Zirides 1, p. 4.

32 - البكري : المغرب في وصف بلاد افريقية والمغرب 80 ط دوسلان ، ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 150 ط دوسلان ، حسن محمود : المرجع السابق 30 ، ابن منصور المرجع السابق 1 ، 309 ، سعد زفلول عبد الحميد المرجع السابق 32 .

وقبيلة جراوة أيضا ، اشتهرت بمضاربها في كتلة الاوراس ، وهي قبيلة الكاهنة التي أسست في ظل زعامتها نظاما سياسيا قريبا وقف يدافع عن البلاد ضد التيار العربي الاسلامي .

وكانت نفوسة ايضا معروفة بمضاربها في اقليم طرابلس واليها ينسب الجبل الذي يقع جنوب مدينة طرابلس (33) .

هذا بينما عرفت بمظاهر الحياة البدوية النقية بعض قبائل البرانس ، مثال صنهاجة الجنوب ، وهم اهل اللثام ، ومنهم مسوفة ولتونة ، وجزولة وجدالة ، رعاة الابل والمهاري الذين عرفوا بالابال ، وبالرعاة الكبار تمييزا لهم عن رعاة الفنم والمعزى الذين آتخصوا بلقب الرعاة الصغار (34) .

وقد بقيت فروع صنهاجة الجنوب يضربون في قلب الصحراء المغربية حتى القرن الخامس للهجرة . عندما تأسس لهم ملك وراثي في المغرب والاندلس ، على انقاض حكم مغراوة ، وغيرها من فروع زناتة .

ومما له علاقة بهذا الاساس الاجتماعي في تقسيم البربر ، ملاحظه بعض الباحثين من أن السبب في التسمية ربما يعود الى المظهر الخارجي .

فالبرانس يشتمل لباسهم الخارجي على غطاء للرأس ذي شكل مخروطي ، مازال يستعمل حتى الآن في الثوب المعروف في بلاد المغرب بالبرنس ، والقشابة أو الجلابة أما البتر فسموا بذلك لأن لباسهم الخارجي لا يشتمل على هذه الاضافة التي تغطي الرأس ، ويكاد يشبهه في وقتنا لباس سكان جزيرة جربة ، والساحل التونسي المعروف محليا بالكدرين . واذا فقد ميز فرع البتر عن فرع البرانس كما ميزت خطبة زياد ابن ابيه بين الخطب المشهورة فعرفت بالبتراء .

ويلاحظ أن هذا الاعتبار مردود لسببين :

اولهما أن قبائل صنهاجة الجنوب من فروع البرانس قطعاً ، ومع ذلك فهم لا يلبسون البرنس ولم يثبت أنهم لبسوه في يوم ما ثم هجروه الى غيره ، كما أنه يصعب ايجاد علاقة ما بين غطاء الرأس في البرنس ، وبين اللثام عند قبائل صنهاجة الجنوب .

33 - ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 143 وما بعدها . ابن منصور المرجع السابق E.F., Gautier Op. Cit. p. 225. 308 ، 1

34 - سعد زقلول عبد الحميد المرجع السابق 33 ، ابن منصور المرجع 1 - 293 ، حسن محمود نفس المرجع السابق والصفحة . Marcais : La Berbérie Musulmane et L'Orient au Moyen Age. P. 36.

ثم ان البرنس في وقتنا هو سمة للفروسية ، ولباس للفرسان المحليين وهؤلاء أغلبهم من البتر ، ومن يتخذونه لباسا اليوم انما هم أولئك الذين ينسبون بأصولهم الى فرع البتر ، وأخصهم فروع زناتة مثل بني يفرن في وقتنا .

هذا بينما نلاحظ ان بعض فروع البرانس مثل كتامة وزواوة لا يلبسون البرنس الا نادرا بينما يداومون على لباس القشابة (35) .

وقد افترض بعض الباحثين المحدثين ان يكون أساس التقسيم ثقافيا ولفويا (36) على اعتبار أن البرانس بحكم استقرارهم تأثروا بالمؤثرات الاجنبية ، وتميزوا بلهجات خاصة ، لا تخلو من تأثير خارجي ، وأخذوا بمظاهر الحضارات القديمة ، التي عرفها المغرب سواء كانت سامية أو آرية ، الامر الذي لاحظته الجغرافيون ، والرحالة المسلمون ومنهم اليعقوبي الذي أشار الى « ان البرانس اصحاب عمارة وزرع وضرع » (37) ، هذا بخلاف أغلب البتر الذين لم يتأثروا بالتيارات الاجنبية بحكم البداوة والعزلة ، وعدم الاستقرار ، وتجافيتهم عن سكنى المدن والامصار ، بدعوى انها تؤثر على طباعهم ، وتقاليدهم القائمة على أساسين : العصبية والحفاظة على الانساب . ومن ثم بقوا بمنأى عن كل دخيل واحتفظت لهجاتهم بأصالتها ونقاؤها .

أما ابن خلدون (38) فيفهم من كلامه عن فرعى البربر ، أن الفارق بين الفرعين سلالي عرقي ، ودواعي ذلك فيما يبدو لي ، أنه عبر بالجدم ، وهو الاصل النسبي الجامع ، واطلق كلمة الشعوب بازاء كل جدم . ثم حكى اتفاق النسابة على نسبة البربر الى جدمين عظيمين ، يختلفان في الاب المباشر ، لكنهما يرجعان في النهاية الى أصل واحد ، فأخذ الأبوين يسمى مادغيس الأبتير ، ومنه اشتق اسم سلالته فعرفوا بالبتر ، أما الأب الثاني فهو برنس ، ومن اسمه اشتق اسم أبنائه فعرفوا بالبرانس .

E.F., Gautier Op. Cit. P. 241-42 - 35

ويلاحظ أن هذا التقسيم ربما يرقى الى القرن 8 م ، ان اصله سيظل غامضا .
سعد زغلول عبد الحميد الرجوع السابق 34 - 35 ابن منصور : الرجوع السابق
1 ، 294 .

36 - حسن محمود : المرجع السابق 30 ، ابن منصور الرجوع السابق 1 ، 293 .

37 - البلدان : 352 ، مجلد 7 من المكتبة الجغرافية ليدن . ونشر هنا الى أن ابن خلدون يعبر عن هذه المعاني ، عندما يصف المستقرين بانهم عبيد للجباية وخول للدول ، ومستضعفون أيضا .

38 - المصدر السابق 1 ، 107 وما بعدها (ط دوسلان) :
H.R. Idris : Op. Cit., T. 1, p. 45.

ويؤكد وجود فكرة الفارق السلالي في نظري عدة اعتبارات منها :

أ - اعتقاد نسبة البربر وهم أعرف بأحوال أمتهم - أن البرانس هم أبناء مازنغ بن كنعان أما البتر فهم في نظرهم ، مزيون من قبيلة قيس بن عيلان (39) .

ب - وقد مال بعض النسابة والمؤرخين للقول بأن بعض قبائل المغرب ، من سلالة عرب الجنوب ، أي من حمير ، أو من كندة .

ج - وأشعار بعض الرحالة المغاربة إلى أن بعض قبائل المغرب وأهمها زناتة ، إنما شاعت بينهم لهجة زناتية غير عربية ، وتبربروا بسبب طول المجاورة للسكان الأقدمين وقد كان نسبهم في الأول عربيا صريحا (40) .

د - ولاحظ بعض الباحثين المحدثين أن مظاهر التقسيم بين البربر ، إلى برانس وبتر ، باقية في كل قرية من قرى الطوارق ، وأن بين المتساكنين في كل قرية احساس بالبعض المتبادل ربما على اعتبار ملاحظة اختلاف الفريقين في العرق وفي السلالة الجنسية ويفدى ظاهرة التباعد نظام الطبقات الذي هو سمة بلاد الطوارق ثم الشعور بالأصالة عند أحد الفريقين (41) .

هـ - والواقع أن الظاهرة الأخيرة ، وهي التنافر ، ملحوظة نسبيا حتى في غير بيئة الطوارق ، فعدم الانسجام بين أحفاد البتر : الشاوية مثلا وأحفاد البرانس قبائل جرجرة مثلا ، الذي يزيد قوة عدم تفاهمهما في الناحية اللغوية واختلافهما في الطباع وفي وجوه الكسب أمر لا يغيب عن يهتم بهذه النواحي في بلاد المغرب الأوسط .

39 - ابن حزم : المصدر السابق 232 ، وما بعدها لا يذكر هذا النسابة من أبناء عيلان ابن مضر ابنا اسمه بتر وانظر 461 منه حيث يطلق على هذه الفكرة بالنفي كما يرد قصة الهجرة الحميرية بقوله (وما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بتر أصلا ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن) .

40 - الإدريسي : وصف أفريقية الشمالية والصحراوية ، 61 ابن عذارى المصدر السابق 1 ، 283 ، ويلاحظ أن النسبة إلى حمير يعترف بها ملوك بني زيري ويعتزون بها كما فعل المنصور وانظر أيضا 243 منه ، كما أن قبائل زاوارة في عصرنا تفتخر بالنسب الحميري ، ابن خلدون المصدر 2 ، 4 .

41 - عبد الجليل الطاهر : المجتمع الليبي 91 - 92 ، 106 جوتيه : الصحراء 81 - 82 ، حسن محمود الرجح السابق 30 - 31 الأرواني : السادة الأبدية ورقة 9 - 10 ويؤكد النسبة الحميرية للطوارق .

و - ويخيل الى ان احساس بعض القوم بأصالتهم في المنطقة دون سواهم ، ووجود التناقض الداخلي ضمن القبيلة الواحدة أحيانا ، بادعاء بعض فروعها التفوق أو الشرافة ، يعتبر أثرا من آثار التقسيم التقليدي ، لمجتمع البربر حسب الرواية العربية وينبغي بعد أن ناقشنا التقسيم وما قيل حوله أن نلاحظ :

أن التقسيم منسوب للمؤرخين والنسابة المسلمين ، ولم تجر عاداتهم في مثل هذه الحالات كما أشرنا أن يلاحظوا غير اعتبار الفارق السلالي . وقضية الاصل الواحد أو الأب الواحد تلعب دورا كبيرا في الانساب العربية وتؤثر على علاقات القبائل العربية ببعضها سواء في أرض الجزيرة أو في خارجها . فاذا قال النسابة هؤلاء برانس ، فالمعنى أنهم ينسبون الى أصل قديم هو برنس ، واذا قالوا : البتر ، فالمعنى واضح أيضا .

ولم يخرج النسابة العرب المسلمون عن هذا الاعتبار في تقسيمهم للعرب الى جذمى عدنان وقحطان ، فكيف يسلكون طريقا غير هذا بالنسبة لسكان بلاد المغرب ؟

هذا مع ملاحظة أن أغلب قبائل فرع قحطان مستقرة ومتحضرة ومتفتحة على المؤثرات الاجنبية مثل فرع البرانس ، وتفصلها عن قبائل فرع عدنان اللغة واللهجات المتفرعة عن هذه القبائل ومع ذلك لم يراع نسابة العرب غير تسلسل قبائل هذا الفرع ، ورجوعها الى أصل واحد جامع ، هو يعرب ابن قحطان ، نظير الفرع الآخر الذي تتصل قبائله في سلسلة نسبية حتى تنتهي الى معد بن عدنان والفرعان معا يشتركان في بنوة سام بن نوح .

وتتسلسل قبائل فرعى البتر والبرانس أيضا وينتهي الفرعان معا الى بر بن مازنغ . والفرعان معا يشتركان أيضا في بنوة حام بن نوح على أرجح الأقوال .

- ثم ان ما انتهى اليه بعض الباحثين حول تفسير الأساس الاجتماعي للتقسيم مقبول في الجملة ، لأنه موجود فعلا وانبنى التفسير على ملاحظات واقعية انما يلاحظ قصور بعض الآراء عن تصوير الحقيقة كاملة فمثلا ، ينفي بعض الباحثين وجود علاقة بين غطاء الرأس واللثام مع ان المقصود بالوقاية هو الرأس كلا أو بعضا ، كما يمكن اعتبار اللثام غطاء مختصرا قصر على الفم ، لاهميته واكتفى القوم بالنسبة للرأس بثنيات من القماش

حوله منفصلة عن اللثام أو متصلة مما هو مشاهد في عصرنا الآن بين رجال الطوارق (42) .

— وفيما يتصل بقضية التأثير بالمؤثرات الأجنبية بالنسبة لفرع البرانس ، وعلمه بالنسبة لفرع البتر .

نلاحظ أن العرب المسلمين لا يعتبرون ذلك حسب عاداتهم ، هذا بالإضافة إلى أن هناك من قبائل البتر من لم يسلم من التأثير بالتيارات الأجنبية السياسية والفكرية ولدينا مثال من واقع قبيلة نفوسة البترية التي رأيناها تقف ضد التيار العربي الإسلامي لأول الفتح وتذهب بمجموعها نجدة لمدينة طرابلس التي حاصرها العرب وضيقوا الحصار على سكانها وكانوا ينتمون إلى مختلف جنسيات وتجار إقليم البحر الأبيض المتوسط . والسبب في ذلك فيما يبدو أنها حسب رواية بعض المؤرخين المسلمين كانت نصرانية ولا يستبعد أن تكون لها مصالح وعلاقات خاصة مع بعض جاليات المدينة من الروم والافارقة ونص عبارة ابن عذارى (وتوجه « أي عمر » إلى طرابلس فافتتحها ، بعد ما استغاث أهلها بقبيل من البربر يقال لهم نفوسه ، إذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانية) (43) .

ثم هناك مثالا آخر من واقع قبيلة جراوة البترية التي قيل أنها كانت يهودية ، وكان لكبيرة الاقطاعيين في منطقتها وهي الكاهنة ، علاقات قوية مع الروم والافارقة حتى قيل أن أحد أبنائها كان روميا . وقد فسر جوليان حدة مقاومتها لحسان بن النعمان ، على أساسين : العصبية القومية ، والدين اليهودي (44) .

ونلاحظ أن بعض فروع البرانس ، ومنها صنهاجة الجنوب ، عاشوا في عزلة تكاد تكون تامة عما يجري حولهم أو بعيدا عنهم من تطورات وأحداث إلا مع بعض قبائل السودان الغربي .

واحتفظوا بأنقى صور البداوة فلم يعرفوا في المعاش غير الحليب والقديد والتمر هذا بينما كانت فروع من البتر خاصة من زناتة يعيشون حياة مستقرة مترفة في جهات من المغرب ولأندلس .

42 — يشير جوتيه : الصحراء 182 ، إلى أن اللثام عند الطوارق لا صلة له بالصحة العامة وإنما يستعمل ليحول دون خرافة اتصال الأرواح الشريرة بنفوسهم عن طريق الفم ، والانف .

43 — البيان المغرب 1 ، 1 ط الناهل بيروت .

44 — نفسه 1 ، 37 . الرقيق القيرواني : قطعة من تاريخ الفريجية والمغرب 58 ، Ch. A. Julien : Op. Cit. T. 2 P. 21., E.F. Gautier Op. Cit. P. 225. ويلاحظ تقارب اسمها مع اسم كوهين .

وهكذا يستخلص الباحث من هذه الأمثلة أن قضية التأثير ، نسبية وغير ملحوظة في تصور النسابة المسلمين ، خصوصا بعد أن دان البربر برانس وبترا بالاسلام وأخذوا بمظاهر الحياة العربية وبشعارات العرب .

ولو سرنا مع القائلين بغير الاعتبار النسبي في التقسيم لأمكن أن نقول :

ان العرب المسلمين في تقسيمهم للمجتمع البربري ، يكونون قد ميزوا بين نوعين من السكان أحدهما تعاون معهم ولم يستمر في عناده بعد أن ثبتت الحجة عليه ، والآخر قاوم وعاند أو نافق بعد أخذه بالاسلام واستمر في نهجه المعادي حتى تم إخضاعه ، وتمت الغلبة على من يحركه في المنطقة .

وهنا نشير الى أن أغلب البرانس لسبب أو لآخر كان هواهم ضد العرب المسلمين . وعلى نقيضهم ، وربما اغاضة لهم مالا البتر العرب ، وناصروهم وتكاملوا معهم وأخذوا بلغتهم وبمذهبهم وشعاراتهم . ومن ثم أصبح الاستعراب في بيئتهم اكمل منه في بيئة البرانس .

وقد ثار البرانس لانفسهم من البتر عندما سبقوهم للاخذ بناصر الحركة العلوية الادريسية . ثم الحركة الاسماعيلية الفاطمية بحيث لم يبق امام البتر غير التوجه شطر الأندلس الأموية لربط أواصر الصلة معها . وهكذا استمر السباق والعداء وانقلب الى معارك حامية سقط فيها من الفريقين خلق كثير ، وانقلبت بسببها الوضعية واصبحت المنطقة نارا .

وليس من البعيد في نظري - أن يكون الاختلاف في اللهجات بين الفرعين اساسا في التقسيم وفيما يوجد حتى الآن من تنافر وتباغض ربما يرقى الى عصور قديمة .

وهكذا فاللهجات الزناتية التي يتفاهم بها في وقتنا من أحفاد البتر : الشاوية وبنو ميزاب . والشعانية وبعض سكان جبال الونشريس تختلف عن تلك التي يتخاطب بها سكان جرجرة من زاوية والطوارق ، وشلوح المغرب الأقصى وهم من أحفاد البرانس .

وهذا الاختلاف اللغوي الى جانب الاختلاف في المنهج السياسي وفي فلسفة الحياة الاجتماعية ، وهي العقبات الكبرى التي حالت دون ظهور وحدة قومية في المنطقة ، فترك الباب مفتوحا لكل من يريد الكيد والتآمر أو استخدام فريق دون فريق لتحقيق أغراضه . والا فأي تفسير معقول لانصياع أغلب البرانس وراء صنهاجة وكنامة للشيعة الفاطميين وخدمتهم أغراضهم في بلاد المغرب وفي خارجها ضد أقربائهم وجيرانهم حتى كان

بلكين زيري يقول « لا امان عندي لبربري ركب فرسا او نتج خيلا ابدا
حيثما سلك من البلاد . » (45)

وما هو التفسير المقبول لاستجابة قبائل زناتة البترية ، لداعي الامويين
في الأندلس اثناء صراعهم على مناطق النفوذ في بلاد المغرب ، مع الشيعة
الفاطميين واشهارهم الحرب ضد صنهاجة وكتامة من البرانس ؟ وقد بلغ
بهم العداة والتشفي من صنهاجة انهم لم يكتفوا بقتل أميرها زيري بن مناد
في إحدى المعارك الكبرى ، بل احتزوا رأسه وحمله وفد منهم إلى قرطبة
الاموية كي يرضوا كبرياء مستخدميهم وحلفائهم المزيفين (46) .

* * *

ومهما يكن من أمر طبيعة هذا التقسيم ، والاعتبارات التي لوحظت
فيه فان حلف البرانس (47) في هذه المجموعة البشرية الكبرى هم السكان
الذين يتفق النسابة العرب والبربر على اعتبارهم من أبناء برنس بن برين
مازيغ بن كنعان بن حام .

ومن ثم فكل ما يدور من افتراضات حول احتمال أصالة البربر أو عدم
أصالتهم في المنطقة في نظر هؤلاء النسابة ، انما يقصدون به هم وحدهم
دون مجموعة أحلاف البتر ، الذين أقصاهم نسابة البربر عنهم وجعلوهم
مضريين شماليين من قيس عيلان ، هذا بصرف النظر عما قيل حول أصل
هذه القبيلة أو تلك . ويبدو ان القول بأصالة بعضهم في المنطقة أمر مقبول
مبدئيا ، لأنه لا يتعارض مع طبائع العمران ، بل هو التفسير القريب بسبب
كثرتهم وتوزعهم في المنطقة على نحو عجيب بحيث لم يقتصر وجودهم على
المناطق الساحلية أو الهضبية أو التلية القريبة منها ، بل توغلوا في داخل
البلاد ، وانساحوا في السهول وفي الصحاري .

وقد اشتهروا بقراهم وبمراكزهم المزدهرة هناك ، حتى توهم بعض
المؤرخين انهم وحدهم يبلفون ثلثي البربر جميعا ، وهذا فقط للأشعار
بكثرتهم الساحقة ووجودهم في كل مكان .

وهذا الأمر افصح عنه ابن خلدون نفسه عندما سجل عن هذه المجموعة
في عصره « بأنهم كانوا على عهده ، من أوفر قبائل البربر ، وأكثر أهل المغرب ،
فلا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط ، حتى

45 - مفاخر البربر (لجهول) 4 .

46 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 196 وما بعدها .

47 - كلمة البرانس بقيت علما على مكانين أحدهما شمال تازة ، وثانيهما في ناحية بسكرة
بينما اختفت كلمة البتر .

زعم كثير من الناس انهم الثلثان من البربر وكان لهم في الحروب ذكر ، وفي الخروج على الامر شأن . (48)

ويمتاز فرع البرانس فضلا عن الكثرة وسعة الانتشار ، بالاستقرار للزراعة والعناية بالفراصة . ولقد جادت الطبيعة عليهم بتربة طيبة ، وأرض صالحة وأمطار وفيرة ، وساعدهم تنوع بيئتهم ، وقربهم من السواحل على الاهتمام بغير الزراعة والفراصة وتربية الفصائل الجيدة من المواشي ، واشتهروا أيضا بالفنى وبالثروة الطائلة ، ويرقى المستوى الحضاري نتيجة مواردهم الداخلية ومصادر الدخل الخارجية من الاسهام في حركة التجارة مع غيرهم .

ولقد اخذوا قسطا معتبرا من الثقافة وتأثروا ببعض ما شاهدوه عند المستقرين المجاورين لهم من الاجانب والطارئين أيضا . ومن ثم نمت الروح القومية عندهم في وقت مبكر ، وظهرت نزعتهم في حب الأرض ، والارتباط بها والدفاع عنها ضد كل طارئ جديد ، لا غرابة فقد قاسى منهم العرب المسلمون أثناء حركة الفتح مقاساة مرة كما أشرنا .

وبين فرع البرانس ظهرت محاولات مبكرة غايتها تكوين أنظمة سياسية قومية قبل الاسلام وبعده .

وقد أدركت أوربة وكتامة وصنهاجة ومصمودة مجدا سياسيا عريضا في ظل الاسلام ، سواء بتكوينها لامارات مستقلة ، تنتظم حول قاعدة سياسية وأمير وطني، أو بموالاتها للحركات السياسية والمذهبية التي أسست أنظمة سياسية في جهة ما من جهات المغرب العربي الواسع الأرجاء . ويمكن القول أيضا بأن فرع البرانس ، هو الذي قدم لسائر البربر في المنطقة شخصيات فذة ، وزعامات قديرة على مستوى رفيع ، تجاوزت بتأثيرها أحيانا نطاق بلاد المغرب ، الى ما بعد عنه وكانت لها علاقات واسعة ومثمرة مع بعض الأنظمة السياسية في العالم الخارجي .

وعن مجموعة حلف البرانس ، تتفرع سبع قبائل كبرى مشهورة هي :
ازداجة (وزداجة أيضا) وأوربة ، وأوريفة ، وصنهاجة ، وكتامة ، ومصمودة وعجيسة .

48 - العبر 6 ، 152 (ط بيروت) . الاصطخري : مسالك الممالك 44 ، ونص كلامه (وسائر البربر الذين هم من البرانس فمفترشون في سائر المغرب من شرقي بحر الروم) حسن محمود : المرجع السابق 35 ابن منصور المرجع السابق 1 : 301 .

أما القول بأن سابقا المطماطي وهو من نسبة البربر ، قد اضاف الى بطون البرانس : لطة ، وجزولة ، وهسكورة ، فقول ليس فيه جديد وبشيء من التأمل يتضح ان هذه البطون الثلاثة إنما هي فروع لحلف صنهاجة الكبير ، مثل غمارة وهرغة وتينمل بالنسبة لحلف مصمودة الكبير (49) .

— **وازداجة** من برانس المغرب الأوسط على أرجح الأقوال وان توزعت مضاربهم في أماكن كثيرة في خارجه تبعا لظروف خاصة .

ومن بطونها : فرع بني مسكن (مسقن) وفرع مسطاسة ونظرا لان بني مسقن استجابوا للدعوة الشيعية منذ وقت مبكر ، يرجع لعهد ولاية أبي حميد دواس بن صولات الهيصي علي تاهرت ، فانهم لعبوا دورا كبيرا في حركة الصراع بين الامويين والفاطميين . وفي تمصير مدينة وهران 290 هـ / 902 - 903 م ، التي أصبحت من كبريات مراكز ازداجة وفرع بني مسقن ، اذ يشير بعض الجغرافيين المسلمين الى ان بناء مدينة وهران ، كان نتيجة جهد مشترك لجماعة من الأندلسيين البحرين علي رأسهم محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وفرع بني مسقن يساعدهم بعض أفراد من قبيلة نفزة (50) .

ومن يومئذ استقر بنو مسقن بجوار مدينة وهران برضا سكانها حتى اضطروا لمغادرتها قهرا ، والاتجاه الى قبيلتهم الام وزداجة بجبل قيدر لتدفع عنهم الضيم . وتعرضت وهران للتخريب والدمار من طرف بعض المغيرين في ذي الحجة 297 هـ / يولييه - 910 م ، ولم ترجع اليها نضارتها وعمرانها الا بعد ان استقر أبو حميد دواس بن صولات في تاهرت ، التي أصبحت تشرف على المنطقة ، فأمر برعاية شئونها وكلف محمد بن أبي عون ، بمراقبة المدينة ، واستمر الوضع طبيعيا فيها حتى منتصف جمادي الأولى ، سنة 343 سبتمبر 954 . وهي السنة التي انهزمت فيها جموع ازداجة في جبل قيدر (جيدر) أمام يعلى بن محمد بن صالح اليفرني الزناتي ،

49 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 107 وما بعدها (ط دوسلان) مفاخر البربر (لجهول) 64 ، وقد أنهاها الى ثلاث عشرة قبيلة ، يتداخل بعضها في بعض . ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 302 ، حسن محمود : المرجع السابق 39-40 ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 30 ، وقد أنهاها الى عشر أيضا . أمين واصف المرجع السابق 24 - 25 ومن كتامة فرع زواوة ، ومن الكلمة الاخيرة اشتقت كلمة زواف (Les Zouafes) H.R., Idris Op. Cit. P. 4 n° 4.

50 - ابن عذارى : المصدر 1 ، 184 البكري : المصدر السابق 70 .

فأصبحت مدينة وهران في متناول سلطانه ، فاستبد بها وهجر سكانها الى مدينته المعروفة بفكان (51) في ذي القعدة 343 هـ فخربت وانحط شأنها عدة سنين (52) .

ولازداجة مراكز كثيرة ، غير وهران ، منها : بلد نكور ، الذي تغلبت عليه وأخرجت منه بني جرثم من ذرية سعيد بن صالح ، واستمر تحت سلطان بني يعلى بن الفتوح الأزداجي حتى سنة 460 هـ / 1067-1068م وهو عصر البكري (53) . ثم تانسالت قرية بقرب وهران وهي طرف جبل جيدر معتصم قبيلة ازداجة . ثم سوق عبيدون بن سنان الأزداجي ، ثم قصر ابن سنان نفسه (54) ويشير البكري الى مراكز استقرار اخرى لقبيلة وزداجة في اقليم باجة . ومثله اليعقوبي ، الذي لاحظ أن عناصرها لا يؤدون الطاعة للامراء الاغالبية في القيروان (55) اما بطن مسطاسة فلم يكن له ظهور في الفتن التي شهدتها المنطقة في عصر الفاطميين وتوجد أوزاع منه في المغرب الأقصى ، وتحتفظ بعض الأسر بلقب المسطاس والى مسطاسة ينسب شجرة بن عيسى ، وأبو دليم بن خطاب .

ويذكر الرحالة بعض مضارب مسطاسة في الطريق بين سبتة وفاس . وفي أرض غمارة ، يوجد حصن يعرف بحصن مسطاسة ، يبعد عن حصن تازكا بمسافة نصف يوم ومن حصن كوكال في نفس الطريق بحوالي خمسة عشر ميلا (56) ويشير البكري الى قبيلة مسطاسة أثناء رسمه حدود بلد نكور (57) .

51 - البكري : المصدر السابق 79 وفكان كانت من بين أسواق زناته وقد مصرها لأول مرة يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى سنة 338 هـ ، وعمرت بسكان من تاهرت وبني واطيل ووهران وغيرها وتوجد بقرب مدينة مفسكر الحالية ، الاستبصار (لجهول) 135 .

52 - نفسه 70 - 71 ، ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 182 وما بعدها مفاخر البربر (لجهول) 63 . الاستبصار (لجهول) 133 - 134 وفيه وردت - صيفة بني مسكين ، فرع وزداجة ابن حزم المصدر السابق 463 وما بعدها ، محمد ابن عبد القادر : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر 18 - 19 .

53 - البكري 99 ، وفيه قوله « ثم غلب على بلد نكور يعلى بن الفتوح الأزداجي وأخرجوا ابني جرثم من جميع بلاد نكور ، وهي اليوم بأيدي ذرية يعلى بن الفتوح » .

54 - نفسه 71 ، وانظر ايضا 141 - 142 منه ، عن قرى وعمارات متصلة لازداجة قرب حوض وادي سبو .

55 - نفسه 56 ، اليعقوبي : المصدر السابق 101 .

56 - الادريسي : المصدر السابق 110 .

57 - البكري : المصدر السابق 90 ، وعن اخبار وزداجة انظر ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 313 وعن مسطاسة في الدوسن - الزاب انظر Léon L'A.F., P. 316.

— أما قبيلة عجيسة فقد أشار ابن خلدون الى انهما تمتاز بالكثرة وبالظهور في الحوادث الكبرى وهي موزعة على ارض المغرب الاوسط ومضاربها تجاور مضارب قبيلة صنهاجة الشمال ومن مراكزهم نواحي دلس ، وجبال الحضنة الشرقية وناحية القلعة ، كما اشار غيره ، الى وجود عناصر من عجيسة ضمن جند دولة بني نصر في غرناطة في جنوب شبه الجزيرة (58) .

وقد اكتفى ابن خلدون بذلك ، ولم يذكر كماداته ، لهذه القبيلة فروعا وبطونا تتميز بأسماء خاصة ، ربما لقلعة معنوماته عنها ، وذوبانها في غيرها من القبائل المجاورة لها ، مثل كتامة وصنهاجة وزواوة .

وأثار وبقايا عجيسة توجد بقلعة في المغرب الاوسط واهمها .

— قبيلة تحمل نفس الاسم القديم جنوب غربي بجاية ، على ستة وعشرين ميلا .

— ثم قبيلة اخرى في منطقة الحضنة الشرقية ، تحمل ايضا نفس الاسم القديم ، وهي تقع بالتحديد في دوار الجزائر — (مشتي) مركز اولاد سليح الان بقرب مدينة بريكة الحالية ، او مدينة طينة القديمة .

— ثم قرية اخرى باسم عجيسة في ارض بني تليلان ، وتقع بين مدينتي القل ، وقسنطينة وهي في مضارب كتامة .

— قبيلتنا الاعراش والساحل القبلي ضمن دوار الكركور بالمغرب الاوسط ولقد كانت منطقة عجيسة في وقت ما مركزا هاما للاحداث السياسية التي قررت مصر الفاطميين في المغرب ، وترتبط بعصر المنصور اسماعيل الذي اقتفى اثر النكاري مخلد بن كيداد حتى الجاه لمضارب عجيسة حيث اقام بجوارهم معتصما باحدى قلاعهم الجبلية الحصينة التي عرفت بقلعة كناية . لكن اعتصامه لم يفده . وسقط أسرا في النهاية ربما لان عجيسة التي أسلست قيادها من قبل للفاطميين وللحركة الشيعية ولانصارها من كتامة وصنهاجة قد أدت دورها كاملا . ويبدو ان امتناع الثائر بقلعة عجيسة لفترة طويلة عن يد المنصور ، هو الذي أوحى فيما بعد لحمام بن بلكين بأهمية المنطقة من الناحية الاستراتيجية وهو أمر لم يخف على عبيد الله المهدي ، وولي عهده القائم بأمر الله اللذين أذنا بقيام حاضرة الحمديّة (المسيلة) (59) 313 هـ / 925 - 926 م .

58 — ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار فرناطه 1 ، 142 تحقيق عبد الله عنان القاهرة 1955 .

59 — البكري المصدر السابق 59 الاستبصار (لجهول) 71 - 72 ابن عذاري المصدر 1 ، 268 ، وتولى بناؤها على بن حمدون بن حماد الجذامي المعروف بابن الاندلسي وبقرها جبل عجيسة .

أما حماد فقد أسس في وقت لاحق ، في أعلى قمة جبل تاقربوست في مضارب قبيلة عجيسة ، قاعدته الانفصالية الأولى التي سماها القلعة لأن مكانها قلعة أبي طويل القديمة (60) ، وعرفت به ونسبت الى ابنائه من بعده فأضحت قلعة بني حماد . وسرعان ما أثبتت هذه القلعة انها جديرة بالاسم وبالمهمة التي ارتبطت بها، سواء اثناء النزاع الاسري بين الحماديين والزيريين أو اثناء انسياح عرب بني هلال في المنطقة (61) وقد حاولت عجيسة اكثر من مرة غزو القلعة ، ففشلت وفشلها في مشروعها ضد القلعة هو الذي قضى عليها بالشتات من موطنها الاصلي ، بالإضافة الى ضغط هجرات عرب بني هلال بحيث تفرقت في افاق المغرب الاوسط حيث تركت الآثار السابقة الذكر . اما مواطنها فقد استقر فيها بطن عياض من عرب بني هلال ، الذين أعطوا اسمهم للجبل المحيط بالمنطقة فأصبح يعرف بجبل عياض . وبقبيلة عياض تحقق الاستعراب الكامل للمنطقة . ويبدو أن اسم عياض ناله شيء من التحريف ، حيث صار ينطق به معضادا ، وأصبح السكان يعرفون في وقتنا بالماضيد وجبل عجيسة القديم ، أو جبل عياض فيما بعد أضحي يعرف بجبل الماخذ الان .

ويذكر بمجد عجيسة السياسي والثقافي في مهجرها الجديد ، أسرة نابهة في العلم والرئاسة بمدينة تلمسان ، هي أسرة ابن مرزوق .

وأشهر رجالها : الخطيب (710 - 781 هـ / 1311 - 1380 م) وهو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الملقب بشمس الدين والجد ، والحاجب أيضا (62) ثم الحفيد وهو محمد بن أحمد... بن أبي بكر بن مرزوق (766 - 842 هـ / 1364 - 1438 م) (63) ومن تأمل ترجمته نتبين سعة

60 - البكري 51 ، 54 ، 82 يصف بجاية وهي القاعدة الحمادية الثانية بان مرساها هو ساحل قلعة أبي طويل . لأن موقع القلعة كان داخليا ، بعيدا عن البحر الاستبصار (لجهول) 167 .

61 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 184 ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 336 سعد زغلول المرجع السابق 41 ، ويذكر تأييد عجيسة لحركة أبي يزيد : Ch. Feraud : Histoire des villes de la Provence de Constantine, p. 107. مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث 1 ، 70 .

62 - ابن مريم الشريف الميمني المديوني التلمساني : البستان في ذكر الاولياء والطماء بتلمسان 184 وما بعدها .

63 - نفسه 201 - 214 .

علمه وافقه وكثرة طلبته ومنهم من قبيلة زواوة حليفة عجيسة في العصر الفاطمي : نصر الزواوي وابراهيم بن قائد الزواوي (64) . ثم ابن مرزوق الكفيف (901 هـ (65) 1495 - 1496 م) وهو محمد بن محمد وحفيده محمد بن مرزوق الذي عرف أيضا بالخطيب (ت 918 هـ (66) 1512 - 1513 م) ويذكر أحد المؤرخين بعض علماء آخرين يعرفون بالعجيسي نقل عنهم أبو العباس المقرئ في كتابه نفع الطيب (67) .

— اما قبيلة أوربه فهي أيضا من برانس المغرب الاوسط ومن مراكزها فيه : المنطقة القريبة من تلمسان وكتلة أوراس ثم منطقة الزاب .

وقد هاجر فروع أوربه فيما بعد الفتح في ظروف تاريخية معينة واستقر أغلبهم في منطقة الريف الى جوار غمارة ، واستولوا على مدينة ولبلى أو قصر فرعون بناحية جبل زرهون أي في اطار ما كان يسمى موريطانيا الطنجية في العصر الروماني (68) .

ولهم أوزاع أخرى في عدة جهات من بلاد المغرب اشتهروا بأنهم مسيحيون ومتأثرون بمظاهر الحضارة البيزنطية ولهم صلوات مع الروم ، ومع الأفارقة وربما كان لهم نوع من الزعامة على بني قومهم في العصر البيزنطي استمرت بعد مجيء طلائع الفتح العربي الى البلاد حتى كانت لهم في وقت ما ممارسة الزعامة لا على حلف البرانس فقط ، وانما على حلف البتر أيضا ، وما ذلك الا لقوة بأسهم وكثرة عددهم وحكمة ومرونة أمرائهم .

ومن أشهر أمراء أوربه في أول الفتح سكرديد بن زوغي (رومي) بن تارزت بن برزيات الذي قيل انه توفي في سنة 71 هـ / 690 - 691 م بعد ولاية استمرت ثلاثا وسبعين سنة دون أن تشير مصادر الفتح أثناء هذه المدة الى حركة يكون قد قام بها ، أو دور يكون قد مثله أما لفائدة أو ضد العرب المسلمين .

64 - ابن مريم البستان 209 - 210 وانظر 295 عن ترجمة نصر الزواوي ، ومن تلامذته أيضا أبو الفضل المشدالي ، (ت 864 هـ) واحمد بن موسى القسطيني (ت 878 هـ) انظر العدوي : تبادل الاسانلة بين الجزائر ومصر في القرن 15 م .
مقال مجلة كلية الآداب - الجزائر عدد 2 ، 1970 .

65 - نفسه 249 .

66 - نفسه 258 .

67 - ابن حمدون بناني : تاريخه ورقه 3 ب (خ بمكتبة المجاجي بالبروالية) .

68 - جوليان (شارل) تاريخ افريقية الشمالية 1 ، 238 - 239 الترجمة العربية .

وقد آلت زعامة أوربة وحلف البرانس الى كسيلة بن لمزم ربما لأن
سكرديد ، قد طعن في السن ، وأصبح لا ينهض بأعباء القيادة .

وقصة كسيلة مع كل من أبي المهاجر دينار مولى الانصار ، وعقبة بن نافع
الصحابي المولد ، مشهورة لا تحتاج الى بيان (69) .

ومن غير المستبعد حسب رواية تاريخ وفاة سكرديد ، أن يكون حلف
البرانس وقبيلة أوربة قد قدموا للولاية كسيلة بعد أن تنحى عنها سلفه
ربما برغبة رجال أوربة البارزين ، لأنهم رأوه سلبيا أمام الأحداث التي
جدت على المنطقة خصوصا وقد كبرت سنه ، والامر يقتضى زعامات شابة
وقوية .

ولما قتل كسيلة في معركة ممس 69 هـ / 688 - 689 م وتشتت شمل
أوربه وأحلافها لم تشر النصوص الى الأمير سكرديد حتى وهو يترك البلاد
مع فلول قبيلته وهذا مما يضعف رواية خبر وفاته في سنة 71 هـ .

ولم نجد الا اشارة خفيفة عن موقفه من التطور الجديد اذ يذكر ابن خلدون
انه أسلم مع كسيلة وقبيلة أوربة وارتد معه بعد ولاية أبي المهاجر دينار
ومن الصعب لو كان هذا الامر حيا فعلا ، كما تشير الرواية السابقة ،
أن لا يعبر عن رايه في التطور الجديد ، الا بالصورة التي جاءت في بعض
مصادر الفتح وهي أنه أسلم مع كسيلة ثم ارتد كأنه تابع من أتباعه وفصل
من أفضاله مع أن الحقيقة انه أظهر منه شخصية وأقدم رئاسة وأكثر
حنكة .

وقد بقي مهاجر وأوربة في منطقة الريف يعيشون في نطاق الاسلام مما ينفي
شبهة الردة عنهم وعن زعمائهم انما بقوا في عزلة تكاد تكون تامة عما يجري
في المنطقة من أحداث حتى ظهر ادريس بن عبد الله الحسنى سنة 172 هـ
/ 788 - 789 م ، وعندئذ اهتبلوا الفرصة وظهروا على المسرح مناصرين له
ومؤيدين ، فأووّه في ويلي حاضرتهم الكبرى (Volubilis) وضمنوا تأييد
غمارة ، وكثير من قبائل البتر للحركة العلوية الادريسية .

69 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 146 (ط بيروت) وانظر ايضا 297 - 216 منه
وهنا نلاحظ أن ابن خلدون يذكر اسلام الرجلين لأول الفتح وردتهما عند ولاية أبي
المهاجر ثم يؤكد دعوة أبي المهاجر كسيلة للاسلام بعد اللقاء في تلمسان ولكنه لا يشير
الى سكرديد - ابن عذارى المصدر السابق 1 ، 18 - 19 الدباغ : معالم الايمان في
معرفة أهل القيروان 1 ، 48 المالكي : رياض النفوس 1 ، 25 ابن أبي زرع الفاسي :
روض القرطاس 7 ط حجرية السلاوي : المرجع السابق 1 ، 37 حسن محمود :
المرجع السابق 59 - 60 سعد زغلول : المرجع السابق 152 ، 166 - وما بعدها .
عبد العزيز سالم : المغرب الكبير 2 - 215 وما بعدها .

وكان زعيم أوربة في هذا الوقت أو باعث حركة الوحدة السياسية والمذهبية حول ادريس العلوي أو فاطمي القرن الثاني من الهجرة هو أبو ليلى عبد الحميد بن محمد بن اسحاق . (70)

ولقبيلة أوربة عدة بطون منها : ديقوسة ، ورغيوة ، وزهجوكة (زهجوكة عند ابن خلدون) ولجاية وأنفاسة ونيجة ، ومزياتة ، وفيما عدا بطون : ديقوسة وأنفاسة ونيجة ، التي لا تعرف مضاربها بالتحديد ، نلاحظ أن بقايا أوربة في عصرنا ربما تمثلها قبيلة ورية في ناحية رباط تازا ، كما تزعم قبيلة آيت وربيل أنها من نفس قبيلة أوربة الام .

— ومن بين بطون أوربة المعروفة ، توجد رغيوة حتى هذا الوقت ، شمال أقليم فاس وتعرف بنفس الاسم القديم كما يوجد فرع منها مندمجا في اطار قبيلة التلاغمة دوار وادي سقان قرب قسنطينة .

— وزهجوكة توجد اليوم بجهات مدينة قصر الكبير في المغرب الاقصى وبها سميت احدى القرى في الجهة وينطق بها محليا جهجوكة وهي مشهورة بين قبائل الجهة بحبها للفن ، وحذقها له خاصة الرقص والغناء .

— ولجاية تعرف باسمها شمال اقليم فاس ، وبقرى وادي ورغيوة ومثلها مزياتة التي توجد في نفس الاقليم وتعرف الآن بمزيات . (71)

وعلى خلاف القبائل الثلاث السابقة ، وهي وزداجة ، وأوربة وعجيسة التي اتفق على نسبتها البربرية الى فرع البرانس بصفة خاصة ، نلاحظ أن قبيلة اوريفة (وريفة — ريفة اختصارا) وقع جدل كبير حول نسبتها .

هل ترجع الى اصل يماني حميري ؟ او الى عاملة من بطون قضاة ؟ او الى كنده ؟ ويجمعها النسابة مع جزوثة وهسكورة ولطة ، في اصل واحد ويسمونهم جميعا « بني ينهل » ويشيرون الى اختلاطهم ببعض

70 — الاستبصار : (لجهول) 194 ويسميه باسحاق بن محمد الاوربي ويصفه بانه كان معتزليا ، البكري المصدر السابق 100
Gautier Op. Cit. p. 302.

71 — البكري : المصدر السابق 114 ويذكر أن زهجوكة مدينة ابراهيم بن محمد وهو من الادارسة وقد انطلق منها لأخذ طنجة ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 185 — 187 ط
دوسلان — مفاخر البربر (لجهول) 64 ، ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 303 —
314 حسن محمود : المرجع السابق 69 سعد زغلول : المرجع السابق 414 — 416
عبد العزيز سالم : المرجع السابق 2 ، 469 ياقوت معجم البلدان 1 ، 371 .
E. I Art Baranis. T. 1 P. 10680 2ème Edit.

فروع البتر ، عن طريق المصاهرة كما امتزجوا ببعض فروع البرانس
أيضا . (72)

وتعرف أوريفة أحيانا بهوارة ، نسبة لهوار أكبر أبناء أوريف وأكثرهم
شهرة وعلى هذا الاعتبار ، تكون التسمية من باب التغليب .

ومضاربتهم الأولى ، كانت في عصر الفتح نواحي طرابلس وبرقة ثم توزعوا
فيما بين تبسة ومرماحنة إلى إقليم باجة في أرض أفريقية .

وبسبب حركات الفتح ، وتدفق سيل الهجرات العربية انتشروا في
جيوب كثيرة من بلاد المغرب وتوغلوا حتى الصحراء حتى أن بعض النصوص
التاريخية تشير إلى أن أم أبي يزيد النكاري ، وتعرف بسبيكة ، كانت
جارية من هوارة السودان .

وفي منطقة أوراس يوجد بطن من هوارة (73) . وفيما بين وهران وتاهرت
وبين قبائل إقليم فاس (74) ، وعلى مسافة غير بعيدة من أشير يوجد سوق
هوارة (75) وبقرب عنابة ، وفي تيفاش يوجد بطن من هوارة أيضا (76) .

وفي قبيلة هوارة بطون أهلة مستقرة ، وأخرى تعودت الحركة والهجرة
شأن بعض فروع البتر ، بحيث يوجد داخل القبيلة أسلوبان للحياة
الاجتماعية ربما لا تنفرد بها فروع هوارة عن سائر قبائل البرانس
الأخرى . (77)

72 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 176 (ط دوسلان) مفاخر البربر (لجهول) 71
وما بعدها ، ابن حزم المصدر السابق 461 ويذكر من بطونها بني كلان ، ابن
خرداذبه : المسالك والممالك « القسم 4 من المكتبة الجغرافية » 90 ، و (66 ، 67
في الترجمة) الاضطخري المصدر السابق (القسم 8 المكتبة الجغرافية) 44 ،
ابن منصور المرجع السابق 1 ، 314 ، اليعقوبي المصدر السابق 98 - 99 : انظر :
E. I Art. Hawara T. 2, p. 371-72

73 - اليعقوبي : المصدر السابق 102 ، ويذكر هوارة بجوار باغاية وتيجس .

74 - البكري : المصدر السابق 117 .

75 - نفسه 60 .

76 - وعن تيفاش القديمة التي توصف باللالة انظر : البكري المصدر السابق 53 ،
A. Benachenhou Op. Cit. Islsq 181, Sq

وينسب إليها أبو العباس أحمد بن يوسف ، التيفاشي الملقب شهاب الدين
ت 651 هـ - 1253 م وله كتاب : ازهار الافكار في جواهر الاحجار ، انظر :
El Art Al Tifashi, T. 4, p. 790. كما ينسب إليها ميمون بن فتوح التيفاشي

التشيع انظر الزيزي : سيرة جولد 113 .

77 - ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 177 وما بعدها .

وفي مصر الفتح الاسلامي تمكن عمرو بن العاص من احراز نصر سريع ضد هواراة ، واحلافها من زواغة ونفوسة في مراكز سرت وطرابلس وصبرة وودان هذا بعد ان كانت طرابلس قد استعصت عليه ثم على خلفه في مصر وفي فتح المغرب عبد الله بن ابي سرح ، الذي تركها الى ارض افريقية وهكذا لم تتمهد امور طرابلس ولم تصبح رباطا عربيا ثابتا وراء برقة الا بعد حملة معاوية بن حديج (45 هـ / 665 - 666 م) .

وقد لا حظنا بعد ذلك ان الفاتحين كانوا يتوغلون في ارض افريقية والمغرب مما يشعر بان قبائل المنطقة ومنها هواراة قد هدأت واستكانت للتطور الجديد .

ولقد اسهم رجال من هواراة الى جانب الفاتحين في المجهودات التي بذلت من اجل نشر الاسلام في بلاد المغرب ، فاشتركوا الى جانب طارق بن زياد الليثي في فتح الاندلس حيث أصبح لهم فيها عقب ، ومنهم : بنو عامر ابن وهب أمراء رندة ، وبنو ذي النون أمراء طليطلة ورندة ايضا ، وبنو رزين أمراء السهلة .

كما اشتركوا الى جانب اسد بن الفرات قاضي افريقية وقائد جيشها في فتح جزيرة صقلية ومن أشهرهم قائدهم : زواوة بن نعيم . (78)

وفي وقت مبكر ، وكدليل على تمكن الاسلام منهم وانتشار حركة الاستعراب فشت بينهم الحركة الخارجية في شكلها الصفري والاباضي فكانوا عدة عبد الواحد بن يزيد الهواري في عصر حنظلة بن صفوان الكلبي ، ويحيى بن فوناس في عصر يزيد بن حاتم المهلبى ومع ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري وعبد الرحمن بن رستم أحد حملة ودعاة المذهب الاباضي الى ارض افريقية ، ضد ولاة العباسيين .

وبقيت هواراة ضمن القبائل التي يعتمد عليها نظام الامامة الرستمية سواء في تاهرت مركز الامامة ، أو في اقليم جبل نفوسة الموالي للرستميين .

وبين فرع هواراة جبل أوراس (79) واحلافها الاباضية عاش فقيهم وعالمهم محكم الهواري الذي عينه الامام افلح الرستمي على رأس القضاء والفتيا في جبل نفوسة ، وكان قبل ذلك يقيم في منطقة أوراس .

78 - ابن خلدون المصدر السابق 6 ، 286 - 287 (ط بيروت) ابن منصور : الرجوع السابق 1 ، 315 .

79 - ابن عذارى 1 ، 305 .

ورغم أن بعض أقارب الامام خالفه الرأي في هذا التعيين فانه أصر عليه
وسفه رأي أخيه فيه . (80)

أما هود ابن هذا العالم الهواري فهو الذي ينسب اليه الإباضية أقدم
محاولة لتفسير القرآن الكريم في بيئة المغرب العربي ويقع في مجلدين
كبيرين ويتوفر بعض علماء الإباضية على تحقيقه تمهيدا لنشره . (81)

ويعد من رجال هواراة باعتبار المولد أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري
والشائر المشهور لأن أمه سبيكة كانت - كما أشرنا - من هواراة السودان
وكان أبوه يختلف الى بلاد السودان للتجارة ، فتزوج من هواراة وبينهما
ولد أبو يزيد في اقليم كوكو (82) .

ومن قبيلة هواراة بنو خطاب أمراء زويلة وبنو اسحاق رؤساء فرع من
هواراة في الجبل المعروف بجبل هواراة الذي يطل على مدينة البطحاء بالمغرب
الأوسط ومن رجالها أيضا : أبو علي عمر بن موسى الهواري نزيل آزمور ،
وعياض بن وهب ومجاهد بن مسلم أحد قادة عبد الرحمن بن حبيب الفهري ،
ثم مؤمن بن يومر الهواري وهو أحد مصادر محمد بن يوسف الوراق ،
وأبي عبيد الله البكري في كتاب المسالك والممالك . (83)

80 - ابراهيم البرادي : الجواهر المنتقاة في ذكر ما أهمله صاحب الطبقات 175-176
(الشماخي : السير 194 ، ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين 23 - 24) .

81 - نفسه 219 ونص كلامه (ومن تأليف اصحابنا أهل المغرب ، التفسير الذي لهود بن
محكم الهواري في سفرين كبيرين الشماخي المصدر السابق 381 ، 595 . وأقدم
التفاسير بالنسبة لأهل السنة في المغرب هو تفسير يحيى بن سلام ، وتوجد منه قطعة
مكتوبة على الرق نسخت سنة 383 هـ ، كانت في مكتبة ح . ح . عبد الوهاب ورقمها
في المطارين 18653 وتوجد النسخة الكاملة تحت رقم 7447 . أما يحيى بن سلام
فهو بصري استوطن القيروان ، عاصر مالك بن أنس وأخذ عنه ويعود من المعندين
والرواة توفي بمصر سنة 200 هـ . انظر عنه : أبو العرب الطبقات 37 - 39 المالكي
رياض النفوس 1 ، 122 - 125 .

82 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ 8 ، 150 أبو علي منصور الغزي الجوزري :
سيرة الأستاذ جولد 44 هامش 36 ابن خلدون المصدر السابق 2 ، 17 (ط : دوسلان)
عن هواراة التي توجد في زويلة من أرض السودان انظر الاستبصار 146
E. 1. Art Abu Yazid T. 1, p. 115-116.

83 - مفاخر البربر (لجهول) 72 ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 177 وما بعدها
البكري : المصدر السابق 60 وهنا يذكر مدينة الفدير قرب نهر سهر وهو نهر المسيلة
(الحمديّة) كاحدى مراكز هواراة حيث يبلغ عددهم هنا حوالي ستين الفا وانظر 160
منه حيث يشير الى ابن يومر كأحد مصادر الاساسية وانظر 86 - منه ايضا .

وفروع قبيلة اوريغة هي : ملد ، ومقر ، وقلدن ، الى جانب هوار
اشهر اخوته لذلك سميت سائر الفروع باسمه (84) .

ولكل فرع من هذه الفروع اثار وبقايا في بلاد المغرب الاوسط ، فمن بقايا
ملد بطن ورفل ويظن أن منها بطن ورفلة المندمج الآن في اطار قبيلة اولاد
سيدي يحيى ، ويضربون حول مدينة تبسة ومرسط ، ويرجعون لدوار ابن
الكفيف ومثلها قبيلة نيفن أيضا وقد عقدت زعامتهم في عصر ابن خلدون
لابناء بعرة بن حناش منهم ، وهم على التوالي اولاد سليم ثم اولاد زيتون
ثم اولاد دحمان .

ومن اثار مقر في المغرب ناحية تحتفظ حتى الآن باسم ابو مقر بين بريكة
ونقاوس كما تطلق كلمة مقر أو مقار على الاسواق والمعارض التي تقام
في تندوف في الصحراء الجزائرية ، ومنها زمور أيضا واليها فيما يبدو
تنتسب منطقة زمورة دائرة البرج وتنتشر القاب الزموري أيضا في غير
هذه الدائرة من ارض المغرب الاوسط .

ومن بقايا مقر منداسة في ولاية وهران واليهم ينتسب وادي منداسة
بالجهة ثم الشاعر سعيد بن عبد الله المنداسي صاحب قصيدة العقيقة في
مدح الرسول (85) ، وأحد المعاصرين للسلطان اسماعيل العلوي أوضح
سلاطين الاسرة الشريفية شخصية وأشهرهم في التاريخ (ت 1139 هـ /
1726 - 1727 م) .

وفرع ورجين بجهة عنابة من بقايا مقر ويحتفظون حتى اليوم باسمهم
القديم وهو بنو ورجين . (86)

أما بقايا بطن هواره في المغرب الاوسط فتمثلها زكارة وتقع بناحية
شرشال (ايول القرطاجية - قيصرية الرومانية) في ولاية الاصنام .

واليها ينسب جبل زكار بدائرة مليانة . وهو مركز لاستغلال المعادن
الآن . وقد جاءت كلمة زكارة (87) في ابن خلدون زكاوة بالواو ويظهر أن
ذلك من خطأ النساخ بدليل الواقع ، كالذي حدث في زاوة حيث كتبت

84 - ابن حزم : المصدر السابق 462 وما بعدها ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 177 -
181 ابن منصور المرجع السابق 1 ، 315 .

85 - سركيس معجم المطبوعات العربية والعربية 2 ، 641 .

86 - ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 316 .

87 - وردت بصيغة نكار في كتاب : الاستبصار في عجائب الامصار : انظر 171 وما بعدها .

زوازة ، مع أنه لا يعرف في الواقع ، في إطار أرض المغرب اسم لقبيلة بهذا الشكل ، وهكارة ، وتضرب حول منطقة الهكار بالصحراء الجزائرية من هوارة أيضا . ويظن أن أصل كلمة (هكارة) هو : هوارة ، إنما حدث ابدال حرف بأخر على غير مألوف اللغة العربية .

والاسم الأخير ، وهو هوارة الذي تنتظم حوله سائر الفروع بقي يطلق على قلعة في الغرب الجزائري تسمى بقلعة هوارة وتعرف حاليا بقلعة راشد . وفي منطقة وهران وفي غيرها تشيع القاب الهواري ويوجد في داخل المدينة مسجد قديم يعرف بمسجد سيدي الهواري حتى اليوم . (88)

وقد صور ابن خلدون بدقة وضع هوارة الاجتماعي والسياسي في عصره في قوله « ومن قبائل هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة ، من مواطن من أعماله ، تعرف بهم وظواعن شأوية تتجمع لسرحها في نواحيه وقد صاروا عبدا للمغارم ، في كل ناحية وذهب ما كان لهم من الاعتزاز والمنعة » (89) .

— ولا ريب أن أكبر مجموعات فرع البرانس كتلة صنهاجة أو حلف صنهاجة القوي ، وقد اختلف المؤرخون والنسابة حول نسبها .

فهل ترجع الى أصل عربي جنوبي؟ أو الى أصل أمازيغي من كنعان بن حام؟

والى الرأي الأول ، مال أغلب المؤرخين والنسابة المسلمين . وبينما الرواية المشرقية التي يمثلها الطبري ، وابن الكلبي (ت 204 هـ / 819 م) تجعلهم من نسل أفريقش بن قيس ، وهو من ملوك التباغة ينفرد ابن النحوي وهو من مؤرخي فرع صنهاجة في الاندلس ، برواية تجعلهم من نسل مالك بن عامر بن حمير الأصغر بن سبأ ، والفرق الوحيد بين الروايتين أن الأخيرة تجعلهم من فرع عربي موغل في القدم يرقى الى سبأ وهي أقدم من قبائل حمير . (90)

أما نسبة البربر فيرون أن صنهاجة مثل غيرها من فروع البرانس تنتسب مباشرة الى برنس بن برين مازيغ بن كنعان ، وابن خلدون بعد أن أستعرض كل هذه الآراء مال الى جانب الرأي الثاني واعتبر ما سوى

88 - ابن منصور المرجع السابق 1 ، 317 الاستبصار في عجائب الامصار (مؤلف مجهول) 171 ، 178 الاسكندرية 1958 جوتييه : الصحراء 184 يشير الى قبيلة الهفار ضمن الطوارق ، ويلاحظ أن عددها لا يتجاوز 400 فارس .

89 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 181 (ط دوسلان) .

90 - ابن خلدون المصدر السابق 1 ، 194 مفاخر البربر (لمجهول) 51 ، ابن منصور المرجع السابق 1 ، 328 وما بعدها : H.R. Idris Op. Cit. T. 1, p. 6.

ذلك سواء ، بالنسبة لصنهاجة أو لغيرها من قبائل البربر في المنطقة آراء فظيرة وأساطير ومزاعم لا أساس لها من الحقيقة التاريخية وقد دعم رأيه وتأييده للقول الثاني بجملة من الاعتبارات منها :

- قرب مواطن هذه القبائل من بعضها البعض .
- ثم اشتراكها في لهجات أعجمية بعيدة عن اللسان العربي ، ربما تنم عن تفرعها على أصل لغوي واحد .
- ثم ملاحظة بعد مجالاتها ومضاربها عن مجالات العرب .

وعلى ذلك فلا داعي في نظر ابن خلدون للتفريق بين قبيل وآخر في الاصل النسبي لأن ما صح بالنسبة لأغلب سكان المنطقة يصدق أيضا على بعضهم اذ الاحتمالات قائمة بالنسبة اليهم جميعا والا أضحي في الامر قدر غير يسير من التحكم بدون براهين واضحة . ولخص رأيه هذا بوضوح في قوله : « فالحق الذي شهد به الوطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة ، وعندي أنهم من اخوانهم » . (91)

ومميزات كتلة صنهاجة هي :

وفرة عددهم منذ القدم ، وحتى عصر ابن خلدون الذي لاحظ أنهم ينتشرون انتشارا واسعا ، في المناطق السهلية الداخلية والصحراوية ، وفي المناطق الساحلية وفي المرتفعات الجبلية أيضا ، ومن ثم قيل أنهم يبلغون وحدهم مقدار ثلث مجموع البربر . وقد لاحظنا من قبل أن البرانس وحدهم يمثلون ثلثي مجموع البربر كلهم ، ومعنى ذلك ان كتلة صنهاجة وحدها ، تظفر بنصف مجموع البرانس .

اما الكتلة الصغيرة نسبيا فهي كتلة البتر التي لم يبق لها حسب هذا التقدير الاجمالي غير ثلث مجموع السكان .

ومن مميزات صنهاجة ، وجود طابعي الاستقرار والبداءة في بعض بطونها مثل هواره . فبينما عاشت صنهاجة الشمال حياة مستقرة متطورة وبنيت الامصار والمدن وعرفت الانماط الحضارية المتقدمة والتفكير السياسي المبكر ، في ظل حكومة الامراء الزيريين من بطن تلكاتة ، حتى وصفهم ابن خلدون بأنهم « أهل مدر ومواطن » . (92)

91 - ابن خلدون 1 : 117 وقارن بما ورد في ج 6 ، 192 من العبر (ط بيروت) .

92 - العصر السابق 1 ، 195 .

تلاحظ أن صنهاجة الجنوب بفروعها التي تضرب في الصحراء ، وتناخم نهري النيجر ، والسنغال والبحر المحيط ، بقيت في اطار الحياة البدوية ، فالرحلة على ظهور المهاري ، والبساطة في العيش ، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية والمدنية من صفاتهم ، ولذلك استحقوا لقب « أهل الوبر » عند شيخ المؤرخين المغاربة للاشعار بأنهم يهتمون بالابل وبالانعام ، لأنها أساس حياتهم الاقتصادية والاجتماعية .

وهكذا حرم فرع صنهاجة الجنوب ، الذي هاجرت بطونه من الشمال الى الصحراء في ظروف تاريخية غير واضحة - من نعيم الحضارة ، وبريق المدنية ، ولذة الاستقرار التي نعم بها فرع صنهاجة الشمال في المغرب الاوسط وهم اخوانهم في الارومة وفي المواطن الاولى .

وابن خلدون على حق حين يؤكد رابطة الاصل المشترك لفرعي صنهاجة في قوله : « وكان الملك في صنهاجة في طبقتين الطبقة الاولى تلكاثة ملوك افريقية والاندلس ، وهم أهل مدر ، في المغرب الاوسط وافريقية . والثانية مسوفة ولتونة وجدالة وشرطة بالصحراء ، من الملثمين ملوك المغرب . المسمين بالمرابطين وهم أهل وبر » . (93)

وقد حدد ابن حوقل ملامح صنهاجة الجنوب عندما وصفهم بنقاء الابدان وجمال الالوان وبالفروسية وبالسرعة في اختراط السيوف وقوة الاجساد وصحتها . وأشار الى أن ركابهم المهاري وهي أقوى تحملا ، وأشد عدوا من الجمال في الصحراء . ولم يلحظ الرحالة من وجوه القوم غير عيونهم وذلك لأنهم يلبسون اللثام وهم أطفال وينشأون على ذلك ، ومن ثم سموا بالملثمين وأهل اللثام ، ومن أعجب ما رواه عنهم أنهم « يزعمون أن الفم سوءة تستحق الستر كالعورة لما يخرج منه » .

وعن سلطانهم على الصحراء ، ومراقبتهم للحياة التجارية بين منابع التبر في السودان الغربي وبين بلاد المغرب وغيرها أشار الى أن « لهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جمل ، وحمل ، ومن الراجعين بالتبر

93 - نفسه ج 6 ، 311 ، 370 (ط . بيروت) ابن أبي ذؤع : المصدر السابق 85 (ط . حجربة) نور الدين عبد القادر : المرجع السابق 32 . حسن محمود : المرجع السابق 36 وهنا يفسر مؤرخ صنهاجة بفرعيها سبب انقسام كتلة صنهاجة بين الشمال والجنوب بعامل خارجي ، ربما كان حسب رأيه غزوا بتريا ساحقا جوتييه : الصحراء 190 ويلاحظ أن اسم صنهاجة قديم ورد عند بطليموس مع قبيلة أخرى هي (Zenagus) ربما هي زناتة فيما بعد ومن صنهاجة اشتق اسم السينغال (Sénégal)

من بلاد السودان وبذلك قوام بعض شوونهم « (94) . أما بالنسبة لفرع صنهاجة الشمال فقد ذكر كثيرا من فروعها ، والطريف عنده انه يميز بين نوعين منها ، نوع يسميهم الخلص ، ونوع آخر يسميهم الاخلاط (95) ، والميزة الاخرى لكتلة صنهاجة هي سعة مضارب فروعها وتنوعها فهي فقط بالنسبة لفرع صنهاجة في الصحراء ، تمتد مسيرة ستة أشهر ولا شك أن مضارب المستقرين في غير الصحراء من صنهاجة متسعة أيضا . ففي المغرب الاوسط تمتد من المسيلة وبجاية الى جزائر بني مزغنة بحرا ، وعمقا ومنها في الداخل الى اشير في سفوح جبال تيتري عبر متيجة وبلدية ومليانة ، أما في المغرب الاقصى فمجالاتهم الناحية الواقعة من نهر كرط ، ومنطقة الريف الى البحر الابيض المتوسط ، وفي الصحراء تمتد البلاد ، من غدامس الى نهري السنغال والنيجر « وحد بلادهم في القبلة مسيرة 7 أشهر طولا ومسيرة 4 أشهر عرضا من نول لمطة الى قبلة القيروان من بلاد افريقية وما يحيط بين بلاد البربر ، وبلاد السودان » (96) .

واكثر مدن صنهاجة في المغرب الاوسط توجد في ولاية تيتري وهي اشير بني زيري وجزائر بني مزغنة ، وبلدية ، ومتيجة ومليانة ، ثم حمزة والمسيلة وازفور وهي حد صنهاجة هذا بالاضافة الى المراكز والقرى الصغيرة التي تنتشر بين هذه الحواضر الكبرى .

94 - صورة الارض 98 - 99 القزويني : اثار البلاد واخبار العباد 18 ، 19 ، 24 ، 26 ، 58 - وفيه اشارات عن بلاد التبر . شعيرة : المرابطون - تاريخهم السياسي 160 - 23 ، عن منابع البتر ، نور الدين عبد القادر نفس المرجع السابق والصفحة .

95 - نفسه 101 - 102 .

96 - ابن اي زرع : المصدر السابق 86 ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 329 حسن محمود : المرجع السابق 36 - 37 . وعن نول لمطة وهي آخر بلاد الاسلام واول العمران من الصحراء تبعد عن وادي السوس ثلاثة ايام انظر البكري : 86 ، وهي في مجال جزولة ولمطة ولها نهر يصب في المحيط ومنها الى وادي درعة ثلاث مراحل ، وهي على ساحل المحيط ايضا انظر : 172 منه ويصف بني لتونة من صنهاجة بقوله : « قوام رحالة في الصحراء ، مراحلهم فيه مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام وهم الى بلاد السودان اقرب ، وليس يعرفون حرنا ولا زردا ولا خبزا ، انما امواتهم الانعام وعيشهم من اللحم واللبن ينفذ عمر احدهم وما راي خبزا ولا اكله الا ان يمر بهم التجار من بلاد الاسلام او بلاد السودان » 164 منه .

ثم يضاف اليها بعض مراكز فروع صنهاجة التي اندمجت في مضارب بعض القبائل الاخرى (97) ، ومن مميزات صنهاجة في الناحية السياسية ادعاء بعض المؤرخين ولاءها لعلي بن ابي طالب ولرھط العلوية كما ادعوا بالنسبة لمغراوة الزناتية ولاءها لعثمان بن عفان ورھط العثمانية . (98) فكانت صنهاجة في نظر هؤلاء علوية النزعة بقدر ما كانت مغراوة وسائر زناتة اموية النزعة .

واذا كان هؤلاء المؤرخون قد تصيدوا سببا مقبولا في الجملة ، لولاء مغراوة وتمثل كما اشرنا في اسلام جدها الاول وزمار علي يدى عثمان بن عفان الذي قلده ولاية قومه في تلمسان فان الحيلة اعوزتهم في ابتكار سبب معقول او مقبول شكلا لقصة ولاء صنهاجة لعلي بن ابي طالب .

وعلى كل حال فقضية الولاء هدفها سياسي صرف بل هي لعبة سياسية دفع الى ابتكارها انتقال الصراع السياسي والمذهبي بين الامويين والعلويين من ارض المشرق الى ارض المغرب والاندرلس .

واذا كان لا بد لانصار حزب الامويين من ايجاد نقط ارتكاز يعتمدون عليها في المنطقة ، خدمة لاغراضهم السياسية فقد وجدوا في مغراوة الزناتية البترية ، ميلا الى تصديق قصة الولاء ، ارضاء لكبريائهم القومي بل انسياقا وراء تبعاتها ونتائجها يدفعهم الى قبول ذلك نزاع قديم بين البتر والبرانس . وهل يبقى الحزب العلوي مكتوف الايدي امام تحايل الامويين واشياعهم من الرواة والახباريين ؟

وقد تأمل رجاله طبيعة العلاقة الاجتماعية بين السكان في المنطقة فلم يركنوا الى تقريب قبيلة اخرى من فرع البتر لتعذر تنازع القوم من اجل

97 - اشر مدينة حصينة في مجال صنهاجة بناها زيري بن مناد وليس في جهتها ما هو احسن منها ولا ابعد متناولا ومراما بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها بني سورها ولكن 367 هـ . وخرابها يوسف بن حماد بن بلكين واستباحها ورجع الناس الى عمرانها بعد 455 هـ بداخلها عينان ثرئان عين سليمان وتالانيرغ - البكري المصدر السابق 60 الاستبصار (لجهول) 170 ابن عداري : المصدر السابق 1، 306، E. 1, Art Askir T. 1, p. 439-90. وعن جزائر بني مزعنة انظر 66 منه . وكتاب الاستبصار 132 وفيه جاءت (بني مزغنان) وبجوارها فحصى متيجة E. 1, Art. Alger T.E. p. 250-260. وعين مليانة انظر البكري 61 والاستبصار 171 وفحصها يشقه نهر شلف الذي سمي باسم مدينة شلف المنفرة . القزويني المصدر السابق 273 .

وعن سوق حمزة وهي بضاحية واوزفوروهي حد لها والمدينة ومتيجة وتعرف بقرونة انظر : البكري 65 ابن خلدون المصدر السابق 6 ، 314 (ط . بيروت) .

98 - ابن خلدون 1 ، 195 ، ط دوسلان وانظر 6 ، 311 (ط.بيروت) :
H.R. Idris Op. Cit. p. 8.

الغير لدافع العصبية البترية ، والاحساس القومي بالقرابة الدموية ولذلك تخير رجال العلوية لخدمة قضية الشيعة في المنطقة اقوى فروع البرانس كلهم وهو حلف صنهاجة ، واشاعوا بين رجال القبيلة وامرائها فكرة الولاء المزعوم لعلي الذي يصور دائما على انه هو صاحب الحق الشرعي في الامامة بعد الرسول وقد اغتصب منه حقه باتفاق القوم ضده حسدا او مكر .

والامويون يصورون عثمان في صورة الخليفة الشرعي المظلوم الذي لا يستبعد ان يكون على من بين اركان التآمر ضده في نظرهم .

وعلى هذه الصورة تلتئم الحلقة ، فمفراوة وزناتة كلها ، بل فرع البثر ذوو نزعة اموية حادة يقفون ضد صنهاجة وتلكاتة منها وضد سائر البرانس خدمة لاهداف سياسية بعيدة .

ونجحت الحيلة وعاشت منطقة المغرب والاندلس منذ بداية القرن الرابع للهجرة حياة قاسية من جراء الفوضى التي تسبب فيها تنازع البثر والبرانس ، ممثلين في زناتة وحلفائها من جهة وصنهاجة وحلفائها من جهة اخرى .

والميزة الاخرى التي تضاف الى ما سبق ذكره هي قوة الرابطة الدموية بين فرعي صنهاجة في الشمال والجنوب بسبب احساس القوم بوحدة الاصل واللهجة والتراث (99) ، ووجود العدو المشترك لكليهما وهو قبائل زناتة ولذلك لاحظنا ان الزعامة لما عقدت لفرع الشمال ، وهم تلكاتة انتقم رجاله من قبائل زناتة ، اعدائهم التقليديين وربطوا بين تصفية نفوذ زناتة اتباع الروانية من المنطقة وبين التأييد التام لحزب العلويين وهم الشيعة القاطميون . (100)

وحروب صنهاجة مع زناتة ، هي السبب في انهيار وتشتت هذه الاخيرة في المغربين الاوسط والاقصى وفي الاندلس وبالتالي نستطيع ان نقول ان عمل صنهاجة الشمال سهل على اخوانهم فرع صنهاجة الجنوب وهم الملتصمون فيما بعد ، مهمتهم في القضاء على ما بقي لمفراوة الزناتية وغيرها من نفوذ في المغرب الاقصى .

ومما له دلالة خاصة ان المرابطين لم يتجاوزوا في اطار توسعهم في المغرب الاوسط حدود مدينة الجزائر ربما تقديرا منهم للرابطة العرقية التي تربطهم بالزيريين ولقد كان في امكانهم لو ارادوا ان يصفوا نفوذ الزيريين والحماديين في افريقية وفي المغرب الاوسط كما فعل بعدهم الموحدون الذين

99 - حسن محمود : المرجع السابق 38 ، 39 سعد زغلول عبد الحميسد : المرجع السابق 31 .

100 : ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 196 وما بعدها .

ينتمون الى مجموعة حلف مصمودة ولا سبب لذلك غير انعدام صلة القربى بين فرعي صنهاجة وكتلة مصمودة الكبرى التي ظهرت لتتوسع على حساب الاثنيين ولتعفي على آثارهما في المغرب والاندلس . (101) ويذكر المؤرخون والنسابة لصنهاجة الشمال رجالا نبغوا في العصر الذي تلا عملية انتهاء الفتح الثقافي والسياسي في بلاد المغرب العربي منهم : ثابت بن وزريدن ، الذي تشير الرواية الى ثورة تزعمها في المنطقة بعد سقوط نظام الدولة الاموية في المشرق وفي بداية عصر ابي العباس السفاح ، ثم منقوس وهو جد الزيريين الاول ، وابنه مناد الذي تشير بعض النصوص الى انه حكم جزءا من افريقية والمغرب الاوسط تحت طاعة العباسيين وبواسطة ممثلهم واتباعهم في افريقية ومنطقة الزاب ، وهم الاغلبية كما تذكر بعض النصوص انه ذهب الى الحجاز للحج سنة (201 هـ / 816 - 817 م) اي في نفس السنة التي ذهب فيها يونس مجدد نحلة برغواطة . ويبدو انه امضى فترة في حكم احدى القلاع القريبة من سجلماسة مستقلا عن اي نفوذ ، وهي التي احتفظت باسمه واصبحت تعرف بالمنادية (102) ، ومن رجال صنهاجة زيري بن مناد ، الذي اختط اشير في سفح جبل تيطري ، وانحاز للفاطميين منذ عصر القائم بأمر الله . (103)

ويضاف الى هؤلاء القادة السياسيين مجموعة من رجال العلم والادب والتصوف منهم ابو عمر بن ميمون بن خطاب الذي رفع نسبه الصنهاجي الى قحطان ، واحمد ومنصور اللذان وصفا بـ « الشيخين الفقيهين » وكانا فيما يبدو مرابطين ، يمكن يعرف بمازيفين على ساحل صنهاجة ، ثم ابو العباس بن العريف ، وكان من رجال القرن السادس للهجرة ، وقد ترك إنتاجا ادبيا منه كتاب عرف ، بمحاسن المجالس ، ثم ابو عبد الله محمد

101 - شعيرة : المرجع السابق 96 - 97 ، وهنا يشير الى أن ضرورة تصفية زناته تلمسان والونشريس هي التي دفعت بحركة توسيع المرابطين الى ميدان المغرب الاوسط . فالامر فيه تامين من جهة ، وخدمة لاهل العصية من جهة اخرى . حسن محمود : المرجع السابق 35 .

102 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 196 - 198 ، 6 ، 312 - 313 ط . بيروت مفاخر (لمجهول) ويعتمد هذا الاخير على مصادر منها : الديباجة في مفاخر صنهاجة والنبد المحتاجة في تاريخ صنهاجة والاول لابي الصلت الفه للحسن صاحب المهديّة - الكبرى المصدر السابق 137 ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 321 وهنا يشير خطأ الى أن قلعة المناديه هي قلعة حماد . H.R. Idris Op. Cit. p. 8.

103 - القرظي : اعطاء العنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا 1 : 78 . القاهرة 1967 - نشر جريدة للشياح .

بن محوت (104) وأبو عمرو ميمون بن أبي جميل الذي يوصف في بعض النصوص بأنه ابن أخت طارق بن زياد . ثم أبو عبد الله بن القاضي الصنهاجي الذي اشتهر في ميدان الادب ، وأبو محمد عبد الوهاب الذي شغل خطة الخطابة لفترة في جامع قرطبة بالاندلس ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد وابن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي وهو أصلا من قرية حمزة وقد تفقه على شيوخ من بلده ، وانتقل الى القلعة والى بجاية للدراسة والتدريس ، حيث اخذ عنه كثيرون . وقد تولى القضاء في سلا ، واقليم الجزيرة الخضراء كما وليه في أزموور لأنها أيضا من مضارب صنهاجة .

وينسب اليه انتاج تاريخي عن قبيلة صنهاجة عرف « النبد المحتاجة في اخبار صنهاجة بافريقية وبجاية » كما اختصر تاريخ الطبري وشرح مقصورة ابن دريد في الحكم وكان معاصرا للغوث أبي مدين دفين تلمسان ، وتوفي بعد سنة 628 هـ / 1230 - 1231 م بعد حياة حافلة بالنشاط العلمي والاداري (105) .

ومن الطريف أن ابن خلدون قسم كتلة صنهاجة الكبرى الى اهل مدر وهم المستقرون في الشمال وسماهم كما اسلفنا اهل الطبقة الاولى ، والى اهل وبر وهم الرحالة المثلثون في الجنوب وسماهم اهل الطبقة الثانية . أما فروع صنهاجة المنتشرون في شمال المغرب الاقصى (منطقة الريف) فسماهم اهل الطبقة الثالثة ، وقسمهم الى :

أ - صنهاجة العز ، وهم الذين يعتصمون بالاماكن المرتفعة ، حيث لا تنالهم ايدي الجباة والسعاة ، ومن هؤلاء بنو زروال وسكان الجبال المطلة على تادلا (106) .

ب - وصنهاجة البز ، وهم الضاربون حول نهر ورغة ويشتغلون بالحياكة وبالزراعة والغراسة وقد تم استعراهم ، على عكس غمارة التي تجاورهم .

104 - مفاخر (لجهول) - 65 - 71 الاديسي : المصدر السابق 48 حيث يذكر مرسى مازيقين على مسافة خمسة وستين ميلا من مرسى انفا بالمغرب الاقصى .

105 - مفاخر البربر 63 ، أبو العباس الفبريني : عنوان الدراية 128 - 129 ، جلول بدوي : ابن حماد الصنهاجي مقال الاصلة . وعن أبي مدين شعيب الاندلسي الاصل الذي توفي في 594 هـ / 1197-1198 م في مكان العباد بجوار تلمسان انظر : E.I. Art Abu Madyan : T. 1, p. 100-101.

106 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 425 وعن قبيلة بني زروال انظر : محمد البشير بن عبد الله ، قبيلة بني زروال - مفاخر حياتها ، ابن حزم : المصدر 499 .

ج - وصنهاجة الذل ، وهم سكان نواحي مدينة أزموور وقد سموا بهذا الاسم إشارة الى أن الاحكام تنالهم ، ويد الحياة عليهم مبسوطه ، وخضوعهم للسلطة المخزنية ظاهرة مألوفة (107) .

أما صاحب كتاب « الانساب في معرفة الاصحاب » فيقسم صنهاجة التي تجاور المصامدة الى قسمين :

صنهاجة الظل : وهم سكان الجبال الظليلة والاراضي المرتفعة المليئة بالاشجار وال عمران ، فهم أشبه بصنهاجة العز ، وصنهاجة القبلة (108) وهم سكان الاماكن السهلية المنبسطة القريبة من وادي درعة المعرضة دوما لحر الشمس المحرقة وهم أشبه بصنهاجة البز .

وآثار هذا التقسيم تبدو الآن في بقايا صنهاجة في شمال المغرب الاقصى الذين يميز فيهم بين :

- صنهاجة غدو شمال اقليم تازة . وهم مستقرون .

- صنهاجة السراير باقليم الحسيمة .

- صنهاجة مصباح شمال فاس وهذه بدورها يميز فيها بين صنهاجة الشمس وصنهاجة الظل (109) .

- لم تكن صنهاجة في الواقع مجرد قبيلة ، بل كانت حلفا عظيما تعددت قبائله وافترشت فروعه جهات كثيرة من بلاد المغرب ، حتى قيل أن عددها بلغ سبعين فرعا (110) تحت كل فرع منها عمائر ، وبطون وأفخاذ أهمها في المغرب الاوسط :

- تلكاتة ، وينتسبون لتلكات بن كرت ، وكانت لهم الزعامة على سائر فروع صنهاجة الشمال ، ولهم منزلة بينها أشبه بتلك التي تبوأها لمتونة ، ورهط بني ورتنطق منها ، بين صنهاجة الجنوب . وأظهر فروع تلكاتة بنو

107 - نفسه 6 ، 426 - 427 وعن مدينة أزموور : انظر :

E.I. Art Azmmur : T. 1, p. 539.

108 - أبو بكر الصنهاجي (البيهقي) : اخبار المهدي ابن تومرت 44 - 46 نشر ليفي بروفنسال باريس 1928 وكتاب الانساب هو القسم 2 منه .

109 - ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 329 وقد اعتمد على ابن خلدون وعلى كتاب الانساب ثم على ما يوجد الآن في المنطقة من اسماء دارجة . الاستبصار (لمجهول) 186 ، وهنا يشير الى أن بلاد تازة هي اول بلاد المغرب الاقصى وآخر المغرب الاوسط .

110 - ابن خلدون : المصدر السابق 1 ، 195 ط . دوسلان ، 6 ، 311 (ط . بيروت)

ابن هوقل : المصدر السابق 101 - 102 .

مناد بن منقوس الذين مثلوا دورا سياسيا رئيسيا في بلاد المغرب والاندلس
ومنهم الزيريون وبنو حماد .

ومن آثارهم قلعة المنادية باقليم سجلماسة ومدن أشير وبنية (منزه وقلعة
بنت السلطان) ، ومليانة ولدية وجزائر بني مزغنة ومتيجة في المغرب
الايوسط (111) .

– وبجاية وتوجد في المناطق الجبلية غرب وادي الصومام ولها منفذ
مأمون على البحر وقرب مرسى قديم لهذه القبيلة ، بني الناصر بن علناس
الحمادي مدينة سماها الناصرية سنة 460 هـ / 1067 – 1068 م وقد
جاءت في الشعر والنثر لكن اسم القبيلة – وهو بجاية – بقي شائعا وغالبا ،
على مدينة الناصر بن علناس .

ومن فروع بجاية ، بنو ورياكل ، ومضاربهم حول ضاحية ملالة التي
نزل بها لأول مرة ابن تومرت مهدي الموحدين عند رجوعه من المشرق العربي
فأكرموه ، وحموه من بطش العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس
الحمادي ، بسبب ما بلغه عنه من أنه يحتسب على الناس ويياشر تغيير
المنكر جهارا ، ويعزر المخالفين أمام الملاء ، وفي ملالة ، ابتسم له الحظ ،
عندما اتصل بأحد العشرة المقربين من أصحابه ، وهو أبرزهم ، ووارث
المجد السياسي بعد وفاة المهدي ذلك هو عبد المؤمن بن علي الكومي (112) .

ويظهر أن رهطا من بجاية هاجروا الى افريقية (تونس) لأننا لاحظنا في
شمال تونس ، اسم بجاوة ، وينتسب اليها كثير من النباه في عصرنا .
والنسبة اليها كالنسبة الى بجاية (بجاوي) وعلى ذلك ان صحت نسبتها
الى بجاية الأم في المغرب الاوسط ، تكون هي واسم مدينة بجاية آخر
ما بقي من آثار هذه القبيلة الصنهاجية العتيقة .

وبقرب بجاية وفي المنطقة بينها وبين مدينة تيزي وزو الحالية يوجد من
بقايا صنهاجة .

– فرع بني خليل ، وعرفوا في الجهة باسم « بني خليلي » كما ذكر
بعض الرحالة فرعا باسم بني أبي خليل في منطقة الونشريس (113) .
ويوجد بنو جعد قرب حمزة (البويرة حاليا) .

111 – نفسه 1 ، 196 وما بعدها . نور الدين عبد القادر : المرجع السابق 37 .

H.R. Idris : Op. Cit, p. 7.

112 – ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 467 (ط : بيروت) .

113 – الإدريسي : المصدر السابق 58 .

– وبنو وارث (بنو وارثن بالبربرية) يوجد أثرهم بجهة بجاية ويعرفون بمشتاهم (آيت وارث وأعلي) وقد أشار البكري (114) الى فرع منهم في الطريق بين تامدلت وأودغست ثم في الطريق من درعة الى الصحراء . وهم هنا مندمجون في اطار أبناء عموماتهم صنهاجة اللثام .

– بنو عمران على مقربة من بجاية هم من صنهاجة أيضا ، وهم في دوار ابرارين ومنهم في قرية الاربعاء وقرب برج منايل ، أما بنو عمران الجبالية والسفلية فهم قرب مرسى جيغل غير بعيدين عن مضارب كتامة .

– ومن فروع صنهاجة الباقية فرع بطيوة ، وآثاره توجد قرب مدينة أرزيو ناحية وهران بالاضافة الى قرية وقبيلة بهذا الاسم في نفس الجهة ، ويبدو أن فريقا منها هاجر الى تونس للرباط ، حيث عثرنا على اسم محرس بطوية ضمن محارس ورباطات مدينة صفاقس ويعتبر هذا المحرس أهمها ، ويشتمل على منار فريد للكشف يصعد الى قمته بعد مائة وست وستين درجة (115) كما أشير الى مضارب لهذه القبيلة قرب اقليم تكور (116) .

وترغة (تاركة ج توارك ، توارق) من بقايا صنهاجة اللثام وآثارها في جبل الهقار في المغرب الاوسط ومن كبرى قواعدهم الآن تامنراست ويحتفظون حتى اليوم باسم التوارق وبهم فيما يبدو سميت مدينة ترغة وهي في مجال اقليم سجلماسة وأقدم منها لكن بتمصير سجلماسة 140 هـ خلت ترغة ، كما اقترنت مدينة زير أيضا بعمارتها وتمصيرها (117) .

– وقبيلة جزولة هي الاخرى توجد بقاياها في جهات من المغرب الاوسط ويدل عليها شيوع لقب الجزولي ، وإشارة الجغرافيين والرحالة الى وجود جبل باسم جزول أو كزول تقع عليه أو في سفحه مدينة تاهرت (118) .

114 – المغرب 157 ، 164 وبين تامدلت وسجلماسة احدى عشرة مرحلة . وبينها وبين اودغست اربعون مرحلة وبين اودغست والقيروان مائة مرحلة وعشر انظر 159 منه .

115 – البكري المصدر السابق 20 .

116 – نفسه 94 .

117 – نفسه : 148 . عبد الجليل الطاهر : المرجع السابق 89 – 90 وقد اشار الى ان معنى كلمة التوارك ، الذين تركوا عبادة الله وأعرضوا عن دينه ، وقد يكون معناها ، شعب الرمل ، وقد تكون القرابة بينهم وبين شعب الجارامت القديم في منطقة جرمة وهي مدينة فزان العظمى – انظر البكري 13 ، 167 .

118 – نفسه 66 .

– ووانوغة من فروع وبقايا صنهاجة أيضا قرب الجزائر ، وقد اندمجوا في احدى القبائل ومنها قبيلة بني مكلا قرب قرية يسر ، واليهم ينسب بعض الفقهاء والعلماء وأهمهم الوانوغي شارح المدونة في الفقه المالكي . وتذكر بهذه القبيلة كتلة جبلية حول مدينة سور الفزان تعرف بجبال وانوغة . ومتنان (متنه) تضرب عشائرها بقرب قرية عين بسام (ولاية تيطري) ويوجد فرع لها هاجر في ظروف غير محددة في الطريق الذي يربط بين طنجة وسبتة ، ويحتفظ بنفس الاسم التاريخي القديم (119).

– وفرع مزغنة من صنهاجة كان يضرب حول الاخضرية ، ومدينة الجزائر ، قبل تأسيسها ولذا أخذت المدينة نفس أسم القبيلة ، وعرفت عند الرحالة بجزائر بني مزغنة (مزغناي أو مزغنان) ، وتندمج مزغنة في قبيلة بني سليمان الشراقة ، مع احتفاظها بالاسم القديم ، وتضرب الآن على ضفة وادي يسر غير بعيد عن قرية الاربعاء (120) .

وفرع ملوانة (ايلوانة باللهجة المحلية) من صنهاجة ، ويوجدون – قرب مدينة الجزائر – وفي أرضهم توجد حمامات معدنية طبيعية للاستشفاء تعرف بحمامات ملوان .

ويوجد فرع بني حميد ، في اطار قبيلة يسر الغربي شرقي الجزائر وربما فرع بني عثمان أيضا . أما بقايا بني سليب فأثارها في ناحية قالمة من مضارب كتامة ، كما أن فرع مليانة على العدوّة الشرقية لنهر شلف وفرع لمدينة في جبال التيتري والزناكة في تلمسان وبني دركول بناحية زمورة قرب مدينة غليزان ، وبني زروال (بني زرويل أحيانا) بقرب البيض في الصحراء الغربية من بقايا صنهاجة الشمال ، والى بني زرويل ينسب أبو الحسن علي بن أحمد مصباح وهو الفقيه الزرويلي الذي يعتبر أحد مصادر كتاب « تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر » لمحمد بن أحمد العقبيّ التلمساني .

أما بنو الفلظ ، وبنو دراج قبيلة الشاعر احمد بن دراج القسطلبي ، فيمثلون فروعا من صنهاجة الشمال التي استقرت في بيئة الاندلس (121) .

119 – نفسه 108 بقرب نهر اليان ، وعلى هوامشي أرض غمارة ومصمودة .
120 – البكري المصدر السابق 82 أنظر الاستبصار لمجهول : 132 ، ويلاحظ انها ربما حرفت عن كلمة ايمازيغن اي امازيغ (انظر :

A. Benachenhou : Op. Cit., p. 156, n° 1.

121 – ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 412 ، 414 ، 314 ، (ط : بيروت) الاديسي : المصدر السابق 58 ، البكري : المصدر السابق : 90 ، 108 ، 148 ، 157 ، 164 ، ابن حزم : المصدر السابق 466 . ابن منصور الرجوع السابق : 330 وما بعدها احمد الكناسي : أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب 87 .

ويلاحظ أن بعض فروع صنهاجة احتفظت بالاسم العام للقبيلة وهو :
صنهاجة اشعارا بأصلها القديم ، واعتزازا به ، ومن هذا القبيل فرعان :
فرع في المنطقة بين عنابة وسكيكدة ، على عدوتي الوادي الكبير ، كما
توجد أيضا محطة باسم صنهاجة قرب عنابة . أما الفرع الآخر فيضرب
حول وادي يسر ، جنوب شرقي مدينة الجزائر .

ويظن أن أسرة ابن باديس باعث الحركة الاصلاحية السلفية في المغرب
الايوسط من بقايا قبيلة صنهاجة الكبرى .

والذي يستخلصه الباحث من كل ما سبق عن فرع البرانس :

— الكثرة العددية الظاهرة بالنسبة لمجموع قبائل المغرب ومظاهر الغنى
والعمران ملحوظة في بيئتهم ، باستثناء سكان الجنوب .

— وقد قامت معظم قبائل البرانس بتمثيل أدوار سياسية رئيسة في
المنطقة وفي خارجها .

— ويبدو أن أكبر كتلة للبرانس في عصرنا ، توجد مضاربها في نطاق
المغرب الاوسط بل ربما كانت كذلك قبل هذا الوقت .

— ومحبة آل البيت وتأييدهم ، ودعم قضية الشيعة الفاطميين ، ظاهرة
بارزة في مجموعهم ، وارتبطت بالعصبية القومية وبالشرف .

— ويلاحظ أن الاستعراب في بيئتهم — رغم بقاء جيوب تحتفظ بلهجاتها —
يكاد يكون كاملا .

— أما أخذهم ببعض شعارات العرب ، في البداوة ، فقد لاحظته بعض
المؤرخين والجغرافيين فابن خلدون أشار الى بعض القبائل البربرية التي
تبذت بعض فروعها بتأثير مجاورتها لبدو العرب حتى نسوا رطانتهم
الأعجمية .

أما الادريسي فلاحظ أن قبائل العرب كصنهاجة تبربروا بالمجاورة
للبربر .

ومثله البكري فيما نقله عن ابن عذارى من أن زناتة عرب صراح تبربروا
بالمجاورة والمجالبة للبربر (122) . وهكذا فالحياة المشتركة فرضت تأثيرا
متبادلا بين الحيين العربي والبربري ، ولم يقتصر على فرع البرانس . بل
شمل البتر أيضا .

122 — ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 204 (ط. بيروت) الادريسي : المصدر السابق
35 . ومنه نستنتج كيف صار الفريقان جنسا متكاملًا . ابن عذارى : المصدر
السابق 1 ، 283 .

— كما يلاحظ أن البقايا التي تمثل كتلة البرانس ، منتشرون بكثرة في جهات المغرب الاوسط .

— وكثير من مدن البرانس وحواضرهم في الداخل وعلى الساحل مازالت تمثل دورا رئيسيا في حياة البلاد السياسية والاقتصادية .

وكل ما لاحظناه يبدو انه مطابق تماما ، وبنسبة مرتفعة على واقع قبيلة كتامة وفروعها ، التي لم نشر اليها حتى الآن ، لأنه يجب أن نوليها كثيرا من العناية فيما يأتي من حديث (123) .



أما كتامة فهي مجموعة قبائل مستقرة تنتمي الى فرع البرانس ، حسب التقسيم التقليدي للمجتمع الأمازيغي .

وهي مثل غيرها ، من قبائل الجهة في نظر نسبة البربر ، سميت باسمها ، نسبة لجد أعلى لسائر فروعها ، ربما كان اسمه « كتام » وقد يكون « كتم » والافتراضان معا مطروحان عند النسابة المحليين .

وكتام ، أو كتم ، هو ابن برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام .

ويفترض النسابة ان له فرعين هما :

غرسن — ويسوده (124)، ومنهما تناسلت كل بطون كتامة المعروفين عند المؤرخين (125) وعلى هذا الرأي فهم عناصر محلية أصيلة ، وقد ارتبطوا بهذه البلاد وعرفوا على أديمها منذ فجر التاريخ . ولم تأت بهم الهجرات البشرية ، التي كان شمال أفريقية مسرحا لها بواسطة عدة مراكز في العالم القديم ، وان لم يسلموا فيما بعد مثل غيرهم من سكان بلاد المغرب ، من

123 — لم نشر الى مصمودة ، لأنها من برانس المغرب الأقصى ، ولا علاقة لها بالموضوع ومصمودة حلف كبير تنتظم حوله قبائل شتى تكون في مجموعها سكان المغرب الأقصى الجبليين الذين احتفلوا بعزلتهم وهي قسمان : مصمودة الشمال وهم غمارة في الريف ومصمودة الجنوب ، في جبال دون على ساحل المحيط : وهذه تشتمل على حاحة ورجراجة وصادة وهتاتة وهيلانه وربكة وتينمل وهرغة وسكان تامسنا (بين نهري سلاوam الربيع) الأخدين بنحلة برغواطة . انظر ابن خلدون — العبر 6 ، 427 — 437 حيث يجعل برغواطة من الجيل الاول . حسن محمود المرجع السابق 34 — 35 .

124 — مفاخر البربر (لجهول) 51 ، ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 301 (ط. بيروت) M. Talbi : L'Emirat aghlabide : P. 595.

125 — E.I. (Art Ketama) T. II, p. 909, De Slane ; Histoire des Berbères : — T. 1, p. 292.

عناصر طارئة اختلطت بهم واندمجت معهم بحكم المصاهرة أو الحلف ،
أو طول الجوار .

وقد ورد في بعض النصوص التاريخية مصطلح « بني كتامة » الذي قد
يشعر الى حد ما بميل لتأييد فكرة بنوة فروع كتامة لجد أعلى هو كتام ،
أو كتامة كما جاء في هذا المصطلح (126) .

وهناك اعتبار آخر لتوضيح سبب تسمية كتامة باسمها المشهور يمكن
أن يشار اليه هنا ، وهذا الاعتبار في نظر دعاة الاسماعيلية في المنطقة هو
الكتمان اذ زعم أبو عبد الله الداعي أمام ملا من وجوه كتامة ، أن اسمهم
مشتق من الكتمان (127) .

والكتمان فضلا عن كونه مبدا أساسيا عند الشيعة الاسماعيلية ،
وغيرهم . وقد أراد الداعي أن يعرف به رجال كتامة ، هو اتجاه الساعة ،
وقد كان غرض الداعي أن يوحى الى القوم بما يطلبه منهم ، ويفرضه
الاتجاه الجديد ، وما يجب عليهم الالتزام به في مثل هذه الفترة الدقيقة
من حياة الدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب .

ومما له علاقة ما باسم كتامة ، مصطلحان هاما ، ورد أحدهما عند
مؤرخ مغربي مشهور ودرج الثاني على السنة العامة في أكثر من جهة في
بلاد المغرب الأوسط . وله أصل اشتق منه ، معروف في اللغة العربية .

فأما الأول فهو كلمة « الكتيم » (128) التي وردت لأول مرة ، عند ابن
خلدون وقد تفرد بها عن سائر من أرخو للمغرب ، لتكون علما على سكان شبه
جزيرة ايطاليا من اللاتين ، وذلك أثناء حديثه عن علاقة القرطاجيين
بالرومان ، في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، وما نتج عن
صراعهما في نهاية الأمر ، من تخريب قرطاجنة 146 ق م ، ثم إعادة بنائها

126 - الفلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب 405 ط القاهرة 1959 تحقيق
البياري ، ونص ما جاء فيه « بنو كتامة ، بطن من البرانس من البربر وهم بنو كتامة
بن برنس بن بربر » ابن منظور : لسان العرب : انظر 412 (فصل الكاف ،
وحرف الميم) امبرتوريزيتانو : تاريخ الادب في صقلية 53 حسن ابراهيم حسن :
النظم الاسلامية 80 : القرظي : اتماف الحنفا 1 : 55 هامش 1 ط 1967
M. Talbi : Op. Cit., p. 594. E.I., (Art Mahdi) : T. 3, p. 125-126.

127 - ابن الاثير : المصدر السابق 8 ، 12 .

128 - ابن خلدون : المصدر السابق 2 ، 398 ، 402 - 404 - وقد حرفت الكلمة في
(ط. بيروت) : الكتيم . ويلاحظ أن المصطلح لم يأت عند السعودي رغم أنه تحدث
عن تاريخ الرومان والروم - انظر مروج الذهب 1 ، 315 وما بعدها ط . 1965
بيروت .

في وقت لاحق ، على أيدي الرومان أنفسهم . ونص كلامه « الخبر عن فتنة الكتيم ، مع أهل أفريقية ، وتخريب قرطاجنة ، ثم بنائها على يد الكتيم ، وهم اللاتينيون » .

ويبدو ان العلاقة بين اسمي كتامة والكتيم، هي فقط في وحدة الاشتقاق وفي تشابه الحروف ، لأن ابن خلدون عندما فسر في كلامه ما يقصده بكلمة الكتيم ، لم يترك مجالاً لافتراض آخر . وقد أشار الى كلمة « الرومانيين » ، أثناء حديثه عن طابع العلاقة الثانية بين روما وقرطاجنة ، وهذا ربما يشعر بأن كلمة الكتيم عند ابن خلدون ذات دلالة شاملة لسائر سكان شبه جزيرة ايطالية بما فيهم عنصر الرومان .

اما المصطلح الثاني فهو كلمة « قطيم » التي تبدو في الظاهر ، ودون اعتبار الفارق الشكلي في رسم أوائل الحروف ، أقرب لكلمة (الكتيم) .

وقطيم ، في عرف العامة تعني مدلولاً سيئاً ، ينصرف لنوع من السلبية والسلوك الفردي غير السوي ، بحيث لا يذكرها العامة ، الا عندما يكون أحدهم في سورة غضب على غيره بسبب كونها مستهجنة وتنبو عن السمع ، والدوق فهل هي نفس كلمة « كتيم » وقد نالها التصحيف بواسطة النطق الشعبي ؟ وقد ترسبت في المنطقة بسبب علاقاتها بالرومان ، في جملة ما ترسب عن هذه اليهود ، ونظراً لكراهية السكان لهم ولكل دخيل أطلقوها على من لا ترضى سيرته من السكان ، وبطول العهد اكتسبت الكلمة معاني جديدة تدور كلها حول الأخلاق الفردية . أو انها كلمة مصغرة لكتام جد كتامة ، وقصد بذلك التحقير ؟ وقد أطلقها على قبيلة كتامة ، أعداؤها تنقيصاً من سمعتها ، لأنها أخذت بمذاهب يعتبرها جمهور السكان شذوذاً وانحرافاً ، أو لما أشيع عن بعض فروعها من انتشار عادات خاصة بينها تخالف عادات مجموع السكان .

أما في ميدان اللغة فالفرق واضح بين كلمتي : كتيم ، وقطيم ، فمعنى الأولى أن شيئاً معطلاً عن أداء وظيفة ما ، فالجمل الذي لا يرغو ، والقوس التي لا تشق كلاهما كتيم في المعنى اللغوي . أما الثانية فتعني الميل الى الشهوة الجنسية ، وحب الاهتياج فكل مشتته شيئاً ما ، فهو قطم أو قطيم ، وكل ما لا يؤدي ما هو مهياً له عادة فهو كتيم والمدلولان معا يعبران عن العجز ، اما عن ضبط النفس ، أو عن أداء الوظيفة . وكلا الأمرين غير محمود في الناس ، ومن ثم فكلتا الكلمتين كتيم ، وقطيم ذات أصل عربي فصيح .

واطلاق احدهما وهي الكتيم على اللاتين يبدو انه مصطلح خاص لمؤرخ من المؤرخين واطلاق الثانية على غير ممدوح الفعال اطلاق في محله من

الناحية اللغوية وقد خص بها فريق كتامة ربما من طرف أعدائهم والمتكبرين لفضلهم كما أشرنا .

وآخر الاعتبارات في محاولة تفسير اسم كتامة تتمثل في توضيح الصلة بين كلمة كتامة العربية من جهة وكلمتي (Ucutamii) أو Ucutumani اللاتينيتين من جهة أخرى، وقد وردت في بعض النقوش اللاتينية التي ترجع إلى العصر البيزنطي وتدل على وجود مجموعة من سكان قبائل جنوب منطقة جبل بابور ، يعيشون في إطار نظمهم المحلية وتحت سلطة أمير منهم ، وهذه المنطقة في نفس مضارب قبيلة كتامة .

وقد ورد شبيه لهذه الكلمة عند بعض مؤرخي وجغرافي الإغريق ومنهم بطليموس القلوذي فيما يبدو ويعتبر بعض المؤرخين الأوربيين أن «الاكوتوماني» هم أصول قبيلة كتامة (129) .

ويلاحظ ان هذا النقش عثر عليه في فج فيدول (Col de fedoules) الذي يقع بين ميله وجيجل أي في بيئة كتامة الأصلية (130) وبين حواضرها الكبرى .

ويبدو قياساً على أخذ العرب لكلمات أجنبية قديمة ومنها أفريقية وطبنة ، ومقره ، وطرابلس ، واتطابلس ، وغيرها أن كلمة الاكوتوماني ، وهي صيغة جمع في اللغة اللاتينية ، هي نفس الكتامين في العربية وقد تصيد المؤرخون والرحالة المسلمون كلمة كتامة منها ، كما تصيدوا كلمة بربر ، وشاعت في كتاباتهم وأصبحت ذات طابع عربي وتلمسوا لها بعد ذلك أصولاً نسبية كعادتهم وصرفوا النظر عن أصولها الأجنبية الأولى ، عند الأمم التي سبقتهم في هذه البلاد .

أما الرواية الثانية الخاصة بأصل كتامة. فهي رواية النسابة والمؤرخين العرب (131) ومنهم الطبري وابن الكلبي ، وتنسبني على أساس أنهم من أصل عربي حميري جاءوا ضمن الجيش ، ثم ترسبوا في المنطقة نتيجة تدبير

129 - Chr. Courtois : Les Vendales et l'Afrique. P. 121. M. Talbi : Op. Cit., p. 594.

130 - E.F. Gautier : Op. Cit., p. 339.

131 - ابن خلدون المصدر السابق 6 ، 301 الطبري . المصدر السابق 1 ، 105 - (ط. بيروت) : القلقشندي : المصدر السابق 405 ابن منظور : المصدر السابق والصفحة ، السمعاني : كتاب الأنساب 356 عمر بن رسول : طرفه الأصحاب 12 . H.R. Idris : Op. Cit., p. 6. الفريري : البيان والاعراب عما بأرض مصر الاعراب 50-51 وهنا يشير إلى أنهم من أبناء فيدار بن اسماعيل ، وهي رواية جديدة .

خاص ، بعد نجاح الحملة التي قام بها أحد ملوك التبابعة ضد المنطقة وهو اما افريقش بن قيس بن صيفي ، واما افريقش بن أبرهة ذي المنار ، الذي مهد البلاد فسميت باسمه ومعنى هذه الرواية أنهم طارتون على المنطقة اتت بهم الهجرة الحميرية والحروب وبقوا في المنطقة بجوار سكانها لمراقبتهم وحفاظا على المكاسب السياسية التي تحققت على يد أحد ملوكهم ، ومن يومئذ وهم في أرجاء البلاد يملكون ما ملكوه فعلا بحق الفتح ولا يستبعد أن تكون قد وفدت عليهم هجرات أخرى ، دعمت جانبهم في البلاد ربما يؤيدها أن الرواية تشير الى عدة حملات تنسبها لكثير من ملوك التبابعة ، وعلى ذلك فلا يستبعد توارد موجات بشرية أخرى .

ويطول العهد ، اندمج هؤلاء المهاجرون في السكان ، واختلطوا بهم عن طريق المصاهرة والولاء أو الحلف وضاعت فكرة اعتبار الأصول الأولى ، إلا من ذاكرة النسابة والمؤرخين .

أما ابن خلدون فقد اعتبر حملات التبابعة ضد بلاد المغرب ، من الأخبار الواهية ومن القصص ، والأحاديث الموضوعة لسببين :

أحدهما ، بعد المسافة بين بلاد اليمن والمغرب . وثانيهما تعذر وصول ملوك - اليمن ، الى هذه البلاد التي تفصلهم عنها بحار ، وعوالم برية وأنظمة سياسية قوية دون أن يضموا هذه المناطق ، أو يذكر عنهم أنهم اصطدموا بحكام هذه البلاد وبسكانها أو اتفقوا معهم على حرية العبور ، وعلى تسهيل التموين (132) .

وإذا تأكد هذا حسب رأي ابن خلدون تسقط رواية أن بعض سكان البلاد من عرب حمير ، وقد بقوا في المنطقة ويبقى بعد ذلك البحث عن أصل قبيلتي كتامة وصنهاجة في إطار البحث عن أصل بقية اخوانهم سكان المنطقة كلها ، إذ الجميع في نظره ذوو رحم ، وأصول واحدة (133) .

وابن خلدون في هذه الآراء يبدو أنه متأثر بآراء ابن حزم الأندلسي لأن هذا الأخير يعتبر رواية حملات التبابعة في بلاد المغرب ، من أكاذيب مؤرخي اليمن وقد نقل عن هؤلاء غيرهم من ذوي النزعة القحطانية ومن ثم شاعت من باب المبالغة والتفاخر أسطورة الفزوات الحميرية حتى في بلاد الصين .

وميزة هذا النسابة الأندلسي ، أنه نبه الى حقيقة أخرى : هي الشك في نسب التبابعة ، ووجود الخلط في تاريخهم والمبالغة غير المقبولة في تصوير

132 - ابن خلدون : المقدمة 16 - 18 ، هنري بريس : المنتخب من المقدمة وكتاب العبر 18 - 19 .

133 - نفسه 6 ، 192 هنري بريس : المصدر السابق 82 .

أعمالهم ، للدرجة يصعب معها تمييز شيء يتصل بهم وقد عبر عن هذه الحقيقية بقوله « وفي أنسابهم اختلاف وتخليط ، وتقديم ، وتأخير ونقصان وزيادة ولا يصح من كتب التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير لاضطراب الرواة وبعد العهد » (134) .



وضبط كلمة كتامة له نوع من الأهمية بسبب أن أغلب الباحثين ينطقها بالكسر مثل صنهاجة ، والقليل من الباحثين ينطقها بالضم مثل غمارة .

ويظهر بعد تصفحنا لكثير من كتب اللغة والأنساب أن الضم هو النطق الصحيح وبه أخذ الباحثون القدماء . وهو الشكل المناسب لصيغتها اللاتينية التي جاءت في النقوش (Ucutamii) بل أن بعض اللغويين والنسابة لا يكتبون فقط بالتحريف بها كقبيلة ضمن قبائل المغرب بل يشيرون إلى كيفية نطقها تفصيلا رفعا لكل لبس ، واتفاء للتحريف في النطق .

فالسبعاني يذكر في ضبط الكتامي - أنه « بضم الكاف ، وفتح التاء ، والنسبة لكتامة ، وهي قبيلة من البربر ، نزلت ناحية من بلاد المغرب » ومثله ابن منظور في « اللسان » ، والفيروز بادي في « القاموس » وعمر بن يوسف بن رسول في « الطرف » والسيوطي في « لب اللباب » .

وعلى أساس الضم ضبطها أغلب الباحثين الأوروبيين ومن ثم كتبت (Ko-ku) أما القلة منهم ، ومن غيرهم فنطقوا بها بالكسر ، قياسا على جواز ذلك في غيرها (135) ومهما يكن ضبط الاسم . فإن المؤرخين الذين كتبوا عن كتامة كقبيلة وصفوها بالشهرة بين القبائل ، وبالكثرة العددية ، وبقوة اليأس والأصالة في الملك ، والتعكن من أساليب الحضارة ، ثم الاعتزاز بالأصل والامتناع في حمى البيئته عن الطواريء وعن العناصر الأجنبية ، اكتفاء بالحياة الاجتماعية التقليدية واحترازا من تحكم الغير فيها واخضاعها للمفارم والأحكام .

ويشير ابن خلدون إلى أنها كانت قبل الإسلام تنتشر في جهات من بلاد المغرب كلها . وهذا الرأي ان صح ربما يفسر إلى حد ما بقاء جيوب كتامية في غير أرض أفريقية والمناطق الشرقية من أرض المغرب الأوسط الآن ،

134 - ابن حزم : المصدر السابق 411

135 - السبعاني : المصدر السابق 474 ، السيوطي : لب اللباب في تحرير الأنساب

219 ، الزركلي الأعلام 6 ، 71 ، عمر بن رسول : المصدر السابق 12 ط . دمشق

E.F. Gautier : Op. Cit., p. 350-51 sq. ، 1949

E.I. (Art Kabyles) : T. 2, p. 638.

حيث مضاربهم الأصلية التي اشتهروا بها منذ عصر الفتح الاسلامي (136) حتى وقتنا الحاضر .

ويضيف ان بقاياهم بعد « تغريبة » كتامة الى مصر ، وبلاد الشام ، كانت موجودة في الجبال والبساتن بعضها ظل محتفظا باسمه القديم والبعض الآخر افتتن فقير اسمه ، وانتحل غير نسبه .

وبينما احتفظ الجبليون بتمنعهم عن أوامر السلطة . بعزمهم القديم خضع سكان السهول ، للجبايات ، وطبقت عليهم الأوامر المخزنية .

ومن الفريق الاول سكان جبل بني زندوي ، وجبال جيجل ، وزواوة . ومن الفريق الثاني مجموعة قبائل سدويكش (137) .

وحدود منطقة كتامة - كما رسمها ابن خلدون في عصره « تنتهي عند بجاية غربا ، وعند كتلة أوراس جنوبا ، الى سيف البحر عند بونة شمالا ، ويجعل ذلك في قوله « من حدود جبل أوراس الى سيف البحر ، ما بين بجاية وبونة » .

وعيب هذا التحديد ، أنه يترك الحد الشرقي لمنطقة كتامة دون توضيح كما يجعل منطقة زواوة خارجة عن الاطار ، مع أنه يقرر هو نفسه ، أن زواوة جزء من كتامة . ويعني ذلك أن ما بين هذه الحدود التي عبر عنها ابن خلدون « بأرياف قسنطينة » هي مجالات كتامة ومضارب فروعها المختلفة منذ عصر الفتح حتى القرن الثامن الهجري . وينبغي أن نلاحظ بالنسبة لموضوع حدود كتامة ، أن وفد الحجيج الكتامين ذكر للداعي الشيعي ، أن حد بلادهم خمسة أيام طولا ، وفي ثلاثة أيام عرضا ، كما وصفوا الأمصار القريبة منهم ، وهي بلزمة وسطيف وميلة بأنها على حدودهم (138) . أي أن مجال كتامة على هذا التحديد أصبح أقل اتساعا مما ذكره ابن خلدون .

ويمكن تحديد امتداد منطقة كتامة شمالا بخط وهمي على الساحل يبدأ من نقطة ما قرب مرسى الخرز (القالة) الى ماوراء مرسى تدلس في أرض زواوة (139) .

136 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 301

137 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 302 - 303 أبو الفنا المصدر السابق 1، 97، ط. مصورة عن طبعة الحسينية .

138 - النعمان بن محمد : افتتاح الدعوة : ورقة 30 خ مكتبة جامعة القاهرة ، ويذكر المستشرق رينيه باسيه نقاوس ، وبأغاية وتيجس ويلزما وسطيف ضمن مدن كتامة انظر : E.I. (Art Ketama), T. 2, p. 909.

139 - تعرف الآن بدلس ، وهي تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 100 كم .

وفيما بين هذين الحدين توجد موانئ : القالة وعنابة ، والقل وسكيدة وجيجل وبجاية ودلس .

أما الحد الجنوبي فيمكن اعتبار جبل أعالي الناس من سلسلة جبال الأوراس وهو بين مركز أنوغيسن قرب آريس ، وبو حمامة قرب خنشلة ، ثم جبال الحضنة الشرقية حدودا ينتهي عندها امتداد منطقة كتامة ، أما في جهة الشرق فالحد يبدأ في نقطة ما على الساحل قرب القالة ، ويمر عبر جبال النمامشة في اتجاه الجنوب تاركا تبسة ومسكيانة خارج الحد .

أما في الغرب فالحد يبدأ من نقطة ما على الساحل تقرب من دلس ثم ينزل بحذاء جبال تيتري ، حيث مضارب صنهاجة ، تاركا كتلة جرجرة التي تعرف بجبال زاوأة داخل مجالات كتامة وضمن فروعها .

وفي داخل هذا العمق توجد قرى زاوأة الجبلية ، ومراكز ومدن كتامة وهي :

قالة ، وسوق أهراس ، وسطيف وايجان ، وميلة ، وقسنطينة الهواء .

هذا عدا القرى الجبلية والسهلية والقصور المنتشرة هنا وهناك (140) ويتضح من هذا التحديد التقريبي لمجالات كتامة :

إنها ذات حدود ساحلية تشرف على البحر ولها عليه عدة موانئ معتبرة تكفل لها الاتصال بالعالم الخارجي ، وبالمراكز الحضارية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فلم تكن من هذه الناحية تعيش في عزلة كالتي تفرضها عليها حدودها البرية ، التي تتضمن كتلا جبلية وهضابا هي النمامشة ، وأوراس والحضنة . وتحتضن بيئة كتامة كتلة جبال شمال قسنطينة وبابور وتابابور وتجاورها كتلة جرجرة ، ومعنى ذلك أن بيئة كتامة وبعض حدودها تشتمل على مراكز عزلة وأماكن نائية ، وتستعصي عن يرومها وتفرض سيادتها الكاملة عن يسكنون حولها ، وتفلي فيهم إلى جانب روح العزلة ، روح التمرد أيضا وهذا ما قصده المؤرخون من قولهم أن هذه القبيلة تحرص على تقاليدها وتأبى الضيم ، وتمتنع عن الخضوع للسلطة .

ويصح نظرا لما لاحظناه من كثرة الكتل الجبلية حول أرض كتامة وفي داخلها أن نقول أنها بيئة جبلية في مجموعها (141) .

140 - من بيئة كتامة ، ومميزاتها . وفروع زاوأة في منطقة جرجرة انظر : E.F. Gautier, *op. cit.*, p. 338-39.

Ibid, p. 341. - 141

ولا تتوفر لهذا السبب الا على نسبة ضعيفة من السهول العالية الضيقة .
ومع ضيق السهول ، فالطبيعة تجود بالامطار الغزيرة ، ولذلك اشتهرت
سهول عنابة وسكيكدة وسطيف ، بالخصب ، وبانتاج أجود الحبوب والفواكه
والكروم ، والحوامض وتربية الفصائل الجيدة من المواشي .

اما المناطق الجبلية التي تتلقى كميات كبيرة من الامطار والثلوج فان
اهميتها تظهر في الثروات النباتية والمعدنية ، وتمثل الاولى في الغابات التي
تغطي مساحة كبيرة من شمال المغرب الأوسط ، وأهم انواع الاشجار هي :
الفلين : (Chênes lièges) . الذي يكثر خاصة في مناطق جيجل ،
وبجاية والقالة وسكيكدة وعنابة والقل وجبال زاوية « جرجرة » وتقوم
معامل لصنع السدادات وغيرها في كثير من مدن المنطقة وتبلغ نسبة انتاج
المنطقة نحو 85٪ من مجموع انتاج البلاد كلها وتليها اشجار الصنوبر البحري
والحلبى في منطقة جيجل ورأس بوقرعون وهو يوفر مادة هامة في البناء
وفي بعض المصنوعات لا سيما الصمغ الذي يدخل في صناعة الصباغة ،
ويستخدم من الصنوبر ، الأعمدة التي تحمل الاسلاك الكهربائية .

وتوجد غابات أشجار البلوط (Chênes verts) أيضا في جبال بابور ،
والأوراس كما توجد اشجار الارز (Cèdres) في جرجرة وبو طالب
والأوراس ، ونبات الحلفا يوجد في منطقة البيبان ، وفي اشراف الحلفا في
منطقة أوراس وفي دائرة تبسة التي توجد على هامش منطقة كتامة ، وأشجار
الزيتون تغطي مساحة كبيرة من جبال زاوية كما توجد في قالة وسكيكدة
ايضا وهما من مدن كتامة .

وتستغل غابات الجهة في استخراج الفحم والاشباب والاعشاب التي
تدخل في تركيب بعض الأدوية .

وتتوفر منطقة كتامة ايضا على انتاج ضخيم من الحبوب . وأقاليم
الحبوب هي نواحي سطيف ، وقسنطينة ، وقالة ، وسوق أهراس ، ويظفر
اقليم قسنطينة بالدرجة الاولى في انتاج القمح ويقل انتاجه في الكروم ،
ومناطق غرس الكروم هي حوض وادي الصفصاف في منطقة سكيكدة ثم
سهل عنابة .

وتنتشر اشجار التين في جرجرة وفي بجاية . كما تنتشر الحوامض في
عنابة وسكيكدة وبجاية أيضا (142) .

ويلاحظ ان التين المجفف ، وزيت الزيتون والخمور ، والحوامض .
سلع تصدر الى الخارج .

142 - عبد القادر حليني : جغرافية الجزائر 89 وما بعدها .

وأهمية المناطق الجبلية في كتامة ، تظهر أيضا في وجود كثير من المناجم المستغلة . وأهم المعادن في الجهة ، الحديد والفوسفات والنحاس والرصاص والزنك واللازورد الجيد ، والجص ، كما يصاد المرجان في بعض سواحلها . وقد لاحظ الرحالة والجغرافيون الذين زاروا المنطقة وجود بعض هذه المعادن منذ عصر قديم (143) .

وهكذا نلاحظ : ان مجالات كتامة غنية بالمعادن غناها بالغابات وبالثروات النباتية والحيوانية وبالمواني الهامة التي تضمن حركة التصدير ، والاتصال بالخارج .

وينبغي في هذا المجال ، أن نشير الى ملاحظات ختامية عن بيئة كتامة ومميزاتها وأولها :

— ان الطبيعة الجبلية الوعرة للمنطقة هي الظاهرة السائدة ، لهذا فالسكان يتصفون عموما ببعض خصائص سكان البيئة الجبلية ، من فقر ، وضيق أفق وعزلة عن التيارات ، ومحافظة على القديم .

— وتعتبر المنطقة قليلة الثروة والغنى ، لهذا السبب ، اذا قيست بمصادر الثروة الطبيعية والصناعية في غرب البلاد (الجزائر) .

— ومنطقتها تعتبر أكثر ازدحاما بالسكان من غيرها . ومنطقة زواوة هي النموذج الأول للمناطق المزدحمة في كامل البلاد (الجزائر) .

— وقد لعب موقعها الجغرافي ، وقربها من افريقية (تونس) والشرق نسبيا دورا كبيرا في توجيهها الثقافي والروحي . فانتشر الاسلام ومظاهر الحضارة العربية منذ وقت مبكر ، بحيث يصح اعتبارها اكمل استعرابا من وسط البلاد يستثنى من ذلك منطقة زواوة ، التي لم تتمكن حركة الاستعراب فيها ، لصعوبة البيئة وعزلتها ، بسبب كتلة جبال جرجرة .

— ومنطقة كتامة تدخل في اطار اقليم نوميديا بمفهومها الواسع . وحسب آخر التقسيمات الرومانية ، أصبحت في اطار موريطانيا السطيفية ومركزها سطيف ، وهي على صلة قوية بسيرتة (قسنطينة) وعن طريقها تتلقى التأثير . ويمثل وادي امزاقة ، (الوادي الكبير) الذي يمر بجوار قسنطينة ويصب في البحر ، في مجالات كتامة دورا كبيرا في جعل منطقة كتامة أكثر احتكاكا بالعناصر الاجنبية ، وبالتيارات الخارجية (144) ، وأكثر استعدادا

143 - البكري : المصدر السابق 82 - 83 الأديسي : المصدر السابق 69 ابن حوقل :
المصدر السابق 76 .

E.F. Gautier : Op. Cit., 341.

لصنع الاحداث وتوجيهها . ولا غرابة فالمنطقة انجبت في العصرين الوثني والسيحي ماسنيسا ، ويوغرطة وجوبا الثاني ، والقديس واغسطين والقديس دوناتوس الذين ارتبطت بهم اتجاهات الوحدة النوميديّة ، والمقاومة ضد الاجنبي والتفتح على التيارات الخارجيّة (145) ومعنى كل ذلك ، ان التربة في اقليم كتامة ، كانت صالحة للبذر ، وكان سكانها اُرَهف احساسا من غيرهم ، واميل لتقبل كل جديد ، ومن ثم لاحظنا ان سكانها كانوا ممن اخذوا بالاسلام ودانوا به ، بواسطة بعوث صغيرة ، ولم تطرقهم فيما يبدو الحملات الكبيرة .

ولم يؤثر أنهم ارتدوا عن الاسلام ، او نافقوا ، او ثاروا ضد دعائه ، وربما يساعدنا هذا على التعرف على بعض الاسباب الصحيحة لاختيار بيئة كتامة كمنطقة لجوء او مركز دعوة في العصر الاسلامي .



والرحالة المسلمون الذين اهتموا بمنطقة كتامة وخصائصها ، اشاروا الى وجود نبع في الجبال التي يوجد بقربها مرسى سببية ، اى في الطريق الساحلي الذي يربط بين جيجل وبجاية ، وهذا النبع لا يظهر ماؤه الا خمس مرات على عدد صلوات اليوم وفي نفس وقت الصلاة وعرف هذا النبع بسبب ذلك ، عين الاوقات (146) .

ويشير بعض هؤلاء الرحالة الى وجود عين بهذا الاسم في قلعة ايكجان (147) ينقطع جريانها في غير وقت الصلاة وبالنسبة لغير المصلين ايضا .

بينما ذكر بعض الرحالة ، شبيها لهذين النبعين في غير ارض افريقية وانما في جزيرة صقلية وبالتحديد في قلعة تعرف بشكلة (148) .

145 - الجيلاي : تاريخ الجزائر العام 1 ، 83 وما بعدها . الميلي : المرجع السابق 1 ، 131 - 163 : E.I. (Art Berbères) : T. 1, p. 716-717.

146 - البكري : المصدر السابق 33 وينسب القصة لاحد اطباء كتامة وهو ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي خالد . انظر 82 ، 83 منه الاستبصار (لجهول) 128 .

147 - القدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم 241 : شارل بلا : وصف المغرب 52 (مستخرج من القدسي) .

148 - ميشيل اماري : المكتبة الصقلية 156 - 157 (ط المثنى ببغداد) والنص من مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري ، الذي تلقى القصة بدوره من ابن منقذ سفير صلاح الدين الايوبي الى بلاط ابي يعقوب المنصور الوجودي ، وعن هذه السفارة انظر : الاستبصار (لجهول) 107 القرى نفع الطيب 4 ، 70 : 73 هامش 1 .

وفي مجال العادات والتقاليد ، نلاحظ أن الشجاعة وحماية الملاجيء ، وتوقير أهل العلم واکرام الضيف ، والثبات على المبدأ من أظهر صفات سكان كتامة منذ القديم (149) الامر الذي لم يخف على كثير من الرحالة والجغرافيين (150) .

والذي يلفت النظر أن بعض هؤلاء الرحالة ، انفرد برواية غريبة عن بعض عادات مالوفة في جهات من منطقة كتامة (151) ويقصد بذلك عادة تقديم الكتاميين أبناءهم لمن أراد من الضيوف والنزلاء لا يتمتع من ذلك أحد منهم ، مهما كانت منزلته والقصد من ذلك اظهار المبالغة في الكرم ، وأن يتلقى الصبيان الارادة الحسنة من النزلاء على حد ما رواه بعض هؤلاء الرحالة .

ويبدو أن رواية هؤلاء الرحالة تفتقر الى الاساس الصحيح ، ولا يوجد ما يبررها بين اناس اخذوا الاسلام ديناً ، وتفقهوا في مسائله والتزموا قواعده ، ولم يكن ينقصهم العلم بحرمة ذلك في الشرع لوجود علماء وفقهاء في بيئتهم ولا يجهلون أن ذلك مستهجن عادة ومخالف للذوق وللأخلاق السليمة .

وإذا فرض ان ما قيل ، يتضمن شيئاً من الحقيقة ، وانه ربما يرقى الى عادات قديمة قبل الاسلام ربما جلبها بعض المهاجرين من اقليم وجزر البحر المتوسط الذين عرف عن بعضهم بيع الاولاد لسداد الديون ، فلا داعي للإشارة الى ذلك كعادة خاصة ببعض السكان في أرض كتامة .

هذا بالإضافة الى أن الشذوذ ظاهرة اجتماعية مرضية ، لم تسلم منها كل شعوب العمورة ، ولا يصح في المنطق السليم ، أن يقال : أن هذه الظاهرة المرضية تنتشر فقط بين هؤلاء السكان في هذا المكان وتنعدم فيما سوى ذلك .

والاعتبارات التي تضعف هذه الرواية كثيرة نقتصر منها على أهمها :

(1) وفي المقدمة يلاحظ الباحث أن المؤرخين بدون استثناء حتى الذين اشتهروا منهم بقلّة الضبط والتحري ، لم يشيروا الى هذه الظاهرة اطلاقاً ، في معرض حديثهم عن البربر ، وعن منطقة كتامة .

149 - ابن خلدون: المصدر السابق 6 ، 207 ، 211

150 - البكري : المصدر السابق 82 وما بعدها .

151 - الأدريسي : المصدر 70 ، القزويني : المصدر السابق 163 - 164 : ابن حوقل : المصدر السابق 91 وما بعدها .
M. Talbi : Op. cit., P. 598.

ولو وجد شيء من هذا القبيل لما أهمله مؤرخ البربر المشهور
عبد الرحمن بن خلدون اثناء تعرضه لعادات البربر وتقاليدهم التي
تقاصها في فصل كامل ذكر فيه خاصة أنهم اشتهروا بالتدين وباقامة
رسوم الشريعة وتوفرت بيئتهم على علماء ونبهاء .

(ب) كذلك لم يشر الى هذه العادة ، من بين الرحالة على كثرتهم غير
الادريسي الحمودي وابن حوقل ، والقزويني .

وكانت رواية ابن حوقل مضطربة وذات مسحة عامة اذ اثبتها
لبعض من سكان سطيف ، ثم تراجع ، ونفاها عنهم اصلا (152) .

اما القزويني ، فلم يخصص بها جهة معينة من كتامة ، وانما ذكرها
صفة عامة لسائر البربر ، وهذا بدون شك مما يضعف روايته ،
ويجعلها فاقدة للسند الصحيح ، والى الدقة في النقل . وكتاب
القزويني حفل بأشياء غريبة عن غير كتامة لا يصدقها العقل ، وهذا
ما يفقد الثقة في معظم ما يرويه .

ويظهر أن الشريف الادريسي راح ضحية النقل عن ابن حوقل
الذي سبقه في العصر وان لاحظنا أن هذا الجغرافي ينفي هذه العادة
عن سكان جهة سطيف ، ويلصقها بسكان جهة القل (153) .

(ج) ثم أن البكري الذي اشتهر بالتحري ولدقة ، واخذ وصف بلاد
المغرب بأمانة عن محمد بن يوسف الوراق القيرواني ، ذكر من صفات
كتامة أكرام الضيف لكنه لم يشر الى شيء مما ادعاه ابن حوقل
وتابعه فيه الادريسي والقزويني ، كذلك لم يشر « اليعقوبي »
وهو اقدم رحالة زار المنطقة ولا العبدري الذي جرت عادته أن يتصيد
العيوب ويسلط الاضواء على النقائص ، ولا المقدسي أو الحسن بن
محمد الوزان فأغلب هؤلاء زاروا المنطقة ووصفوها نتيجة مشاهدتها
عن قرب ولم يسيروا الى اية تقيصة من هذا النوع .

(د) ويضاف الى ذلك أن دعوى ابن حوقل بأن الداعي الشيعي تكل ببعضهم
بسبب هذا الشذوذ ، غير صحيحة ، لأن أحدا من أعظم كتاب سيرة
حياة الشيعي وتطور الدعوة في منطقة كتامة ، وهو القاضي النعمان ،
لم يشر الى مثل هذا النقص ، في اية جهة من جهات كتامة ولا ذكر
اطلاقا أن الداعي عاقب أو حارب فريقا من كتامة لغير سبب يرجع
الى النفاق عن الدعوة والى الانحراف عن العقيدة الاسماعيلية .

152 - ابن حوقل : المصدر السابق 93

153 - الادريسي : المصدر السابق 71

هـ) ويبقى بعد ذلك أن هذه الرواية ربما تلقفها بعض الرواة والخباريين الذين نقل عنهم ابن حوقل وغيره من الرحالة عن بعض أعداء كتامة ومن كانوا يفارون منها لقوتها وصلابتها من جهة ثم لنصرتها لآل البيت وأخذها بالذهب الاسماعيلي الذي كان يعتبر في نظر أهل السنة شذوذاً من جهة أخرى .

وليس بغريب أن يكون هؤلاء هم الذين أطلقوا كلمة قظيم التي أسلفنا الحديث عنها . كما ذكر غيرهم من باب التشهير بالعرب أثناء حركة الفتح أن عمرو بن العاص شرط على بربر لواتة ، أن يبيعوا في جزيتهم من أحبوا من إبنائهم ونسائهم ، وأن الأمر استمر ، حتى أبطله عمر بن عبد العزيز بقوله « من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليرجعها » (154)

ويبدو أن افتراض ظاهرة الانحراف في بعض هؤلاء الرحالة والرواة لا يبدو بعيد الاحتمال والا لتعففوا عن ذكر ذلك في كتبهم لما يتضمنه الخبر من الطعن والتشهير والقذف في حق طائفة من المسلمين .

والرحالة في العصر القديم ، هم في القيمة والاعتبار أحياناً مثل الصحفيين في العصر الحديث يطربون للغريب ، ويبدعون بالفضيحة ، ويلفقون ويحسبون ذلك سبقاً صحفياً أو علمياً ، ومن ثم لا يستغرب أن تحفل كتبهم بما هو غريب ، ومن ذلك ، رواية بعضهم عن انتشار عادة أكل الكلاب في سجلماسة (155) ، وعادة شرب الأنزير في تارودانت ، وهو شراب مسكر ثم عادة تحلل العوانس في سن معينة ، من التقاليد والاستعداد للاستجابة السريعة لكل من يطلبهن للتمتع (156) .

ويذكر بعض هؤلاء الرحالة أن أهل السوس واغصات بدافع الحرص على جمع المال ، يكلفون نساءهم وأبنائهم بالتحرف ، والتكسب (157) . وأن أهل قابس يتبرزون في الأفنية وكذا نساءهم (158) .

154 - البلاذري : فتوح البلدان 227 ، يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية 285 .

155 - البكري : المصدر 148

156 - شعرة : المرابطون 27 ، نقلاً عن الأندلسي

157 - البكري : المصدر السابق 163 ، وعن افمات هيلانه ، واريكة بجسوار مراکش
انظر : E.I. (Art Aghmat) : T. 1, p. 186.

158 - نفسه 18 . ويسيف إلى ذلك قوله (ولا يكاد أحد منهم يفرغ من قضاء حاجته إلا وقد وقف عليه من يبتدر أخذ ما يكون منه لتدمين البساتين وربما اجتمع على ذلك نفر فيتشاحون فيه ، وكذا نساؤها لا يرين في ذلك عليهن حرجاً » .

و) ويلاحظ أن بربر كتامة ، توزعوا في جهات من بلاد المغرب حسب رواية ابن خلدون ومنهم أسر في بعض كور الأندلس ولهم في هذه البلاد مدن وقرى وظهور عمن جاورهم ، وقد أشار بعض الرحالة الى شيء عن آثارهم في غير المغرب الاوسط لكنهم لم يتعرضوا لشيء يحط من قيمة فريق منهم هناك ، فلو كانت هذه العادة موجودة بينهم لما أهملها هؤلاء الرحالة ولو كانت تقليدا قديما ورثته القبيلة عن أصولها الاولى لما صح أن يهمله فرع منها ، في مهجره الجديد ، لذلك فانعدام الاشارة اليها في هذه الجهات ، دليل على ندرتها ، أو على عدم وجودها اصلا .

— وما ينبغي أن يلاحظ هنا ، هو أنه رغم انقسام البربر ، الى بتسر وبرانس وانقسام هؤلاء الى عدة مجموعات . فان الاحساس بالرابطة العرقية ووحدة الاصل والحرص على احترام العادات والتقاليد الموروثة من القبيلة الام ، ظلت قوية عند سائر البربر في بلاد المغرب الاسلامي بما في ذلك الأندلس .

* * *

— ويعتقد النسابة ان جميع بطون كتامة ترجع الى فرعين اساسيين هما غرسن بن كتام ، ويسودة بن كتام . (159)

وعن غرسن ، تتفرع بطون : بني يناوة ، وبني ينطاسن وبني ايان ، مع من أضيف اليهم من القبائل الأخرى مثل ماوطن ، ومعاذ وقلان .

1 — وفي اطار بني يناوة (160) تندرج فروع ، وعشائر أهمها :

ا) فرع جيملة وتنتشر عشائرها حول عدوتي وادي جندين ، قرب جيجل على البحر وتتوغل في الداخل ربما حتى منطقة العلمة ، لأن اسم جيملة يوجد في هذه الجهة ويطلق الآن على آثار المدينة الرومانية : (Guiculum) (161) ، ونطقه الشعبي الدارج . فيه تحريف ، لأن اسم القبيلة انما هو جيملة ، وليس جيملة ، كما يرد عند بعض المؤرخين والباحثين (162) .

159 — ابن خلدون : المصدر السابق 1 : 188 (ط دوسلان) 6 ، 301 وما بعدها (ط . بيروت) — ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 318 :

M. Talbi : Op. Cit., p. 595-596.

160 — يذكر ابن حوقل بالنسبة لمدينة نمالطة ، (مفنية) انها تقع على وادي ايناون 87 — 88 .

E.F. Gautier : Op. Cit., p. 343. — 161

M. Talbi : Op. Cit., p. 601. — 162

واسم جيملة موجود حتى الآن ، بين بلديات ولاية جيجل ، والطريق إليها من جيجل عبر قرية تاكسانة ، على مسافة 50 كلم الى الجنوب الشرقي ووردت كذلك بكثرة عند القاضي النعمان في افتتاح الدعوة كما ورد في شعر ابن أبي عقب ما يشعر بأن مركز الأحداث هو جيجل (163) ، والتي هي في اطاره انما هي جيملة وليست جيملة البعيدة عنه . وبلدية جيمة الآن تشتمل على ثلاث وحدات ادارية وقبيلة ، أو دواوير هي :

وحدة تمسجيدة ، ووحدة جيملة نفسها ، ووحدة بني عافر .

ولكل وحدة فروع ، فتمسجيدة تتضمن فرع بني زرارة الذين عرفوا بابن ياجيس في العهد الفرنسي ، ويتفرعون على مشاتي :

تسيطين ، وبوكرامة ، وتينقلاست ، وسطيطرة وبوشقايف وصيدا.

ثم فرع اولاد علاوة ويتوزعون على مشاتي : مرادة ، وتاعنصرت ، ورأس البور ، والاعشاش ، والقرافة ، والتمرة .

اما فروع أو دوار جيملة فتنظم حوله مجموعات بني حسان والقرايلة ، واولاد عيسى وتايلامت .

وكل مجموعة من هذه المجموعات تختص بمشاتي ومضارب لا يشاركها فيها غيرها . وأهمها مشتى المحد ، في مضارب القرايلة ، وهي مقر شيخ بلدية جيملة الآن ، ثم مشتى الخربة في مضارب اولاد عيسى .

اما دوار (بني عافر) فيشتمل على مجموعات اولاد مدورة ، والزواجرة ، واولاد زمارة ، ولكل مجموعة مضاربها الخاصة بها .

ويلاحظ أن جيملة ، ليست بعيدة عن قلعة أيكجان ، كما أن وفد حجاج كتامة في مكة كان من بينه رجال من هذه القبيلة ، ومن بني سكتان أهم فروعها لقي الداعي الشيعي والحركة الشيعية التأييد والحماية .

ب) ثم فرع مسالمة ، وبقاياها يوجدون الآن بهذا الاسم في قبيلة الساحل القبلي في دوار (تالا ايفاسين) ، ويقع بين سطيف وآقبو ، ويبدو أن وادي مسالمة بين مدينتي قالمة وعزابة في اطار بيئة كتامة ، منسوب

163 - النعمان : المصدر السابق ، ورقة 50 ونص البيت :

بمسد كمال المائتين في رجب من جيجل ينهض جيش ذو لجب

الى قبيلة مسالمة ، لكن ناله التصحيف في النطق الشعبي ، وفي بلدية الرواشد شمال فج مصالة ، وضمن دائرة ميللة يوجد الآن دوار باسم تسالة .

ونبع في مسالمة رجال أسهموا بجهودهم في تأييد الداعي ، والحركة الشيعية في كتامة . مثل هرون بن يونس أو شيخ المشايخ .

كما تمسك بعضهم بالعداء لها حتى آخر لحظة من حياتهم ومنهم فتح بن يحي المسالتي الذي لقب بالامير (164) .

ج) اما فرع لهيصة ، الذي كان في عهد الداعي ، يضرب في نواحي ميللة وتازروت ويجوس خلال هذه المنطقة . فلم يبق في بيثة كتامة فيما نعلم ما يدل عليه أو يذكر به ولم نستطع رغم التنقل في أكثر من جهة ، وسؤال أكثر من مجموعة ، التوفيق في العثور على أي اثر من هذا الفرع ، والسبب فيما يبدو أن عدد أفراد هذا النوع كانوا قليلين ، وقد أكلت بعضهم الفتن والحروب ، وذاب بعضهم في فروع أخرى سواء في بيثة كتامة ، أو في مواطن هجرتها في بلاد المغرب ، وصقلية وفي المشرق العربي .

والى لهيصة ينسب كثير من القادة بعضهم ، عارض الدعوة الشيعية بقوة ومن هؤلاء كناوة ، وابنه مهدي . وبعضهم الآخر انضم اليها عن عقيدة وناضل في سبيلها ، ومن هؤلاء أبو مدين بن فروخ اللهيصي الذي مثل دورا هاما في افريقية وأصبح واليا على برقة ، ثم لاوه بن صوحان (165) ، وأبو حميد دواس بن صولات ، الذي ولي تاهرت من قبل الداعي الشيعي بعد تصفية نظام الامامة الرستمية (166) .

2 - وعن بني ينطاسن تتفرع قبائل :

اجانة ، وأوفاس ، وغسمان .

فاجانة لا تعرف مواطنها بالتحديد ، ولكن يرجح أن بقايا هذه القبيلة توجد على هوامش الحد الإداري بين مدينتي الملية والطاهير ، وبين جبل سدات والمسيد بقرب قبيلة أولاد عسكر ، وتعرف في هذه الجهة مع التحريف الشعبي ارجانة وفي نفس المكان يوجد وادي يعرف بوادي ارجانة

164 - انظر : النوري : نهاية الأرب 26 ورقة 25 وما بعدها

165 - النعمان : المصدر السابق ورقات 65 ، 68 ، 69 وغيرها

166 - ابن عداري : المصدر السابق 1، 210 البكري : المصدر السابق 68 .

وكانت تنتشر فروع القبيلة حول ضفتيه فيما يبدو ويصب في وادي الرمل (امساقة القديم = الكبير الآن) ، الذي يصب بدوره في البحر قرب ساحل جيجل .

ويمكن ان يعد من ارجانة ، فريق بني ورجانة ، الذين يوجد بعضهم في منطقة شلية بكتلة اوراس ، وبعضهم حول مدينة سدرانة التل .

اما غسمان ، فترد عثمان أيضا ، ويبدو انه هو الرسم الصحيح ، ويبلغ عليه وجود فرع بهذا الاسم يضرب حول جبل الحلقا ، قرب فج مصالة « مزالة أيضا » وهناك قرية باسم وادي العثمانية ، لا تبعد عن عين ملوك ، القريبة من قلعة تازروت التي كانت موطننا قديما لقبيلة عثمان (167) ، والى هذه القبيلة ينتسب رهط بني عثمان ، ويوجدون في حوز مكناسة الزيتون في المغرب الأقصى (168) .

والناسخون هم الذين يوقعون الباحثين في الحيرة ، وذلك بالتعجيم حيث لا يجوز ، أو باهماله حيث يجب أحيانا ، أو بالزيادة أو بالنقص أو بوضع التعجيم في غير مكانه الصحيح أو بالتصحيح ، أو بالقلب أيضا .

والى ارجانة ينتمي كثير من القادة الذين اسهموا في تأييد الدعوة الاسماعيلية ، في كتامة وفي افريقية ومن اشهرهم ماكتون بن ضبارة ، وابن أخيه تمام بن معارك .

اما اوفاس ، فتحدد مضاربهم أمر غير ميسور ، لكن يبدو أن آثارهم توجد ضمن مضارب قبيلة الساحل القبلي ، مع آثار مسالمة ، وباسمها البربري « ايفاسين » يسمى الدوار ، اذا فكلمة ايفاسين هي كل ما يشير الى هذا الفرع المجهول من بني ينطاسن (169) .

3 - أما بنو ايان ، فلم يذكر ابن خلدون من فروعهم غير قبيلة ملوسة ، وتأتي أحيانا ملوزة (بالزاي) وبهذه الصورة ينطق بها الآن في المغرب الأوسط ، أما في غير المغرب الأوسط ، فقد أشار بعض الرحالة اليها باسم ملوثة (170) (بالشاء) .

167 - النعمان : المصدر السابق ورقة 63 وفهرها .

168 - ابن غازي : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون 1 ، (القنمة) ، احمد الكناسي : الرجوع السابق 78 ، 87 ، وقد وردت بصيغتي بني عصبه وعصمان والنسبة اليها عصمي ، في النوري 26 ورقة 27 - 28 .

169 - De Slane : Histoire des Berberes : T. 1, p. 292.

170 - البكري : المصدر السابق 108

وآثارها في المغرب الأوسط ، تتمثل في قبيلة مشهورة بهذا الاسم توجد بجوار المسيلة وبقراب البرج وقد عرفت أحداثا دامية أثناء الحركة التحريرية بين رجال جبهة التحرير ، ورجال الحركة المصالية ، عرفت في حينها بمذبحة ملوزة .

ومن ملوزة أيضا ، فرع بني زولدوي سكان المنطقة الجبلية التي تطل على قسنطينة ، ويعرفون الآن ببني زونداي ، وفي أرضهم تقام سوق أسبوعية كل يوم جمعة ومن ثم عرفت بجمعة بني زونداي ، أو سوق بني زونداي ، وأحيانا أخرى تسمى (جمعة بابور) وترجع لدائرة جيجل . ومنذ قديم أشار بعض الرحالة والجغرافيين ، إلى أن بني زونداي ، عندهم منعة وآباء ، وميل إلى الخلاف ، والتشاجر مع بعضهم ، ولا يؤدون جبايتهم إلا بالقوة . ونزعتهم الحربية قوية بدرجة أن صغيرهم وكبيرهم لا يسر إلى أي مكان ، إلا وهو شاكي السلاح ، مجهز بالرمح ، والسيف ، والدرقة اللطيفة (171) .

ويوجد فرع آخر للموزة ، مندمجا في إطار قبائل أولاد عبد النور شرقي جبل غروس ، كما توجد قرب مدينة القل الآن ، قرية كبرى تعرف باسم (تاملوس) وهو نطقها البربري .

وقد نبغ من هذه القبيلة (ملوزة) رجال كانوا ذخرا للداعي والحركة الاسماعيلية ، وللدولة الفاطمية بعد قيامها في أرض المغرب ، ومن هؤلاء « عروبة بن يوسف ، وأخوه حباسة وغيرهما » وفي عصور تالية ، تشر بعض النصوص إلى شخصيات علمية من هذه القبيلة ، كان لها شرف النهوض بالقضاء في مدينة قسنطينة ، وبخاصة في العصر الحفصي ، ومن بينهم المعروف بالملوسي الذي ولي القضاء ، سنة 870 هـ / 1465 - 1466 م خلفا لقاضي قسنطينة الذي يعرف بالجباس (172) .

— وقد أضاف ابن خلدون (173) لفرع غرسن ، قبائل :

171 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 302 الأديسي : المصدر السابق 69 ، ويصف سوقهم ، بأنه في أرض مستوية قليل الحصانة . الاستبصار (لجهول) 166 ، ويشير إلى قرب جبل بني زولدوي من ميله ويذكر أسما مرادفا له هو جيجل المنصل : وعن الدرق اللطيفة وأجود أنواعها أنظر البكري 171 ، شعيرة : المرجع السابق 18 ، عن نول كمركز هام لصناعتها .

172 - ابن الأثيري : علاج السفينة في بحر قسنطينة ورقة 197 اخ بالكتابة البلدية بقسنطينة وعنه أنظر : سعد الله : علاج السفينة . مجلة كلية الآداب العدد 2 ، 1970 (ص 3 - 8) .

173 - كتاب العبر 6 ، 302 .

ما وطن ومعاذ ، وقلان ، ويظن بالقياس على ما سبق انها اصول كبرى ، ولها فروع مثل غيرها ، من القبائل السابقة التي ذكرناها في مجموعات ، بني يناوة وبني ينطاسن ، وبني ايان لكن لم تذكر هذه الفروع لعدم معرفتها .

ويؤيد هذا الظن ان قبيلة من هذه القبائل الثلاث ، وهي معاذ تعرف مضاربها الآن في جهة الميلية باسم « بني معاذ » .

ثم ان ذكر ابن خلدون لهذه الاصول الثلاثة على انفراد يشعر فيما يبدو بقرب مضاربها من جهة ، وبارتباطها بواسطة القرابة المباشرة من جهة أخرى .

ويذكر ببني قلان فيما يرجح ، فرع منهم احتفظ بالاسم العام ، واستقر على مسافة قريبة من سطيف ، لان المكان يحتفظ الى الآن باسم قلان انما يظهر ان التصحيف قد نال الحرف الاخير من الكلمة فعوض حرف النون باللام .

وكلمة ماوطن او بنو ماوطنت ، قبيلة من كتامة: ينسب اليهم الغلام الحدث الذي يعرف بالماوطي وهو زعيم ثار في منطقة كتامة وأخذ ميلية في عصر المهدي ، احتجاجا على تصفية بناء الدولة ، ودعاتها المخلصين وقد بوع اماما من طرف السكان (174) .



— اما فرع يسوده بن كتام فقد ذكر ابن خلدون من قبائله :

متوسة ، ودنهاجة ، وفلاسة ، ووريسن .

— فبقايا متوسة توجد الى الآن محتفظة بالاسم العام للقبيلة ، ضمن مجموعة قبائل الحراكنة بالعين البيضاء دائرة قسنطينة .

وضمن مضارب قبيلة جيملة المشهورة ويعرف فرع متوسة في هذه الجهة باسم « متوسين » .

وعلى بعد اثني عشر ميلا من بجاية توجد قرية متوسة الى اليوم ، ومن اهم خصائصها كما ذكر بعض الرحالة وجود الجص الذي يحمل منها الى بجاية للتصدير ، واليها ينسب ابو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار

174 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 231 وفيه صحفت الكلمة الى المارطي النعمان :
المصدر السابق ورقة 200 (273 ط . بيروت) .

التوسي (ت 644 هـ / 1246 - 1247 م) وكان عالما راوية رحل الى المشرق للحج والدراسة ثم استقر في بجاية للتدريس (175) .

وكانت قبيلة متوسة ، ضمن القبائل الكتامية التي وقفت ضد الداعي الشيعي وقاومته وانضمت الى الاحلاف التي ارادت اخذه عنوة من فرع بني سكتان .

ومن زعمائها في هذه المرحلة زيادة التوسي (176) .

وبقايا دنهاجة تحتفظ بالاسم العام للقبيلة ضمن قبيلة زردازة (دوار - بوطيب) في دائرة سكيكدة في الطريق بينها وبين عنابة وفي مضاربها يوجد سد زردازة على وادي الصفصاف الذي يروي سهول سكيكدة .

وقد ذكر اليعقوبي (177) ، في هذه المنطقة ميناء باسم دنهاجة لا تبعد عن سكيكدة . كما اشار النعمان (178) اني قبيلة دنهاجة ضمن قبائل ميعة التي كادت للدعوة في بدء امرها ، ويبدو انها انضمت اليها قسرا وتحصيلا لكاسب خاصة .

وقد تضمنت احدى رسائل الاستاذ جوذر الى الخليفة المنصور شكوى ضد احد عمال الدولة الذي استبد ، وضايق الاستاذ جوذر ، ويعرف بابن الدنهاجي (179) . ولدنهاجة فروع هاجر بعضها ، الى المشرق وبعضها الاخر استقر في جهات من ارض المغرب الاقصى .

ولها في هذه البلاد آثار ومراكز سنشير اليها ضمن مراكز كتامة . وبقرى قرية بني عزيز ، وغير بعيد من ايكجان توجد قرية باسم (الوريسية) وهي فيما يبدو تذكر بقبيلة وريسن وبمضارب فروعها (180) .

175 - ابو العباس الفيريني : المصدر السابق 109 - 110 وقد شاع لقب ماتوس بين بربر نفوسة ، انظر الشماخي : السير 276 ، وعن احتمال اشتغال الاسم من متوسة ، انظر :
M. Talbi : Op. Cit., p. 595, n° 6.

ويبدو ان فرضه ان يشعر ربما بانتفاء متوسة الى قبيلة نفوسة والذي يلاحظ ان الاحتمال بعيد لان نفوسة من فرع البتر ، ومتوسة من كتامة وهي من فرع البرانس .

176 - النعمان : المصدر السابق ورقة 57

177 - البلدان : 103

178 افتتاح الدعوة ورقة 71 وما بعدها .

179 - العزيزي : المصدر السابق 70

180 - النعمان : المصدر السابق ورقة 75 وما بعدها (115 ط . بيروت) ذكرت هذه القبيلة ضمن كتامة ميعة ونواحيها اثناء صراع الداعي مع احلاف كتامة المعارضة للدعوة .

والى الآن يوجد فرع من السكان بنفس الجهة في دوار ريشية (دائرة العين الكبيرة) يعرفون (بوطانه) فلعلم الاثر الذي يذكر بقبيلة لطانة التي انتسب اليها بعض قادة كتامة المعادين للدعوة الاسماعيلية : سيما وأن القاضي النعمان ذكر لطانة ضمن قبائل جهة ميلة ، اي في نفس هذه المنطقة (181) .

وأضاف ابن خلدون لقبائل كتامة ، نقلا عن نسبة البربر فروع بني يستين وبني قنسيلا ، وهشتيو ، ومصالة ، ثم زاوة بجميع بطونها في نظر النسابة الاندلسي ابن حزم .

وبقايا بني يستين ، تتمثل في قبيلة تعرف (يستين) قرب قرية البيض في الصحراء الغربية (الجزائر) وانتقال هذا الفرع عن مضارب كتامة يظهر أنه تم في عصور قديمة بسبب الاحداث التي شهدتها المنطقة منذ أواخر القرن 3 هـ . وترتب عليها هجرة فروع أخرى الى غير هذا المكان .

وفي اطار قبيلة بني كلال جهة دبدو في اقليم وجدة قرب الحدود الجزائرية المغربية يوجد فرع من بني يستين (182) .

أما مصالة ، أو مزالة فبقاياها تمثلها قبيلة بهذا الاسم شمال غربي مدينة بجاية على بعد ستة وعشرين كم . ومزالة تطلق الآن على إحدى مدن منطقة فرجوة بل هي قاعدتها وتوجد في عمق مضارب كتامة ، وتعرف المدينة بفج مزالة الذي كان من المرجح حتى الآن أن يكون هو الذي سماه الداعي باسم « فج الاخيار » أمام جمع من كتامة ، غير أنه لم يثبت وجود اثر لقبيلة أو لبطن ما باسم الاخيار أو الخيار باعتبار أن المقصود في نظر الداعي إنما هو الاسم وليس الوصف ويبدو أن اسم خيار ولقب خيارى يوجدان في بعض جهات افريقية (تونس) .

ولو لم يوجد في المنطقة غير الفج المنسوب لمصالة لكان الاحتمال راجحا غير أن هذه المنطقة بحكم طبيعتها هي كثيرة الفجوج .

ومما له علاقة بمزالة وجود دوار (183) في أرض كتامة يعرف باسم المزلية ، ربما لاستقرار فروع من مزالة في هذه الجهة .

181 - وردت لطابة في النويري ج 26 ورقة 26 ، وهو تصحيف .

182 - ابن منصور الرجوع السابق 1 ، 321 ويذكر الشماخي بني يستين ضمن قبائل منطقة جبل نفوسه انظر السير ص 416 :

De Slane : Op. Cit., T. 1, p. 298.

183 - والدوار يرادف المشتى ويعل على الفحص الخاص بقبيلة أو بفرع منها

وتشيع القاب مصالة ومصالي ومزالي في جهات من بلاد المغرب قديما وحديثا ومن ذلك مصالة بن حبوس الكناسي وقائد المهدي المشهور . ومصالي اسم لشخصية سياسية تنتمي لمدينة تلمسان ومزالي وهو رأس أسرة تولت في تونس أرفع المناصب السياسية قبل الاستقلال .

— أما زواوة فقد اضطرب النسابة في أصلها فاعتبرها بعضهم فرعاً من كتامة أي من البرانس بينما مال البعض لاعتبارها مثل قبيلة زواغة يجمعهما أصل واحد هو : سمكن بن يحيى بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتري (184) فهي على هذا الرأي من فرع البتر ومن ضريسة وبطن بني يحيى منها بنوع خاص وهو البطن الذي تنتمي إليه فروع زناتة .

وتردد ابن حزم فذكرها مرة ضمن قبيلة ضريسة البترية (185) وعاد مرة أخرى عندما تحدث عن أنساب البيوتات البربرية في الأندلس فجعلها ضمن كتامة (186) وتأثر ابن خلدون (187) بهذا الاضطراب الذي حصل لابن حزم فتحدث عنها مع فروع قبيلة ضريسة إلى جانب زواغة . وفي مكان آخر أشار إليها كفرع من قبيلة كتامة (188) غير أن ابن خلدون مع تقليده الحرفي ، لابن حزم في هذه الناحية أخذ براهه الراجح في اعتبارها فرعاً من كتامة .

واستند على تشابه البيئة واتصال البلاد ببعضها ثم على سرعة أخذها بالمدىب الشيعي الذي تبنته كتامة ونشرته في الآفاق المغربية بدافع العصبية حتى صارت زواوة من أشد أولياء كتامة (189) تعلقاً بها ، ودفاعاً على كيانها وأي مبرر لذلك ، غير الشعور بوحدة الأصل والمصير . ويشير ابن خلدون إلى هذا المعنى بقوله (والمواطن أوضح دليل عليه ، والأفان مواطن زواغة وهي طرابلس وبالمغرب الأقصى من مواطن كتامة) .

ويفسر خطأ النسابة على أساس وقوع التصحيف الجزئي ، بحيث وضع الواو محل حرف الزاي من اسم زواوة فصار زواوة واستمر هذا التصحيف وعلى أساسه جمعت زواوة وزواغة في نسب واحد .

184 — مفاخر (لجهول) 71 .

185 — ابن حزم : المصدر السابق 462 .

186 — نفسه 463 ، 467 .

187 — ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 261 وما بعدها .

188 — نفسه 6 ، 308 .

189 — نفسه 6 ، 363 .

انما يلاحظ هنا ان ابن خلدون نسي انه لم يذكر اطلاقا ضمن قبائل البتر اسم قبيلة زواوة « بالزاي » ، لهذا يبدو أن الاسم الذي ناله التصحيف انما هو اسم قبيلة زوارة (بالراء) وهي تضرب حول مدينة بهذا الاسم ، في اقليم طرابلس (ليبيا) وتعتبر فعلا من اخوة زواغة التي اعترف ابن خلدون بأنه لم يعرف عن اخبارها غير القليل (190) .



وزواوة هي الفرع الوحيد من بين فروع كتامة التي لم تستعرب الا بنسبة ضئيلة لأن بيئتها ، تمتد عبر جبال شاهقة وأوعار وفجوج وجبالها هي أولى الكتل الجبلية في سلسلة الأطلس البحري (درن) ارتفاعا ، وأعلى قمة فيها هي « لالا خديجة » .

وقد عرفت جبالها عند الرومان باسم جبال الحديد (Mont Feratus) (191) ، وذكرها الإدريسي باسم جبال جرجرة لأول مرة (192) . وقد تنسب إلى القبيلة فتعرف بجبال زواوة . وبذلك وردت في كتاب :

الحسن الوزان « ليو الافريقي » . اما الذي اقتبس منه نصوصا مختارة فقد التبس عليه الأمر فصحبها إلى صيغة (زارة) (193) (Zarara)

ووصف ابن خلدون بيئة زواوة ، وطباع أهلها بقوله « وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعصم معاقلهم وأمنع حصونهم فلم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها في أعطاء المغرم » .

وزواوة في الواقع ليست قبيلة واحدة ، بل مجموعة من القبائل أهمها : بنو مليكش وبنو كوفى ، ومشذالة ، وبنو رزيق وخوجة وبنو مزانة ، وبنو منقلات وبنو غبرين .

فبنو مليكش ، منتشرون في دائرة آقبو حتى البحر . وبنو كوفى في جرجرة في أعلى جبل فيه مقام أبي عبد الرحمن الكشطولي وينطق بها هناك آيت كوفى ومن بينهم قوم يدعون الشرف ومشذالة في دائرة آقبو قرب

190 - العبر 6 ، 264 و 309 أيضا ومن وصف هاتين القبيلتين انظر : الصبري : الرحلة المغربية 69 ، 71 ومن مضارب زواغة في المغرب الأقصى انظر البكري المصدر 117 ، 154 .

191 - الميلي : المرجع السابق 1 ، 187 وعن مصطلح « درن » انظر البكري : المصدر السابق 155 ، 160 وفيه انه يتصل إلى المقطم بمصر .

192 - الإدريسي : المصدر السابق 63 .

A. Benachenhou : Op. Cit., p. 184.

- 193

Léon L'Africain : Op. Cit., p. 406.

تازمالت وبنو رزيق وبنو منقلات بناحية بجاية وبنو غبرين بناحية العزازقة ومثلهم خوجة وبنو مزانة يوجدون في منطقة البيبان (194) أما بقايا زواوة في فاس (195) ، وفي الونشريس (196) فلا تعرف نسبتها من بين هذه القبائل .

* * *

ولاستكمال مناقشة توزيع كتامة وزواوة في مضاربها في بلاد المغرب الاوسط نلاحظ :

- ان ابن خلدون وهو المصدر الهام والرئيسي في الموضوع لم يكن موفقا في توضيح حدود قبيلة كتامة في مهدها الاصيلي مثل عدم توفيقه ايضا في تحديد مضارب فروع كل قبيلة منها ، او على التحديد لم يوضح مثلا أين تقع مضارب فرع غرسن ؟ وما هي مواطن فرع يسوده ؟

- ثم انه أهمل تحقيق نسبة بعض فروع من قبيلة كتامة مثل مصالة وحقه ان يرجعها مثل غيرها ، من الفروع الى أصلها النسبي .

- ولم يستوف الحديث عن كامل الفروع التي تنسب الى هذه القبيلة الكبرى فلم نجد أثرا لفرع لوزة مع انها مشهورة بهذا الاسم حتى الآن تحتفظ به بقاياها ، وتوجد في مشتي ينتسب اليها (مشتي لوزة (Lucet) في دوار تاسدان جنوب مدينة فج مزالة . والى الشمال الغربي من آثار جميلة .

- ولم نجد في ابن خلدون ذكرا لقالة كفرع من قبيلة كتامة ولا اشارة عن مضاربها الاصلية مع انها ذكرت عند بعض الرحالة مثل ابن خرداذبة والادريسي بهذا الاسم (197) ، وفي نفس منطقة كتامة ومن بقاياها الآن فرع صغير ، ثم اسم مدينة قالة في اطار ولاية عنابة ، وقد أشار القاضي النعمان اليها اثناء توسع الداعي في منطقة ومراكز كتامة (198) .

- كذلك أهمل ابن خلدون ذكر فرع بني خطاب من كتامة مع ان ابن واضح اليعقوبي يذكر من بين مراسي ميله ، قلعة خطاب (199) .

-
- 194 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 262 وما بعدها .
195 - الادريسي : المصدر السابق 53 ويوجد لقب الزواوي في ليبيا وفي دمنهور ايضا .
196 - نفسه : 58 .
197 - الادريسي : المصدر السابق 35،63،68 ابن خرداذبه المسالك والممالك 90 .
198 - النعمان : المصدر السابق ورقة 142 .
199 - اليعقوبي : المصدر السابق 102 وما بعدها (ط . النجف) توفيق المدني الجزائر .
118 .

— ولم يشر ابن خلدون الى فرع بني سكتان ، أثناء تفريعه كتامة الى بطونها المعروفة مع انهم اهم من القبائل التي ذكرها الى جانبهم في بداية الدعوة الاسماعيلية وفي تقرير مصرها ، في أرض كتامة وفي المغرب كله . وتوجد آثارهم بجوار قلعة ايكجان ، على سفوح جبل سيدي ميمون ويعرفون ببني سكفان . كما لم يذكر فرع بني سليمان (200) ، وآثرهم باق تذكر به قرية سليانة التي أصبحت تعرف باسم (علي علوش) وهي بقرب قرية « الجرارم » .

— يضاف الى ذلك أننا لم نلاحظ عند ابن خلدون أي فرع من فروع كتامة أفريقية والمغرب الأوسط ، قد احتفظ بالاسم العام للقبيلة الأم ولو لمجرد الذكرى ، ولا أثرا لاسم كتامة في هذه الاماكن ، ولا لمدينة او قرية او قصر بهذا الاسم واذ أخذنا بما جاء في ابن حوقل تكون مدينة كتامة (201) قد اندثرت في عصور الفتنة والاضطراب ، مثل سيبوس ومتيجة وشلف (202) وغيرها . كذلك وجدنا الفروع الكتامية التي هاجرت الى المغرب الأقصى لم تأخذ غير الاسماء القديمة لفروعها ، كما احتفظ بعضها بالاسم العام للقبيلة الكبرى ، اسوة ببعض فروع صنهاجة في بيئة المغرب الأوسط .



— ويلاحظ ان تيار الهجرة من منطقة كتامة كان مستمرا وقد اتجه مبدئيا نحو المغرب والاندلس واتخذ شكل جماعات صغيرة او فروع غير كبرى ، لكنه قوى فيما بعد نحو المشرق في العصر الفاطمي ولزيري ، حيث اتخذ شكل الهجرة الجماعية لكل القادرين على حمل السلاح بأسرهم ولم يبق في منطقة كتامة غير ضعفاء القوم كما تم ينقطع تيار الهجرة نحو المغرب أيضا .

وبينما اقتصت جهات من المغرب الاقصى والاندلس ، بفروع من ملوسة ودنهاجة وبني يستين وزواوة توجهت الى مصر أكثر فروع كتامة ، يضاف اليها زواوة وسكان زويلة وصنهاجة أيضا .

— وآثار كتامة في المغرب تتمثل في بقايا فرع ملوزة ، التي تندمج في اطار قبيلة انجرة المغربية وتوجد مضاربتها بين سبتة وطنجة .

200 — توفيق المدني : الرجوع السابق 118 (يذكر فرع بني سلين) وعن بني سكتان من قبيلة جميلة في ايكجان انظر : النوري المصدر السابق 26 ورقة 26 .

201 — ابن حوقل : المصدر السابق 90 .

202 — نفسه 89 ، البكري المصدر السابق 65 .

وقد أشار البكري (203) الى قرية باسم هذه القبيلة في الجهة ، وقد لاحظتها بنفسه منحرفة عن الطريق الرئيسي الذي يربط طنجة بتطوان وفي هذه المنطقة توجد فروع من أوربة وصنهاجة وغمارة .

— ثم في بقايا فرع دنهاجة بناحية القصر الكبير ، ويوجد بين طنجة وفاس ويقرب من الساحل . ويعرف بسبب ذلك باسم قصر دنهاجة (204) كما يعرف بقصر كتامة وأحيانا باسم قصر عبد الكريم ، أحد شيوخ كتامة البارزين (205) .

— هذا بالإضافة الى بقايا أخرى اندمجت في فروع من قبيلة صنهاجة في ناحية مراكش (206) .

ويلاحظ أن التكامل في البيئة ، وفي التفكير السياسي وفي الرابطة العرقية الذي كان سمة تجمع كتامة وصنهاجة حتى أن النسابة ، والمؤرخين لا يذكرون احدهما منفصلة عن الأخرى الا نادورا احتفظت به فروعهما في مواطن هجرتها الجديدة في المغرب والاندلس وفي مصر أيضا (207) .

وأشار البكري الى بقايا لدنهاجة في أحد القصور القريبة من مدينة البصرة وجبل صرصر وهما من ضمن مجالات كتامة في المغرب (208) .

— وتحفظ الى الآن بالاسم العام للقبيلة الام (كتامة) فروع منها توجد في شمال المغرب أي في منطقة الريف وناحية الحسيمة (المزمة وهي قرب تكور القديمة) في ضمن مجالات صنهاجة السرائر وتتعايش سلميا مع فروعها في هذه الجهة ومنهم بنو أحمد وبنو يشير وبنو يوشبيت وتغزوت وبنو خنوس وبنو سدات (209) .

203 - المصدر السابق 108 .

204 - الاستبصار (لجهول) 189 وهنا نلاحظ خطأ مطبعيا حيث جاء باسم قصر صنهاجة ويوصف بعاصمة كتامة في شمال المغرب الاقصى انظر :

Léon L'Africain : P. 252, n° 39.

205 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 301 - 302 الأندلسي : المصدر السابق 53 ، 108 - 109 الزباني المصدر السابق 80 .

206 - نفسه 6 ، 307 .

207 - E.F. Gautier : Op. Cit., 338-39. وبعد أن لاحظ أن كتامة لا تظهر

في التاريخ العربي الا مع صنهاجة ذكر أن ذلك أصبح صورة مكررة: Cliché courant

208 - البكري : المصدر السابق 110 وقد لاحظنا من قبل اندماج فرع بني يستين في قبيلة بني كلال في إقليم وجدة وجنوب جبل بني يزناسن .

209 - ابن منصور المرجع السابق 1 ، 334 .

— وقد لاحظ ابن حزم (210) الأندلسي في عصره (ق 5 م / 11 م) وجود عدة بيوتات وأسر كتامة موزعة على البيرة (211) والبونت وشقندة من كور الأندلس . فكان في البيرة بنو مهلب يتمتعون بمكانة كبيرة في المنطقة ووصل بعض رجالهم وهو محمد بن مهلب إلى مرتبة الكتابة الخاصة للوزير مفرج .

واستقر في البونت بنو قاسم بوصفهم أمراء وحكاما لها وكانوا ينتمون عن طريق الحلف إلى قبيلة فهر القرعية فلعلهم من بقايا جند يوسف بن عبد الرحمن الفهري أحد ولاة الأندلس قبيل عصر الأماة الأموية وربما يكون أجداد هؤلاء هم الذين استضافوا عبد الرحمن بن حبيب الفهري وآووه في بلادهم في كتامة عندما كان طريدا . وبقي أثر الرابطة في ذاكرة القوم ورثوا أخبارها عن أسلافهم وتناقلها الرواة وتمسك بها بنو قاسم ليكون لهم سند شرعي في الحكم وهيبة وتقدير عند العرب ، وحق في الحماية على رجال النزعة القيسية في الأندلس .

وظاهرة الانتساب إلى قوم عن طريق الحلف توجد هنا وهناك في بلاد المغرب والأندلس ، ومن أمثلتها طارق بن زياد الذي عرف بالليثي ويحي بن يحي الليثي وتعكس امكانية وجود الرابطة بين أي قوم للحفاظ على ما يعتبر في نظرهم مصلحة حيوية ضد عدو مشترك (212) .

ومن بيوتات كتامة ، في شقندة بنو مشرف وهم ينتمون إلى فرع زاوية الذي هو من بين فروع كتامة الكبرى على أرجح الآراء .

— وتشير بعض النصوص التاريخية إلى أن أهم عناصر سكان جربة من كتامة ، ومن بينهم قبيلة صدغيان إحدى فروع مجموعة سدويكش الكتامية ثم قلالة وهي من كتامة (213) أيضا ولاحظ بعض الرحالة الذين زاروا بالرم حاضرة صقلية أنه لقي بها رجلا من كتامة سماه أبا الحارث فحلا بن فلاح من فروع لهيصة وقد حدثه عن تفاهات بعض قضاة المدينة

210 — المصدر السابق 466 .

211 — وقد لاحظ اليعقوبي : البلدان 105 أن هذه المدينة نزلها من كان قدم البلد من جند دمشق من مصر وجلهم قيس وأفناء العرب . بحيث لم يذكر فيها أثرا لعنصر البربر فضلا عن كتامة وهذا يدل على حدوث الهجرة فيما بعد عصره .

212 — القرني : نفع الطبيب 6 ، 16 هامش 1 ص 23 وكان بربريا من مصودة اسلم جده على يد يزيدي بن عامر الليثي فنسب إليه أنظر عياض : ترتيب المدارك 1 ، 534 .

213 — ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 848 أماري المصدر السابق 494 - 495 ، ويلاحظ أن التفسير الدارج لكلمة سدويكش هو « شدواكش » :
E.I. : (Art Djerba). T. 1, p. 1066-68.

ومنهم : أبو اسحاق بن الماجلي البرفجاني (214) ، مما يشير الى ترسب بعض فروع من لهيصة في جزيرة صقلية (215) .

– والظاهرة التي تلفت النظر هي عدم وجود بقايا ظاهرة من فروع كتامة في كل من تونس (اذا استثنينا جربة) وطرابلس وبرقة مع أن هذه البلاد كانت مجالا خصبا لنشاط كتامة وموطنا لاستقرار كثير من رجالها خاصة في العصر الذهبي وهو عصر قيام الخلافة الفاطمية وتوسعها في أرجاء المغرب العربي .

وقد أشار ابن حوقل وغيره الى عدة مراكز لقبيلة كتامة في مجال افريقية وعبر طريق القيروان – المسيلة (216) .

ويبدو أن السبب في اختفاء بقايا كتامة في افريقية (تونس) هو السبب في اختفاء اسمها الاصيلي القديم من بيئتها الاولى أي يرتبط بنهضة السنة وحرص رجال المالكية في افريقية على طمس كل ما يتصل بهذه القبيلة المبتدعة في نظر جمهور السكان .

أما أرض طرابلس ، وبرقة فلم تكن غير القواعد الامامية والمعابر الضرورية الى أرض المشرق ومن ثم لم تترسب فيها عناصر كتامية الا بالقدر الذي يهيء لمشروع الانتقال الى المشرق والاحتفاظ بولاء المغرب بعد الاستقرار في مصر .

وكانت مصر بالنسبة لقادة كتامة هي مركز الجذب ونقطة الارتكاز لكل من أراد الظهور والمجد في ميادين السياسة والجندية .

ومن هذه الناحية تعتبر مصر الوطن الثاني لقبيلة كتامة حيث ظهرت هناك على غيرها من قبائل المغرب وطوائف المشرق أيضا حتى عصر المستنصر بالله ووزارة بدر الجمالي (217) .



– ويبدو أن تيار هجرة كتامة نحو المغرب والمشرق وتوالي الحروب والفتن في المنطقة وانتعاش السنة بنهضة المالكية وسياستهم في تتبع واضطهاد

214 – وعن قبيلة برفجانة البربرية التي كانت تضرب حول مدينة تاجنة وتاهرت القديمة انظر البكري : المصدر السابق 66 – 67 .

215 – ابن حوقل : المصدر السابق 119 .

216 – المصدر السابق : 87 الادريسي : المصدر السابق 89 .

217 – ووجدنا امثلة عن قادة كتاميين في برقة سحبوا الى مصر او استجيب لرغبتهم في الانتقال اليها ومنهم ابن يخلف وأفلح الناشب وغيرهما انظر القرظي : اتعاض الحنفا 1 : 247 ، 216 . ط الشيال 1967 .

المتشيعين هي من بين العوامل التي تفسر ظاهرة تناقص عدد قبيلة كتامة في بيئتها الاصلية وذهاب مجدها وصيرورتها اقلية مذهبية صاغرة في بيئة لا تعترف بغير المذهب المالكي وقوة العدد وكمال العدة على حد قول القائل « انما العزة للكائر » .

وظواهر تناقص العنصر لكتامي ونضوب معينه وتأخره وفقره ثم كرمه الزائد على الحد لاحظها الرحالة والجغرافيون وأخصهم الشريف الادريسي الحمودي الذي اشار الى أن كتلة كتامة العتيدة لم يبق منها وقت تأليفه لكتاب « نزهة المشتاق أو الكتاب الروجاري » الا قدر يسير حدده بنحو اربعة آلاف رجل فقط وفي شيء من الاستغراب لاحظ أنها كانت من قبل تتضمن عددا كثيرا وتنتظم تحت لوائها قبائل وبطون وأفخاذ موزعة على الجبال والسهول والسواحل (218) .

— وقد اكد وفد حجاج كتامة للداعي أبي عبد الله هذه الحقائق لكنهم اعترفوا بجهلهم لاحصاء عدد قبيلة كتامة كلها (219) .

وقد تطرق الادريسي لهذه الحقيقة اثناء حديثه عن سياسة حكام المنطقة تجاه بعض فروع كتامة في جبال القل بسبب مبالغتهم في اكرام الضيوف ، التي انبنت على التنكيل والترويع والقتل والابادة لكن ما تحولت هذه الفروع بالقهر عما افته من تقاليد ، لا ترى فيها حسب زعمه نقيصة او عارا .

ومما ذكره عن بقية فروع كتامة في سطيف التي لا تستجيز مجرد الحديث عن هذا الفعل او ذكره نستنتج أن عناصر طارئة من الخارج اندمجت مع سكان منطقة القل الساحلية . وهي فيما يبدو التي كانت تمارس هذا العمل وبقوة تأثيرها وطول جوارها لآناس بدائيين أنتشرت هذه العادة جزئيا بين أفراد المنطقة ونص كلامه « وأعف قبائل كتامة وأقلهم فعلا لهذا الفن من كان في جهة سطيف لأنهم من القدم لا يرون ذلك ولا يستجيزونه ولا يحسنون فعل شيء من هذه المنكرات التي تأتيها قبائل كتامة الساكنون بجهة القل وبأجبالها المتصلة بأقاليم قسنطينة الهواء (220)



218 - الادريسي : المصدر السابق 70 ونص كلامه : ولم يبق من كتامة في وقت تأليفنا لهذا الكتاب الا نحو اربعة آلاف رجل وكانوا قبل ذلك عددا كثيرا وقبائل وشعوبا .

219 - النعمان : المصدر السابق ورقة 30 .

220 - الادريسي : المصدر السابق 70 - 71 .

وإذا كنا قد ناقشنا من قبل هذه الشبهة فإن الملاحظ أن تحديد الإدريسي لعدد قبيلة كتامة في عصره فيه أجمال وغموض ويقتضي الأمر أن نقول :

— ان هذا التحديد انما يمثل فقط مجموع القادرين على حمل السلاح دون اعتبار الاطفال والنساء والعبيد والعجزة .

— كما يمكن حمل كلام الجغرافي العربي على العناصر التي عرف اخبارها واتصل ببلادها مباشرة أو عن طريق الرواة المحليين أو كانت لها صلة ما بنورمان صقلية حماة الشريف الإدريسي ومقدري فنه وعبقريته واخلاصه وقد كان يحترم نظامهم ولا يذكر روجر ملك صقلية الا مصحوبا بلقب الملك المعظم (221) متناسيا عواطفه تجاه مسلمي صقلية وافريقية الذين شردهم النورمان أو كانوا سوط عذاب عليهم .

— ولا يستبعد ان يكون الإدريسي قد قصد بالرجل في كلامه معنى المسؤولية على الأسرة فيكون المجموع اذا نحو اربع آلاف أسرة أو خيمة وهو عدد ليس بالقليل في هذا العصر (ق 6 هـ / 12 م) .

— وسياق كلامه يشعر أيضا باخراج قبيلة زواوة وفروعها من هذا الاحصاء الذي افترضه الإدريسي في وقت لم يعرف فيه فن الاحصاء .

ومن قبل الإدريسي لاحظ ابن حوقل النصيبي في عصره فقر بربر زناتة وكتامة بسبب الحروب والفتن والابوثة والمجاعات ، وسياسة أوائل حكام بني زيري الصنهاجيين . في قوله (وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه وأهلها وجميع من قاربها ، من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت وكذلك كتامة في حالها من جهة خليفة أهل المغرب بالمغرب وهو بلكين يوسف بن زيري وقد استباح الجميع) (222) .

ومن هذا النص تتضح لنا أسباب هذا الفقر وهي كثرة الفتن الداخلية بين فروع من البتر وفروع من البرانس من جهة واستبداد صنهاجة يقبيلتي كتامة وزناتة من جهة أخرى ثم جو الحرب الذي اشاعه في المنطقة أبو الفتوح نائب المعز لدين الله وأية حصيلة يجنيها السكان من وراء الفتن والحرب والاستبداد غير الخرب والقحط والابوثة وارتفاع نسبة الوفيات ؟؟

— وتتمثل بقايا كتامة منذ بداية العصر الموحدى الى ما بعد عصر ابن خلدون في مجموعتين من البطون :

221 — الإدريسي : المصدر السابق 69 ، 86 ، 95 وغيرها واللقب يشيع الآن بين رعايا الانظمة الملكية خاصة في المغرب الأقصى .

222 — ابن حوقل : المصدر السابق 93 وعن بلكين انظر : E.I. : (Art Bulukkin). T. 1, p. 812.

احدهما بقيت في مضارب كتامة وفي مجالاتها القديمة انما اقتصت بالمناطق السهلية او التلية ، وعرفت لهذا السبب باسم دارج هو قبائل الحدررة الذي غلب عليهم دون سواهم لانهم تركوا البيئة الجبلية الى البسائط والسهول وانحدروا الى المدن واخذوا بأسباب الحضارة فعرفوا عند غيرهم بهذا الاسم الذي قد يشير الى وضعهم الاجتماعي الجديد كقبائل تحضرت وتكون كلمة الحدررة هي النطق الشعبي لكلمة الحضرة (223) لأن سكان هذه الجهات حتى الآن ينطقون الدال دالا وعرفت هذه المجموعة بكتلة « سدويكش » .

– والثانية ارتبطت بمضاربها الجبلية في بيئة كتامة أيضا وتمتد فروعها حتى نهاية جبال جرجرة وهضاب تدلس على ساحل زاوة وعرفت هذه المجموعة بكتلة « بني ثابت » وإذا فنحن أمام مجموعتين تمثل احدهما سكان السهول والاخرى سكان الجبال والاثنتان معا من صميم قبيلة كتامة وفي نفس بيئتها القديمة .

ومما ذكره ابن خلدون نتبين بعض مميزات مجموعة « سدويكش »
واولاها :

– كثرة فروعها وعشائرها وقد اشار ابن خلدون الى ثلاثة عشر فرعا منها بأسمائها التي عرفت بها في وقته وهي :

سكين وطرسون وطرفيان وموليت وبنو قشة وبنو لماية وكايازة وبنو زعلان والبيورة وبنو مروان ووارمكسن وسكدال وبنو عياد يضاف اليهم بنو سواق (224) .

ومن هذه العشائر يوجد بنو مروان وبنو قشة وبنو طلحة مع مصالة في منطقة فرجيوة في بيئة كتامة (فج مزالة) وفرع بني لماية غرب سطيف وفرع بني سكين في جبل بابور (225) وجهة عين كرشة حيث يسعون حتى الآن السقنية نسبة لبني سكين .

وتحتفظ احدى مدن الجزائر القريبة منها (بمسافة 120 كم) باسم البيورة (وهي حمزة قديما) (226) .

223 - Jean Despois : L'Afrique blanche française, T. 1, L'Afrique du Nord. P. 291, n° 2, Paris, 1949.

224 - ابن خلدون : المصدر السابق 6، 303، 1، 190 (ط دوسلان) :

Deslane : Op. Cit., T. 1, p. 293 sqq.

225 Ferand, Ch. op. cit., p. 110 n° 1. وهو مترجم عسكري لجيش

الاحتلال وينقل عنه جوتيه أحيانا . في كتابه ماضي شمال افريقية انظر مثلا :

Le passé de l'Afrique du Nord : p. 352 sq.

226 - وعن مدينة حمزة كمركز لإدارة الطوبى انظر البكري : المصدر السابق 64-65 .

أما بنو سوق فيوجدون في قلاع بوخضرة قرب تبسة .

— وقد اختلطت بعشائر سدويكش هذه جماعات من فروع البتر وتعايشت معها على أرض واحدة ومن هذه الفروع لمائة من حلف ضريسة ومكلاثة من قبيلة نفاوة ثم فروع أخرى من قبيلة هواة البرنسية .

— وكانت علاقة فروع سدويكش بالانظمة السياسية في المنطقة منذ عصر الموحدين علاقة اعتراف وخضوع واستعداد لدفع الجباية سلما دون استحثاث .

— أما حياتهم الاجتماعية فهي قريبة من انماط الحياة البدوية ويظهر انهم تأثروا في هذه الناحية بما كان سائد عند جيرانهم من عرب بني هلال ومن بربر البتر وتقليدهم لعرب بني هلال تجاوز الناحية الاجتماعية الى الناحية السياسية احيانا وقد اصطنعوا لانفسهم اسما عربية شمالية ترقى الى قبائل بني سليم المضرية (227) . وهي احدى مجموعات بني هلال وانكروا صلتهم بكتامة بدفع الحرص على بلوغ مكانة رفيعة في الدولة واتقاء للضيم الذي قد يتعرض له كل من ينتسب الى هذه القبيلة التي خرجت عن اطار تقاليد المنطقة وتبنت مذهباً متطرفاً وساندت عناصر خارجية ويلاحظ ان التقليد الذي أصبح متبعاً في بلاد المغرب في المجالين السياسي او المذهبي هو اضعاء الغموض على العهود السابقة وتشويهها ومحو آثارها او تنفيذ روح التنكر لها وكان يرعى هذا التقليد بناء الدول انفسهم وما وقع للاغلبة من طرف الفاطميين ولهؤلاء من طرف الزيريين ثم للمرابطين من طرف الموحدين ولهؤلاء من طرف المرينيين يؤيد هذا الاتجاه .

— وكانت زعامة فروع سدويكش لأظهر عشائرها وأقواها حظوة وأكثرها مالا أي كانت رئاستهم محلية ، وفي اطار تقاليدهم القديمة التي لا تختلف عن تقاليد بدو العرب والبربر . وبقيت كذلك بموافقة جميعهم وبرضا خلفاء دولة الموحدين ومن خلفهم في المنطقة .

وانحصرت زعامة مجموعة سدويكش في العصرين الموحد والحقصي في فرعين هما :

أولاد علاوة وأقرباؤهم اولاد يوسف والفرعان معا يعرفان بأولاد سوق نسبة لجدهم الأعلى .

227 — ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 304 .

وكان اولاد علاوة هم شيوخ سدويكش واسبق من اخوانهم اولاد يوسف في رئاسة المجموعة منذ عصر الموحدين الى ان حدث خلاف حاد بين صاحب قسنطينة الحفصي (أبي يحيى) وصاحب بجاية (ابن الخلوف) انحاز فيه الامر تازير بن طلحة بن علي بن علاوة الى صاحب بجاية وعندئذ نزع رئاسة المجموعة عنه ، وعن أسرته ومنحت للفرع الآخر المنافس حيث استقروا بجبال عجيسة مؤقتا الى جوار قبائل عياض من بني هلال (228) .

واستمرت رئاسة المجموعة في اولاد يوسف يتناوبها في نواحي بجاية بنو محمد والعزيزيون وفي ناحية قسنطينة بنو المهدي وبنو ابراهيم .

فلما ظهر بنو مرين في المنطقة بوصفهم ورثة للموحدين ودعاة لوحدة الامبراطورية من جديد استعان ابو عنان بن السلطان ابي الحسن المريني بفرع اولاد علاوة من جديد فرجعت اليهم رئاسة المجموعة لفترة اتسمت بالاضطراب وتخللها نزاع شديد بين فرعي كتامة ، الامر الذي حمل فرع اولاد علاوة على ترك المنطقة نهائيا الى مضارب عياض .

وكان ذلك فيما يبدو الخاتمة الاليمة لمستقبل المجموعة كوحدة والنذير بذهاب وحدتها وانحلالها ، وبضرورة مواجهة كل عشيرة لمصيرها بنفسها .

ومن ذلك ان عشيرة بني سكين في جبال بابور كانت زعامتهم في بني موسى بن ثابر منهم وقد عرف ابن خلدون من شيوخ بني سكين صخر بن موسى الذي كرس حياة أسرته للدفاع عن قضية الحفصيين الذين كانوا في نزاع عنيف مع المرينيين لا سيما السلطان ابو الحسن وابنه ابو عنان (229) .

— ويلاحظ أن اسم سدويكش لئن اختفى من بيئة كتامة فانه ما زال بين سكان جزيرة جربة وقد تكرر ذكره في ثنايا كتاب العبر (230) .

— وابن خلدون في حديثه عن مجموعة سدويكش يستخدم عبارات معينة منها « أدركنا » ولهذا العهد « وفيما سمعناه من مشيختنا » وفي « هذه السنة من هذه المائة » ويستنتج منها انه لم يسجل عن سدويكش الا أخبارا تخص من اتصل بهم أو عاصروهم أو عرف أعمالهم عن طريق الرواية أو كانت لهم مشاركة في الحياة السياسية في عصره أو قبله وأهم من سواهم .

228 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 304 - 305 ، ج 1 ، 190 - 191 (ط. دوسلان).

229 - ابن خلدون : المصدر السابق ، 305-306 ، 1 ، 191 - 192 - (ط . دوسلان)
الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 139 وهنا يشير الى تنكيل بعض سلاطين بني حفص بالاسرة وباحد رجالها ربما لانحرافهم عن الولاء التقليدي .

230 - نفسه 6 ، 303 ، 736 ، 741 ، 750 .

— وعلى ذلك نلاحظ أن المجالات التي حددت لمجموعة سدويكش هي أكثر بطونا وفروعا مما ذكره فعلا .

وعذر ابن خلدون هو عذر كل من يحاول التأريخ لتحركات القبائل حيث لا يملك امكانية اصدار أحكام نهائية ومضبوطة فيما يتصل بعددها وفروعها ورجالاتها وتوزيعها في مضاربها وأصولها بسبب أن القبائل لم تعرف في حياتها الاستقرار لا في المكان ولا في الأهواء والنزعات الا نادورا .

ومصاعب الباحثين المتأخرين تبدو أكثر من مصاعب القدامى لبعده العهد وانعدام الوثائق أو نقص الموجود منها على قلته .



— أما فرع بني ثابت سكان الجبال التي تطل على مدينة القل في الطريق بينها وبين قسنطينة (231) فاقتصر ابن خلدون على بطن صغير منهم يتفرع عن قبيلة كبرى هي قبيلة بني تليلان (232) هذا الفرع هم أبناء ثابت بن حسن بن أبي بكر وهو أظهر فروع القبيلة في الميدان السياسي وقد اكتسب رجال هذا الفرع الزعامة من بعدهم أبي بكر بن تليلان الذي أعلن ولاءه في مراکش لخليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي وأظهر استعداداه لفرض الجباية على أهل بلده ولهذا انتقلت الرئاسة الى ابنه حسن ثم الى حفيده ثابت دون حدوث أية مشاكل ، كما تولاه بعد الأخير ابناؤه وكانت مهمتهم جمع أموال الجباية من السكان وارسالها الى الخليفة في مراکش . ويبدو أن ثبات أفراد هذه الأسرة على ولائهم للموحدين ثم للمرينيين من بعدهم أساء اليهم وأزال عنهم النعمة في عهد شيخهم ، عبد الرحمن بن علي ، الذي عزل من الرئاسة ، وناله وقيلته شر وضر ، من أبي العباس أحمد بن المستنصر الحفصي الذي أنزل بني ثابت منزلة عامة الناس وعين على منطقتهم الجبلية من يسد ثغرها ويحكم أمرها ويراقب تحركات رجالها .

والذي يؤخذ على ابن خلدون في حديثه عن سكان منطقة القل الجبليين انه كرس كلامه لفرع صغير من قبيلة كبرى . هي قبيلة بني تليلان أما بقية فروع هذه القبيلة فلم تقع الإشارة اليها وان استفدنا ضمنا انها خاضعة لفرع بني ثابت .

وهكذا يكون ابن خلدون قد أهمل الأصل وركز على الفرع بسبب شهرته في ميدان يتعلق به وهو السياسة وهو اتجاه أرستقراطي لم يستطع أن

231 — ابن خلدون : المصدر السابق 306،6 - 307 ، 740 ، 741 .

De Slane : Op. Cit., T. 1, p. 297-99.

— 232

يتخلص منه هذا المؤرخ الكبير الذي عاش في الاوساط السياسية وفي الاوساط الشعبية أيضا وكانت قيمته وحظوته كبيرة عند الفريقين ، إلا أنها كانت مستمرة ومتجددة وتلقائية عند الفريق الثاني الذي أهمل المؤرخ الحديث عنه بدافع التعلق بحكامه وتمجيد ذكرهم واعلاء شأنهم .

وقبيلة بني تليلان الآن من كبرى قبائل المنطقة وتنتشر فيما بين قرية الجرارم ومدينة المليية . وتحفظ باسمها القديم . أما بنو ثابت فأثرهم باق في منطقة القل ويعتبرون في هذا الوقت من الأسر الشهيرة الى جانب أسر أخرى هي بولسان وبنو حسن وبلهوان وابن جامع وبنو عمران وبنو اللبيب وبنو نيقوس ويظن أن فرع الثوابت فيما بين وادي الذهب وقلعة الزرق في منطقة العلمة من بني ثابت الكتاميين .

* * *

— أما بقايا فرع زواوة حسب رواية ابن خلدون فتمثلهم بطون بني منقلات وبني بترون (233) وبني بحر (234) ، وبني ياني وبني بوغردان وبني يتورغ (235) وبني بو يوسف (آيت وسيف باللهجة المحلية) وبني غبرين وبني كشطولة وبني أرائن وبني فراوسن (236) .

وهذه البطون ما زالت الى الآن تحتفظ بهذه الأسماء التي ذكرها ابن خلدون وأكدها رحالة محلي متأخر هو الحسين بن محمد الورتيلاني وهي في مضاربها القديمة تنتشر في قرى ومراكز منطقة جرجرة وفيما بين بجاية ودلس (237) .

والظاهرة التي تلفت النظر هي أن بعض عشائر زواوة تدعى أنها من نسل شريف وتميز نفسها عن بقية العشائر الأخرى بهذه الصفة . أما بقية العشائر فتعتقد نسبتها لا الى آل البيت وإنما الى ولي من أولياء الجهة هو أبو زكريا يحي الزواوي . ولعل أنسب وصف لمنطقة زواوة هو الذي ذكره الرحالة الورتيلاني في قوله « فوطننا طيب فيه العلم وبعض الكرم للغريب وفيه الزيتون والعنب والتين بكثرة والحراث غير أن الوطن عزيز غال . وسبب

233 - الورتيلاني : نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار 13 .

234 - نفسه 16 .

235 - نفسه 27 .

236 - نفسه 15 ومن بني فراوسن العالم النحوي : ابن معطي صاحب الفية مشهورة في النحو .

237 - ويوجد بنو فراوسن قرب قرية (جمعة صهريج) وهم وبنو أرائن بين بجاية ودلس ، وبنو ياني قرب آيت وسيف ، وكشطولة في جبال جرجرة قرب نيزي وزو :
E.I. : (Art Iraten). T. 2, p. 554.

ذلك كثرة الناس غير انه خال من السلطان واحكامه فالوطن سائب عمره
الله بالاحكام الشرعية وازال منه الفتنة » (238) . ويبدو أن فرع زواوة
لم يعرف زعامة تفرض سلطانها على سائر العشائر بسبب صعوبة البيئة
وعزلتها بل كانت كل عشيرة تتولى شئونها أظهر أسرها وأغناها . وقد أشار
ابن خلدون الى مشيخة خاصة بفرع بني ايرتن كانت في أسرة بني عبد
الصمد .

وأثناء توسع المرينيين في بلاد المغرب كانت زعيمة الفرع امرأة تعرف
« بشمسي » وقد سيطرت بشخصيتها الفذة على أبنائها العشرة وعلى
مساعدتها في بني ايرتن وكان الجميع أداة لتحقيق مشاريعها . وقد عاصرت
ما جرى لأبي الحسن المريني في منطقة متيجة إذ ثار ابنه أبو عبد الرحمن
ضده سنة 737 هـ / 1336 - 1337 م فأخرجه إخراجاً شديداً .

وقد استغل أحد رجال السلطان الأحداث وفر الى قبيلة بني ايرتن
بحجة انه ابن السلطان وتفنن في الاحتيال وطلب حماية ومساعدة القبيلة
فلم تبخل شمسي بالتأييد لقضيته حتى ظهر على حقيقته وعندئذ طردته
من بلادها ووفدت على السلطان أبي الحسن في متيجة ، لتجديد الولاء فأكرمها
وجدد اعترافه بها « شيخخة » على قبيلتها فرجعت آمنة مطمئنة (239) .

وقد ختم ابن خلدون كلامه عن بقايا كتامة في عصره بالإشارة الى سوء
حالتها وذلتها وشعور الكراهية التي كانت تحس به من طرف الحكام
والعامّة (240) .

— وكتامة وزواوة لم تشتهر منذ العصر الفاطمي بغير الجندية والحياة
الإدارية فمنها القادة والولاة الإداريون والقضاة بحيث لم تنجب بيئة كتامة
في الناحية الثقافية والعلمية إلا قدراً يسيراً بالقياس لما أنجبت بيئات أخرى
وقبائل مجاورة ويلاحظ أن بعض فروعها التي هاجرت الى أماكن في غير
أفريقية والمغرب الأوسط عبرت عن نفسها في الميدان الثقافي في العصور

238 - الورتيلاني : المصدر السابق 28 وانظر أيضا 81 منه .

239 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 263 - 264 ،

E.I. : (Art Iraten). T. 2, p. 554.

240 - نفسه 6 ، 307-308 ونص كلامه (ونسب كتامة لهذا العهد بين القبائل المثل
السائر في الدلة لما اتكرتهم الدول من بعد الأربعمائة سنة لانتحاشهم الراضة
ومناهجها الكفرية حتى صار كثير من أهل نسبهم يفرون منهم وينتسبون فيمن سواهم
من القبائل فرارا من هجنته » ويلاحظ أن زواوة تدخل في الإطار العام بالرغم من
انه لم يشر الى سوء حالها .

E.I. : (Art Ketama). T. 2, p. 909.

De Slane : Op. Cit., T. 1, p. 298.

التالية وظهرت لها أصداؤها في ميدان الفكر والثقافة والتأليف كما تكون الجو الثقافي الخاص في مراكزها بواسطة علماء وأدباء ومحدثين منها . كما أن زواوة التي كان لها في ميدان الفروسية والنضال من أجل العقيدة أثر حميد شهدت البلاد فصلا منه في عصر الفاطميين وفصلا آخر مع الفرنسيين كان لبيئتها ولرجالها في العصور التالية في ميدان الفكر والثقافة اللغوية والدينية مساهمة معتبرة . ومدى ما قدمته كتنامة وزواوة في الميدان الفكري تظهر أصداؤه في كثير من كتب التاريخ والطبقات والأنساب والتراجم والرحلة والمفاخر التي تشيع فيها أحيانا القاب « الكتامي » والزواوي والموسى والزنديوي والعثماني وغيرهم .

— ومن بين هؤلاء العلماء الذين ينتسبون الى كتامة أبو مروان عبد الملك بن محمد بن اسحاق الكتامي . أزهده في أواخر العصر الموحدى وأدرك بداية العصر المريني ، رحل من بلده في مضارب كتامة في المغرب الأقصى الى حاضرة سبته التي كانت في هذا الوقت مركزا ثقافيا هاما تتجمع فيه التيارات الثقافية المغربية والأندلسية والشرقية .

وفي سبته اخذ على مجموعة من الأعلام من بينهم أبو الحسن الغماري وعندما فارق سبته لم يفارقه اهتمامه بشئون الفكر والثقافة حتى توفي بمدينة آزمو (241) 693 هـ 1293 - 1294 م . وأبو علي حسين بن القطان الكتامي . وهو من المؤرخين النابيهين عاش في فترة من العصر الموحدى واشتهر بكتاب تاريخي هام هو « نظم الجمان في أخبار الزمان » وقد خصص جزء منه لتفصيل حوادث العصر الموحدى التي لم تغل من اشارات خفيفة عن بعض ما يتصل بها من أحداث في أفريقية والمشرق .

والكتاب مصدر أساسي من الدرجة الأولى لكل من يحاول إعادة صياغة تاريخ المغرب ، خاصة منذ عصر الموحدين (242) .

وقد اعتمد عليه بعض المؤرخين القدماء ، ومنهم ابن عذارى المراكشي في صياغة بعض الأخبار في كتابه « البيان المغرب » (243) .

— ثم أبو عبد الله محمد بن غازي ، العثماني (244) ، وينتمي الى فرع بني عثمان ، من كتامة في شمال المغرب الأقصى ولد بمكناسة الزيتون سنة

241 - مفاخر (لجهول) 71 - 72 .

242 - مفاخر (لجهول) 65 ، وقد تفضل بنشره محمود علي مكي ط . تطوان .

243 - انظر مثلا ج 1، 36، 57، 60، 443 (ط . المناهل) .

244 - ابن زيدان : اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج 4، 2-4 .

841 هـ / 1438 م وتوفي بفاس 929 هـ / 1513 م واشتهر بكتاب لطيف
خلد فيه آثار مدينة مكناسة الزيتون عرف « بالروض الهتون في أخبار
مكناسة الزيتون » .

وقد لمع نجمه في فاس الوطاسية حيث تولى خطط الامامة والخطابة بجامع
القرويين (245) ومشيخة الجماعة في هذه المدينة التي كانت حاضرة بني
وطاس وقد اجازته ابن مرزوق الكفيف العجيسي . وأخذ عنه كل من عبد
الواحد الونشريسي وأحمد بابا التميمكي السوداني .

وكعادة المعاصرين من علماء المغرب والأندلس ، جمع ابن غازي شيوخه
مع الذين اجتمع بهم من رجال العلم والرواية واجازوه ثم بعض المعاصرين
له ممن تأثر بهم وتأثروا به في دليل شامل يعرف بمصطلح « الفهرست »
أو البرنامج ، سماه « التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل
والنادي » (246) .

وممن أشار اليهم ابن غازي في الروض يونس بن عطية الونشريسي ربما
لأنه ولي القضاء في قصر كتامة (247) .

ويلاحظ أن هذا المنصب وليه ، من شيوخ المغرب أيضا ، أبو عبد الله
محمد بن علي بن حسين بن مصباح الحسني الشفشاوني الملقب بابن عسكر ،
وقد قتل هذا الشيخ في معركة وادي المخازن الحاسمة التي جرت غير بعيد
من قصر كتامة وانتصر فيها الوطاسيون ضد جحافل البرتغال بقيادة ملكهم
دون سباستيان (248) .

– وينسب الى كتاب أبو الحسن علي بن أحمد مصباح الزروالي
العثماني . وقد عرف عنه أنه كتب مناقب أبي العباس اليمحمدي ، أحد
وزراء السلطان اسماعيل العلوي سماه « سناء المهتدي الى مفاخر الوزير
اليمحمدي » (249) .

245 – عن هذا الجامع العتيق وتاريخ تاسيسه في عهد داوود بن ادريس في شهر ذي القعدة
263 هـ انظر : التازي : نظرة جديدة في تاريخ بناء جامعة القرويين (مقال) المجلة
التاريخية المصرية مجلد 8 ، 1959 – ص (243 – 247) .

246 – أحمد بابا التميمكي : فيل الابتهاج بتطريز الديباج 359 ابن عسكر : دوحة الناشر
لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر 36 – 37 .

247 – ابن غازي : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون 44 .

248 – الأفراني : نزهة العادي بأخبار ملوك القرن الحادي 76 ، السلاوي : المرجع
السابق 3 ، 37 – 38 E.I. : (Art Ibn Askar. T. 2, p. 386.

249 – أحمد المكناسي : المرجع السابق 87 .

— ثم عبد الرحيم بن أحمد الكتامي ، يكنى بأبي عبد الرحمن ويعرف بابن العجوز كان كبير قومه من كتامة في منطقة سبتة ودمنة عشيرة ، وبلغ من سعة علمه ، وشهرته في آفاق المغرب وتمثله للتيارات الثقافية السائدة في حواضر افريقية والأندلس ، والمغرب ، أن أصبح مقره ، مركز جذب لطلاب العلم والراغبين في فهم أصول المذهب المالكي كما تلقاها من أبي زيد القيرواني ، وعبد الملك بن الحسن الصقلي ودراس بن اسماعيل القابسي أثناء أقامته بالقيروان منذ 380 هـ / 990 - 991 م وقد وصفه عياض بقوله « كان من حفاظ المذهب القائم به وبعد وفاته ، 418 هـ / 1027 م (250) خلفه في رئاسة كتامة وفي تنشيط الحركة الفكرية والقيام بالفتيا أبناؤه وهم : عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الكريم .

واشتهر عبد العزيز منهم بالاهتمام بالفقه حتى أصبح معتمدا في الفتيا ومشهورا بالاستقامة والعفة وتوفي سنة 430 هـ / 1038 - 1039 م (251) .

وبلغ أخوه أبو القاسم عبد الرحمن مبلغا كبيرا في العلم والجاه في مدينة سبتة ، وبين قبيلة كتامة في الدمنة (252) وفي غيرها من مراكز القبيلة كان يقوم بالافتاء ويتعاون مع بقية الفقهاء في إثراء الحياة الثقافية بسبتة ، كما كان مستشارا لقاضيها محمد بن عتاب وقد توفي سنة 449 هـ / 1057 - 1058 م (253) . أما عبد الكريم ، فقد كان الغالب عليه الاهتمام بالسياسة وبشؤون قبيلته في دمنة عشيرة حتى قتل على أيدي المرابطين في القلعة عندما استولوا عليها (254) .

— ثم أبو زيد عبد الرحمن بن مسعود الكتامي اشتهر بابن أبي عامر درس في سبتة ثم رحل الى مصر للرواية ، ولاخذ أصول المذهب المالكي من منابعه القريبة . وفي مصر اجتمع بأئمة المالكية وأخذ عن يكرين العلاء القشيري وأبي الحسن التلباني وأبي حفص عمر بن حفص الاسكندري ، وخالد بن جميل الذي سمع منه كتاب محمد بن المواز الاسكندري في الفقه المالكي المعروف « بالموازية » . وعندما رجع الى سبتة أصبح محورا لخيرة من رواد المعرفة وشيوخ المذهب وأهمهم عبد الرحيم بن العجوز الكتامي (255) .

250 - القاضي عياض : ترتيب الدارك 4 ، 720 - 721 (ط.بيروت) ابن بشكوال الصلة 1 ، 371 ترجمة رقم 836 .

251 - نفسه 4 ، 872 .

252 - البكري : المصدر السابق 113 وهي على مرحلة من سبتة .

253 - القاضي عياض : المصدر السابق 4 ، 782 .

254 - نفسه : المصدر السابق 4 ، 720 - 721 .

255 - نفسه 3، 538 - 539 ، ابن بشكوال المصدر السابق 1 ، 371 ، ترجمة رقم 836 ، ابن خلكان : وفيات 2 ، 13 .

ويلاحظ أن هؤلاء الذين تحدث عنهم عياض في « مداركه » كانوا من المالكية ومن كتامة شمال المغرب الأقصى . ومن ثم وجدناه يذكرهم دائما بعبارة « ومن بلدنا » أو من « مشيخة بلدنا » .

— وممن ينسب الى كتامة فيما يبدو أسرة ابن الفقون في قسنطينة وهم أسرة علم وأدب ، وثرأء . اشتهر منهم في العصر الموحدى أبو علي حسن بن علي بن عمر بن الفقون كان شاعرا متظرفا ، خصب الإنتاج ، له رحلة منظومة سجل فيها أخبار سفره من قسنطينة الى حاضرة مراکش . كما أن له مجموعة شعرية . كانت تتداول بين الناس في عصر أبي العباس القبريني . لم يعرف عن ابن الفقون أنه تكسب بالشعر ، أو تملق به للحكام ، رغبة في الطافهم ، وإنما كان ينتحله هواية ورغبة في الشهرة في الميدان الثقافى ، ومن أبدع ما قال في وصفه لمدينة الناصرية (بجاية) ومنه (256) .

دع العراق وبغداد وشامها **فالناصرية ما أن مثلها بلد**
يا طالبا وصفها ان كنت ذا نصف **قل جنة الخلد فيها الأهل والولد**

— وقد اشار المقرئى في موسوعته الكبرى المعروفة « بالمقى الكبير » الى عالم من قسنطينة هو محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد القسنطينى المعروف بابن الشمنى وقد ولد بمدينة قسنطينة الهواء سنة 593 هـ / 1196م وشب ، ودرس فيها ثم تآقت نفسه للرحلة الى مصر لطلب العلم وفيها سمع الحديث من أبى الحسن علي بن هبة الله بن الحميرى وانتصب هو بدوره لاسماع الحديث . وعندما أشار اليه أبو الحسن القرشى في معجم شيوخه وصفه « بأنه من الفقهاء الأفاضل يتمتع بسعة أفق وذاكرة قوية انتصب لتدريس الفقه في جامع مصر وتولى خطة الشهادة بين الناس » (257)

256 — القبريني : المصدر السابق 202 — 203 المبدري : المصدر السابق 30 ، القرى :

نفع الطيب 9 ، 194 — 198 ط دار المأمون 1936 وهنا يذكر أكثر قصيدته التي وصف فيها مدن المغرب الأوسط والأقصى أثناء الرحلة ومطلعها :

الأقسل للسرى بن السرى أبى البدر الجواد الأريحي

وعن نساء الجزائر يقول :

وفي أرض الجزائر هام قلبى بممسول المراسشف كسوثري

وعن نساء مراکش يقول :

بدور بل شمسوس بل صباح بهيسى فى بهسى فى بهسى

ومن أحفاد حسن ابن الفقون ذكر القرى : عبد الكريم بن الفكون ، الذى وصفه بعالم المغرب الأوسط غير متازع أنظر : 193 منه .

257 — المقرئى : الملقى الكبير 1 ورقة 239 خ بدار الكتب المصرية رقم 5372 تاريخ .

- ويشبهه في الاستقامة وفي التأثير بالتيارات الثقافية في مصر أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة السطيفي (نسبة لسطيف) . وهو شيخ أبي العباس الغبريني ومعاصره كان زاهداً متصوفاً متشعباً بالثقافة الدينية التي استفادها أثناء رحلته إلى الحج من العلماء والزهاد في مصر وكان أبو الحسن الحرالي العالم المتصوف أقربهم إلى نفسه وأكثرهم حظوة ولذلك لازمه مدة طويلة ولم يفارقه إلا إلى بلده حيث استقر بحاضرة بجاية وبها توفي سنة 677 هـ / 1279 م .

وانتاجه العلمي اقتصر على ميدان التصوف ومن ذلك شرح لطيف لأسماء الله الحسنى ومذكرات ، ثم منظومات أخرى .

وقد اعترف الغبريني بأنه كان محل عنايته وتشجيعه أثناء مرحلة الدراسة .

وأشار الغبريني كشاهد على تعفف السطيفي عن المادة وانقطاعه كلية عن الحياة المادية إلى قوله « ان أسمى في ديوان الوجود المطلق ، فلا أجعله في الديوان المقيد لأن الإطلاق أوسع من التقييد وهو في ديوان الحق فلا أجعله في ديوان الخلق » . وكان يرد به على ممثل أبي يحيى الحفصي ، أمير بجاية الذي عرض عليه رأي الأمير الذي يقضي بأن يخصص له مرتب شهري قار في بيت مال الإمارة (258) .

- ومن نسبوا إلى كتامة أيضاً ، أبو علي الحسن بن سعد بن أدريس بن خلف بن رزيق بن كسلة بن مليكة .

وقد أشار السمعاني إلى رحلة علمية قام بها هذا الرجل إلى بلاد الأندلس وإلى صنعاء اليمن ، للتعرف على البيئة الأندلسية والشرقية وعلى التيارات الثقافية السائدة هناك .

وذكر أن له إنتاجاً في الحديث ، وقد توفي في بلده بالمغرب سنة 332 هـ (259) 943 - 944 م . أي في أواخر عصر القائم بأمر الله الفاطمي وفي عصر قوة كتامة وعنفوان مجدها فإن صحت نسبته إلى كتامة ، وهذا راجح لوجود لقب رزيق وهو شائع في بيئة كتامة يكن من بين العناصر التي احتفظت باتجاهها السني في عصر سيطر فيه المذهب الإسماعيلي وسادت فيه كتامة . وهو أمر ليس بغريب بل قد يحدث كثيراً وربما كان ابن مليكة معروفاً بميوله السنية ومع ذلك أبقى عليه من باب التظاهر بالتسامح وسعة الأفق أو بدافع العصبية الكتامية .

258 - الغبريني : المصدر السابق 60 - 62 .

259 - السمعاني : المصدر السابق 474 .

— وأشار ياقوت أيضا الى عالم من كتامة عاصره وارتبط معه برابطة الصداقة هو الفتح ابن موسى القصري الذي تشعر نسبتته الأخير بانتماؤه الى قصر من قصور كتامة انما في بر الأندلس وفي اقليم الجزيرة الخضراء خاصة .

وقد وصفه ياقوت بقوله « صديقنا الفقيه الأديب » وذكر انه اشتغل بالتدريس في مصر ، وعرف بقرض الشعر الجيد وبنظم كتب الفنون العلمية التقليدية ومن ذلك انه نظم كتاب المفصل في النحو وهو لجار الله الزمخشري (260) ت 538 هـ / 1143 م .

ولا يستبعد أن يكون هذا العالم الكتامي من قصر كتامة في بلاد المغرب ثم هاجرت أسرته الى الجزيرة الخضراء واستقرت هناك في الطرف المقابل لبقية فروع كتامة ، وقد هاجر — بدوره الى المشرق للحج ، وتعرف اثناء رحلته على شخصيات علمية من بينها ياقوت الذي أشار اليه إشارة ودية لطيفة تشعر بتقديره له .

— وفي كتاب الزركشي كثير من علماء كتامة ورجالها الذين تولى بعضهم مناصب ادارية في مدينة قسنطينة في العصر الحفصي . ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد الزنديوي الذي ولي قضاء قسنطينة في سنة 839 هـ / 1435 — 1436 م (261) ، ومن نسبته يتضح لنا انتماؤه الى فرع بني زنداي من كتامة وكنا قد اشرنا من قبل الى شخصية أخرى هي شخصية الملوسي (262) . كذلك اشرت بعض النصوص الى عالم متصوف هو : عبد الله بن محمد وينسب لميلة وله مشهد بقريه « طوزة » من قرى ناحية سوسة يعرف بمقام سيدي عبد الله الميلي (263) .

* * *

— ومن علماء زاوارة ، أبو اسحاق ابراهيم بن ميمون بن بهلول (264) ، كان أدبيا متصوفا ويقرض الشعر . وقد أطلع على التيارات الثقافية التي كانت تسود مصر في عصر سيطرة المماليك عندما رحل اليها واجتمع ببعض

260 — ياقوت الحموي : معجم البلدان 7 ، 109 وعن الزمخشري انظر ابن خلكان وفيات 4 ، 254 — 260 .

261 — الزركشي : المصدر السابق 137 .

262 — انظر ما سبق عن ملوسة ورجالها .

263 — برنامج فيما بمدينة سوسة في الجوامع والأولياء والمعاصر والديار (لجهول) ورقة 68 خ ، كان على ملك ح . ح عبد الوهاب رقم 18669 مكتبة العطارين تونس .

264 — الفبريني : المصدر السابق 119 .

علمائها وأئمتها ومنهم : الرشيد بن عوف وعز الدين بن عبد السلام توفي هذا العالم في بجاية سنة 686 هـ / 1287 - 1288 م .

وأبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي وهو ممن درس في القلعة الحمادية وفي مصر . واستقر أخيراً ببجاية بعد رجوعه من مصر ، حيث كرس كامل وقته للتعليم والافتاء وبناء المساجد كل ذلك ، مع الانقطاع عن مباحج الحياة المادية حتى توفي فجأة في سنة 611 هـ / 1214 - 1215 (265) .

— وأبو الحسن علي بن محمد اليتورغي (266) نسبة لبني يتورغ من زواوة لم يعرف عنه إلا أنه كان متصوفاً ومحافظاً في آرائه الدينية وهو ممن أدرکه أبو العباس الفبريني إذ توفي في سنة 714 هـ / 1314 - 1315 م .

— وأبو محمد عطية الله بن منصور اليراتني (267) ، نسبة « لبني ايراتن » من زواوة كان عالماً اشتهر بحافظة قوية مع فضل وتقوى وورع .

— وأبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجاوي نسبة لبجاية التي ولد فيها سنة 506 هـ / 1112 - 1113 م وعرف بالزهد والانتقطاع عن مشاكل الحياة المادية إلى العبادة والتدريس ، لذلك كان محل احترام أمراء بجاية .

وميزته الكبرى انه يعتبر ثمرة طيبة امتزجت فيها الاتجاهات الفكرية في المغرب والأندلس بتلك التي كانت سائدة في حواضر المشرق العربي فله في مصر وحدها شيخان هما : أبو محمد عبد الواحد بن اسماعيل بن طاهر الدمياطي وأبو القاسم الحسن بن عبد السلام الذي أخذ عنه في الإسكندرية . وروي أيضاً عن أبي الحسن بن جبير البلنسي في بيت المقدس وله ذكريات حسنة عن مجالسه العلمية مع شيوخه ومع بعض من روى عنهم أو اجتمع بهم (268) .

— وأبو يوسف يعقوب بن يوسف المنقلاتي ، من بني منقلات ، من زواوة وقد درس في حواضر بجاية وتونس ومراكش واشتغل بعد ذلك بالافتاء والتعليم ، مع قدر كبير من الزهد في المال والسلطان وبقي مستورا الحال حتى توفي بقرية بني منقلات 690 هـ / 1291 م (269) .

265 - الفبريني : المصدر السابق 75 - 79 مفاخر (لجهول) 71 .

266 - نفسه : 74 وما بعدها .

267 - نفسه : 80 - 81 .

268 - نفسه : 82 - 85 ويلاحظ أن القرن السابع الهجري كان عصر ازدهار الحركة الصوفية في مصر ، انظر : أبو الوفاء الفينيقي الطرق الصوفية في مصر 55 - 73 مقال (مجلة كلية الآداب بالقاهرة مجلد 25 ج 2 ديسمبر 1963 وملحقاً للمقال بعنوان : الطرق الصوفية بالديار المصرية ، للبكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

269 - الفبريني : المصدر السابق 157 .

— ثم أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي من مشدالة، (فرع من زواوة) وهو من معاصري أبي العباس الغبريني وامتاز هذا العالم بانصرافه عن النقل في تحقيق مسائل المذهب الى استخدام العقل في بيئة محافظة وفي عصر لا يهتم علماءه بغير حفظ النصوص وشروحها من كتب معينة في كل فن .

وكان له رأي في الفتيا وممن يستأنس برأيهم في المسائل الهامة .

وقد استغل امكانياته العقلية وتجاربه أثناء الدراسة والرحلة الى مصر حيث كان له شرف الاجتماع مع عز الدين بن عبد السلام وصدر الدين سليمان الحنفي وشرف الدين السيكي وشمس الدين الاصبهاني — استغلها في تفسير القرآن والحديث ، ثم في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي على أساس علمي ومنهج جديد (270) .

— أما حجة هؤلاء العلماء ومخلد آثارهم فهو أبو العباس الغبريني نسبة لبني غبرين من زواوة . كان عالم بجاية بدون منازع وولي خطة القضاء والشورى فيها ، هو صاحب كتاب « عنوان الدراية » (271) الذي تتضح من خلاله ملامح وصور الحياة الفكرية في بجاية في أواخر عصر الموحدين وبداية عصر الحفصيين .

وكان يعاصره في قسنطينة قاضيها أبو محمد عبد الله بن الديم وكان يشعر بحكم أهمية قسنطينة بأنه أهم من الغبريني وقد ظهر منه هذا التصرف في حضرة أبي زكريا يحيى عندما لم يمكن الغبريني من الجلوس بقرب الأمير ونافسه في ذلك حتى تآثر الغبريني وخاطبه بقوله « أن أهلكم لا يقدروني » فكان رد ابن الديم « أن قضاة بجاية محدثون » وقصد بذلك أن قسنطينة هي مقر الأمير الذي يشرف منها على بجاية وغيرها . وان قضاة الحضرة أهم من قضاة النواحي (272) .

وقد وصف ابن خلدون أبا العباس الغبريني بكبير بجاية وقاضيها وصاحب شوراها ، ومن ملاحظة برنامج شيوخه ومروياته يتضح لنا مدى سعة علم الرجل واطلاعه على التيارات الفكرية في المشرق وفي المغرب (273) .

270 — نفسه 134 — 135 وهو غير أبي الفضل المشدالي الذي ولد 820 هـ وتوفي 864 هـ انظر : العدوي تبادل الاساتذة بين الجزائر ومصر في القرن 15 م 51 — 53 مجلة كلية الآداب عدد 2 — 1970 . الجزائر .

271 — ابن أبي شنب : مقدمة عنوان الدراية — 1 ، (ط . الجزائر 1910) .

272 — ابن الأنبري : المصدر السابق ورقة 152 وانظر 193 أمته حيث يذكر أبا موسى عيسى الغبريني كأحد قضاة الجماعة بتونس .

273 — انظر عنوان الدراية 307 وما بعدها — ط بيروت 1970 .

ولسوء الحظ فان هذا الرجل الذي كانت حياته حافلة بالنشاط البناء في المجالين الثقافي والاداري راح ضحية وشاية لفقها له حاسدوه فتم قتله في سنة 714 هـ / 1314 - 1315 م بأمر من أمير بجاية أبي البقاء خالد الحفصي وتولى تنفيذ ذلك منصور التركي (274) .

— ومن علماء زواوة أيضا بلقاسم بن محمد الزواوي وكان من أصحاب السنوسي . وممن أخذ عنه محمد بن عمر الملالي نسبة لملاة من صنهاجة ، وقد توفي سنة 922 هـ / 1516 - 1517 م (275) .

— وقد أشرنا من قبل الى نصر الزواوي (276) ، وإبراهيم بن فائد (277) ضمن الدين أخذوا عن ابن مرزوق الحفيد عالم عجيصة والمغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع بعد الهجرة ثم الى أبي الحسن زين الدين يحيى بن عبد المعطي ابن عبد النور من بني فراوسن من زواوة وكان عالما في اللغة وآدابها ، له الفية مشهورة . توفي بالقلعة سنة 628 هـ / 1230 - 1231 ر (278) .

— ولقبيلة كتامة في أرض افريقية والمغرب الأوسط وفي مواطن هجرتها في المغرب الأقصى والأندلس حواضر كبرى وقصور ومراكز بعضها يقع على الساحل أو قريبا منه وبعضها الآخر يوجد في الداخل . كما أن هناك في هذه المجالات السابقة مراكز أخرى ليست في مضارب فروع كتامة أصلا ، ومع ذلك كانت لها صلات قوية بها وخضعت لتأثيراتها وتكاملت معها أحيانا ويكاد ينطبق ذلك على مدينة القالة في الشرق وطنجة في الغرب .

— ويعتبر مرسى الخرز (القالة الآن) ، من المراسي التي تقع على هوامش ساحل كتامة الشرقي وهي على بعد (ثمانين كم) الى الشرق من مدينة عنابة (بونة) وقد لاحظ الرحالة أن القالة كانت مركزا صغيرا تمثل بموقعها شبه جزيرة ومع ذلك كانت محمية وراء سور حصين ولها قلعة وسوق عامرة بالأقوات والمواد الضرورية التي تجلب من بونة لأنها بحكم فقرها في الظهير

274 — ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 719 وقد حرفت سنة الوفاة في ط بيروت إذ جادت سنة 704 هـ ومن كلام ابن خلدون يتضح أن التهمة : هي افراؤه السلطان

الحفصي بتونس بعزل أمير بجاية .

275 — ابن مريم المصدر السابق 71 .

276 — نفسه 295 .

277 — نفسه 209 - 210 .

278 — الأركلي : الاعلام 9 ، 192 - 193 ابن خلكان : المصدر السابق 243،5 .
E.I. : (Art Ibn Muti). T. II, p. 431 (Bencheneb).

الخليفي كانت امكانياتها الخاصة لا تكفي حاجة السكان . وأهميتها وأساس وجودها كمركز يرتبطان بصيد المرجان الذي هو مادة حيوية تمثل مصدرا هاما للدخل يجند السكان من أجله كل خبراتهم وامكانياتهم حتى كانت قوارب الصيد تصل أحيانا في المواسم المحددة لذلك الى خمسين قاربا . والنوع الموجود في ساحل مرسى الخرز كما لاحظ بغض الرحالة يفوق ما يصاد منه في ساحلي سبتة وجزيرة صقلية ، من حيث الجودة .

وبسبب وجود هذه المادة الجيدة في ساحل القالة عرفت عند الرحالة بمرسى الخرز .

ولصيد المرجان في هذه الجهة تقاليد خاصة يعرفها سكانها معرفة جيدة ويبدو حسب ما ذكره الرحالة أن صيد المرجان يكتسي طابعا شعبيا عاما . وقد يصل الصيادون الى أكثر من ألف صياد في المرة الواحدة والذي جعل هذا العمل مرغوبا فيه أن محصول الصيد يتوزعه المشاركون ولا رقابة للسلطان عليهم ولا تطلب حصة معينة منهم .

وطبيعة المنطقة التي منحت سكانها أساس حياتهم الاقتصادية لم تجد عليهم بالهواء النقي والماء الصالح للشرب والرحالة الذين اشاروا الى أن سكان المدينة يعتمدون في شربهم على بئر وبيئة تسمى « ازراقا » غدت محلا لمثل شعبي معبر هو « طعنة بمزراق خير من شربة من بئر ازراق » لاحظوا من اثر ذلك فيما يبدو غلبة الصفرة على ألوان السكان واعتصام كل منهم بتميمة تقيه شر الأمراض .

— والميزة الهامة في مدينة مرسى الخرز هي أنها أصبحت تحتضن مركزا لصناعة السفن الحربية التي كانت تجهز للغزو الثغري في بلاد الروم يتجمع فيها المجاهدون البحريون ومنها ينطلقون نحو الآفاق البعيدة في البحر الأبيض المتوسط . وهكذا فصيد المرجان والغزو البحري ضد مراكز الروم والنورمان كانا مصدرين لغنى المدينة ورفاهية سكانها . ومن ثم لاحظ بعض الرحالة أن مقدار جباية المدينة في السنة بلغت نحو عشرة آلاف دينار ومن ذلك نستنتج أن مجموع سكان المدينة القادرين على الصيد وعلى حمل السلاح قد يكون هو نفس مقدار الجباية باعتبار دينار على كل حالم (279) ولهذه الحالة شبيهه في بيئة المغرب الإسلامي (280) منذ عصر الفتح .

279 - البكري : المصدر السابق 55 الأديسي : المصدر السابق 85 المقدسي : المصدر السابق 226 ، 227 ، 239 القزويني المصدر السابق 261 .

H.R. Idris : Op. Cit., T. II, p. 437.

280 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 1، ط . المتامل .

— وتلى مرسى الخرز غربا مدينة **بونة الساحلية** التي لا تبعد عن قرية سيبوس القديمة التي يذكر بها نهر سيبوس الذي يصب في البحر عند بونة — عنابة .

وتقع على طرف مرتفع من الأرض بقرب البحر وساحلها صخري ، ويطل عليها جبل ايدوغ (281) الذي هو مركز هام لاستغلال معدن الحديد وتغطية الثلوج ما عدا المكان الذي يقوم فيه مسجد (282) ، ورباط أبي مروان وينسب لأبي عبد الملك مروان بن علي القطان الأندلسي الأسدي ، المعروف بالبنوني نظراً لاستقراره في بونة للرباط . وكان من الفقهاء النابيين وله في ميدان التأليف شرح لطيف على موطأ مالك بن أنس وبقي في بونة حتى توفي سنة 440 هـ / 1048 — 1049 م (283) أي في عهد المعز بن باديس الصنهاجي . وإلى الآن يوجد مسجده وموضع رباطه محتفظا باسم سيدي بومروان في مدينة عنابة .

ولبونة ، ظهر خلفي واسع ، يساعد على تربية المواشي لفناه بالاعشاب والبساتين والزروع والفواكه وهو مصدر خيرات البلاد ، التي تفيض على حاجاتها فتصدر خاصة الى مرسى الخرز كما لاحظنا ذلك وقديما أشار الرحالة الى كثرة العسل واللحم واللبن والكتان فيهما .

— وتجارها كانت نشطة مع بعض جمهوريات ايطاليا ثم مع الساحل الأندلسي . ومن ثم أشار بعض الرحالة الى كثرة التجار الأندلسيين فيها .

— وبونة كانت في اطار نفوذ كتامة في العصر الفاطمي . وبعد قيام نظام الزيريين آلت الى صنهاجة حليفة كتامة ثم أصبحت بعد ذلك ضمن نفوذ ومراكز بني حماد في القلعة وبجاية .

وقد حافظت المدينة على قوتها ونشاطها وحيوتها الا في الفترة التي سيطر فيها نورمان صقلية اثناء حركة توسعهم في القرن الخامس (هـ) ضد المدن الساحلية في شمال افريقية كجزء من حركة تجارية واستعمارية وهي نوع من الملاحقة لمسلمي صقلية في هذه المدن ، أو هي أعمال تآديبية ضد الزيريين

281 — البكري : المصدر السابق 55 يسميه جبل زفوغ وعنه نقل صاحب الاستبصار انظر 127 منه .

282 — نفسه ، وهنا ايضا اعتمد عليه صاحب الاستبصار 172 غير انها معا لم يشيرا الى اسم صاحبه او مؤسسه مع انها اعتبرا ذلك من عجائب المدينة .

283 — القاضي عياض : المصدر السابق 4 ، 709 — 710 اسماعيل سرهك : حقائق الاخبار عن دول البحار 1 ، 356 ط . الامرية بولاق 1312 هـ ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب 1 ، 153 ط القاهرة 1357 هـ .

والحماديين الذين كانوا يعطفون على قضية الجالية الاسلامية المضطهدة في جزيرة صقلية .

وان الميزة التي كانت تتوفر عليها مدينة بونة في كونها مركزا بحريا هاما تتجمع فيه سفن الغزو ومنه تنطلق لمزاولة نشاطها البحري ، ضد مراكز الروم والنورمان قد كانت تقلق راحتهم وتهددهم في كل حين (284) .

ويبدو ان ثروات المدينة بالاضافة الى عائدات النشاط البحري هي السر في قوتها وصمودها من جهة . ثم في ارتفاع نسبة جبايتها حيث بلغت حسب بعض النصوص التاريخية ضعف ما يجبي من مدينة مرسى الخرز اي عشرين الف دينار . وكانت هذه الأموال تعود الى خزينة الحماديين . وبها يقوون ويصمدون في معركة تأكيد الانفصال والاستقلال عن الزيريين في المنصورية .

وقد عرفت مدينة بونة بعدة أسماء حسب اختلاف العصور فكانت تعرف بهبون عند القرطاجيين (Hippone) ومنه اشتق اسم بونة اللاتيني فيما يبدو ، كما عرفت عند الرومان (هبوس ريجيوس Hippo Regius) وفي العصور الاسلامية عرفت بمدينة زاوي (285) ، نسبة لقائد من بني زيري نزل بها واعتصم بناحيتها (ق 5 هـ) ثم بلد العناب أو مرسى العناب (286) ومنه اشتق اسمها عنابة المعروفة به الآن وبلد الحجاب عند بعض الرحالة المتأخرين (287) ومهما كانت تسمية المدينة فالباقي منها هو اسم عنابة العربي وبونة اللاتيني (Bône) (288) .

284 - البكري : المصدر السابق 83 وفيه قوله (ومن مرسى بونه تخرج الشواني فازية الى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وماوالاها ، وعن الشواني (م شانية) وتعرف بالفراب ايضا . وهي سفينة حربية عظيمة الحجم انظر عبد الفتاح عبادة : سفن الاسطول الاسلامي 4 ابن هذاري المصدر السابق 1 ، 182 حيث ورد عنده مصطلح شيني ايضا .

285 - نفسه : 55 ، ابن هذاري : المصدر السابق 1 ، 340 وفيه اشارة من زاوي بن زيري بن مناد ابن حزم نقط العروس 82 .

286 - ابن ابي دينار : المؤنس في اخبار افريقية وتونس 142 اسماعيل سرهنگ : المرجع السابق 1 ، 356 .

Léon L'Africain : Op. Cit., p. 369-71, n° 56-61.

287 - وقد لاحظ البكري (ص 54) والحسن الوزان (ص 180) انها كانت مركز اسقفية القديس أوغسطين .

A. Benachenhou : op. cit., p. 180. Léon : op. cit., p. 362.

288 - عن وصف بونة في القرن السادس لهجرة انظر الادريسي : المصدر السابق 85-86 الاستبصار (لجهول) 127 وهذا يسمى مرفاها مرسى الازفاق .

H.R. Idris : Op. Cit., T. 2, p. 494.

E.I. (Art Bône) : T. 1, p. 761-62.

– وتحتل النطاق الساحلي الممتد بين بونة ومرسى سكيكدة عدة مراسي صغيرة ومحطات بحرية ثانوية اشتهر كل منها باسم خاص لا يخلو من معنى هام .

وهي : مرسى الخروبة ، ومرسى ابن الالبيري ، ورأس الحمراء (Cap de garde) ومرسى تكوش (C.T. Ticouche) الى جزيرة غمد (Ile Sainte Piastre) ثم مرسى الروم ومنه الى مرسى استورة (Stora) وهو مرسى مدينة سكيكدة .

ويبدو أن هذه المحطات كان لكل منها خاصية معينة فمرسى ابن الالبيري نسبة لاحد تجار منطقة البيرة في الأندلس وتشير الى كثرة تجار هذه البلاد خاصة من ناحية البيرة (Elvira) (289) . ولم يكن الروم بمعزل عن النشاط التجاري في هذه المنطقة ومن ثم تركوا اسما تذكاريًا يطلق على إحدى المحطات التي كانوا يتصلون فيها بالسكان للتجارة أو للتموين أو يتخذونها مكانا للراحة خاصة في فصل الشتاء لأن أغلب هذه المحطات محمية من الخطر ومن التيارات البحرية وكان مرسى تكوش في هذه الجهة مركزا لمسلحة أو لرابطة حمادية هامة ربما كان من مهمتها مراقبة نشاط الروم في هذه المحطة وحراسة سكان الجهة ومراقبتهم أيضا لانهم كانوا من قبائل كتامة (290) . أما سكان مدينة عنابة فبالرغم من أن استعراهم كامل ولا أثر للهجة أخرى غير العربية إلا أن جهات البلاد تحتفظ حتى الآن ببقايا من هوارة ويشير اليها جبل هوارة في الناحية وبقايا من ولهاصة تدل عليها قرية بهذا الاسم على مسافة ثلاثين كم من عنابة بالإضافة الى قرية أخرى باسم صنهاجة تبعد عن المدينة بحوالي أربعين كم وعلى بعد خمسة عشر كم من عنابة يوجد شط فزارة الذي يشير الى نوعية بعض العناصر العربية التي استقرت في هذه الجهة فضلا عن قبائل عطاوة والراشدين وبنسي صدوق .

– أما سكيكدة فقد اشار الرحالة الى قدمها وغناها بالآثار القديمة التي انارت دهشتهم . كما لاحظوا أن عناصر سكانها من نفس عناصر سكان ميناء مدينة القل القريبة منها اي من بطون كتامة وهذا يدل على تكامل البلدين ونشاط حركة الهجرة بينهما ولعل هذا كان مبررا كافيا في نظر صاحب كتاب الاستبصار الذي أهملها وذكر القل على الرغم من أن مصدره الرئيسي

289 – ومن كورة البيرة انظر المقرئ : المصدر السابق 1 ، 292 ط . 1936
H.R. Idris : Op. Cit., T. 2, p. 495.

290 – الأدرسي : المصدر السابق 74 البكري : المصدر السابق 83 .

وهو البكري أشار اليها (291) . ويلاحظ أن فروع أولاد عطية وبني مهني وبني تقوت وأولاد الحاج وبني اسحاق وبني صالح ينتشرون في الناحيتين الآن .

وتبقى فروع زردازة ورجاص ، والزمانة وسوفيسفة وبنو بونعيم في ناحية سكيكدة وبنو والبان ، ومروان وسعيد وزيد وفرجان وأولاد حميدش في منطقة القل .

— ويلي مرسى سكيكدة مباشرة مرسى القل الذي اكتفى البكري بإشارة خفيفة عنه وهي قوله أنه في نهاية مرسى الشجرة ومنه ينفذ الى مرسى ستورة والأخير اسم قديم لمرسى مدينة سكيكدة (292) . وأضاف صاحب الاستبصار بأن موقعه بري بحري وهو منفذ مدينة قسنطينة على البحر (293) .

أما الادريسي فقد لاحظ في عصره أن انقل كان مركزا قليل السكان والعمران مستهدفا لخطر اسطول النورمان في كل آن .

وكان سكان القل من كتامة يهجرون أسرهم من المدينة الى الجبال المنيعه التي تكتنف المنطقة خاصة في موعد نشاط الاسطول النورماني في عرض البحر أي في غير فصل الشتاء بحيث لا يبقى في المدينة غير القادرين على الدفاع لرد قراصنة النورمان (294) وهذا ما يفسر ظاهرة قلة السكان في المدينة وتقص العمران اللذين أشار اليهما الادريسي .

ويفصل بين مرسى القل وقصر جيجل مجموعة من المحطات البحرية هي : مرسى الزيتون ومرسى الشجرة ومرسى انخراطين .

وساحل مرسى الزيتون صخري وبه تبدأ جبال جيجل والقل التي تشرف على البحر وتعرف عند الرحالة بجبال الرحمن وتسكنها قبائل من كتامة .

291 - البكري : المصدر السابق 63 ويلاحظ أن المسافة بينها وبين قسنطينة مسيرة يوم وقد سماها سقده وعاد لذكرها باسم تاسقده ص 83 ولعله نقلها حسب النطق المحلي الدارج في عصره. الادريسي ، المصدر السابق 74 . اليقوبي ، المصدر السابق 103 (ط . النجف) وفيه جاءت اسكيده ويبدو أنه تحريف مطبعي لكلمة اسكيكدة وانظر 350 - 351 منه (مكتبة جغرافية)

Benachenhou : Op. Cit., 173.

Feraud : Philipeville. P. 33 sq.

292 - نفسه 83 .

293 - الاستبصار : 127 .

294 - الادريسي : المصدر السابق 70 ، 73 - 74 .

وهي تمثل لسانا ممتدا في عرض البحر يمتاز بالارتفاع من جهة وبمواجهته لسواحل جزيرة سردينية من جهة أخرى .

وربما كان المجاهدون البحريون يستفيدون من هذه الجبال ويتخذون منها مراقب أو نواظير لاستطلاع ما يجري في الطرف المقابل عبر البحر فيستعدون للطوارئ ، بالاعتصام بالبيئة الجبلية المنيعة . أو يواجهون المفيرين وهم على استعداد .

ويبدو أن ذلك هو السر في تسميتها بجبال الرحمن وهي تسمية فريدة . وجبال الرحمن لم تكن مثل غيرها من المناطق الجبلية فقرا وقلّة عمران وانما كانت كما لاحظ بعض الرحالة غنية بالمراعي وبالمزارع والينابيع والأنهار وبالقرى . وتغطيها غابات كثيفة من أشجار البلوط والزان .

ولهذا السبب عرفت إحدى المحطات البحرية القريبة منها بمرسى الشجرة كما أن وجود الأشجار الجيدة ساعد على قيام صناعة أهلية هي خرط الأخشاب تمهيدا لتصديرها الى آفاق افريقية والمغرب والى جزر البحر الأبيض المتوسط أيضا ، اذ كانت للاعمدة المخروطة في هذه الجهة شهرة كبيرة في الخارج وكانت تجمع وتصدر من محطة قريبة عرفت بمرسى الخراطين (295) .

- وقصر جيجل ، أصلا مركز فنيقي قديم . وفي العصر الروماني كان ضمن ولاية موريطانيا القيصرية ثم الحق بالسطيفية في عصر دقلديانوس وكان ضمن نفوذ الوندال والروم البيزنطيين وأثناء التوسع العربي الإسلامي احتفظ جيجل بمركزه في إطار الإسلام . وهو من مضارب فروع كتامة وكان عامرا بها حتى عصر الرحالة البكري الذي أشار الى توافر المعادن الهامة في جبال جيجل وأنه يصدر النحاس من جيجل الى سائر افريقية وغيرها (296) .

ولاحظ الإدريسي أنها كانت مركزا صغيرا لكنها غنية بالخيرات ويصاد فيها السمك الكبير الجيد الطعم بأعداد وفيرة ولها مرسى جنوبي صخري مهجور لصعوبة النفاذ اليه ومرسى شمالي رملي هاديء الحركة يمكن الرسو فيه بسهولة لكنه صغير يكاد يشبه الحوض ويسميه مرسى الشعراء

295 - البكري : المصدر السابق 83 الإدريسي : المصدر السابق 70 وما بعدها وفيه ان المسافة بين القل وجيجل تبلغ سبعين ميلا

A. Benachenhou : Op. Cit., p. 172-73.

296 - البكري 83 الاستبصار : لجهول 128 وسمى جبل جيجل « جبل زلدوي » ويلاحظ انه كان مركزا لبدا الدعوة الاسماعيلية ومن وضعيته العامة انظر :

E.I. : (Art Djidjelli). T. 1, p. 1073, 74.

ربما لوجود نبات الشعراء بكثرة بقرب الميناء (297) ويبدو أن مدينة جيجل أصابها في القرن الخامس للهجرة وهو عصر التوسع البحري النورماني أو عصر الحركة الصليبية في المغرب ما أصاب بقية المدن الساحلية في المنطقة الشرقية ، من تخريب وتدمير وسيطرة نتيجة العدوان . وقد رفض السكان التعاون مع أمير البحر النورماني ، الذي يسميه الإدريسي : (جرجس) وغادروها بعد سقوطها الى المنطقة الجبلية المحيطة بها وبنوا هناك مركزا حصينا تجمعوا فيه بأسرهم ونقلوا اليه أمتعتهم وأموالهم حتى صار بمثابة المدينة . كل ذلك حتى تبقى جيجل خلاء ليفارقها الغزاة وأصبح ذلك عادة درج عليها السكان كلما رأوا أسطول النورمان يقترب من المدينة في فصلي الربيع والصيف .

أما في الشتاء فان السكان يعودون الى مدينتهم الجميلة فتزدهر بهم وتزخر بالحركة وبالنشاط . وهكذا تغدو خراباً في وقت ، عامرة بأهلها في وقت آخر . وهذا ما لاحظته الشريف الإدريسي في قوله : وهي الآن خراب مهدمة الديار مثلثة الاسوار ليس بها ساكن ولا بقربها قاطن وهي مدينة حسنة (298) .

ومن قبائل جيجل ، في هذا الوقت بنو عافر ، وبنو خطاب ، وبنو فوغال وبنو سيار وبنويدر وغيرها (299) ، وهي تنتشر على مراكز جيجل وهي الطاهير والشقفة وجيملة وسيدي عبد العزيز والعوانة ، ودوكان ، والمنصورية وهي في الطريق بينها وبين بجاية وتعرف اليوم باسم (زيامة المنصورية) وزيامة اسم قلعة رومانية تقع على ارتفاع يسير من المنصورية . ويجاور المنصورية مزغيطن وهو رأس ممتد في عمق البحر منه تنفذ السفن الى جزائر العافية (Phare Bou Afia) ثم فج الزرزور ثم قرية متوسة وهي على بعد اثني عشر ميلا من بجاية ونشير الى أن المسافة بين جيجل وبجاية لا تتجاوز خمسين كلم على الطريق الساحلي .

297 - الشعراء نبات متشعب الفروع ذو جذور عميقة وروضة شعراء كثرة الشجر : ابن منلور اللسان : 6 ، 80 .

298 - الإدريسي : المصدر السابق 69 سرنك : المرجع السابق 1 ، 358
A. Benachenhou : Op. Cit., p. 170. Léon : Op. Cit., p. 361-62,
n° 12.

299 - اشار اليعقوبي الى مرسى بني خطاب كمنفذ ليلية (البلدان 103) والإدريسي لاحظ وجود قصر في جربة يعرف بقصر بني خطاب (96 منه) ويوجد بنو خطاب في إقليم زويلة ومنهم امرأه بيد أن ابن خلدون اعتبر هؤلاء من قبيلة هواة (المبر 6 ، 291) وتاريخ الدول الإسلامية 1 ، 177 - 178 ط . دوسلان وقد ذكر ابن خلدون فرع بني بدر في منطقة السوس الأقصى انظر 6 ، 137 - 138 .

وقد لاحظ البكري ، وجود مرسى باسم سبببة بعد جزائر العافية وقبل مرسى بجاية وأغلب الأسماء والمواقع التي ذكرها الإدريسي والبكري توجد حتى الآن .

— أما بجاية التي تقع بقرب الحد الغربي لمجالات كتامة فتحيط بها المرتفعات ومن ثم كانت سواحلها صخرية ويحتضنها من الشمال جبل امسيون وهو صعب المرتقى . وتعتبر كما أسلفنا ساحل قلعة أبي طويل أي منفذا لها على البحر . وقد مصرها ابن عثناس 465 هـ بإشارة محمد بن البلبع (300) . وكانت قبائل كتامة تنتشر في جبالها ، وسهولها وحتى عصر البكري كانوا شيعة يكرمون من انتسب اليهم ، أو أخذ بمذهبهم .

والى الشرق من المدينة يمتد نهر الصومام الذي يصب في ساحلها وهو ينسرب اليها من كتلة جرجرة وبقرب المصب يفزر مأؤه ويعمق مجراه حتى لا يتيسر العبور فيه الا بواسطة السفن .

ولبجاية ظهر خلفي وسهول منسعة نسبيا تستغل في المزروعات المختلفة التي تصدر منها الفواكه والتين الى أرض افريقية والمغرب .

وبجاية كانت مركزا سياسيا وعاصمة لدولة بني حماد ومركزا تجاريا وصناعيا هاما . « تختلف اليها المتاجر بحرا وبراً ويأتيها التجار من الأفاق القريبة والبعيدة في المشرق العربي وفي أرض افريقية الزنجية . وكانت اخلاق أهلها تتسع لهؤلاء وأولئك أخذا وعطاء .

وهذا النشاط التجاري الذي در أرباحا كثيرة على السكان ، انعكست آثاره الحسنة على المجتمع في المدينة . ومن ثم لاحظ الرحالة بأن « أهلها مياسير ، تجار وبها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلدان ، وأهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق » (301) وأضاف البكري (302) بأن مرسى بجاية يقابل في سمته أرض الاندلس ولذلك كانت الحركة التجارية بين البلدين نشطة واستقرت في بجاية جالية أندلسية فيها التجار والصناع والعلماء .

300 — ابن قلوبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار وورقة 15 . في المكتبة الأهلية باريس رقم 1882 وقد نشر بعناية الزاوي وكان ابن البلبع رسول سلام وصلح من طرف تميم بن المعز بن باديس الى قريبه الناصر بن عثناس الحمادي ابن خلدون المصدر السابق 6 ، 357 نور الدين عبد القادر المرجع السابق 37

E.I. (Art Bougie). T. 1, p. 785-86.

301 — الإدريسي : المصدر السابق 62 — 64 الاستبصار 128 — 131 .

302 — البكري : المصدر السابق 82 وعن وضع المدينة في فترة لاحقة انظر : Léon L'Africain : P. 360.

— وقد غدت بجاية مركزا لدار من أهم دور الصناعة على الساحل الشرقي من المغرب الأوسط . وقد ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية لبناء السفن في أنحائها ومنها الأخشاب والزفت الجيد ، أو القطران والحديد والجص (303) .

ودار الصناعة في بجاية هي التي تصدرت نظائرها في القالة وبونة بالنسبة لإنشاء الاساطيل والمراكب ، والحرايبي (على حد تعبير الأدريسي (304) ومن دون شك كانت هذه الاساطيل تحقق الفرضين التجاري والحربي معا .

وفي هذه الناحية ، كان أسطول بجاية في عصر الحماديين درعا ، وقاها شر الغارات الأجنبية وربطها بمراكز التجارة والحضارة في العصور الوسطى ، أما بيئتها الجبلية المنيعه ، فقد حدثت من تطرف عناصر بني هلال ، ومن تحركاتهم .

— وعلى الطريق الساحلي بين بجاية ، وجزائر بني مزغنة يوجد مرفأ هام، من مجالات كتامة، هو مرسى الدجاج (Port aux Poulets) وهو مركز ساحلي يقابل بسمته ، ميورقة من جزر البنيار (الشرقية) ومن اشارات الرحالة ، نستنتج انه كان محصنا ويتمتع سكانه بالفنى والثروة بسبب سعة الاراضي الزراعية واستغلالها بعناية ، ثم للحركة التجارية التي كانت نشطة مع آفاق كثيرة . ويسهم سكان المدينة من فروع كتامة ، وعناصر من الجالية الاندلسية التي كانت تتعايش مع الاهالي : في النشاط الاقتصادي البناء بدور فعال ، ولاحظ البكري ، على عكس الأدريسي أن مرفأ المدينة كان غير مأمون شتاء بسبب الضيق وضحالة المياه وانعدام العمق (305) وتفرد الأدريسي ، بالإشارة الى أن سكان مرسى الدجاج ، مثل أهل القل ، وجيجل كانوا يضطرون أحيانا لمغادرة مدينتهم في فصلي الصيف والربيع بسبب الخوف من الغارات المدمرة ، للاسطول النورماني (306)

303 - الاستبصار : 128 - 131 ويلاحظ وجود مركزين لبناء السفن في المدينة في العصر الموحدى .

304 - وعن أنواع السفن الاسلامية انظر : عبد الفتاح عبادة : سفن الاسطول الاسلامي 4 وما بعدها الشرفاوي : البحرية الاندلسية 71 - 72 :

Dozy : Suppléments au dictionnaire arabe. T. 1, p. 265.

305 - البكري : المصدر السابق 65 و 82 الاستبصار (لجهول) 131 .

306 - الأدريسي : المصدر السابق 62 .

— والى الشرق من مرسى الدجاج يوجد مرسى بني جناد (307) نسبة لفرع من زواوة بهذا الاسم وهو مرفأ صغير وموقعه جبلي وساحله صخري . وأهميته تبدو في كونه مع مرسى قريب منه ، هو تدلس (308) المنفذين الرئيسيين لفروع زواوة في كتلة جرجرة .

— والذي يستخلص مما سبق ، عن مراكز كتامة على الساحل الشرقي من المغرب الأوسط :

— ان الثروات الهائلة ، ووجود دور لصناعة السفن ، ومراكز تجارية كبرى ، ساعدت على خلق صلات واسعة لهذه البلاد مع جزر البحر الأبيض المتوسط وأفريقية والشرق العربي ، الا ان هذه الميزات كانت أيضا سببا في تلك الغارات التخريبية المستمرة ، التي استهدفت لها مراسي الجهة ، من طرف القراصنة النورمان منذ القرن الخامس الهجري (11 م) .

واستمرت بعد ذلك ، واصبحت أكثر احكاما وتركيزا، ولقد لاحظ الرحالة العبدري (ق 7 هـ) باستغراب وبألم عميق ، مدى استخذاء سكان مدينة بونة وضعفهم أمام زورق صغير فرض الحصار على المدينة ، واختطف ركابه بعض سكانها ثم الحوا في دفع القدية نظير اطلاق سراحهم ، ونص كلامه الهام « ثم وصلنا الى مدينة بونة فوجدناها بلدة لطوارق الفير مغبونة ، مبسوطة البسيط ، ولكنها بزحف النوايب مطوية مخبونة ومن اغرب المسموعات أننا صادفنا وقت المرور بها زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا ، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد وتركناهم ناظرين في فدائهم » (309) . وعند هذا الحد ، يحق للباحث أن يتساءل عن دور البحرية الاسلامية في هذه الجهة ، وعن أهمية مراكز ودور الصناعة التي يوجد منها في هذه المنطقة وحدها ثلاثة مراكز هامة . أقربها لبونة ، مرسى الخرز ؟ وعن مدى صحة ما أشار اليه الرحالة من أنها كانت كلها ، تقوم بواجبها الدفاعي والهجومى أيضا ؟

— أما مراكز كتامة في الداخل فنكتفي منها بأهمها ، وهي : قسنطينة ، وميلة وسطيف وأيكجان .

307 — البكري : نفس المصدر والصفحة . ويلاحظ ان صاحب الاستبصار امله لان البكري اشار اليه اشارة خاطفة .

308 — الأدرسي : نفس المصدر والصفحة ، وانظر أيضا 73 منه وعن دلس انظر :

A. Benachenhou : Op. Cit., p. 162.

Léon : Op. Cit., p. 352, n° 67.

309 — العبدري : المصدر السابق 33 ط الجزائر .

— قسنطينة ، مدينة كبيرة ترجع في نشأتها الى أصل ليبي قديم واسمها (سرطة = قرطبة = Cirta) يشير الى تأثير فينيقي قرطاجني على امارة ماسيليا التي كانت سرطة عاصمة سياسية لها سواء في عهد ماسينسا او في عهد خلفائه (310) وقنسطنطين الاكبر (ت 337 م) هو الذي جدد المدينة مما أصابها نتيجة الحروب الاهلية بينه وبين أعدائه وخلع عليها اسمه ، الذي تحتفظ به الآن . كما يوجد عند مدخل المدينة تمثال ضخيم لهذا القائد الروماني .

وموقع المدينة هضبي ، ونهري معا ، اذ أن الرحالة لاحظوا انها محاطة بثلاثة أنهار تمتد من عيون أشقار = (سود) وتصب في خندق عظيم بعيد الهوى حتى كان الماء يرى فيه ، وكأنه كوكب صغير .

والأنهار الثلاثة ، وهي الوادي الكبير (=الرمل) وبومرزوق ، والسمنندو تحول المدينة بمثابة شبه الجزيرة الصخرية المنعزلة عما سواها .

وهي كذلك في مظهرها لا يقع النفاذ اليها الا من مسلك واحد في الغرب (La Brèche) وموقعها بدون شك هو سر حصانتها التي غدت مضرب الامثال (311) وسببا في مناعب الغزاة ، منذ عهد الرومان ، الى الاحتلال الفرنسي وعرفت بقسنطينة الهواة .

وقد لاحظ الادريسي أن للمدينة بايين ، أحدهما باب ميلة في الغرب وثانيهما باب القنطرة في الشرق ، والتسميتان ما زالتا قائمتين حتى اليوم .

وبسبب أرضها الصخرية ، وغنى ناحيتها بالاحجار ، لاحظ هذا الرحالة أن عتبات دورها وعضادات الأبواب فيها ، كلها من الحجر الصلد .

وللمدينة قسنطينة ، براح متسع ، تمتد فيه الزروع ، واشجار الفواكه والمراعي . ومظهر أهلها ، كان دائما يدل على اليسار والفنى والنشاط ، والتفتح ومن ثم لاحظ الرحالة أن البلاد كانت تموج بخليط من عناصر

310 - ابن الأثيري ، المصدر السابق ورقة 4 وما بعدها وتلاحظ هنا اسما جديدا لقسنطينة هو (مدينة الجابية) لوجود ماجل (= جاييه) لحفظ المياه انظر ورقة 7 وما بعدها ويذكر أن المدينة أسست سنة 1450 ق . م . وشكلها متوازي الاضلاع ويشبهها السكان بفرنس منشور ويشير الى أن قبائل ماسيليا شرقا وقبائل ماسيليان غربا انما هي خليط من السكان ومن الذين اندمجوا معهم . انظر : جوليان : تاريخ الفريقية الشمالية 1 ، 131 ، ترجمة عربية تونس 1969 .

311 - البكري : المصدر السابق 63 وفيه « ليس يعرف أحسن منها » الاستبصار (لمجهول) 165 - 166 .

عربية وأخرى من البتر من نفاوة ، أو من إقليم قسطنطينية (بلاد الجريد) فضلا عن سكانها الأصليين من قبائل وفروع كتامة ومن المهاجرين إليها من مجالات هذه القبيلة ، خاصة من ميعة وسكيكدة ، والجرارم ، وعين كرامة . وكل هذه كانت مسرحا لأحداث الحركة الإسماعيلية . ويبدو في نظر الرحالة الأدريسي ، أن أصالة المدينة وتاريخها لا يدل عليه اسمها فقط ، وإنما تقوم شواهد أخرى مادية تشير إلى تأييد ذلك وأهمها بقايا دار المسرح التي تشبه دار ملعب ثرمة بجزيرة صقلية (312) .

ومما ينبغي أن يلاحظ هنا ، أن سكان هذه الجهات قد استعربوا كلية وليست لهم لهجة أخرى للتخاطب . ورغم أنهم يجهلون أنهم من بقايا كتامة ، فإن هناك ما يشير إلى أصلهم الكتامي المشترك ، ومن ذلك ، بقايا أسماء بربرية شائعة في الجهة ، ويتفق سائر السكان ، على إطلاقها على مسمياتها الصحيحة ، ولدينا أمثلة عن ذلك ، فتابحيرت ، هي الحديقة ، وتاغزوت ، تعني البستان وتيعوينان هي عين الماء ، وأورار ، معناها العرس ، وتاورار ، تطلق على لعبة صبيانية وتازروت ، للحجر الصلد ، وآزرو ، للصخر ، والكلمتان الأخيرتان شائعتان في مضارب زواوة ، ومع ذلك أطلق اسم تازروت على دار هجرة الشيعي في كتامة . .

— وإلى الشمال من قسنطينة (مسافة 50 كم) توجد مدينة ميعة ، وهي من مراكز كتامة الهامة نشأتها قديمة وعمرانها مستبحر . وكانت مشهورة بسور من الحجر وبقيت كذلك حتى القرن 4 هـ عندما أدب المنصور بن بلقين سكانها فهدم أسوارها بسبب تأييدها لثورة أبي الفهم الخراساني ، وأيوائها الثائرين .

وقد هجر المنصور سكانها إلى مدينة باغاية على حافة كتلة أوراس (قرب خنشلة الآن) فأخذوا أمتعتهم واستقروا هناك ، وتناسلوا ، واختلطوا بسكان الجهة من هوارة وزناتة . وأصبحت باغاية ومنطقة أوراس ، لهذا السبب من ضمن مجالات نشاط عناصر من كتامة ، تربطها بالوطن الأم في كتامة ، روابط وثيقة ، وتستجيب لكل ما يجد فيه من أحداث ، أو من تطورات ، ومن ذلك ، أن التيار الإسماعيلي لم يلق مقاومة جديّة في هذه المدينة ، وسرعان ما أصبحت باغاية ضمن دائرة نفوذ الداعي في كتامة . ويبدو أن حيوية مدينة ميعة لم تعد إليها إلا عندما امتد إليها نفوذ

312 - الأدريسي : المصدر السابق 67 - 68 ، المقنسي : المصدر السابق 30 ، الصبري
المصدر السابق 29 - 30 ابن حوقل : المصدر السابق 90 البغدادي مراصد
1093 ، 3

A. Benachenhou : Op. Cit., p. 174, sq., n° 1.
Léon L'Africain : P. 365 sq., n° 33.

الحماديين ، لأن الإدريسي أشار الى تبعيتها في عصره ، لنفوذ السلطان يحيى بن العزيز الحمادي في بجاية .

وقد اثار دهشة الرحالة ، ما حبتها به الطبيعة ، من عمران متصل ، فأشجارها وفواكهها كثيرة ومياهها غدقة ومناظرها خلابة » .

ويعتمد سكانها في الشرب ، على منبع أو عين أبي السباع ، التي تتسرب مياهها الى المدينة تحت الأرض ، من مصدرها ، في جبل بني ياروت (313) .

ولاحظ البكري وجود نبع بارد في الجهة ، له ميزة شفاء المحمومين ، ولذلك عرف بعين الحمى .

ومدينة ميله كانت مقرا للعامل الذي يراقب منطقة كتامة ، ولذلك ، كان لميله دور كبير أثناء نشاط الدعي في كتامة ، وكان لحاكمها الذي يسميه كل من اليعقوبي والنعمان « موسى بن العباس بن عبد الصمد ، من عرب بني سليم ، مساعي خاصة بقصد القبض على الداعي ، وأخراجه من كتامة ، أو تسليمه لحكام بني الاغلب (314) .

ومدينة ميله التي كانت من أعظم مدن كتامة ، ومنطقة الزاب ، حتى وصفها البكري بأنها « من غرر مدن الزاب » استحال رسومها ، وانحط شأنها وشأن سكانها في عصر الرحالة العبدري ، الذي لخص رأيه في مشاهداته في المدينة بقوله (وكفى ببلد خلاء وفناء الا يحيوي ما يوصف الاماء وبناء) (315) . أما ليو الافريقي ، فلاحظ ظاهرتين تناقص عدد السكان وتأخرهم من جراء جور الحكام ونشاط الباقين منهم في ميدان الصناعات التقليدية (316) ونشر الى أن ميله بحكم موقعها الجبلي المنعزل، واقتصادها الزراعي وبعدها عن البحر لم يكن ينتظر لها أن تبقى في مركز الصدارة في الاقليم الذي احتلته مراكز أخرى ، مثل بجاية وجيجل وقسنطينة وبونة لتنوع نشاطها وتفتحها على العالم الخارجي وهو التطور الذي حصل بالنسبة لحاضرة تلمسان في الحد الغربي من المغرب الاوسط ، ولقسنطينة في القسم

313 - الاستبصار (لجهول) 166 و يسميه جبل تامروت . البكري : المصدر السابق 64

العبدري : المصدر السابق 29 - 30 و يسميه بني يارار .

314 - النعمان : المصدر السابق ورقة 41 (خ) مكتبة جامعة القاهرة ، اليعقوبي :

المصدر السابق 103 وقد ورد في النويري ج 26 ورقة 26 ، موسى بن عياش .

315 - العبدري : المصدر السابق 28 وما بعدها .

316 - البكري : المصدر السابق 64 ، الإدريسي : المصدر السابق 66 - 67 ابن حوقل :

المصدر السابق 93 الاستبصار 166 ويستفاد منه قرب جبل العنصل من ميله :

Léon L'Africain : P. 369 n° 53-55

A. Benachenhou : Op. Cit., p. 171

الشرقي منه لفائدة مركز صغير هو جزائر بني مزغنة منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي (10 هـ) .

وبقرب مدينة ميله ، مركز صغير من مراكز كتامة ، هو تانا قلت ، لا يبعد عن حصن سطيف في نظر البكري ، بأكثر من مرحلة وكان عامرا بعناصر من كتامة ، ويبدو أن اسم قرية تاجنانت ، الموجودة حاليا في نفس الطريق (Saint Donat) هو تحريف ، أو نطق دارج مخفف له (317) .

— ومدينة سطيف ، هي الأخرى في اطار منطقة الزاب ، ومن مراكز كتامة (318) ، التي كانت تدين بالتبعية والولاء للإمارة الأغلبية في رقادة ، وكان حكام المدينة من أسرة عربية من بني أسد بن خزيمة ، يعرفون ببني « عسلوجة » وكانوا يرتبطون برباط التبعية ، لامراء بني الأغلب (319) .

وبنو عسلوجة هم الذين عاصروا ظهور الحركة الاسماعيلية وتوسعها على حساب المراكز الهامة في المنطقة ومنها سطيف ، التي غدت مركزا شيعيا هاما قريبا من قلب الإمارة الأغلبية في افريقية .

— وكاجراء احتياطي ، وحتى لا يفكر سكان المدينة في الثورة ضد الحركة الجديدة قام جند كتامة بتخريب سور المدينة ، واستحكاماتها العسكرية ، وبقيت كذلك في العصور التالية لأن الرحالة منذ عصر البكري الى عصر الحسن الوزان ، لاحظوا عدم تجديد الاسوار (320) .

وعندما ضعف شأن كتامة وخضعت المدينة لبني حماد من صنهاجة وامتلات ارياضها بعناصر من عرب بني هلال وغيرهم ، ذل من بقي فيها من كتامة وقد منعت العناصر الكتامية من دخول المدينة ، لمزاولة التجارة ولقضاء الحاجات الضرورية الا برسوم مرتفعة ، تبلغ نسبتها عشر ما يرد

317 — البكري : المصدر السابق 76 .

318 — ببيرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة 6 ، ورقة 266 (خ) مكتبة جامعة القاهرة وفيه وصفت مدينة سطيف بانها « كرسي عزهم » .

319 — وعن بني عسلوجة امراء سطيف انظر النويري : المصدر السابق 26 ورقة 26 .

320 — البكري : المصدر السابق 76 الاستبصار (لجهسول) 166 الأديسي : المصدر

السابق 70 ، اليعقوبي : المصدر السابق 103 الاصطخري : المصدر السابق 39 ،

ابن حوقل : المصدر السابق 93 شارل بلا : وصف المغرب 58 :

A. Benachenhou : Op. Cit., 171, Léon 362-63.

اليها من متاجر وهذا التدبير الخاص لا يطبق عادة الا على متاجر المشركين
اذا دخلوا مدينة في دار الاسلام (321) .

وعلى مسافة حوالي 66 كم الى الشمال من مدينة سطيف وعبر مدينة
العلمة . وفي الطريق الذي يؤدي الى جيجل ، يوجد أهم حصن لكتامة وهو
ايكجان الذي يظن أن بقايا حصن تازروت (322) ، القديم (القريبضة الآن)
لا يبعد عنه بأكثر من ثلاثين كم في الاتجاه الشمالي الشرقي عبر طرق وعرة .

والحصنان يكتسيان أهمية خاصة ، لعلاقتها بنشأة فكرة التشيع في
كتامة من جهة وفي كونهما من المراكز التي تحصن فيها الداعي لأول مرة وحتى
في اوقات الخطر من جهة أخرى .

والذي يلاحظ انه لم يشر الى حصن ايكجان ضمن ارض كتامة من الرحالة
والجغرافيين غير المقدسي والادريسي وياقوت الحموي .

فالمقدسي أشار اليه ضمن مدن كتامة الأخرى ، وجعله في الترتيب المكاني
بين سطيف ومرسى الدجاج (323) .

وياقوت الحموي اكتفى بالإشارة الى انه مكان في منطقة كتامة اتخذه
الداعي مقاما وسماه دار هجرة (324) . أما الشريف الادريسي ، فكان أكثر

321 - نفسه . وعن وصف المدينة انظر ايضا

H.R. Idris : Op. Cit., T 2 p. 499

322 - يلاحظ وجود مكان باسم تازروت (Tazerout) في منطقة جرجرة وبالتحديد

على حافة وادي سباو ، الذي يتجه مجراه مع وادي بوقدورة ، ويصبان معا في
البحر وراء دلس وأشار المقدسي (المصدر السابق 219) الى قرية باسم تازروت
في إقليم سجلماسة كما لاحظ البكري (المصدر السابق 161) وجود مركز باسم
تازدارت في إقليم السوس الأقصى وفي كتاب السير للشماخي ما يفيد وجود قرية
باسم تاصروت ، في جبل نفوسة انظر 283 منه .

أما حصن تازروت دار هجرة الداعي فقد يكون قرب مركز عين ملوك ويرجح ذلك
وجود وادي العثمانية جنوبا نسبة لقبيلة عثمان القديمة ، وقد تكون الخرائب
القريبة من القربضة بين الرواشد وميلة وكلها قريبة من ايكجان . غير أن خرائب
القربضة تبدو أقرب الى ميلة من عين ملوك والنصوص المعاصرة تشير الى قرب
تازروت من ميلة وبالنظر لوجود هذا الاسم في مجالات بربرية واعتبار العناية في
اللهجة المحلية (- الصخرة الكبيرة) يرجح أن الخرائب الرومانية في القربضة
هي التي سميت في عرف السكان باسم تازروت بسبب ضخامة صخورها .

323 - المقدسي : المصدر السابق 217 - 218 وانظر : وصف المنسرب 6 ، 52 ،
مستخرج من احسن التقاسيم بعناية شاول بلا .

324 - ياقوت : المصدر السابق 1 ، 363 وينطق حسب روايته انكجان بالنون أيضا .

دقة من غيره من الجغرافيين فوصفه بأنه جبل ، وعليه حصن حصين ومقل منيع ويعني هذا أن الحصن اكتسب اسمه ، من اسم الجبل الذي يقع عليه ، وكان سكانه من قبائل كتامة ، تابعين قبل عصر الإدريسي ، لسلاطين بني حماد في بجاية وفي نهايته الغربية يوجد جبل جلاوة الذي لا يبعد عن بجاية بأكثر من مرحلة ونصف (325) .

أما ابن خلدون والنويري ، من المؤرخين (326) ، والقاضي النعمان من المشيعين المعاصرين (327) ، فأشاروا إلى وجود قلعة إيكجان ، ضمن أرض بني سكتان وهم فرع من قبيلة جيملة الكبرى . ولاحظ القريري ، أنه جبل بالقرب من قسنطينة وأن سكانه من كتامة قد تلاشوا منه (328) . وبسبب الصيغة العامة للنصوص السابقة اتسع مجال الافتراض لتحديد موقع إيكجان بين الباحثين المحدثين (329) .

— ومن هذه الافتراضات اعتبار مكان (Guidjdjl) فيجبل جنوب مدينة سطيف هي قلعة إيكجان القديمة (330) .

— كما لا يستبعد أن تكون قلعة إيكجان القديمة في مكان ما من دائرة سيدي عيش لوجود ممر وعمر ، يعرف بفج تقدنت (تقجنت) . وهو في مجال زواوة .

— وأشار بعض الباحثين إلى أن إيكجان محطة تقع في أصل جبل ، يقرب من قسنطينة كان يمر بها حجيج شمال المغرب الأقصى ، والأندلس ، وأسمها القديم إنما هو تزاجان (Tzajjan) (331) .

325 - الإدريسي : المصدر السابق 70 .

326 - ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 66 - 67 ط . بيروت ، وفيه حرف اسم القبيلة إلى جيملة ويطلق اسم جيملة على بقايا مدينة رومانية هي (Cuiculum) يقرب مدينة العلمة ، وقرية بني عزيز (إيكجان) وهي تحتفظ باسم قبيلة جيملة الكبرى التي كانت تنتشر فروعها حتى فيجبل وعند بني سكتان منها يوجد فج الأخيار انظر النويري : المصدر السابق 26 ورقة 26 .

327 - النعمان : المصدر السابق ورقة 36 وما بعدها .

328 - القريري : انماط الحنفاء 1 ، 57 هامش 1 أيضا ط . 1967 .

329 - وعن بعض هذه الافتراضات انظر : M. Talbi : Op. Cit., p. 600 n° 4

- 330

L. Massignon : les Sept dormant d'Ephese en Islam et en Chritienne p. 79 Sqy. Revue des Etudes Islamiques Année 54.

331 - حسن إبراهيم : المرجع السابق 48 هامش 1 ، 49 أيضا ، عبد النعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها بمصر 58 هامش 4 .

— ويبدو أن موقع ايكجان (332) ، حسب النصوص السابقة ، هو في مكان ما ، بين مدن قسطنطينة ، وسطيف ، وميلة أي بين مراكز هامة في بيئة كتامة ويحتل مركزا وسطا بين مدينتي سطيف وميلة وكلتاها لا تبعد كثيرا عن قسطنطينة .

أما الوجة السياسية والتبعية الادارية ، فكانتا لمدينة ميلة دون سطيف ويؤكد ذلك عدة اعتبارات هامة منها :

١) أن العامل الذي اترجع ، لظهور الداعي في ايكجان ، انما هو عامل ميلة الذي سأل عن حقيقة امره ، ثم طلب من بني سكتان تسليمه اليه (333) .

وحيث علم بأن الداعي دخل ميلة فعلا ، للعلاج جد في البحث للتحفظ عليه ، دون جدوى (334) .

ب) وقد اتجه ابراهيم بن أحمد (الثاني ، أو الأصغر) أمير بني الأغلب (335) الى عامل ميلة فقط ليسأله عن حياة ، وتحركات الداعي في كتامة (336) وعن طريق ، هذا العامل اتصل رسول الأمير الأغلبى بأبي عبد الله الشيعي في ايكجان وعرف الرسول ، بابن المعتصم المنجم (337) .

ج) ويلاحظ أن الداعي ، حينما مرض بعلة الحصاة ، واشتد عليه المرض وسأل عن أقرب الأماكن اليه ، أشار أصحابه بقصد الحمام في ميلة ، ولم يشيروا عليه بسطيف ولا بغيرها من مراكز كتامة الكبرى .

د) وحينما تغلب الداعي على زعماء الفتنة من قبيلة كتامة في تازروت ، ارتحلوا بسرعة الى ميلة ، وتجمعوا هناك ، استعدادا للجولة الاخرى من أقرب مكان (338) .

332 — ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 11 ، 12 وتأتي هنا ايكجان بالنون .

333 — النعمان : المصدر السابق ورقة 41 ، وفيه قولهم « ما كنا بمن نسلم ضيفا اليك » .

334 — النعمان : افتتاح ، ورقة 38 — 39 ، الدرجيني : الطبقات ورقة 109 وفيه عن أبي عبد الله الداعي قوله : « نزل قلعة ايكجان بنظر ميلة » .

335 — كان واليا للقيروان ، ثم أصبح أميرا بعد وفاة أخيه أبي الفرائيق محمد بن أحمد ابن الأغلب ، بنى رقادة 263 هـ انظر : ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 154 وما بعدها .

336 — ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 11 ، الثوري : المصدر السابق 26 ورقة 26 .

337 — النعمان : المصدر السابق ورقة 41 وما بعدها .

338 — نفسه ورقة 93 وما بعدها .

هـ) ثم ان الاحول ، القائد الاغلبى حينما هزم قوة الداعي بجوار تازروت ولم يجده فيها تابع زحفه نحو ميله ، وعندما وجدها خالية لارتحال المشيعين منها الى ايكجان لم يدخلها ، وواصل السير نحو ايكجان مباشرة

و) ولما ضاق المقام بالداعي في ايكجان ، لتصدع حصل وسط بني سكتان توجه مباشرة نحو تازروت ، واستقر فيها ومنها بدأ نشاطه ضد ميله وكان ينصرف بعد انجاز عمله ضد ميله ، الى قاعدة انطلاقه في تازروت (339) ، وهذا يشعر بمدى تكامل هذه المراكز :

ز) ولا ريب ان موسى بن العباس عامل ميله ، ما كان ليجرؤ على طلب الداعي من بني سكتان لو لم تكن سلطته نافذة وأحكامه سارية عليهم وبلادهم في اطار نفوذه . وتفضيل الداعي ، لقلعة ايكجان بجوار بني سكتان (340) اظهر فروع قبيلة جيملة الكبرى ، كان في محله ، لحصانة المكان ، وشجاعة الرجال وحتى عندما فارقه ، مضطرا لم يسئل عنه حتى رجع اليه ولم يفارقه نهائيا الا الى رقادة في قلب ولاية أفريقية .

(ايكجان - ميله - تازروت) وقربها من بعضها .

- و بجوار قرية بني عزيز (Chevreur) دائرة العين الكبيرة : (Périgotville) ، وعلى مسافة حوالي 2 كم الى الشمال في طريق جبلي وعمر توجد آثار قلعة ايكجان القديمة (341) . ويدل على ذلك مجموعة من الأدلة الهامة منها :

- ان السكان في الجهة يحتفظون لهذه لآثار ، بنفس الاسم القديم للقلعة وهو : ايكجن أي مع تحريف بسيط كما يسمونها الخربة أيضا ، لانها تشتمل على مجموعة خرائب وأحجار يظن أنها هي آثار بعض المساكن والقصر التي كانت تكون دار الهجرة الشيعية الاولى في ايكجان .

- وتعني كلمة ايكجان في اللهجة البربرية الكلاب اذ هي جمع لكلمة (أقجون) عند البربر فيكون معنى الاسم اذا خربة الكلاب (342) .

339 - نفسه ورقة 95 .

340 - وردت (بني سكيان) عند :

M. Vonderheyden : La Beberie Orientale p. 288, Ligne 3.

كما وردت (بني سليمان) في القرزي انظر : اعطاء الحنفاء 1 ، 56 ط 1967 .

341 - وعرفت باسم قلعة العصيان :

La Forteresse de l'Insurrection

E.F. Gautier : Op. Cit., p. 343

M. Vonderheyden : Op. Cit., p. 288, n° 1

- 342

ويظهر ان سر التسمية منذ قديم يرجع الى اعتماد سكان الناحية وغيرهم في الحراسة على الكلاب التي كانت توضع في المرتفعات التي تشرف على سائر النواحي .

ويبدو ان الكلاب ، كانت تنفذ الى الخربة ، من واد يجاور القلعة ، كما كانت تنتشر فيه لمراقبة مواشي السكان وأرزاقهم المخزونة تحت الأرض ويعرف هذا الوادي في وقتنا ، بوادي الكلاب أيضا ، وبقربه اخدود يعرف عند سكان الجهة بشعبة الفرائس (= فج) ونظير ذلك في ولاية افريقية ما أشار اليه الأدريسي من وجود مكان يعرف بسباح الكلاب بجوار قصر بني خطاب (343) كما توجد أسماء شعبة اللحم ، ووادي اللحم ، وقرية الخرب في أماكن من أرض المغرب الأوسط .

— ومكان القلعة ، يبدو انه كان مسرحا واسعا تقام عليه افراح الجهة في مناسبات خاصة ، لأنني لاحظت أنهم يسمونه « أورار » الأولى انها تعني اللعب وهي كلمة بربرية تعني العرس ويردد صبيّتهم أغنية شعبية نصها « أورار ديما - ديما ، نروحو عند لالا حليلة » وتعني الرغبة في دوام الفرح وتجده ، ولا يستبعد أن تكون ذات أصل قديم ، وقد عبر سكان القلعة منذ القدم عن فرحتهم بظهور دولة المهدي ، بعد أن تمكن من النجاة بنفسه من أيدي العباسيين وورقباتهم وبقيت كذلك لتشير الى الرغبة في استمرار الخير ، وتجدد حركات الإصلاح وازالة الظلم التي ترتبط منذ القدم بفكرة ظهور المهدي المنتظر من آل البيت الذي يظهر ليقضي على الفتن ويبقى ظاهرا مدة سبع أو تسع سنوات (344) .

— ويلاحظ أن المكان الذي توجد فيه القلعة ، غني بالفجوج (ج فج) وهي الطرق الضيقة المحصورة بين المرتفعات ويوجد منها بقرب القلعة وحدها فجان هما :

343 - الأدريسي : المصدر السابق 96 وعن زقاق الكلاب في مصر القديمة انظر : ابن دقماق الانتصار بواسطة عقد الأعمار 4 ، 17 .

344 - يوسف بن يحيى السلمي : عقد الدرر في اخبار الامام المنتظر ورقة 2 ب ، خ بتونس رقم 1605 ويتألف من 12 بابا في الرابع منه وعنوانه : فيما يظهر من الفتن الدالة على ولايته ، حديث شريف ، نصه : « يتزل بامتي في آخر الزمان بلاد شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاد أشد منه حتى تصيق عليهم الأرض الرحبة وحتى يهلا الأرض جورا وظلما لا يجد المؤمن ملجا يلتجئ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي فيملا الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما فيرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدخر الأرض من بلدها شيئا الا أخرجهت ولا السماء من قعرها شيئا الا صبه الله عليهم مدرارا يعيش فيهم سبع سنين أو تسع سنين . » انظر ورقة 6 ب ، 7 منه أيضا .

فج امسد ، ثم فج الضباب ، وعلى مسافة (70 كلم) يوجد فج مزالة « مصالة » وفج امسد ، منهما يوجد بقرب سرب واسع يعتقد سكان الجهة انه طويل ويؤدي الى ميطة ، أي في اتجاهها طبعاً ، ولعله أحد المخابيء أو الطرق السرية التي كان يسلكها الدعاة وأفراد البعوث الصغيرة ، الى آفاق كتامة بعيداً عن أعين الرقباء والمخالفين . وهذا السرب يعرف عند السكان ، « بفار اجفري » .

أما فج الضباب فيتصل مباشرة بقلعة ايكجان وينحصر بين جبلي سيدي ميمون وسيدي صالح .

وفي سفح جبل سيدي ميمون الذي يحيط بالقلعة الا في ناحية وادي افارو يسكن فريق من السكان ، يعرفون في هذا الوقت « بني سكفان » وهم فيما يبدو بقايا رهط بني سكتان ، من قبيلة جيملة ، الذين أجازوا الداعي الشيعي ، بعد أن صحبه بعض حجيجهم من مكة .

ومن ثم فوجود هؤلاء السكان في نفس مكانهم القديم ، أو بقربه ، محتفظين بالاسم التاريخي مع تحريف بسيط ، دليل يرجح أن بقايا الأثار القريبة منهم هي نفسها قلعة ايكجان دار هجرة الاسماعيلية في ولاية افريقية ، ومعتصمهم الاول ، من طواريء الحدثان ، وما فج الاخيار ، الذي نطق به الشيعي ، الا فج الضباب القريب من القلعة ، الذي كره الداعي ، أن يعرف بغير فج الاخيار تفاقولا واطراء .

— يبدو أن وجود خرائب ، لقلعة تازروت (قرب القريصة) على مسافة قريبة من آثار القلعة ومن الخرائب التي توجد قرب قرية بني عزيز الحالية ، دليل على أن الأخيرة هي بقايا قلعة ايكجان القديمة ، لأن النصوص تشير الى سهولة انتقال الداعي ، من ايكجان الى تازروت (345)، أي من منطقة ظهرت فيها فتنة الى منطقة قريبة منها أظهر سكانها استعداداً لحمايته (346) وليس من السهل أن يفارق الداعي قلعة الأولى ، الا الى مكان آمن وقريب ، لأن نيته كانت معقودة على العودة عندما تنكشف سحب الخلاف ويتبدد الضباب .

— والناحية الأخرى الهامة في موضوع تحديد مكان قلعة ايكجان هي طبيعة المنطقة أو عبقرية المكان .

345 - ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 12 يذكرها باسم : ناصرون وهو تصحيف وجاءت ناصروت في القرظي أنظر اتعاط الحنفا 1 : 58 وقد أهمل ذكرها البكري ، وابن عذارى وصاحب الاستبصار والأديسي والمستشرق باسيه في مقال كتامة بالدائرة انظر :
EI., (Art. Ketama) T II p. 909

346 - النويري : المصدر السابق 26 ورقة 27 .

وفي هذا المجال يلاحظ أن القلعة المجاورة لقرية بني عزيز تتوفر على عنصرين هامين هما :

الحماية الطبيعية والاكتفاء الذاتي في الماء والزرع .

فالقلعة في مكان جبلي وعز ومنعزل عن الظهر الخلفي ، وتحيط بها جبال سيدي ميمون وسيدي صالح ، ومرزقان ، وبابور ، ويلتف حولهما وادي الكلاب وبقرها يجري وادي بورديم ويصبان معا في الوادي الكبير ، الذي يصب في البحر . وتنتشر حولهما سهول عالية خصبة ، أهمها سهول : ظهر التين والمشوار وابن الصالح وتاشهودة ، وشعبة الزكار . وبجوارها ينابيع كثيرة منها : عين أقارو وتمتد من بابور ، وتتغذى بها حاليا قرية بني عزيز . ثم عين المكنم وتوجد أسفل القلعة وهي دائمة الجريان وتسقي بمياهها في هذا الوقت بساتين وزروع في الناحية . ثم أن الطرق التي تؤدي الى القلعة ، او تنطلق منها ، هي طرق ضيقة او فجوج تلائم فترة الدعوة لحركة سرية جديدة عن السكان .

ولا ريب أن توفر القلعة على هذا الموقع الحصين الغني بالخيرات هو سر اختيار الداعي الشيعي لها مركزا دائما ، يبت منه دعوته ، ويرسل دعواته الى الافاق في حرية وفي اطمئنان .

ثم ان طابع العزلة في هذا المكان وبعده عن الطرق الرئيسية (= الجادة الطريق الاعظم عند بعض الرحالة) (347) التي تسلكها عادة قوافل التجارة والحج ، والرحالة ، والجند ، هذا مع بعده عن الساحل ايضا يرجح انها هي القلعة الاولى للدعوة الاسماعيلية لأن مهمة الداعي في هذه الفترة كانت التهيئة والاعداد النفسي ، والمادي للانصار بعيدا عن أية جلبة او تأثير ، ولا يصلح لها ، غير مكان حصين منعزل ، أرضه غير سابلة .

ومكان القلعة الآن ، تقوم فيه مقبرة تعرف عند السكان باسم مقبرة سيدي علي البصري ، فهل أن هذه المقبرة نسبت لبعض من كان في القلعة من مدينة البصرة الى جوار الداعي ، واقبر في المكان بعد وفاته ؟ او هي تحمل اثارا من نسبة الداعي الى البصرة ، او من علاقته بها في وقت ما من حياته العملية عندما مارس فيها خطة الحسبة . ونشير هنا الى ما قيل حول نسب عبيد الله المهدي وتلقيبه عند المنكرين لنسبه بابن البصري (348) .

347 - يعقوبي : المصدر السابق 990 ط النجف . ابن عسداري : المصدر السابق 1 ، 201 ، ابن رسته : الاطلاق النفيسة 1/8 - لندن 1891 .

348 - ابن ظافر (جمال الدين ابو الحسن علي) اخبار الدول المنقطعة ورقعة 43 - مخطوط دار الكتب رقم 890 تاريخ النيسابوري (احمد بن ابراهيم) استتار الامام : 96 ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد 4 ج 2 ديسمبر 1936 عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري : 28 .

وتستخدم حجارة القلعة الآن في بناء القبور والمساكن ، كما بنيت ببعض انقاضها بيوت في قرية بني عزيز القريبة .

ويسمى سكان الجهة ، منطقة سهلية مقابلة لخربة ايكجان ، باسم (مصر) وهي عبارة عن بساتين وزروع وينابيع فلعلها من اطلاقات جماعة المؤمنين في ذلك العصر كذكرى لتقديرهم ، لوالي مصر ، الذي لم يصب المهدي في بلاده اثناء هجرته الى المغرب ، بأي اذى رغم وضوح حقيقته عند بعض رجال الوالي .

فوجود اسماء سيدي علي البصري ومصر بجوار القلعة يرجح ايضا، انها هي المركز الاول الذي اختاره الشيعة مقاما .

وقد اشار الرحالة الادريسي الى قرب حصن ايكجان من حصن سطيف وملاحظته صحيحة بالنسبة للمكان الذي رجحناه . انما يلاحظ ان حصن سطيف يقرب كثيرا مما يسمى الآن ، فجيل ، ولذلك لا يستبعد اعتباره ايكجان القديمة لولا ان هذا المكان لا يتوفر على الميزات التي ذكرناها ، ولا يوجد من بين سكانه من يذكرون بالقدماء ، وهو في منبسط من الارض ، وغير حصين في موقعه ، وبعيد عن مدينتي ميلة وتازروت ، ولا يتصور بسهولة ، ان يختاره الداعي مكانا لاستقراره ، لانه معرض للسقوط في اول هجوم معاكس ، وربما كان الاولى اختيار سطيف . كما انه لو صح هذا الافتراض لحدثتنا النصوص المعاصرة وغيرها ، عن شيء من اهتمام عامل سطيف بالحركة الجديدة ، لانها تهدده مباشرة ، وفي دائرة نفوذه ، كذلك يكون الداعي مضطرا لبدء نشاطه الدعائي والمادي باكبر المراكز القريبة منه ، وهو سطيف لا بمدينة ميلة التي اشارت اليها النصوص فعلا .

وبينما نلاحظ ان منطقة فجيل جنوب سطيف، قامت فيها حفائر رسمية في العهد الفرنسي . وظهرت اهميتها في عصر ما قبل التاريخ ، اذ ينسب اليها نموذج لا قدم انسان في الجهة وجد بعين الحنش ، فعرف بانسان عين الحنش . لم تقم أية حفائر رسمية في قلعة ايكجان ربما لارتباطها بالعصور العربية الاسلامية ، او لم تتجه اليها الانظار كمركز قديم للحركة الاسماعيلية في البلاد .

وكل ما قام في هذا المكان ، ان هي الا محاولات فردية قام بها عمال الأرض ، والباحثون عن الحجارة ، او عن الكنوز ، وقد ظهر من هذه الحفائر التي يمكن تسميتها حفائر شعبية :

— وجود اواني فخارية كثيرة ، من بينها قواديس كانت تستعمل لنقل الماء ثم بشر قديمة ، مطمورة بالتراب الذي تظهر عليه آثار التلويث ربما كانت مستودعا للزيت . والحجارة الموجودة بمكان القلعة ، من احجام مختلفة

بعضها ضخمة ، لكنها ليست من النوع المألوف في العمارة الرومانية ، وهي مكسوة بملاط أبيض ، وقد جمعها خفير القلعة ، على شكل سياج يحيط بمجموعة البساتين التي توجد بأعلى القلعة وبجوارها . ونرى في المكان بقايا سور القلعة كما نرى الأعمدة في بعض الأركان بادية . وكانت الأعمدة قبل هذا الوقت كما أخبرني الخفير البلدي الذي يسكن بجوار القلعة (عمره 72 سنة) أكثر ظهوراً . ومن شكل المكان ، نلاحظ أن القلعة كانت أقرب إلى الاستدارة منها إلى الشكل المربع ، وتأخذ كامل مساحة الهضبة التي تقع عليها ، بحيث لا يرى تحتها إلا فضاء وانحدار ، يؤدي إلى الفجوج والأودية المحيطة بها .

وقرية بني عزيز ، التي توجد القلعة بجوارها ، بلدية مستقلة ضمن بلديات دائرة العين الكبيرة (ولاية سطيف) ومجموع سكانها الآن ، حوالي عشرين ألف نسمة ، منهم حوالي ألف وثمانمائة للقرية وضواحيها ، وقد نسبت القرية لأحد فروع سكانها ، وهم « بنو عزيزي » الذين يشاركون الرياشة ، وأولاد الحاج وأقنوش في المكان » .

— ويضاف إلى المراكز الكنامية الرئيسية مراكز أخرى ثانوية تعتبر على هوامش إقليم كتامة لكنها تتأثر بما يقع فيه من أحداث وتستقبل عناصر منه ومن هذا القبيل مدينة تيجس (349) (قرب سوق أهراس) وهي مدينة عامرة ، ذات أصول فينيقية قديمة ، وتقع بجوارها مدينة قصر الأفريقي ، ثم مدينة توبوت ، وهذه من مجالات كتامة ، وتتصل المدينتان (تيجس ، توبوت) عن طريق عامر ، مخضر ، بهيج ، عرف عند الرحالة البكري بالجناح الأخضر (350) .

وكانت تبعية تيجس ، لمدينة باغاية ، على سفوح كتلة أوراس (351) وهذه بالرغم من أنها خارجة عن إقليم كتامة ، إلا أن استقرار عناصر من كتامة ميلة فيها وكونها ضمن إقليم الزاب ، جعلها شديدة الصلة بأرض كتامة وكان سقوطها في أيدي جند الداعي من كتامة ، فيما بعد ميسورا .

349 — البكري : المصدر السابق 53 ويفصلها عن قصر الأفريقي وادي الدنانير ومن عناصر سكانها انظر 63 منه .

350 — نفسه 54 ويلاحظ أنه يمتد حتى مدينة الفدير (= غدير وادو) حيث ينبع نهر سهر وهو وادي مدينة الحمديدة (= الوادي الرئيسي) وعليه سد القصب ، وهو في مضارب عجيسة يبدو أن سكانه من هواره ، كانوا في عصر البكري يعدون 60 ألف نسمة ، انظر 76 منه الأديسي : المصدر 64 .

351 — نفسه 50 ، اليعقوبي : المصدر السابق 102 ابن حوقل : المصدر السابق : 84-85 الأديسي : المصدر السابق 74 - 75 .

وكتلة أوراس (352) ، هي الأخرى على هوامش إقليم كتامة لكنها ترتبط به ارتباطا وثيقا من الناحية الادارية والجغرافية والاجتماعية الى حد ما .

وكانت هذه المناطق كلها تندرج في اطار مصطلح اقليم الزاب ، وهو مصطلح ذو مدلول واسع (353) ، يشمل ولاية افريقية والقيروان ، الاراضي التي تليها غربا ، وتبدأ من الطرف الجنوبي الغربي لاوراس الى ما وراء مدينة ازبة (زابي (Zabi Justiniana) القديمة) بجوار المحمدية (المسيلة) وربما شمل الاسم ما عدا ذلك حتى مدينة أشير بني زيري على سفوح جبال تيطري (354) .

ولقد أشار الرحالة الى بعض مدن الزاب وهي باغاية وقري كتلة أوراس ودار ملول ومقرة وجيجل وميلة ونقاوس وسطيف وطبنة ، التي وصفت بمدينة الزاب العظمى التي لا تفوقها في بلاد المغرب ، غير القيروان في افريقية وفاس في المغرب الأقصى .

وفي العصر الفاطمي ، أصبحت مدينة الزاب العظمى ، هي مدينة المحمدية وبقرها كانت مدينة ازبة القديمة التي أعطت اسمها للاقليم فيما يبدو . وهي في نظر بعض الجغرافيين والرحالة ، في القرن 3 هـ ، تمثل حدا اداريا لاقليم الزاب وحدا سياسيا . عندها ينتهي نفوذ الاغالبة والعباسيين . (355) وتبدأ مراكز النفوذ الانفصاليين من الخوارج الاباضية والصفرية ومن العلويين أيضا (356) .

352 - من وصف اوراس ومميزاته ونوع سكانه انظر :

E.I. (Art Awres) T. 1, p. 528 Sqq.

وهنا يلاحظ ان جراوة واورية هاجرتا وحلت محلهما عن طريق الهجرة من طرابلس وجنوب تونس ، هوارة ولواته وعن طريقهما انتقلت التيارات الخارجية خاصة الاباضية الى المنطقة .

353 - يعقوبي : المصدر السابق 102 ونص ما جاء فيه (ومن القيروان الى الزاب عشر مراحل ، والزاب بلد واسع) ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 116 ويصرف الزاب بانه بلاد الجريد ، ويميز جورج ايفر بين الزاب الشرقي والغربي والشمال في مقالة في : E.I., Art Zab, T. 4, p. 1246-47 الاستبصار (لجهول) 171 وما بعدها ، ويشير هنا الى ان الزاب طرف الصحراء وسمت الجريد .

354 - القدسي : المصدر السابق 221 وعن قلعة زابي - قرب المسيلة انظر جوليان المرجع السابق 1 ، 363 وعن مدينة اشير بني زيري انظر البكري : المصدر السابق 60 .

355 - يعقوبي : المصدر السابق 103 ، وفيه (ومدينة ازبة (اربة) وهي أخسر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الاغلب ولم يجاوزها السوداء) البكري : المصدر السابق 144 ويرسمها ادنه ويشير الى خرابها في سنة 324 هـ .

356 - نفسه 104 - 105 .

وأضاف المقدسي والبكري وصاحب الاستبصار الى مدن الزاب بسكرة النخيل ، وباديس وتهوده (357) (سيدي عقبة) وبنطيوس وطولقة وغيرها وهي التي تعتبر بحسب المفهوم الجغرافي الحديث، منطقة الزيبان الحقيقية وهي مركز انتاج التمور . ولمدينة بسكرة ، ميزتان كانتا محل عناية الفاطميين فهي غنية بالملح الجيد الذي يستخرج من جبل الملح بجوارها ، وكان يحرص على جلبه الى المهدي عبيد الله ، وخلفاؤه ثم نوع من التمر الجيد ، يعرف (باللياري) وهو أبيض أملس كان عبيد الله المهدي يمنع بيعه في الأسواق ويحتكره لنفسه (358) .

وفي مجالات منطقة الزاب يوجد أخلاط من هوارة ومكناسة وصدراة وزناتة مع عناصر من القيسية والكلبية وعنصر المولدين وتبعاً لذلك تنتشر الى جانب المذاهب السنية ، المالكية والحنفية ، النحلة الإباضية (359) .

والملاحظة التي ننهي بها الحديث عن وصف بيئة كتامة ومراكزها في افريقية والمغرب الأوسط ، هي التأكيد على أن بعض المراكز ، تصدر الأحداث في ايجابية لفائدة الحركة الاسماعيلية الجديدة ومنها ايكجان وتازروت ومنها التي استسلمت لرجال الحركة ودعاتها ، سلما ودون مقاومة جدية مثل باغاية وقسنطينة وتزعم بعضها الحركة المناهضة للدعوة الجديدة مثل سطيف وطبنة ، وشهد بعضها أحداثاً خطيرة هددت كيان الدولة الفتية مثل ميلة وكتلة اوراس ، ومضارب عجيسة .



لم يقتصر وجود فروع كتامة على منطقة افريقية والمغرب الأوسط وإنما تجاوزهما الى أماكن أخرى في شمال المغرب الأقصى وجنوب شبه جزيرة الأندلس .

وإذا أخذنا بما جاء في كتاب العبر ، لابن خلدون ، عن كتامة فإن افتراض قدمها في هذه الأماكن وأصالتها افتراض مقبول غير أنه يبدو أقرب الى

357 - وعن وصفها انظر ابن مغازي 1 ، 17 البكري : المصدر السابق 72 ويسمىها مدينة السحر .

358 - البكري : المصدر السابق 52 ، وعن ذكريات القائم بأمر الله في بسكرة أثناء مروره بها يذكر أحمد بن محمد الروزي ضمن قصيدة طويلة قوله :
ثم أتى بسكرة النخيسل قد اغتدى في زيه الجميل
الاستبصار (لجهول) 173 .

359 - البكري : المصدر السابق 72 - 73 ، المقدسي : المصدر السابق 221 ، 226 ،
227 الادريسي : المصدر السابق 66 . H.R. Idris : Op. Cit., T. II, p. 479-81 .

الصواب ، القول بأن وجود معظمها في هذه المناطق من شمال المغرب الأقصى إنما يرجع الى فترة ظهور الحركة الاسماعيلية في افريقية والمغرب الأوسط ثم الى فترة توسعها في المغرب الأقصى والاندلس . خاصة وأن هذه المناطق والمدن مثل طنجة وسبتة وغيرها - كانت محل تنافس شديد بين الفاطميين في المغرب ، تؤيدهم فروع كتامة وصنهاجة ، ومكناسة وبين الأمويين في الاندلس ابتداء من عهد عبد الرحمن الثالث (الناصر) الذي اتخذ لنفسه لقب الخلافة منافسة للمهدي ، ومجاراة له وللعباسيين (360) ، وكانت تؤيد مشاريعه في المغرب وتكافح النفوذ الفاطمي بلا هوادة فروع زناتة وانضمت اليها بعد فترة تعاون مع الفاطميين قبيلة مكناسة ثم الادارسة العلويين في فاس والصفرية في سجلماسة .

فكانت عناصر من كتامة تأتي ضمن الجيوش لمحاربة هؤلاء أو أولئك ثم تتسرب مجموعات منها تحت ظروف معينة أو تستجلب للإقامة في المنطقة بوسائل الاغراء . أو قد تقيم بعض المجموعات بدافع الملل من حياة الجندية أو كراهية للاستبداد الفاطمي ، أو تعبيرا عن الهزات التي تعرضت لها عناصر كتامة سواء في افريقية أو في بيئتها الأصلية .

وقد لا يستبعد أن يكون توطين هذه العناصر في شمال المغرب الأقصى بقرب شبه جزيرة الاندلس ، سياسة فاطمية مرسومة بقصد التوسع وراء العدو الدنيا ، أو ليقوى بهؤلاء المستوطنين جانب الدفاع عن الوجود السياسي للفاطميين في المنطقة ، ضد الأمويين وأتباعهم ، ثم جانب الهجوم أيضا ، ضد سواحل الاندلس المعادية .

وغني عن الإشارة ، أن ظاهرة هجرة السكان ، في بلاد المغرب ، وانتقال فروع قبيلة من منطقة الى أخرى ، كانت قائمة قبل العصر الفاطمي ، لكنها فيما يبدو نشطت أثناءه . ولقد شهدت منطقة كتامة الأصلية في افريقية والمغرب الأوسط تطورا كبيرا جرى في غير صالح سكانها ، منذ رحيل المعز لدين الله الى القاهرة . 361 هـ / 971 - 972 م بسبب استبداد صنهاجة بالأمر حتى أصبحت كتامة مراقبة وتفزي لانفخ الأسباب ويخشى جانب رجالها الباقين فيحشرون مع المخالفين لصنهاجة لمجرد الشبهة . أما اذا بدأ تحرك من جانبهم فان الرد يكون عنيفا وقاسيا لا يتناسب مع الماضي القريب للقبيلتين وما عرف من تكامل وتعاون بينهما لفائدة الفاطميين .

360 - المقري : المصدر السابق 3 ، 145 - 150 ويلاحظ أن تفسر أسباب التحول في الاندلس يسوء وضعية العباسيين فقط ، دون الإشارة الى ما اصطنعه المهدي لنفسه من لقب امارة المؤمنين فيه قصور بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة 6 ، ورقة 194 . خ مكتبة جامعة القاهرة رقم 24026 .

— ونهضة السنة في القرن الخامس للهجرة وتبني المعز بن باديس للاتجاه المعادي للفاطميين في مصر ، وللمتشييعين في افريقية بتأثير معلمه المالكي ووزيره أبي الحسن علي بن أبي الرجال (361) ، أصاب كتامة المتشيعة بضرر كبير ونزلت عليها نقمة الحكام ونقمة جماهير أهل السنة الذين امتحنوا واضطهدوا في عصر طفيانها .

وقد لاحظنا أن النصوص تشير الى مدى ذلة كتامة، حتى أصبحت تنكر نسبتها في بيئتها الأصلية لكنها في مواطن هجرتها بقيت على وضعها واحتفظت باسمها . ومما له دلالة خاصة ، أنها في شمال المغرب ، لم تندمج في فروع صنهاجة بقدر ما اندمجت في بعض فروع مصمودة الشمال في نواحي سبتة وطنجة وعرفت في هذه النواحي بنزعتها السننية المالكية كما عبرت عن نفسها في المجال الفكري كما أسلفنا . وأشار البكري الى فرع لكتامة بين فروع مصمودة في المنطقة الساحلية بين طنجة وسبتة وهي دغاغ ، وأصاده ، وبنو سمغرة ، وهؤلاء الآخرون هم أهل جبل مرسى موسى (362) . وعن سكان كورة طنجة لاحظ أنهم من فروع صنهاجة ، (363) بخلاف سكان سبتة ، فكانوا خليطا من عرب الصدف ومن نفس عنصر البربر الذين يوجدون في مدينتي البصرة وأصيلا وأظهر ما يوجد في هاتين المدينتين عناصر من كتامة ولواته مع بقايا الادارسة (364) .

ومراكز كتامة في شمال المغرب الأقصى وعلى الطريق من سبتة الى فاس أهمها :

361 — ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 395 وورد فيه ابن الرجال بالزاي ، الاستبصار (لجهول) 167 — 168 — يحي هويدي : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية 1 ، 97 — 98 ، وورد ابن أبي الرجال في : محمد النيفر : عنوان الأريب 1 ، 57 — 58 حسن محمود : محنة الشيعة 93 — 99 مقال المجلة التاريخية المصرية مجلد 12 ديسمبر 1950 وانظر مقال سوتير في :

Et., Art Ibn Abi Ridjal T 2 p. 378

362 — البكري : المصدر السابق 104 وعن مرسى موسى وخصائصه انظر ص 105 منه وهو مامون ومتعبد أهل سبتة وتكثر فيه القردة ويقابله من الأندلس مرسى (بورت لب) .

363 — البكري 104 وعن كورة طنجة ومدى اتساعها « مسيرة شهر في مثله » انظر ص 109 منه .

364 — نفسه 103 وكانت سبتة مسورة في عصر البكري بسور صخر محكم البناء ، شيده الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لتصمد أمام انصار الفاطميين ، الأدرسي : المصدر السابق 108 وقد أشار لنشاط سكان سبتة في صيد المرجان ، وتصديره الى السودان .

— قلعة ابن خروب (365) على مرحلة من طنجة ، وصفها البكري بالكبر وسعة العمران ، وبالقرب منها بلد دمنة عشيرة ، وعلى الرغم من أنه من مضارب صنهاجة ، إلا أننا لاحظنا شخصيات من كتامة تنتسب إلى هذا البلد، ومنهم أسرة أبي عبد الرحمن بن العجوز . وتلي دمنة عشيرة مجموعة قري لكتامة تجاور كبرى حواضرها التي تعرف بسوق كتهامى وتقع على نهر وارلكس وصفها البكري بالحاضرة الشريفة لكونها اتخذت قاعدة لأحد الأمراء الادارسة وهو ادريس بن القاسم بن ابراهيم ، وامتازت أيضا بالكبر ، وبالنشاط التجاري وقد اعتبرها المقدسي ضمن قري اقليم فاس والسوس الأدنى (366) . ويتصل بهذه المدينة مركز آخر لكتامة هو :

— قصر دنهاجة ، عرف بهذا الاسم ، نسبة لأحد فروع كتامة وهي دنهاجة التي لاحظنا من قبل وجود آثار لها في بيئة كتامة الاصلية . ويعرف أيضا بقصر كتامة احتفاظا بالتسمية العامة كما ينسب إلى شيخ من كتامة ، يعرف بعبد الكريم خلد ذكره فيه بالبنيان الذي أحدثه وبرعاية شئونه . وكان محل عناية من الموحدين ، إذ يشير صاحب الاستبصار إلى سعة عمرانه وتمدنه ، وكثرة سكانه ، من كتامة ومن التجار الذين استوطنوه كما لاحظ أن الموحدين بنوا فيه فندقين عظيمين . وآثاره القديمة تشير إلى ماض عريق ، وقد أشار البكري إلى أهميته كاستراحة لبعض ملوك البربر في العصر القديم (367) .

ويعرف الآن باسم القصر الكبير تمييزا له عن قصر المجاز ، وهو قصر مصمودة الذي يقع بين سبتة وطنجة . ويلاحظ أن كلمة القصر ، التي تعني الحصن في الاصل تطلق في بلاد المغرب على القرية أو المدينة ومن ذلك ، قصر البخاري وقصور توات في بلاد المغرب الاوسط (368) .

365 — نفسه 109 الاستبصار (لجهول) 190 وذكرت فيه باسم قلعة ابن جندب ويوجد بقرب بونه مرسى الخروبة وبعجوار فسنطينة قرية الخروب وضاحية الخروبة قرب الجزائر العاصمة مشهورة بسباق الخيل ، واللقب شائع في جهسات من الشرق الجزائري وفي بيئة كتامة .

366 — انظر عياض : المصدر السابق 4 ، 720 - 721 ، 782 البكري : المصدر السابق 110 المقدسي أحسن التقاسيم 219 .

367 — ياقوت : المصدر السابق 7 ، 106 الادريسي : المصدر السابق 53 ، البكري : المصدر السابق 110 ويشير إلى جبل صرصر من مضارب كتامة جنوب شرقي القصر أبو القاسم الزباني : المصدر السابق 80 ، الاستبصار (لجهول) 189 البغدادي مرصد الاطلاع 3 ، 1099 .

368 — أحمد بن سعيد الجيلدي : التيسر في أحكام التسعر 54 وقصر مصمودة كان مركزا لدار صناعة السفن في المغرب انظر الادريسي : المصدر السابق 108 .

ولابن الخطيب وصف لقصر كتامة (369) ، ومقبرة بني شقيلولة الأندلسيين فيه . وكان رئيس الأسرة ، أبو اسحاق ابراهيم بن شقيلولة ، قد عزل من مركز ولايته في وادي آش جنوب شبه الجزيرة . وعوض من طرف السلطان أبي يوسف يعقوب المريني بولاية القصر الكبير ، فنزل فيها بأهله وولده ولما توفي سنة 686 هـ / 1287 - 1288 م دفن في مقبرة هناك هي التي أشار إليها ابن الخطيب بقوله (دخلت قصر كتامة ، وزرت - مقبرة الرؤساء من بني شقيلولة بظاهره وهي قبة ضخمة البناء رحبة الفناء ، فسيحة وحدها بذلك البلد ، وبها قبر سنامه رخام ، مكتوب عليه بعض أبيات شعرية (370) .

ولاحظ ابن الخطيب أنرا من الرخام سجل عليه : اسم الأمير الأندلسي جاهد العدو لمدة 23 سنة ، ثم انتهى به المطاف الي ما يشبه الأسر في القصر الكبير طاعة لله ولرسوله ، واستجابة لرغبة السلطان المريني الملك الأعلى أمير المسلمين (371) .

- ومن المراكز التي توجد فيها عناصر من كتامة مدينة البصرة ، ثم مدينة أصيلا (أزيلا) وقد اعتبرهما بعض الرحالة ضمن اقليم طنجة الواسع العامر بالقري وبالمدن والبوادي ، التي تنتشر فيها فروع مختلفة من قبائل البربر (372) .

والبصرة كانت في بدء امرها رباطا صغيرا ، مثل أصيلا وقد بنى الرباطان في وقت متقارب وعلى يد عناصر من كتامة . ويبدو أن مواجهة خطر عنصر المجوس (النورمان) في المنطقة الساحلية هي التي دفعت المجاهدين من كتامة الى تأسيس رباطي البصرة ، وأزيلا ، لمراقبة السواحل ولدفع الاخطار

369 - واهتمام الموحدين ويعقوب المنصور (1184 - 1199 م) بالقصر الكبير تابع من اهتمامهم بحركة الجهاد في الأندلس انظر :

Léon L'Africain : Op. Cit., p. 252 n° 39

370 - نصها :

قبر عزيز عينا	لو أن ما فيسه يفسدى
اسكنت قسرة عيني	تربا وغطيت لحيدا
ما زال حكما عليه	وما الفضااء تعسدى
فالمبسر احسن ثوب	إذا المـزيز تـردى

371 - الثرياني : المصدر السابق ، 477 - 478 ابن الخطيب الاحاظة في اخبار غرناطة مجلد 1 ، 198 هامش 1، 572 - 573 وعن وادي آش من أعمال غرناطة انظر المقرئ نفع الطيب 1 ، 293 ، 294 .

372 - الاصطخري : المصدر السابق 39 .

عنها (373) وعندما انضمت الى كتامة عناصر اخرى من المرابطين والمجاهدين من اخلاط البربر والعرب وابتنوا وعمروا ، تطور الرباطان فأصبحا مدينتين كبيرتين في عهد محمد بن يوسف الوراق القيرواني ، وأبي عبيد الله البكري ، وقد لاحظ الأخير كيف أن البصرة غدت مدينة مسورة وبها عشرة أبواب تؤدي الى أرباضها الواسعة الفنية بالخيرات والينابيع . وهي ضعف الموجود منها في مدينة أصيلا وبها حمامان ، ومقبرتان ، وجامعها بلغ من الكبر حدا كبيرا وكان مقاما على سبع بلاطات ، أي ممرات ، بخلاف جامع (أزيلا = أصيلا) الذي أقيم على خمس بلاطات . وكانت المعاملة التجارية بين أهلها تجري بالكتان ومن ثم عرفت ببصرة الكتان ، كما عرفت ببصرة الذبان ، لكثرة الألبان ، والحمراء بسبب لون تربتها (374) .

ولاحظ الإدريسي أن مدينة البصرة ، كانت في عهده مدينة « مقتصدة » وسورها غير حصين لكنها غنية ، هواؤها معتدل وسكانها على درجة كبيرة من الاستقامة (375) .

أما مدينة أصيلا (أزيلا) وتعني الجيدة ، فأهميتها ، ليست فقط في كونها منطقة ثغرية ورباطا لحراسة السواحل المغربية ، من الأخطار الخارجية بل أيضا بسبب سوقها المشهور الذي كان يقام ثلاث مرات في السنة ، وفي مواسم معينة ، هي شهر رمضان ، ويوم عيد الأضحى ، وفي موسم عاشوراء (10 محرم) وتشبه في وقتنا نظام المعارض الدولية .

وكان بعض المشتركين في أسواقها ، يفضل البقاء فيها للرباط وللتجارة . وبسبب ذلك اتسعت وتمدنت واستبحر عمرانها . وأصبح سكانها خليطا من أرجاء المغرب ، والأندلس وصقلية (376) .

373 - ظهر الجوس امام ساحل أصيلا مرتين ، ككتاهما في عصر عبد الرحمن بن الحكم « الأوسط » كما ظهروا امام تكور أيضا ونهبوها سنة 244 هـ انظر ابن عذاري البيان 1 ، 331 - 332 البكري : المغرب 111 - 112 هـ 92 حسين مؤنس : غارات النورمانيين على الأندلس بين (229 - 245) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عدد 1 مجلد 2 مايو 1949 ، ونزولهم أول مرة بأصيلا كان للبحث عن كثر (229 هـ) وفي المرة الثانية كان نزولهم اضطراريا بسبب رداة الطقس ، وجنوح سفنهم .

374 - البكري : المصدر السابق 110 ، ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 336 وهنا يشير الى تبعيتها لنفوذ فرع ادارة الريف ، وقد ملكها منهم لأول مرة إبراهيم ابن القاسم بن ادريس ، واستمر الحكم في ذريته حتى سنة 347 هـ الاستبصار 189 .

375 - الإدريسي : المصدر السابق 109 .

376 - البكري : المصدر السابق 111 - 112 ، وكانت تبعيتها للقاسم بن ادريس والتالي حسن الحجام . ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 331 وما بعدها الإدريسي : المصدر 109 ، الاستبصار 139 - 140 .

والى جانب المراكز السابقة ، توجد مراكز أخرى ثانوية ، منها قرية الكنيسة بجوار دمنة عشيرة ، ووادي امغار ، بقرب مدينة حجر النسر قاعدة بني محمد من ادارة الريف وهو مركز لتجمعهم ، من أنحاء المغرب بعد تشريد ابن أبي العافية لهم واقتس قاعدة جنون بن ابراهيم من الادارة ، وهي الى الغرب من الحجر (377) ، ثم مجاز فكان ، وفيه فرع كبير من ملوزة وقد لاحظ البكري ، اشارة الى كثرة عددهم ، بقوله « ويركب لهم خمسمائة فارس » (378) هذا بينما لاحظ ان فرع بني سكين من مصودة الشمال ، وقاعدتهم (تيطاون) لا يركب لهم غير مائة فارس (379) .

وبقرب مجاز فكان عبر موضع يعرف بالرصافة توجد كدية تافوغالت ، وعلى الرغم من انها لفرع من صنهاجة ، الا اننا نلاحظ ، وجود فريق من السكان من بقايا كتامة يعرفون بني فوغال ، في ناحية جيجل وفي شمال جميلة (380) .

* * *

ويظهر ان فروع كتامة في شمال المغرب الأقصى ، لم تقتنع بمراكزها سواء كانت على الساحل ، او في الداخل بل قادت الهجرة الى بعض كور ومدن الأندلس وقد اشرنا من قبل الى بعض بيوتات كتامة في أنحاء من شبه الجزيرة . ونضيف الآن بأن كتامة استفادت من موقع مراكزها في شمال المغرب مواجهة لبر الأندلس ، في تنشيط حركة الهجرة وراء عدوة المغرب .

وقد اشار ياقوت الحموي ، الى أن قصر عبد الكريم قرب سبتة من أرض المغرب يقابل اقليم الجزيرة الخضراء من أرض الأندلس (381) ، ومن ثم كانت الهجرة في بدء الأمر تتجه الى هذا الاقليم القريب من ساحل المغرب ومن مراكز كتامة .

377 - البكري : المصدر السابق 114 وعن استقرار بعض امراء الادارة في مضارب كتامة انظر 131 ايضا ، وعن قاعدة حجر النسر ، وتأسيسها سنة 317 هـ على يد ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس انظر : 127 .

378 - نفسه 108 .

379 - البكري : المصدر السابق 106 - 107 وعن سكان تيطاون من بربر مكنسه انظر الادريسي : المصدر السابق 110 وعن بيعة مكنسه من بلاد غمارة انظر : الاستبصار 192 .

380 - نفسه 108 .

381 - ياقوت : المصدر السابق 7 ، 106 .

ويظهر أن العناصر الكتامية تكاثرت على هذا الاقليم ، وتجمعت في مكان منه وأرادت أن تميز نفسها ، عن يجاورها وتحتفظ بشخصيتها وبعلاقاتها مع أصولها في أرض المغرب الأقصى ، ولذلك أطلقت على مكان تجمعها الجديد في اقليم الجزيرة ، اسم قصر كتامة ، ربما لأن أغلب المهاجرين كانوا أصلا من مدينة قصر عبد الكريم في بلاد المغرب ، أو أرادت في مهجرها الجديد أن تعبر عن رابطة القربى ، التي تجمعها مع عناصر كتامة في المدينة الأم .

وقد تفرد ياقوت ، دون غيره من الرحالة والجغرافيين ، بذكر مدينة باسم قصر كتامة على ساحل الأندلس الجنوبي ، وأكد الأمر ، باعترافه بأن له فيها بعض الأصدقاء من ذوي النباهة والعلم (382) .



— لم تشر النصوص التاريخية الى اسم كتامة أو أحد فروعها ، قبل العصر البيزنطي رغم أنها أشارت الى بعض قبائل طرابلس ، مثل الجرامانت (Garamantes) نسبة لجرمة ، ولوارة (Lawata) والى بعض القبائل التي كانت تسكن منطقة السهول العالية في الجنوب التونسي ، ومنها قبائل (Frexes) التي تحول نطقها الى (الفراشيش) الذين تمتد أراضيهم منذ القدم من فريانة حتى تالة وتبسة ، وقبائل الفراشيش مثل لوارة ، كانت لها سمعة طيبة في النضال ضد البيزنطيين (383) والاخيرة منها وهي لوارة ، غدت عنصر شغب ، وعامل اضطراب في صفوف الجيش الفاطمي أيضا (384) . ولكن النصوص ذكرت أن مرتفعات جبال بابور كانت مقرا للجبلين من قبائل « البابار » الذين اخمدت روما ثوراتهم بصعوبة ووضعت نظاما لمراقبة منطقتهم . وأغلب منطقة كتامة ، منذ القرن الثالث ق.م كانت تعيش في اطار امارة ماسيليا التي كانت مدينة سرطة (قسنطينة) عاصمة لها (385) .

واشتهر من ملوك ماسيليا ، ماسنيسا ، الذي لعب دورا هاما في حمل قبائل الجهة ، ومنهم فروع كتامة على الاستقرار للزراعة والانصراف عن

382 — نفسه 109 ، البفداي : مرصد الاطلاع 3 ، 1100 .

383 — جوليان : المرجع 1 ، 370 — 382 احمد صفر مدية المغرب العربي 391 — وفي اليقوبي رواية تنسب لوارة الى السروم : انظر : البلدان 97 ط النجف
EI., (Art Lawata T III p. 19

384 — ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم بمصر 1 ، 200 وفيه اشارة عن شكوى المستنصر بالله منهم في أحد سجلاته الى صليحي اليمن (56) .

385 — جوليان (شارل) تاريخ شمال افريقية 1 ، 131 احمد صفر : المرجع السابق 173 — 373 الجليلي : المرجع السابق 1 ، 77 .

حياة التنقل والرعي (386) وكان سكان امارة ماسيليا هم أنصاره ومؤيدوه ضد خصمه العنيد صفاقس أمير منطقة ماسيسليا في الجزء الغربي من نوميديا الذي اتخذ صيغة على مصب نهر تافنة عاصمة له ، وكان في نيته أن يوحد القسمين الشرقي والغربي ويبقى وحده حاكما في المنطقة ، من مدينة سرطة (387)

وأكبر معارك حفيد ماسينيسا ، وهو يوغرطة . جرت في بعض مجالات كتامة (388) . ويبدو أن طابع الاستقرار عند سكان هذه المنطقة قديم نسبيا ويرجع الى هذه الفترة المبكرة من تاريخ امارة ماسيليا (389) ، لأن أهم مشاريع ماسينيسا التي خلدت اسمه وجعلته مؤلها في نظر رعاياه ، إنما هي تركيز الاقتصاد الزراعي وتكوين معالم أمة ، وأرساء قواعد دولة مستقرة لها رعايا موالون وعملة رسمية وظهر خلفي يمدّها بالمواد الأولية وجبايات منتظمة لتسيير الأجهزة الإدارية (390) .

وفي العصر الروماني تحقق شكل من أشكال الاتحاد الإداري والاقتصادي بين بعض مدن كتامة ، وهي ميلّة ، وسكيكدة ، والقل وسرطة التي كانت قاعدة تشرف على هذا الاتحاد ، الذي عرف باسم تجمع المدن أو البلديات الأربع (391) .

ورغم أن هذه المدن سقطت في قبضة المغامر الإيطالي ستياوس (P. Stius) الذي انتصر ليوليوس قيصر (392) في صراعه في شمال أفريقية ضد عناصر المعارضة من أنصار غريمه جنايوس بومبي (Cn. Pom Peius) (393) إلا أن حقها في الاتحاد في ظل أي شكل إداري بقي معترفا به (394) .

386 - نفسه 1 ، 133 - 135 ، الجليلي 1 ، 83 ابن منصور : المرجع السابق 1 ، 95 :
EI., Art Berberes T 1 p. 716-717

387 - نفسه 132

388 - الجليلي : المرجع السابق 1 ، 92 جوليان : المرجع 155 وما بعدها ابن منصور :
المرجع 1 ، 96 .

389 - ابن الأنباري : المصدر السابق ورقة 20 وما بعدها وكانت ماسيليا بمثابة حاجز
بن إقليم نوميديا وولاية فرطاجنة .

390 - جوليان : المرجع السابق 1 ، 136 - 137 الجليلي : المرجع 1 ، 84 .

391 - جوليان : المرجع 1 ، 168 ، 200 ، 216 ، 236 (الترجمة العربية) ، الجليلي
المرجع 1 ، 105 .

392 - نفسه 1 ، 166 الجليلي : المرجع 1 ، 110 .

393 - نفسه 1 ، 164 وما بعدها .

394 - نفسه 1 ، 168 .

وأراضي كتامة التي لاحظنا تبعيتها لامارة ماسيليا أصبحت في فترة من العصر الروماني ضمن ولاية موريطانيا السطيفية (395) ، التي تمتد من وادي أمسافة (الوادي الكبير) الى بجاية ، أي تنطبق على مجموع مجالات كتامة الداخلية التي يعبر عنها مصطلح حديث هو القبائل الصغرى (La Petite Kabylie) (396) أو قبائل الحدرة كما أسلفنا .

والمهم في هذا التطور ، بروز أهمية سطيف من بين مدن وحصون كتامة وكان من قبل مجرد مستعمرة خاصة بقدماء المحاربين تكونت في أواخر القرن الأول م ، تحت إشراف الإمبراطور ، نرفا - ثم تطورت فأصبحت مركزا إداريا لولاية جديدة (397) .

ويلاحظ أن منطقة زواوة وصنهاجة التي كانت من ضمن امارة ماسيليا (نوميديا الغربية) أصبحت في العصر الروماني ، تابعة لولاية جديدة هي موريطانيا القيصرية ، نسبة لمدينة قيصرية (398) (= شرشال الحالية) (399) التي كانت قاعدة الولاية .

وفي العصر البيزنطي حدثت تغييرات إدارية شكلية (400) . غير أن الناحية المهمة في هذا العصر ، حسب بعض النقوش المسيحية التي وجدت في فج فدل (بين ميله وجيجل) كما أسلفنا هي الإشارة الى وجود فريق من السكان في جزء من مضارب كتامة جنوب بابور ، وفي إطار منطقة القبائل الصغرى ، عرفوا اسم الاكوثماني أو الكتامين ، ولهذا يصح اعتبار ورود هذه الكلمة لأول مرة والعتور على هذه النقوش ، بداية لظهور اسم كتامة علما على مجموعة من السكان في بيئتها الاصلية (401) . وإشارة تؤكد

395 - نفسه 1 ، 350 ما عدا جيجل فكان في إطار موريطانيا القيصرية انظر 237 منه .
396 -

Alfred Bel : La Religion Musulmane en Berbérie, T. 1, 155-56 Paris, 1938
Ch. A. Julien, Op. Cit., T. II, p. 54.

397 - جوليان : المرجع السابق 1 ، 237 وتعاصرها في نشاتها مدينة جميلة Cuiulum القريبة منها وهي اقوى دلالة من غيرها على النفوذ الروماني في المنطقة لبقاء معالمها سليمة حتى الآن انظر 236 منه - الترجمة العربية .

398 - جوليان : المرجع السابق 237 .

399 - البكري : المصدر السابق 81 - 82 ، وهي ترد بهذا الاسم لأول مرة عند الوراق ، والبكري . انظر : ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار 244 .

400 - جوليان : المرجع 1 ، 361 .

401 - وفي الترجمة العربية الجغرافية بطلميوس القلوذي نلاحظ وجود مصطلحات : الساموس والجرمانت ، ولاية موريطانيا الطنجية والقيصرية والنوميديا وكلمة كداموس في إطار موريطانيا القيصرية فلعل الكلمة الأخيرة هي نفس كلمة الاكوثماني : انظر كتاب الجغرافية والغرائط الموجودة فيه (القاعة الشرفية) - مكتبة جامعة القاهرة .

صلة الروم وربما الرومان قبلهم ببعض فروع كتامة وقبائلها في مضاربها الرئيسية في منطقة بابور .

وكان هؤلاء الكتاميون يتمتعون بحرية اختيار ممثليهم وشيوخ قبائلهم يعيشون في اطار النظام القبلي تحت سلطة شيوخهم وامرائهم وحماية بلادهم :

وتتل هذه الكتابات البيزنطية المعاصرة ، من جهة ، على أن مجموعة من كتامة كانت متعودة على نوع من النظام وعلى الطاعة والولاء للتقاليد المحلية لدرجة أن النفوذ البيزنطي لم يؤثر عليها في هذه الناحية . ولم يتوغل داخل مضاربها واقتصر فقط على مجموعة المراكز الموجودة على الشريط الساحلي أو القريبة منه ، مع تلك الحصون الداخلية والاستحكامات التي كانت تقام هنا وهناك من بلاد المغرب ، لمراقبة أمن الطريق ، وتحركات محتملة من جانب السكان البدو ، وكانت غاراتهم لا تنتهي ، على مجموعة المراكز والحصون البيزنطية ، وعانى سليمان القائد وخلفاؤه كثيرا من الحرب ، ضد يابداس (Ibdas) ملك الأوراس وكوتزيناس (Cutzinas) في اقليم بيزاسينا = مزاق (Bizacéne) ولم تنفعه مساعدة امراء محليين له ، ومنهم اورتاياس (Ontaias) أمير الحضنة في احراز الانتصار ، على القبائل المستقرة والمتنقلة الا لفترة قصيرة سقط بعدها صريعا في ميدان القتال 546 م (402) .

وتعتبر سيرته وجميلة ومجموعة المدن والمراكز في سفوح أوراس ومنها باغاية ولبيس ومسكولا ، وحصون منطقة الزاب ومنها باديس وتهودة من المناطق التي بلغ فيها النفوذ الروماني ، ثم البيزنطي درجة قوية .

ومن هذه المراكز التي ظلت قوية عامرة ومحصنة ونشطة حتى عصر الفتح العربي الاسلامي لقي الفاتحون المسلمون مقاومة عنيدة منذ بداية حملة عقبة بن نافع الكبرى الى بداية عصر موسى بن نصير .

وقد سقط عقبة في مجال الزاب (تهودة) شهيدا نتيجة مؤامرة بيزنطية حيكت له مع قبيلة أوربة ذات الماضي القديم في العلاقة مع الروم (403) .

402 - جوليان : المرجع 1 ، 365-370 وسليمان هو اول وال بيزنطي يعينه جستنيان على راس ولاية افريقية بعد ان تم استرجاعها من قبضة الوندال .

403 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 217 ابن ابي دينار : المصدر السابق 31 - 32 ، الدباغ : معالم الايمان 1 ، 47 المالكي : رياض النفوس 1 ، 24 وما بعدها : ابن الاثير : المصدر السابق 4 ، 54 وما بعدها ، الرفيق القيرواني : المصدر السابق 42. البكري : المصدر السابق 74 .

كما انهزم حسان بن النعمان عند وادي نيني ، بقرب مسكيانة (دائرة تبسة الآن) هزيمة نكراء ، نتيجة مساعدة بيزنطية قدمت للكهنة وقومها من بتر جراويّة ذات الماضي القديم في التمسك ببقايا اليهودية (404) . وكان توفيق حسان في جولاته الثانية ضد الكاهنة في منطقة نفوذها في أوراس ، هو بداية النهاية للنفوذ البتري والبيزنطي أيضا (405) ، كما كان بداية النهاية لعملية فتح بلاد افريقية والزاب بما فيها منطقة كتامة . وانتهاء المقاومة في الزاب وأوراس ، كان يحمل دلالة على نجاح تيار الهجرة العربية الاسلامية التي اتسع نطاقها حتى الاندلس وصقلية وهو التيار الذي استمر منطلقا في حيوية متدفقا في حرارة حتى طبع البلاد وسكانها بطابع ابدى خالد هو طابع العروبة والاسلام .

ويدل على خضوع ارض كتامة سلما ، او بالتبعية لخضوع منطقتي الزاب وأوراس ان النصوص العربية لم تشر اثناء سرد حوادث الفتح العربي الى أي عمل ذي طابع عسكري يكون قد وجه نحو اقليم كتامة او ضد أي مركز من مراكزها .

ولم تذكر كتامة ، وبعض مدنها قبل عصر موسى بن نصير . ثم ان خط سير عمليات الفتح العربي ، كان بعيدا عن بيئة كتامة الجبلية ، بسبب عزلتها وصعوبة المسالك المؤدية اليها ، وعدم وجود حواضر كبرى في منطقتها ، هذا الى ان استراتيجيّة العرب الفاتحين كانت مؤسّسة على تجنب الكتل الجبلية والمناطق الساحلية على الأقل في المرحلة الاولى لانها كانت مراكز نفوذ البيزنطيين والافارقة ، والبربر المستقرين . وكانوا يكتفون بالوقوف لحصار المدن المحصنة مثل باغاية ، فاذا استسلمت ، أصبحت ضمن دار الاسلام ، تترك لحريتها في اطار العقيدة الاسلامية والتبعية السياسية للقيروان . واذا تمنعت وراء الاسوار وقاومت ، تركوها الى غيرها من البلاد . واستخدام القوة والقهر واساليب الحصار المختلفة لم تكن من طبيعة الفاتحين في افريقية .

404 - الرفيق القيرواني : المصدر السابق ، 56 - 57 :

Julien : Op. Cit., T. 2, p. 21

Gautier : Op. Cit., 271-72, Laroui : Op. Cit., p. 78

405 - نفسه 62 - 64 ابن الأثير : المصدر السابق 4 ، 179 - 181 ابن خلدون 6 ،

218 - 219 ابن ابي دینار : المصدر السابق 34 - 35 ، السلاوي : المرجع السابق

42 - 43 ابن عذاري : المصدر السابق 1 : 28 - 29 ، زفلول عبد الحميد :

المرجع السابق 192 - 193 .

Laroui : Op. Cit., 79

Gautier : Op Cit., 272, Julien : Op. Cit., T. 2, p. 21

ويستثنى من النصوص العربية ، كتاب فتوح افريقية للواقدي (406) ومخطوط علاج السفينة لابن الأنبري . فكتاب الواقدي (ق 3 هـ) انبى من اوله على أساس أسطوري خاطيء ، يقضي بأن منطقة افريقية والمغرب ، من غرب مصر الى مراكش ، فتحت عنوة ، في عصر الخليفة عثمان بن عفان وعلى يد امير واحد هو عقبة بن عامر الجهني ، يساعده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مع رجالات من القبائل العربية ، أظهرها بنو هاشم ومخزوم وأمية . وفي ثنايا الكتاب عرض لصور رائعة من البطولة العربية في مجالات افريقية ، ولهذا يبدو أن الكتاب نزعته قصصية ، أكثر منها تاريخية ولا يستبعد أن يكون الهدف منه « تمجيد النزعة القيسية ومن ذلك أعلاء شأن بني أمية وبني هاشم والزبيريين وقد نسب الكتاب الى الواقدي ، ولعله في الواقع إنتاج مغربي مستوحى من بيئة مغربية ، ومن مصدر مغربي مفقود عن قصة فتح افريقية .

وتاريخ تأليفه لا يبدو أنه يرجع الى عصر الواقدي ، صاحب « فتح الشام » وإنما هو أشبه بالانتاج الخاص ، بعصور الانحطاط السياسي والاجتماعي والأدبي حيث يلجأ الناس عادة في مثل هذه الظروف ، الى اجترار الماضي والتغني بأمجاد وبطولات الاسلاف بأسلوب ملحمي .

وعلى هذا ، فما يشير اليه كتاب فتوح افريقية للواقدي ، من حملات عسكرية ، أطلق عليها « غزوات » وجهها المسلمون نحو مدن قسنطينة (407)، وسطيف (408) ، ولاميس (409) ، ومنطقة الزاب (410) ، وضد وجدة (411) ، ومراكش (412) ، اللتين لم تظهرا الى الوجود الا بعد ذلك بقرون ، تعتبر هذه الاشارات ، صورا قصصية متأخرة في العصر ، وضعت بقصد التسلية ، والتغني بالفروسية العربية الاسلامية في أرض المغرب ، وهي من هذه الناحية أشبه بما في السيرة الهلالية ثم العنترية وقصص

406 - انظر ابن عدي : المصدر السابق 1 ، 44 حيث ينقل عن الواقدي قصة وظروف تولية محمد بن يزيد القرشي بالولاء ، شئون افريقية في عهد سليمان بن عبد الملك ياقوت . معجم الأدباء 18 ، 277 لا يشير فمن ترجمته للواقدي الى كتابه (فتوح افريقية) بينما ذكر فتوح الشام والعراق .

407 - الواقدي : فتوح افريقية 1 ، 115 - 127 ويذكرها تحت عنوان «غزوة قسنطينة» وعن ترجمة الواقدي انظر ياقوت : معجم الأدباء 18 ، 277 وما بعدها .

408 - نفسه 1 ، 148 - 155 ويذكرها تحت عنوان «غزوة سطيف» .

409 - نفسه 1 ، 136 - 143 ويسميتها «لامس» .

410 - نفسه 1 ، 155 - 159 .

411 - نفسه 2 ، 138 .

412 - نفسه 2 ، 72 .

سيف بن ذي يزن والاميرة ذات الهمة والسيد محمد البطل فالاطار صحيح وتاريخي ، أما صياغة الأحداث فأسطورية قصصية (413) .

أما مخطوط علاج السفينة في بحر قسطنطينة لابن الأنبري فتوجد فيه اشارات عن كيفية تسليم مدينة قسطنطينة ، للفتحيين العرب ، صلحا أثناء حملة عقبة الكبرى ، بعد أن شدد الحصار عليها مدة تجاوزت الشهر ، وأشرف على وضع قواعد الصلح ، بطريق المدينة وابن الزبير ، الذي تسلل الى داخل المدينة في ثياب امرأة ، يساعده بعض أعوان البطريق حتى لا يلفت انتباه الحامية البيزنطية التي عارضت فكرة الصلح مع المسلمين (414) .

ويضيف أن مدينة قسطنطينة أصبحت بعد موت عقبة في دائرة نفوذ كسيلة الذي تغلب على أوراس وعلى القيروان (415) ، ومنذ أن انتهى حسان بن النعمان من مجهوداته في افريقية استقر الاسلام في ربوع قسطنطينة التي احتفظت بمكانتها ووليها ، عمال من ابنائها ، ولكن « الثورات وتبادل الدول ، وتهاجر العقول ورغبة الناس ، وقلة التدبير والعداوات قد أثرت في حالها وأحوالها » (416) ، على حد تعبيره وبعد أن يشير الى صمت المصادر الاجنبية عن فترة الفتح ، وعن كيفية دخول الاسلام منطقة قسطنطينة لجهل المؤلفين وغفلتهم (417) ، يوضح أنه لم يصل الى جمع الحقائق ، عن هذه الفترة وغيرها ، من تأريخ قسطنطينة ، إلا بعد مدة طويلة ، قضاها في البحث والجمع والتحري واستقراء المصادر المحلية ، والأجنبية « ثم حملت ملاطي ومهيأتي ، وآلات البناء بلا عون ، وبلا فطة ، وحدي فريدا منفردا وعرجت على سريري ، وأبدت بناء هذا القصر العجيب وسميته « علاج

413 - ويبدو من آراء سعد زغلول ، أن الصورة المتداولة لكتاب فتوح افريقية للواقدي إنما هي تطور لانتاج هذا الرجل ، كما يصورها الخيال الشعبي ، ويستحبها جمهور السكان في القرن 13 ، الذين تبنى أسلافهم بعد القرن 11 م بامجاد بني هلال وأعمالهم ، وهي التي يوجد في كتاب الواقدي ما يشير اليها حتى تكان الحديث ، فتح المغرب وهجرة بني هلال امترجا في شكل خاص هو شكل القصة الشعبية ، انظر فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية 1 - 41 مقال مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية مجلد 16 سنة 1962 وقارن ذلك بما ورد عن الهلالية في كتاب : الهلالية في التاريخ والادب الشعبي 133 وما بعدها (عبد الحميد يونس) وعن سيرة ذات الهمة انظر : نبيلة ابراهيم : سيرة الاميرة ذات الهمة 34 وما بعدها ، ومجرى حوادث هذه القصة في المعمرين الأموي والعباسي ومسرحها منطلق الثفور وأبطالها عرب بني كلاب ، وزعيمهم فاطمة ذات الهمة وكان مساعدها في ميدان السياسة والكيد ضد الروم هو محمد البطل .

414 - ابن الأنبري : المصدر السابق ورقات 94 - 109 .

415 - نفسه ورقة 115 .

416 - نفسه ورقة 125 .

417 - نفسه ورقة 110 .

السفينة في بحر قسنطينة « (418) ، ويلاحظ على هذا المخطوط ، انه انتاج العصور المتأخرة (ق 19 م) ومؤلفه ليس بعربي أصلا كما يشير الى ذلك اسمه ، وقد ذكر قصة اشتراك ابن الزبير في فتح قسنطينة ، لكنه لم يذكر وفاته بإزاء ذكره لوفاة عقبة ، وسائر رجاله كما تشير النصوص . وهذا مما يضعف رواية اشتراكه في حملة عقبة الكبرى وفي حصار قسنطينة ، لأن ابن الزبير في الواقع كان في هذه الفترة يعد نفسه في المشرق لمشروع خطر ، مهد له بمعارضة بيعة يزيد بن معاوية خليفة بعد أبيه . ولم يثبت اشتراكه في مجهود عقبة في المرة الثانية ، وكيف تقبل بسهولة روايته عن تستر ابن الزبير ، وراء لباس نساء قسنطينة ، ليصل الى داخل المدينة ، وقد تفرد ابن الانبيري بأخبار فتح قسنطينة وحدها ، ولم يذكر شيئا عن قصة فتح بقية المدن الأخرى القريبة منها ، مثل سطيف وبونة .

وقد اعترف بأن الرقيق والبكري من ضمن مصادره وهذان لم يشيرا الى اخبار فتح قسنطينة ، رغم أن الأخير منهما خص قسنطينة بوصف شامل وبديع فلو كانت عندهما اخبار ما ضنا بها عن المتأخرين حسب منهجهما .

وأقدم اشارة جاءت في النصوص التاريخية المعتبرة ، عن فتح منطقة كتامة وعن صلات سكانها بالعرب الفاتحين انما تعود الى عصر موسى بن نصير الذي وجد منطقة افريقية ومعظم بلاد المغرب الأوسط موطاة الاكناف ، بعد أن اتكسرت فيهما عناصر المقاومة وجيوبها بفضل زهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان الفساني ، وقد لاحظنا ان طابع المقاومة كان بيزنطيا - برنسيا ، في المرحلة الاولى ثم أصبح بتريا ، له علاقة مشبوهة بالبيزنطيين وعنصر الافارقة في المرحلة الثانية .

وكل هذا يعني أن مجهودات موسى بن نصير ، في هاتين المنطقتين ، اقتصرتا على مجرد التأكيد لسيادة أعلنت فعلا ، وعلى اقرار لأوضاع أسست دعائمها على نهج متين وسوي ، في عهد حسان بن النعمان ، الذي يوصف حقا ، بفاتح المغرب وقاهر البربر ، والروم ، وباعث ولاية افريقية العربية الاسلامية ، على انقاض ولاية افريقية البيزنطية (= أرخونية (Exarchat) ، وبوضع أسس ادارتها على نمط يشبه ما هو في غيرها من ولايات الخلافة الأموية في المشرق العربي (419) .

418 - نفسه ورقة 3 ، ومن مصادره المغربية والاندلسية الرقيق وابن ابي دينار وابن العتري وابن قنفذ ، خاصة منذ عصر الوحديين والبكري والعبدي وابن فرحون .

419 - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 196 وما بعدها ابو علي صالح عبد الحليم فتح المغرب الأوسط ، 221 صحيفة معهد الدراسات مدريد مجلد 2 ، 1954 م .

أما هذه الإشارة عن عمل موسى في مجال كتامة وفيما جاورها من مجالات البرانس والبتير ، فقد حفل بها كتاب **الإمامة والسياسة لابن قتيبة** الذي يبدي إعجابا خاصا بموسى ، فيروي كل أقواله (420) . ويسجل مشاهداته في المغرب والأندلس (421) ، ومحاوراته المختلفة التي جرت سواء في مجالسه مع الخليفة سليمان بن عبد الملك (422) ، أو في مجالسه مع بعض رجالات العرب الذين رقبوا لحاله وساعدوه أثناء محنته (423) .

وعن ابن قتيبة نقل ابن عذارى المراكشي بينما خلت مصادر مغربية أخرى مثل الرقيق والبكري وابن خلدون ، وابن أبي زرع وابن أبي دينار والسلاوي ، من آية إشارة عن بعوث أو سرايا أو حملات ، وجهت نحو منطقة كتامة .

ويلاحظ أن ما جاء في كل من ابن قتيبة وابن عذارى لا يعدو مجرد أخبار سطحية تخلو من أسماء المدن ، والأماكن المعروفة ومن التحديد التاريخي ومن بيان ظروف العمل الحربي . وهي في نفس الوقت يبدو من خلالها طابع الانتقام والقسوة والحرص على الأضرار من السبي ومخالفة قواعد الحرب بأخذ القبائل على غرة ، وهذه صفات لا نطن أنها كانت مما يلتجئ إليه قادة الفتح العربي في إفريقية قبل موسى بن نصير ، وتقاليد المسلمين في الفتح حددها أول الخلفاء الراشدين لأوائل قادة الفتح في غير بلاد المغرب ، وهي في جملتها تنبني على مراعاة قواعد الذوق والأخلاق والحرية الفردية والتزام التدرج والوضوح في عرض خصال ثلاث ، الأخيرة منها هي اللجوء إلى القوة .

ولذلك لا نستطيع أن نقبل بسهولة ما رواه ابن قتيبة ، وأيده فيه ابن عذارى المراكشي ولو لم ينفرد ابن قتيبة بهذه الإشارات لما صح اعتبار ما جاء في كتابه خاصة قوله « وذكروا أن الجواسيس أتوا موسى فقالوا له : أن صنهاجة بغرة منهم ، وغفلة ، وأن أبلهم تنتج ولا يستطيعون براحا ، فأغار عليهم موسى . . . وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء ، فبلغ سببهم يومئذ مائة ألف رأس » (424) ، لأن فيه مخالفة صريحة لتقاليد المسلمين .

ومهما يكن من أمر ، فإن ابن قتيبة أشار إلى أن موسى بن نصير أرسل أحد أركان حربه وهو عياش بن أخيل ، إلى مضارب هوارة ووزانة وكتامة ،

420 - ابن قتيبة : الإمامة والسياسة 2 ، 62 - 63 .

421 - نفسه 2 ، 88-86 .

422 - نفسه 2 ، 89 وما بعدها ، انظر أيضا 100 وما بعدها .

423 - نفسه 2 ، 58 ، 94 - 95 .

424 - ابن قتيبة : المصدر السابق 2 ، 66 - 67 .

وبمعيته ألف فارس ، فتمكن منهم قتلا وسبيا حتى بلغت الغنيمة خمسة آلاف رأس ، وأسر مقدمهم الذي عرف بـ « كمامون » وهو الذي أرسل مع وجوه الاسرى ، الى والي مصر عبد العزيز بن مروان ، فقتله عند بركة ، الى جوار قرية عقبة ، أصبحت تعرف باسم « بركة كمامون » (425) .

ولعل تنفيذ العقوبة في هذا الامر ، مردها ، استماتته في الدفاع عن حوزة بلاده ، وعصبيته ، باعتباره مسؤولا .

ومن قول ابن قتيبة « فلما أوجع عياش فيهم ، دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجوههم (426) فصالحوهم وأخرجوهم » يتضح اتجاه القسوة والانتقام من قوم لم يظهروا خلافا . ويحق للباحث أن يتساءل عن سر هذا التصرف وفائدته في بيئة حديثة عهد بالاسلام وضد قوم مسلمين ؟

فلو أن ابن قتيبة أشار الى عروض قدمت لهذه القبائل عن طريق زعمائها ، فرفضوها وأشهروا الحرب ضد المسلمين ، أو أن هذه القبائل مما اعتادت الاغارة على اهل المسلمين ومواشيهم ، أو على حاضرتهم الكبرى وهي القيروان ، أو كانت من القبائل التي لها ماض في الوقيعة بالمسلمين ، مثل أوربة أو في ربط صلات مشبوهة مع أعدائهم في المنطقة مثل جراوة ، لكان الامر واضحا ولغدت أسباب هذا التقتيل مقبولة . أما وكل ذلك لم يظهر من خلال ما رواه ابن قتيبة ، فانذ' تؤكد الطابع الأسطوري لهذا الخبر ، الذي تفرد بروايته ابن قتيبة لأهداف خاصة ، ونقله عنه بحذر وبافتضاب وتصرف المؤرخ المغربي ابن عذارى ، ربما لعدم اطمئنانه لصحة ما تضمنه من مبالغة تسيء الى سمعة المسلمين .

وكانت كتامة قبل هذه الاغارة فيما يبدو مرتبطة مع موسى بن نصير ، بسياسة الصلح واستجابت لرغبته في ابقاء رهائن من وجوه رجالها عنده ليثق من ولائها في بيئتها الاصلية . وقبل زعماؤها ، العامل الكتامي الجديد ، الذي اقترحه موسى بن نصير ، ليكون مسؤولا امامه عن المنطقة .

غير أن التناقضات الداخلية في صميم القبيلة الواحدة ، وظاهرة التنافس بين فروعها على الزعامة ، وجموح الرؤساء ، أدت الى قتل هذا العامل .

425 - وقد وصف في بعض النصوص بلقب « ملك كتامة » وأشار الى انه وجد مع قبيلته كتامة في سجلماسة اثناء حمل موسى بن نصير في بلاد المغرب ، انظر : أبو علي عبد الحليم : فتح المغرب الأوسط 224 ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد مجلد 2 ، سنة 1954 .

426 - ابن قتيبة : المصدر السابق والصفحة ، ابراهيم العلوي ، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي 39 .

ويبدو أن ذلك لم يكن مرجعه ، ردة عن الاسلام أو خروجا عن طاعة
أولي الامر وعن سياسة الصلح ، مع ولاة القيروان .

ويؤيد ذلك أن أحد زعماء كتامة ، كتب الى موسى بن نصير ، نيابة عن
قبيلته يعتذر عما وقع في حق العامل الرسمي ، ويشير بقوله « إنما نحن
عبدانك ، قتل أحدنا صاحبه ، وأنا خير لك منه » الى التفسير الصحيح
لما حصل وهو التنافس القبلي والتحاسد الشخصي ، غير أن موسى بن
نصير الذي استاء من وقوع الحادث وفسره عنى أنه بداية للعصيان والتمرد
الشامل لكل المنطقة بايعاز من رؤساء القبائل سيما وقد قوي جانب الشك
عنده ، باستئذان رهائن كتامة ، للخروج الى الصيد قبيل الحادث ، أرسل
في طلب الرهائن لينتقم منهم « فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فيهم (427) »
وعند المواجهة ، طالبه الرهائن ، بالتمهل حتى تتضح ظروف الحادث
وأساببه وأوضحوا لموسى ، أنهم من وجوه قومهم ولهم أقارب ، في بلادهم
لا يجروون على اظهار الخلاف ، الا اذا كان قصدهم التضحية بهم ، وهو
امر بعيد الاحتمال : « لا تعجل أيها الأمير بقتلنا حتى تتبين أمرنا ، فان
إباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبدا ونحن في يدك » وكان موقفهم
جريئا ، ومنطقيا ، بدرجة أن موسى تمهل ، وقبل قولهم « أنت على البيان
أقدر منك على استحياننا بعد القتل » لكنه احتاط منهم ، وأوقرهم في
الحديد واستصحبهم معه الى كتامة ، ليتعرف على حقيقة ما جرى لعامله .
ويشير ابن قتيبة الى استقبال وجوه كتامة له في الطريق واعتذارهم عما
حصل ، فرجع مع الرهائن الى القيروان وبقي الوضع في كتامة وفيما
جاورها طبيعيا وهادئا (428) .

ويستنتج بما رواه ابن قتيبة أن قبائل هوارة وزناتة التي كانت هدفا
للغزو إنما هي التي كانت تضرب في نواحي أوراس وما جاورها فقط لأنها
التي تتاخم منطقة قبائل كتامة ، التي يشير النص الى اتحادها كلها ، حول
أمير ربما كان من كتامة (429) .

وعلى الرغم من أن ابن قتيبة جعل تجمع هوارة وزناتة وكتامة في اطار
أحداث سنة 80 هـ / 699 - 700 م والانتقام من بربر أوربة في سجوما ،
لغدرهم بعقبة ، ضمن أحداث سنة 83 هـ / 702 - 703 م فان ابن عذارى

427 - ابن قتيبة : المصدر السابق 2 ، 66 .

428 - ابن قتيبة : نفس المصدر السابق والصلحة .

429 - نفسه 2 : 67 - 68 .

تجاهل التحديد التاريخي بالنسبة للاولى واحاط التحديد الثاني ، بكثير من التحفظ اذ جعل حادث سجوما ، في الترتيب المكاني اسبق مما وقع في كتامة وفي غيرها .

وقد اطلق على رئيس الحلف الثلاثي - اسم طامون ، فهل يشعر هذا الاختلاف باعتماد كل منهما على مصدر خاص ، أو أن النسخ أجروا تحويرا في الاسم دون قصد ، ويبدو أن هذا هو الأقرب للصواب ، لأن ابن عذارى يصرح بنسبة ما رواه في هذا الموضوع ، الى ابن قتيبة (430) .

وتبقى تبعية منطقة كتامة لولاية القيروان مستمرة ، بعد انتهاء ولاية موسى بن نصير ، لأن النصوص التاريخية بعد هذه الفترة ، لم تشر الى أية حركة انتفاض ، أو ثورة ضد الاسلام وضد حكام القيروان ، في بيئة كتامة ، كما لم تشر الى اشتراك أي فرع منها فيما يمس الأمن والنظام والحقوق السياسية المكتسبة للعرب المسلمين في هذه البلاد .

واتسم عهد محمد بن يزيد القرشي بالولاء ، وهو الذي خلف موسى في ولاية افريقية بالأمن والرخاء والتزام العدل بين المسلمين ، ولذلك تشر النصوص الى أنه كان يرسل سرايا الى ثغور افريقية ، للتبشير بالاسلام ولتأكيد السيادة العربية (431) .

وذلك دون أدنى اشارة منها الى حروب أو معارك ، أو ثورات ، وهذا يدل ، الى حد ما ، على هدوء المنطقة في ظل اعتناق سكانها للاسلام .

وكان اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، متشربا بسياسة واتجاه جده دينار أبي المهاجر ، في دعوة البربر الى الاسلام بالاقناع وعن طريق الحلف (432) ، كما التزم بتعليمات أعدل خلفاء بني مروان عمر بن عبد العزيز ، وتقضي بسلوك نهج الدعوة والترغيب لادخال بقية المجموعات الوثنية والمسيحية في بلاد المغرب الى الاسلام . وقد أثمرت جهود هذا الوالي ونجحت سياسة تمتين أوامر الحلف مع السكان ، واكتمل اللقاء بين العرب والبربر في تجمع اسلامي جديد .

430 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 34 ونص كلامه « قال ابن قتيبة فتح موسى بن نصير سجومة وقتل ملوكها وأمر اولاد عقبة : ان ياخلوا حقهم من قاتلي أبيهم وذلك سنة 83 هـ على قول من قال انه ولي فيها » .

431 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 44 ، 45 : الجنحاني : القيروان 44 .
A. Laroui : Op. Cit., p. 89

432 - شعيرة : الممالك الخليفة 81 (مقال) مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية 1948
سمد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 152 الجنحاني : المرجع السابق 45 .

وقد أكمل والي افريقية المهمة التبشيرية بحملة توعية وثقيف في محيط المسلمين الجدد ، قام بها علي خير وجه عشرة من خيرة علماء التابعين ، جاءوا الى المغرب ضمن بعثة خاصة وجهها عمر بن عبد العزيز .

ولم تكن هذه البعثة ، هي الاولى ، ولم تصبح الأخيرة فيما يبدو لأن طريق مصر والمشرق أصبح مفتوحا وتيار الهجرة غدا قويا والاقبال على الجهاد والرباط والمثابرة أصبح منقطع النظير (433) .

وظفر اسماعيل بن أبي المهاجر ، بسبب جهوده الطيبة ، في خدمة الجوانب الروحية والثقافية في بيئة المغرب الاسلامي بلقب « أحسن وال وأحسن أمير » (434) . وهو لقب لم يظفر به لأول مرة ، في بيئة المغرب غير أول الولاية وأحسن الدعاة مؤسس قاعدة القيروان ، وواضع لبنة الحضارة العربية الاسلامية في بلاد المغرب ، وهو عقبه ابن نافع الفهري (435) ، الذي ما انفك يناضل في سبيل نشر العقيدة حتى سقط شهيدا على أرض أحبها فدانت له بالفضل . وهي تحتضنه الآن بين جنباتها أثرا دائما معبرا ، يذكرها بعهد المجد والبطولة والاستشهاد ، ويوحى اليها بكل المعاني السامية التي استلهمت أثناء حركاتها التحريرية ضد المستعمرين حتى وقت قريب ، وبلا حظ بعد هذه الفترة أن غير المسلمين الجدد على مبادئ الدين هي التي دفعت بعضهم الى قتل يزيد بن أبي مسلم في مصلاه ، 102 هـ / 720 - 721 م وكان واليا لافريقية في عهد يزيد بن عبد الملك ولا سبب لذلك الا كراهيتهم للابتداع والتشبه بالنصارى ، لأن هذا الوالي أراد أن يشم على أيديهم كلمة (حرس) ليميزوا عن سواهم ولخصوا سبب موقفهم الاحتجاجي بعبارة جامعة هي قولهم « جعلنا بمنزلة النصارى » (436) .

وتخيرهم مكان الصلاة بعيدا عن دار الامرة وعن بيته يشعر بأسباب الغضب وبأن مصيره سوف يلقاه كل من تسول له نفسه من الولاية سلوك نهج غير اسلامي في بيئة افريقية الاسلامية وبين سكانها المسلمين .

والغيرة على مبادئ الاسلام ، والاحتجاج على الانحراف دفعا بعض مسلمي قبيلة مطفرة ، بعد مراجعة أولى الأمر في القيروان وفي دمشق في عصر هشام بن عبد الملك بواسطة سفارة تزعمها أمير منهم عرف بميسرة

433 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 45 - 46 .

434 - نفسه ، ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب 286 (ط عامي) .

435 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 16 .

436 - ابن عذاري : البيان للمغرب 1 ، 46 .

الخفير (437) الى تفجير اولى الثورات السياسية المذهبية فى بيئة المغرب ،
ضد سياسة عميد الله بن الحبحاب السلولى بالولاء ، وضد تصرفات عماله
على النواحي (438) .

واتسمت هذه الثورة بالعنف وبالشمول والاستمرار بسبب اتجاهها
الخارجى وتخللتها فصول محزنة ، وتمخضت عن نتائج سيئة بالنسبة
للفالب والمغلوب لخصها ابن عذارى بعبارة جامعة نصها « فكان فعله (أى
عمر المرادى عامل طنجة) الذميم هذا سببا لانتفاض البلاد ، ووقوع الفتن
العظيمة المؤدية الى كثير القتل فى العباد ، نعوذ بالله من الظلم الذى هو وبال
على أهله » (439) .

وإذا بدا ان الفتنة الأولى ضد يزيد بن أبى مسلم ، كانت ذات طابع محلى
صرف واقتصر على ثورة الحرس ، ضده لأسباب خاصة ووجدت حولا
جزئية لها بمعاقبة الجناة ومؤيديهم ، وانتهت القضية (440) عند هذا الحد
بحيث لم ينتشر خبرها ، ولم تشر النصوص الى ردود الفعل عنها فى
آفاق المغرب بما فى ذلك منطقة كتامة ، فان عدم ورود ذكر كتامة اثناء الفتنة
الثانية ، التى طالت واتسعت وعرفت أكثر من 375 وقعة ، بين الخوارج
وجند الخلافة (441). ولم تنطفيء نارها ، الا بعد ان أصبح المغرب الاسلامى ،
يعيش ظاهرة جديدة هى التجزئة السياسية والمذهبية ، انما يدل فعلا
على عدم اشتراك كتامة وسكانها بسبب العزلة وكراهية الشعب والثورة
ضد النظام الشرعى ، وجنوح أهلها الى الهدوء ولاستقرار فى اطار التبعية
للولاة فى القيروان ، ويعنى هذا أن نزعات الخوارج ، لم تنل من طبيعة سكان
كتامة ، ولم تنتشر بينهم ، بقدر ما توغلت فى بطون زناتة ومطرفة وصنهاجة
ولعل هذا يفسر أسباب سلامة بيئة كتامة من الكوارث والتكبات قبل العصر
الفاطمى ، وعدم اشارة النصوص ، الى ثوار كتاميين ، أو الى عقوبات نزلت
بهم أو ببلادهم بسبب الاشتراك فى أعمال غير شرعية .

437 - ابن الأثير : المصدر السابق 3 ، 45 .

438 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 52 وما بعدها ، السلاوى : المرجع السابق
1 ، 48 ، بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية 1 ، 192 - 193 الحبيب الجنحاني
المرجع السابق : 46 - 47 يحي هويدي : المرجع السابق 1 ، 33 - 34

439 - نفسه
A. Laroui : Op. Cit., p. 90

440 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 47 - 48 .

441 - نفسه 1 ، 91 ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 227 ،

El., (Art Ketama) T 2 p. 909

أما القول بأن كتامة كانوا من الخوارج الصفرية ، أو من النكارية (442) فقول يفتقر الى الدليل ، ولم تؤكد المصادر التاريخية ولا يؤخذ من وجود كتامي هو شكر بن صالح بين رجال الشورى الذين أوكل اليهم عبد الرحمن بن رستم فيما بعد مهمة اختيار امام بعده ، الدليل على انتقالها للمذهب الاباضي ، لأن رجال الشورى ، كان من بينهم أندلسيون أيضا وأختيروا لاستقامتهم وورعهم ، وكوثهم يمثلون قطاعا هاما من جاليات مدينة تاهرت (443) .

ولو كانت كتامة صفرية أو نكارية اباضية ، ما اختار الداعي بلدهم لنشر الدعوة الاسماعيلية ، لأنهم لا ينقادون لآرائه عن الامامة المنحصرة في آل البيت ويظهر ذلك من احاديث حجاجهم مع الداعي ، في مكة (444) ، ومن الصعب أن يسلم هؤلاء، في مذهبهم لو كانوا فعلا اباضية أو صفرية وما وقع من صفرية سجلماسة ، واباضية تاهرت ، بعد سقوطهما في أيدي كتامة يؤكد العداء المستحکم بين هؤلاء وأولئك . وبدافع الكراهية والحقد هاجر الاباضية من تاهرت الى صدراته وبني وارفلان في الصحراء ، كما هاجر أيضا رهط بني غفيت الاباضية ، كراهية لظهور الداعي في كتامة ، وكانوا يقيمون في مضارب قبيلة مسالته الکتامية (445) منذ أن هاجروا اليها من النواحي القريبة في أوراس التي كانت تحتضن جيوبا من الخوارج .

ولو كانت لكتامة نزعة الخوارج لانتقضت مع المنتقذين ضد ولاة الخلافة ، ولحدثتنا النصوص ، عن وقوف رجالها الى جانب اثنتي عشرة مجموعة ، تكون حلف الخوارج التي فرضت حصارا شديدا على مدينة طنبنة قاعدة الزاب ، في عهد أوائل الولاية المهالبة وهو عمر بن حفص (هزار مرد) (446) .

442 - Julien : Op. Cit., T. II, p. 55. EI., Art Aghlabides, T. I, p. 185-86

443 - ابو زكرياء : السيرة واخبار الائمة ، ورقة 12 . خ ميزاب ، السماخي : السير 145 ، سعد زفلول : المرجع السابق 388 .

444 - يستفاد من كلام ابن عداري ان الداعي سال حجيج كتامة عن مذهبهم فاخبروه ان شيخهم كان عنده ميل الى المذهب النكاري الاباضي فلو كان مذهب بقية الحجيج مثل مذهب الشيخ لوقع التصريح بذلك ولاشير الى ميلهم الى مذهب معين ولو كانت اجابتهم للداعي فيها ما يفيد الميل الى المذهب النكاري لما كانت هناك فائدة في توضيح ميل الشيخ ، لانه تحصيل حاصل ، وكل هذا لا ينفي وجود اقلية مذهبية غير سنية في بيعة كتامة بسبب الهجرات انظر البيان المقرب 1 ، 166 - 167 ويلاحظ أن فروع صديان وسديكش التي استقرت في جزيرة جربة كانت اباضية وعن بعض علمائهم انظر السماخي : المصدر السابق 576 .

445 - النعمان : المصدر السابق ورقة 79 .

446 - ابن عداري : المصدر السابق 1 ، 88 وما بعدها .

- ومنطقة كتامة تتأثر قبل غيرها ، بعامل الزاب ، لأنها تتبع نفوذه بطريقة غير مباشرة ، فلو كانت لها نوايا عدائية بتأثير نزعة خاصة أو لها ما تأخذه على ولاية القيروان ، أو نوابهم في اقليم الزاب لكانت هذه فرصتها الخاصة للنيل منهم ولإعلان التعاون مع أحلاف ضدهم ، لكنها لم تفعل . وقد أشارت النصوص الى شخصيات من الخوارج تنتمي لكثير من فروع البربر ليس من بينها قبيلة كتامة ، وهؤلاء هم : أبو قرّة اليفرنى الزناتى ، وعاصم بن جميل الصدراتى ، والمصور الزناتى وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجى وأبو حاتم يعقوب بن حبيب اللزوزى وعبد الرحمن بن رستم الاباضى (447) .

والنصوص التاريخية التي لم تسعفنا بأية اشارة عن ثورة كتامة في هذا الوقت لم تسعفنا أيضا بما يفيد تأييدها لطرف من الاطراف المتنازعة ، وتحرك فريق منها نجدة لمدينة طبنة أو مدينة القيروان اثناء معاناتهما للحصار ، من طرف أحلاف الخوارج قبل عصر يزيد بن حاتم المهلبى .

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على بقاء كتامة اثناء هذه الفتن الداخلية بمعزل عنها ، وعن زعمائها عن ولاية القيروان الذين جدوا لآخامها (448) . فهل كان حيادها اذا تجاه أطراف النزاع حيادا ايجابيا كما يقال ؟

ويؤكد اتجاه الحياد والعزلة ، أن بعض قبائل كتلة اوراس ، من زناتة ، وهوارة ومزاتة المجاورة لها ، لم تسلم من ربح الفتنة ، بل أيدتها، وأصبحت فيما بعد وحتى عصر الرحالة البكري ، مركزا لطوائف خارجية اباضية (449) .

وفي اثناء هذا العصر ، لاحظنا أن ارض كتامة أصبحت بالنسبة لبعض القادة الطموحين ملجأ آمينا ، ومكانا يحميهم من أيدي أعدائهم ولا سبب لذلك غير ميل الكتاميين الى الحياد ، وعزلة بلدهم في ركن قصي .

447 - نفسه ، وابن رستم ينتمي الى قبيلة لاية بالطف انظر ابن خلدون : المصدر 6 ، 121 ط بولاق ، وابن عذارى : 1 ، 277 ، ينسبه الى موالى عثمان بن عفان من طريق جده بهرام انظر البكري 67 . وعن سبب مجيئه الى القيروان مع زوج امه الحاج المغربي وذلك بعد وفاة ابيه في طريق الحج انظر : سيرة ابي زكرياء ورقة 3 - 4 . EI., (Art Abd El Rahman T I p. 58

448 - ومما له دلالة على هذا المعنى ، أن بعض النصوص ، تؤكد بقاء البربر على الاسلام لم يرتد منهم غير برغواطة ووقع خلاف حول كتامة بعد اخذهم بنحلة التشيع : ابو علي صالح عبد العظيم : فتح الغرب 224 صحيفة معهد الدراسات مدريد مجلد 2 ، 54 .

449 - البكري : المصدر السابق 144 .

- ومن هؤلاء القادة ، الحسن بن خرب الكندي عامل تونس من طرف الأغلِب بن سالم التميمي والي القيروان في عهد أبي جعفر المنصور . فقد ثار الحسن بن حرب سنة 150 هـ / 767 - 768 م ضد الأغلِب بن سالم (جد الاسرة الاغلبية) اثناء غيبته عن القيروان لقتال بني يفرن الصفرية وأميرهم أبي قرّة المتمركز في منطقة تلمسان واحتل القيروان ، وطرد سالما بن سودة نائب الأغلِب وسجنه ، وجاهر بالعصيان لكنه لم ينجح في مواجهته الاولي للأغلِب الذي خف للقائه ، فانسحب الى تونس للاعداد من جديد ، ويظهر أن المكيدة التي دبرها ، هي التي نجحت في كسب الجولة الى حين ، إذ أصيب الأغلِب بسهم طائش ، وهو يتأهب للقاء الثاني معه (450) . ولما اتفق السكان ، بعد الحادث ، على تدعيم المخارق بن غفار الطائي ، من رجال الأغلِب ، للاخذ بثأره من الحسن بن حرب ، فضل هذا الأخير ، أن يلتجئ الى بلاد كتامة حتى تهدأ العاصفة ، فأقام فيها شهرين دون خوف أو انزعاج لكنه عندما فارقها الى تونس ، لتدبير تمرد جديد ، قتل على أيدي رجال حامية المدينة (451) .

- ومن بين القادة ايضا ، عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن ، فقد التجأ الى احدى قلاع كتامة فارا من بطش ولاة القيروان وعمالهم في منطقة الزاب .

وابن حبيب ، هو أحد أفراد اسرة القهريين من نسل عقبة بن نافع ، ويظهر أن فشل أفراد أسرته في حكم افريقية ومنطقة طرابلس ، بسبب خصوماتهم الداخلية ثم معارضة صفرية افريقية ، واباضية طرابلس وجبل نفوسة لهم (452) ، لقنته درسا لذلك لاحظنا أنه في هذه الفترة ، ينسق مع قوى الخوارج للاستفادة منهم في الظهور من جديد واتصل بأبي حاتم يعقوب بن حبيب المزوزي الهواري من أئمة الدفاع عند الأباضية بعد اختفاء امامة الظهور بقتل أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري

450 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 86 - 87 السلاوي : المرجع السابق 1 ، 57 ، الجنحاني : المرجع السابق 50 ولاحظ أن الأغلِب صرف بلقب « الشهيد »

A. Laroui : Op. Cit., p. 91

451 - نفسه 1 ، 91 السلاوي : نفس المرجع والصفحة .

452 - وكان بين جده عبد الرحمن وابن رستم عداوة بسبب أن الأخير قال فيه : « يا معشر المسلمين لا تولوا عبد الرحمن بن حبيب أمور المسلمين فإنه ابليس ، الا أن عليه بشرة بني آدم » انظر سيرة أبي زكرياء خ - ورقة 9 .

(453) . وذلك من أجل التنسيق والتعاون معه ضد جند الخلافة ، بقيادة يزيد بن حاتم المهلبي ، وعندما انهزم أبو حاتم وقتل سنة 156 / 772 - 773 م وتبدد شمل رجاله (454) ، فر عبد الرحمن الى طبنة ، ومنها التجأ الى جبال كتامة واعتصم باحدى قلاعها الحصينة ، قرب مدينة جيجل (455) ، سماها بعض المؤرخين قلعة حجاب (456) .

وما كان ابن حبيب ليفارق طبنة ، الى بلد من عزل لو لم يشدد عليه الخناق من طرف المخارق بن غفار الطائي ، عامل الزاب الذي أمره يزيد بن حاتم بملاحقة ابن حبيب في كتامة ، وأرسل اليه الامدادات من جند خراسان والشام .

وبعد حصار قلعة حجاب ، مدة ثمانية أشهر ، اقتحمها عليه العلاء بن سعيد بن مروان الذي وصل نجدة لكن من غير المنافذ التي كان يربط بها المخارق وجنوده ، ففر ابن حبيب حيث بقي مجهول المصير ، وترك مساعديه للاسر والقتل (457) ، وسكان منطقة كتامة نهبا للخوف والفرع من احتمال حركة انتقامية يقوم بها جند الولاية بسبب التجاء ابن حبيب اليهم . وهو ما قصده الرقيق القيرواني بقوله (وهرب البربر في كل ناحية ، وخافوا خوفا شديدا ، فلم يزل البلد هادئا في أيامه (أي يزيد بن حاتم) انى ان بلغه انتقاض ورفجومة (458) .

453 - الدرجيني - كتاب الطبقات ورقة 6 - رقم 2524 - تونس - وفيه تمييز بين حالات ثلاث عند الأباضية حالة الظهور ، تكون بوجود امام عادل يرعى الأحكام . وحالة الدفاع أن يولي الجماعة من يدافع عنهم عند الخطر ، وحالة الكتمان ، أن تلازم الجماعة العمل سرا حتى تهبأ ظروف لالظهار الامامة : الشماخي : السمر 132 - 136 ومن امامة أبي الخطاب انظر 125 منه .

E.I., Art Abou-Lkattab, T. I, p. 98-99.

454 - الرقيق : المصدر السابق ، 160 ، ابن عذارى : المصدر السابق 92 ، 94 ، ابن خلدون : المصدر 6 ، 227 السلاوي : المرجع 1 ، 58 سعد زغلول عبد الحميد المرجع 327 - 329 .

E.I. Art, Abu-Hatem, T. I, p. 94-95.

455 - نفسه : 161 .

456 - ابن عذارى : المصدر 1 ، 94 .

457 - ابن خلدون : المصدر 6 ، 227 وهنا يشير الى قتل ابن حبيب في القلعة مع كثير من البربر . ابن عذارى 1 ، 94 الرقيق : المصدر 161 ، السلاوي : المرجع 1 ، 58 ، يشير الى التجائه الى الأندلس ، مثل سلفه من قبل . سعد زغلول : المرجع 330 ، ويعتقد أنه الذي اشتهر بلقب الصقلي وقد حاول تأييد سليمان بن يقظان في حركة التأمير ضد عبد الرحمن صقر قرشي ، لفائدة شمران ، انظر 331 منه .

458 - السلاوي : المرجع 1 ، 59 الرقيق : المصدر 161 .

وورفجومة ، هي فرع من قبيلة نفاوارة . وكانت تنتحل الصفرية ، ولها ماض قديم في الثورة ضد ولاية القيروان في عهد أسرة الفهرين (459) ، أما ثورتها الثانية فقد تزعمها في عهد آل المهلب ، أبو زرجونة ، الذي أنزل هزيمة بجند الزاب فعزل المخارق وولى مكانه ، المهلب بن يزيد بن حاتم ، وضم اليه العلاء بن سعيد ابن مروان ، الذي كان وجوده حاسما في انتهاء المعركة ضد وورفجومة لفائدة الخلافة ، ومن ثم نال جزاءه بتعيينه واليا على طرابلس ، أما المهلب فأبقاه والده الى جواره في القيروان ، وأصبح حكم منطقة الزاب وكتامة من نصيب اخيه محمد لفترة مؤقتة (460) ، ورجع أثرها الى مقر ولايته في طبنة ، واستمر يسير شئون المنطقة حتى عزله والي افريقية الجديد وهو عمه روح بن حاتم وقدم ابنه الفضل لولاية الزاب وكتامة (461) .

فانتقل الى طبنة وبقي على رأس الاقليم حتى اصبحت ولاية افريقية سنة 174 هـ / 790 - 791 م من نصيب نصر بن حبيب المهلبى ، عامل شرطة يزيد بن حاتم وعندئذ فارق الفضل الزاب ، وافريقية الى المشرق. وفي بغداد اعتمد على ماضي ابيه وتقرب من الخليفة هارون الرشيد، فعينه واليا على افريقية سنة 177 هـ / 793 - 794 م ومنذ أن استقر في القيروان ، بدأ حركة تطهيرية ابعدت كل رجال نصر بن حبيب باستثناء العلاء بن سعيد الذي اقره على ولاية الزاب وكتامة (462) . فلما شبت ثورة الجند الخراسانية بقاعدة تونس (178 هـ / 794 - 795 م) ، بتدبير عبد الله بن الجارود ، المعروف بعبدويه ، ومحمد بن يزيد الفارسي، ضد الفضل بن روح ، ونائبه في المدينة ، المغيرة بن بشر بن روح (463) ، ظهرت اهميته أولا في ارسال نجدة من كتامة ومن مدينة ميله خاصة بقيادة ابي عبد الله مالك بن المنذر عززت جانب جند الولاية ضد الثائرين (464) ، وقد سهر على الامن والنظام في اقليمه وعندما رجحت كفة الثائرين ، خف لنجدة رجال الفضل بن روح وحضر على رأس قوات كثيرة من منطقة الزاب وكتامة ، فكان مجرد حضوره ، عاملا هاما في انتهاء حركة التمرد .

459 - عن ثورتها الاولى انظر ابن عذاري : المصدر 1 ، 80 وما بعدها .
460 - الرقيق : 162 ، ابن خلدون 6 ، 227 - 228 ، السلاوي 1 ، 59 . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 331 .

461 - نفسه 172 - 173 .

462 - نفسه 185 .

463 - نفسه : 186 - 187 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 106 - 107 اليقوبي تاريخه 3 ، 142 - 143 .

464 - نفسه 195 ، وتكون هذه اولى الاشارات عن موقف كتامة الايجابي لفائدة الولاية في القيروان .

وتم تسليم المدينة لنائب هرثمة بن أعين (465) ، الذي كان يقيم في مدينة طرابلس يراقب تطور الأوضاع وينتظر وصول كل من ابن الجارود ، وعامل الزاب وكتامة وهو العلاء بن سعيد (466) ، وبينما أمر هرثمة باخراج ابن الجارود الى بغداد ، ليرى الخليفة فيه رأيه ، منح العلاء جائزة سنوية وفي مصر التي استقر فيها ، كان محل عناية من الخليفة هارون الرشيد حتى توفي بعد مدة يسيرة (سنة 179 هـ / 795 - 796 م) (467) ، والذي يستخلص ، من هذه الاحداث التي جرت في عهد أسرة المهالبة في افريقية (151 - 179 هـ 768 - 796 م) .

— ان أرض كتامة كانت جزءا تابعا لاقليم الزاب ، الذي تشرف عليه مدينة طبنة ، وولاية اقليم الزاب ، من مقرهم في هذه المدينة ، كانوا يراقبون أرض كتامة بواسطة ممثل عنهم يقيم في مدينة ميلة .

— والذين يظهرون العصيان والثورة من القادة ، ضد السلطة الشرعية في القيروان اذا لم ينجحوا في اعمالهم ، يتمنعون عن حركات التتبع ضدهم وذلك بالتحصن في الأماكن المنعزلة في أرض كتامة ، كما فعل الحسن بن حرب ، وابن حبيب الفهري .

— وظهرت أهمية كتامة في مواجهة حركة تمرد ابن الجارود وفي القضاء على ثورة الخوارج الصفرية ، من قبيلة ورفجومة في عصر يزيد بن حاتم .
وقد لاحظنا دور حامية ميلة بقيادة مالك بن المنذر .

وقد ثبتت منطقة كتامة ، والزاب على ولائها للسلطة الشرعية في القيروان حتى في أصعب الظروف ، فكانت عدة لولاية القيروان ومركزا هاما ، يمدهم بخيرة الفرسان واكفا القادة .

— واستمرت منطقة الزاب ، ومدينتها طبنة في أداء دورها كاملا الى جانب السلطة الشرعية في القيروان وهي التي دفعت أحد ولائها ، وهو ابراهيم بن الأغلب الى اخماد حركة تمرد جديدة للجند الخراسانية في تونس

465 - وفي تاريخ اليعقوبي 3 ، 142 - 143 ، ما يشير الى ان الرشيد العباسي ارسل هرثمة بن أعين الى الشام ومصر والقرب « يتقراها ويصلحها ، فلم يزل يمر ببلد بلد فيصلح ما يريد اصلاحه » . والتفري مصطلح هام يعبر عن التدرج في العمل .
466 - الرقيق : المصدر السابق 201 ، ابن عداري 1 ، 108 ، سعد زغلول : المرجع السابق 348 .

467 - نفسه 202 ، ابن عداري 1 ، 109 .

ضد محمد بن مقاتل العكي ، وكان رئيسها هو تمام بن تميم التميمي جد أبي العرب ، صاحب كتاب طبقات علماء افريقية (468) .

— وأظهرت أحداث ولاية افريقية في نهاية القرن الثاني للهجرة ان والي منطقة الزاب هو أكفا من يضمم الجراح ، ويرجع الهدوء الى نصابه (469) ، في بلد كثر فيه الطامعون والطامحون من رؤساء الجند ، وغدت بعض حامياته خاصة حامية تونس منصرفة ، عن النشاط الثغري ، والتبشيري ، الى الاشتراك في الفتن وتزعم الثورات ضد القيروان ، وولاتها الشرعيين .

— ومدينة طبنة ، واقليم الزاب ، لم تخف أهميتها على الداعي أثناء نشاطه في كتامة وقد بادر بمجرد ، استقرار امره في كتامة ، بضم مدينة طبنة لدائرة نفوذه واعتبرها ذرة في عقد المدن التي استولى عليها فعلاً . وكانت معاملته لسكانها كريمة وفي اطار الاحكام الشرعية ، فكان الداعي في حركة توسعه ضد طبنة انما كان فقط يريد الاستيلاء على عاصمة الاقليم ، الذي وطأ اكنافه ، قبل أن يتجه نحو أراضي افريقية نفسها (470) .

— وعندما أصبح ابراهيم بن الأغلب ، اميرا على افريقية كلها (471) ، منذ 184 هـ / 800 م يشرف عليها من العباسية (= القصر القديم) بقي لمنطقة الزاب اعتبارها ، كما بقي العنصر العربي سيدا فيها ، وفي كامل أرض افريقية يراقب الثوار ويكبت روح المقاومة والعناد في الجند ، حتى حاد بعض أحفاده وهو ابراهيم بن أحمد عن النهج السوي وعندئذ نشطت الحركات المذهبية الثورية المعادية للأسرة الأغلبية وللعباسيين وتصدر الأحداث الجديدة من كان من قبل ، متروكا في ركن قصي ولا يحسب له أدنى حساب .



والذي يلاحظ هنا في سلسلة الأخطاء التي وقعت في سياسة الاغالبية خطآن ظهرت أبعادهما السيئة على نظام الدولة وفي حياة مجتمع المغرب العربي وفي انظمتها السياسية والمذهبية .

468 — ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 111 - 112 ، الرقيق : المصدر السابق 205 ، وما بعدها . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع 254 وما بعدها .

469 — ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 228 ومن كلامه قوله (راب الصدع وجمع الكلمة ورضيت به الكافة واستقل بولايتها غير منازع ، وتوارثها بنوه خالفا عن سالف) — زغلول : المرجع 358 .

470 — ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 191 وعن مدينة طبنة وأهميتها حتى تم تخريبها سنة 457 هـ - 1062 م انظر : EI., (Art Tobna) T 4 p. 847 .

471 — اليعقوبي - تاريخه 3 ، 143 .

وأول هذه الأخطاء سياسة الإفناء لعناصر من سكان منطقة الزاب ، وقد بناها من الأمراء الأغلبية ، أكثرهم استبدادا وشذوذا وهو ابراهيم بن أحمد الذي لم يفرق بين الكبير والصغير ، بل قتل الجميع ، وأمر بالقائهم في الحفر التي أعدت من قبل ، ويشير ابن عذارى الى هذه الحادثة بقوله « وفي سنة 268 هـ . كان فتك ابراهيم بن الأغلب بأهل الزاب ، فقتلهم ، وقتل أطفالهم وحملوا على العجل ، الى الحفر فألقوا فيها » (472) .

ويحق للباحث ان يتساءل عن هؤلاء الذين دفنوا ، رغم حبهم للحياة وابتدوا رغم اصرارهم على البقاء ، انهم ولاشك عصب قوة الدولة وعدتها في الأخطار ؟

— وكان الخطأ الثاني ، شبيها بالأول في كونه قصد به عنصر قوي يعتبر ايضا من عصبية الدولة ، وهو الغدر بعناصر من خيرة عرب بلزمة ، لأن رهطا منهم وهم بنو مالك ، أجازوا رجلا من باغاية وهو كريم بن مردور وأبوا أن يسلموه للامير رغم تظاهره بالقوة ، وعندما يتس من ادعائهم تظاهر بمصالحتهم وانسحب الى رقادة ، منتظرا فرصته السانحة فيهم . وقد تهيأت عندما وفد منهم الى رقادة وعلى فترات متقطعة ، عدد كثير بلغ نحو الف رجل فأكرمهم واستقروا بدار واسعة الى جوار فندق قديم لأهل بلزمة وتفنن في التلطف معهم حتى اطمأنوا اليه وأخذوا بمعاملته الحسنة لهم ، وغفلوا عما جرى بينهم من قبل وعندئذ أرسل ثقات رجاله ، مع ابنه أبي العباس عبد الله ، الى مقر البلزميين فاقتموه من منفذ خاص ، وقتلوه عن آخرهم بعد أن وجهوا بمقاومة عنيدة استمرت من الصباح حتى العصر .

أما نتيجة هذين الخطأين ، فكانت ذهاب ربح الدولة ، وضعف عصبيتها وتساقط مدنها وحواضرها فيما بعد . وقد اعتبر ابن عذارى هذا العمل « من أسباب انقطاع دولة بني الأغلب » .

وكان أهل حصن بلزمة ، عربا في جملتهم ولا تهمهم غير حريتهم في بلدهم ولا يكيدون للدولة ، ولا يجيزون القضاء عليها ، لأنها أساس وجودهم وحرز لبقائهم وهي من نفس عصبيتهم ، أي من قبيلة تميم ، وكانت بلادهم بحكم موقعها على هوامش أرض كتامة ، بمثابة حاجز حصين يقي السلطة الشرعية في رقادة من الثوار ، والطامعين ، ويضع حدا لتطرف المتطرفين ، من عناصر كتامة وغيرهم فيبقون كما كانوا معزولين عن الأحداث ، غرباء عن مجريات الأحوال حتى وهي تقرب منهم ، أو تجري في بلادهم . وكان عرب بلزمة ، من حصنهم الحصين يقومون بواجبهم في حراسة كتامة ، التي كانت تخشى

472 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 158 .

بأسهم ، وتحترس من شرهم حتى تصور بعض المؤرخين ، أنهم كانوا يدلونها (473) .

ولما صفى عنصر البلزميين في رقادة . وخربت قاعدة بلزمة في الزاب ، انقلب ميزان القوى في المنطقة كلها ، فابتسم الحظ لمزاته ، وارتفع رصيد كتامة ، فنهضت من بعد غفوة لتنفض عن منطقتها غبار الدل والعزلة ولتوجه الأحداث وتقوم المعارك في الآفاق البعيدة ، ولتحدث انقلابا خطيرا في الرسوم وذلك ما سجله ابن خلدون في قوله « واستقلت كتامة بالامر من يومئذ ثم من بعدهم من برابرة المغرب وذهبت ريح العرب ، ودولتهم عن المغرب وأفريقية ، فلم يكن لهم بعد دولة ، إلى هذا العهد وصار الملك للبرابر وقاتلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى وجيلا بعد جيل » (474) .

ومن هذا القول الجامع ، الذي هو أشبه باللحن الحزين ، نستنتج دور العرب الرئيسي سواء كانوا قيسية أو يمنية في حماية وجود الدولة الاغلبية ، التي كانت تمثل سيادة العنصر العربي وقوته ومجده واستقلاله بالتدبير وبالحكم .

وعندما كانت هذه الدولة — من وحي ادراك رجالها لحقائق الحياة — محافظة على أساس بقائها ، وعلى تماسك عصبيتها تمكنت من البقاء ضد عوامل الفناء وعندما بدأ بعض أمرائها يفقدون ادراكهم وحساسيتهم ، تجاه عصبية الدولة ضعف أساسها واهتز كيائها ، وطمع فيها من طال انتظاره واشتد ظمأه للسلطة وقوى عزمه الآن على تمثيل دور رئيسي في المنطقة . فلننظر الآن كيف خرجت كتامة من بيئتها الجبلية المنعزلة ، إلى بسائط وسهول المغرب ، ومن تبعيتها وذلتها إلى حياة المجد والعزة والزعامة في آفاق المغرب والمشرق أيضا ؟ وهذا ما سنتناوله في بقية الفصول .

473 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 163 - 164 اليقوبي : البلدان 103 وقد لاحظ في عصره انتفاض عرب بلزمة علي ابن الأغب ، من اثر الحادثة وذكر أنهم من تميم ، ومن مواليتهم ، النعمان : المصدر السابق ورقة 51 - 52 ، البكري : المصدر السابق 50 ويشير إلى أن بلزمة لمزاته البربرية وقد خربها زيادة الله 3 انظر : EI., (Art Aghla) T I p. 185-86 Charles Diehl et Marsais : Histoire du moyen Age le Monde Orientale de 395 à 1081 T III p. 414 (Paris 1936)

474 - ابن خلدون : المصدر السابق 6 ، 229 (ط بيروت) ، انظر العدوي : بلاد الجزائر - تكوينها العربي الاسلامي 239 وما بعدها ، عن انتقال مقاليد الامور إلى كتامة : (القاهرة 1970) شارل جوليان : تاريخ افريقية 71 - 72 ، ترجمة عوضي اباضة ، مراجعة عبد المنعم ماجد (سلسلة 1000 كتاب) .

الفصل الثاني

كتامة والدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب حتى قيام الخلافة الفاطمية

التشيع - حياة الطويلين وحركاتهم حتى نهاية العصر العباسي الأول -
بيت جعفر الصادق الحسيني : الإثنى عشرية والإسماعيلية - الدعوة
الإسماعيلية في المشرق - سلمية اليمن - بذور الدعوة الإسماعيلية في بلاد
المغرب - أهمية مراكز الطويلين في المغرب الأوسط والأقصى ، ودور الأدارسة
في التهيئة - فجر الحركة الإسماعيلية في بلاد المغرب النخبة الأوائل : أبو
سليمان - العلواني وجهودهما : تشيع الرجال - القصص الأدبي والتشيع -
التنجيم والتشيع ، الشعر والتشيع ، الشعراء المتشيعون ، شخصية
أبي عبد الله الشيعي - الشيعي وكتامة في مكة - الشيعي في قلعة إيكجان -
الشيعي في تازروت ، تنقلاته الخاصة ، مشاكله ، حرب الطفلاء ، حصار
تازروت وفشله - سقوط ميله وردود الفعل الخارجية ضد الداعي :
جهود الأهل الأغلبي ضد تازروت وميلة وآثارها - إيكجان دار هجرة
جديدة، إيكجان قاعدة انطلاق ضد حواضر كتامة والأراب:سطييف - حملة
إبراهيم بن حبشي ضد إيكجان - معركة كينونة نتائجها : ولاء قسنطينة
فهم طينة - بلزمة ، تيجس - تيفاش - باغاية ، قاعدة انطلاق وسطي
ضد قسطنطينية وقمودة وقصور قفصة - ردود فعل اغلبية ناجحة ضد
تيفاش - معركة دور مدين ، تمرد القبائل ضد الداعي - حركة اغلبية
ضد باغاية . موقعة الأريس ونتائجها ، فرار الأمر الأغلبي زيادة الله
وسقوط الإمارة الاغلبية - اجراءات سريعة وهامة قبيل تحرير عبيد الله
من سجنه في سجلماسة - اجراءات عبيد الله المهدي بعد وصوله الى
رقادة - قيام الخلافة الفاطمية في المغرب - آفاق الفترة التالية .

إذا قصد بالتشيع اتجاه يقوم على حب آل البيت ، فمرجه الى عصر
الرسول (1) أما إذا أريد بالتشيع المبدأ السياسي المذهبي ، الذي تنتحله

1 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 220 حيث يشير الى شتم عبيد الله المهدي لكل
الصحابة ، ما عدا المقداد ابن الأسود ، وسلمان الفارسي وعمار ابن ياسر وأبا ذر
الغفاري ابن أبي السيف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان
1 ، 121 ابن خلدون : المقدمة 197 ط 3 ، 1900 م ابن منظور : لسان العرب
10 ، 54 - 55 وفيه قوله : « والتشيع قوم يهون هوى عترة النبي (صلى الله عليه
وسلم) ويوالونهم . تاج الدين الحسيني : غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية
المحلولة من القبار 82 ، عبد المنعم ماجد ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر
75 - 76 هامش 1 الهمداني : الصلحيون والحركة الفاطمية 13 .

طائفة معينة من المسلمين يعرفون بالترايبية (2) ، أو بالشيعة (3) أو العلويين (4) أو الطالبين (5) ويقضي بحصر الامامة بعد الرسول في علي بالنص ، ثم في ابنائه وأحفاده (6) ، فيجب أن نبحث عن نواته الأولى ، فعادة مؤتمر السقيفة وما تلاه من أحداث بلورت جميعها الاتجاه الشيعي وكونت من الشيعة هيئة دينية سياسية بينها تضامن عجيب واشار لآل البيت لا يعرف الحدود .

أما هذه الأحداث فمن أهمها :

تنازل الحسن بن علي عن الخلافة بعد الاتفاق مع معاوية ، ثم قتل أخيه الحسين مع بعض آل بيته في كربلاء ، 61 هـ / 680 م ، على يد رجال يزيد بن معاوية ، كما أن معركة الزاب (من روافد دجلة) التي جرت سنة 132 هـ / 749 - 750 م ووضعت نهاية لنظام الخلافة الأموية وفتحت المجال للرضا من آل البيت ، ثم فشل الانتفاضة التي تزعمها من فرع الحسن محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم ، للاحتجاج على استبداد العباسيين بالخلافة يعتبران من بين الأحداث التي بلورت الاتجاه الشيعي .

— أما كبرى هذه الحوادث وأهمها فهي الكارثة التي حلت بالعلويين وبآل الحسن خاصة فداء هزيمة فخ 169 هـ / 785 - 786 م ، التي وقعت في عهد الخليفة الهادي العباسي (7) .

وإذا كان اجتماع سقيفة بني ساعدة ترتبط به النشأة الأولى للتشيع باعتباره حركة سياسية مذهبية فإنه أيضا تسبب في بروز ظاهرة الغضب لخروج الخلافة من آل البيت إلى غيرهم . ولأن حادثة كربلاء كانت نكبة فجع بها آل البيت جميعا حسنين وحسينيين ، فقد نتج عنها مع شدة

2 - نسبة لابي تراب وهو لقب شرفي أطلقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) تكريما لعلي
انظر : EI., Art Abu Turab T I p. 299 Sq.

3 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 166 .

4 - نسبة لعلي بن ابي طالب انظر : EI., Art Alides T I p. 299 Sq.

5 - نسبة لابي طالب وفي القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان 157 - 166 توضيح لما يشمله مفهوم الطالبين .

6 - أحمد حميد الدين الكرمانى : الصابيح في آيات الامامة 105 - 108 ، 109 ط . بيروت 1969 تحقيق مصطفى غالب الشهرستاني : الملل والنحل 1 ، 223 ط مصورة من الطبعة الأولى - بيروت ، ماجد نظم الفاطميين 1 ، 51 - 53 .

7 - الطبري : تاريخ الامم والملوك 8 ، 192 وما بعدها .

المرارة قوة الشعور بالتضامن والتنظيم للثأر ، ولارجاع الحق من مفتصبيه الى ذويه (8) .

ولعل ذلك كان سر تلك الانتفاضات العلوية فيما بعد وكان فشل ثورة زيد بن علي في عصر هشام بن عبد الملك ، درسا قاسيا للعلويين استخلصوا منه العبرة والتصميم ، ولقد كانت معركة الزاب ثمرة لوحدة العمل وللتنسيق بين الهاشميين وقمة للنجاح السياسي الذي أدركه هؤلاء ضد الأمويين . والذي يلاحظ :

— ان استبداد العباسيين بالامامة استنادا على قاعدة شرعية تقدم العم وبنيه في الارث على أبناء البنات (9) في وقت كان فيه العلويون يرونها حقا لهم ، وراثة عن علي بن أبي طالب الذي حظي بها عن طريق النص من الرسول صلى الله عليه وسلم يوم غدير «خم» ، منصرفه من حجة الوداع، أساء مرة أخرى الى مشاعر أهل البيت وحطم آمالهم ، وعمق الشعور بالمرارة عند سائر المتشيعين لهم ، لا سيما وقد تخيلوا نظرا لمنهج الدعوة ، وأهدافها، وللظروف التي أحاطت بحياة العباسيين المندسين ، وكانوا حتى هذا الوقت مغمورين ، ونظرا لما كان يتمتع به العلويون من سمعة ومكانة وعطف عند جميع المسلمين ، تخيلوا أن الرضا من آل محمد سيكون من بين أظهر شخصياتهم ، وبالتالي به ، يعود الحق الى مستحقه ويأخذ القوس باريها .

ولقد زاد من حدة غضبهم أن الأقرباء ، الذين استغلوا النسبة العامة في الدعوة ، لتحويلها اليهم والاستبداد بالخلافة دون عصبيتهم غدوا أشد تنكيلا ومراقبة ونكرا لهم من أعدائهم الأمويين .

وهكذا حفل العصر العباسي الأول مثلما حفل العصر الأموي الأخير بانتفاضات علوية كانت تواجه بكل شدة وضراوة وينكل بزعمائها وأنصارها في هذا العصر مثلما كان يحدث في العصر الأموي .

وان ظروف تصفية حركة النفس الزكية في عهد أبي جعفر المنصور العباسي لا تختلف كثيرا عن ظروف تصفية الحركة التي تزعمها قريبه زيد بن علي في عهد هشام بن عبد الملك .

8 — ابن أبي ذرع الفاسي : المصدر السابق 4 — 5 ط . حجرية . السلاوي : المرجع السابق 1 ، 65 — 67 ماجد : المرجع السابق والصفحة ، سرور : العولة الفاطمية في مصر 19 ، ابن عذابي : المصدر السابق 1 ، 166 .

9 — الطبري : المصدر السابق 7 ، 425 ، 427 ، 428 ، 431 ، ومن خطبة أبي العباس السفاح قوله : « خصنا برحم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقرابته وانسانا من آبائه وأنبتنا من شجرته » . وفيه أيضا « رد الينا حقنا وارثنا » و « قاد الولاية والوراثة حتى انتهى الينا » .

وإذا كانت الانتفاضة الأولى قد تزعمها الفرع الحسيني ، نصفه لآل البيت كلهم واحتجاجاً ضد الاغتصاب ، ومجاراة لآمال ، وأهداف التشيعين فإن فشلها ان كان قد عمق الشعور بالمرارة التي كانت في نفوس العلويين وأنصارهم فإنها من ناحية أخرى كانت حداً فاصلاً بين عهدين : عهد الوحدة بين الحسينيين والحسينيين ضد العباسيين وعهد العمل الاستقلالي لكل فرع من هذين الفرعين .

وأظهرت أحداث هذه الانتفاضة أن أظهر شخصيات الفرع الحسيني وهو الامام جعفر (10) الصادق بن محمد الباقر (11) كان متحفظاً وغير مؤيد للحركة ، ومن ثم لم يقيم بأدنى دور سياسي أدراكاً منه لطبيعة الظروف ولضرورة تغيير مناهج العمل والحركة ضد العباسيين (12) .

وتشير بعض النصوص ، الى مقدار جزع جعفر الصادق وهلمه لما اصاب بني عمه وأقرباءه فأرسل الى عبد الله بن الحسن ، رسالة تعزية تفيض بالالم والحسرة وتحث على التأسي بالأسلاف والاحتكام الى الكتاب المقدس والتفويض الى الله والتمسك بالصبر ومن ذلك قوله « فان كنت تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك ، لما اصابكم فما انفردت بالحزن والغيظ والكتابة واليتم ، ووجع القلب دوني ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثلما نالك ، ولكن رجعت الى ما أمر الله وعزى به المتقين من الصبر وحسن العزاء » (13) .

10 - من ترجمته انظر : ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 291 ابن طولون : الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية 85 وما بعدها

E.I. Djafar T I, p. 1021

الشهرستاني : المصدر السابق 1 ، 244 ، و ج 2 ، ص 2 .

11 - انظر عنه ابن طولون : المصدر السابق 81 وما بعدها .

12 - جمال سرور : المرجع السابق 15 ، ويؤيد ذلك ثورنا على رسالة منسوبة الى جعفر

الصادق وجهها الى بني عمه الحسينيين يعزيبهم عما صار اليه وضمهم على يد ابي

جعفر المنصور . وعن تكية بني الحسن انظر : البيهقي : تاريخه 3 ، 105 - 106 ،

111 - 112 الطبري : المصدر السابق 7 ، 539 - 541 أبو الغداء المختصر في

أخبار البشر 2 ، 3 - 4 . ابن الوردي : تكملة المختصر 1 ، 195 .

M. Talbi : op cit, p. 561-62.

13 - زين الدين العاملي : التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية على مذهب الشيعة

الاثني عشرية ورقة 6 أ . خ تونس رقم 18335 وكان ضمن مخطوطات حسن حسني

عبد الوهاب وآل الى المكتبة الوطنية ويقع ضمن مجموع ، وفيه مسائل عن

التصوف . الطبري : المصدر السابق 7 ، 540 - 541 ، ولقد تأثر جعفر الصادق

من حمل بني عمه الى العراق وبكى و « هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته »

وخاطب غلامه قائلاً « واليه لا يحفظ لله حرمة بعد هؤلاء » أبو الفرج الأصفهاني

مقاتل الطالبين 152 - 158 ويبدو أن خوف جعفر بن محمد بن علي نفسه وبنيه من

انتقام ابي جعفر المنصور كان شديداً .

— وإذا كانت الثورة العلنية قد جربت أكثر من مرة ، وفشلت في انصاف آل البيت من العباسيين ، فان العبرة التي استخلصها ، هذا الامام العلوي جعلته يبدأ في نطاق الحيطه والحذر والسرية التامة ، بالدعوة لنسله ، من زاوية انشغاله أكثر وقته بالتعليم ، وبث آراء ، وعلوم أهل البيت في المدينة المنورة التي كانت مقصداً للمسلمين من أماكن مختلفة ، وقد التف حوله طلاب المعرفة ، وتكونت نواة للمدرسة الجعفرية التي شملت بعض رجال من أهل السنة غدت لهم فيما بعد شهرة في ميداني الفقه والحديث ، وأصبح لهم أتباع ومقلدون في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي وأظهرهم مالك بن انس أمام دار الهجرة (14) ، الذي كثر أتباعه في بلاد المغرب والاندلس ومصر ، ثم جابر بن حيان وعبد الله ابن ميمون القداح وأبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي (15) .

وقد شاعت آراؤه في العقائد وفي الأحكام مثلما عرفت أيضاً في أسلوب العمل السياسي والمذهبي ولخص الأخيرة منهما في قول جامع أصبح عقيدة شيعية راسخة وأساساً من أسس الدعوة عند الإسماعيلية بنوع خاص وهو قوله «التقية ديني ودين آبائي من لا تقية له لا دين له» (16) .

وعلى هدى هذا المبدأ مكن جعفر الصادق لنفسه ولعقبه من بعده في هدوء وسلم بين أوساط المثقفين وعامة المسلمين فأبعد عن بيته التبعة والظنة والملاحقة من طرف العباسيين .

ويظهر ان أسلوبه الهادئ كان محل اقتناع ورضا من العلويين المتنورين الذين بدءوا يتظلمون اليه اماماً مفكراً ، وزعيماً سياسياً ، وسندا قويا لكل حركة سلمية قد يقوم بها العلويون في المستقبل انما في نطاق مبدأ التقية والستر الذي أقره أسلوباً جديداً للتحرك السياسي .

غير ان فريق المتشددين من فرع الحسن بن علي ، وقد استبد بهم الغضب من فشل حركتهم الأخيرة بقوا على ولائهم للأسلوب القديم عسى ان تمكنهم الظروف من الانتقام للهزيمة ومن ارجاع حق آل البيت اليهم .

14 - كامل حسين : طائفة الإسماعيلية 10 .

15 - ابن طولون : المصدر السابق 85 الشهرستاني : المصدر السابق 2 ، 15 - 16 : M. Talbi op cit, p. 562.

16 - كامل حسين : المرجع السابق 19 ، وعن شخصية جعفر الصادق العلمية واتفاق الشيعة حوله انظر : E.I. (Art Djafar) T I, p. 1021 ويضاف الى مبدأ التقية مبدأ وجوب معرفة الامام وامتقاده امامته من طرف المؤمنين لان الانسان مكلف « بان يعرف حجة (الله) في أرضه وشاهده على خلقه فيعتقد امامته . انظر النعمان : تربية المؤمنين او تاويل الدعائم 20 وما بعدها ضمن منتخبات إسماعيلية نشرها عادل العواء .

وقد تخيلوا أن الظرف ملائم ، غداة وفاة المهدي ، وبيعة ابنه الهادي بالخلافة في بغداد . فتزعم الحسين بن علي بن الحسن ، ثورة عسكرية اشترك فيها كثير من رجال الفرع الحسيني . وعندما أخدمت الثورة وقتل في موقعة فخ 169هـ / 785-786 م واشتد الأمر على آل الحسن وضيق عليهم السبل ، فر أدريس ابن عبد الله بن الحسن ، وأخوه يحيى خارج بلاد الحجاز (17) ، فكان لأدريس الذي نفذ إلى المغرب (18) ، دور كبير في أحياء مجد العلويين في بلاد قسية ، وفي الانتقام من العباسيين بتأكيد ظاهرة الانفصالية السياسية في أقصى بلادهم وكانت قد شاعت من قبل على أيدي أعدائهم الأمويين في الأندلس . أما يحيى فلم يكن له شأن كبير في بلاد الدلم التي التجأ إليها لأنه سرعان ما انخدع للامان الذي منحه إياه الرشيد وظهر في بغداد .

وهزيمة فخ ان كانت قد ضاعفت من حدة الألم عند الحسينيين وأنصارهم لأنها قضت على آمالهم في إقامة دولة علوية في المشرق ووضعت مبدأ تشردهم في الآفاق البعيدة فانها من ناحية أخرى كانت ايجابية وطريقاً إلى المجد الذي أدركه سائر العلويين في المغرب . ويعتبر قيام دولة الإدارة في المغرب الأقصى أول نجاح للحسينيين يحمل في طياته الإرهاص ، بنجاح فرع الحسينيين في إقامة أكبر دولة علوية في بلاد المغرب ، وهي الدولة الفاطمية .

وفيما بين هذين الحدثين قيام الإدارة وظهور الفاطميين ، ظهرت عدة انتفاضات علوية في بلاد المشرق كان مصيرها ، مثل سابقتها (19) .

ومن بين الخلفاء العباسيين انشغل الرشيد بيحيى بن عبد الله ، حتى تمكن منه ثم بأخيه أدريس ولم يطمئن إليه حتى تخلص من مؤسس دولة الإدارة العلويين عن طريق القدر به ، بواسطة سليمان بن حريز الجزري من قبيلة

17 - البكري : المصدر السابق 118 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 298 وهنا يلاحظ أن وقعة فخ كانت في عهد المنصور وأن أدريس ويحيى أخوان لمحمد النفس الزكية ولأبراهيم وسليمان وعيسى ، أبو الفرج الأصفهاني : المصدر السابق 300 - 305 اليقوبي : المصدر السابق 3 ، 137 الطبري : المصدر السابق 8 ، 192 أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 11 - 14 ابن الوردي : المصدر السابق 1 ، 202 ابن الساعي مختصر تاريخ الخلفاء 24 - 25 .

18 - نفسه 119 - 121 ولقي يومئذ من صاحب بريد مصر واضح مولى صالح بن المنصور معاملة حسنة ، ليلى إلى آل البيت فلما بلغ الرشيد خبره أمر بقتله وصلبه . الاستبصار (لجهول) 194 الطبري : المصدر السابق 8 ، 198 - 199 ، 200 . 19 - المسعودي : مروج الذهب 2 ، 199 ط بولاق 1283 هـ ابن طباطبا : الفجري 201 ، اليقوبي : تاريخه 3 ، 173 ، 229 ، 231 حسن إبراهيم الدولة الفاطمية 39 .

ربعة وهو ممن عرفوا بميلهم لمذهب الزيدية وتمكنهم فيه (20) ، كما وقع التخلص من مولاة راشد بواسطة ابراهيم بن الأغلب لما أبداه من اهتمام بأمر العلويين واستمرار أثرهم ونفوذهم في المنطقة (21) .

غير أن السكان ، وقد انزعجوا لحادث قتل ادريس تابعوا السير على هديه والتفوا حول ابنه من جارية بربرية تسمى (كنزة) وبإيعوه باسم ادريس الاصغر تيمنا بأبيه ، وتأكيدا لولائهم له ولآل البيت وحرصا على استمرار النظام العلوي في بلدهم (22) . فلم يسع الرشيد الا اقامة نظام سياسي ذي أساس عربي بجوار حدود دولة الادارسة ليكون حاجزا بينهم وبين العباسيين في المشرق أو عائقا يعوقهم عن التوسع في أرض المغرب الاوسط وافريقية ومركزا للدس والتآمر على حياة أمرائهم .

والخليفة المأمون ، من بين العباسيين في العصر الأول ، هو الذي تظاهر بالعطف على قضية العلويين فأزال الضيم عنهم بل مهد الأمر الى أحد أئمتهم ، وهو علي الرضا ، لكن تراجعته بسبب ضغط العباسيين يعث على التساؤل إذا كان صادرا في تصرفه تجاه العلويين عن اقتناع حقيقي ، وعقيدة بأنهم أهل للخلافة أو كان غرضه أن يظهر بقية زعماء العلويين المنبئين في أرجاء الدولة أو أن يتأكد مبدا الوصية التي ادعاها العباسيون ونسبوها الى أبي هاشم ابن محمد بن الحنفية قبل موته (23) ، ويؤيد هذا الافتراض ، موت علي الرضا في ظروف غامضة (24) ، وإشارة المأمون لمبدأ الوصية .

20 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 298 وما بعدها ، ص 100 وما بعدها ويسمى الرجل « الشمخ » مثل البكري في إحدى روايته انظر ص 121 منه والشمخ من موالى الرشيد : المصدر السابق 122 ، المقدسي : المصدر السابق 243 - 244 ابن أبي ذرع : المصدر السابق 9 - 11 ، ابن الفقيه الهمداني : المصدر السابق 81 - 82 السلاوي : المرجع السابق 1 ، 69 - 70 ابن أبيك النواداري : العدة الفية 6 ، 16 .

21 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 101 ، 299 الاستبصار (مجهول) 194 البكري : المصدر السابق 122 الاضطري : المصدر السابق 45 السلاوي : المرجع السابق 1 ، 1 ، 71 ابن أبي ذرع : المصدر السابق 13 .

22 - السلاوي : المرجع السابق 1 ، 70 ابن أبي ذرع : المصدر السابق 11 البكري : المصدر السابق 123 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 101 - 102 ، 299 .
Charle Diehl et Marcais : Le monde orientale de 395 à 1081, T. 3, p. 422.

23 - الطبري : المصدر السابق 7 ، 421 .

24 - ابن طولون : المصدر السابق 97 وما بعدها ابو الفداء : المصدر السابق 2 ، 24 - 25 ابن طباطبا : المصدر السابق 198 - 100 اليعقوبي تاريخه 3 ، 176 - 177 ابن الساعي : المصدر السابق 39 - 41 .

وقد أوضح المعز لدين الله فيما بعد ، هذه القضية عندما طرحت للبحث بقوله « لن يكون الإعداء بالأعقاب أبدا أبدا ، لا ترجع القهقري ، ولا تنتقل عن الذرية إلى البعداء وكان ذلك دأب أولياء الله (25) .

* * *

— والحادث الكبير الذي مني به فرع الحسينيين منذ وفاة الامام السادس جعفر الصادق (26) 148 هـ / 765 - 766 م .

هو الانقسام في صميم بيته (27) وظهور حركة الجدل العنيف بين المتشيعين له حول النص عن الامام بعده .

— وقد اعتقد فريق من الأنصار ، أن أبا الحسن موسى الكاظم (28) ، اصغر ابنائه هو الأحق بالامامة الكبرى التي يتوارثها عنه أبناؤه بمقتضى النص الجديد، من أخيه الأكبر سنا وهو اسماعيل، لأن جعفرا الصادق تراجع في النص عن امامة الأخير ، وأنشأ النص بالنسبة لموسى (29) ، بسبب استقامة سيرته عكس أخيه ، الذي انحرف ، وكان يد من على شرب الخمر ، ويتهاقت على اللذة ويجالس المنحرفين والغلاة الذين لفظهم أبوه من قبل وتبرا منهم بسبب دعواتهم الضالة ومن هؤلاء أبو الخطاب ورهط الخطابية الذين أرادوا أن يمثلوا مع جعفر الصادق نفس الدور الذي مثله من قبل بالنسبة لعلي بن أبي طالب ، عبد الله ابن سبأ ، ورهط السبائية (30) وقد مات اسماعيل في حياة أبيه الذي كتب بذلك محضرا وأشهد عليه عامل المنصور في المدينة المنورة ومن ثم اقتضت المصلحة العليا ، لفرع الحسينيين ،

25 — النعمان : المجالس والمساربات 1 ، ورقنا 324 - 326 خ مكتبة جامعة القاهرة رقم 26060 .

26 — اليعقوبي : تاريخه 3 ، 115 - 116 ، ابن الوردي : المصدر السابق 1 ، 196 .
27 — الشهرستاني : المصدر السابق 1 ، 223 كامل حسين : مقدمة المجالس المستنصرية 1 - ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 9 .

E.I. (Art Djafar) T I, p. 1021.

28 — ابن طولون : المصدر السابق 89 وما بعدها وقد لقب « بالصد الصالح » ولفى أكثر أيامه في سجن المهدي والرشيدي حتى توفي 183 هـ ابن طباطبا : المصدر السابق 196 وقد لاحظ أنه « قتل قتلا خليفيا » كناية عن قتله بالسم ، أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 16 ابن الساعي : المصدر السابق 28 .

29 — الشهرستاني : المصدر السابق 2 ، 5 .

30 — مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ : حرص هذا المؤلف على مناقشة وتفنيد آراء الأرخين حول شخصية ابن سبأ ، ومن الأخير انظر الشهرستاني 2 ، 11 وعن آراء الخطابية انظر 15 - 16 منه عباس محمود العقاد : فاطمة الزهراء : 91 - 92 رشيد رضا : السنة والشيعة 4 وما بعدها الهمداني : الرجوع السابق 15 .

التجديد في النص ، لفائدة من يستطيع خدمة المبدأ وتسيير المجموعة الى ساحل الأمان ولو كان صغير السن ، وعلى هذا الرأي فان الإمامة تعاقب عليها بعد موت موسى الكاظم أبناؤه وأحفاده ، حتى ولاية ابي القاسم محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى في سرداب في مدينة سامرا، خوفا على نفسه من تنكيل العباسيين ولذلك يعرف بصاحب السرداب ويوصف بالحجة والقائم وصاحب الزمان أو امام العصر ، ولما أصبحت غيبته مستمرة أطلق عليها الغيبة الكبرى ، وبقي انصاره على اعتقاد أنه حي ، لم يفت وأنه سوف يظهر ليملا الأرض عدلا كما ملئت جورا . ومن ثم عرف بالمهدي المنتظر (31) .

وبسبب ترتيبه الخاص ، بين الأئمة الموسوية أو الكاظمية عرف انصاره أيضا باسم الأئمة عشرية عند المؤرخين .

ويبدو أن استمرار غيبة محمد بن الحسن العسكري أضعف قوة انصاره وأصابهم بالوهن وجعل كثيرا من المتحمسين منهم للقضية الكبرى ، يولون وجوههم شطر أبناء عمومتهم من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق ، وينضوون تحت لوائهم لا غرابة اذا أشارت بعض النصوص الى أن بعض دعاة ورجال الاسماعيلية كانوا في بدء أمرهم من الموسوية ومن هؤلاء علي بن افضل وابن حوشب ، والداعي أبو عبد الله والقاضي النعمان وغيرهم (32) .

— أما الفريق الآخر من بيت جعفر ، ومن انصارهم فقد اعتقد بأن النص الاول كان لفائدة اسماعيل وليس لاي كان — غير الامام — الرجوع فيه « لأن النص لا يرجع القهقري (33) والقول بأن اسماعيل توفي في حياة ابيه قد يكون مجرد اشاعة فقط قصد بها التعموه على العباسيين حسب مبدأ التقية الذي سنه جعفر الصادق سادس الأئمة .

31 — ابن طولون : المصدر السابق 117 — 118 ابن خلكان : المصدر السابق 3 ، 316 الشهرستاني : المصدر السابق 2 ، 5 ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 29 وما بعدها ط . بولاق 1284 هـ وانظر المقدمة 201 ط 1900 م ، ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 56 وما بعدها حسن ابراهيم : المرجع السابق 31 ، 35 سرور : المرجع السابق 16 ، النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام — التشيع وتطوره 2 ، 355 ط 3 كامل حسين : المرجع السابق 11 — 13 يحي هويدي : المرجع السابق 1 ، 84 — 85 .

32 — ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 30 ، 32 ولاحظ أن هليا بن الفضل كان من كبار الشيعة باليمن وان ابا عبد الله الشيعي كان يعلم مذهب الامامية النعمان : افتتاح الدعوة ورفات 3 ، 4 ، 5 يحي بن الحسين غاية الأمان في اخبار القطر اليمني 191 وما بعدها تحقيق سعيد عاشور 1968 حسن ابراهيم : المرجع السابق 36 .

33 — الشهرستاني : المصدر السابق ج 2 : 5 ، 27 . ط 1 .

وعلى فرض أن موته كان حقيقة ، فإن حقه في الإمامة ثابت من بعده لأعقابه يتولاها أكبرهم سناً ، وكان محمد بن اسماعيل أكبر سناً من عمه موسى الكاظم (34) .

وقصة الانحراف الخلقي بالنسبة لاسماعيل ، اصطنعها أنصار الموسوية ليتأكد حق امامهم في النص ، وأن صحت فقد تكون استمراراً للاخذ بمبدأ التقية ، حتى ينصرف عنه العباسيون ويأمنوا جانبه لأن جمهور العامة لا يقتدى بمثله .

وانتقال الإمامة ان كان قد حصل في وقت ما لفائدة موسى الكاظم بعد وفاة أخيه إنما كان مؤقتاً ، وعن طريق الوكالة وحفظ الأمانة استيداعاً حتى تؤول الى صاحبها الشرعي استقراراً والأخير منهما وهو المستقر هو الذي له حق النص عنها وتوريثها لعقبه من بعده .

والسابقة التاريخية الكبرى هي احتفاظ الحسن بن علي بالإمامة لفترة ، عن طريق حفظ الوديعة لأخيه الحسين ، الذي ناضل في سبيل تحقيقها (35) ، وقد تأكد مبدأ الاستيداع والاستقرار وشرحه المعز لدين الله شرحاً وافياً في أحد مجالسه بقوله : « لم يلبها من أهل البيت ، من غير الاعقاب المتصلة ، الا مستودع عندهم غير مستقر فيهم الا أن يستحق ذلك مستحقه فيأخذه من أيديهم » 0 وزاد الأمر توضيحاً بقوله « فليس المستقر كالمستودع ، ولا الوكيل كالموكل ولا الموصي كالموصى عليه ، ولا له أن يملك شيئاً مما له في يديه هي أمانة الله التي قد استحفظها ووديعته التي أودعها (36) .

ومن هذا النص الهام ، يفهم أن موسى الكاظم وأعقابه لم يكن لهم حق في الإمامة أصالة في نظر الاسماعيلية رغم ادعائهم ومحاولتهم التفرد بها دون أصحابها الشرعيين الذين هم أعقاب اسماعيل بن جعفر الصادق ، من محمد

34 - نفسه انظر 28 منه : النعمان : المجلس 1 ورقة 224 - 226 الكرمانى : المصباح 128 - 139 وقد خصص المصباح السادس لاثبات الإمامة لاسماعيل بن جعفر وذريته من بعده دون أخوته وأيد ذلك بسبعة براهين ، ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 61 .

35 - كامل حسين : المرجع السابق 12 ، القرزى : اعطاء الحنفا 1 ، 15 - 16 ط 1967 هويدى : المرجع السابق 1 ، 84 - 85 النشار : المرجع السابق 502 ، وما بعدها ابن خلدون : المقدمة 201 حسن ابراهيم : المرجع السابق 38 ، القرزى الجوزى : سيرة جوتر ، 82 وفيه قوله : «خالص الذرية» انظر تطبيق 89 .

36 - النعمان : المجلس 1 ، 335 - 336 ولعل مصطلحات الاستيداع والحجة والأمين وباب الله مصدرها قول جعفر بن محمد « فتحن باب الله وحجته وأمانؤه على خلقه حفظة سره ومستودع علمه » انظر النعمان الهمة في آداب اتباع الأئمة 78 - 79 وكان عبد الله بن العز ولى عهد المسلمين وحجة أبيه فلما توفي بمصر 364 هـ أنشء النص بالنسبة لأخيه نزار ، فانتقلت الإمامة مرة ثانية الى الاعقاب استقراراً . والعز لدين الله هو المسؤول على هذا التفسير بسبب حادث الموت ، انظر : القرزى : سيرة جوتر 136 القرزى : اعطاء الحنفا 1، 217، 228 - 229 .

اول ائمة الستر ، الى عبيد الله آخرهم لان الامامة لا يستحقها غير الاعقاب
الا على اساس واحد هو حفظها حتى يطلبها صاحبها ورعاية شئونها حتى
يرشد من هو اهل لها .

واعقاب اسماعيل وانصاره هم الاسماعيلية ولكونهم اعتقدوا انه الامام
بعد جعفر الصادق سادس الائمة ، عرفوا بالسبعية وقولهم بالتأويل (37) ،
وبأسلوب العمل السري اكسبهم لقب « الباطنية » ولاهمية النسب في حياتهم
السياسية والمذهبية حرص فريق من الاسماعيلية على أن يعرفوا بالعلويين ،
أو بالفاطميين ، وحرص غيرهم من الاعداء على انكار ذلك (38) ، فأطلقوا
عليهم اسم العبيديين وهذا الاسم الاخير هو الشائع على الالسنة وفي الكتابات
التاريخية في بلاد المغرب حتى أنه يوجد من المؤرخين من أسس عمله ، على
هذا اللقب ومن هؤلاء ابن حماد الصنهاجي الذي ينسب اليه تاريخ بني
عبيد (39) ، وكان ابن حزم قاسيا في حكمه على الاسماعيلية عندما رماهم
بالمجوسية واباحة الاشراف في النساء والاموال في قوله «الاسماعيلية والقرامطة
طائفتان مجاهرتان بترك الاسلام جملة ، قائلتان بالمجوسية المحضة ثم مذهب
مزدك الموبد، الذي كان يقول بوجود تاسي الناس في النساء والاموال» (40)
اما اغلب المعتدلين من اهل السنة فيكتفون فقط بالظن في نسبهم العلوي .
ولو أن البعض يصف الاسماعيلية بالملاحدة أيضا (41) ، وهو وصف يعني

37 - العززي : المصدر السابق 93 وهنا يخاطب العز جودر بقوله « حتى تشاهد معنا
حج بيت الله الحرام ظاهرا كما حججته باطنا » انظر : تعليق 99 منه الشهرستاني
2 ، 29 ، E.I. Art Batinia T I, p. 697. والكلمة تطلق في ميدان
التصوف ايضا ويلاحظ الشهرستاني أن الباطنية يعتقدون بان لكل ظاهر باطنا
ولكل تزييل تاويلا : 29،2 .

38 - ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 9 الشهرستاني : المصدر السابق والصفحة . السيوطي
تاريخ الخلفاء 278 - 279 الشرفاوي : تحفة الناظرين ورقة 58 خ مكتبة جامعة
القاهرة وتعني كلمة الفاطميين النسبة الى فاطمة بنت الرسول ، او بنت اسد ،
وهي ام علي ، او الى فاطمة بنت الحسين والاول ارجح انظر : ماجد : ظهور خلافة
الفاطميين 88 هامش 1 ، نظم الفاطميين 1 : 8 - 10

E.I. (Art Fatimides) T 2, p. 870 s q, 2 édition.

39 - ابن ابي الضياف : المصدر السابق 1 ، 120 ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 88
هامش 2 السيوطي حسن المعاصرة 2 ، ص 2 ، 13 ، 19 حسن حسني عبد الوهاب
خلاصة تاريخ تونس 94 وما بعدها ابن هداري 1 ، 362 .

40 - ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والتحل 2 ، 116 ط مصورة عن ط الاولى .

41 - ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ حلب 264 - 265 E.I. Art Batinia
T. I, p. 697. والباطنية من يعتقدون أن لكل نص باطنا يدركه الخاصة من الناس بطريق

التأويل وهؤلاء يسقط عنهم التكليف بخلاف الجهال وقد لقبوا بالسبعية لقولهم
أن ادوار الامامة سبعة والانتهاى الى السابع هو آخر الدور ولأن تدبير العالم السفلي
منوط بالكواكب السبعة واغلاها زحل ، كما عرفوا بالتعليمية لان مذهبهم دعوة
الخلق الى التلمن من الامام المعصوم وابطال الراي واستخدام العقل انظر : ابو حامد
الغزالي : فضائح الباطنية 11 - 17 يحي بن حمزة العلوي : الافحام لافسدة
الباطنية الطغام 22 - 23 وقارن ذلك بما ورد في مقال الباطنية :

E.I. Art Batinia T I, p. 1131-32, 2 édition.

الخروج عن الاسلام ومهما يكن من خلاف ، وتنافر بين الموسوية والاسماعيلية **قلن القدر** المشترك بينهما ظل دائما ، هو العداء للعباسيين والمحبة الشديدة **ليصقر الصادق** الذي بقى قدوة الجميع ورمز الوحدة السياسية والفكرية ، ومصدر الالهام ، سواء في العقائد أو في أساليب العمل السياسي . غير أن طائفة الاسماعيلية مكنها الفراغ السياسي الذي تركه آخر الأئمة الاثني عشرية ومبدأ التقية الذي اقره جعفر الصادق كطريق سليم للدعوة لصاحب الزمان ، من أن تظهر في ميدان العمل وتحرز انتصارات كبرى . وأول أئمة دور الستر ، وهو محمد بن اسماعيل طبق في حياته مبدأ التقية وأحاط تحركاته بالكتمان حتى عرف بالامام المكتوم (42) ، ولكي يتمكن من تحقيق هدفه البعيد غادر المدينة المنورة ، مركز انصار الشيعة الامامية لأنه معروف فيها الى التطواف في أرجاء المشرق الاسلامي حتى انتهى الى مدينة سملا (محمد آباد فيما بعد) (43) ، وهناك بدأ ينشر بواسطة دعائه وحجته ميمون آراء الاسماعيلية التي وجدت صداها بين قوم الفوا من قبل نظام الوراثة في الحكم واستمر مبدأ سرية الدعوة واختفاء الأئمة بعد وفاته حتى عرف خلفاؤه الثلاثة المباشرين له بلقب « المستورون في ذات الله » (44) ، وأصبحت سلمية في عصر هؤلاء دار هجرة للاسماعيلية وللإمام المستور ومركز جذب للانصار ، وانطلاق للدعاة في آفاق العالم الاسلامي وفي جزره المختلفة (45).

وظهرت الثمرة الاولى لنجاح حركة الدعوة في البحرين وفي بلاد اليمن حيث ظهر القرامطة الموالون للدعوة الذين قاموا بحركات ثورية ضد مراكز النفوذ العباسي وسيطروا على طريق الحج فيما بعد واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه امعانا في احراج العباسيين (46) ، واظهارا لعجزهم عن حماية

42 - ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 30 ط بولاق ، المقدمة 201 القرظي : اتعاف الحنفاء 1 ، 16 هامش 2 ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 82 .

43 - سرور : المرجع السابق 17 كامل حسين : المرجع السابق 16 .

44 - ابن ابيك النواداري : الدرر النضية في اخبار الدولة الفاطمية (ج 6 من كتر الدرر) ماجد : المرجع السابق والصفحة ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 272 - 273 .

Diehl et Marcais op, cit T 3, p. 425.

45 - القرظي : اتعاف الحنفا ، 1 ، 60 كامل حسين : المرجع السابق 17 وما بعدها سرور : المرجع السابق 18 مقدمة المجالس المستنصرية ج هامش 2 ويستظهر الامام بالحجج وهؤلاء بالماثونين ويلزم الامام أربعة من الدعاة . ويستعين الدعاة بالأجنحة في التبليغ . وعما يشترط في كل من الداعي والماثون والجنح انظر : يحيى بن حمزة الطوي : الافحام لأفئدة الباطنية الطغام 60 .

46 - ابن طباطبا : المصدر السابق 258 ، 262 القرظي : اتعاف الحنفا 1 ، 182 عريب بن سعد صلة تاريخ الطبري 70 - 71 ابن كثير البداية والنهاية 11 ، 160 ط 1966 .

الحرمين المقدسين امام المسلمين كما تمكن منصور اليمن بن حوشب ورفيقه علي بن الفضل الجيشاني من اشاعة النفوذ الاسماعيلي في بلاد اليمن وتصفية نفوذ العباسيين والأسرات السنية التابعة لهم ومنهم بنو يعفر في صنعاء .

— واذا كانت سلمية قد اكتسبت اهميتها من كونها دار الهجرة الاولى ومقر صاحب الزمان والمدرسة الاولى لبث آراء وعلوم آل البيت كما يفهمها دعاة الاسماعيلية فان بلاد اليمن في عهد ابن حوشب ، ورفيقه ابن الفضل ، سرعان ما ظفرت بمكانة بارزة في الدعوة وفي الاشراف عليها في مناطق كثيرة ، من بينها المغرب الاسلامي الذي انطلق اليه دعاة الاسماعيلية من مدرسة الدعوة في بلاد اليمن بتزكية أبي القاسم الحسين بن فرج بن حوشب بن زاد ان الكوفي الذي اشتهر بلقب منصور اليمن (47) وعرف بفجر الدعوة ايضا .

وفي مجال البحث عن بذور حركة التشيع وعن كيفية تسرب الدعوة الاسماعيلية الى بلاد المغرب نشير الى ما تمتعت به شخصية علي بن أبي طالب (48) ، عند جميع المسلمين في المغرب من محبة وتقدير كمجتهد في الرأي وكولي من اولياء الله ، وفارس مظفر حتى ان جهوده اثناء حركة نشر الاسلام ضد قريش وضد اليهود في خيبر وغيرها من واحات شبه الجزيرة ، يتغنى بها عامة المسلمين في هذه البلاد ، حبا في الفروسية واعجابا بالفرسان .

وجاء حادث قتله غيلة وظلما ليرفعه الى مقام رفيع هو مقام الشهداء . وجمهور العامة في هذا الوقت يروون عن (السيد علي ، او علال) كثيرا من الخوارق كما يخلعون عليه لقب « حيدر » (49) ، ويسمون فرسه باسم السرحان ، الذي يعتقدون انه لا يفلب ، وان مصدر نبات النرجس من لعابه وصورته وحده ، او مع ابنيه الحسن والحسين ، ثم وهو ركب على جواده تنتشر في الأسواق ويتبرك الناس بتعليقها على جدران البيوت .

47 - النعمان : افتتاح الدعوة : ورقات 2 - 11 ، 14 ابن الاثير : المصدر السابق 8 ، 10 القرظي : المصدر السابق 1 ، 51 ، سرور : المرجع السابق 18 ، اليمني : بهجة الزمن في تاريخ اليمن 38 - 40 الهمداني : المرجع السابق 25 وما بعدها .

48 - وعن تصور الشيعة له فارسا شجاعا ووليا واماما مقدسا ثبتت احقية في الامامة بالنص عليه يوم غدیر خم انظر : E.I. Art Ali, T I, p. 286.

49 - ابن طولون : المصدر السابق 47 وهنا ذكر حيدرة ضمن القاب علي ويلاحظ أن اللقب شائع في بلاد المغرب ، وقد اشتهر به من الادارسة علي بن محمد ابن ادريس انظر السلاوي : المرجع السابق 1 ، 76 ويوصف علي بالوصي ايضا ، ابن الخطيب : رقم الحلل في نظم الدول 30 وفيه قوله :
وصير الدعوة بعد قصص
الى عبيد الله من آل السوصي

وعلى ذلك ومن زاوية حب الناس لعلي للاعتبارات السابقة ، أصبح تقدير آل وسائر بني هاشم سنة متبعة وقدرا مشتركا بين مجموع سكان بلاد المغرب السنيين بل ان الانتساب اليهم يعد شرفا ، ومفخرة كبرى . ويكثر اسم علي في هذه البيئة عكس اسم معاوية الذي لا يسمى به الا نادورا .

ويعتقد كثير من الناس ان علامة الخمسة ، وهي صورة الكف ، التي ترمز فيما يبدو الى آل البيت أو أصحاب الكساء مفيدة في الوقاية من شر العين والحسد .

وجل قصائد القصاص الشعبيين في الاسواق تدور حول بطولات علي بن ابي طالب الذي غدا الصورة النموذجية لكل الفرسان والابطال .

وخطباء المساجد ، أيام الجمع والأعياد ، يبدؤون بالصلاة على النبي وآله قبل بقية الصحابة الكرام .

ويشير ابن ابي الضياف (50) الى مدى ما يكنه مسلمو المغرب جميعا من محبة لعلي وآله جبلة في طباعهم في قوله « وأهل افريقية يدينون بحب علي وآله ، يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم جبلة في طباعهم » وبعد أن يؤيد ذلك ، بأن النساء الحوامل في افريقية والمغرب ينادين عند الوضع يا محمد يا علي ، لتسهيل الولادة وبأن أبا الحسن الشاذلي الامام المتصوف وصاحب الطريقة الشاذلية كان يوصي أصحابه ومريديه بقوله : « اذا اشتد عليكم كرب فقولوا يا محمد يا علي » يلاحظ أن هذه العاطفة الجياشة نحو علي وآله لا تعتبر تشيعا أو رفضا (51) بالمعنى المعروف لأن مسلمي المغرب لا ينكرون فضل الصحابة الآخرين .

50 - ابن ابي الضياف : المصدر السابق 1 ، 121 وحب المغاربة للعلوين ظهرت آثاره في عدم اقتناعهم باتجاه الظن في نسب الفاطميين وأصداء ذلك تظهر عند المؤرخين المغاربة كما تظهر عند بعض من تأثر بهم واخذ عنهم من مؤرخي الشرق ، انظر الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ورقة 30 ا ، الذي ذكر نسب المهدي على الصورة العلوية الصحيحة كما يعتقدونها الفاطميون وعقب بقوله : « ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب ولا بالحضر الذي كتب في عهد القادر بالله » .

51 - والرافضة هم الذين رفضوا زيد بن علي لاعترافه بامامة الشيخين (ابي بكر وعمر) وقوله بجواز امامة المفضول مع وجود من هو افضل منه ، انظر الشهرستاني : المصدر وبهذا المعنى وردت في ابن رسته الاعلاق النفسية 218 - 219 ط ليدن 1891 السيوطي تاريخ الخلفاء 227 ويسمى الدولة الفاطمية ((دولة الرضى)) ابن كثير : المصدر السابق 11 ، 179 وما بعدها وهنا يطلق على الفاطميين لقب ((الادعياء)) مثل القضاعي ، ابو المحاسن : المصدر السابق 70،4 ويصفهم بالرفض والادعياء معا ((نقلا عن الذهبي)) ابن عذاري 414،1 ويصفهم بالرافضة (نقلا عن ابن القطان) .

وقد يقال أن هذه كلها من مخلفات الدعوة الاسماعيلية ومن اثر نشاط الفاطميين في نشر الدعوة بين جمهور المغاربة لكن يبدو من المقبول أن تكون أيضا رواسب قديمة من عصور الاسلام الاولى احتفظت بها بيئة المغرب التي أخذت بمباديء الاسلام على بساطتها الأولى أي قبل أن يدخلها تحريف أهل الأهواء والفرق الاسلامية .

ولا يستبعد أن يكون مذهب مالك بن أنس امام دار الهجرة وهو الذي يأخذ به كافة مسلمي المغرب باستثناء الخوارج . وهو نتاج بيئة المدينة المنورة وهي مهد الاسلام الاول ، ومقر لكثير من العلويين ، أحد العوامل فيما يكنه أهل السنة في المغرب لآل البيت من تقدير خاص ، وسر ذلك فيما يبدو يفهم على ضوء معرفة صلة مالك بأشهر أئمة الاسماعيلية وسادسهم وعالمهم ، جعفر بن محمد الباقر ، فقد أخذ مالك عنه وتأثر به واعتبر من اقرب المقربين اليه ومن المؤيدين لنشاط العلويين ولنضالهم من أجل حقهم الشرعي ، حتى امتحن في سبيل ذلك ، على يد أبي جعفر المنصور (52) ، وشببه بهذا الوضع ما لقيه فيما بعد ادريس بن عبد الله في بيئة المغرب الاقصى ، من تأييد ومساندة أبي ليلى اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي لأنه كان يرى رأي المعتزلة وهؤلاء كانت صلتهم بالزيدية قوية (53) عن طريق تأثير زيد بن علي امام الزيدية وهو مذهب الادارسة برئيس المعتزلة ، وعالمهم واصل بن عطاء (54) (ت 181 هـ / 797 م) .

واستمر الدعم ، وقويت مساندة سكان المغرب الاقصى للادارسة ، نظرا لانهم علويون ومن نسل شريف ولأن نهجهم كان زيديا ، أي معتدلا في العقائد وفي قضية الامامة الكبرى ، ونفس المساندة لقيها هؤلاء من جمهور السنة لما بين مذهب زيد بن علي ومذاهب أهل السنة من تقارب في طريقة اختيار الامام .

والحب والتقدير لآل البيت ، هو الذي جعل مسلمي البربر ، بترا وبرانس ، يتحمسون لقضية ادريس بن عبد الله ويقدمون مساعدتهم له

53 - ابن الفقيه : المصدر السابق 84 ، المقدسي 237 - 238 .

54 - عن ترجمة واصل بن عطاء انظر ابن خلكان : المصدر السابق 5 ، 60 الشهرستاني :

المصدر السابق 1 ، 207 - 208 ، محمد عبد الله ماضي : دولة اليمن الزيدية

21 - مقال - المجلة التاريخية المصرية المجلد 3 ، مايو 1950 ويشير كاتب المقال

الى تاجر زيد بن علي بابي حنيفة في ميدان الفروع ، وكان الاخر يؤيد قضيته

ويسانده ، سياسيا وماديا ويتعاطف مثل مالك بن أنس مع العلويين اما صلة زيد

بواصل بن عطاء ، فلم تكن محل رضى من طرف اخيه محمد الباقر .

حتى تمكن من تأسيس ملك وراثي ، يعتبر أول تجربة سياسية ناجحة للعلويين ، على مستوى العالم الاسلامي مشرقه ومغربه .

والادارة الحسينيون ، باعتبارهم علويين ، أصبحوا مركز جذب لكل المحبين لآل البيت . ويلاحظ أن اختلاطهم بالسكان عن طريق المصاهرة والجوار واحتفاظهم بمذهبهم الزيدي مع ترك رعاياهم في اطار المذهب السني ، ثم سلوكهم سبيل الدعوة السلمية الهادئة لآل البيت .

هذه العوامل كلها كانت سبب بقائهم في المنطقة لمدة طويلة ، حتى أصبحوا « بلديين » أو مواطنين وقد اكتسبوا ذلك أيضا عن طريق أمهاتهم وزوجاتهم من بين السكان . وهنا يفهم لماذا انتشرت فروعهم في أرجاء من المغربين الأوسط والأقصى بين مضارب البتر ومضاب البرانس أيضا ؟ ولماذا تصدوا للفاطميين وللأمويين أيضا ، ونازعوهم في السيادة على المنطقة لفترة غير قصيرة ؟

وأغلب الأسرات الكبيرة في المغرب تفتخر حتى الآن بنسبها الحسني الشريف وتتخذ السمات والأسماء التي تشير الى ذلك .

ولولا غلبة الروح الاقطاعية على الاسر الادريسية بعد اختفاء ادريس الثاني (55) ، حيث قام ابنه محمد بتأثير نصيحة جدته كنزة - بتقسيم المملكة سنة 213 هـ / 828 م - 829 م على اخوته : القاسم ويحيى وعيسى وعمر وحمزة وعبد الله واحتفظ لنفسه بفاس حيث كثر النزاع وفشت الانفصالية والحروب بينهم (56) لولا ذلك ، اكان في امكان الملكة الادريسية الوحيدة أن تملأ الفراغ السياسي في المنطقة بنفسها ، وتواجه كيد الامويين وتأمروهم على سكان البلاد خدمة لأهداف اسنراتيجية ثم تقف أيضا عائقا كبيرا في سبيل توسع الفاطميين وانتشار نفوذهم حتى أقصى بلاد العدو الدنيا .

وهكذا غدا الادارة ، في عصر صراع الامويين والفاطميين على السيادة اما مجرد تابعين خانعين لا شركاء محظوظين ، أو مشردين في الآفاق من بطش أولئك أو هؤلاء .

55 - البكري : 124 ابن عذاري المصدر السابق 1 ، 299 - 300 ، 133 .
Diehl et Marcais op, Cit T 3, p. 423.

56 - اليعقوبي : المصدر 108 وقد لاحظ اليعقوبي هذه الظاهرة وسجلها بقوله و « فاس بها يحيى بن يحيى بن ادريس وعلى الجانب الغربي من نهر فاس المدينة التي تسمى مدينة اهل الاندلس يتزلها داوود بن ادريس وكل واحد من يحيى بن يحيى وداوود بن ادريس ، يخالف على صاحبه يدافعه ويغاربه » أبو الفداء : المصدر 2 ، 32 ، 73 .

ولئن كان للادارسة نقط ضعف بارزة في تاريخهم السياسي ، فان اهميتهم تظهر في كونهم التجسيد الحقيقي لآمال اهل البيت ، ولكل انصارهم ، وقد مارسوا لأول مرة منذ انتهاء عصر الفتح الاسلامي في البلاد في عهد ادريس الثاني ، حركة تبشيرية أعادت الى الازهان سيرة جدهم علي بن ابي طالب ، وهو يقاتل مشركي قريش أو اليهود فأحبهم جمهور السكان وأحاطوهم بهالة من التقديس ، كالتي أضفوها ويضفيها على جدهم الشيعة حتى اليوم .

ويبدو أن عمل الادارسة في هذا الميدان ، سهل مهمة الفاطميين الذين وجدوا النفوس مستعدة لتقبل أية حركة جديدة تنتسب الى آل البيت ، والبيئة صالحة للبذر الطيب كالذي زرعه ورعاه الادارسة الحسينيون .

ولولا دسائس الأمويين الذين استغلوا النعرات القبلية بين البتر والبرانس وقسموا السكان الى مشايخين للفاطميين ، ومعارضين لهم ، مثل قبائل زناتة لوقف الجميع أيضا الى جانب الفاطميين الحسينيين ، صفا واحدا مثلما وقفوا هذا الموقف الى جانب الادارسة الحسينيين .



— ويذكر بمجد العلويين في بيئة المغرب الاوسط والاقصى مجموعة من المدن والمراكز تنسب لبني سليمان، أو لبني محمد أو لاقربايهم الادارسة (57) وتبدأ بانتهاء حد اقليم الزاب حتى المغرب الاقصى (58) وقد اشار أقدم رحالة زار المنطقة في القرن 3 هـ وهو ابن واضح اليعقوبي الى جملة من هذه المراكز وأهمها :

— امارة هاز (قرب المسيلة) وتلي منطقة الزاب غربا وسميت باسم كبريات المدن فيها وهي هاز وكان يسيطر عليها الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي وتشتمل على عدة قرى ومنازل لبني يرنيان من بتر زناتة ، وأخرى لعناصر من زواوة وصنهاجة من البرانس المستقرين الذين وصفوا في عصر الرحالة بأنهم « أصحاب عمارة وزرع ، وضرع » .

ولاحظ أن السلام وحسن الجوار كانا سائدين بينهم وبين بني برزال وبني دمر الاباضية على ما كان يوجد بينهم من خلاف اجتماعي ، ومذهبي بسبب أن هؤلاء الشراة كانوا مثل فروع زناتة بدوا ورعاة . كذلك سادت

57 - سليمان ، ومحمد من اخوة ادريس وهم ابناء عبد الله بن حسن انظر البكري :

المصدر 122 ابن عذاري 1 ، 298 .

58 - اليعقوبي : المصدر 103 وما بعدها .

العلاقة الحسنة بين سكان اماره هاز ، وسكان الحصون الاخرى ،
المجاورة لها ، وكانوا من اهل السنة والجماعة ومن اهمها حصن ابن
كرام (59) .

— وتلي اماره هاز عبر طريق كله حصون لفروع قبيلة زناتة ، منطقة
متيجة وسميت بذلك نسبة لاهم مدن المنطقة التي اندثرت الآن ، وكانت
تعرف ايضا بفزرونة (60) . وهذه الجهة كانت مركزا لنفوذ بني محمد بن
جعفر الحسني .

— ثم حوض الشلف الذي يشقه نهر شلف اكبر انهار الجزائر وتوجد
فيه عدة مدن ومراكز منها مذكرة الذي يعتقد انها بجوار مليانة الآن ثم
مدينة الخضراء التي سميت بذلك لكثرة بساتينها وتعتبر منفذا لمدينة تنس
الآن على البحر وكان سكانها في عصر البكري خليطا ، من مطفرة وبني دمر ،
ومديونة وبني واريفن وهي تفصل مدينة تنس عن مدينة اغزر العلوية في
متيجة ، وليس بينها وبين قرية بني واريفن الا مرحلة قصيرة (61) وبجانب
هاتين المدينتين توجد قرى ومراكز علوية متصلة تغلب عليها فرع بني محمد
بن سليمان ونشروا فيها نفس الروح الاقطاعية التي سادت مراكزهم في
المغرب الاقصى . وقد اختلط هذا الفرع بسكان الجهة وعمق صلته بهم
عن طريق المصاهرة ، ولذلك لاحظ الرحالة كثرة عدد العلويين في الجهة ،
ووضوح تأثيرهم على السكان بسبب قرابتهم من الرسول صلى الله عليه
وسلم ، لدرجة ان الناحية كلها تعرف باسمهم وتنسب اليهم « وكل رجل
منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية » (62) .

— وعلى الطريق الذي يؤدي الى تاهرت الرستمية ، توجد مدينة
سوق ابراهيم ، وقد سيطر عليها فرع علوي من بني الحسن ، اولهم
ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله ، وكانت هذه المدينة كبيرة
وآلت بعد وفاة ابراهيم الى ابنه عيسى (63) .

— وتوجد مراكز علوية على طول الطريق من تاهرت الى مدينة تلمسان
ومنها الى ساحل المغرب الاقصى اهمها :

59 - البكري : المصدر 60 - 61 وسمى الحصن هنا قرية سوق كرام .

60 - نفسه 61 .

61 - نفسه 75 - 76 ، الاستبصار (لجهول) 171 ابن حوقل : المصدر 89 .

62 - اليعقوبي : المصدر 104 .

63 - اليعقوبي 104 ابن حوقل : المصدر السابق 89 المندي : المصدر 29 ، 217 ، 218

ابن الفقيه 81 ، 82 .

امارة تمطلاس ، في مضارب مطماطة ، وغيرها من فرع البتر ، وكانت مركزا كبيرا يتجمع فيه الحسنيون من بني محمد بن سليمان ، كما يوجدون في المدينتين المجاورتين لها وهما :

- ايزرج ، من مضارب مطماطة التي اشار بعض الجغرافيين والرحالة الى ان حاكمها في عهده كان يعرف ابراهيم بن محمد البربري المعتزلي (64) ، ولا يعني هذا سوى ما لاحظناه من قبل عن اختلاط العلويين بالبربر وصلتهم بالاعتزال .

- ثم المدينة الحسنة ، وكانت في عهد اليعقوبي تحت نفوذ عبيد الله من بني محمد الحسنيين وتليها مدينة تلمسان « دار مملكة زناتة » وكانت هي وناحيته منطقة نفوذ للعلويين استبد بها منهم ، محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الحسني (65) ، ومن نسله عيسى ابو العيش الذي اختط مدينة جراوة بقرب البحر (257 هـ / 870 - 871 م) واستقر فيها هو وابناؤه حتى 325 هـ / 936 - 937 م (66) .

- ومن مراكز العلويين في ناحية تلمسان (مدينة العلويين) وكانت مركزا كبيرا لبني محمد بن سليمان ثم هجروها ، فاستبد بأمورهم أحد أمراء زناتة وهو علي بن حامد بن مرحوم (67) ، وهي على مسافة يسيرة من تلمسان وتعرف بصبرة أيضا (68) . وهي توجد على الطريق بينها وبين مركز علوي آخر ، هو مدينة نمالته ، التي استبد بشؤونها محمد بن علي محمد بن سليمان الحسني ، وتعرف الآن مفتية وهي على هامش حدود مملكة الادارسة بفاس (69) وشهرتها الآن انها مركز قريب لمدينة وجدة المغربية ، وبقرنها مرصد للمسافرين .

- ثم مدينة فالوسن ، وكان سكانها اخلاطا من البتر والبرانس ، وتمثل بموقعها تقريبا الحد الذي تنتهي عنده مراكز العلويين في المغرب الاوسط ، بحيث لا تليها الا امارة نكور (70) وهي لبني سعيد بن صالح ،

64 - ابن خرداذبة : المصدر 86-87 .

65 - اليعقوبي : المصدر 107 ابن عداري 1 ، 282 وما بعدها .

66 - البكري : المصدر 77 ابن عداري : المصدر 1 ، 277 .

67 - اليعقوبي نفس المصدر والصفحة البكري : المصدر السابق 71 يذكر مدينة بهذا الاسم بقرب وهران .

68 - ابن حوقل : المصدر السابق 88 .

69 - نفسه ويلاحظ ان تحديده للمسافة بينها وبين فاس بمرحلة لا تعني في ذلك اليعقوبي : المصدر 107 وما بعدها .

70 - عن هذه الامارة انظر : البكري : المصدر 90 وما بعدها ابن عداري : المصدر 1 : 246 وما بعدها وعرفت في وقته (الزمة) اليعقوبي 108 الاستبصار 136 .

من عرب حمير وكان بينهم وبين العلويين علاقات حسن جوار ،
ومصاهرة (71) .

— ثم أرشقول وهي ساحل تلمسان ، من مجالات نفوذ العلويين من بني
محمد بن سليمان . وقد نزلها منهم : أبو العيش عيسى بن محمد بن
سليمان لأول مرة وبقي مقيما فيها حتى توفي 295 هـ / 907 - 908 م
فخلفه في الحكم ابنه إبراهيم ، الذي عرف بالارشقولي ، ثم حفيده يحيى بن
إبراهيم الذي نكب في عهد أوائل الفاطميين في المغرب (72) .

— وتقابل مدينة أرشقول ، جزيرة صخرية وسط البحر ، قريبة منها
تعرف باسم جزيرة أرشقول ، وهي من المراكز الهامة الحصينة التي لجأ
إليها من العلويين صاحب مدينة جراوة الحسن بن عيسى بن أبي العيش
لما تغلب عليه موسى بن أبي العافية المكناسي (73) .

وتعتبر مدينة ترنانة من مراكز بني محمد بن سليمان العلويين قرب
ساحل تلمسان (74) وبازاء مدينة ندرومة التي هي من مضارب كومية (75)،
وقد استبد بأمر ترنانة عبد الله بن أدريس بن محمد بن سليمان وجاور
سكانها وهم بنو يلول من قبيلة دمر ، ولطول جواره ، واكتسابه طبائع
السكان عرف بلقب « الترناني » (76) .

— كما توجد في المغرب الاوسط مدينة حمزة (البويرة) التي نسبت
لأول من نزلها من بني سليمان العلويين وهو حمزة بن الحسن بن سليمان
وهي بجوار مرسى الدجاج وتعرف أيضا بسوق حمزة (77) .

71 - يعقوبي : المصدر 108 ابن خرداذبة : المصدر 86 - 87 البكري : 94 .

72 - البكري : المصدر 77 - 78 الاستبصار : 134 يلاحظ أن فحص زيدور وطوله 25
ميلا يفصل بين تلمسان وأرشقول التي هي على مصب نهر تافنة .

73 - البكري : المصدر 78 ويلاحظ أن مساعدة عبد الرحمن الناصر البحرية لم تغد في
سقوط الجزيرة ورجع الأسطول الى قاعدته في الرية ، ولم يظفر بنو أبي العافية
بالحسن بن عيسى الا في سنة 338 هـ ، وعن مدينة جراوة انظر 142 - 143 منه ،
ابن حداري 1 ، 274 وقد بنيت 259 هـ ومرساها أكاس .

74 - عن وصف تلمسان قاعدة زناتة ومركز الطويين انظر البكري : 76 وما بعدها ابن
حداري : المصدر 1 ، 73 ، 283 .

75 - وعن ندرومة ، انظر الاستبصار 135 وهي في طرف جبل تاجرا ولها رباط حسن
يتبرك به انظر البكري 80 .

76 - البكري : المصدر 80 ابن حوقل : المصدر 88 الاستبصار 135 .

77 - نفسه 64 - 65 المقدسي : المصدر 226 - 227 الذي ينفرد بالقسول بان سوق
حمزة على البحر ، ابن خلكان : المصدر 1 : 16 ويذكر قرية حمزة بين القلعة
وبجاية .

— ومدينة تنس بقرب البحر ، تعتبر مركزا علويا هاما ، لبني محمد بن سليمان واختص بها منهم ابراهيم بن محمد (78) الذي سميت باسمه مدينة في حوض الشلف .

— والذي يلاحظ حول مراكز العلويين في نطاق المغرب الاوسط ، انها لم تقتصر على مجالات البتر فقط بل كانت ايضا بين مضارب البرانس ، ولو أن اغلب العلويين كان بين فروع قبيلة زناتة ، التي لاحظنا فيما بعد عداءها الشديد لحركة توسع الفاطميين . واذا صرفنا النظر عن قصة ولاء زناتة للامويين فان تنكيل الفاطميين بالادارسة وازالة دولتهم ، والتوسع على حسابهم في المغرب الاقصى كانت من ضمن اسباب كراهية زناتة للفاطميين ، سيما وأن الادارسة هم الفاطميون الحقيقيون في نظر جمهور السكان . وفيما أشار اليه بعض الجغرافيين والرحالة في عصره ما يؤيد ذلك ونص ما قاله « والمدينة العظمى أي القصة وهي فاس التي بها يحيى الفاطمي لم يفتحها عبيد الله المهدي الخارج بالمغرب الى حين تصنيف هذا الكتاب » (79) .

وإذا كنا لم نلاحظ مقاومة عنيدة للفاطميين من طرف الامارات العلوية في المغرب الاوسط أثناء حركة التوسع ، فلأن قبيلة زناتة بسائر فروعها تبنت قضية العلويين ودافعت عنهم ، هنا وفي المغرب الاقصى ايضا ، واستعانت في سبيل تصفية نفوذ الفاطميين باعدائهم الامويين في الاندلس .

— وظاهرة التوافق بين زناتة والبيوتات العلوية كانت ملحوظة لأن المصادر لم تشر الى أية حركة عصيان أو انتفاضات أو حركات طرد أو اغتيال لأي علوي أو ضد أي زعيم من زعماء العلويين ، قبل ظهور حركة التوسع الفاطمي ، وهذا يشعر بأن بقاء العلويين في المنطقة كان يلقي رضا تاما وصدى حسنا من سائر السكان .

ولعل الشيء الذي ميز العلويين عن الفاطميين فيما بعد — أنهم لم يفرضوا على السكان عقيدة معينة ومن ثم تعايشوا مع الصفرية والاباضية كما تعايشوا مع أهل السنة ولم يطلب العلويون من رعاياهم غير الاستمرار على عاطفة الحب والتقدير لآل البيت .

وهل أدل على انصهار العلويين في البيئة المغربية وعلى قوة تأثيرهم في سكانها ؟ من اتخاذ بعض أمرائهم القبا تشير الى الجهة التي أقاموا فيها مثل الارشقولي والترناني ، ثم من احتفاظ بعض المدن والمراكز

78 — نفسه 61 وعن تأسيس قلعة تنس على يد عناصر اندلسية انظر : ابن عداري :

المصدر السابق 1 ، 154 .

79 — الاصطخري : المصدر 39 .

بأسماء بعض الامراء العلويين مثل سوق ابراهيم وسوق حمزة ومدينة العلويين التي هي ادل على ماضي هؤلاء في بيئة المغرب الاوسط الاسلامية من غيرها .

اما بقاياهم في غير المغرب الاوسط فكثيرة يهمننا منها ، ما اشار اليه بعض الجغرافيين والرحالة عن انتشار التشيع والرفض حتى بين سكان السوس الاقصى خاصة بين فريق بني لماس الذين عرفوا بالبلجيكين وكانت نحلتهم تقوم على اساس اختصاص فرع الحسن بالامامة دون فرع الحسين (80) .

ومما يلاحظ ان الخلفاء الفاطميين في المغرب لم تخف عنهم اهمية الادارة ومدى تعلق السكان بهم ، ولذلك اکتفوا بمجرد خضوع مدينة فاس وعلان أميرها يحيى بن ادريس ولاءه للدولة الفاطمية في المهديّة كما أن الخليفة المزمّل لدين الله لم يترك أية فرصة سنحت له ، لكي يشعر العلويين وخاصة الادارة بانهم ان كانوا حقا من آل البيت فيجب أن يبرهنوا على ذلك بالبقاء على الطاعة والولاء ويساندوا مجهودات اقاربهم الفاطميين (81) .

واذا كان بعض الامراء الادارة قد انحرفوا عن الطاعة وحاربوا الفاطميين او مالوا جانب اعدائهم الامويين فان اهم ما يشار اليه انه لم تبدر من أي أمير منهم في أي وقت ما بادرة تشعر بشكهم في نسب الفاطميين كما لم تسجل عن أي منهم في عصرهم او بعد تصفية نفوذهم ما سجل في بيئة المشرق من اقوال وتندر الطاعنين في نسب الخلفاء الفاطميين ، او من

80 - البكري : المصدر 161 حيث يلاحظ ان الدائمة لهذه الراء كان رجلا ناطيا يسمى محمد بن ورستد ، دخل بلد السوس قبيل ظهور أبي عبد الله الشيعي في كتامة ونشر بينهم آراء اخرى فيها غلو ، ابن حوقل : المصدر السابق 90 ويلاحظ تعايشهم مع مالكية السوس رغم أن « الغالب » على الجميع الجفاء والفلانة في العشرة وقلّة رقة الطبع ، اليعقوبي : المصدر 110 ويشير الى أن سكانه العلويين هم من نسل عبد الله بن ادريس .

81 - النعمان : المجالس والسايرات 2 ، 497 - 499 ونص ما قاله المزمّل موجها كلامه للادارة « وليعلم من ادنى الينا بالنسب منكم ، أن ذلك انما يتوسل به من اعتصم بالطاعة وتمسك بها فاما من عصى اولياء الله وخالفهم فقد انقطع نسبه منهم كما قطع الله نسب ابن نوح لما عصاه » .

محاضر للتجريح ، وضعت برعاية بعض الخلفاء العباسيين واشترك في صياغتها والأشهاد عليها جماعة من علماء أهل السنة وبعض علماء ونهلاء من الأشراف العلويين (82) .

ولو لم يكن ظهور للفاطميين في المنطقة مسبقا بحركة سرية متطرفة ومعقدة ومعادية للمذاهب السائدة فيها لما واجهوا المقاومة التي حصلت فعلا باعتبار أن نفوس السكان كانت مستعدة لتقبل آراء أهل البيت ، ولو كانت هذه الآراء تدور حول أفضليتهم واستحقاقهم امامة المسلمين دون غيرهم ، لأنهم ارتبطوا في أذهان السكان بانولاية الشرعية ، وبالقداسة وبالتواضع واحترام عقائد الآخرين وهي الاعتبارات التي غفل عنها الفاطميون فاصطدموا بالسكان الذين عارضوا وجودهم على أساس سياسي وعقائدي وحركة المعارضة كانت تستمد قوتها من جماهير أهل السنة ، وفئات الخوارج وعملاء الامويين .

وأهمية الإدارة لا تظهر فقط في كونهم ساعدوا على خلق رصيد قوي لآل البيت في المنطقة ، ولا في كونهم مهدوا بحكم مصاهرتهم للسكان ، لظهور عنصر جديد من المولدين لا يعرف الاهلية في غير آل البيت ، إنما أيضا في أنهم يعتبرون بحق الدعاة الأوائل في بلاد المغرب وإنما كانوا يدعون على نهج واضح وسليم وأمام الملا من الناس ولهذا فلا مبالغة إذا قلنا بأنهم هم أصحاب البذرة العلوية الأولى (83) التي أثمرت في خلق ظاهرة الاستعداد التشوق لمبادئ جديدة ولا يختلف عملهم في هذه الناحية عما قام به في سرية تامة دعاة الاسماعيلية منذ فجر الدعوة حتى ظهور عبيد الله في مدينة رقادة .



82 - القرظي : تعالفا 1 : 22 وما بعدها ابن خلدون : المصدر 6 ، 64 ويميلان الى القول بصحة نسبهم العلوي ويبرهانان على ذلك بحجج مقبولة . ابن ابيك الدواداري : المصدر السابق 6 ، 4 - 16 ويشعر كلامه بميله الى تأييد القول بصحة نسبهم العلوي لانه بدأ برواية عن ابن زولاق ، وعن أحد مؤرخي الفريقية تثبت النسب العلوي لعبيد الله وانه : ابن التقى (الحسين) بن الوقي (أحمد) ابن الرضي (عبد الله) وعبد الله هو : ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ابن خلكان : 1 ، 272 - 273 . ابن عذارى 1 ، 218 - 219 الباجي المسمودي الخلاصة النقية ورقة 23 .

83 - ابن ابي زرع : المصدر السابق 4 ، 5 ويشير هذا الأورخ الى أن محمدا النفس الزكية هو الذي فرق أخوته دعاة في النواحي فارس عيسى الى المغرب وسليمان الى مصر لكنه لم يستقر فيها عقب سماعه بوفاة أخيه وفارقها هجر السودان الى زاب الفريقية حيث استقر في منطقة تلمسان .

- وحركة الدعوة الاسماعيلية السرية في بلاد المغرب يرجعها كثير من المؤرخين الى عصر سادس الائمة العلويين جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي كان له اهتمام خاص بنشر علوم آل البيت وآدابهم وفضائلهم بين جمهور المسلمين خاصة في تلك البيئات البعيدة التي مازالت على فطرتها تحتفظ بالاسلام وبأصوله في صورة غير معقدة . واليه يعزى ارسال داعيتين الى بلاد المغرب هما (84) : عبد الله بن علي بن أحمد ، المشهور بالحلواني ، وأبو سفيان الحسن بن القاسم .

وقد أوصاهما بالتوغل في بلاد المغرب حتى مضارب البربر وراء ولاية افريقية وبالانفصال عن بعضهما ، أي يتجه كل منهما الى ناحية خاصة ، كل ذلك مبالغة في الحذر والتستر ، وضمانا لتعميم الدعوة . وقد بسط جعفر الصادق امام الداعيتين رأيه في طبيعة البلاد وفي مدى استعداد سكانها لتقبل الافكار الجديدة بقوله المشهور : « اذهبوا الى المغرب فانكما تأتيا أرضا بورا فاحرثاها وكرباها وذلالها الى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلة فيبذر حبه فيها » (85) .

وتشير بعض النصوص الى أن الداعيين نفذوا التعليمات بأمانة وبدقة عند وصولهما الى مدينة مرماجنة (86) ، فنزل كل منهما في منطقة بعيدا عن الآخر فاستقر أبو سفيان بموضع قريب من مدينة تالة (87) ، وبني فيها مسجدا وتزوج امرأة واشترى أمة وعبدا يعمل بمساعدة هذا العبد

84 - القرظي : اتعاف 1 : 41 ، هامش 1 ابن خلدون العبر 6 ، 65 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 11 حسن ابراهيم : المرجع السابق 46 النعمان : افتتاح ورقة 23 وانظر (54 - 55 من ط بيروت 1970) ونظرا لأن وداد القاضي الذي نشر رسالة الافتتاح لم يعتمد في النشر الا على ثلاث صور للمخطوط واحدة منها ملفقة والاثنتان الاخرتان غير كاملتين ولم يشر الى نسخة مكتبة الجامعة وهي أقدم واكمل من غيرها فانني اعتمد على الأخيرة واكتفي بالإشارة الى ما يقابلها في ط . وداد القاضي .

85 - ابن الأثير : المصدر 8 ، 11 القرظي اتعاف 1 ، 41 ، وفيهما جاء هذا القول مختصرا النعمان افتتاح ورقة 25 (58 ط بيروت) ابن ابيك النوادري : المصدر السابق 113 النويري : المصدر السابق 26 ورقة 24 .

86 - مدينة قديمة في منطقة الكاف - تونس تقرب من مجانة ومنها يسسلك في اتجاه مسكيانة ولا تبعد عن الأريس وسيببة بأكثر من مرحلة كانت حتى عصر البكري لطيفة بها جامع وفندق وسوق انظر 145 منه الاستبصار 162 ابن حوقل : المصدر 86 .

87 - هي مدينة في الشمال الغربي من تونس تقرب من مدينة الكاف ولا تبعد عن اقرب نقطة للحدود الجزائرية بمسافة كبيرة .

الذي يبدو أنه هياه ليكون عينا له في المنطقة ، أما امراته فكانت أيضا تستعين في شؤون البيت ولمعرفة شؤون نساء المنطقة بهذه الأمة .

وكرس أبو سفيان وقته للدعوة عن طريق التعليم ، وأصبح مقصد كثير من سكان الناحية الذين كانوا يأتون اليه في مسجده ، أو في موضع خلوته (رباطه) لسماع أحاديثه عن مزايا أهل البيت واشتهر أمره ، وذاع بين السكان خبر فضله وعلمه وورعه وغدت بسبب نشاطه مرماجنة والاريس ونقطة أيضا مراكز تضم بين مجموع سكانها متشيعين لآل البيت (88) .

ونظرا لما أشار اليه بعض الجغرافيين الرحالة من أن مرماجنة كانت تعتبر من عمل منطقة تبسة (89) والطريق منها يسير في اتجاه مسكيانة فإنه لا يستبعد وجود متشيعين في هذه المدينة ، وفيما جاورها بتأثير حركة الدعوة أو الهجرة والرحلة للتجارة كما أن ذلك لا يستبعد بالنسبة لمجاعة وسببية (90) ، وباغاية وفندق مسكيانة نظرا لما أسلفناه ولقرب المسافة وشدة ارتباطها ببعضها من الناحية الاقتصادية (91) خاصة وأن مرماجنة غدت مركزا هاما و « دار شيعة » بسبب وجود أبي سفيان فيها وقيامه بالدعوة لآل البيت .

أما تشيع نقطة من اقليم قسطنطينية (92) (بلاد الجريد) فمرده الى نشاط الحركة التجارية بين جنوب ولاية افريقية وشمالها .

وكانت نقطة ضمن اقليم قسطنطينية من بين المراكز الغنية بالتمور (93) كما كانت مرماجنة ونواحيها من الاقاليم المنتجة للحبوب خاصة القمح . . وهكذا كانت حركة القوافل التجارية تنطلق من اقليم الجريد الى باغاية على سفوح كتلة أوراس عبر طريق مرماجنة ومن ثم كان هؤلاء التجار ، من الذين تأثروا بأراء أبي سفيان الداعي ونقلوا آراءهم وما شاهدوه منه

88 - النعمان : افتتاح ورقة 23 (55 ط بيروت) وقد وصفت مرماجنة هنا بدار الشيعة .

89 - المقدسي : المصدر 226 - 227 ويعبر عن هذا المعنى بقوله « مرماجنة من عمل رستاق تبسة » .

90 - انظر الاستبصار : 161 وتسمى الأخيرة مجاعة الطاحن والمعدن أيضا .

91 - البكري : المصدر 49 - 50 - 145 .

92 - عن كورة قسطنطينية وقاعدتها توزد ومن مراكزها حامة بني بهلول وهم من بقايا الروم الذين اسلموا على أموالهم ثم نقطة وأخرها بلد درجين انظر الاستبصار 155 - 157 وعن درجين انظر السماخي : السير 447 .

93 - البكري : المصدر 48 - 49 .

أو سمعوه عنه الى بلدانهم . ومما له دلالة خاصة على هذا الاتجاه أن ابا سفيان انجد تاجرا نفطيا هلك بعيره في مرماجنة حيث اعاره جملا بنية اعادته اليه مرة أخرى غير أن التاجر استمر في نشاطه التجاري بين باغاية ونفطة واحتفظ بالبعير ، ولم يرجعه الى صاحبه حتى انقطع البعير بحمله في احدى الليالي عن القافلة ، واتجه نحو مرماجنة حيث اناخ بقرب رباط ابي سفيان ، فأرسل الى التاجر النفطي ، ليأخذ امتعته فأتى اليه معتذرا وسدد ثمن الجمل ، وبقي ضيفا في دار ابي سفيان حتى باع التمر ، واشترى القمح (94) .

هذه الحادثة لا شك في أن تفاصيلها من ابتكار ووحى علماء الاسماعيلية الذين يطيب لهم دائما ، أن ينسبوا الكرامات ، وخوارق العادات الى دعائهم الاوائل ويصوروهم في صورة الاولياء ، ومع ذلك فان مضمونها يمكن أن يكون صحيحا لأن سكان منطقة قسطنطينية في أقصى جنوب ولاية افريقية يحتاجون الى الحبوب من شمال البلاد ، وسكان الشمال لا يستغنون عما ينتجه جنوبها من تمر ، ومع حركة القوافل التجارية تنتقل عادة التيارات والمذاهب والعادات والقصص والروايات وحتى اللهجات ، والتستر وراء التجارة كان من بين الأساليب التي لجأ اليها دعاة الاسماعيلية وأئمتهم سواء في بلاد اليمن (95) ، أو في بلاد المغرب ، وعبيد الله كان يدعي بدافع خشيته على نفسه ، انه مجرد تاجر من بني هاشم ، ولا علاقة له بالمذاهب ولا بالسياسة أو الدعوة التي تنتشر في المشرق أو في المغرب ، وقد تكرر ذلك منه أثناء نفاذه من الشام الى مصر ، ومنها الى سجلماسة (96) .

وتفاصيل هذه القصة ، تشعر فيما يبدو بانتشار أخبار ابي سفيان ونفوذه الروحي حتى أقصى جنوب البلاد ومعنى ذلك أن أهميته في التمهيد لنجاح الدعوة الاسماعيلية في ولاية افريقية كانت بارزة وقد لاحظ البكري ، أن جميع سكان نفطة في عصر الجغرافي محمد بن يوسف الوراق ، كانوا شيعة ولذلك عرفت المدينة باسم الكوفة الصغرى كما أن بعض علمائها الذي يعرف بالبجلي ، تمكن من الاستقرار بين سكان منطقة السوس ونشر بينهم الآراء الشيعية المتطرفة قبل ظهور ابي عبد الله الشيعي في منطقة كتامة وافريقية (97) .

94 - النعمان : افتتاح ورقة 24 ، (56 ط بيروت) .

95 - النعمان : افتتاح ورقة 12 - 13 (44 بيروت) .

96 - نفسه ورقة 107 ، (150 - 151 ط بيروت) القرظي : اتعاف 1 : 60 س 7 (ط 1967) ابن الاثير : المصدر 8 ، 13 ابن ابيك النواداري : المصدر السابق 6 : 21 .

97 - البكري : المصدر 75 وانظر ايضا 161 منه وفيها : « وجميع أهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى » .

ولم يلاحظ الادريسي بقايا التشيع في المدينة ولكنه اشار الى أن نفطة متحضرة وغنية بالماء على عكس مدن اقليم قسطنطينية الاخرى التي كانت تعاني من الجفاف وفي هذه الناحية يتفق مع البكري الذي يقول « وشرب جميع بلاد قسطنطينية بوزن الانفطة فان شربها جزاف » (98) .

وهنا نتساءل لماذا اقتصر التشيع عليها دون مراكز الاقاليم المجاورة لها ، ثم هل يعود تشيع سكانها الى عصر الداعي ابي سفيان والي نشاط التجار المحليين او الى عصور تالية لا ويلاحظ أن هذه المنطقة يكثر فيها عنصر الموالي من بقايا الروم والافارقة الذين اسلموا لتبقى لهم اموالهم وارضيتهم (99) وهؤلاء كان انقيادهم سهلا للحركة الخارجية التي ظهرت من قبل في اقليم طنجة (100) وكان الداعي ابو عبد الله رفيقا بسكان هذه المنطقة عندما هاجمها أثناء حركة لتوسع . وعبيد الله عندما مر بهذه البلاد أثناء رحلته الى سجلماسة لم يصادف متاعب وسمع عن الدعوة الاسماعيلية في كتابة اخبارا سارة من أحد سكان البلاد (101) وربما بقيت عنده ذكرى حسنة يحتفظ بها لهذه البلاد ، وانعكست في اهتمام خاص بشؤونها وتقريب بعض رجالها .

وقد عرفنا من بينهم محمد ابن عمران النفطي ، الذي ولاه عبيد الله قضاء القيروان وقضاء طرابلس أيضا (102) ، ومحمد بن رمضان النفطي الذي ولي قضاء ميلة (103) وأن ذلك ربما كان سببا في التفاف سكانها حول الدولة الفاطمية وفي اخذهم بالعقيدة الاسماعيلية . ويبدو أن التشيع لم يقتصر على نفطة وحدها بل انتشر في بقية مراكز اقليم قسطنطينية انما بنسبة غير مرتفعة كالتي وجدت في نفطة .

وظاهرة التشيع في بعض سكان المنطقة هو الذي حال فيما يبدو بين الثائر ابي يزيد وبين الاقامة والظهور فيها مع انها مسقط رأس ابيه ومحل نشأته وتعلمه (104) .

98 - نفسه الادريسي : المصدر 76 .

99 - الاستبصار : 155 وما بعدها .

100 - ابن عبد الحكم : المصدر السابق 293 ومن بين هؤلاء عبد الاعلى بن جريج الرومي الاصل وهو من موالي موسى بن نصير .

101 - اليماني : سيرة جعفر 117 .

102 - ابن عداري : المصدر 1 ، 264 - 265 .

103 - النعمان : افتتاح ورقة 54 (90 ط بيروت) .

104 - ابن الاثير : المصدر 8 ، 150 القرظي اعطاء 1 : 75 .

ومن مدينة نقطة ظهر بعض الشعراء والقصاص الذين تنبثوا بقرب ظهور دولة المهدي (المنتظر) وأشهرهم محمد بن رمضان الذي طلبه إبراهيم ابن أحمد لاشادته بأهل البيت فالتجأ الى حصن بلزمة ويعني ذلك أن صلة المدينة والمنطقة كلها بأهل البيت وبالتشيع ليست وليدة العصر الفاطمي بل هي أقدم منه بكثير .

— أما ثاني الدعاة وهو الحلواني فقد توغل في أرض البربر بعيداً عن مرماجة وعن مجالها حتى أصبح على هامش أرض كتامة ، ونزل هناك موضعاً سمي الناظور بقرب سوفجمار (105) . وفي الناظور بني الحلواني رباطاً ، أو مسجداً للدعوة وللعبادة كما تزوج امرأة من أهل البلاد واشترى أمة لتساعدتها في شئون البيت وفي دعوة النساء ، كما خص نفسه بعبد يساعده في أعماله وأصبح بسبب الدعوة ولانشغاله بالتعليم والعبادة مقصد سكان النواحي من قبائل كتامة وسوماطة (من نغزاوة) (106) ، وهكذا ضرب الناس من هذه القبائل اليه وتشيع كثير منهم على يديه (107) على حد تعبير النعمان .

وبحكم قرب الناظور من منطقة كتامة كانت دعوة الحلواني هي الشرارة الأولى التي اتقدت في عصر الداعي عندما أقبل عليه حجاج هذه القبيلة في مكة وصحبوه وجندوا قبائلهم لنصرته وتأييد حركة آل البيت . وقد بغيت من عصر الحلواني آثار في المنطقة هي قبره وموضع رباطه ثم بنت له تعرف بأوم موسى التي أدركت حركة الداعي أبي عبد الله كما أدركها من أصحابه الذين تأثروا به أبو المفتش الذي عرف أيضاً بأبي حيون (108)

105 — ابن الأثير الكامل 8 : 11 ابن خلدون الصر 4 ، 65 والكان من أرض كتامة في نظر هذا الأرخ القرظي تعاط 1 : 41 وفيه قوله : « نزل أحدهما بأرض كتامة » انظر هامش 1 ، النعمان : افتتاح ورقة 24 ، (57 ط بيروت) الجبلاني 1: 265/51 وشكل الكلمة في المصادر يتراوح بين سوق حماد ، أو جماد أو حماد ، أما سوق جماد فيوجد في وادي سوف ، القى الزاب . كما يوجد اسم سوق جمودة ، بمنطقة اوراس اما سفمارة فقبيلة بربرية البكري 181 .

106 — ومراكز سوماطة وهي فرع من نغزاوة في إقليم القيروان وناحية مليانة وبقرب بني جناد وجبال الهبط بين قبائل جبالة في تطوان وبجبال زواوة قرية أيسوماتن وهي تنسب اليها . انظر ابن منصور : المرجع 1 ، 307 وتشيع القاب السماني ، نسبة اليها ، في الزاب وسطيف ، انظر البكري 74 حيث تبدأ حدودها من قيطون فياضة بجوار حصن باديس الذي هو مفترق الطرق الأودية الى القيروان وطرابلس وبلاد السودان .

107 — النعمان : افتتاح ورقة 25 (57 ط بيروت) .

108 — النعمان : افتتاح ورقة 25 (58 ط بيروت) ويرسم الاسم أبو حيوان ايضاً .

وكانت وفاة أبي سفيان في مدينة مرماجنة بدون عقب ، قبل وفاة الحلواني بمدة طويلة ، لأن الأخير « عاش بعده دهرا طويلا » (109) .

أما مكان سوق جمارة فيبدو أنه لا يبعد كثيرا عن مجال كتامة ، ان لم يكن على هوامش بلادها أو في عمقها ، وكلمة الناظور ، قد تعني الشرف العالي أو المرقبة إشارة لاختيار الحلواني لمكان مرتفع وحصين ، مثل أيكجان وتازروت وغيرهما من دور هجرة الدعاة في المغرب ، أو في المشرق ، واستقر فيه بأسرته الجديدة لأن بعض الجغرافيين والرحالة أشاروا إلى وجود حصن باسم الناظور في الطريق بين قلعة بني حماد ، وبجاية هو أقرب إلى الأولى منه إلى الثانية (110) .

وتوجد بقرب قالمة ، قرية باسم الناظور في اتجاه منطقة سوق أهراس أي في نفس مجالات كتامة (111) .

كما يوجد هذا الاسم في منطقة الريف قرب الحدود المغربية الجزائرية . ويبدو من الراجح أن المكان الذي اختاره الحلواني مقرا ودار هجرة ، يقرب ربما من مكان وادي الرمل حيث تقوم الآن مدينة تشتهر بقسنطينة في نفس منطقة كتامة وهي في نفس الوقت شديدة الصلة برقادة

وبعيدة نسبيا عن مرماجنة التي نزل فيها أبو سفيان ، وهذا يتماشى ورغبة الإمام الذي أوصاهما بالابتعاد عن بعضهما والايغال في أرض البربر وراء افريقية ، لأن أحدهما وهو أبو سفيان ، كان على هامش إقليم أفريقية أي بقرب حدوده ، أما الآخر وهو الحلواني فكان في قلب بلاد البربر ، أما على هامش أرض المغرب الأوسط ، أي في بداية أراضيه فعلا هذا بصرف النظر عما يقال نظريا حول تحديد امتداد هذا الإقليم أو ذلك .

109 - النعمان ورقة 25 ابن الأثير : المصدر 8 ، 31 ، ويلاحظ وفاة الحلواني بعد أبي سفيان بمدة يسيرة ، القرظي تعاليف 1 : 55 ، وفيه « قلما ورد على ابن حوشب موت الحلواني ورفيقه في المغرب » أي بدون تحديد وفاة كل منهما .

110 - الأدرسي : المصدر 64 - 65 .

111 - ويلاحظ أن كلمة سوق جمار هي نفس الكلمة البربرية « اسيفغمار »

Assifugmare التي تعني وادي الرمل وقد جاءت في ليو الأفريقي Sufegmare

ص 365 حسب النطق المحلي ، في ذلك الوقت لتدل على وادي الرمل الذي

تقع عليه مدينة قسنطينة ، وجاء ذكره في رواية حملات التبابعة إلى المغرب ،

وعلى ذلك ، فالنطق الصحيح للكلمة هو سوفجمار ، وهي كلمة محلية ،

ويكون الحلواني قد نزل في مكان غير بعيد من قسنطينة ، أي في عمق أرض كتامة

ويلاحظ أن هذه المدينة ، على أهميتها ، سقطت في يد الداعي ، بدون زحف

أو قتال .

ومن بين الاثنين كانت مهمة الحلواني شديدة الصلة بتلك التي اضطلع بها فيما بعد الداعي أبو عبد الله . ولا مبالغة إذا قلنا بأن طبائع السكان في منطقة كتامة ، وميولهم المذهبية ووضعية المنطقة من الناحية السياسية والإدارية ، ومعالمها وحواضرها وأشهر قبائلها ، كانت معروفة بدقة لدى الإمام في سلمية ، ولدى ابن حوشب ، وداعيته في بلاد المغرب أبي عبد الله ، قبل أن يتوجه إلى أرض المغرب وذلك بواسطة الداعي الحلواني ومن هنا نجد التفسير المعقول لتلك المفاجأة المذهلة التي ظهر بها الداعي أمام وفد حجاج كتامة ، عن فج الأختيار ولم يكونوا حدثوه من قبل عن شيء يتصل بذلك أثناء رحلتهم ، كذلك يبدو أن انتظار الداعي لموسم الحج وترصده لوفد كتامة خاصة دون غيرها من قبائل المغرب ، لم يكن عرضاً ، وإنما كان حادثاً مدبراً ، ومهيئاً من ذي قبل ، أما في سلمية أو في بلاد اليمن وكانت المعلومات متوفرة لديه عن طبيعة وترعة هؤلاء الذين سيتصل بهم في موسم الحج .

والنصوص التاريخية تشير إلى نجاح الداعيين ، أبي سفيان والحلواني ، في تذييل الصعوبات في بلاد المغرب ، وفي تمهيد الأرض وتهيئة النفوس لتقبل الحركة التي سيقوم بها داعي آل البيت . ولم يبق أمام الداعي أبي عبد الله غير البذر وهو أسهل من الحرث والتنقية ، والاعداد ، التي أنجزها سابقوه في المنطقة ومن هنا يظهر أن ما نسب إلى الداعي ، من حيل وأساليب خاصة في التدرج بوفد كتامة قبل أن يكشف عن شخصيته بطريقة روائية ، مجرد قصة للتأثير نمقها مؤرخو ودعاة الإسماعيلية ونقلها عنهم ، أكثر المؤرخين حتى ابن خلدون إذ تكاد روايته تطابق ما رواه القاضي النعمان فقيه الإسماعيلية - تقليداً وبدون تدبر ومعرفة أن هذا يخدم الإسماعيلية ، ويفيد قضيتهم (112) .

ثم إن النصوص التاريخية لم تشير إلى التجاء الداعيين قبله ، إلى ما التجأ إليه ، من قصد مكة لا للحج ، وإنما لكي يفرض نفسه على حجاج كتامة ، بدون سابق تدبير . ومع ذلك بالفت في تصوير النجاح الذي أحرزه هذان الداعيان في بلاد المغرب والكسب العظيم الذي حصل لآل البيت بسبب تصرفاتهما وأعمالهما الحسنة .

ويتصل بموضوع الداعيين ، أبي سفيان والحلواني ، تاريخ ومصدر إرسالهما إلى بيعة المغرب وهنا نشير إلى أن أكثر المصادر التاريخية تتفق على سنة 145 هـ - 762 - 763 م كتاريخ لإرسالهما من طرف جعفر الصادق

112 - ابن أبيك النوادري : المصدر السابق 97 وما بعدها ، وهنا يشير إلى حيل دعاة الإسماعيلية وتلونهم والتواتهم ، بقصد التأثير والكسب .

سادس الأئمة ، انما بشيء من التأمل ، يتضح فيما يبدو خطأ هذا الرأي وأسباب ذلك ان أرض المغرب في هذه الفترة كانت مضطربة ويعيش سكانها ثورات ضد ولاة القيروان من طرف العباسيين ، وكانت الحركات الخارجية الصفيرية والاباضية هي الغالبة على المنطقة في هذا الوقت ، فضلا عن بقية النحل المتطرفة مثل نحلة برغواطة (113) . ومعنى ذلك أن المنطقة لم يتقرر مصيرها بعد ، ولم تهدأ نفوس أهلها بعد ما أصابهم من دمار وتفتيل ، وكان رهط العلويين في هذه الفترة منصرفا إلى المشرق ولا يكاد ينتفت إلى المغرب أو يحسب له حسابا ، وانحسرت ثورات العلويين في الحجاز وفي العراق ، حيث يكثر المتشيعون ، والعلويون ، هذا إلى أن هذه السنة 145 هـ . كانت قد شهدت ثورة علوية فاشلة ضد العباسيين (114) ، وانحصر اهتمام العلويين بعدها ، في الأعداد للثأر ولأخذ حقهم الشرعي بالقوة العسكرية . وهزيمتهم في فنج كانت هي الحد الفاصل ، الذي جعلهم ينتهبون إلى الواقع ، وينقلون نشاطهم إلى مجالات أخرى غير بيثي الحجاز والعراق . ولو أن بعض المؤرخين أشاروا إلى اهتمام النفس الزكية بانتشار حركة الدعوة في مصر ، وبلاد المغرب ، ومن ثم أرسل أخوته إلى هذه البلاد . وعلى ذلك تبدأ صلتهم بالمنطقة منذ هذا الوقت ، ولم نعثر على نصوص معتمدة يمكن الاستناد عليها في معرفة الدور القديم الذي قام به العلويون في البلاد أو البطولات التي سجّلوها أثناء الفتح العربي لبلاد المغرب ، أو أسر تكونت بعد انتهاء عملية الفتح أو أسماء لفاتحين بقي أثرهم يذكر بهم ، أو بصلاتهم القديمة ، مثلما لاحظنا ذلك مع ابن حديج وعقبة بن نافع ، ودينار أبي المهاجر وموسى بن نصير ، فكان لهؤلاء عقب أو أسر أو موالي . ولهذا يبدو مقبولا ، أن الداعيين أبا سفيان ، والحلواني ، انما أرسلوا من طرف أحد أئمة دور الستر من سلمية ، إلى اليمن ومنها أرسلوا إلى أرض المغرب عن طريق منصور اليمن بعد قضاء فترة توجيه واعداد كما أرسل غيرهما إلى جهات أخرى مثل السند والهند والبحرين واليمامة (115) . ومعنى ذلك أن المبادرة الأولى كانت من أمام الزمان في

113 - وعن هذه النحلة انظر : ابن عداري : المصدر السابق 1 ، 60 - 61 ، البكري : المصدر السابق 134 - 136 وكان رجالها في بدء أمرهم سفرية ثم تظرفوا وخرجوا من حدود الاسلام ، يحي هويدي : المرجع السابق 1 ، 70 - 73 .

114 - أبو الفداء : المصدر 2 ، 3 - 4 ابن الوردي : المصدر 1 ، 195 .

115 - ابن خلدون : العبر 4 ، 65 ، النعمان : افتتاح ورقة 14 (47 ط . بيروت) وكان الهيثم ابن أخي منصور اليمن هو داعيته في بلاد السند (45 ط . بيروت) الشوكاني : قطر الولي على حديث الولي 285 - 286 ، وهنا يشير إلى رواية ارسال ابن حوشب وابن الفضل والداامي أبي عبد الله من طرف ميمون القداح واما ابن ابيك فينسب ارسال الداامي إلى أحمد بن عبد الله ميمون : انظر 20 من الدررة الفضية ، سرور : المرجع السابق 18 ، النشار : المرجع السابق 515 - 516 وينسب ارسالهما إلى الإمام الحسين بن أحمد .

سلمية ، وكان التنفيذ من طرف داعيته في بلاد اليمن التي انطلق منها الدعوة الى مختلف جزائر الدعوة . وهذا نفس ما حصل مع آخر الدعاة وأعظمهم شأنًا ، وهو أبو عبد الله الشيعي لأن النصوص تشير الى أن ابن حوشب لما سمع بوفاة الداعيين في بلاد المغرب ، أرسل أبا عبد الله بناء على تزكية وموافقة مسبقة من طرف امام الزمان في سلمية وهي التي خرج منها الداعي الى بلاد اليمن .

ويبقى بعد ذلك أن نقول أن السر في نسبة ذلك الى جعفر الصادق مرده الى أن هذا الامام هو الذي غير وجهة الحركة العلوية ، باعتماده على فكرة الدعوة السرية السلمية للعمل على تركيز علوم آل البيت وتوضيح فضلهم وغرسه في النفوس ، قبل القيام بأية حركة ثورية ومن ثم تعبر هذه الرواية — عن ارسال الداعيين — عن شدة اهتمام جعفر الصادق بالدعوة الهادئة، كأساس صحيح للعمل الثوري . ومن هنا وقع الخلط ونسب ارسال الداعيين اليه ، لأن المبدأ هو الذي أقره ، وحث عليه ، وبدأ يطبقه في حياته في المدينة ، حتى اخترمته منيته ويبدو أن هذا موافق لمجريات الاحوال ، لأنه لا يتصور بسهولة أن يكون انفاصل الزمني بينهما ، وبين آخر الدعوة ، في المغرب قرنا وخمسا وثلاثين سنة (116) ، لأن جيل الداعيين يكون قد انتهى ، ومدرستهما تكون قد انقرضت ، قبل وصول الداعي ، كما أن التربة التي قيل أن الداعيين قد هيأها للبدر ، لا يمكن أن تبقى كذلك طيلة هذه الفترة ، ومع ذلك فقضية تمهيد الارض وتهيئة النفوس ، نسبية وقد يكون هدفها تقوية عزم الداعي أبي عبد الله بدليل انه لم يجد الارض والسكان كما صورتها النصوص الاسماعيلية وغيرها بل واجهته مشاكل كثيرة ، وامتنحن بسلسلة من الحوادث ، مثل عبادة الله غير أن ميزاته الشخصية وعامل العصبية الكتابية والبرنسية عموما لعبا دورا هاما في انجاح حركته الكبرى .

* * *

ويظهر أن تأثير الدعوة الشيعية ظهر مبكرا في بيئة افريقية اي قبل دخول الداعي بوقت طويل ، ومن مظاهره ، تشييع الرجال ثم انتشار القصص الادبي الذي يبشر بقرب ظهور دولة المهدي ، فضلا عن تنبؤ المنجمين والشعراء .

— وتشير بعض النصوص ، الى أن ابراهيم بن أحمد عين على قفصة وقسطيلية عليا بن حجر واليا ، وعندما أوصاه قبل سفره بالعدل وبالاعتداء

116 — وهذا على القول بان الشيعي ارسل الى المغرب سنة 280 هـ انظر النويري 26 ورقة 25 .

G. Marcais : La Berberie Musulmane et L'Orientale, p. 133.

في تسيير شئون الولاية بسيرة العمرين اعترض عليه وقال له « لا والله لا اسير فيهم الا بسيرة علي بن ابي طالب فان شئت والا فهذا عهدك (117) . وتشيع هذا الرجل قديم ، ولم يقتصر عليه وحده وانما كان ضمن أسرة من التشيعيين ، ولم يخش طائلة العقاب من الأمير ، فجاهره بحقيقة ميعة الى التشيع ، ولعل رد الأمير عليه بقوله « أفضل سيرة والله . فسر بها ، وما أراك تفعل » وعدم معاقبته له بسبب هذه الجراءة ، يؤيد الى حد ما رواية ميعة الى التشيع .

— وقد لاحظنا وصيته لابنه ابي العباس عبد الله ، بترك حرب الداعي ، لما علم بأنه صاحب دعوة خاصة في كتامة .

واهتمامه بالتنجيم كان جزءا من اهتمامه بحركة الدعوة الشيعية وينسب اليه ما يؤيد استسلامه للواقع ، بتأثير معرفته بالتنجيم ، كما أصبح ابنه ابو العباس عبد الله أسيرا للتنبؤات فلم يحرك ساكنا رغم تشجيع بعض رؤساء كتامة له على المبادرة بحرب الداعي قبل أن يشتد ساعده (118) .

— وتذكر بعض النصوص أن ابراهيم بن أحمد اعتقل رجلا من باغاية ، وهي مركز هام كان يتردد عليه كما اشرنا تجار من مرماجنة ونفطة — يعرف بكريم بن دمرزور ، ولم توضح سببا لاعتقاله ، وانما اقتضت على القول بأن ذلك تم « لأمر كرهه منه » ففر الرجل من سجنه واستجار برهط بني مالك في حصن بلزمة ، فأجاروه وكان ذلك من أسباب تنكيله بهم كما أسلفنا .

ويبدو أن الرجل كان من التشيعيين المتطرفين ، أو ممن لهم صلة باشاعة قصص وتنبؤات عن قرب ظهور دولة المهدي في افريقية (119) .

— وممن عرف بالتشيع منذ القدم ، محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي وكان من جند خراسان . ونسبته لرو ، قاعدة الاقليم وهو الذي أصبح قاضيا للقيروان في عهد عبيد الله وغدا محورا لكثير من قصص اضهاد أهل السنة (120) ، ولم ينسب اليه أي دور قبل ظهور الفاطميين

117 — النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 46 (82 ط . بيروت) .

118 — النعمان : افتتاح 45 . (81 ط . بيروت) ويشير النعمان الى غيره من التشيعيين من فرع السالبيين نسبة الى سالم جدهم الأعلى ومما ينسب اليه قوله لابنه : « كنا من امره على وفاء فان رأيت أنه قصد اليك فخل بين يديه ، والحق بي الى بلد الروم فليس لك به طاقة ، وهو صاحب قطع دولتنا » انظر ورقة 81 (121 ط . بيروت) .

119 — نفسه ورقة 51 (88 ط . بيروت) .

120 — ابن عذاري : المصدر 1 ، 207 — 208 .

مما يشير الى خموله وعزلته عن الحياة السياسية والادارية ، لانه كان على غير مذهب الدولة وقد توفي فيما بعد برقادة 303 هـ / 915 - 916 م مفضوبا عليه ، بعد تعذيب شديد تعرض له باشارة عبيد الله ودفن بباب سالم ليلا (121) .

- ويشبهه في وضعه في عصر الدولة الاغلبية ، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي ، لانه كان متشيعا فبقى مغمورا ولم يزدهر الا في العصر الفاطمي حيث ظهر فجأة على ما هو عليه من النضج الفكري والعائدي (122) ، مع ملاحظة انه من نفس القبيلة التي ينتمي اليها الأمراء الاغلبية .

- وفيما ذكره ابن عذارى عن قصة ابن البريدي محمد بن حيون الذي كان كاتباً خاصاً لابراهيم فسجنه ولما استعطفه من داخل سجنه ليعفو عنه رفض وأمر بوضعه في تابوت حتى مات (123) ، ما يبعث على التساؤل هل أن هناك علاقة قريبي بين هذا الكاتب المفضوب عليه ، وبين أبي حنيفة النعمان بن حيون ؟

وهل أن ذلك يرجع لامر عقائدي او وظيفي فقط ؟

- وكان بعض رجالات الدولة الاغلبية من غير فئة الكتاب يطنون التشيع ويردد بعضهم اخبارا عن قرب ظهور دولة جديدة كما يهتم آخرون بكتب التنجيم وقد لصقت التهمة ظلما بأشهرهم وأظهرهم في الحياة السياسية وهو ابن الصائغ الذي قيل انه أساء التدبير ولم يخلص في النصيحة للامير زيادة الله الأخير ربما بدافع تشيعه ، ويستند بعض المؤرخين على قوله للامير « ارحل الى مصر سرا واستخلف على افريقية قائدا تجعل له أمر العساكر وتترك له الأموال » (124) .

- وبجانب تشيع الرجال ، نلاحظ أن تأثير الدعوة ظهر أيضا في ميدان القصص الشعبي . ومن ذلك اشارة بعض النصوص الى أن الداعي لما دخل أرض كتامة ممتطيا بقلعة شهباء ، ومر في طريقه برجل وابنه وسألهما عن اسم كل منهما وتبين ان اسم الابن « تمام » واسم أبيه معارك ، استبشر

121 - ابن عذارى : المصدر 1 ، 241 .

122 - كامل حسين : ادب مصر الفاطمية 64 - 65 ابن خلكان : المصدر 5 ، 48 ويشير الى انه كان مالكيًا ثم اماميا واصبح اسماعيليا في آخر الامر وقد وصفه بالداعي (نقلًا عن ابن زولاق) ، انظر 49 منه ابو الفحاسن : المصدر 4 ، 106 - 107 ويروي انه كان حنفي المذهب ، قبل أن يصيح اسماعيليا ، ماجد ظهور خلافة الفاطميين 22 - 23 .

123 - ابن عذارى : المصدر 1 ، 161 - 162 حسن حسني عبد الوهاب : مجمل تاريخ الادب التونسي 65 - 67 (ط 1968) .

124 - نفسه 1 ، 194 .

الداعي بالفأل ولخص انطباعه بقوله « تم امرنا ان شاء الله لكن بعد معارك » (125) .

— وحينما مر الداعي على معلم للصبيان ، وبدا يطيل النظر اليه ، استراب في أمره وسأله عن سبب ذلك فأخبره بما كان شائعا متواترا في بلد كتامة ، ضمن اخبارها القديمة التي تشير الى أن الحروب القبلية عندما كانت تشتعل بينهم ، كان أحد كهنتهم وعرف بأسم « فيلق » ، يقول لهم انما ترونه الآن من فتن ، هو قليل اذا قيس بما سوف ترونه « اذا جاءكم الرجل الشرقي صاحب البغلة الشهباء » (126) .

— وعندما نزل الداعي ضيفا على أحد شيوخ كتامة ، من الذين صحبوه من مكة استراب في أمره معلم آخر وفارق الناحية وهجر التعليم ، لأن الشيخ الكتامي ، قدم الداعي لامامة الصلاة ، وأخر معلمه على غير العادة المألوفة ، كما عامل الداعي معاملة من يعرفه جيدا اذ عانقه امام المعلم (127) .

— وكان يعقوب بن المضاء ، وهو من أسرة بني الأغلب التميميين يملك ضياعا كبيرة بناحية جزيرة جمعة ، حيث ستقوم مدينة المهديّة ، فكان هذا الأمير ، يأتيها ويجول بالمكان وهو يقول «هذه صفة الجزيرة التي يقال أن المهدي يبني مدينته عليها » (128) .

— أما ابراهيم بن أحمد من الأمراء ، فكان يتحاشى ذكر الداعي في المجالس ، ويحاول ان ذكر ان يقلل من شأنه ، أمام الملاح حتى لا تتأثر الروح المعنوية لكنه كان يردد أمام أقرب خواصه قوله (والله لو دخل على هذه المدينة من باب ، لخرجت بين يديه من باب آخر ، والله لكاني انظر الى أكسية أصحابه منشورة على شرفات قصري هذا) (129) .

— وبلغ تأثير القصص واستنتاجات النجميين لدرجة أن شيوخ القيروان وفقهاءها ومن ضمنهم ابن عبدون الحنفي — قد ذكروا في مجلس الداعي

125 — نفسه 1 ، 168 .

126 — ابن عذاري : المصدر 1 ، 169 .

127 — نفسه 1 ، 169 — 170 .

128 — النعمان : المصدر السابق ورقة 54 (90 — 91 ط . بيروت) ويلاحظ ان ناشر افتتاح الدعوة وقع في خطأ ، اذ قرأ الكلمة حمه بالحاء ، بدل الجيم وهي القراءة الصحيحة وبناء على خطأ في التقدير ذكر ما يوجد في تونس من قرى باسم حمه ، يقصد (حامة) انظر هامش 1 ، وعن جزيرة جمعة التي بنيت بجوارها المهديّة انظر : ابن عذاري 1 ، 234 .

129 — نفسه ورقة 45 (81 ط . بيروت) وهو قصر الصحن الذي نزل به عبيد الله فيما بعد .

أبي عبد الله في رقادة أنهم ما سمعوا بشيء من الحدثن أصح من هذا الذي قيل عن سنة ظهور دولة المهدي في أفريقية .

— واعترف أحد المتشيعين وهو أبو اليسر ، للداعي بعد دخوله رقادة بأن الرواة كانوا يقرءون بيتا شعريا بطريقة تشعر بأن ظهور دولة المهدي يقع في سنة 290 هـ 902 — 903 م فكانا نرى ذلك مخالفا للتنبؤات (130) .

— ولم يقتصر تأثير الدعوة الشيعية على الرجال أو على القصص الأدبي والشعبي بل ظهر أيضا في ميدان الشعر وعرف مجموعة من الشعراء بتشيعهم واشتغالهم بالتنجيم وترويجهم لقصائد تبشر بقرب ظهور دولة المهدي ، وبزوال نظام بني الأغلّب ومن بين هؤلاء :

— محمد بن رمضان ، وكان من بين العناصر الشيعية في مدينة نفطة ، وعرف عنه انتحاله للتنجيم وقرض الشعر الحكمي ، الذي يضمنه دائما ، اشارات صريحة عن زوال دولة بني الأغلّب بواسطة حركة يتزعمها آل البيت ومن أجل ميوله الشيعية حاول بنو الأغلّب القبض عليه ، ففر من نفطة إلى بلزمة واستجار بسكانها، فلم يتخلوا عنه ، فلما حصلت واقعة البلمين في رقادة ، بتدبير ابراهيم بن أحمد ، خلد الحادثة بقصيدة طويلة رثى فيها القتلى ونعى على ابراهيم بن أحمد وأسرته فدرهم وتشريدهم لآل البيت ، ولكل المتشيعين جورا واستبدادا ، ولم ينس أن يذكرهم بقرب نهاية عهدهم وظهور دولة المهدي وكان لهذه القصيدة صدى واسع وعندما سمع ابراهيم بن أحمد بها ، تأثر لمتابعة هذا الرجل وتظاهر بالنعمة على من ظلمه أو اضطهده لعقيدته الشيعية وأظهر استعدادا للعفو عنه ، وتقريبه إليه ، « ولو أتانا لصفحنا عنه وأحسننا إليه . . ومثل هذا تزكو عنده النعم وما ينقم عليه تشيعه بل ذلك مما يقربه منا ويدنيه عندنا » .

غير أن الشاعر رفض هذه العروض ، لأنه تأكد من انها مجرد استدراج له لينكل به مثلما نكل بعرب بلزمة . ولقد استمر إلى جوار بني مالك من سكان بلزمة ، يرضى عاطفته المذهبية وينفس عن نفسه ، بهجو نظام بني الأغلّب وبالتصريح بقرب ظهور دولة الحق :

130 — والبيت من قصيدة لابن أبي عقب يتنبا فيها بقرب ظهور المهدي ونصه :
في الست والتسعين ياتيك العجب انظر : النعمان : افتتاح ورقة 51 (— 88 ط .
بيروت) وعن أبي اليسر الشيباني البغدادي ودوره في الحياة الادارية في عصري
الأغالبة والفاطميين انظر : ابن عداري : المصدر 1 ، 224 — 225 .
وعن بعض الاشارات إلى زمان ومكان ظهور عبيد الله المهدي ، التي نسبت في
بيئة المشرق إلى بعض آل البيت انظر : القرظي : تعاطف 1 ، 54 ابن أبيك
الواداري المرة 6 : 112 .

فهذا اوان الحق قد حان حينه ونوته اهل البغي آن زوالها

هذا رغم انه كان في ضيافة قوم من بني تميم ، أي من نفس عصبية بني الأغلب لأن هؤلاء أيضا كانوا يعجبون بهذه القصائد المؤثرة التي تشفي غيظهم وتسيء الى عدوهم وتثار الى حد ما لقتلاهم (131) .

وبقيام الدولة الفاطمية تحققت نبوءته وادرك مجدا كبيرا في ظلها اذ ولي قضاء ميلة رغم كبر سنه ، وبقي في منصبه حتى توفي .

— ومن بين الشعراء المشيعين ، ابن ابي عقب الذي عرف عنه انشغاله بالتنجيم أيضا وكان يضمن قصائده ، اشارات عن علامات خاصة بقيام دولة المهدي في المغرب ، على انقراض دولة الاغالبة (132) .

— وينسب لأحد شعراء قرية الخربتين ، من ضواحي مدينة تونس وكان ماهرا في التنجيم وقد احضر للامير رغم انه طعن في السن ، ما يوضح معالم التطور الذي سيحصل على رأس سنة 296 هـ / 908 - 909 م بتدخل بربر كتامة ، نصره لال البيت ولامامهم المهدي الفاطمي (133) .

131 — عن هذه القصيدة انظر النعمان : المصدر السابق ورقة 52 - 53 ، (88 - 90 ط . بيروت) .

ومن ضمنها :

الساعة من سواد الليل اذ غدروا
آل النبي وخير الناس ان ذكروا
عما قلييل وامر الله ينتظر
أيامها في الذي انبأ به الأثر
يا آل أغلب اهل الفدر فافتصروا

عن ألف أروع كالاساد قد قتلوا
عن المشرذ في حب الأئمة من
جرعت ضيفك كاسا أنت شاربها
فدولة القائم المهدي قد أذفت
عن النبي وفيها قطع مدتك

132 — ومن ضمن قصائده قوله :

مهسدية في نص اسفار الكتب

تنقلب السدولة فيما تنقلب

النعمان افتتاح 50 (86 - 87 ط . بيروت) انظر ابن عداري : البيان 1 ، 186
عن قصة ظهور النجم ذي الذؤابة في شهر رجب من سنة 292 هـ ، أي قبيل معركة
كينونة العاسمة .

133 — النعمان : المصدر 48 - 49 (84 - 85 ط . بيروت) ومن ضمن قصيدته يؤيد
النسب العلوي لعبيد الله قوله :

تقي نفسي العرض جيم المواهب

ويظهر من أبناء فاطمة امرؤ

واكرم مولود واشرف طالب

سمي نبي الله وابن صفيه

— ومن بين الشعراء المتشيعين في افريقية محمد بن البديل كاتب أبي قضاة الذي يبدو من بعض نتف من شعره ، أنه أصبح من الغلاة ومن القائلين بالوهية الامام ، وبعقيدة الحلول لأنه مدح عبید الله غداة دخوله رقادة ، بأبيات فيها مبالغة ، وافك (134) ولم ينكرها فاستاء منه جمهور اهل السنة .

— ثم سعدون الورجيني ، وكان شاعرا مشهورا في العصر الأغلبي ، بنزعته السنية سواء في مدحه لبعض الأمراء أو في رثائه ليحيى بن عمر (ت 289 هـ / 901 - 902 م كما اشترك في الحياة الادارية وفي حرب صقلية ، وناله الأسر وافتدى غير انه بعد دخول عبید الله الى رقادة مدحه بقصيدة هامة ضمنها تأكيد نسبه العلوي ، وما جرى له ولداعيه أبي عبد الله من خطوب ومحن كللت جميعها بالنجاح ضد المخالفين ، وأشار الى ما ينتظر ان ينجزه المهدي في المستقبل من نشر العدل ، والنفوذ الروحي والسياسي في الشام والعراق ومصر أيضا (135) بحيث أصبح ضمن المحظوظين في الدولة الجديدة وأعجب به المهدي وداعيته أبو عبد الله فأجزلا له الصلات .

— ثم علي بن محمد الأيادي ، وكان من بين الذين ازدهروا في العصر الاغلبي لكنه بقي مغمورا حتى ظهرت الدولة الفاطمية فاشترك في الحياة السياسية ومدح المهدي وعاصر القائم والمنصور وخلد انتصار الأخير على

134 - ابن عذاري : البيان 1 ، 220 - 221 ، وما نسب اليه قوله :

حل يرقادة المسيح	حل بهما آدم ونوح
حصل بها أحمد الصفي	حل بها الكيش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي	وكل شيء سواه ربح

انظر : النشار : المرجع السابق 2 ، 522 - 523 ابن كثير - البداية والنهاية 11 ، 274 .

135 - المالكي : المصدر السابق 404 هامش 3 ، الدباغ : المصدر السابق 2 ، 164 النعمان : المصدر السابق ورقة 186 (254 - 255 ط . بيروت) محمد طالبي : تراجم اقلية (مستخرجة من مدارك القاضي فياض) 269 ط . تونس 1968 القريري : اعانف 73 (ط 1967) ومن بين قصيدته قوله :

هذا الامام الفاطمي ومن به	امتت مفاربهما من الحلود
وانشرق ليس لشمامه وعراقه	من مهرب من جيشه المنصور
حتى يغوز من الخلافة بالني	ويفاز منه بصدله المنصور

خصمه الثائر أبي يزيد بقصيدة طويلة يصف فيها قلعة كناية ويشير الى تأكيد النسب العلوي ، للمنصور اسماعيل (136) .

* * *

– ويبدو أن آثار هؤلاء المتشيعين – في عصر الدولة الاغلبية من الشعراء والقصاص والمنجمين تعتبر في جملتها ، احدى النتائج الطيبة ، لحركة الدعوة لآل البيت التي هي أقدم من عصر الداعي أبي عبد الله في كتامة ، ولو أن بعضها نتج فيما يظهر عن التوفيق الذي أحرزه أبو عبد الله في هذه البيئة ، بعد استقراره بين سكانها في الثمانينات من القرن الثالث الهجري (137) ، لأنه قبل ذلك كان أما في الكوفة مسقط رأسه أو في البصرة مقر عمله أو في سلمية دار هجرة صاحب الزمان أو في بلاد اليمن وصنعاء التي نسب اليها وفيها مدرسة الدعوة ومقر منصور اليمن ابن حوشب .

– فمن هو الداعي ؟ وكيف بدأت صلته بكتامة الى أن دخل رقادة منتصرا ؟ هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء ، كني بأبي عبد الله ، وعرف بعدة ألقاب تدل في مجموعها على شهرته وقيمته ، وتنوع نشاطه ،

136 – أبو علي منصور العززي : المصدر 37 ، 48 – 49 وتعليق 47 أيضا من بينها : قوله :

فارتقى المصون من خيفته	في لرى اعيط عال مصعد
فارتقى المنصور بالسيف له	يوم طمن كشائب البسرد
واثقا بالله في فربته	عن بني احمد ناء منفرد

137 – ابن عذاري : البيان 1 ، 165 جملة ضمن احداث : 280 مثل ابن الاثير 8 ، 11 وابن الوردي : تاريخه 1 ، 250 – 251 وابن ظافر : المصدر السابق ورقة 42 النعمان ورقة 36 وأبي الفداء : المصدر 2 ، 69 التويري 26 ورقة 2 وعنهم نقل : Julien : op, cit 1155 : (893). Gautier op, cit p. 342. (890). Laroui op, cit p. 124. (893). Vonderheyden op, cit 285.

وحدد كل من المقرزي : اتعاف 56 وابن خلدون 4 ، 66 وأبي المعاسن 3 ، 124 وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب 2 ، 196 تاريخ وصوله بسنة 388 هـ وبناء على قول ابن عذاري : 1 : 171 أن الداعي لم يكشف عن حقيقته علنا الا بعد سبع سنوات ولأن عبيد الله لم يهاجر الا في عصر الكتفي بالله والامير أبي منصر (289 هـ) فان تحديد مجيئه بسنة 280 هـ هو الاقرب الى الصواب .

ومنها الشيعي (138) وهو أشهرها ، ثم الصنعاني (139) نسبة لصنعاء باليمن ، وهي مسقط رأسه في بعض الآراء ، وبهذا اللقب كان يشهر بحركته ، ويدعي عليه من على منابر القيروان ورقادة وغيرها (140) ، وعرف بالمحتسب (141) لممارسته خطة الحسبة في سوق الغزل بمدينة البصرة (142) ، أو في غيرها من مدن العراق (143) ، والمعلم (144) ، لأنه كان لقنا عارفا بأساليب التعليم ، وندعوة لمذهب الإمامة في بدء حياته ، قبل أن يعتنق المذهب الإسماعيلي في الكوفة بتأثير دعاة الإسماعيلية ، ولقلقه من استمرار غيبة محمد بن الحسن العسكري ، وعرف بالصوفي (145) ، لتقشفه في الحياة ومداومته على لبس الخشن من الثياب مع ما اشتهر به من صفاء النفس والورع والأمانة وإنما عرف في بيئة أفريقية ، بالاهوازي (146) ، لأن مدينة هرمز التي قيل

138 - البكري : المصدر السابق 51 ابن عذاري ، المصدر السابق 1 ، 164 الدباغ : المصدر السابق 2 ، 177 ابن الوردی : المصدر السابق 250 - 251 القرظي اتعاط الحنفا 1 ، 55 القضاوي : عيون المعارف وفنون أخبار الخلفاء ورقة 176 - 177 ، خ دار الكتب رقم 1779 ابن كثير : المصدر السابق 11 ، 116 ابن الخطيب : رقم الحظ 30 عبد المنعم ماجد : المرجع السابق 85 - جمال سرور : المرجع السابق 19 - مصطفى غالب اعلام الإسماعيلية 246 - ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 443 - 444 أنظر :
E.I. (Art Abou Abdallah) T I, p. 76.

139 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 166 ، 185 السمعاني - الأنساب 355 ابن أبي الصياف : المصدر السابق 1 ، 118 .

140 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 28 (61 - 62 ط . بيروت) ونص الدعاء : اللهم ان هذا الكافر الصنعاني قد استشرى أشره واستمرى مرتعه كافرا لاتعمك مبدلا لديك مخالفا لكتابك اللهم فالمنه لنا وبيلا واخزه خزبا طويلا وارح منه عباده وطهر منه أرضك وبلادك .

141 - ابن خلدون : المبر 4 ، 65 ابن الكردبوس الاكتفاء في أخبار الخلفاء ورقة 368 خ تونس رقم 18593 : ويوجد في معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم 900 القرظي اتعاط الحنفا 1 ، 51 السعودي : مروج الذهب 1 ، 186 - 187 السلاوي : الاستقصاء 1 ، 79 عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 85 .

142 - نفسه : ابن حماد أخبار بني عبيد 7 مصطفى غالب : المرجع السابق 246 ماجد : نفس المرجع والصفحة

143 - E.I. (Art Abou Abdallah) T I, p. 76.

144 - ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة ابن عذاري : البيان 1 ، 167 ، 408 .

145 - السعودي : المصدر السابق 1 ، 186 - 187 حسن ابراهيم : المرجع السابق 47 .

146 - النعمان : المصدر ورقة 27 (61 ط . بيروت) . ويبدو أن اللقب اطلق أيضا على ابراهيم الزبيدي مع أنه ليس من الأهواز لصحبته للشيعي .

انه ولد فيها من نواحي خوزستان ، أو الاهواز (147) ، وقد أطلقه عليه أحد شيوخ كتامة من باب التقية ، قبل أن يشتهر خبره بين عامة فروع كتامة الذين عرفوه بصاحب البغلة الشهباء (148) ، أو البلقاء (149) ، وبالمشرقي (150) ، لمجيئه من اشرق وقد سمي كل من مال الى رأيه متشرفا ، ويقال عنه انه (تشرق) أي تشيع ومن ثم كان لقب المشرقي في افريقية يرادف في مدلوله لقب الشيعي (151) . وعرف بالسيد (152) أيضا وتعني صاحب الامر والمعظم بين القوم ، وكان مساعده ابراهيم بن محمد الزبيدي اليمني ، يعرف بالسيد الصغير تميزا له عن أبي عبد الله ، وأحيانا يوصف بالهوازي أيضا (153) . وعرف أبو عبد الله في بعض المصادر الأباضية بمولى عبد الله ، ويلقب الحجاني (154) أو الكجاني والصيغتان معا ، الحجاني والكجاني هي تحريف لكلمة الايكجاني ، وهو لقب أطلق عليه كما خلع على أحد أتباعه (155) لاتخاذه قلعة ايكجان مقرا ودار هجرة ، وقد بدا لبعض الباحثين خطأ أن يكون لقب الحجاني ، منسوباً لاجانة (156) وهي فرع من فروع كتامة ، لأن الأقرب هي نسبته الى قلعة ايكجان أو الى فرع بني سكتان الذين أقام بينهم في هذه القلعة .

147 - السعودي : المصدر السابق 1 ، 186 - 187 ، القرظي : المصدر السابق 51 ، هامش 3 .

148 - ابن عذاري 1 ، 169 .

149 - النعمان : المصدر السابق 29 (75 ط . بيروت) .

150 - نفسه : 27 ، ابن عذاري 1 ، 171 . ابن خلدون 4 ، 67 ، أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 69 ، ابن الوردي 1 ، 251 .

151 - أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية 223 وما بعدها .

152 - النعمان : المصدر السابق 27 (61 ط . بيروت) ، انظر حسن الباشا : الانقلاب الاسلامي في التاريخ والوثائق والآثار 345 وما بعدها ، اليمني : سيرة جعفر 129 .

153 - نفسه : ابن عذاري 1 ، 210 .

154 - الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية 292 - 293 الدرجيني : المصدر السابق ورقة 109 خ تونس ورسما : « الكجاني » سيرة أبي زكرياء ورقة 32 خ . خ .

155 - اليمني : سيرة العاجب جعفر 128 - 129 حيث أطلق اللقب على بشري الفلام الصقلبي مولى الشيعي الذي ضمّه الى حاشية وأتباع الهسدي منذ لقائهما في سجلماسة .

Andre Negre : La Finde de l'Etat Rustomide p. 18 ; n 50. - 156

ومهما قيل حول هذه الألقاب ، ودلالاتها المختلفة على شخصية صاحبها ، فالذي يهم أن أبا عبد الله الداعي ، لما اتصل بإمام الزمان في سلمية (157) ، ورآه على حظ كبير من الذكاء واللقانة والنشاط ، ضمه إلى سلك دعائه ، ومنحه ميزة حضور مجالس الدعوة في سلمية ، لفترة ، قبل أن يرسله إلى مركز تكوين الدعاة الماهرين في بلاد اليمن ، حيث يوجد داعيها الكبير منصور اليمن الذي رحب به وأكرمه لسابق تعارفهما وتركه يفتش مجالسه (158) ويطلع على دقائق أعماله ويشاركه في نشاطاته في سائر أنحاء اليمن بحيث صار من كبار خواصه ، وهياته امكانياته وعبقريته لكي يغدو من الدعاة الكبار (159) الذين يجب أن تشتغل امكانياتهم الكبيرة في جزيرة كبرى من جزائر الدعوة ، حسب رأي الامام (160) ، وداعيه في بلاد اليمن الذي اغتنم فرصة سماعه بموت الحلواني ، بعد أبي سفيان ، وأرسله حسبما رسم الامام إلى أرض كتامة من بلاد المغرب ، بعد أن شيعه حتى حدود بلاد اليمن ، وأوضح له « أن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لهما غيرك ، فبادر فانها مؤطاة ممهدة لك » (161) ، وجعل في صحبته مساعدا ، يخلفه فيما لو حدث له طارئ غير متوقع مثلما حصل لابن حوشب مع رفيقه ابن الفضل الذي نافق فاستمرت الحركة بوجوده . وقد رافقه عبد الله بن أبي الملاحف مساعده اليمنى حتى أرض كتامة (162) ، برغم أن قصة حوارهم مع حجيج كتامة لا تشير إلى وجود هذا الرجل إلى جانبه في مكة فضلا

157 - هو محمد الحبيب في نظر ابن خلدون 4 ، 65 ومحمد بن جعفر عند القرظي : اتعاف الحنفا 1 ، 51 - 52 أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 69 وهو أحمد بن عبد الله ابن ميمون الحجة عند ابن أبيك الواداري ، المرة 20 وقد سكت النعمان عن تعيين اسم الامام انظر : افتتاح الدعوة ورقة 26 - 27 (59 - 60 ط . بيروت) بينما ذكر قبل ذلك جعفرا الصادق بالنسبة للداعيين قبله وهو محمد بن اسماعيل عند صاحب الاستبصار 202 - 203 وينفرد برواية جديدة عن كيفية اتصال الداعي بالامام على شاطئ نهر دجلة .

158 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 26 (60 ط . بيروت) .

159 - ومزاياه كانت مبعث غيرة عبيد الله منه انظر : E.I. (Art, Abou Abdallah) T I, p. 76 ; et art Dai T I, p. 919.

160 - النعمان : المصدر السابق والصفحة .

161 - القرظي : اتعاف الحنفا 1 ، 55 أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 68 وفيه أن ابن حوشب أرسل من قبله إلى المغرب دعاة فاجابه أهل كتامة . مما يؤيد فكرة نسبة ارسال الداعيين أبي سفيان والحلواني إليه أيضا .

162 - النعمان : افتتاح ورقة 27 . النويري : نهاية الارب 26 ورقة 25 .

عن بلاد المغرب ، التي عرف فيها ابراهيم بن اسحاق الزبيدي فقط ، بصفته مساعدا له وكان يلقب كما أشرنا بالسيد الصغير وبالهاوازي أيضا ويبدو أنه لم يكن موفقا في عمله وفي بعض ما كلف به من مهمات ربما لانحرافه عن القصد ، دون أن يصرح بذلك الا في بلاد اليمن التي رجع اليها وانضم الى حركة المتطرفين انصار ابن الفضل (163) .

— واذا كان الغموض قد خيم حول خط سير الحلواني ، وأبي سفيان ومركز انطلاقهما ومصدر ارسالهما الى بلاد المغرب ، بدون تهيئة ولا التجاء الى أساليب ملتوية فان الداعي أبا عبد الله وقد أصبحت أرض كتامة موطاة ممهدة ، وفيها مشايخون لأراء أهل البيت ، يبدو أنه قد تصرف مع حجاج كتامة تصرفا غريبا ، وانتجا الى وسائل كان في غير حاجة اليها لأن النصوص تشير الى توجهه الى مكة في موسم الحج لا لتأدية مناسكه وانما لربط الصلة مع الحجاج المغاربة وخاصة مع حجاج كتامة ربما لموعد سابق ، من يدري ؟ (164) تمهيدا للسير معهم الى بلادهم (165) والغريب أنه لم يقصد مجلسهم مباشرة وانما واجههم وبقي يتسقط حديثهم فلما رأهم يتحدثون عن فضائل آل البيت بحماس قوي استحسنت ذلك ووجدها فرصة سانحة وانضم اليهم واسترسل في حديث عن نفس الاتجاه مستخدما مهارته في الكلام مع حجة ساطعة وبيان ساحر يصدر عن نفس تتقد ايمانا وحماسا فأعجبوا به ورغبوا منه أن يبقى على اتصال بهم فلبى ذلك وما كان يريد غيره وعند ما سئل عن وجهته بعد انتهاء المناسك وأجابهم مصر ، التي هي طريقهم الوحيد الى أرض المغرب ازداد سرورهم بدوام صحبته ، وفي الطريق عومل كضيف شرف فأكرموه وهونوا عليه مشقات الطريق نظرا لمزاياه ولعلمه ، والمعلم في بيئة المغرب وكتامة يظفر بمكانة ممتازة (166) .

واثناء الرحلة ، بدأ الداعي بأسلوبه الخاص يتعرف على أحوال بلاد المغرب تدريجيا وقد بان له من الحديث معهم أن بينهم عناصر متشعبة (167) تكن حبا جما لآل البيت ، كما أن تقبلهم لفكرة جديدة تخدمهم ليس أمرا عسيرا

163 - النعمان : المصدر السابق ورقة 28 (61 ط . بيروت) .

164 - رواية صاحب الاستبصار ، يفهم منها هذا المعنى انظر 202 - 203 منه .

165 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 166 حيث يشير الى « أن الحجيج ليس من مذهبهم الفاسد بل تكلف حضوره ليتسبب في مراده » .

166 - النعمان : المصدر 29 - 30 (62 - 64 ط . بيروت) ابن خلدون 4 ، 66 ابن الأثير : المصدر 8 ، 11 الفرزي : المصدر 51 - 52 .

E.I. Art Abou Abdallah. T I, p. 76 Diehl op, cit T 3, 425. Vonderheyden op, cit p. 285-86. Gulien op, cit T 2, p. 55.

167 - النوري : المصدر السابق 26 ورقة 25 .

وهذا هو المهم في نظره ولذلك بدأ يخطو نحو المرحلة التالية ، التي خصصها للتعرف على شؤون بلادهم وعلى نوع حياتهم السياسية والثقافية والاجتماعية والعسكرية وعلى طبيعة علاقاتهم في المنطقة سواء مع بني الاغلب في رقادة أو مع ممثليهم في حواضر كتامة أو مع القبائل الأخرى المجاورة لهم ، ثم تراءى له أن يتعرف أيضا على عدد سكان منطقة كتامة ، وحدودها وحواضرها الكبرى . وقد اتضح له من خلال الاجابات أن الكتاميين ، يعيشون في اطار تقاليدهم القبلية التي تخصص مكانة هامة للعلماء والكبراء باعتبارهم عناصر للاحتكام ، ثم للفقراء أيضا الذين كانوا ينعمون بزكوات الأغنياء ، وانهم يقدسون ظاهرة الفروسية ، وينأون بانفسهم عن الضيم ويكرهون التدخل في شؤونهم من طرف الحكام الاغلبية الذين تبعد عاصمتهم عن كتامة بمسيرة عشرة ايام ثم من طرف نوابهم عمال المدن الذين يدارون كتامة ويتحاشون اثارها لقوة بأسها وكثرة عصبيتها .

وعمال مدن كتامة كان اكثرهم من ولاة الاستيلاء تغلبوا على مناطقهم ومن ثم كانوا في حاجة الى السلام حتى لا يتيحوا فرصة لتدخل الأمراء الاغلبية اصحاب السيادة على البلاد . وكانت العلاقة بين هؤلاء وأولئك شكلية لا تتجاوز الدعاء لهم على المنابر وكتابة اسمائهم على السكة والاعتراف الرسمي بسلطانهم والاشترك في مشاريعهم خارج نطاق افريقية ، انما في شيء من الحذر والارتياب .

وعرف الداعي ان كلمة كتامة، اسم عام تنطوي تحته قبائل وبطون وافخاذ وعشائر كثيرة - لكن مضاربا متقاربة ، والعلاقة بينها مثل أية علاقة ، في أي مجتمع قبلي تظهر الفتن ثم تهدأ بالصلح لكن مع ظاهرة الفتن الداخلية في كتامة فانها كانت مهيبة مرهوبة الجانب من طرف جيرانها بحيث لا يفكر أحد في التدخل في شؤونها استغلالا لمشاكلها الخاصة (168) .

وهكذا كان حديثه مع وفد كتامة الذين التفوا حول شيخ منهم (169) ، وخاصة مع المتشيعين حريث الجيملي وموسى بن مكارمة (تكاد) مفيدا وباعثا على الاغتباط لذلك لم يتردد اطلاقا عندما عرضوا عليه في مصر أن يواصل السير معهم الى بلادهم في الاستجابة « اذا كنت تقصد هذا (أي التعليم) فبلادنا أنفع لك ، ونحن أعرف بحقك » وواصل طريقه يحدوه أمل قوي بأنهم سوف يساندونه في تحقيق المشروع الكبير ، الذي به تنقلب أوضاع المنطقة وتتجسد آمال أهل البيت .

168 - النعمان : افتتاح 29 - 30 .

169 - ابن هذاري 1 ، 166 ابن خلدون 4 ، 66 ويذكر أيضا من رجال الوفد مسعود ابن عيسى المساتي ، و ابا القاسم الوردفجومي .

ويعبر النعمان عن بعض أهداف الداعي من وراء المحاوراة بقوله (وكل ذلك يسألهم ويجريه حديثا لغير علة وهو يعي ذلك عنهم ويستخبر ما يريد منهم لما يرجوه ويؤمله فيهم ، وهم عما يريد به معزل وهو مفتبط بكل ما سمعه من ذلك) (170) .

أما وفد حجيج كتامة ، فقد اعتقدوا ان في جلبه الى بلادهم مفخرة وحدث لم يسبقهم اليه غيرهم « وانا لنا في الى بلد كتامة بشيء ما جاء به أحد من كان قبلنا » بل خيل اليهم انهم عندما كانوا يقولون له « لك من أموالنا ما تريد ، لوجه التعليم وعندنا من أخوانك ممن يذهب الى ما أنت عليه ، فلو رأوك ورآك الناس ما رضوك الا لثيوخهم وصبيانهم (171) ، ان هذه الاغراءات والعروض السخيفة ، مما يقوي عزمه ويشحذ همته على قبول مبدأ مواصلة السفر معهم الى بلادهم مع أنه لم يكن في حاجة الى شيء من ذلك . وأقل هذه العروض كانت أقصى أمانيه وقد أعد لها الرحلة الطويلة الى اليمن ، ومكة ومصر التي تعتبر مركز تجمع وانطلاق الحجيج المغاربة الى بلادهم ، أو الى الأراضي المقدسة .

ويبدو لي أن قصة تعرف الشيعة بحجاج كتامة في مكة ومانسج حولها في المصادر السنية والشيعة لا تعدو أن تكون قصة مختلقة أو تخلفتها مبالغات كثيرة للتأثير لأن تفاصيل الحوار يبدو من خلالها وكان الشيعة يجهل كل شيء عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب وفي أرض كتامة خاصة وهو أمر لا يتفق مع مقتضيات الاحوال في هذه الفترة لأن النصوص تشير صراحة الى مدى نجاح أبي سفيان والحلواني في مهمتهما في أرض كتامة ثم ان ابن حوشب اعترف امام الداعي بأن الارض ممهدة موطأة من اثر جهود الداعيين والنعمان نفسه يذكر أن بعض من قابلهم الشيعة في مكة ضمن الوفد ، كانوا ممن أخذ عن الحلواني أو تأثر به ورجال الوفد كي يقنعوا الشيعة بقبول مبدأ الذهاب الى بلادهم اعترفوا بوجود كثير من المتشيعين وأنصار آل البيت بينهم وانهم سوف يلتفون حوله عند أول لقاء (172) .

170 - النعمان : المصدر السابق ورقة 32 - 33 (99 ط . بيروت) ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 167 ابن الأثير : المصدر 8 ، 11 .

171 - نفسه 33 (67 ط . بيروت) .

172 - وقد اعترف الداعي عندما سأله حجيج كتامة عن طريقة معرفته لاسم فحج الاخيار بقوله (البلدان توصف للناس ، وتذكر لهم ، وان لم يروها) ويعني هذا القول انه كان مزودا بمعلومات عن المنطقة قبل وصوله اليها انظر النعمان : المصدر السابق ورقة 37 (33 ط . بيروت) .

وقد دلت ظروف الحوار على أن الداعي كان يتصور نفسه وكأنه أول داع اتصل بحجاج من المغرب ، أو بعناصر مغربية من كتامة ، الذين يدون من خلال الحوار وكأنهم على البراءة الأصلية وأن الداعي يستغل هذه الناحية فيسألهم عن أشياء يقصد معرفتها بدقة .

وتبالغ النصوص الاسماعيلية عندما تشير الى أن هؤلاء كانوا منصرفين عن تفهم وتبعية مغازي الداعي وانهم كانوا يأخذون الاسئلة على ظواهرها (173) ، مع أن مستوى اجاباتهم ، تدل قطعاً على نضج فكري ، وعلى ادراك وتقدير لواقع الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية في بلادهم وهم قد صرحوا بوجود متشيعين بينهم ولم يؤثر أن الداعيين قبله ، قد تسترا وراء التعليم للتأثير على الناس في خارج ارض افريقية كما لم يذهبوا أيضاً الى موسم الحج لاصطياد الانصار ثم هل من المسلم به أن يقبل هؤلاء الحجيج على أحاديث الداعي المستفيضة عن فضائل علي وآل البيت دون أن يخطر ببال أحد منهم أو يتخيّلوا أنه متشيع أو أنه يخفي هدفه الحقيقي الذي دعاه بدون شك ، لاصطناع أساليب خاصة لفرض نفسه عليهم دون دعوة سابقة وجهت اليه .

وتنوع أسئلته ، وتظاهره بأشياء أثناء الرحلة تتصل بالتقشف وحياة الزهد ثم رفض مبدأ الضيافة والامتناع من قبول الأموال التي جمعت لمساعدته ومن أخذ مؤون الطريق لما عرضت عليه ، كل ذلك الا يكفي في حد ذاته لالقاء ولو بذرة من الشك حول نوعية شخصيته وحول نوعية أهدافه في افريقية وفي بلد كتامة ؟ .

وقد لاحظنا أنه أحيط بجو من الشك والريبة ، من طرف بعض من رآه ممطياً بقلبه الشهباء كما عاش نفس الجو مع بعض معلمي الصبيان في بيئة كتامة ، لمجرد معاملة خاصة حظي بها من طرف أحد شيوخ القبيلة (174) .

فكيف لا يخطر على بال أحد من رجال الوفد المرافقين له أثناء هذه الرحلة الطويلة ؟ أن الرجل اسماعيلي ، ذو أهداف محددة وبعيدة المدى لا تمت بأية صلة الى التصوف ولا الى التعليم التقليدي .

كذلك يبدو أن موسم الحج ان كان فرصة للدعاة واصحاب المذاهب والنحل الباطنية مثله ، فإنه أيضاً خير مناسبة للتعارف ، وللإطلاع عما يجري في أرجاء العالم الاسلامي بما في ذلك بلاد اليمن ، التي جاء منها وفد

173 - نفسه ورقة 32 (66 ط . بيروت) .

174 - ابن عذاري : المصدر 1 ، 168 - 169 .

انضم اليه هذا الداعي . واليمن في هذه الفترة كانت منطقة اضطراب بسبب انقلاب الأوضاع السياسية فيها لصالح دعاة الاسماعيلية وهما منصور اليمن ورفيقه علي بن الفضل (175) . بينما انحسر نفوذ أهل السنة باخراج بني يعفر عن صنعاء وربما نال الزيدية من ذلك ما قلص نفوذهم أيضا (176) .

ودافع أحداث بلاد اليمن ، والصراع الذي عاشته وبقيت تعيشه لم تكن مجهولة عند وفد الحجيج اليمنيين ، الذين حضروا الموسم . ويمكن أن يساعد حضورهم على نشر ومعرفة أخبار بلاد اليمن ومنها نشاط دعاة الاسماعيلية فيها بين مجموع الحجيج لا سيما المغاربة الذين قيل عنهم انهم كانوا يجهلون كل شيء عن شخصية الداعي قبل أن يكشف عن بعض جوانبها بين أظهرهم وفي عمق بلادهم بقوله مرة « لست بمعلم للصبيان ، انما نحن انصار آل البيت وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة انكم انصارنا (177) ، وفي مرة أخرى خاطبهم بقوله « أنا صاحب البدر الذي ذكر لكم الحلواني وأبوسفيان » (178) .

ويبدو أن تفاصيل هذه القصة ، من وحي كتاب المناقب الاسماعيلية الذين يحلو لهم دائما أن ينسبوا لدعاتهم المكاسرين ، ما يدل على المهارة والحدق والقدرة على امتلاك مجامع القلوب والتلون والسيطرة على الأحداث والتزام التقية حتى اللحظة الحاسمة (179) ، وقد نقلها عنهم غيرهم من المؤرخين ، بصورتها أو بقليل من التحوير . والقصاص التي تتصل بشخصية الداعي ، قبل أن يستقر في قلعة ايكجان في كنف بني سكتان كثيرة ، ومن ذلك قصة مفارقتة لوفد كتامة عند القيروان التي دخلها ليتقصى الأحداث

175 - وقد دخل ابن حوشب ورفيقه الى اليمن منذ 268 هـ وتحصن في عدن بجوار بني موسى ، ومن حصن مسور بدأ التوسع ضد صنعاء عاصمة بني يعفر وغيرها من حواضر بلاد اليمن ، انظر النعمان : افتتاح ورفقات 12 - 15 ، (44 - 47 ط . بيروت) .

176 - يعود تاسيس الدولة الزيدية (عاصمتها صنعاء) على يد الهادي الى الحق يحيى بن الحسين الى سنة 284 هـ - 897 م اما قبل ذلك فكان الزيدية باليمن بدون كيان سياسي ونفوذ هذه الدولة كان قويا في المناطق الجبلية مثل صنعاء العاصمة وشهارة وحجة التي اعتصم فيها الامام أحمد بعد مقتل والده يحيى بن حميد الدين انظر ماضي : دولة اليمن الزيدية 15 - 34 (مقال) المجلة التاريخية مجلد 3 عدد 1 مايو 1950 - عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني : تاريخ اليمن 21 - 23 .

177 - ابن عذاري : 1 ، 170 .

178 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 57 .

179 - ابن ابيك النواداري : المصدر السابق 97 ، 114 .

ويعرف اخبارا عن اهم القبائل واكثرها عددا واصعبها مراسا ، وحين اتضح له ان كتامة هي التي تتوفر على هذه الصفات لحق بأرضها وبالشيخ الذي مال الى رايه وتأثر به رغما عن ميله السابق لآراء الاباضية حسب رواية ابن عذارى (180) .

وتوجد قصة أخرى مغايرة لها تدور حول سفره مباشرة ، مع وفد الحجيج عبر اقليم قسطلية الى أرض كتامة دون دخول القيروان حيث نزل سوق جمار في مجال سوماطة وأحلافها الذين رحبوا بقدومه كما رحب به بعض المتشيعين من انصار الحلواني وهم أبو القاسم الورفجومي ، وأبو عبد الله الأندلسي وأبو الفتش المعروف بأبي حيون الذي واجه الداعي بقوله « والله لاظنك صاحب البذر » وزرع بذرة الشك بين اصحابه ، عندما قال لهم « لولا واحدة كان يقولها الحلواني ما تخالجنى الشك في انه الذي بشر به من قبل » ، وهي انه كان يصفه دائما بقوله « في فيه أصبع » (181) وقد وقعت هذه الافتراضات من نفس الأندلسي موضع القبول لحذقه ومهارته وانشغاله بعلوم آل البيت ، منذ أخذ بالتشيع في أرض سوماطة وبقي يعلم الصبيان بين أظهرهم ومثله الورفجومي الذي استقر بجوارهم لتشييعه ولارتباط قبيلته بالحلف معهم وقد رافق الداعي الى كتامة دون أن تنكشف له الحقيقة عكس الأندلسي الذي أطلع على السر ، وأخذ العهد على الداعي ولازمه (182) منذ هذا الوقت . وكان كل ذلك يجري بمحضر وفد كتامة ، وبعض من استقبالهم من أبناء قبيلتهم قرب حدود المنطقة وقد فاق اغتباط هؤلاء وسرورهم باصطحاب هذا الرجل الى بلادهم كل حد اذ توسموا فيه خير البلادهم وقبائلهم (183) وبوصوله الى أرض كتامة تظهر قصة جديدة حول تنازع كتامة واختلاف قبائلها على من يختص بضيافته واقامته في امان واطمئنان ولما لم يصلوا الى رأي يرضاه جميعهم احتكموا اليه وخيروه في الموضع الذي يريده مقاما له فظهر هنا بمفاجأة فح الأختيار وانه الذي يريده مستقرا ومكانا « ثم تأتي كل قوم منكم في مواضعهم ونزورهم في بيوتهم ولا نجعل لاحد منكم

180 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 168 ، ونص عبارته « واقام بالقيروان يتعرف اخبار القبائل ، حتى صبح عنده ان ليس في قبائل المريقية اكثر عددا ولا اشد شوكة ، ولا اصعب مراما على السلطان من كتامة » .

181 - النعمان : المصدر السابق ورقة 33 وما بعدها (68 ط . بيروت) ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 66 والصيغة عندهما متشابهة ، الدواداري : المصدر السابق 113 وما بعدها .

182 - النعمان : المصدر السابق ورقة 35 (70 ط . بيروت) .

183 - نفسه : ورقة 36 - 37 (71 - 72 ط . بيروت)

في نفسي حفا دون أحد» (184) وبذلك انتهى الخلاف وواصل سيره مع موسى بن مكارمة (تكاد ؟) وحرث الجيمي لأنهما من بني سكتان الدين يضربون حول أيكجان وهنا نستنتج أن فج الأخيار كان مجاورا لقلعة أيكجان وهو في مجالات بني سكتان وقبيلة جيملة الكبرى ومن ثم فهو الذي يعرف كما أشرنا بفج الضباب . ويلاحظ أيضا أن الموضع الذي حصل فيه التنازع لم يكن بعيدا فيما يبدو عن مضارب جيملة ، وعن قلعة أيكجان نفسها وأنه الذي تفرق منه حجيج كتامة الى جهاتهم المختلفة وهذا فيما يبدو وهو الذي أستند عليه بعض الباحثين في القول بأن قلعة أيكجان كانت منذ القدم نقطة تجمع حجيج الأندلس وشمال المغرب (185) .

– وفي قلعة أيكجان وبين بني سكتان ظهر الداعي بمفاجأة أخرى للتأثير على مشاعر القوم ولتنبيه احساسهم الديني وأشعارهم بالأمر العظيم الذي يجد التأييد والنصرة عند أفضل الناس « ان للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان فانهم هم كتامة ولخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخيار (186) . وعندما بدأ هذا التصرف غربيا ومدهلا ولم يكن للمرافقين له عهد به ولا بدر منهم حديث اليه في هذا المعنى بدد حيرتهم وأزال دهشتهم بقوله « البلدان توصف للناس وتذكر لهم ، وان لم يروها (187) ويتضمن هذا القول اعترافا صريحا بأنه قد زود بمعلومات دقيقة من مراكز الدعوة الاسماعيلية ، سواء في سلمية أو في بلاد اليمن عن بعض مزايا البلاد التي يقصدها وهذه المعلومات مصدرها من غير شك الدعوة الأوائل وفي مقدمتهم الحلواني الذي أشاع بين سوماطة وكتامة قصة « صاحب البذر » وعلامته الخاصة ثم قصة ظهور المهدي أمام الزمان

184 – نفسه ورقة 36 – 37 (71 – 72 ط بيروت) النوري المصدر السابق 26 ورقة 25–26.

185 – حسن إبراهيم : المرجع 49 وهامشها ، ماجد : ظهور دولة الفاطميين 85 هامش 4 وعن بعض المراكز التي كان يتجمع فيها حجيج المغرب انظر اليعقوبي : البلدان 108 وهنا يشير الى أن حجيج السوس الأقصى وطنجة كانوا يتجمعون في بلد « ملحاص لغاتة» من مراكز علي بن أدريس العلوي ، وتوصف أيكجان Ikjan بقاعدة التشيع . Métropole du Chiisme. انظر : G. Marcais op, cit p. 133.

186 – ابن خلدون : العبر 4 ، 67 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 11 – 12 القرظي : المصدر 57 النعمان : المصدر السابق ورقة 37 (73 ط . بيروت) ابن عداري : المصدر 1 ، 170 وفيه قول آخر نصه « وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة انكم انصارنا والقيمون لدولتنا وان الله سيظهر بكم دينه ويعز بكم أهل البيت وأنه سيكون امام منهم انتم انصاره والباذلون مهجتمك دونه وان الله سيفتح بكم الدنيا كلها ويكون لكم اجرهم مضاعفا فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة » .

187 – النعمان : افتتاح ورقة 37 (73 ط . بيروت) .

والحلواني هو الذي أرسل عن طبائع السكان ومعالم بلادهم ، تقارير مفصلة وواضحة الى مراكز الدعوة وهي التي وضعت تحت تصرفه ، وجعلته يتظاهر بمعرفة البلاد وأهم معالمها البارزة ليشرعهم بأهميته وبقوة فراسته وربطه القصص بالواقع الصحيح

ومن أين لابن حوشب في اليمن وللإمام في سلمية أن يعلموا موت أبي سفيان ثم الحلواني بعده ، وأن المنطقة بقيت بدون دعاة وان يؤقتنا لإرسال أبي عبد الله خلفا لهما مباشرة ان لم تكن هناك اتصالات وتقارير عن طريق مبعوثين أو بواسطة قوافل الحج أو التجارة ؟

— وفي قلعة ايكجان نشط الداعي في حركة الدعوة أو التوجيه المعنوي ببسط علوم آل البيت وفضائل علي بن أبي طالب وذريته « فأقبل الناس اليه من كل ناحية » لما سمعوه عنه من حجيجهم . ولما اشتهر أمره وظهر الشقاق بين بني سكتان استترا لا عن خواصه ، ثم فارق ايكجان الى قلعة تازروت حيث ظهر من الاستتار (188) وبدأ يباشر العمل الحربي ضد حواضر كتامة وقيائلها المعادية .

ويعني هذا أن حياة الداعي في كتامة تقلبت بين الاستتار والظهور تقليدا للائمة في دوري الستر والظهور وتبعا للظروف الخاصة وحرزا على نفسه من المفاجأة غير السارة ولما يكن قد أعد نفسه وانصاره للمواجهة الحقيقية .

وبينما تميز دور الاستتار بالاعداد المادي والمعنوي في قلعة ايكجان وفي حماية بني سكتان (189) امتاز دور الظهور في قلعة تازروت (190) بالمواجهة الحقيقية للاعداء والمخالفين في كنف بني غسمان (191) .

188 - المقرئزي : اتعاف 1 ، 58 ابن الأثير : الكامل 8 ، 12 .

189 - نفسه : 1 ، 56 ابن الأثير 8 ، 11 .

190 - هذا هو الرسم الصحيح للاسم وهو الباقي الى اليوم وقد ورد في ابن خلدون والنعمان انظر ابن الأثير 8 - 12 ، وجاء فيه ناصرون ، والمقرئزي : اتعاف 11، 58 وفيه ناصروت (بالصاد) وهي تقرب من النطق الصحيح .

191 - وردت الكلمة في افتتاح الدعوة بصيغة تحتمل قرائتها : غسمان أو غسمان أو عثمان وفي ابن خلدون وفي ترجمة دول لأن له جاءت غسمان Ghosman وأهمل ذكرها كل من ابن الأثير وابن عذارى والمقرئزي وغيرهم أيضا ويبدو أن صيغة غسمان هي الأقرب الى الصواب نظرا لوجود بقايا باسم بني عثمان بقرب هذه القلعة ثم توجد قرية وادي العثمانية فيما بين جبل غروس وعين ملوك أي بالقرب من تازروت القديمة وبين كتامة الريف يوجد أيضا فرع بني عثمان ضمن مضارب صنهاجة في المغرب الأقصى .

كيف تغلب الداعي على قسوة الحياة وتغلب الاهواء في ايكجان ؟ وكيف واجه التحديات وتغلب على الصعوبات من طرف الأعداء والمنافقين في تازروت ؟

* * *

— تميزت إقامة الداعي في ايكجان لأول مرة بالهدوء التام الذي مكنه من الانصراف للدعوة ، لتنظيم شؤونها ونشرها في آفاق كتامة وكانت فرصة عظيمة بين أولئك الذين توافدوا عليه من سائر البلاد بقصد الاستطلاع والتمتع بأحاديثه الشيقة عن فضائل آل البيت والتعرف من قريب على ما يشاع حوله من زهد في ملذات الحياة وأقبال على العبادة والتفاني في أعمال البر ومن هذه الوفود من كان يؤدي واجب الزيارة للطاريء الجديد ثم ينصرف مفتبطا بما رآه وبما سمعه ، ومنها من كان يفضل البقاء بجواره بعد أن يؤخذ بشخصيته ويتأثر بدعوته . وهؤلاء وأولئك كانوا يجدون مقاما طيبا وكرما مستفيضا عند بني سكتان الذين صلح حالهم وعظمت قيمتهم في نظر سكان الجهة .

وكان للداعي ، مجلس خاص يجتمع فيه مع الوفود ويبحث فيه أسرار الدعوة وفضائل آل البيت (192) ، ويتلقى العهد عن المستجيبين وكان كل مستجيب يأخذ عن الداعي من الحقائق ما يكفيه للاقتناع بالدعوة دون بحث أسرارها فإذا طلب المزيد للكشف عن حقيقتها اكتفى الداعي بقوله له « أبلغ توغن » (193) وهو رمز غامض اختلقه لكي يحد به من الأكتار من توجيه الأسئلة اليه عن ماهية الدعوة . وكل مستجيب للدعوة هو أخ بين الإخوان وفي هذا التنظيم الأخوي « الأخية » كان هو الأخ الأكبر والخطاب بين الإخوان لا يكون إلا بكلمة (يا أخانا) كما أن التحية بينهم عند اللقاء تكون بالمعانقة . وصيغة هذا الخطاب وعادة المعانقة مازالتا شائعتين بين جمهور السكان في بلاد المغرب وحتى في المشرق .

وينفرد رجال الطرق الصوفية باعطاء المريدين لهم ، والمتأثرين بحركاتهم الصوفية لقب « الإخوان » حتى اليوم . أما غير المتشيعين وغير المتصلين بالداعي فكانوا يعرفون أنصاره بلقب المشاركة نسبة اليه (194) .

وكان الدعاة الذين يختارهم لسائر نواحي كتامة يلقبهم بالمشائخ أو المقدمين وهؤلاء كانوا عدته في نشر المذهب الإسماعيلي بين قبائل الأرياف

192 — النعمان : افتتاح ورقة 40 (73 ط . بيروت) .

193 — نفسه .

194 — نفسه : وانظر 87 أيضا (126 ط . بيروت) ابو الفداء : للمختصر 2 ، 69 .

وسكان المدن (195) . وكان نجاحهم عظيماً بين سكان النواحي البعيدة عن الحواضر ، وعن تأثير الرؤساء (196) وكان هؤلاء مع سكان الحواضر وعمال مدن كتامة من الذين تباطأوا في الاستجابة للدعوة خوفاً على امتيازاتهم الخاصة من جهة ، وانكاراً لهذه الحركة السرية من جهة أخرى (197) ، التي انضم إليها أوساط الناس وسفلة القوم ، ومن يبحثون عن المجد والجاه والثراء (198) .

ونظام الجزاء الذي اقره الداعي بالنسبة للمخالفين من انصاره كان متقناً يراعي واقع الحياة الاجتماعية في الجهة ومكانة المخالفين في الهيئة وطبيعة مخالفتهم . فالمقوبة القصوى وهي القتل كان يعهد بتنفيذها الى اقرب اقرباء المجرم مثل ابيه واخيه حذراً من حدوث نعرات قبلية ، ومن طلب الثأر ، أما ماخف من العقوبات فكان يتولى تنفيذها بنفسه ، أو يكلف بها غيره ، ولم ينس في هذه الناحية ، ماضيه كمحتسب ، في العراق ، فكان يتدرج في التعزير على قدر المخالفة ، وكان أميل الى الناحية المعنوية والأدبية من غيرها فيهجر المخالف وينبذه من حضور مجلسه ، ويمنع رجاله من مخالطته حتى يؤوب الى رشده ، وعندئذ يمتحنه امتحاناً صعباً قبل أن يرجع اليه اعتباره (199) . وشدته في هذه الناحية كانت ذات نتائج ايجابية فاحتاط الناس ، وتحروا الصدق والأمانة ، والتزموا بالوحدة المذهبية وبالاحترام المتبادل بينهم « وتركوا الاختلاف في المذاهب ، وصاروا على أمر واحد ، يتسمون اخواناً ، ويتواصلون سرا وعلاناً (200) . كما شاع جو الامن حتى في اماكن الخوف والخلاء ، واطمان التجار ، ونشطت الحركة الاقتصادية واتسعت العلاقات بين بني سكتان ، وسائر فروع كتامة ، الذين ارسلوا وفوداً يمثلها بعض شيوخ القبائل ، من الذين ادركوا أهمية احتضان الدعوة وجلب الداعي الى بلادهم ومن بين هذه الوفود :

195 - نفسه : ورقة 87 (127 ط . بيروت) وفيه (واطلق لكل موضع داعياً) .

196 - نفسه : ورقة 82 (ط . بيروت) .

197 - النعمان : افتتاح ورقة 41 (77 ط . بيروت) وفيه قولهم « لو كان هذا الامر فيه خير ما ستر وما هو الا خلاف دين الاسلام ، وما هذا الذي يتصنعون به الا رثاء يجرون به الناس » النويري : المصدر السابق ج 26 ورقة 26 وما بعدها .

198 - نفسه : ورقة 83 - 84 (122 ط . بيروت) .

199 - النعمان : افتتاح ورقة 85 (124 ط . بيروت) ومثل هذا الاسلوب يتخذه شيخ طائفة العزابة بالنسبة للمخالفين الاباضية حتى وقتنا .

200 - نفسه : 87 (125 - 126) .

(أ) وفد عن قبيلة مسالمة ، يرأسه هرون بن يونس ، الذي لقب فيما بعد شيخ المشائخ لظهوره بين زعماء القبيلة ، وقد انتدب لهمة اقناع الداعي للانتقال الى مضارب قبيلته . وما كان ليجرؤ على هذا التصرف ، لو لم يكن مفوضا من طرف الاغلبية ، ودلت الاحداث التالية على صدق رغبته وعلى عميق اخلاصه للدعوة الاسماعيلية ، وهو الذي بادر قبل غيره بمواجهة عبيد الله بالشك في نسبه وفي مهاديته ، وفي صلاحيته للامامة ، وغدا محورا للمؤامرة الكبرى ضده ، كما وقف ضد شق المعارضين للدعوة في قبيلته الذين كان يتزعمهم فتح بن يحيى (201) . والسرفى كل تصرفاته اخلاصه العميق للداعي ، وللدعوة التي ارتبطت به .

(ب) ثم وفد عن قبيلة عثمان ، يرأسه الحسن بن هرون الذي دعا الشيعي باسم قبيلته لكي ينتقل الى قلعة تازروت ، وقد عرف بأصالة الرأي وحسن الاخلاق والوعي الكامل بين اغلب افراد قبيلته ، لذلك كانوا يقدمونه على اخيه محمود بن يونس الذي كان يكبره وينافسه في زعامة القبيلة والتطورات التي حصلت في ايكجان ، وجعلت الداعي ينتقل الى مضارب قبيلة الحسن بن هرون ، تحمل دلالة قاطعة على أن دعوته للشيعي في بدء الامر كانت صادرة عن اقتناع تام واخلاص عميق للدعوة رغم كيد المعارضين له من بين قبيلته بتأثير حسد أخيه (202) .

(ج) ثم وفد اجانة ، وتزعمه ابو يوسف ماكنون بن ضبارة ، وابن أخيه الشاب ابو زاكي تمام بن معارك ، الذي اثار انتباه الداعي ، بسبب حيويته ونباهته وشواهد اخلاصه (حتى كان يخدمه بين يديه لا يفارقه) وقد تفرس فيه ، وتحققت فراسته فيما بعد حيث أصبح من اخلص رجاله ومن اركان المؤامرة التي استهدفت ابعاد المهدي عن الامامة وقد وقف هو وعمه ضد الاتجاه المعارض للدعوة الاسماعيلية

201 - ويلاحظ أن دور مسعود بن عيسى بن ملال المسالتي في احداث مسالة بقي غامضا مع أن ابن خلدون ذكره ضمن وفد حجيج كتامة الذين تالروا بالداعي وصحبوه الى المنطقة .

202 - النعمان : افتتاح ورقة 38 (73 - 74 ط . بيروت) ابن عذاري : البيان : 171 - 172 ويشير في مسحة من الفموض والاجمال الى حراع من اجل الدعوة بين اخوين ، ادى في نهاية الامر الى تأمر المستجيب للدعوة على أخيه ، وقتله وتقبل الغزاه فيه كما حمل جماعته بعد ذلك على الاستجابة للدعوة التي خارب في سبيلها سبعة أعوام فلما توفي اوصى ابا عبد الله بابنائه من بعده كما حث قومه على الالتزام بطاعته حتى يظهر امره : ويبدو أن هذه القصة تعني ما وقع بين الحسن ابن هارون وأخيه في تازروت .

في قبيلة اجانة الذي كان يتزعمه فرح بن حيران (203) رئيس اجانة .
وبلاحظ على حركة الوفود انها :

- كانت في عمومها ، اثر اشتهاز امر الداعي في ايكجان بالخير ، والحياة
الفاضلة المثالية .

- وتعتبر أيضا احدي النتائج الايجابية لحركة الدعاة المحليين الذين
انبثوا في سائر منطقة كتامة وكان دور المرأة الكتامية في حركة الدعوة بين
النساء وفي تهيئة جو الراحة للذين استقروا في ايكجان ثم في القيام بمهمة
صاحب البريد لربط الصلات بين الانصار ، وتسهيل مهمة الزوار ،
خاصة في اوقات الفتن الداخلية ، حيث يمنع على غير النساء المرور في
مجالات القبيلة كان هذا الدور ايجابيا (204) . ولدينا امثلة على ذلك ،
امراة يحيى بن يوسف المعروف بابن الاصم الاجاني ، التي تأثرت بزوجها
الذي أخذ عن الحلواني ، وجمع مالا لمساعدة صاحب البذر ، وأوصى
زوجته بعد وفاته ان تبلغ الامانة الى صاحبها عند ظهوره ، فنفذت الوصية
والتزمت بالدعوة الاسماعيلية وكانت تهيب (الطحين ، وتعالج الطعام)
للانصار وضعفاء القوم والنزلاء حتى « أدمت يداها » . (205) ثم أم موسى ،
بنت الحلواني التي قيل انها بلغت مرتبة الدعاة ، وغيرهما كثيرات من نساء
وعجائز كتامة اللاتي كن يربين أبنائهن على طاعة الداعي وحب المهدي
وانتعلق بآل البيت كما كن يدفعن أزواجهن الى التضحية في سبيل انجاح
الدعوة ورضا الداعي حتى قيل أنهن كن فيما بعد يحلفن باسم المهدي
ويستنجدن به في الازمات . وفي كتاب المجانس والمسائرات قصص كثيرة
عن شواهد اخلاص نساء كتامة للائمة الفاطميين (206) .

- وكانت حركة الوفود لا تعبر غالبا عن الاجماع التام من طرف كل
قبيلة وانما كانت برهانا قويا على ظهور الاتجاه وسيطرة رجاله على غيرهم
ضمن القبيلة ، وقد لاحظنا أن مجموعات من بين هذه القبائل التي أرسلت

203 - نفسه : انظر 57 منه (94 ط . بيروت) التويري : المصدر السابق 26 ورقة 26 .

204 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 168 وفيه قوله « فصرفوه (الداعي) مع امراة
تدله على الطريق لان الحرب كانت بينهم وبين بني عمهم » .

205 - النعمان : افتتاح ورقة 91 - 92 (132 - 133) ط . بيروت) .

206 - النعمان : المجالس والمسائرات 1 ، 150 وما بعدها وفيه قوله (ولقد كانت
وصاياهم وكتبهم تاتينا يامرنا بالصبر مع ولي الله والا نعطي لكانكم الدنيا لاعداء الله
انظر افتتاح الدعوة 89 - 90 ، (131 ط . بيروت) وفيه « لم تكن أمة من الامم
ولا اهل قرن ، ولا قرون على مثل ما كانوا عليه ، وهم في ذلك على منازل بحسب
نياتهم واجتهاد رجالهم ونسائهم انظر عن بعض نماذج من الرجال الذين ضحوا
بكل ما يملكون لفائدة الدعوة ، 91 منه (132 ط . بيروت) .

وفودها الى ايكجان ، بقيت معارضة للاتجاه الجديد ، بل قاومتها بنفسها ثم وقفت الى جانب من قاومه من عمال المدن الكتامية ، وقادة الجيوش الاغلبية . وعندما لم توفق ، هاجر جميعها خارج ارض كتامة حيث توزعوا في الافاق المغربية ومن ثم لاحظنا انهم في مهجرهم الجديد احتفظوا بتقاليدهم السنية وبمذهبهم المالكي . وكانت عوامل المنافسة على الرئاسة والعصبية القبلية والخوف من ضياع الامتيازات الى جانب طابع السرية في النحلة الجديدة ومخالفتها للدين وللتقاليد السنية والمالكية خاصة وراء استمرار حركة المعارضة وقوتها ، فقد كره بعض القادة ان ينضموا الى الحركة بعد ان سبقهم غيرهم اليها . وامتنعت بعض القبائل من الاخذ بها كراهية في ان تصبح تابعة للقبائل التي اكتسبت ميزة السبق ، وعارضها شق من قبيلة ما ، بسبب انضمام الشق المنافس له في زعامة القبيلة ، وهنا نشير الى ان التناقض لم يقتصر على الابعاد بل ظهر بين الاقارب والاخوة بحيث فرقت الحركة الاسماعيلية بينهم ومهدت بلادهم لفتن عامة وثورات داخلية وتصفيات جانبية يقف فيها الاخ ضد اخيه والاب ضد ابنه والقريب ضد قريبه .

— ولم تأخذ حركة الوفود الصبغة العامة ، بحيث تنطلق من سائر ارجاء كتامة وتمثل مختلف قبائلها وانما اقتصر على اقلية منها ، تمثلها اغلب اجانة وعثمان ومسالمة وجيملة بينما بقيت فروع متوسة ، ولطانة وملوزة ولهيصة ولوزة ، واقلية اخرى من جيملة واجانة ومسالمة خارج اطار الحركة الجديدة ولهذه وزنها ولزعمائها نفوذهم ومن ثم أصبحت هذه القبائل المعارضة مبعث القلق والبلبلة في المنطقة ومصدر الكيد للحركة وللتآمر على حياة الداعي وهو بين بني سكتان ، في قلعة ايكجان . (207)

— وتمثلت حركة المعارضة ، في بدء الامر في القيام بحملة اشاعة مركزية ضد الداعي وضد انصاره من بني سكتان ، وضد الحركة الاسماعيلية عموما ثم تحولت الى الضغط على بني سكتان لتسليمه ، او لتنظيم مجلس للمناظرة فيما يدعيه ، وانتهت بنجاح المتآمرين في التأثير على بيان بن صقلاب شيخ بني سكتان الذي اقنع قبيلته باخراجه من ايكجان .

ولقد اشترك في الحملة ضد الحركة ، كل المحافظين على تقاليدهم القبلية ومذهبهم السني ، وانضم اليهم الذين تضرروا من الاجراءات

207 — وبلاحظ ان زعيم بني سكتان بيان ابن صقلاب بقي حتى هذا الوقت متحفظا من الحركة ولم ينضم اليها وفموض موقفه هو الذي شجع حركة المعارضة على العمل لطرد الداعي وتشتيت انصاره ، انظر : النعمان : افتتاح للدعوة ورقة 58 95 ط . بيروت) اما زعماء المعارضة فهم : الامر فتح بن يحيى (مسالمة) ومهدي بن كيناوه (لهيصة) وفرح بن جبران (اجانة) وتميم بن فحل (لطانة) وزيادة (متوسة) .

الصارمة التي سنها الداعي بينهم ، وكانت نقطة الضعف في الحركة سريتها وغموض أهداف صاحبها « ولو كان هذا الامر فيه خير ما ستر وما هو الا خلاف دين الاسلام » وكثر المرجفون واشتد النقاش واحتد النزاع لدرجة ان اصداء ذلك بلغت ميلة، وغيرهامن حواضر كتامة . فأرسل موسى بن العباس عامل ميلة يطلب تسليمه اليه لينظره علماء المنطقة في حقيقة ما يدعو اليه ، وعندما رفض بنو سكتان طلبه ، بحجة انه ضيف مستجير ويخشون ان تلحقهم المعرة بين القبائل ان لحقه مكروه ، اندرهم بحملة انتقامية قد يقودها ابراهيم بن أحمد ضد منطقتهم ، ان سمع اخبار هذا الرجل . وبدأ يهيئ لاثارة فتنة داخلية بين فروع جيملة وغيرها ، غير انه فشل في مشروعه الجديد لدافع العصبية وكراهية فروع القبيلة الحرب الداخلية فيما بينها او مع غيرها « انقوا ان يكونوا له يدا على اهل بيوتاتهم مع غيرهم » (208) . وكانت غاية امله ان يظفر بالداعي ليخمد حركته ، ويبدد شمل أنصاره لا كراهية في الحركة وفي أنصارها وانما خشية على مصيره فيما لو سمع ابراهيم بن أحمد عن حقيقته واتى لاجراجه من المنطقة حيث تكون فرصة له لتأكيد نفوذه فيها بعزل ولاية الاستيلاء المتطرفين عن مركز الدولة (209) ، ولقد اتضح ذلك من خلال الرد الغامض المزيف الذي صافه عامل ميلة اجابة على استفسارات صاحب السيادة على المنطقة (210) .

— ولم يبق بعد فشل عامل ميلة ، غير فرصة واحدة تتمثل في مدى التأثير على بيان بن صقلاب ، لتحويل وجهة قبيلته ، وهذا الرجل وان بقي على عقيدته القديمة ، ولم يجاهر بني قومه بالعداء بسبب أخذهم بناصر الحركة الاسماعيلية لدافع العصبية ، فانه بقي نقطة الضعف او الثغرة الوحيدة في تكامل موقف بني سكتان ازاء المعارضين الذين تحاشوا الحرب باعتبارها عامل قوة للداعي ولانصاره ، واختاروا عوضا عنها استخدام السياسة واسلوب الاغراء ليؤثروا على زعيم القبيلة « فان اجابنا افترق امر بني سكتان وامكننا فيه ما نريده » (211) .

208 - النعمان : افتتاح ورقة 41 (77 - 78 ط . بيروت) .

209 - ومنهم : علي بن عسلوجه التميمي عامل سطيف وحي بن تميم عامل بلزمة وكان الجميع متفقين على ضرورة ابعاد ابراهيم بن أحمد عن المنطقة خيفة منه .

210 - نفسه : ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 12 ونصه « بانه رجل زاهد متكشف خير » .

211 - النعمان : افتتاح ورقة 58 (95 ط . بيروت) النويري : المصدر السابق 26 ورقة 26 - 27 وفيه عن بيان بن صقلاب قوله : « ولم يكن له يومئذ دخل في امر الشيعي » .

وكانت خطتهم أن يثيروا نخوة بيان بن صقلاب ، ويعدوه لرئاسة قبائل كتامة كلها ، ويشرحوا له ما سوف يحقق بيبي سكتان ، وبالمنطقة كلها من نذر الشر والفتن الأهلية ، ومن احتمالات التدخل الخارجي « فانه ان تمادى أمرهم على كونه عندهم ، لم يدعهم الناس ، ولا تؤمن حركة السلطان اليهم » (212) ، وكان هدفهم أن يصبح طريدا ، فيقتل أثناء خروجه من حماية بني سكتان وتنتهي حركته السرية ، غير أن بيانا بن صقلاب الذي لم يخل موقفه من النبل ، ومن احترام تقاليد القبيلة في حماية الضيف والمستجير برفضه مبدأ طرده من القبيلة أو تسليمه على أساس « ان في اخراجنا آياه ، وطرودنا له نقصا علينا » (213) ، اقترح على القوم عقد مجلس لمناظرته فيما يدعيه « فان كان محقا فما اولانا بنصرته واتباعه وأن كان مبطلا اقتضح أمره بين أتباعه فيرجعون ويمكننا حينئذ اخراجه » (214) . ومع رفضهم لمبدأ اشتراك علمائهم البسطاء (215) في مناظرة مع الداعي، الذي أوتي علما، ودهاء وفصاحة، ووضوح بيان (216) فانهم عزموا على التستر وراءها لقتل الداعي عندما يخرج للمناظرة ، ويلاحظ أن الداعي في غمرة هذه الأحداث اختفى ، وفرض على نفسه الستر ، وانتقل الى حيث لا يعرف مكانه غير خواصه الذين لازموه خوفا على حياته واستمر في حياة الستر ، حتى بعد ان سمع فشل المعارضين وانسحابهم منهزمين بسبب اجتماع فروع قبيلة جميلة كلها ضدهم ، بفضل بيان بن صقلاب وموقفه الحازم ، لأن الداعي يقن أن أسلوب الاغراء والمساومة سوف لا ينتهي عند هذا الحد ، وقد كان محقا في اعتقاده لأن القوم وقد افتضحت أساليبهم وتظاهروا بالندم والقوا مسؤولية ما حصل على عناصر متطرفة من غيرهم (217) .

استمروا في الضغط على بيان بن صقلاب ، انما على أساس انه المنقذ الوحيد لحلف كتامة من شر هذه الحركة السرية ، التي « عادي من أجلها ، الاخ اخاه والابن أباه والقريب قريبه وكمر من صار اليه ، من تخلف

212 - نفسه : ورقة 58 .

213 - ورقة 59 (96 ط . بيروت) .

214 - نفسه .

215 - نفسه : 61 (98 ط . بيروت) وفيه « وعلمائنا بربر ، وقسوم ليست لهم تلك الأذهان وان ناظروه ظهر عليهم ولم يجدوا حجة يحتجون بها عليه ، وكان ذلك زيادة في فتنته وتقوية أمره » .

216 - ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 11 المقرئ : اتعاط 1 ، 58 ابن عداري : المصدر السابق 1 ، 167 .

217 - النعمان : المصدر السابق ورقة 60 (98 ط . بيروت) .

عنه « (218) وبقوا يضربون على وتر العاطفة ويبرهنون على صدق نياتهم ، حتى وافق على التدخل عند بني قومه ليخرجوه من ايكجان (219) ، وفي هذه الفترة العصبية من حياة الدعوة تعرض الداعي لأول امتحان شاق وبدا فيه كأن الحركة الكبرى قد آذنت بانزوال وعقد الانصار والحلفاء قد انفرط ، لكن الداعي بقي رابط الجاش ولم يستجب لغير نداء العقل ولنصيحة ذويه وذلك بأن يترك مركز الفتنة الى حيث يتوفر الامن في تازروت ، استجابة لدعوة كريمة وجهت من قبل اليه من شهم كريم ، هو الحسن بن هارون « لأن كونه عنده ، أعز للدين وأمنع له وللمؤمنين » (220) .

— وقد انتقل الداعي الى تازروت واتخذ عثمان وأحلافها أنصارا وأعوانا وصحبه في هذه النقلة كثير من أصحابه وغدت ايكجان لأول مرة خالية من عناصر القوة والمجد لا يقصدها أحد من أرجاء كتامة الذين تحولوا في هذه الفترة عنها ، الى المركز الجديد في تازروت ، الذي فاقت أهميته مركز ايكجان ، وأصبح الحسن بن هارون بفضل ايوانه للداعي ، من أشهر زعماء كتامة ، كما حظيت قبيلته بشرف عظيم . هذا بينما تأثر مركز بني سكتان ولاحت شارات الندم ، على زعيمهم بيان الذي اعتبر نفسه ، مسؤولا على هذا التطور الجديد ، ولم يجد أمام تدمير رجاله وغضبهم مفرا من مراجعة موقفه من الحركة ومن أنصارها فأعلن تأييده لها . ويبدو انه وعد بأن يعمل على التمهيد ، لارجاع الاوضاع في ايكجان الى سالف عهدتها (221) .

ونلاحظ أن النصوص ، لم تشر الى موقف كل من حريث وموسى بن مكارمة اللذين صحبا الداعي من مكة . كما أن مصيرهما بقي غامضا وأخبارهما منعدمة سواء بعد استقرار الداعي في ايكجان ، أو بعد انتقاله عنها الى تازروت ، ولعل ذلك يفهم منه اما ثانوية دورهما في حياة القبيلة ، أو موتهما المبكر ، قبل أن تظهر هذه التطورات ، ومن المرجح أن احتفاظ بني سكتان بولائهم للدعوة وللداعي واصرارهم على أن يستمر بينهم رغم معارضة بيان — قد تعزى فيما يبدو الى جهودهما ، أو الى أنصارهما من بعدهما ، غير أن النصوص أغفلت الحديث عنهما ، ربما لكبر سنهما ، وتضاؤل

218 — النعمان : المصدر السابق 60 (98 ط . بيروت) .

219 — وما قالوه له « فترى انا نحن وآباؤنا ، واهل المشرق والمغرب والناس كافة على ضلال ، وهذا وحده بين الناس كلهم على هدى وحق سيما وان امره مكتوم والذي يدعو اليه غير معلوم ولو كان حقا وصوابا لآظهره وما كتبه » انظر افتتاح الدعوة ورقة 61 (98 ط . بيروت) .

220 — نفسه 62 (100 ط . بيروت) النوري : المصدر السابق 26 ورقة 27 .

221 — نفسه 63 (101 ط . بيروت) حيث يشير الى ندم بيان وانضمامه الى الدعوة وحماية أنصارها .

دورها في الحياة العامة للقبيلة لحساب الزعامة الجديدة ، التي كان يمثلها بيان بن صقلاب وأبو جعفر أحمد بن سلمان وأطرابهما (222) .

— وقد تميزت إقامة الداعي في تازروت بعدة مميزات يهمننا منها :

(أ) انه أصبح ضيف شرف على زعيم القبيلة الحسن بن هارون الذي خصه بمكانة لا تفتأ وأسكنه بيته وبقي يهون عليه مصاعب الحياة وأثر النقلة الى البيئة الجديدة .

(ب) ولقي أنصاره ولذين صحبوه الى تازروت من قبيلة عثمان مساعدة جملة واكراما لا حد له ، تأنيسا لهم ، من الوحشة وتخفيفا عنهم من مشقات هذه النقلة المفاجئة .

(ج) وكان تصرف قبائل تازروت تجاه الوفود (223) التي تأتي للسمع وللانضمام الى الحركة تصرفا حسنا بطبيعته لرغبتهم في أن تصبح بلادهم مركز جذب ومناط اهتمام غيرهم من جهة ، ولكي يشعروا الداعي ، وأنصاره بأن انتقالهم الى تازروت ، لن يؤثر على حركتهم سلبا ، بل يزيد قوة وانتشارا ويمنحها أبعادا جديدة ، وفي نفس الوقت لن يقضي على صلاتها التاريخية بقلعة ايكجان التي بقي فيها جمع كثير من « الانصار » .

(د) وأثناء حركة الوفود ، كان كثير من المتشيعين يفضل البقاء الى جوار الداعي وفي حماية قبائل المنطقة ، وبطول المدة أصبحت مدينة عامرة بالانصار زاخرة بالخيرات ، تمتلئ بالحركة وبالنشاط ولها علاقات واسعة مع بقية أرجاء البلاد .

(هـ) وقد كفل موقع تازروت غير المنعزل — للداعي ميزة القرب من حواضر كتامة مثل ميللة ، وحصن سطيف ، ومن مضارب قبائل هذه الناحية وهي مسالمة ولوزة ولهيصة وملوسة ولطانة التي كانت أصداء حادث الانتقال من ايكجان الى تازروت ، قوية عندها وفي سائر قبائل كتامة الاخرى فمنهم من اغتبط بالتطور الجديد ، وهم قبائل عثمان وأحلافهما ، ومنهم من تألم لوقوعه وهؤلاء بنو سكتان ومنهم من توجس خيفة من احتمالات المستقبل المجهول وهؤلاء هم أغلب زعماء المنطقة وشيوخ قبائلها ، فير أن الذين تصوروا أنهم أساؤوا الى الحركة الجديدة بتدبير حادث الطرد الذي تصفه المصادر الاسماعيلية

222 — النعمان الفتاح : ورقة 98 (140 ط . بيروت) .

223 — نفسه : ورقة 63 (101 ط . بيروت) وفيه قوله (فتسارب اليه الناس وظهر امره وهو جانبه) .

بأنه « هجرة مؤقتة » سرعان ما اتضح لهم خطأ رأيهم وسوء تقديرهم بحيث ساعدوا الحركة ، على الانتشار وعلى اكتساب مزيد من الانصار واكسبوها قوة وزودوا داعيتها بتجارب مفيدة وكفلوا له التمتع بميزات الموقع الجديد .

و) وقد كان الداعي في ايكجان ، شبه المحاصر في مركز قصي يعيش حياة الستر ، في أغلب الاحيان ، أما في تازروت ، فقد لزم الظهور وأصبح في قلب أرض كتامة وبين قبيلة عتيبة وقفت تدافع عنه ، وعن الشرف الذي حازته .

ز) وادراكا للتحويلات الجديدة ، وللمبالغة في ارضاء عثمان وتشريفها أعلنت تازروت دار هجرة فعدت بذلك ضمن قلاع ودور هجرة الاسماعينية في المشرق وفي المغرب .

ح) واقتضى الوضع الجديد مزيدا من التنظيم والاعداد للمواجهة الحقيقية مع المعارضين الذين صح عزمهم على الاستمرار في ملاحقته ، ولذلك تشير النصوص (224) الى عدة اجراءات يهمنها منها : أن الداعي تمركز بأنصاره في تازروت (225) ، وقد اتخذ لها سورا وبنى فيها مقرا دائما له (226) وهو الذي احاطه بخندق عند بدء الحرب مع المعارضين ، كما ابنتى انصاره دورا مستقلة اتخذوها لهم ولاسرههم . وأعظم تدبير سنه الداعي هو تنظيم القبائل المؤيدة له في مضاربها حيث قسمها الى سبعة اقسام تبركا بالعدد واشارة الى عقيدة الاسماعيلية أو السبعية ورتب لكل سبع منها جيشا متطوعا له قيادته المستقلة (227) ، وهو الذي يتولى مهمة الدفاع الذاتي عن المنطقة الخاصة بفروعه ، ولا يرتبط بغير اوامر الداعي . وهذا التدبير لا يعني فقط التربية العسكرية ومواجهة الموقف الخطير

224 - النعمان : الفتاح ورقة 71 (17 ط . بيروت) .

225 - واطلان تازروت دار هجرة تم على حساب قلعة ايكجان وكان ضربة موجبة لبني سكتان ولييان بن صقلاب الذي انحنى امام المعارضين ، وحركة بارعة قصد بها الشيعة اعطاء الحصن الجديد أهمية خاصة ليصير مركز تجمع وانطلاق انصاره في حماية الحسن بن هارون وقبيلته الذين ارضى كبرياؤهم فاصبحوا يعتبرون الدعوة حركتهم القومية .

226 - النوري : المصدر السابق 26 ورقة 29 .

227 - النعمان : المصدر السابق ورقة 87 (127 ط . بيروت) .

وحصر المسؤولية انما يعني ايضا ان مبدأ التجنيد الاجباري العام قد اصبح ساريا ومطبقا على سائر انصاره (228) .

والذي يلاحظ ان مسحة من الفموض تكتنف ماهية هذا التقسيم واسماء قبائل كل قسم والحدود المميزة له ، وهل اضطر اليه الداعي في تازروت او بدأ تطبيقه في ايكجان ؟ وهل استمر هذا التدبير ؟ او زال بقيام الدولة . ويبدو ان مميزات هذا التدبير تناسب ظروف الدعوة لحركة ما في أي مركز من مراكزها انما كان أساسه في ايكجان وطور في تازروت بسبب الظروف الخاص واستقر بعد ذلك ، عندما رجع الداعي الى ايكجان لآخر مرة (229)، وبقيت روح التنظيم مستمرة حتى بعد قيام الدولة لاقتناع الداعي بأهميته . وآية ذلك ما ادعاه في حضرة عبيد الله من معرفته النامة بأخلاق كرامة وسياستها وقيادتها كي يترك شؤونها اليه ، وما نتج عن مصرعه فيما بعد من انتفاضات وحركات احتجاجية في المنطقة ، يعود بدون شك الى هذا التنظيم الذي ارتبط به داعيا وقائدا وحيدا .

— ولقد برهنت الاحداث التالية على صدق فراسة الداعي ، وعلى صواب ما قام به من أعمال وتنظيمات أولية في تازروت ، أقل ما توصف به انها صيرته في مركز قوي تجاه المعارضين .

وان الذين كانوا سبب محنته وهو في بني سكتان ، كرهوا ان يروه الآن وقد عز جانبه وكثر أنصاره ، واتسع نفوذه ، في تازروت التي غدت دار هجرة وحصنا حصينا ، ومعقلا منيعا وحاضرة، ومستودعا للمؤن ، والعتاد، ولخيرة الانصار ، ولذلك نقلوا نشاطهم التخريبي ضده ، الى قلب قبيلة عثمان (230) .

ولعرفتهم السابقة ، بما بين الاخوين الحسن ، ومحمود ابني هارون من خلاف وصراع على الزعامة في اطار القبيلة التي كان يتولاها محمود لكبر سنه — ثم أنصرف الناس عنه ، وآلت مشورتهم وتديبرهم الى أخيه

228 — ابن عدي : المصدر السابق 1 ، 172 ونص ما قاله « فصر لهم ديوانا والزمهم العسكرية » وقد طبق اجراء مشابه له على بني موسى في منطقة عدن لاعة (ابن) باليمن انظر النعمان : افتتاح ورقة 12 — 13 الباهي السعودي الخلاصة النقية 28 .

229 — نفسه : 1، 186 حيث يقول « وكان حشده بغير ديوان ، انما كان يكتب الى رؤساء القبائل فيحشدون من يليهم طاعة له ورفعة فيه » .

330 — النعمان : المصدر السابق ورقة 64 (102 وما بعدها ط . بيروت) الثوري : المصدر السابق 26 ورقة 27 — 28 .

الحسن لنباهته وشهرته بسبب تأييده للدعوة (231) - استغلوا هذه الثغرة للتأثير على محمود ، لكي يعمل على طرد الداعي أو قتله ويمسك بزمام الرئاسة لا في إطار عثمان فقط ، وإنما على مستوى قبائل كتامة كلها ، باعتباره منقذاً جديداً لها من الفتن الداخلية ومن الحركات الهدامة .

وأثناء الاجتماع بين محمود ومهدي بن كناوة رئيس قبيلة لهيصة وصديقه القديم ، ولسان المعارضين إليه . اقترح الأول فكرة اللجوء الى عقد مناظرة بين الداعي وعلماء الجهة ، بسبب صعوبة تنفيذ مشروع طرده أو قتله لأسباب منها :

- تبني الحسن بن هارون لقضيته .

- وكثرة أنصاره في المنطقة عكس ما كان عليه وضعه في ايكجان غداة التآمر عليه ، وإخلاص معظم قبيلة عثمان له ، وللدعوة ووقوفهم الى جانب الحسن بن هارون للدفاع عن مكاسب المنطقة سوف يؤدي الى حرب أهلية قد تفنى بسببها قبيلة عثمان أو تتفرق الى عشائر متنافرة متحاربة (232) .

ومع رفض رئيس لهيصة وحلفائه لمبدأ عقد المناظرة مثلما رفضوه من قبل حاولوا أن يستغلوه أيضاً مثلما استغلوه سابقاً وكان عزمهم أن ينجحوا هذه المرة فيما سبق أن فشلوا فيه قديماً رغم الظروف المناسبة .

وتحرك الداعي في هذه الفترة العصبية ، وآراؤه هي التي نجحت في معرفة نوايا المتآمرين ، وفي ضمان ولاء محمود للحركة بعد أن عرضت رئاسة القبيلة عليه - ثم في التخلص منه وفي الانتقام من المعارضين الذين أثروا عليه وقادوا جموعهم للإيقاع بالداعي وتشتيت شمل أنصاره (233) .

231 - نفسه ورقة 63 (101 - 102 ط . بيروت) ولا كان الحسن قد عرف تحول أخيه عنه وفيرته منه فقد حاول أن يبقى على وده ويظهر البر به وتعظيمه « خوفاً من أن يفرق جماعة عثمان أو يدخل فيما بينهما بالشتان » .

232 - النعمان : افتتاح ورقة 65 (102 - 103 ط . بيروت) ومما قاله له « ومتى دعوت من يطعنني من عثمان الى أخذه صرنا فرقتين وكانت كلتا الدائرتين فينا ، واهلك بعضنا بعضاً » .

233 - نفسه : ورقة 66 - 67 وقد قتل محمود في هذه الفترة بعد أن جرح في المعركة (105 - 106 ط . بيروت) فسر الداعي وأخوه بموته لدوره في التآمر وخلصت الرئاسة للحسن بن هارون لكن بدا للداعي أن يستغل موته في إخضاع لهيصة بدافع الأخذ بالنار .

ولم يتفطن هؤلاء الى انهم قد أوقعوا بأنفسهم ووضعوا حدا لنفوذهم
ولامالهم في المنطقة وقدموا للداعي ولانصاره فرصة اشتعال الحرب
القبلية ليتمكن في غمرتها من السيطرة على قبائلهم واحدة اثر الأخرى (234).

وقد اجتازت الحركة في تازروت هذه الأزمة بنجاح وصفا الجو للحسن
بن هارون بعد موت أخيه . وغدا رئيسا على الجيش وعلما مفردا بين عثمان
وسائر كتامة يتمتع بحق الاشراف على سائر أنصار الحركة الجديدة
(235) أما عثمان فقد صح عزمهم على طلب الثأر و « صاروا البيا واحدا » .

وقد أصبحت لهيصة بسبب علاقتها بالمتأمرين ، ودور رئيسها مهدي
بن كناوة في تهيئة الهجوم على مضارب عثمان هي هدف رجال الحركة
الاسماعيلية ، الذين تمكنوا بقيادة الحسن بن هارون من هزيمة لهيصة
وتشتيت شمل رجالها ومن بينهم رئيسها الذي أبدى دفاعا حارا أثناء
المعركة (236) وقتل بعد انجلائها في ظروف خاصة على يدي أخيه أبي
مديني ، الذي انضم الى الحركة واستقر في تازروت (237) .

وعندما ساء وضع لهيصة قبلت الصلح وأخذت بالدعوة الاسماعيلية
(238) وأصبحت مع عثمان حلفا واحدا وقوة استغلت فيما بعد لاختراع
مزانة (239) وبعض فروع كتامة التي عارضت الدعوة الاسماعيلية
وساندت الاحلاف في خطتهم الجديدة نحوها .

234 - نفسه : ومن وصايا الداعي لأصحابه « اركبوا معهم وان قدرتم على ان تلقوا
الحرب فافعلوا » .

235 - النعمان : افتتاح ورقة 68 (106 - 107 ط . بيروت) وفيه قوله « ولاء ابو عبيدالله
اغنة الخيل وقوده على جميع المؤمنين » النويري 26 ورقة 28 .

236 - نفسه : النويري 26 ورقة 28 وفيه « اجتمعت عصمان البيا واحدا وصحت الرئاسة
للحسن بن هارون » .

237 - نفسه : 69/ (106 ط.بيروت) ابن خلدون : المصنوع 3 ، 68 وقارن رواية ابن
عذارى عن صراع الأخوين من أجل الداعي 1 ، 171 - 172 .

238 - نفسه ورقة 70 (108 ط بيروت) .

239 - كان لرئيس مزانة - يوسف الفطاشي علاقة مع ابراهيم بن احمد الذي غمره
بالهدايا ومنحه جارية حسناء ابقاء على وده وضمانا لولاء قبيلته بجوار بلزمة
ولرابطة الحلف والجوار بقيت مزانه على معاداتها للحركة تأييدا للمعارضين ولذلك
كان اخضاعها أولى ثمرات الحلف الجديد وقد امر بعض رجالها ونسائها ومن بينهن
جارية الفطاشي التي تخلى عنها واختفى في مضمورة وهي التي أصبحت أم ولد
الداعي الوحيدة ، انظر النعمان افتتاح : 71 (108 - 109 ط . بيروت) النويري
ج 26 ورقة 28 .

- وتضمنت هذه الخطة اشتراك جميع المعارضين للدعوة ، من سائر انحاء كتامة في فرض الحصار العسكري والاقتصادي على قبائل تازروت حتى تستسلم وتسلم الداعي للقتل أو تقع ابادتهم جميعا .

- ورأى زعماء المعارضين أن خير وسيلة للثبات والنجاح في هذه الخطة أن يستصحب المحاربون معهم نساءهم واولادهم واثقالهم ليستमितوا في الدفاع عن شرفهم واموالهم .

- كما أن حصار تازروت يجب أن يكون حسب تدبير خاص وتشارك فيه جميع الاحلاف وبأخذ كل قسم منها جانبا من المدينة للتضييق عليها منه حتى تستسلم وتدعن عثمان واحلافها لرغبتهم وتبعا لذلك حوصرت المدينة من أربع جهات على عدد الكتل التي اشتملت عليها حركة المعارضة وهي كتلة قبائل سطيف وكتلة قبائل ميلة ثم كتامة الحواضر ، وأخيرا مزانة من الاحلاف .

وكان موقف الداعي من هذه الحركة الخطيرة تنظيم خطوط دفاعه وتحصين المدينة واستنفار جميع أنصاره في سائر الانحاء للمجيء الى تازروت كما اتخذ احتياطات أخرى (حيث برز بمن معه عن تازروت ، وعسكر بناحية منها وحنق على نفسه) ، وفي نفس الوقت الذي رفض فيه الاستتار استجابة لرغبة الدعاة والمشايخ احكم نسج خطة سياسية ، كان هدفها تخذيل الاحلاف باشاعة الرغبة في السلم والموادعة في اطار الحرية المذهبية والشخصية وقد اعتمد في تنفيذه لهذه الخطة على اكفأ رجاله ، سهل بن بركاس ، الذي كانت له علاقة خلطة وصهارة ، مع أبي تميم فحل بن نوح اللطاني ، الذي كان ضمن عسكر ميلة المجاورين لارياض مدينة تازروت .

وإذا كان الاتصال بين الرجلين لم يسفر عن نتيجة ايجابية بسبب رفض بقية الزعماء لفكرة السلم ، باعتبارها خدعة حرب فان مبادرة الداعي ببدء الهجوم العام بكامل قوته ضد كل فريق على حدة ، كانت مفاجأة مذهلة زعزت فريق ميلة والحواضر ، ثم فريق سطيف ثم مزانة (240) ، وضمنت النصر النهائي للحركة الاسماعيلية ضد أخطر مؤامرة داخلية حيكت لتصفيتها ، وانفرط عقد الاحلاف والتجاؤ زعمائهم اما الى ميلة او الى سطيف ومن بين من التجأ الى المدينة الاخيرة فتح بن يحيى المسالتي الذي اراد أن يجرب حظّه مع قبيلتي عجيسة ، وزواوة للاخذ بثأر الهزيمة ،

240 - النعمان : افتتاح 71 وما بعدها (109 وما بعدها ط . بيروت) ابن خلدون : المصدر 4 ، 68 النوري : المصدر السابق ج 26 ورقة 28 - 29 .

غير أن فريقا من أنصار الدعوة ، ضيقوا عليه حتى انهزم (241) وفارق أرض كتامة إلى رقادة حيث عكف هناك ، على التشهير بالداعي ، وبالحركة كي يستنهض همة أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد للبدء في مقاومة التيار الجديد في كتامة (242) . وقد نجح في تعريض بلاده للاخطار الخارجية وللدمار والتخريب بعد أن فشل بإمكانياته الخاصة في حل مشاكلها ومواجهة فتنتها الداخلية .

وقد نتج عن فشل تأمر زعماء المعارضة في كتامة عدة نتائج هامة منها :

- أن الداعي انتصر على جميعهم في أكثر من لقاء .
- وقامت في قلب بلادهم حاضرة ودار هجرة للاسماعيلية هي تازروت .
- وكانت هذه الفتن فرصة ظهر اثناءها ابطال العهد الجديد ، ومنهم الحسن بن هارون وعروبة بن يوسف وأبو زكي تمام بن معارك وعمه ماكنون بن ضبارة وظهورهم كان ارهاصا على أهمية دورهم في حياة الدولة في غير أرض أفريقية .
- وقويت عصبية الداعي واشتد ساعده بقبائل عثمان ولهيفة ، وجيملة وملوزة ومزاتة ومجموع مسالمة واجانة ولطانة .
- واتسعت حركة الدعوة حيث شملت عجيصة وزاواة اللتين أصبحت أرضهما موالية ومسرحة للدعاة وللمشائخ (243) .
- أما الاموال والغنائم فكانت كثيرة (244) كما أن شهرة الداعي وأنصاره عمت الحواضر والبوادي .
- وعندما شرد زعماء الخلاف وذهبت ريحهم بين ميلة وأفريقية غدت المنطقة آمنة ، بل خالصة لرجال الدعوة لا ينازعهم في السيطرة عليها غير عمال المدن الكبرى وأمراء بني الاغلب .

241 - نفسه : 79 - 80 (119 ط . بيروت) .

242 - النعمان : الفتاح 81 (120 ط . بيروت) ابن خلدون : العبر 4 ، 69 .

243 - نفسه ورقة 80 (119 ط . بيروت) ابن خلدون 4 ، 69 انظر :

E.I. Art Kahy les T 2, p. 638.

244 - نفسه ورقة 76 - 77 (116 ط . بيروت) النويري 26 ورقة 28 - 29 وفيه

كما في النعمان مبالغة في تصوير مقدار الغنائم حتى وصلت قيمة عشرة جمال إلى دينار وبيع الحمار بضر بصلات .

- ومع سعة انتشار الحركة وتوفيق رجالها في الاحتفاظ بمراكز القوة في مواجهة المشاكل الداخلية (245) ، فان أعظم تحد لرجال الحركة ، وأقسى اختبار لقدراتهم انما بدا في المجال الخارجي ، وأذن به خلفاء العباسيين وسهر على تنفيذه بحزم بنو الاغلب أصحاب السيادة الفعلية على مناطق الاضطراب بمساندة ودعم بعض عمال المدن الكتامية وزعمائها الفارين .

فكيف بدأت حركة التحدي ؟ وكيف انتهت ؟ وبأي اسلوب واجهها الداعي رغم حملة التشهير والافتراء التي سبقت او تخللت الاعمال العسكرية ضد انصاره .



- يلاحظ ان ردود فعل الخلافة العباسية في المغرب ، كانت أدبية وغير مباشرة وظهرت متأخرة نسبيا بعد هجرة عبيد الله من سلمية وارتبطت بعصر زيادة الله الاخير .

اما ردود فعل الاغالية ، فكانت مادية وسابقة ومباشرة ودفعت اليها وصايا المكتفي بالله العباسي وحركتها احداث المنطقة وتوسلات بعض العمال في مدن كتامة وبعض زعمائها الفارين ، تم انتصارات الداعي ورجاله على مجموع الاحلاف المعارضة ، وانتقاله لرحلة جديدة في الدعوة ببدء حركة نشطة لضم مدن وحواسر كتامة وتصفية فنول المقاومة وعناصر الخلاف فيها .

- ولما أصبحت ميلة مركزا لتجمع هؤلاء في حماية عاملها : موسى بن العباس بن عبد الصمد ، وجه الداعي ضدها سلسلة من الاعمال العسكرية الهجومية بقصد الضغط على سكانها وتهيئة جو مناسب لاقتحامها دون تضحيات كبيرة وقد مهد بنو ابي خنزير ورئيسهم الحسن بن احمد وهم من سكان المدينة منذ القديم السبيل لاطلاع الداعي على ثغرات المدينة وعلى الجو السائد بين سكانها ووسط حاميتها (246) ، وهذه المساعدة هي التي كفلت للداعي ميزة دخول المدينة امانا ، وبدون خسائر كثيرة ، رغم ما أبداه موسى بن العباس ، مع حامية المدينة وزعماء الفتنة من مقاومة شديدة (247) ، انتهت بعد ان وافق الداعي على منح الامان لموسى بن العباس

245 - القرظي : اعطاء الحنفا 1 ، 58 ويعبر عن ذلك بقوله « واستقام له امر البربر وعامة كتامة » النعمان : افتتاح ورقة 93 (135 ط . بيروت) .

246 - النعمان : افتتاح ورقة 93 (134 ط . بيروت) النويري 26 ورقة 29 .

247 - القرظي : اعطاء 1 ، 58 ابن الاثير : الكامل 8 ، 12 .

وجماعته بتأثير وساطة الحسن بن أحمد بن أبي خنزير (248) لكن الداعي قيد مبدأ منح الأمان بقوله « ما لم يحدثوا حدثا » .

واستمر الداعي ، مخلصا لروح الأمان بعد استقراره في المدينة ، حيث أحسن الى موسى بن العباس وأوصى به خيرا حتى سمع بأنه أرسل ابنه سرا ، وهو أبو ابراهيم الى رقادة لطلب النجدة وعندئذ ضيق عليه ، وقتله بعد أن تيقن من صحة الخبر ودفن خارج مدينة ميله (249) ، كما تخلص من رؤساء الفتنة فحل بن نوح اللطاني ، ثم فرح بن حيران ويوسف بن محمد ووزة بن نصر رؤساء اجانة ، وقد تخلص من الاخيرين أبو زكي وعمه لتبقى رئاسة القبيلة لهما وتنتهي المشاكل في اطار قبيلة اجانة (250) .

وكان يمكن أن يبقى الداعي طويلا في مدينة ميله لتنظيم شئونها وللإشراف منها على سير المعركة ، لو لم يسمع بتطور الأوضاع في أفريقية عقب تحرك أبي العباس عبد الله بتأثير زعماء الفتنة ، وأبي ابراهيم بن موسى بن العباس الذي أتجا إليه رسولا من طرف أبيه قبيل سقوط ميله ولذلك كلف الداعي ماكنون بن ضبارة الاجاني بالإشراف على شئون المدينة وانصرف عنها الى قاعدة تازروت لتهيئة جو اللقاء مع الحملة العسكرية التي قادها ، هذه المرة رجل قدير من بيت الإمارة هو أبو عبد الله محمد الأحول بن أبي العباس عبد الله بن ابراهيم (251) ونلاحظ بصدد نشاط بني الأغلب ، منذ عصر ابراهيم بن أحمد الى عصر زيادة الله ، أن الأول لما سمع بأخبار الداعي في كتامة وأستفسر عنه عامل ميله ، وأجابه بأنه زاهد متصوف

248 - وأسر بني خنزير ، أصلا من مدينة سنجار ، في ديار ربيعة بأقليم الجزيرة وصلت عناصرهم الأولى الى هذه المنطقة منذ عصر الفتح وبسبب الهجرات وكانوا يعرفون بالسناجرة وتوجد عناصر منهم في مجانة المعادن بولاية أفريقية : انظر النعمان : افتتاح 93 (134 ط . بيروت) اليعقوبي : المصدر السابق 101 وقد لاحظ البكري أن مدينة مجانة ، كانت في عصره للعرب ، وتعرف بقلعة بشر ، دبة لأول من نزلها منهم وهو بسر بن أبي أرطاه . الفاتح المشهور . انظر 145 منه . وعلى ذلك فأسرة بني أبي خنزير ليست من كتامة على خلاف ما يوجد عند بعض المؤرخين ، انظر النويري 26 ورقة 29 حيث يشير الى أنهم من ربيعة .

249 - النعمان : افتتاح ورقة 95 (136 ط . بيروت) وكان القتل في مكان يسمى : بني جلامة وقد ألقى بعد القتل في مطمورة هناك .

250 - نفسه 94 (135 ط . بيروت) انظر عن هؤلاء الرؤساء وغيرهم النويري ج 26 ورقة 26 .

251 - سمي بذلك لانه يكسر عينه ويأتي في بعض النصوص أبو حوال أو حوال « خطأ » كما ينسب أيضا لابراهيم بن أحمد على أنه ابنه مع أنه حفيده فقط وهو أخو زيادة الله الأخير انظر : القرظي : المصدر السابق 1 ، 58 النعمان ، افتتاح 95 (136 - 137 ط . بيروت) ابن عذاري 1 ، 179 ، 183 ابن الأثير : المصدر 12،8 أبو الفداء 2 ، 69 ابن الوردي 251 النويري 26 ورقة 29 .

لا يخشى بأسه ، لم يبد أنه اقتنع برد عامله وبقي مرهف الحس لناحيته (252) . فلما بلغه تطور أوضاع المنطقة بسببه وفشل عامله ، في اقناع بني سكتان بطرده أو تسليمه اليه كما فشل في القبض عليه غداة دخوله ميعة للاستشفاء ، وبداية الفتن القبلية ، بسبب ما يدعو اليه . أرسل ابن المعتصم المنجم رسولا الى عامل ميعة ، لكي يمهّد له السبيل مع بني سكتان حتى يوافقوا على اتصاله بالداعي في ايكجان ليختبر أمره ، ويتفهم حقيقة أهدافه من قرب . وبعد اخذ ورد بين عامل ميعة من جهة ، وبين بني سكتان والداعي من جهة أخرى ، وافق الأخير على الاجتماع برسول ابراهيم بن أحمد الذي حضر سرا الى ايكجان .

وثناء اللقاء الذي تم بين الرجلين شرح ابن المنجم للداعي وجهة نظر الأمير ومبلغ تدمره (253) ومدى استعداده لمساعدة الداعي ، حتى يؤوب الى بلده أن أحب أو لقبوله ضيفا ونزيلا عنده أن رغب في البقاء في أفريقية ولم يحجم عن القول بأن الأمير ، سوف لن يتراجع عن القيام بأي مجهود عسكري ، لطرده من المنطقة وتاديب « اوباش » كتامة الدين انضموا اليه من غير وعي (254) .

وكان رد الداعي ، على رسول الأمير جافا الى حد بعيد وتضمن الاستهانة بشأن الأمير والتعريض بشذوذه وبقرب زوال دولته ، وبرفض عروضه المادية ثم تطمينه بأنه ليس الأمير ، الذي تنتهي به الأسرة الأغلبية ، كما أنه أوضح للرسول بأنه داعية الى آل البيت والى المهدي من ذرية رسول الله ولم يوجد في المنطقة بدون هدف « وإنما بعثت رسولا لأمر جم وقرب وانتجاز وعد من الله سبق ، ولو كان صاحبي لعجلت السير نحوه » ولم ينس في النهاية أن يحمل الرسول دعوة الأمير ، « الى الله والى كتابه والى الامام المهدي » (255) لتكون له ميزة السبق بين الأمراء .

ومن اجابات الداعي تتضح لنا معنوياته القوية واعتداده بأنصاره ونضج حركته حتى وهو في بداية حياته في ايكجان واعترافه الصريح بأنه ليس من أهل النسك والتصوف فقط وإنما هو داعية سياسي للرضا من آل محمد وأساس لدولة المهدي التي أصبحت وشيكة الظهور وانه فقط ينتظر فرصة مناسبة لبدء العمل المادي .

252 - النعمان : المصدر السابق 41 - (78 ط . بيروت) القرظي : الخطط 1 ، 350 .

253 - ومن ذلك قوله « ما حملك على التعرض لسخطي والتوب في مملكتي والفساد رعيتي والخروج علي ؟ » .

254 - النعمان : افتتاح 42 (79 - 80) ابن الخطيب : أعمال الاعلام 2 ، 38-39 ، النويري 26 ورقة 26 .

255 - النعمان : افتتاح 44 (80-81) .

ولم يجد ابراهيم بن احمد ، بعد أن اوضحت له الحقائق التي كان يضمنها المتشيعون في قصصهم وأشعرهم ويلوح بها المنجمون ، في أحاديثهم ما يحفظ به ناموسه ويكبح به جماح المتطرفين ضد حكمه ، غير التظاهر بالتقليل من شأن الداعي وأوباش كتامة وهو في حقيقة الأمر ، كان محتاراً مضطرباً . وما أشيع عن قصص شذوذه ربما كان بسبب صحة أخبار الداعي وعندما تصور أن ظهور هذه الدعوة في ركن قصي من بلاده ، أن هو الا عقاب الهي ابتلى به لتطرفه وتنكيله بأولي الرحم ، وبذوي القربي (256) ثم بغيرهم من الأبرياء شهوة وانتقاماً (257) سلك سياسة معتدلة تجاه الرعية من قبيل التوبة والندم عما فرط في حقهم فأسقط المفارم ، وأغفى أهل الضياع من خراج سنة وأزال المظالم وفرق الأموال على الضعفاء ، وحرر سائر ممالিকে وقرب اليه « خاصة » القيروان وفقهائها استثناساً بهم في الشورى ، والحكم (258) ، ثم لم ينبث الا قليلاً واعتزل الحكم وغادر افريقية الى ممارسة حياة الغزو والرباط في ثغور صقلية حيث توفي هناك في أواخر سنة 289 هـ (259) 901 - 902 م وولى الإمارة في غيبته ثم بعد وفاته ابنه أبو العباس عبد الله ، الذي تصرف بحرية وعين على النواحي ولاة من نسجه وممن كان يميل اليهم (260) ، واستهل عهده بطلب البيعة له من سائر عمال الأقاليم بدعوى أن أباه انقطع الى العبادة وتنازل له عن الحكم (261) لكنه من جهة أخرى أساء الى وضعه ، عندما اتهم فقهاء القيروان وخاصتها بتبديد أموال الدولة ، وصرفها في غير وجوها استغلالاً لمحبة الأمير ، ومرضه وغيبته من يرعاه ويشد أزره ، وألح عليهم أن يرجعوا اليه في أقرب فرصة (262) .

256 - ابن عذاري : البيان 1 ، 178 - 179 .

257 - نفسه ، 155 ، 162 ، 163 ، 174 ، 175 وهنا يشير الى قصة أبي الأحوص الكفوف المتعب في سوسة الذي أملى رسالة على كاتب ثم وجهها الى ابراهيم ابن احمد وفيها « يا فاجر يا خائن قد حدثت عن شرائع الإسلام وعن قريب تعانين مقعدك من جهنم » فلما قرأ الرسالة غضب وطلب منه الكشف عن الكاتب والافتل من أهل سوسة عدداً كثيراً فرفض ذلك ودعا الى التوبة .

258 - ابن عذاري : البيان 1 ، 177 ، وسميت هذه السنة (289 هـ) سنة العدل وسميها العامة سنة الجور ، وسنة النجوم لتساقط الشهب فيها ص 180 .

259 - ابن الأثير : الكامل 7 ، 101 ط . 129 هـ المطبعة الكبرى ، وبسبب داء اللرب أبو الفداء 2 ، 53 ، 63 وحمل في تابوت الى القيروان ، النويري : نهاية الأرب 22 38 وما بعدها وعن محاولته فزو مصر رداً على حركة العباس بن احمد بن طولون انظر : Zaky Hassan Les Tulumides 160-161.

260 - ابن عذاري : البيان 1 ، 177 النويري : المصدر السابق 22 ، 41 .

261 - نفسه : 1801 .

262 - نفسه 1 ، 179 ومما قاله « اغتنتم الفرصة في المال لمرض الأمير أبي ومغيبه عنه » .

وكان عمال الدولة خاصة في منطقة الزاب شبه مستقلين بل كان بعضهم في وضع الثائرين ضد الدولة (263) .

وقد أتاحت الفرصة لابراهيم بن أحمد كي ينتقم من عرب بلزمة كما اشرنا كما وجه ابنه (288 هـ / 900 - 901 م) ابا العباس عبد الله على رأس قوة لتأديب أهل الزاب (264) ، وكان من قبل قد واجه حركات بني بلطيط في بسكرة وأصلح ما كان التاث هناك . « (265)

وسياسة القسوة مع أهل الزاب ، كانت عاملا على نجاح الداعي في نشر الدعوة والنفوذ السياسي في هذه البلاد .

وفي هذه الفترة التي أصبح فيها أبو العباس عبد الله أميرا قويا امر الداعي وحاز انتصارات كبرى آخرها ، نجاحه في ضم مدينة ميله الى دائرة نفوذه وفي نفس الوقت لحق به في تونس ، كل من فتح بن يحيى المسالتي وأبي ابراهيم ابن موسى بن العباس ابن عامل ميله القديم وحشاه على مناهضة الحركة الاسماعيلية في بلادهم (266) .

ورغم أن النعمان يزعم أن ابا العباس عبد الله ، انصرف عنهما وبقي خاملا ينتظر تطور الأحداث بسبب وصية أبيه (267) فان الحقيقة كما اوضحتها نصوص أخرى كانت قوة عزمه على الاستمرار في التهيئة للعمل المادي ضد الحركة الجديدة في كتامة التي ابتدأت فيما يبدو منذ عهد أبيه ابراهيم بن أحمد (268) وتوقفت بسبب انزاله عن الحكم وذهابه الى صقلية للجهاد (269) وجاءت حوادث هزيمة الاحلاف امام تازروت وفرار فتح يحيى المسالتي وسقوط ميله وفرار أبي ابراهيم والتجاء هذين وغيرهما الى تونس للاعراب عن تأييد قبائل الجهة وانضمامهم بمجرد وصول القوة الاغلبية لتشجعه على بدء العمل فعلا لصد تيار الحركة الاسماعيلية .

263 - اليعقوبي : البلدان 103 ويذكر أن أهل بلزمة كانوا مخالفين في وقته على ابن الأغلب ومثلهم بنو الصمصامة من بني سعد بن تميم الذين انتمسوا بحصونهم بين مدينتي مقرة وازبة وأهل مدينة أجة وبنو سفمان وبنو ورجيل من هوارة . وعن ميله ذكر أنه « لم يلبها وال قط » .

264 - ابن عداري 1 ، 177 .

265 - ابن عداري : البيان 1 ، 176 .

266 - النعمان : افتتاح ورفات 81 ، 95 (120-121) ، 36 ط . بيروت) .

267 - نفسه .

268 - المقرئزي : اتعاظ الحنفا 1 ، 58 ابن الأثير الكامل 8 ، 12 .

269 - النويري : نهاية الأرب 22 ، 37 - 38 ج . دار الكتب رقم 549 .

Zaky Hassan op. cit., p. 160-161.

— وقد مرت حركة المقاومة الأغلبية للدعوة الاسماعيلية في كتامة بعدة مراحل ابتدأت في عصر ابي العباس عبد الله ، بجهود موفقة ضد تازروت وميلة وايجان وانتهت في عصر زيادة الله الاخير بكارثة حلت بالاسرة الاغلبية في مدينة الاربس ، وبفراره من افريقية الى المشرق .

— واتسمت المقاومة في بدء امرها ، بالطابع الهجومي العنيف ، ولذلك أسفرت عن نتائج مادية ومعنوية هامة .

وكان يمكنها ان تشمل الحركة ، وتبدد شمل رجالها ، لو لم يرتكب زيادة الله بدافع الخوف على مركزه ، جرماً كبيراً ، في حق الاسرة ، بقتله لأخيه الأحول الذي أبانت الأحداث ، عن مدى أهميته ، لاستمرار نظام الدولة ، ولا مبالغة اذا قلنا بأن اختفائه كان بداية النهاية للاسرة الاغلبية في افريقية في الوقت الذي كانت فيه الدعوة الاسماعيلية في عنفوان قوتها ، ونتيجة لذلك ولسوء تقدير زيادة الله ، افتكت الحركة الجديدة بإدارة الهجوم (270) من خصمها الذي اكتفى بعد ما أصابه من هزائم ، بمجرد التزام دور الدفاع وتحصين حدوده وحراسه ما بقي له من مدن ، في غير أرض كتامة واقليم الزاب من أهم ثغور الدولة ومراكزها القصية ، وهي مدينة الاربس (Laribus) التي توصف في النصوص التاريخية بأنها باب افريقية (271) ، أما الآن فقد غدت قاعدة للدفاع عن نظام الاسرة الاغلبية ، ومحرساً لمدينة رقادة ، التي أصبحت لأول مرة هدفاً أخيراً لرجال الدعوة الاسماعيلية .

— أما الأعمال العسكرية ، التي تميزت بها المرحلة الأولى ، التي ابتدأت منذ شهر ذي القعدة 289 هـ ، وأشرفت عليها قاعدة تونس (272) وقادها أبو عبد الله محمد الأحول الأغلبي (273) ، فقد كانت تعتمد ، لضمان النصر ضد الداعي وانصاره في كتامة ، على عدة عوامل منها :

270 - المقرئ : المصدر السابق 1 ، 59 .

271 - نفسه : 1 ، 76 .

272 - حتى هذا الوقت كانت تونس قاعدة مؤقتة للإمامة الاغلبية ، منذ ان انتقل اليها ابراهيم بن احمد في 8 رجب 281 هـ ، ولم يفارقها زيادة الله الاخير نهائياً الا في شهر ربيع الآخر 292 هـ : انظر ابن عذاري : البيان 1 ، 173 ، 166 النعمان ورقة 81 ، 95 النويري : نهاية الارب 22 ورقة 37 .

273 - يحيى بن سعيد الانطاكي : تاريخ الدبل ص 750 ط . كراتشوفسكي 1924 - ضمن مجموعة : Patrologia Orientalis T XVIII.

— مجموعة من خيرة جنود الدولة ، وابطالها ، الذين كانوا ضمن جيش عتيد بلغ عدده اثني عشر ألفا ، بين فرسان ومشاة وقد أهدقت عليهم الاموال وأجزلت لهم الهدايا ، ومنوا بالمزيد منها .

— ثم بعض زعماء كتامة وقادتها الذين التجأوا الى افريقية وشرحوا حقيقة ما يجري ووعدوا بانضمام قبائلهم الى القوة الاغلبية ومنهم : فتح بن يحي المسالتي وأبو ابراهيم بن موسى .

— ثم ولاية المدن والحواضر في منطقة كتامة ، واقليم الزاب ، وهم من نفس عصبية الدولة وأهمهم حي بن تميم في بلزمة ، وأبو حفص علي بن عسلووجة في سطيف ثم أبو ابراهيم بن موسى بن العباس عامل ميلة القديم ، وقد أرسل من قبل الى افريقية لطلب النجدة قبل سقوط المدينة كما أشرنا .

— ثم جيوب المقاومة في بعض قبائل كتامة التي لم ينضم جانب منها الى الدعوة الاسماعيلية وأغلبها في هذه الفترة كان من مسالته ، الذين ساءهم ظهور هارون ابن يونس في ميدان الزعامة بينما كان فتح بن يحي «الأمير» يعيش حياة التشرد . ومن لطانة والذين انزعجوا لقتل رئيس القبيلة فحل بن نوح ، غداة سقوط ميلة . ثم من اجانة وقد تأثروا لقتل زعمائهم مثل فرح بن حيران ويوسف بن محمد ووزة بن نصر ، وساءهم ظهور زعماء محدثين للقبيلة ، كانوا من قبل مغمورين ومنهم أبو زاي ، وماكنون بن ضبارة .

— وأما العامل الرئيسي لنجاح الاحول في أعماله ، فيتوقف على مدى نجاحه في زعزعة صفوف الداعي واحداث ثغرة في نظامه بجلب رجال كتامة البارزين اليه بمختلف الاغراءات المادية ، ليضمن ولاء قبائلهم وتخليهم عن الحركة .

— ولا يستبعد أن يكون قد مهد لحركته هذه ضد كتامة ، بحملة دعائية مركزة ضد انصار الدعوة الاسماعيلية ، قام بها المشايخون للدولة والموتورون من نجاح الحركة (274) ، والمحافظون على تقاليدهم السننية ، ومذهبهم المالكي كما أسهم فيها بعض عمال المدن العرب في كتامة ، ومنطقة الزاب .

وهذا ما يستنتج فعلا من حركة الانضمام الى قوات الاحول ، وهي في طريقها للقتال وقد لوحظ ذلك في بلزمة ، وفي باغاية ثم في سطيف .

274 — ومن هؤلاء بنو هفيت ، الذين احتفظوا بالمذهب الاباضي وهم من مسالته . ويعتبرون الاستثناء الوحيد في كتامة بالنسبة للمذهب غير السنني في هذا العصر ، ولعل شيوع ظاهرة تمسكهم بالمذهب الاباضي هي التي دفعت بعض الباحثين ، الى تعميم ذلك على سائر كتامة انظر النعمان : افتتاح ورقة 79 (118 ط . بيروت) وقد قريب « هفيت » .

وقد سلك الأحوال أثناء عبور الحملة في أرض كتامة ، سياسة استراتيجية خاصة أقل ما توصف به أنها تدل على وعي كامل بحقيقة ما يجري في المنطقة وبمدى ما وصلت إليه القوة الناشئة فيها .

وتشير النصوص الى أن الأحوال بدأ في تعبئة جيشه للحرب ، منذ أن فارق باغاية وبقي يسهر بنفسه على النظام والأمن داخل مجموعات الجيش .

— فكان لا يسير بجيشه في أرض كتامة الا نهارا واذا عسكر في أي مكان يخندق حواليه. وقد رصد لهذه المهمة مجموعة من رجاله وزودهم بتعليمات مدققة عن كيفية الحفر ، ومكانه ودور كل مجموعة في نظام التحصين .

وكانت عملية الحفر ، واستقرار الجيش دخل هذه الاستحكامات تتم عادة قبل غروب الشمس فاذا تمت مهمة هؤلاء وعسكر أفراد الجيش في أماكنهم شددت الحراسة على منافذ الاستحكامات ومن داخل الخندق ، وحول معسكر الجيش من خارجه ، من غروب الشمس حتى الصباح . وقد استقر نظام التعبئة كما رسمه الأحوال ، طيلة مدة سيره في أرض كتامة (275) وهو السر فيما أحرزه من نجاح باهر ضد الحركة الاسماعيلية، ومؤسساتها وأنصارها في تازروت وفي مجرس (276) وقد ظهر للداعي هذه المرة أن يفارق قاعدته في تازروت لمواجهة العسكر الاغليبي بعيدا عنها ، ويبدو أن ظروف القتال وسير المعركة في مضارب ملوسة كانت شاقة وصعبة بالنسبة للفريقين بسبب برد الشتاء وتساقط الثلوج على المرتفعات وعلى السفوح وصعوبة الحركة في المنطقة لأنها كانت جبلية وعرة وزادها التساقط صعوبة حتى تعذر الرؤيا ومع ذلك فاللقاء كان حاسما واستمات فيه كلا الفريقين غير أن كفة الأحوال ، رجحت هذه المرة ربما بسبب تأييد فرع ملوسة ، وانهزام رجال الدعوة اثر معركتين ضاريتين انسحب الداعي بعد الأخيرة منهما الى تازروت حيث أخذ مافيها من أموال وأمتعة واستصحب رجاله واتجه نحو ميله ، ومنها واصل السير حيث لحق به أنصاره في نواحي

275 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 179 - 180 النعمان : افتتاح ورقة 95 . (137 ، 138 ط . بيروت) .

276 - النعمان : افتتاح 96 (137 ط . بيروت) : ابن خلدون : العبر 4 ، 438 ط . بيروت) أما مجرس فهو مركز في مجال كتامة الى الشمال من سطييف يعرف حتى اليوم مجريس وسكانه اخذوا بالحركة الشيعية منذ أن طردهم رجالها بقصد تتبع حركات فتح بن يحيى ، والبادرة بالانتقام منهم ربما كان القصد منها دفع الشيعي الى ملاقاته في المعركة على أرض مفتوحة بعيدا عن مركزه الحصين في تازروت التي تعد عن مجريس بعد أن يكون رجاله قد أنهكوا من السير في الطريق الوعر وقد ذكر ابن خلدون : 6 ، 139 ط . بولاق بطن مجريس من فروع هواة .

عين كرمة ايضا (277) واستقروا في ايكجان (278) وتشير بعض النصوص الى سوء وضعية الداعي وأنصاره أثناء القتال وأن الأحوال كان في مركز قوة وكاد يقضي على قواته لولا أن « الثلج العظيم (279) » حال بين قواتهما ، وهو الذي مكن الشيعي من الانسحاب برجانه في أمان وفي سرعة الى ايكجان ، كما عاق الأحوال عن الحركة حذرا من مفاجآت غير منتظرة بحيث التزم مواقعه حتى انقطع تساقط الثلج ولما اقتحم مدينة تازروت ووجدها خالية ، أحرقتها ، وهدم قصر الشيعي فيها وقصد ميلا ظنا منه أن فلول المنهزمين التجأوا اليها ، لقربها من المنطقة ولوجود من يحميهم ويؤيدهم فيها . وكانت مفاجأة مذهلة له عندما ألقاها خالية تنمي من هجرها ، فتركها دون أن يدخلها حيطة وحذرا (280) ، الى ايكجان وهذه لم يقدر له أن يصلها ، كما لم يتمكن غيره من قادة الاغلبية الوصول اليها حتى دالت دولتهم ، إذ استحالت انتصاراته السريعة ضد سكان مجريس ورجال الداعي في تازروت الى هزيمة مفاجئة لم يكن يتصورها خاصة وهو في أوج قوته يطارد أعداءه المنسحبين .

ذلك أن ابن عامل ميلا ابا ابراهيم ، لما انحرف عن المعسكر الى كرمة ليعيد دفن جثة أبيه موسى بن العباس ، فوجيء بارتحال أهلها من لطانة عنها . حتى أصبحت خلاء لكنه من ناحية أخرى اصطدم هو وابنه وجماعتهما بمجموعه من الناس تظاهروا بأنهم كانوا يجلبون طعاما من بعد ، وهم فيما يبدو من جماعات الداعي وكانوا طليعة ، أو كميناً في الناحية لأن الداعي سم يغيب عنه اشتراك أبي ابراهيم في الحملة الاغلبية وأنه لا بد أن يعرج على مكان السرداب الذي القى فيه أبوه من قبل . فقتل ابنه أبو عقاب وبعض رجاله واشتد القتال ، وارتفع الصخب (281) ، وكان هذا كافيا لتجمع رجال الداعي ، الذين كانوا على أهبة الانتظار والاستعداد ثم لسماع

277 - هي من مضارب لطانة . وقد وردت في النعمان (كجرامة) ويبدو أن المقصود بها هي عين كرمة التي توجد في الطريق بين قسنطينة وميلا لانه اشار لقربها من الأخيرة ويكون النساخ هم الذين اشتبه عليهم الأمر أو هي نفس قرية الجرام على الوادي الكبير وبقرّب ميلا أيضا . وقد لاحظ ابن الأثير (14،8) أن إحدى معارك الداعي مع قادة بني الأغلب وقعت في بلد كرمة . أما عدم ورودها في كتب الرحلة والجغرافية فلانحرافها عن الطريق ، أو لفضالة شأنها وصغرها لأن بعضهم أشار الى بلد كرمة في غير الفريقية : البغدادي : مرصد الاطلاع 3 ، 1161 .

278 - النعمان : افتتاح 96 (138 ط . بيروت) الفريزي : اعماظ 1 ، 58 ابن الأثير : الكامل 8 ، 12 .

279 - الفريزي : اعماظ 1 ، 58 النعمان : افتتاح 96 (38 ط بيروت) ابن الأثير : الكامل 8 ، 12 .

280 - نفسه : ويشير هو وابن الأثير ، الى احراق الأحوال مدينة ميلا أيضا .

281 - النعمان : افتتاح ورقة 97 (139 ط . بيروت) ابن خلدون : العبر 4 ، 70 ويشير الى أن غرض أبي ابراهيم عندما فارق المعسكر الاغلب كان الاستطلاع ، والتجسس .

الأحوال بالحدث أيضا . ويبدو أن روح الانتظار والاستعداد والتدبير المسبق في جانب المعسكر الشيعي وغفلة رجال الأحوال الذين فوجئوا بالصخب والصراخ هو الذي أشاع جو الاضطراب في صفوفهم بسرعة لفائدة رجال الداعي الذين كانوا يعدون لهذا اللقاء المفاجيء ، ربما منذ انسحابهم من تازروت وميلة ، وعين كرامة وقد اختفوا في الشعاب ، والفجوج وراء الصخور وجذوع الأشجار ، وفي سفوح الجبال لكي يهيؤوا ظرفا مناسباً للعمل الحاسم وعندما تهيأ لهم ، ظهروا من مخابئهم والتحموا بالقوة الأغلبية المفككة وشددوا الهجوم عليها منذ الصباح حتى داهمهم الليل وألجأوا الأحوال بعد الهزيمة الى مفادرة الناحية ليلاً ، على ضوء المشاعل - عبر مضارب جيملة - حيث نجا بما خف حمله ، الى افريقية (282) .

ويبدو أن الالتحام بين الفريقين ، منذ ظهور القوة الاغلبية في كتامة كان شديدا ولم يخل من ضحايا كثيرين من جانب المعسكر الشيعي أيضا اذ تشير بعض النصوص الى وفاة الحسن بن هارون بايكان (283)، ربما كان متأثرا بما أصابه من حسرة وتعب نفسي لحرق وأخلاء مدينته ، أو قد يكون جرح في هذه المعارك الخطيرة .

وكان موته بمثابة بداية النهاية لدور تازروت وقبيلة عثمان ، لذا بقيت هذه المدينة خالية لم يرجع اليها الشيعي لتجديد ما خرب من معالمها بعد وفاته كما تضاءلت أهمية القبيلة ، للكارثة التي حلت بها ، سواء بوفاة زعيمها أو بتخريب اقتصادها ، أو بانصراف الداعي عنها ، الى بني سكتان الذين رغبوا منه ، البقاء الى جوارهم في ايكجان (284) .

ووراء هذا العرض الجديد كانت تختفي عوامل الرغبة في الشهرة ، والعصبية القبلية ، والتنافس بين عثمان وجيملة (بنو سكتان فرع منها) لأن بعض النصوص تشير الى استجابة الداعي واستقراره حيث بنى منزلا له ، كما أعلن ايكجان دار هجرة لأنصار الدعوة مبالغة في ارضاء أنصاره القدامى ، مثلما وقع مع الحسن بن هارون ، وعثمان في تازروت واعلانها دار

282 - النعمان : افتتاح ورقة 98 (139 ط . بيروت) ويلاحظ خروجه من حد كتامة في الصباح . مما يدل على سرعة الانسحاب ، وهول المعركة ابن خلدون : العبر 4 ، 437 ، 438 (ط . بيروت) النويري : المصدر السابق 26 ورقة 29 .

283 - نفسه ، وبعد انجلاء المعركة . رجع سكان ميلة الى بلدهم مثل سكان كرامة وغيرهم النويري 26 ورقة 29 .

284 - النعمان : افتتاح 98 وتولى اقتناع الداعي كل من بيان بن صقلاب وابي جعفر احمد ابن سلمان الجرارة بتفويض من القبيلة .

هجرة ، كان خطوة هامة ومقدمة لجذب الانصار اليها من سائر الافاق (285) .

وغدت مركزا لتجمع وانطلاق الدعاة والانصار ومدرسة للمجالس الحكمية التي كان يشرف عليها الداعي بنفسه . وهيئت منذ الآن لكي توجه الدعوة وتراقب سير المعركة الحربية ضد الاسرة الاغلبية .

ولا مبالغة اذا قلنا بانها غدت في هذه الفترة مركزا نشطت منه العلاقات بين المغرب والمشرق ، وانطلق منها البريد الى سلمية (286) والى سجلماسة (287) ثم الى سائر انحاء افريقية أيضا (288) .

وهذا التطور الجديد في وضع ايكجان ، كان مفيدا لبني سكتان وجيملة بقدر ما أساء الى قبيلة عثمان وأحلافها رغم أن النصوص لا تشير الى آثار هذا التحول الجديد على هذه القبيلة ويبدو أن ذلك ما كان ليحصل ، لو لم يختف بطل عثمان ورئيسها وقائد جيش الداعي ، والمحرك الأساسي لأحداث المنطقة ، وهو الحسن بن هارون .

ومما يلاحظ أن ايكجان لم تغد فقط معقلا للداعي ولأنصاره أو دار هجرة أخرى لهم في منطقة كتامة وبلاد المغرب وإنما صارت هي دار الهجرة الوحيدة بعد أن خربت تازروت .

ولم يفارقها الداعي بعد ذلك الا لضرورة خاصة كالإشراف على سير المعركة أو عندما سقطت الدولة الاغلبية (289) ، بحيث لم يظفر غيرها من مدائن كتامة والمغرب في هذه الفترة ، بمثل ما ظفرت به في نظر الداعي من حظوة ومكانة باعتبارها مستودعا لأخلص رجاله، ولذخائره وأمواله (290) .

285 - القرظي : اتعاظ 1 ، 58 ابن خلدون : العبر 4 ، 70 التويري ج 26 ورقة 29 ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم 7 وما بعدها ، وهنا يلاحظ أن انكجال كما رسمها قريبة من قسنطينة .

286 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 60 .

287 - ابن عذاري : البيان 1 ، 187 .

288 - النعمان : المصدر السابق ورقة 99 (140 ط . بيروت) ويذكر انه « كان يرسل الى افريقية قوما يأتونه بالأخبار لا يقطع ذلك عنه فقيل لا يمر يوم الا وعنده منها خير » ومن ذلك انه سمع بموت ابراهيم بن أحمد في حينه ثم بقتل ابنه ابي العباس عبد الله وولاية ابي مضر زيادة الله .

289 - وقد خلت وتضائل شأنها بانتقال الداعي الى رقادة - ولم يؤثر انه رجع اليها بعد ان فارقتها لآخر مرة وهو في طريقه من سجلماسة .

290 - النعمان : افتتاح 87 (127 ط . بيروت) القرظي اتعاظ 1 : 66 حيث يشير بعد وصول المهدي الى انه « أحضر الأموال من ايكجان فجعلها أحمالا وصار بها الى رقادة » وقد ترتب عن أخذ الأموال وعدم تفرغها بين شيوخ كتامة ، ثودتهم ضد المهدي فيما بعد انظر 67 من اتعاظ الحنفا .

— اما الاحول القائد الاغلبى فقد شرح لابيهِ ابى العباس عبد الله ما حصل عليه من انتصارات باهرة فى كتامة وأن رجوعه انما كان « لأمر عرض عن غير علة وقوى قوله جميع من كان معه من كتامة وضعفوا أمر ابى عبد الله » فأمدّه بقوة كبيرة فاقت سابقتها ولما رجع الى كتامة عبر الطريق القديم (باغاية — سطيف) توقف عند مضارب قبيلة ملوسة وعسكر بقواته. أما الداعي الذي فارق ايكجان للقاء الاحول فقد عسكر فى مواجهته فى مضارب لهيصة . ومن مكانه ، جرد فرسانه فى حملة للهجوم على المعسكر الاغلبى الذي كانت تحميه الاستحكامات والخنادق وبعد لقاءات متكررة على مدى يومين انهزم الاحول وانسحب ليلا ، على ضوء المشاعل من مكان المعركة الى افريقية عبر سطيف ، بعد أن تكبد خسائر وترك فى معسكره ، غنائم وأثقالا (291) ، كانت من حض أنصار الداعي الذين اكتفوا بذلك عن ملاحقته ورجعوا من جديد الى ايكجان انتظارا لاحتتمالات المرحلة التالية خاصة بعد أن قتل أبو العباس عبد الله ، فى تونس على أيدي خدمه (292) ، والحق به ابنه أبو عبد الله محمد الاحول وجميع أقاربه الذين قتلوا بأمر من أبى مضر زيادة الله بن أبى العباس (293) ، الذي أصبح الأمير الجديد وكان من قبل مفضوبا عليه ومسجونا مع بعض أنصاره منذ أن استقدمه أبوه من صقلية فى نهاية جمادى الآخرة سنة 290 هـ (294) / مايو 902 م

* * *

291 — النعمان : افتتاح 100 — 101 (142—143 ط . بيروت) ويلاحظ أن هذه المعركة جرت فى منطقة جبلية مثل التي سبقتها . وفى دائرة القل ، توجد قرية تاملوس ، نسبة للوسة ، لأنها كانت مسرحا لبعض فروعها وربما كان الاحول قد عسكر غير بعيد منها فى مقابلة الداعي الذي عسكر فى منطقة تاسدست (جبل سدات الآن) وانسحاب الاحول كان الى سطيف ولم يكن الى قسنطينة لان سطيف طريق معروف لديه وهو معبر الى باغاية التي ينفذ منها الى افريقية .

292 — ابن عذارى : البيان 1 ، 181 ، النعمان : افتتاح ورقة 102 ، 103 (143 — 145 ط . بيروت) ابن الأثير : الكامل 8 ، 12 المفرزي : اتعاظ 1 ، 59 يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 751 ط كراتشوفسكي 1924 .

293 — نفسه 1 ، 182 — 183 وتم قتل أعمامه ، فى جزيرة بقرب تونس (12 ميلا منها) تسمى جزيرة الكرات .

294 — نفسه 1 ، 180 والسبب رواه ابن عذارى بقوله « لانه وشى به اليه ، انه يريد الانتراء عليه » وقد كان عزوه جده ابراهيم بن أحمد ، فى صقلية ، لسوء أخلاقه وسجن معه بتهمة التحريض كل من عبد الله ابن الصلغ وأبى مسلم منصور بن اسماعيل . وقد صار الأول من اكابر رجال دولته اما الثاني فكلف بالخراج ثم عين ايضا على اقليم قسطنطينية ، بعد عزله ولم يكن الود معقودا بين الرجلين انظر : 197 منه أبو الفداء : المصدر السابق 66 — 67 النويرى : نهاية الأرب 22 ، 41 .

– وفي الوقت الذي اغتبط فيه الداعي بهذه التطورات الجديدة ، وشهد عزائم انصاره بقوله يخاطبهم : « قد زال عنكم ما كنتم تتوقعون ، وهذا صاحبكم وآخر من يحاربكم وعنه يصير الأمر اليكم » (295) انصرف الأمير الأغلب ، للاعداد للمعركة الحاسمة ، بالبدء في تنظيم أجهزة الدولة وتعبئة جمهور السكان وتقوية صلاته بالخلافة العباسية ليحظى بالشرعية والتأييد المعنوي .

وقد أصبح عبد الله بن الصائغ هو المتصرف في شؤون الوزارة والبريد وعين على ديوان الخراج والشؤون المالية أبا مسلم منصور ابن اسماعيل .

وأبعد عن القضاء في القيروان الصديني الحنفي الذي كان يميل الى الاعتزال وقدم له حماسا بن مروان بن سماك الهمداني ، وكان شخصية مالكية مرموقة (296) .

وكان يريد بذلك استمالة الرعية وجمهور السكان واغلبهم مالكية (297) وبذل بسخاء للجند كي يتناسوا ما حصل في صميم الأسرة من تصفيات وكي يخلصوا في الدفاع عن شرعية حكمها ، وعن استمرار بقائها (298) ، وأشرف في تونس على مؤتمر عام ضم فقهاء القيروان وعلماء افريقية الذين سمعوا من ابن الصائغ نيابة عنه ما ابتدعه الصنعاني في كتامة من سب الصحابة ووصفهم بالردة وادعاء كفر كل من لم يأخذ بنحلته من غير «أوباش كتامة» وأحلافها فاتفقوا على التعبئة المعنوية ضده ولعنوه وتبرؤا من حركته وحرصوا العامة على شرعية مقاتلته والاستماتة في الجهاد ضده حتى تزول حركته الالحادية (299) .

ويعتبر هذا التأييد أعظم كسب حصل عليه الأمير من أهم طبقة اجتماعية لها نفوذها القوي في الأوساط الشعبية في القيروان وقيادة وفي كامل حواضر افريقية وبواديه .

-
- 295 – النعمان : افتتاح ورقة 105 (141 ط . بيروت) .
296 – ابن عذاري : البيان 1 ، 183 ، أبو العرب طبقات 194 ابن فرحون الديباج 108 – 109 الغسني طبقات 207 – 208 ، 1 ، 2 محمد طالبي : المرجع السابق 340 وما بعدها الجودي : تاريخ قضاة القيروان ورقة 17 – 18 ، خ 18397 .
297 – ويدل على ذلك قوله يخاطب العامة بعد عزل الصديني « اني عزلت عنكم الجافي الجلف المبتدع ، ووليت حماسا بن مروان لرافته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة» وعن ترجمة الصديني محمد بن اسود أنظر الجودي : المصدر 16 ، 17 .
298 – نفسه 1 ، 184 ويظهر ذلك في اخذ البيعة لابنه محمد من بعده سنة 291 هـ .
299 – نفسه ، 185 ابن ابي الصياف : المصدر 1 ، 117 وفيه قوله « فانهم كلما لعنوه قرب وكلما تبرؤوا منه داخلهم » .

وقد ارسل الامير الى الخليفة المكتفي بالله العباسي هدية نفيسة كي يشعره باستمرار العلاقة الروحية والرسمية ، وبأنه يستطيع النهوض بأعباء الامارة ومقاومة أعداء الخلافة العباسية في كتامة (300) .

ولم يبق أمام الامير ، وقد ضم قوة الفقهاء المالكية وجمهور السنة (301) واحيا صلاته بالخلافة العباسية حامية المذهب السني ، وصاحبة السيادة الشرعية الا أن يصلح شؤون رقادة - عاصمة ابراهيم بن أحمد - وينتقل اليها من تونس (302) ليشراف على سير المعركة الرهيبة ضد الحركة الاسماعيلية في كتامة التي بدأت ترنو ببصرها نحو بقية حواضر الدولة في كتامة ، واقليم الزاب .

وفي رقادة تمثلت استعدادات الامير واستراتيجيته في عدة نواحي منها :

- الاكثار من تركيز جند الدولة في مدينة باغاية التي اتصفت بالحصانة والاهمية في منطقة الزاب ، وعلى سفوح الأوراس .

- الاهتمام بالناحية الادارية والعسكرية في طينة عاصمة الزاب ، وقد اختار لتسيير شؤونها اخص رجاله ، ومنهم حاجبه : أبو المقارع حسن بن احمد بن نافذ واكفاً قاداته في الميدان العسكري ومنهم خفاجة العبسي وشبيب بن أبي شداد القمودي .

وانبنت خطته على اساس ، أن يقوم هؤلاء بتركيز الفارات على منطقة كتامة وتشديد الضغط على سكانها ، حتى تضعف مقاومتهم وينهار اقتصادهم وحينئذ قد يتخلون عن الداعي (303) .

300 - ابن عذاري 1 ، 185 وكتب فوق مثاقيل الذهب التي ارسلها ابيانا شعرية .

301 - تم ذلك بولاية حماس بن مروان للقضاء وخطة القضاء في افريقية كان يتناوبها الخنفة والمالكية وكان الامراء الاغالبه اميل للاحناف منهم للمالكية ، بسبب ارتباطهم بالخلافة العباسية . وقد عهد بعضهم بالقضاء احيانا الى بعض الواصليين تملقا لشاعر بعض الخلفاء الذين احتضنوا مذهب المعتزلة ، او عن اقتناع منهم بهذا المذهب وفي الأزمات كان الامراء يتملقون مشاعر أهل السنة والمالكية خصوصا فيستنون الى شخصياتهم خطة القضاء والمسالمة والحسبة وغيرها من الخطط الدينية .

302 - ابن عذاري 1 ، 186 وقد سبقه اليها : أبو مسلم منصور لاصلاحها ، وتهيئة جو الراحة والتمتع للامير . ومن ذلك انه انشا مركبا في ماجل القيروان (بركة) عرف بالزلاج ليشتره الامير عليه ، النعمان : افتتاح ورقة 105 (148 ط . بيروت) وقد سورها زيادة الله بعد استقراره فيها . كما تعهد أسوارها أثناء المعركة ضد الشيعة انظر ابن عذاري : 1 ، 193 .

303 - نفسه 1 ، 199 ، النعمان : المصدر السابق ورقة 115 (160 - 161 ط . بيروت) .

ـ وكان يساعد هؤلاء في مهمتهم مجموعة من الرجال ، وزعوا على النواحي ، أو أرسلوا الى منطقة الاضطراب في كتامة .

ـ والذي يلاحظ أن زيادة الله ـ على خلاف أسلافه ـ وبعكس ما تصوره بعض النصوص كان أميرا حازما وقويا ـ انما تسرب اليه الضعف من كونه

ولي الامر في عصر هرم الدولة ومن ثم وورث كل تركاتها الثقيلة (304) ـ ومع ذلك أظهر شجاعة وحنكة ، ولم يضعف لهول الحوادث المتلاحقة بل أعطى مثلا مشرفا لقادته ، ولكل المسؤولين عن مصائر غيرهم ، وذلك عندما فارق عاصمته الى اليريس ليقود معركة الاسرة الاغلبية ، ضد الحركة الاسماعيلية ولم يرجع عن رأيه ، الا نزولا عند رغبة اخلص قادته بأن المصلحة تقتضي بقاءه ، على أن يكون أحد أفراد الاسرة نائبا عنه ، في الاشراف على معركة المصير (305) .

وعندما بدأت مدن الامارة وثغورها تتساقط بسرعة بقي على عزمه في الاستمرار في المقاومة حتى آخر لحظة ولم يلتفت الى نصيحة أكبر رجاله وهو ابن الصائغ بأن يرحل سرا الى مصر بل اعتبر ذلك دليلا على خيائته وتشيعه (306) .

ـ وهل أدل على روح العزم ، والتصميم على المقاومة ، من الاجراءات التي أمر بتنفيذها بالنسبة لرقادة والقيروان في نهاية 294 هـ / 907 م والتي تشبه الى حد كبير نظام حالة الطوارئ في العصر الحديث ؟

وقد عبر ابن عذارى المراكشي عن هذه الاجراءات بقوله (307) : « وفيها ضربت القباب والاخبية حوالي مدينة رقادة ، وأخذ أهل مدينة القيروان بالعسس حولها والمبيت في الاخبية المضروبة جوارها وجدد زيادة الله الحشد ورجب الناس بالاموال » .

ـ ومع حرصه على القيام بالواجب نحو الدولة ونحو الرعية لم يهمل رعاية حقوقه الشرعية وامتيازات أسرته ، فكل من حدثته نفسه بالثورة استفلا لهذه الظروف الخاصة انتقم منه ، بالقتل أو ازاحه من على

304 ـ انظر ابن ابي الصياف اتعاف 1 ، 116 وفيه بعض التوجيه لنطق الحوادث منذ عصر ابي العباس عبد الله الذي كان يترك الأهم وهو قتال الداعي التي تتبع المشبهه فيهم ويظهر رأي المؤلف في قوله « وشيئان اعيت الحيلة منهما اقبال الامر اذا أديبر وادباره اذا اقبل » .

305 ـ ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 193 .

306 ـ نفسه 1 ، 194 .

307 ـ نفسه 1 ، 195 - 196 .

المسرح الاداري والسياسي ويبدو أن من ذلك قتل هذيل النفطي صاحب ديوان الخراج ، وابن المنبت (العجل) (308) ، وأحمد بن مسرور، ومدلج بن زكرياء (309) وعزل ابن الشاعر ، عن قضاء قسطلية (310) وتعزيز الخال، بضربه والتطويق به في شوارع القيروان على بغل باكاف (311) . وكل هذه وأمثالها صورة من صور الدفاع عن حقوقه في الحكم وهي جزء من اجراءات رجل حازم نصب نفسه للدفاع عما تبقى لأسرته ، من سمعة ومكانة ، أصبحت الآن موضع امتحان عسير .

— وهل يلام زيادة الله ، اذا أشيع عنه ، اثناء المحنة بأنه انغمس في اللهو والمجون (312) وخالط شذاذ المجتمع ، ونادم « العيارين ، والشطار والزمامرة والضراطين ؟ » (313) .

— وهل من الصواب أن نغفل اعتبار الواقع ؟ فالأزمة حادة والانصار المخلصون لأسرته أصبحوا نادرين ، وشجعان الرجال تتخطفهم الفتن والحروب وأوباش كتامة « أصبحوا قاهرين أحرارا في الحركة ، وعيون المدائن الاغلبية بدأت تتهاوى كأوراق الخريف » .

— وهل أن عدم التزامه بالوقار ، كان بعيد الصلة عما كان يجري في أركان دولته ؟ الا يكون من الإنصاف للرجل وللحقيقة أن يقال بأنه كان يصطنع هذا السلوك الخاص «تنفيسا عما يجد في نفسه من حزن وموجدة وتهربا من واقع اليم ولو لمدة يسيرة ؟ »

308 — نفسه 1 ، 184 .

309 — انظر ابن عذاري البيان : 188 — 189 وكان أحمد بن مسرور واليا على ناحية القيروان ، وقد كلف الاثنان بقيادة الجيش لنجدة حامية الأبس فلم ينفذا الامر ونارا ضده واثناء هذه الثورة فر أبو العباس المخطوم من سجن رقادة واختفى في القيروان ومنها تسلل الى طرابلس حيث نجا مرة أخرى من بطش الأمير وانتقامه انظر النعمان : افتتاح ورقة 164 (225 — 226 ط . بيروت) يحيى بن سعيد الانطاكي المصدر السابق 755 ط كراتشوفسكي .

310 — نفسه 1 ، 193 ، لأن تصرفاته تجاه السكان أسادت الى الأمير الذي عينه قاضيا .

311 — نفسه 1 ، 186 لانه قتل نفسا بغير حق وتناول على حماس بن مروان الذي شكاه الى الأمير فانتقم منه وعزله عن القيروان فأسرها في نفسه وعندما كلف بقيادة الجيش اظهر العصيان ضد الأخير فكان جزاؤه القتل انظر : طالبى : تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك عياض (349 .

312 — المتريزي : الخطط 1 ، 350 .

313 — ابن عذاري البيان : 1، 193 النعمان : افتتاح 105 (147 — 148 ط . بيروت) ، المتريزي : اتماظ 1 ، 59 ابن خلدون : العبر 4 ، 70 ابن الأثير : الكامل 8، 12 .

ويبدو أن ذلك هو الصواب ، لأن بعض النصوص أوضحت أن رجاله كانوا يقترحون هذا اللون من الحياة والسلوك إذا ما ظهرت أعراض الألم ، وبوادى الغم على ملامح الأمير (314) .

كما أن الداعي اعترف صراحة بأن الأمير ، ما قصر في شيء وما وهن في الدفاع عن حقوقه ، ولا ترك وسيلة لم يستخدمها للحد من تيار الحركة الجديدة وأنه لأحسن نكاية من أسلافه (315) .

— ويبدو أن التقليل من أهمية زيادة الله والتركيز على عيوبه وانحرافات فقط التي هي سمة كل النصوص التاريخية فيه تجاوز كبير وقسوة لا تحتمل .

ويكفي برهاناً على أهميته الخاصة نشاطه الجرم أثناء رحلة عبيد الله من سلمية إلى إفريقية فقد وجه عدة رسائل لعمال المدن التي يتوقع أن يمر بها لرصده والتحفظ عليه ، وعندما علم بوصوله إلى سجلماسة وهي في ركن قصي من الصحراء أرسل إلى أميرها يعرفه ويلطفه وكان تدخله سبباً في سجنه والتضييق عليه مع أن اليسع بن مدار أمير سجلماسة ، كان خارجياً صغرياً وأميراً مستقلاً عن نفوذ الأغالبة والعباسيين (316) ، وكذلك فرض رقابة مشددة على حركة القوافل التجارية ورصد من يتسقط أخبارها ويتعرف على رجالها ، ولهذا تشير بعض النصوص إلى معرفته أخبار عبيد الله من رجل صحب القافلة التي كان معها وقد تعرف الأمير على أبي العباس المخطوم فامتحنه وإلقاه في السجن ، فحال بينه وبين مواصلة السير إلى كنامة كما حال بين المهدي ، وبين التوجه إلى مركز الحركة في أيكجان مباشرة لأنه كشف أمره . ولا مبالغة إذا قلنا بأن مجهودات زيادة الله كلف الحركة الإسماعيلية تضحيات كبيرة ، وتسببت لها في بعض المشاكل الخطيرة سيما وأن الشبهة قد حامت حول قتل صاحب الدعوة ، في سجن سجلماسة وأن الداعي بسبب خوفه من انهيار كل ما جد في بنائه ، هو الذي عهد بالأمر إلى أحد مرافقيه ريثما تهدأ

314 - ابن عذاري : البيان 1 ، 194 ونص ما قاله « وكان إذا أظهر الغم بأمر الشيعي أخذوا له في التسلي » .

315 - النعمان : المصدر السابق ورقة 155 (213 ط . بيروت) القرظي : اتعاط 1 ، 63 ابن الأثير : الكامل 8 ، 17 ومما قاله الداعي « ما كان إلا قويا وله منعة ودولة شامخة وما قصر في مدافعته ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع » .

316 - القرظي : اتعاط 1 ، 61 - 62 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 14 ابن أبي الضياف : المصدر السابق 1 ، 119 الاستبصار 204 .

الامور (317) وفي ضوء هذه الشبهة بالاضافة الى عوامل اخرى نجد تفسيراً معقولاً لثورة داعية ضده فيما بعد .

ولو قام اسلاف زيدة الله بدورهم مثلما قام به هو ولو وجد الامير صدى لعماله وتجاوباً معها ، من طرف ولاية المدن الافريقية ووالي مصر النوشري ، وعمال مدن الشام ولو كان هؤلاء في مثل اخلاصه وشجاعته ما تمكن الداعي من تحويل حركته الكبرى الى نظام دولة علوية منافسة للعباسيين في ارض المغرب وفي المشرق أيضاً .

ولهذا ينبغي عند الحديث عن اخلاق زيادة الله ان تقع الاشارة ايضاً الى مدى قيام عمال العباسيين في المشرق والمغرب بالدور المطلوب منهم ولو قاموا بذلك ما خشوا من نقمة العباسيين ثم من طموح الامير ، الذي ترك ملكه وهاجر الى المشرق بـرجو عونا ونجدة لاعادة ما ضاع منه نتيجة عدم التنسيق بين عمال الخلافة في المغرب وفي المشرق .

ولنناقش الآن كيف واجه الامير نشاط الداعي ، لضم بقية مدن افريقية بعد ميله وحد منه ؟ والى اي مدى نجح في حصر نشاطه وفي الاساءة الى حركته من الناحيتين المعنوية والمادية ؟ .

— وقد بدا الداعي بعد سقوط ميله وفشل القوة الهجومية التي قادها الاحول ان يوسع دائرة نفوذه بضم حصن سطيف .

— وكانت قد ظهرت اهميته اثناء النضال ضد الاحلاف المعارضة وفي احدي قلاع تحصن من قبل فتح بن يحيى المسالتي ، وتتبع هذا الامير اظهر ما للحصن من ميزات هامة .

— وقد أصبح مجموع قبيلة مسالطة وهي تضرب في نواحيه موالية للحركة بفضل ولاء هارون بن يونس .

— واثناء الحملات الاغلبية ضد كتامة تحصن به الاحول عند انسحابه ، كما عبأ صفوفه من سكانه اثناء الحملتين ، ، ومنه انطلق لتأديب مجرس ولحصار تازروت وايجان . وميزة قربه من مراكز الدعوة وتوسط موقعه في افريقية وكونه معبراً اليها عن طريق باغاية من الاعتبارات التي قوت عزم الداعي على ضمه وقد انضاف اليها .

317 - ابن ظافر : المصدر السابق ورقة 43 س 6 - 9 ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 272 - 273 ابن ابيك النواداري الدرر الفضية 21 - 22 ابو عبد الله القفصامي : المصدر السابق 176 - 177 غ دار الكتب 1779 تاريخ ، النوري : المصدر السابق ج 26 ورقة 33 .

E.I. (Art Mahdi Ubaid) T 3, p. 125-26.

— ما أبداه حكام المدينة العرب من جهود ، لتأييد الإحلاف ضد الداعي
ولمساعدة نشاط القوة الهجومية الأغلبية .

— وهم من بني أسد بن خزيمة ويعرفون ببني عسلوجة كما أشرنا —
واشتهر اثنان منهم :

أبو حفص علي عامل المدينة وأخوه أبو حبيب (318) جعفر بعدائهما
للحركة الاسماعيلية في كتامة . وهذان مع من والاهما من مسالته ولهيسة
فضلا عن العناصر العربية التي استقرت في المدينة أو في أرباضها ، هم
الذين أشرفوا على توجيه المعركة ضد الداعي وأنصاره الذين حاصروا
المدينة مدة طويلة ثم انسحبوا عنها إلى ايكجان لمزيد من الاعداد والراحة
بعد أن أصيبوا بخيبة أمل مريرة بسبب تمنع السكان وشدة مقاومتهم
علما بأن النصوص لا تشير إلى حامية أغلبية في المدينة ، كما لم تشير إلى
نجدة من طرف الأمير .

ومع ذلك استمرت المقاومة حتى بعد أن حاصروهم الداعي بقوات كثيرة
وشدد على منافذ المدينة كما لم يؤثر على السكان موت بني عسلوجة في هذا
الظرف لأن داوود بن جباسة من زعماء لهيسة (319) ، الذين كرهوا
الحركة الاسماعيلية ، رغم انضمام بعض اخوته واقاربه إليها وإلى جيش
الداعي — هو الذي تولى توجيه المعركة وسهر على استمرار حركة المقاومة
التي خلفت ضحايا من الجانبين حتى استجاب الداعي لمنح الامان لسائر
السكان لا لشخص واحد وعندئذ فتحت ابواب المدينة لقوات الداعي التي
تكلت بمن شاءت وهدمت اسوار المدينة العنيدة ، حتى لا يفكر سكانها في
الانتفاض والثورة ، وبعد ان انتخب الداعي لسطيف واليا من قبله رجع
إلى ايكجان (320) .

ورغم أن النصوص لا تشير إلى اسم الوالي فالذي يبدو أنه من عناصر
كتامة من مسالته أو لهيسة تأليفا لهم ، ويلاحظ أن داوود بن حياصة
اللهيصي كان دوره بارزا في انهاء حركة المقاومة بتأثير من اخوته ولهذا
لا يستبعد أن يكونوا قد رغبوا من الداعي أن يبقى واليا على المدينة خاصة
وأن السكان قد ارتضوه من قبل ليدافع عنهم « وكان جميلا عفيفا ذهنا » ،

318 — اليعقوبي : المصدر السابق 103 ابن خلدون : العبر 72،4 .
De Slane op, cit T 2, p. 516.

319 — انظر دوسلان — حيث يأتي اسمه داوود بن حياته .
De Slane op, cit T 2, p. 516.

320 — النعمان : افتتاح 110 وما بعدها (154 وما بعدها ط . بيروت) البكري : المصدر
السابق 76 ابن خلدون 4 ، 72 التويري 26 ورقة 30 .

ولذلك لم تشر النصوص اليه واليا لأنه لم يصبح بعد من الأنصار المشهورين وإن تطور أمره فيما بعد حتى أصبح « داعيا من الدعاة » (321) .

وبقاء مدينة سطييف موالية للداعي ومركزا كبيرا لأنصاره يؤيد بأن داوود قد أخلص للدعوة ومسك بزمام الامور نظرا لعلاقة أخوته بالداعي الذي استجاب لهم ومنحه الثقة التي كان قد حظي بها من طرف السكان .

وأخذ مدينة سطييف بمجهودات وجهت من قلعة ايكجان يعتبر أولى الثمرات الطيبة التي جناها الداعي بعد استقراره نهائيا فيها وبعد اعلانها دار هجرة .

وقد لاحظنا بعد سقوط سطييف أن خط الحملات العسكرية أصبح يمر في طريق آخر هو طريق باغاية قسنطينة (322) ، وأن الجهود الاغلبية بعد ذلك لم تتركس لتحرير سطييف وإنما وجهت نحو مركز الدعوة والمقاومة في قلعة ايكجان (323) . وقد تبين للامير زيادة الله ، ان الأجدى لتصفية الحركة الاسماعيلية في كتامة هو مهاجمة قلعة ايكجان مقر الداعي ولذلك جهز قوة كبرى منذ أواخر 291 هـ / 903 - 904 م وعهد بقيادتها الى ابراهيم بن حبشي من أهل بيته الذي كان يساعده بعض فرسان الدولة وحمايتها وبعض زعماء كتامة المعارضين وبعد أن رسم له معالم الخطة الجديدة ، فأوصاه بأن ينفق بسخاء لتألف قلوب رجاله ويضم الى صفوفه زعماء كتامة ويغير خط السير بحيث لا ينقل الى المنطقة من الطرق التي سلكتها جيوش أبي عبدالله محمد الأحول من قبل ويجعل قاعدته في الحركة الناجحة وفي ضمان النصر جلب ولاء سكان كتامة اليه وأن يعمل ما وسعته الحيلة أما على مفاجأة الداعي في ايكجان أو على استدراجه بعيدا عنها وبعد ذلك إذن له بالتحرك .

وقد تحرك ابراهيم بن حبشي من رقادة عبر باغاية (324) التي نقل منها الى قسنطينة الهواة كبرى مراكز المنطقة حيث اقام فيها ستة أشهر يهييء ويعد وينتظر الفرصة حتى مل الانتظار وتسرب الملل الى الجيش لأن

321 - نفسه ورقة 111 (155 ط . بيروت) .

322 - نفسه ورقة 112 (157 ط . بيروت) المقرئ : اتعاط 62 ابن الأثير : المصدر 14،8 .

323 - أصبحت سطييف الآن معبر الجيش الداعي الذي سيتوجه نحو طينة وبلزمة وباغاية وهذا يدل على اهميتها وقوة ارتباطها بمركز الدعوة وقد استمر ذلك حتى ضمت اغلب مدن الزاب والفرقية .

324 - ابن عداري : البيان 1 ، 184 النويري : المصدر السابق 26 ورقة 30 وفيه ابن حبشي .

الداعي احتفظ بالبقاء في ايكجان لانه انزعج لهذه القوة الضاربة التي بلغت بعد انضمام حامية طينة اليها عددا هائلا (325) رغم أنه استعد لمواجهة بتجنيد وحشد القبائل الموالية له (326) .

واستمرار الداعي على الاحتفاظ بمركز الدفاع من ايكجان يراقب تطور الأوضاع في قسنطينة (327) يبدو أنه أعد خطة لاستدراج الخصم ، يدل على ذلك قرب المسافة بين المعسكرين (328) وولاء سكان ميللة وعين كرمة للداعي وهما من المراكز القريبة من قسنطينة ثم أن الداعي كان يرسل الطلائع ويختبر حال الخصم بالبعوث لمعرفة أخباره ومكان معسكره ووجهته واحدى هذه الطلائع هي التي اصطدمت به وكانت سبب هزيمته عندما بدأ التحرك نحو كرمة لان ابن حبشي بادر بالهجوم بنفسه على هذه الطليعة بمجرد رؤيتها في كينونة - ولم يكن حظ رحله (329) أو رسم خطة المعركة بترتيب رجاله وأطلابه كما لم يعط إشارة البدء بالهجوم وهكذا بدأت معركة كينونة في ظروف غير ملائمة للمعسكر الاغلبى ، واستمرت كذلك ، وساء وضعه بانضمام بقية كتائب الشيعى الى المعركة التي أسفرت عن هزيمة ساحقة للقوة الاغلبية التي انسحبت سريعا ، وفي حركة فوضوية من ميدان المعركة الى ناحية افريقية عبر باغاية ، وفي هذه المدينة ارسل الى الأمير

325 - النعمان : افتتاح 113 (158 ط . بيروت) ويؤزم ان الجيش بلغ مائة الف وهو تحديد انفراد به وطابع المبالغة واضح فيه ومثل هذا العدد الهائل لم تعرفه ارض افريقية لا في عصر الفتوح ولا اثناء الحركة الخارجية رغم مبالغة بعض النصوص انظر القرظي اعطاف 62 : الذي يلاحظ ان جيش ابن حبشي الذي بلغ اربعين الفا انضاف اليه مثله فاصبح ثمانين الفا .

326 - ابن عداري : البيان 1 ، 186 وفيه اشارة الى دور رؤساء القبائل في التعبئة السريعة وان الداعي كان يكتفي في كتابه اليهم بقوله « ان الوعد يوم كذا في موضع كذا » .

327 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 62 يشير الى قتل ابن حبشي لكثير من انصاره ومع ذلك بقي متحصنا في الجبل ، النعمان : المصدر 112 (57 ط . بيروت) .

328 - النعمان : المصدر السابق 112 (157) حيث اشار الى انها اقل من مرحلتين اما موضع الداعي فكان « في طرف من كتامة » .

329 - النعمان : افتتاح ورقة 113 (158 ط . بيروت) القرظي : المصدر السابق 1 ، 62 واسم هذا القائد ورد بصور مختلفة (حنيش - حبنش - خنيش ، خيش وحبشي) والصورة الأخيرة هي الصحيحة اما غيرها فقد داخله التصحيف لوروده في بعض النصوص المغربية اكثر من مرة بصيغة حبشي التي لاحظنا وجودها بين رجال الدولة الاغلبية انظر ابن عداري : المصدر 1 ، 184 ، 186 ، 192 ، 195 س 1 ، 14 ويذكر اسمه كاملا ابراهيم بن حبشي بن عمر التميمي النعمان : المصدر ورقة 112 - 113 (156 - 157 ط . بيروت) .

يخبره بمصيره ومصر الجيش الاغلبى ثم واصل السير قبل أن يصله الرد خشية من أن يأمره بالبقاء أو ينجده بقوة أخرى ليعيد الهجوم (330).

أما نتائج معركة كينونة (331) فكانت كارثة للنظام الاغلبى ومفيدة للدعوة الاسماعيلية . فقد أعد الامير زيادة الله لهذه الحملة طويلا وصرف عليها كثيرا وعبأها بمختلف الوسائل وضم اليها مجموعة من خيرة رجاله وانصاره من منطقة الزاب وكتامة وأفريقية ولهذا فلا مبالغة اذا اعتبرت - مثل حادث اختفاء الاحول - بداية النهاية لنظام الاسرة ، بسبب أنها وضعت حدا للقوة الهجومية وانحسر دور الدولة الاغلبية بعدها في التزام خطة الدفاع من مراكز بعيدة نسبيا عن كتامة .

ومع توفير الامير لعناصر نجاح الحملة فالذي يلاحظ أن اختياره لقائدها لم يكن موفقا ولم يراع فيه معرفته بأسلوب الحرب وشدة بأسه بقدر ما راعى انتسابه لتميم وهي عصبية الدولة لأن بعض النصوص أشارت الى أن ابن حبشي رغم اخلاصه للنظام كان لين الطبع ولم يشتهر في ميدان الحرب ولا جرب القيادة على هذا المستوى (332) . وقد ظهر ذلك جليا عندما لم يتجه مباشرة نحو ايكجان أو ميله وفضل الإقامة مدة ستة اشهر في قسنطينة كأنه يطلب الحماية والتحصن وهو الذي أرسل للبدء بالهجوم، وأضاع فرصا كان يمكنه لو استغلها في هذه المدة الطويلة أن يظفر بكسب ضد الحركة وكان سببا في بث روح الملل في أوساط الجند الذين أصبحوا في وضع من لا يرغب في القتال وإنما في العودة الى بلدانهم وأسرهم . ولعل هزيمتهم السريعة عند أول التحام بكينونة كانت تعبر أيضا عن تركهم ميدان القتال من تلقاء أنفسهم لقوات الشيعى التي ناشتهم القتال بعد طول الانتظار ، وبغير ذلك لا يتصور بسهولة أن تنهزم قوة ضاربة منظمة أمام عدة كتائب من المتطوعين .

330 - نفسه ورقة 114 (159 ط . بيروت) وجاء في كتابه للامير قوله « وقد انهزم العسكر المنصور فلم ينج منه الا شردمة بسيرة .

331 - بهذا الشكل وردت في ابن عذاري اما في افتتاح الدعوة فوردت كيوننة واهيانا كيوننة بالياء ولم ترد اطلاقا عند ابن خلدون والمقريزي وياقوت والبغدادى والبكري والأدريسى والنويرى واليعقوبى . اما ابن الأثير الذي يعتمد على مصادر مغربية فذكر أن الموقعة جرت في بلد كرامة وهو اسم القرية الموجودة حتى اليوم بقرب ميله ولذلك يبدو أن المعركة جرت بقربها وكينونة ناحية من نواحيها . . ومهما يكن فمكان المعركة يوجد بين ميله وقسنطينة وفي مضارب اجانة وأغلبها كان مواليا للداعي مثل قبائل ميله .

332 - ابن الأثير : الكامل 14،8 النعمان : افتتاح 112 (156 - 157) ونص ما قاله النعمان « وكان من أهل بيته الا أنه لم يكن من أهل الحرب ولا ممن له تكاية وكان الغالب عليه اللين » .

ومسؤولية الهزيمة في كينونة يبدو أنها تقع بدرجة كبيرة على عاتق الأمير الذي اختار رجلا لا يصلح لغير الحياة المدنية الهادئة في ظل القصور وربات الخدور . ولو كان له أدنى تدبير في الحرب لاستغله في تنظيم صفوف رجاله وتلافي الفوضى ، والثبات حتى لا تصبح المعركة كارثة مادية ومعنوية له وكسبا خالصا لأعدائه . وكانت الفنائم أموالا ، وسلاحا وأمتعة مختلفة تقاسمها رجال الداعي « فلبسوا أثواب الحرير وتقلدوا السيوف المحلاة وركبوا سروج الفضة واللجم المذهبة ، وكثر عندهم السلاح وشرفت أنفسهم » (333) وحق لهم ذلك في أول غنيمة حقيقية ينالونها وفي أعقاب أول نصر عسكري حاسم ضد قوة ضاربة تفوقهم عددا وعدة . وبقدر ما قويت روحهم المعنوية ، وازدادوا يقينا بنجاحهم في مستقبل الأيام بقدر ما هبطت الروح المعنوية عند الجند الاغلبى وعم التدمير والاستياء والخوف سكان سائر أنحاء افريقية (334) .

واعتبارا بأن الانتصار في كينونة كان حاسما ويحمل ارهاصا بالنصر القريب للحركة وبظهور دولة المهدي أرسل الداعي من ايكجان بشرى بذلك الى عبيد الله في سجلماسة ومعها أموال وتحف حملها بعض المتطوعين من كتامة حيث تمكن أحدهم من الاتصال بعبيد الله في سجنه والدخول عليه في هيئة قصاب تقية (335) .

وكانت الاموال والتحف كثيرة بدرجة أن عبيد الله أهدى منها لأحد الهاشميين ، وأوصاه بالتستر والبقاء على حالته القديمة بسبب الرقباء وخشية من افتضاح أمره بسبب نوع السكة (336) .

ولئن كان دور حامية طينة وقائدها البطل شبيب بن أبي شداد لم يظهر أثناء هذه المعركة لأنه لم يكن من بيت الأمانة ، وحاميته لم تكن غير نجدة مساعدة أضيفت الى مجموع الحملة الرئيسية فان أهمية ما قام به مع

333 - ابن عذارى : البيان ، 1 ، 187 واصبحت لسنطينة واريافها في اطار نفوذ الحركة الشيعية بعد كينونة .

334 - ابن عذارى ، 1 ، 187 حيث يصور الجو العام في افريقية بقوله (ووقع الوهي على اهل افريقية وداخلهم الوهن والجزع) ابن الأثير : الكامل ، 8 ، 14 وقد صور الوضع بقوله : «وشاشت بلاد افريقية » .

335 - ابن الأثير الكامل ، 8 ، 14 القرظي : تماثل ، 1 ، 62 انظر الخطط ، 1 ، 350 حيث يشعر قوله « فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه » باحتمال استمالة رسل الداعي لأحد القصابين الحليين في المدينة حتى قبل الاتصال به تقية على أنفسهم وعليه أيضا ويبدو أن هذا هو الأقرب الى القبول لأنه يبعد التهمة عن حراس السجن ، أما دخول أحد الثرباء ولو كان متتكرا لبيت أو لسجن فأمسر قد لا يتم بسهولة ، خاصة وأن عبيد الله اعترف بان « عليهم عيونا ورقباء » .

336 - ابن عذارى : البيان ، 1 ، 188 .

رجالها في كينونة برهنت عليها صلابته في طبنة قاعدته الاصلية التي غدت بعد هذه الهزيمة في كينونة (337) ، مع حصن بلزمة ، هدفا مباشرا لتوسع رجال الحركة الاسماعيلية الذين غدوا احرارا في الحركة الى اية نقطة في اقليم الزاب ومنطقة كتامة .

ويبرر الاستيلاء على طبنة من طرف انصار الدعوة :

— انها كانت مركز اقليم الزاب ومن كبريات حواضره وفيها حامية اغلبية ووال يمثل زيادة الله .

— وكان دور حاميتها واهميتها كقاعدة خلفية ، بارزة اثناء الحملات الاغلبية خاصة في الحملة التي قادها ابن حبشي .

— وموقعها في منتصف الطريق كان يعطي ميزة طبنة لكل من يريد الانطلاق نحو بلزمة او باغاية ، وتيجس ، والقيروان .

— وقد غدت مركزا لتجمع المتآمرين ، من مسالمة وكتامة وكان يتزعمهم فتح بن يحيى « الامير » .

— فضلا عن ذلك فالاستيلاء عليها يكفل ميزات اقتصادية لرجال الحركة الاسماعيلية ويعتبر أيضا التصرف الطبيعي بعد سقوط كل من سطيف ثم قسنطينة بعد هزيمة كينونة .

— وتمثل طبنة ، قاعدة حيوية في خط الدفاع الاول ، عن مدينة رقادة ، حاضرة الدولة الاغلبية ، وماضيها في هذه الناحية ضد الثوار والمتغلبين

337 — لا توضح المصادر التاريخية تاريخ موقعه كينونة ، التي كانت رد فعل مباشر لضم سطيف غير أن بعضها يذكر أن قائد الحملة بقي ستة أشهر في قسنطينة دون نشاط (اتعاظ 62) وورد في ابن عذاري ذكر الواقعة ضمن أحداث 292 هـ (البيان 1 ، 184) وانتقل الزها الى سرد أحداث 293 هـ (188) وكان قد ذكر قبلها مباشرة قصة ظهور حدث فلكي خاص في شهر رجب من سنة 292 (186 هـ) وأشار الى ولاية ابن حبشي ضمن أحداث (291 هـ) (184) ومن مجموع هذه الاشارات نستنتج ترجيحاً أن سقوط سطيف كان اثناء 291 هـ وفي آخرها عين القائد واستغرق اعداد جملته وقتاً اثناء 292 وكان سيره الى قسنطينة قبل شهر رجب من نفس السنة وباعتبار بقائه ستة أشهر في قسنطينة دون نشاط فإن الاظهر أن تكون الواقعة قد حصلت اواخر 292 هـ وبداية 293 هـ وأن وصول فلولها الى رقادة واعفاء قائدها كان قبل جمادي الآخر 293 هـ لأن الأمير مبن في هذا الشهر 293 هـ . مدلجا بن زكرياء وأحمد بن مسرور الخال على رأس قوة لقتال الداعي (188) فثارا ضده ، وقتلا بين 10 - 13 من هذا الشهر ولذلك اضطر بعد حصار طبنة الى تكليف ابن حبشي من جديد (ص 192) بقتال الداعي في منتصف محرم 294 هـ فانطلق هذه المرة من مدينة الاربس .

ناصر البياض منذ أن ظهرت ثورات الخوارج وحركات جند تونس الى أن انتهت ، وقد قدر لها الآن أن تمثل نفس الدور القديم لفائدة السلطة الشرعية ضد انصار الحركة الاسماعيلية .

ولهذا لم يفاجأ الداعي الذي انطلق من ايكجان عبر سطيف على رأس حشد كبير من كتامة (338) أمام طبنة (339) بموقف الصمود ، والدفاع من طرف حاميتها وواليتها وسائر سكانها مع من انضاف اليهم من المعارضين من كتامة ، وبينما انهمك سكانها من داخل الاسوار في تحصين مدينتهم وتنظيم الدفاع عنها ، وعن شرفهم ومذهبهم السنني وتقاليدهم ضد قوات معادية تفوقهم عددا وعدة ازداد اصرار انصار الدعوة الاسماعيلية على تشديد الضغط على المحاصرين ليفتحوا الاسوار ويطلبوا الامان . وأمام تعذر الاستيلاء على المدينة استخدم انصار الداعي لأول مرة أسلوبا جديدا لاقتحام المدن المسورة اذا اعتمدوا في نقب أحد أبراج السور واسقاطه على دبابة كانت في حوزتهم (340) . وهنا نلاحظ أنها آلت اليهم ضمن الغنائم الوفيرة التي تركها ابن حبشي بعد هزيمة كينونة وهذا هو الاقرب الى الحقيقة لأن انصار الداعي وقفوا من قبل حيارى أمام أسوار سطيف ولم يقتحموها الا بعد الاتفاق مع اهلها على أساس الامان فلو كانت في حوزتهم قبل الاستيلاء على سطيف ما تورعوا عن استخدامها لنقب الاسوار على اعتبار انها كانت تغنيهم عن الالتزام بسياسة الامان ، وتقلل من تضحياتهم وتقصر امد حصارهم للمدينة ، وهدمهم لأسوار سطيف يبعد كونها من غير الغنائم التي اخذوها عقب كينونة .

ومهما يكن ، فقد اجدت هذه الوسيلة في اقتحام طبنة عنوة لكنها لم تجد في كسر حدة المقاومة التي انتقلت الى حصن من حصون المدينة ولم يترك رجال المقاومة وسيلة نافعة الا استخدموها ، كي يصرفوا رجال الداعي عن مدينتهم أو يتمكنوا من النجاة في ظروف ملائمة .

ويبدو أن تحرك الامير لنجدتهم زادهم اصرارا على الاستمرار في المقاومة حتى آخر لحظة . وتشير بعض النصوص الى تكليف ابراهيم بن حبشي من جديد بنجدة مدينة طبنة منذ منتصف محرم 293هـ - نوفمبر 905م (341) غير أن هذه النجدة التي قيل انها انطلقت من الأربس ، لم يقدر لها ان

338 - النعمان : افتتاح 114 (160 ط . بيروت) المقرئزي : اعطاف 1 ، 62 ولم يصرح باسم طبنة وان ذكر ان الداعي اخذ عدة معن بالسيف .

339 - النويري : المصدر السابق 26 ورقة 30 .

340 - ابن الاثير : الكامل 8 ، 15 س 3 النعمان : افتتاح ورقة 115 (161 ط . بيروت) .

341 - ابن عذاري : البيان 1 ، 192 .

تشارك في المعركة ، ربما لتعذر ذلك بسبب كثرة أنصار الداعي وسيطرتهم على أرباض المدينة ونواحيها وبقي دور هذه النجدة غامضاً لأن المعركة ضد طبنة انتهت لصالح أنصار الدعوة على أساس منح الأمان في أواخر ذي الحجة سنة 293 هـ (342) سبتمبر 905 م بعد أن تيقن رجال المقاومة من عدم جدوى الاستمرار في المقاومة وفي الانتظار ومن تعذر النجاة بأنفسهم إلى باغاية التي كانت حتى الآن تمثل قاعدة الأمان (343) .

أما المكاسب التي حصلت لأنصار الدعوة ، بضم طبنة فكانت هامة وفي مقدمتها :

— نجح الداعي في ضمان ولاء عامل المدينة (أبي المقارع) الذي فضل البقاء إلى جواره في أيكجان عن الرجوع إلى رقادة (344) ، حيث أصبح من أخص رجاله وقد انتقل فيما بعد إلى رقادة بعد فرار زيادة الله .

— وتمكن الداعي من الظفر بالأمير المسالتي « فتح بن يحيى » وقتله مع بعض مساعديه وكان هذا الرجل قد لب عليه الأحلاف في كتامة وكان محور التآمر ضده في تازروت كما لب أبا العباس عبد الله وابنه زيادة الله وكان سببا في الحملات الانتقامية التي قادها الأحول وإبراهيم بن حبشي وبتأثيره امتنع سكان سطيف من الأذعان كما تمنع سكان طبنة إلا بعد تضحيات جمة هنا ، وهناك . وكان عداؤه للحركة لا يخلو من عنصر المنافسة الشخصية بينه وبين غريمه وابن قبيلته هارون بن يونس الذي ظفر بمركز الزعامة في مسالته بسبب تأييده للحركة مع أن رئاسة القبيلة كانت منذ القدم لفتح الذي يلقب بالأمير ولهذا يعتبر الظفر بفتح وقتله في طبنة من أهم النتائج التي حققها الداعي لأن ولاء مسالته باستثناء رهط بني عفتيت الأباضية — أصبح الآن مؤكداً وشاملاً .

342 — ابن عداري : المصدر 1 ، 191 ويكون القائد بطل هزيمة كينونة قد تباطأ في السير وأخروفت انطلاقه حتى آيس المحاصرون وسلموا لأنصار الداعي لأن المسافة بين الأربس وطبنة لا تتطلب سوى أيام يسيرة .

343 — النعمان : افتتاح ورقة 116 — 162 (ما بعدها ط . بيروت) وقد أوضح عامل طبنة ذلك لأصحابه بقوله « نحن في وسط مدينة قد أخذها العدو علينا وأحاطوا بها من حولها وأقرب العمار إلينا باغاية وبيننا وبينها ثلاثة أيام فان نجونا من المدينة لم ننج ممن حولها وان نجونا منه وطلبنا لحقنا والياس من النجاة من هذا كله أقرب (ومنه يتضح لنا تطور الوضعية عن ذي قبل عندما فر إبراهيم من ميلة مع فارقي أساسيين من ينطلق من ميلة إلى رقادة وبين الذي ينطلق إليها من طبنة » .

344 — النعمان : افتتاح ورقة 117 (163 ط . بيروت) ومما زاد الداعي إعجاباً به قوله « ما كنت بالذي اتصرف عنك ولا أدخل أفريقية إلا بدخولك وكيف اختار المسير إلى قوم ، قد أدبرت عنهم الدنيا وأدمك وهي مقبلة عليك » .

ولم يظهر أي زعيم كتامي ، ما أظهره فتح من عداء تجاه الحركة الإسماعيلية كما لم ينشط مثله ، أحد تأمراً ودسا ووقية ضد أنصار الداعي .

— وفي طينة لم ينس الداعي ماضيه كمحتسب ولا واجبه في تنوير الراي العام في المدينة عن أبعاد سياسته المالية ومنهجه الشرعي عكس ما كان يفعله الأمراء الاغالبية فيها فبدأ بالجباة وسأهم عن مصدر الأموال التي أتوه بها ، ولما قالوا له أنها من العشور أخذها منهم وسلمها لبعض ثقات المدينة ليرجعوها الى أصحابها ويبلغوهم مع بقية السكان « انهم أمناء على ما يخرج الله لهم من أرضهم ، وسنة العشور معروفة على ما ينصه كتاب الله » (345) .

ولما أجابه بعض الجباة عن مصدر الدنانير التي توجد معهم بأنها جزية اليهود والنصارى عن حول مضى لهم « أنكر عليه ذلك لأن الرسول كان يأخذها دراهم لا دنانير وعندما بين أنه أخذها بالصرف الذي ينسب تشريعه لعمر قال له الداعي هذا مال طيب ولكنه أمر رجاله برده الى أصحابه ويلاحظ ان حركته كانت بارعة لأن رأي عمر وان كان لا يأخذ به باعتباره اسماعيلياً فقد استصوب رأي الرجل ظاهراً اما ردها الى أصحابها فقصده منه تأليف قلوبهم للعهد الجديد كما رفض أن يأخذ مال الخراج بحجة ان المسلمين ليس عليهم خراج وأخذه منهم مخالف للشرع لكنه قبل أموال الصدقة التي أخذت على الانعام عينا ، عندما اتضح له أنها أخذت حسب المقادير الواجبة .

ومن هذه التصرفات الحسنة ظهر للسكان مدى مراعاته للحق والعدل والتزامه بأحكام الشرع خاصة في الأموال فاطمأنوا اليه كما كانت ذات أصداء حسنة عند سكان مدن الزاب الأخرى ، وسكان سائر افريقية « فثاقت انفسهم اليه وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته (346) » .

— واختص نواحي الادارة في طينة بعنايته فعين على المدينة أبا عبد الله يحيى بن سلمى والياً (347) ، ويلاحظ أن النصوص لم تكشف عن نسبه فهل كان من بين ثقات طينة العرب الذين استمالهم وأعجبوا به وبسيرته ،

345 — ابن عذاري : البيان 1، 191 وما استند عليه في مصادرتها منهم قوله « انما العشور حبوب وهذه عين . لقبال ، الحبة الذهبية في بلاد المغرب العربي 46 .

346 — ابن عذاري : البيان 1، 192 ومن هؤلاء سكان دار ملول (بنو يملول الآن) شرقي طينة والى جوار خنشلة بسفوح أوراس .

347 — النعمان : افتتاح ورقة 117 (153 ط . بيروت) .

أو كان من بين رجال العهد الجديد من قبيلة كتامة ؟ وقياسا عما جرى من قبل في ميله وسطيف يرجح أن يكون هذا العامل ، كتاميا لأنه إذا كانت رغبة الداعي تعيين رجل نشيط حازم فإن مامل المدينة القديم أبا المقارع ، كان أنسب لهذه المهمة من غيره وقد غدا صديقا مخلصا للداعي ، الذي أعجب به ، واستبقاه إلى جواره في أيكجان (348) كما أشرنا .

— ويبدو أن مهمة عامل طبنة كانت تتجاوز ضمان حسن سير الإدارة إلى الإشراف على البعث والحملات الاستطلاعية في النواحي المجاورة والعمل على مد نفوذ الحركة الاسماعيلية إلى مراكز أخرى . ومنها بلزمة التي بقيت خارج إطار الحركة رغم تركيز الحملات على أراضيها منذ وقت طويل .



— وبلزمة ونواحيها (القصر الآن) منطقة نفوذ أغلبية ومن حصون الدولة الهامة ومن مراكز بني تميم ، ثم هي من مضارب قبيلة مزاتة التي أظهرت هداها للحركة الاسماعيلية من قبل ونقطة الضعف في مركزها هي انفصال سكانها عن الدولة منذ عصر إبراهيم بن أحمد الذي غدر برجال من الناحية ، ثم عدم وجود حامية أغلبية في المدينة التي كان يشرف على شؤونها في هذه الفترة عامل متغلب هو حي ابن تميم (349) .

وقد كان في وسع هذا العامل ، لو أراد الانضمام إلى الحركة الجديدة أن يخطب ود الداعي ويهون على أنصاره مشروع ضم المدينة إلى دائرة

348 — ويبدو أن اكتساب الداعي لصداقة أبي المقارع لتشابه طباعهما في الجدد والروسية وقوة الحجج وسلامة المنطق ثم تجاوبه مع ثقات طبنة ووجهاتها وأعجابه بالمدينة وبمعالمتها بنصاف إليها توفيقه في الحرب ثم في إشاعة السلم في ربوعها تركت في نفسه أثارا حسنة وذكريات لطيفة خلدها في قوله وهو يفخر بفروسيته وزهده في الحياة :

من كان مفتبظا بلين حشينة	فحسنيتي وأريكتي سرج
من كان يعجبه ويهجه	نقر الدفوف ورتة العنسج
فانا السذي لا شيء يعجبني	إلا التهامي لجة السوهج
سل عن جيوشي إذ طلعت بها	يوم الخميس ضحى من الفسج

انظر البكري : المصدر 51 حسن حسني عبد الوهاب تاريخ الأدب التونسي 78 هامش 1 وقد نسبها الآخر إلى المهدي مع أن الأخير لم يبرح رفاة إلا إلى المهدي ولم يقد حربا خارجها حتى توفي . ونفس الأبيات يدل على قائد عسكري مظهر كانت له طبنة صلات وذكريات .

349 — النوري : المصدر السابق 26 ورقة 26 ، 30 .

نفوذهم خاصة وان الكراهية للحكم الاغربي والرغبة في اضعافه كانت قدرا مشتركا بينهم لكنه تحسن واستمر في المقاومة حتى آخر لحظة كما اوصى بذلك بعد وفاته ، ومن دون شك فان ادراكه التام لاهداف الحركة الجديدة ولاعباها وتصديها لكل عناصر النظام القديم ولرغبة كتامة في الثأر لنفسها من عرب بلزمة ، هذا مع مساندة مزانة ووقوفها الى جانبه في الدفاع عن المدينة لم يترك له مجالا لاختيار طريق آخر غير الدفاع عن استقلال منطقتة سياسيا ومذهبيا ضد قوم غرباء مغمورين تدفعهم الضغينة ويقودهم التعصب العنصري والمذهبي .

ولم يسلم السكان للقوات التي حاصرتهم عسكريا عندما استخدمت الدبابات والأبرجة لهدم الأسوار والنفاذ الى قلب المدينة ، وحاصرتهم اقتصاديا عندما كانت تركز من قبل على مزارعهم وبساتينهم في أوان النضج لأفساد الانتاج الا بعد ان أكلوا كل ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها ثم عادوا الى درقهم فكانوا يقطعونها ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها الى ان غلب عليهم الجوع فاستأسروا .

وكانت تقمة الداعي وانصاره شديدة على من بقى من السكان فصادروا الاموال والامتعة وقتلوا عناصر المقاومة وهدموا أسوار المدينة (350) ، وتركوها على حالة سيئة وانصرفوا الى قواعدهم في طينة واكجان (351) .

— واذا كانت آفاق المعركة بعد سقوط بلزمة ثم هزيمة وقتل هرون بن الطنبلي الذي أرسل من طرف الامير لتحريرها وتأييد سكان دار ملول المتشيعين قد أصبحت واضحة للسكان ولانصار الدعوة الاسماعيلية فان السر في سرعة انتشارها وتطور نفوذها وكثرة الاقبال عليها في بقية حواضر افريقية هو شيوع ظاهرة الرهبة من عقاب انصارها الذين أصبحوا لا يفلبون والرغبة في الانضمام الى حركتهم ما داموا يدعون اليها وليس هناك بارقة

350 - النعمان : افتتاح 118 - 119 (164 - 165 ط . بيروت) ابن الاثير : المصدر السابق 8 ، 15 ويشير الى استخدام النار لاحتراق المدينة اثناء حصارها ابن خلدون : العبر 4 ، 72 ابن عذاري : البيان 1 ، 191 دون اية تفاصيل عن الفتح اما القرظي في (اتعاط) وفي الخطط فلم يشر الى طينة ولا الى بلزمة ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 30 .

351 - لم تشر المصادر المختلفة الى ترك الداعي لعامية كتامية ولا الى تعيين عامل جديد في بلزمة بعد فتحها نظرا للدمار الذي سلط عليها حتى غدت لا يخشى جانب سكانها ويبدو ان مزانة راجعت موقفها لاننا لاحظنا ان اول ولاة سجلماسة بعد فتحها وتحرير عبيد الله كان منها : فلعله كان الوجه الجديد الذي يمثل التيار الاسماعيلي بين قبيلته ثم في بلزمة التي احتفظت بهدونتها ولم تظهر فيها حركات عصيان ضد الدعوة الاسماعيلية بسبب دوره الرئيسي انظر البكري : المصدر السابق 150 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 212 .

أمل تشعر بأنهم قد يتخلون عن البلاد أو يتراجعون عنها الى غيرها ومن ثم بدأت الحركة الداخلية الجديدة التي تزعمها بعض المتشيعين والطموحيين وغذاها الدعاء والرقباء وأسفرت عن انضمام كل من مدينتي تيجس (352) وباغاية (353) الى دائرة النفوذ الاسماعيلي على الرغم من أن كليهما كانت ترابط فيها حامية عسكرية أغلبية ويوجد فيها وال يمثل الامير الأغلب كما انضمت بعدهما تيفاش وقالة ومسكيانة وتبسة والقصرين في ظروف مشابهة وخضعت مجانة وحيدرة بعد تشديد الحصار كما أعطى الأمان لاهل قسطلية بعد مناوشات خفيفة .

ويعتبر سقوط باغاية في حد ذاته خسارة كبرى للدولة الاغلبية لانها كانت من أهم وأمنع ثغورها في منطقة أوراس والزاب وكانت بمثابة القاعدة الامامية لمدينة رقادة وغدت أثناء هذه الفترة تشرف على سير المعركة في كتامة وفيها تتجمع الحملات الاغلبية وتملا صفوفها واليها تلتجئ اذا ما داهمتها الأخطار وقامت باغاية في هذه الناحية بدور أساسي حتى هزيمة هارون بن الطنبلي في دار ملول ومن يومئذ انقلب التيار فيها لصالح الحركة الاسماعيلية التي ضمت المدينة برضا ودعوة من سكانها .

وأحسن الداعي لاهلها وعين عليها عاملا ستاميا وترك معه حامية وخطط لسياسة المستقبل وتقتضي الانطلاق منها الى النواحي للدعوة وللكشف وللضغط على معسكر ابن الاغلب الذي استقر في قاعدة الأربس بحيث صارت هذه الأخيرة قاعدة امامية للأمارة في مواجهة باغاية التي أصبحت قاعدة امامية هامة لرجال الحركة الاسماعيلية ويشير ابن عذارى الى هذه الحقيقة بقوله (فكانت خيل أبي عبد الله الشيعي تغير على الأربس من باغاية وخيل زيادة الله تغير على باغاية من الأربس) (354) .

352 - النعمان : افتتاح ورقة 121 - 123 (167 - 171 ط بيروت) وكان عاملها يعرف بابن ركاب قد أخذ بالدعوة في ايكجان بعد أن وفد على الداعي وكانت الحامية مؤلفة من خمسمائة رجل عليهم يحفور من فتيان الأمير وقد رجع الجميع الى رقادة سالمين وفاء بامانهم فكان لذلك اثر معنوي عظيم افاد الحركة بقدر ما امر بوضعية الأمر زيادة الله .

353 - نفسه ورقة 134 (181 - 182 ط . بيروت) ابن عذارى : البيان 1 ، 194 ويشير الى سقوطها في شعبان 294 هـ ، أما القرظي في اتصاف 1 ، 62 فلم يشر اليها ولا الى تيجس صراحة ، ابن الأثير 8 ، 15 ابن خلدون : العبر 4 ، 74 التويري : المصدر السابق 26 ورقة 30 .

354 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 195 س 12-13 .

- ويتفق ابن عذارى وابن الأثير والقاضي النعمان على صيغة متشابهة تعبيراً عما تركه حادث سقوط باغاية بعد تيجس وبلزمة من حزن وغم ووحيرة في نفس الأمير الذي اقتنع برأي أنصاره الذي يقتضي المحافظة على مركز الدفاع وتدعيمه في الأربس وأستبعاد مشروع تحريرها باعتباره مخاطرة غير مضمونة العواقب وقد تؤدي إلى انهيار سريع (355) .

والحقيقة التي يجب أن تسجل هنا أن ردود فعل الأمير تجاوزت مجرد الغم والحزن ثم الجنوح إلى التسلية إلى إجراءات عملية وخطيرة وفي مقدمتها :

أ - أرسل غداة سقوط بلزمة وانتشار التيار الاسماعيلي فيما يجاورها حملة كبرى لارجاع الوضع إلى طبيعته ولطرد المتشيعين وأسند قيادتها إلى أحد أفراد أسرته وهو هارون بن الطنبلي الذي نجح في جلب كثير من سكان منطقة الزاب كما تمكن من تأديب سكان دار ملول (356) (بني يملول الآن) لانضمامهم إلى الدعوة الاسماعيلية دون صعوبة وإذا كانت هذه الحملة قد فشلت في فحص الرماح (357) بقرب مضارب بني ملول فإن ذلك يرجع إلى عدم كفاءة القائد وعجزه عن السيطرة على رجاله الذين انسحبوا أمام كتيبة صغيرة كان يقودها عروبه بن يوسف الملوسي ، لمهمة الاستطلاع وقد كلفه قصور حياته وتشتت شمل رجاله (358) .

ب - لم يبق الأمير في حاضرة ملكه وبين جواريه وندمائه وإنما خرج بنفسه إلى الأربس للإشراف على قتال الداعي وتحرير المدن التي سقطت في قبضته ، ولم يرجع إلا لضرورة حربية وتحت ضغط أنصاره الذين

355 - ابن عذارى : المصدر 1 ، 193 ويذكر أن الأمير كان يتغلب على حزنه بالالتجاء إلى التسلية (أو كان إذا فكر في زوال ملكه وغلبه عدوه على أكثر مواضع عمله يقول لندمائه « املاوا سقني من القزن يكفيني » النعمان : المصدر السابق ورقة 135 (182 - 184 ط . بيروت) وقد قال للأمير احدته مائة ليسليه « لقد أراحك الله من أهل باغايه وحمل منك مؤونتهم » .

356 - عن موقعها بين طبنة واوراس انظر الأديسي 66 أو بين مسكيانه وطبنة انظر المقدسي 217 - 218 ووردت بصيغ مختلفة في المصادر ملولة ملول عند النعمان ودار ملوك عند ابن الأثير وأزمول عند ابن خلدون والأصوب منها : ملول نسبة لسكانها بني ملول أو يملول بالنطق المحلي وهم بجوار خنشة .

357 - انفرد يذكره النعمان دون غيره من المؤرخين والجغرافيين وهو بجوار بلزمة .

358 - النعمان : افتتاح 119 - 120 (165 - 167 ط . بيروت) ابن خلدون : العبر 4 ، 72 ويصف هارون بأنه عامل على باغاية بينما يذكر النعمان أن أخاه زيادة الله هو الذي كان عاملاً عليها القرظي : تماظ 1 ، 62 وجاء فيه باسم الطيبي ابن الأثير 8 ، 15 .

اكتفوا بقيادة أحد أفراد الأسرة للجيش وهو إبراهيم بن أبي الغلب الذي استمر الأمير يدعم قواته بنجذات متوالية (359) .

ج - وكان رده على الآراء التي يبثها الداعي وأنصاره ويلهج بها دعائه في الأفاق ردا حاسما حيث غدا لعن الداعي تقليدا متبعا أمر به في سائر منابر الإمارة كما أنه أرسل لسكان إفريقية سجلا هاما يتضمن دحض شبه الداعي « الكافر الصنعاني المبدل لدين الله المحرف لكتابه المحل دماء المسلمين بغير حقها ، المبيح للفروج بخلاف حلها » ، والتنديد بأنصاره من كتامة الذين وصفوا بأنهم مجرد « بربر اغنام وجهال طغام » .

وقد قرئ هذا السجل في القيروان ورقادة وأرسلت منه نسخ الى سائر النواحي (360) .

- وفي هذه اللحظة الحاسمة ، من حياة الإمارة الاغلبية التابعة للعباسيين لم يجد المكتفي بالله الذي ولى الخلافة بعد المعتضد بالله ما يرد به على هدية الأمير ويخفف عنه بعض أثقاله ويدعم مركزه أمام الحركة الاسماعيلية غير سجل منه وجهه الى اهل إفريقية رعاياه السنين لحثهم على الوقوف صفا واحدا وراء الأمير المجاهد ، المطيع لأمير المؤمنين لقتال « عدو الله الخارجي الناجم بأطراف نواحي المغرب » وأنصاره بربر كتامة « أشياع الضلال وأوباش الجهال والباغين في الفتن » لتطرفهم وقسوتهم على غيرهم من المسلمين وانتحالهم مذهب شاذا وأشاعتهم الفرقة والانفصال في المنطقة بقوله « وان من كان مذهبه مذهب زيادة الله كانت وسيلته الوكيدة وقربته القريبة عند أمير المؤمنين وكان حقيقا بالاجتباء له ، والاحسان اليه والسكون الى ناحيته وأمير المؤمنين مرتض لأمره حامد لطريقته واثق بمناصحته معتمد عليه في الصقع الذي هو به » (361) .

وكانت اوضاع الخلافة العباسية في المشرق سيئة بسبب نشاط دعاة الاسماعيلية في مناطق الشرق الاسلامي ، وظهور حركتهم في بلاد اليمن والبحرين وانتشار تيار التشيع بين ولاة الخلافة ورجالها في مصر

359 - ابن عذاري : البيان 1 ، 193 وسمي القائد الجديد : ابراهيم بن احمد بن ابي عقال ، النعمان : افتتاح 132 - 133 وفيه « والذي نرى من الراي ان تكون في دار ملكك فاننا لا نأمن ان يحدث بعدك حدث » البكري : المصدر السابق 46 ابن الاثير : المصدر السابق 8 ، 15 .

360 - النعمان : افتتاح 123 وما بعدها (170 وما بعدها ط . بيروت) .

361 - افتتاح 123 ابن عذاري : البيان 1 ، 189 وعن بيعة المكتفي بالله بعد المعتضد انظر : ابو الفداء : المصدر 2 ، 62 - 63 ابن الوردي « تنمة المختصر في اخبار البشر 1 ، 246 - 249 السيوطي : تاريخ الخلفاء 205 وما بعدها » .

والشام (362) ، ومن هؤلاء وجد عبيد الله سندا له حتى مر بسلام الى المغرب ولهذا لم يستطع الخليفة عمل شيء آخر ومع ذلك فقد انضاف سجل الخليفة الى سلسلة الجهود التي بذلها زيادة الله وكان له تأثير معنوي كبير عند جمهور أهل السنة عندما قرئ على منابر القيروان وقرادة كما نسخت صور ووزعت لقراءتها في سائر النواحي . ورغم أن القاضي النعمان يزعم أن زيادة الله هو الذي لفق هذا السجل ونسبه الى الخليفة المكتفي بالله ، ليعيبه به المشاعر الفاترة ويشحذ به العزائم الخائرة فان ابن عذارى أشار الى وصول هذا السجل ضمن أحداث 293 هـ / 905 - 906 م وكان من قبل قد ذكر سفارة الأمير وهداياها المعتبرة التي أرسلت للخليفة العباسي .

ولذلك يبدو أن رواية ابن عذارى هي الراجحة لاعتبارين : أنها أسست على ظاهرة الأثبات ومنطق الحوادث ، ووضع الأمير في أفريقية لا ينفياها .

— ثم ان الامارة الأغلبية ما زالت بعد تابعة اسما للخلافة العباسية وقد حرص أمراؤها على تمتين العلاقة بالخلفاء للحصول على التقليد الشرعي من طرفهم والتأييد الأدبي ليطيعهم السكان . وزيادة الله ليس بدعا في الأمر ، عندما يسترضي الخليفة بهدايا ثمينة ويرجو منه بطريقة غير مباشرة العون الأدبي والاعتراف الشرعي . والخليفة من جهته سار على التقاليد المتبعة من قبل فارس الى منشورا يظهر رضاه واعترافه به ، ويؤيد جهوده ويباركها ويكتل حوله جمهور السكان .

وإذا كان زيادة الله في ظل ظروف بلاده قد اصطنع بعض سجلات ونسبها الى الخليفة ، بعد ذلك خاصة بعد أن سرى الوهن وضعفت الروح المعنوية عند السكان بسبب طغيان حركة التوسع الاسماعيلية (363) فان ذلك من أخص واجباته وهو في نفس الوقت غير مستبعد ولا مستهجن بالنسبة لافكار ذلك العصر في ظل الحروب والفتن . وهل كان ينتظر منه غير ذلك ؟ والداعي يجتهد بقوة لظهور عيوبه ونقائصه بين رعاياه ويصطنع بعض المواقف للتأثير على السكان ويحاول جهده أن يستفسد قلوب أخص رجاله ومستشاريه

362 - أبو الفداء : المصدر 2 ، 58 ، 61 ابن الوردي : المصدر 1 ، 241 ، 245 ، 261 ابن العماد الحنبلي : شذرات 2 ، 192 ، 274 ابن العبري : تاريخ مختصر الدول 262 ابن الساعي البغدادي : مختصر أخبار الخلفاء 70 وما بعدها أيفانوف : استتار الامام (مقدمة) 91 .

363 - النعمان : المصدر السابق ورقة 131 (178 ط . بيروت) ومن ضمن ما رده السكان « أما الرعية لمن قلب فان كانت له قوة وعنده غناء فليقاتل وأما الرعية لما تعرف مدافعة ولا اعتادت محاربة » وانظر أيضا ورقة 123 (170 ط . بيروت) حيث توقع السكان قدوم الداعي الى أفريقية .

بوعود خلافة . والأغرب من ذلك انه سمح لنفسه في ظل المعركة وقبلها أن يخلق أحاديث مرة عن فح الأختيار ومرة عن ظهور دولة المهدي ، وفي كل أحاديثه كان يصور نفسه بأنه داعية للمهدي وللرضا من آل محمد الذي تتحقق على يديه الخوارق وفي ظله ينعم الناس بالعدل والرحمة والمساواة . وأغلب هذه الاتجاهات عبر عنها بعض المؤرخين المعتدلين بقوله « وصار (الداعي) يقول : المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض فيا طوبى لمن هاجر الي واطاعني وأخذ يفري الناس بزيادة الله ويعيبه . وكان أكثر من عند زيادة الله من الوزراء شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر أبي عبد الله » (364) غير أن الحكم على أغلب رجاله بأنهم كانوا شيعة يتضمن مبالغة كبيرة خصوصا وأن التهمة التي حامت حول ابن الصائغ لا تستند الى دليل يؤيدها ولعل القول الاصوب هو : ان رجال الامير كانوا نوعين . نوع منحل الأخلاق بعيد عن الاهتمام بشؤون السياسة والعقائد ولا تهمة مصالح الامير بقدر ما يهمة ارضاء نزواته . أما النوع الثاني فكان مخلصا للامير ولاسرتة وله بالسياسة اهتمام ، ويعرف تطورات الأوضاع غير أن سلوك الامير وبطانته هي التي أربكته وأدخلت الاضطراب على نفسه وفي أعماله ومن هذا الفريق عبد الله بن الصائغ ، ويلاحظ أن أغلب رجال الامير استمروا الى جواره في رقادة فلما فارقتها الى المشرق صحبه بعضهم وتخلف آخرون بعده لفترة يسيرة ، ولم تشر النصوص الى فرار أي واحد منهم الى مركز الداعي ، منذ بداية الصراع الى انتهائه ، وهذا في حد ذاته يكفي لابعاد شبهة التشيع على أغلب رجاله .

د - لم يتدل أي امير قبله ما بذله هو من أموال في سبيل تجنيد الرجال وتعبئة القوى وكان هذا الاجراء تعبيرا عن غلبة المادة على نفوس الناس في وقته فلا يخلصون في العمل الا اذا أجزلت لهم الصلات أما قضية المباديء واستمرار الحكم الاغلبى أو زواله لفائدة حركة جديدة فأصبح لا يشغل حيزا كبيرا من اهتماماتهم وتشير بعض النصوص الى أن الامير كان يجلس في مكان في رقادة يسمى قبة العرض وكل من مر به اعطاه صفحة دنانير تسع نحو خمسين دينارا وشاخ خبره فتقاطر الناس اليه للعمل نظير اعطائهم صحافا من دنانير (365) .

وفي مدينة الاربس غمر جنوده بالأموال وزود كل من أراد العمل بصفحة دنانير تفرغ له في كسائه وبفرس يقاتل عليه وبهذه المبالغة في صرف الأموال

364 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 59 ابن الامير الكامل 8 ، 12 .

365 - النعمان : افتتاح 132 (179 ط . بيروت) .

لتجنيد الرجال وترغيبهم في المقاومة تمكن من احراز بعض النتائج الايجابية الى حين (366) .

واذا ، فالامير الذي يجند الجيوش ويعيىء القوى المعنوية ويسد الثغور وينفق الاموال بسخاء ويعزم على اللقاء ، في الاريس بنفسه ويقترح مواجهة عدوه في عمق منطقتة في باغاية او في ايكجان ، هو امير حازم يشعر بالمسؤولية وايجابي في تصرفاته بحيث لا تؤثر عليه النكبات او الاحزان والتزامه برأي اغلب رجاله في تبني خطة الدفاع في هذه الفترة يدل على مدى قدرته على ضبط النفس وقوة الاحتمال .

ويبدو ان هذا الرأي الذي دعمه عامل باغاية السابق الذي استقر في الاريس فيه نضج كبير وتقدير للموقف لان سقوط باغاية بعد تيجس كان بتيسير خاص من اهله كراهية في السلطة الاغلبية وقد احكم السكان الخطة من وراء ظهر عامل المدينة الذي فوجيء بالامر فلم يسعه غير الفرار .

ولهذا فليس من السهل على اية حركة هجومية اغلبية ان تنجح في هذه الفترة اذا لم تساندها القاعدة الشعبية وهي العامل الحاسم في هذه الظروف لان الجو أصبح مهيبا للحركة الجديدة بعد ان مرت فترة طويلة من العمل والاختيار وغدت اصدااء التشيع القوية وموالة الحركة هي المسموعة قبل غيرها عند اغلب السكان .

اما محاولة الهجوم المباشر بعد ذلك على ايكجان فهي مخاطرة كبرى ، بل هي عملية انتحارية لان الهجوم اذا قدر له ان يبدأ فعلا بعد التغلب على وعشاء السفر ومناوشات كتائب الداعي والسكان الموالين لها وعلى تحفظ سكان المدن التي انضمت الى الحركة حديثا - فانه لن يقدر له النجاح على ارض - وعرة وضد انصار كثروا وبين محيط سكاني اغلبه معاد للنظام السياسي في رقادة وبالتالي لن يستطيع اي قائد ان يقتحم قلعة ايكجان .

واذا كانت حركة الهجوم المباشر عليها قد وجهت من قبل بواسطة قوة اغلبية ضاربة تسندها قواعد خلفية موالية وحشد كبير من القبائل المعادية للحركة الاسماعيلية ثم فشلت امام كتيبة من المتطوعين في كينونة فانها الآن وبعدها طرا على الوضع السياسي والاجتماعي في كتامة والزاب من تغيير ، محكوم عليها سلفا بالهزيمة الساحقة .

366 - ابن عذارى : البيان 1 ، 189 ونص كلامه « واعطى بها (اي الاريس) الاموال جزافا بالصحاف كيلا بلا وزن لكل رجل صحفه ويحمل على فرس » .

وهذه الاعتبارات هي التي أوضحها عبد الله بن الصائغ في مجلس الأمير بقوله « لما صار أهل باغاية معه وفيها عسكره وعامله وهي حصن حصين وهو منها بالقرب فليس لزحف ابن أبي الأغلب إليها أي وجه » (367) .

وتحمل اشارة ابن عذارى الى عزم الأمير على الخروج الى مصر سرا بعد سقوط باغاية مباشرة (368) في شعبان 294 هـ مجموعة من الاعتبارات منها :

— ادراك الأمير لابعاد هذه الهزيمة المادية والادبية التي تشير الى قرب ساعة الانهيار النهائي .

— أهمية قاعدة باغاية لنظام الامارة الاغلبية ودورها في جهاز الدفاع والهجوم ضد الحركة الاسماعيلية في الزاب .

— اختلاف وجهات نظر رجال الأمير حول الكيفية التي تعالج بها الأوضاع المتدهورة بعد سقوط هذه المدينة .

فراى أقرب رجاله وهو ابن الصائغ وزيره ومدبر شؤون الدولة وصديقه القديم رغم أنه اتسم بالاضطراب الا أنه اجتهد فراى أن المعركة ضد الحركة الاسماعيلية قبل سقوط باغاية أو بعده هي معركة ذات طابع عسكري بالدرجة الأولى ولو أنها لا تخلو من الصراع المذهبي وعلى ذلك فابقاء قائد حازم في المنطقة يتولى قتال الداعي ربما كان اجدى للبلاد التي لا يؤثر فيها بقاء الأمير أو رحيله عنها سرا الى مكان بعيد سيما وأن كثيرا من قادة فتح افريقية وولاتها الشرعيين في العصرين الاموي والعباسي قد التجأوا في ظروف مشابهة الى ترك القيروان وافريقية مؤقتا ، ثم رجع بعضهم إليها بعد حين .

وكان زهير بن قيس البلوي (369) ، هو أول من نفذ فكرة اخلاء قاعدة القيروان والجلء عنها الى برقة غداة معركة تهوده ، 63 هـ/682-683م كما فعل ذلك حسان بن النعمان الفسائي غداة هزيمته امام بتر جراوة

367 — النعمان : افتتاح 1 ، 135 (183 ط . بيروت) .

368 — ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 194 — 195 ويلاحظ أن الفرار لو تم فعلا لكان تكديبا للتنبؤات الشعرية ولاحاديث المنجمين والقصاص التي حددت رجب 296 هـ موعدا لبدء عصر جديد :

في الست والتسعين ياتيك العجب

فذاك حدث ظاهر قد اقترب

من جيغل يتفص جيش ذو لجب

بمسد كمال الماتين في رجب

انظر النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 50 (86 ط . بيروت) .

369 — ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 21 ، ابن عبد الحكم : المصدر السابق 269 — (ط . عبد النعم عامر) .

والكاهنة عند وادي نيني (370) وحنظلة بن صفوان الكلبى (371) ، وهرثمة بن أعين (372) ، ومحمد بن مقاتل المكي (373) .

واعتبارا بهذه السوابق التاريخية ولتشابه الظروف أشار ابن الصانع عليه بالرحيل إلى مصر سرا ، دون أن يكون هدفه تمكين الداعي من الدولة أو تسهيل مهمته لدوافع مادية أو عقائدية ، كما يرى بعض المؤرخين .

أما رأي إبراهيم بن حبشي بن عمر التميمي ، فكان يشجعه على البقاء بحجة أنه مازال في مركز قوى من الناحيتين المادية والأدبية .

ورغم أن هذا الرأي استند على ماضي الأسرة الاغلبية في الاستمرار في حاضرتهم لتوجيه المارك ، حتى في ظل أصعب الفترات فإنه لا يخلو من المبالغة والتزييف وروح العناد ، والرغبة في استمرار الأمير في البلاد . وتظهر جميعها خاصة في قوله « فكيف بك وقد كثر مالك ، وأحبك رجالك وأهل إفريقية معك وإنما خرج عليك شيخ لا يعرف مكانه في البربر وأنت في حصن منيع والله يدفع عنك ، فدع ما يقال لك فانك الظافر » (374) .

فلو كان مصدر هذه الآراء ، ممن لم يختبر حال الحركة الاسماعيلية ولم ينهزم في معركة كينونة لوجد له عذر في عدم ادراك التطورات الجديدة في المنطقة أما وقد صدر كل ذلك عن ابن حبشي مرابط قسنطينة وبطل الانسحاب من كينونة على رأس العسكر المنصور . . فإنه يبعث على الدهشة ولا يفسر الا على أساس التزلف للامير بالتظاهر بالقوة واصطناع النكاية في غير ساحة الحرب وبتطمينه بسلامة مركزه . ويبدو أن الرأي لا يعدو في روحه ومستواه قول جاريه له وقد لاحظت عليه تبرما بحاله وبرجاله وغلماؤه وأسى دفيننا وحرنا عميقا (375) :

**أصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرح وحرزن مرة لا الحزن دام ولا السرور**

370 - نفسه 1 ، 26 ، ابن عبد الحكم : المصدر السابق 270 .

371 - نفسه 1 ، 65 - 66 ابن عبد الحكم : المصدر السابق 300 - 301 .

372 - نفسه 1 ، 110 .

373 - نفسه 1 ، 112 .

374 - ابن عداري : البيان 1 ، 195 .

375 - نفسه 1 : 194 .

واقناعه بفحوى هذا القول وسروره بنصيحة ابن حبشي دفعاه حيناً من الدهر الى بذل جهد مضاعف للاحتفاظ بمركزه وبآخر ما بقي له من نفوذ في حواضر افريقية وبفضله سرى جو الانتعاش وعرف المعسكر الاغلبى حركة ونشاطاً أفادتاً في الحد من ظاهرة التوسع النشط ومن جو الانتعاش في المعسكر الشيعي .

* * *

ومنذ هذا الوقت (شعبان 294 هـ / مايو 906 م) حتى سقوط قاعدة الاربس (في جمادى الآخرة 296 هـ) ظهرت تطورات هامة بالنسبة لكلا المعسكرين . وأول ما يلاحظ في جانب الطرف المهاجم وهو الداعي وأنصاره :

— التقدم المطرد والسريع نحو حدود الامارة لاحكام الحصار حول معسكر ابن ابي الاغلب في قاعدة الاربس .

— وارسال حملات صغيرة وبعوث انطلقت من ايكجان ومن قاعدتي باغاية وتيجس قادها الداعي بنفسه أو ترك قيادة بعضها لرجال من لهيصة وبني سكتان وملوزة وجيمطة وأسفرت في النهاية عن الكشف في عدة جهات وعن الاستيلاء على عدة قواعد ومدن تقع على هوامش الامارة شمالاً أو في الوسط أو في الجنوب .

وأولى هذه القلاع مجانة التي استسلمت لأبي مدين بن فروخ اللهيصي رغم انها كانت حصينة ومسورة وترابط فيها حامية أغلبية كبيرة ويشرف على شؤونها عامل أغلبى نشيط هو خفاجة العيسى الذي لقي مصرعه مع كثير من رجاله (376) وتلتها مدينة قصر الافريقي التي أشرف على ضمها أبو جعفر أحمد بن سليمان السكتاني (377) ثم مدينة تيفاش القريبة منها التي ضمن ولاء سكانها للحركة الجديدة صولات بن القاسم السكتاني الذي اشتهر بالنكاية في الحرب شهرته في ميدان الدعوة السلمية .

أما عامل تيفاش القديم فقد انضم للحركة الجديدة إبقاء على نفسه ، كما تأثر بها كثير من السكان بواسطة بعض الدعاة ومنهم عبد الله بن كليب

376 — النعمان : الفتح ورقة 137 (185 وما بعدها) القرظي : انماط 1 ، 62 — هامش 3
ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 15 وعن وصفها انظر : الاستبصار 161 ، البكري :
المصدر 49 ، 145 الأديسي : المصدر 63 اليعقوبي : المصدر 101 .

377 — نفسه : وعن وصفها انظر : البكري 53 الأديسي 88 ، البغدادي مرصد الاطلاع
3 ، 1097 وهي في دائرة سوق أهراس ، كان يفصلها عن تيجس وادي الدنانير وصلت
بانها مدينة جامعة وغنية وذات آثار قديمة .

المجاني ولذلك لم يجد حبيب بن ليفة الذي انتدب لإدارة المدينة من يساعده لمواجهة قوة صولات ففضل الفرار إلى الأربس (378) .

ومن مدينة تيفاش ضمت مدينة قالمة بجهد يسير كما وفد عليه بعض قبائل الجهة يظهرون استجابتهم للدعوة ويطلبون الأمان ومن هؤلاء بنو ورديم ، وبنو هراس (واليهم تنسب مدينة سوق أهراس) فأمرهم بالاتصال بمركز الدعوة في أيكجان (379) وعقب ذلك انسحب صولات برجاله إلى كتامة أثناء الهجوم الأغلب على تيفاش .

أما مدن مسكيانة وتبسة ومرمجة وحيدرة والقصرين (في قمودة) وأقليم قسطيلية وقصور قفصة فقد أشرف عليها الداعي بنفسه وانطلق إليها من قاعدة باغاية الحصينة (380) . ومن بين هذه المراكز وجد أنصار الداعي مقاومة شديدة أمام مدينة حيدرة ، بسبب التجاء كثير من سكان النواحي إليها وتنظيم خطة الدفاع عنها بالاشتراك مع سكانها يضاف إلى ذلك المرض الذي طرأ على الداعي فجأة ومع أن الحصار استمر لهذين السببين فإن سكانها رضوا بفتح أبواب مدينتهم بعد إشاعة جو الأمان بين عامة السكان إلا أن جند كتامة لم يرتبطوا بالوعد الذي منح وارتكبوا مخالفات شديدة تألم لها الداعي على ما كان به من مرض وأزال أثرها ، بسرعة إلا أنها كانت خير فرصة لخصمه كي يستغلها إلى أبعد الحدود ويشنع على الداعي وعلى الحركة وعلى أنصارها أيضا .

ويلاحظ هنا أن سمعة الداعي حتى هذا الوقت كانت حسنة بين السكان ولذلك كان تأثيره شديدا وغمه مضاعفا لما وقع من تصرفات طائشة في مدينة

378 - نفسه 138 (188 ط) . بيروت ابن الأثير 1528 وعن موقعها ووصفها وشهرتها بتيفاش اللغة وقربها من قصر الأفريقي والأربس انظر : البكري 53 الأديسي 88 القريري 62 هامش (4) .

379 - النعمان : افتتاح ورقة 139 وما بعدها (189) وقالمة من دوائر بونة (50 كلم) وهي مركز هام كانت تضرب فيه بعض فروع كتامة . وقد ظهرت أهميتها : لرجال الحركة غداة الهجوم الأغلب على تيفاش حيث تحصن فيها صولات ورجالها حتى أمرهم الداعي بالعودة إلى أيكجان كما يبدو أنها أشرفت على تاديب فرع أوربة في بونة وضمت ولاء هذه المدينة للدعوة الإسماعيلية .

380 - أما تبحس فقد أشرفت على ضم تيفاش وهذه أشرفت على أخذ قالمة وقبائل بني ورديم وهراس . وكلها كانت تتلقى التوجيه من قاعدة أيكجان مقر الداعي ومركز بني سكتان . وعن مسكيانة أو فندق مسكيانة وقربها من مجة ومرمجة وتبسة وموقعها بقرب وادي نيني انظر : البكري : 49 - 50 ابن توفل 84 الأديسي 88 وتحفظ بنس الاسم الآن وهي على 94 كلم من مدينة العين البيضاء مركز متوسة . وعن تبسة انظر : البكري 149 ، 145 الذي يلاحظ تخريب جزء من سورها في ثورة أبي يزيد والقدسسي 226 ، 227 الذي يجعل مرمجة ضمن إقليمها .

حيدرة (381) وتأثره وانكاره على أنصاره كانا في محلهما لأن مصير المعركة في المستقبل كان مرهونا بالدرجة الأولى بمدى حسن تصرف كلا الفريقين المتصارعين تجاه السكان . وإذا كانت مناشير زيادة الله وسجل الخليفة المكتفي لم تؤثر كثيرا على ميزان القوى ، الذي كانت كفته راجحة لفائدة الحركة الاسماعيلية فان حادثة حيدرة أثرت فعلا على المدى القريب حيث صدرت بشأنها سجلات طعن ، وتشهير ثم تلتها حركة انتعاش في المعسكر الأغلبى وصلت في نتائجها الى مدى خطير وأذنت برجوع هذا المعسكر الى دوره الهجومى القديم لاسترجاع قواعده في اقليم الزاب ، ولتأديب القبائل التي انضمت الى الحركة الاسماعيلية غير ان الذي يلاحظ ان حركات ابن الأغلب لم تؤثر على الخطة التي رسمها الداعي لنفسه منذ ان خرج من ايكجان فواصل السير نحو اقليم قمودة (382) (قمونية قديما) حيث ضم القصرين (383) ، وربما سبيطة عاصمة جرجير قديما ولما خيل لابن الاغلب انه يريد تضليله واقتحام رقادة فجأة والقضاء على الاسرة الاغلبية في هذا الوقت اقتفى أثره وعسكر في مكان مجاور عرف بدور مدين (384) وبقي يتسقط اخبار الداعي الذي أرسل بدوره مجموعة من رجاله لنفس المهمة وبقرب معسكر ابن أبي الأغلب فوجؤوا بهجوم عنيف قضى على معظمهم والجا البقية الى الفرار ولولا تدارك الداعي للموقف بعد وصوله حيث بذل بعض الجهد لاجراخ خصمه لكانت نهايتهم مؤكدة في شعاب وشعاري دور مدين (385) .

381 - ابن خلدون : العبر 4 ، 73 ابن الأثير 8 ، 15 وجاءت فيه مديرة (مدرة) لان اسمها القديم Ammaedora وتعرف اليوم باسم حيدرة وهي على نحو خمسين كلم من تبسة اى قرب الحدود التونسية الجزائرية ، وبهذا الاسم وردت في افتتاح الدعوة للنعمان ورقة 140 (192 ط . بيروت) ويلاحظ ان علة الحصاة تحركت عليه امام المدينة فانشغل بنفسه ولعلها تحركت عليه ايضا في اقليم قسطنطينية حتى صدق الناس اشاعة مرضه او موته انظر ابن عذارى 1 ، 197 .

382 - وعن هذا الاقليم الذي يقع جنوب غرب القيروان ، ومن مدن مذكورة والقصرين وسبيطله وتقع قفصه على حدوده انظر : المقدسي 226 - 227 اليقوي : المصدر 101 ابن حوقل 92 ، الأدرسي 74 ويسمى قمونية ايضا وبهذا الاسم وردت في البكري وابن عبد الحكم وغيرهما من مصادر الفتح وذكر البغدادي مراصد 3 ، 1122 قرية بهذا الاسم كانت في موضع القيروان .

383 - ابن الأثير 8 ، 15 ابن خلدون 4 ، 73 النعمان : ورقة 141 (192 ط . بيروت) لم ترد احداث قموده في ابن عذارى ولا في المقرئى ايضا .

384 - مركز بين سبيطلة والقصرين اى في اقليم قمودة . يبعد عن قسنطينة بمسافة 6 ايام وعن بجاية باحدى عشرة مرحلة ، وقد وردت عند ابن الأثير دردمين تصحيفا وعند النعمان ، دارمدين : انظر الأدرسي : 63 ، 68 .

385 - النعمان : افتتاح ورقة 142 (193 - 194 ط . بيروت) ابن الأثير : المصدر 8 ، 15 .

ولم يشأ الداعي أن يواصل المعركة لأن الليل حجز بينهم ولأن مواصلتها في هذا الحين ، قد تؤثر على خطته الأصلية التي لم يبق لتنفيذها غير ضم إقليم قسطلية (386) وقصور قفصة (387) ، في أقصى جنوب الإمارة الاغلبية .

وفي قسطلية لم يواجه الداعي الا مناوشات خفيفة لأن عامل الاقليم ابا مسلم منصور ابن اسماعيل ومساعدته شيبيا بن ابي الصارم ، انسحبا الى مدينة توزر وعندما انتهت المقاومة بمنح الأمان للسكان وأصبح الاقليم مفتوحا وخالصا لانصاره وأمرهم بالاستقرار والاكتماء ببعض الغنائم وهدأت الوضعية خيل للامير ولحاشيته أن انعدام الحركة في قسطلية لمدة شهرين سنة 296 هـ / 908 - 909 م ربما يعزي الى مرض الداعي أو الى موته ويقدر ما انتعشوا بهذه الاشاعة وارتاحوا نفسيا بقدر ما كانت خيبة آمالهم مريرة عندما ظهر وأخذ جميع اموال الإمارة من الاقليم وانسحب الى قصور قفصة ، حيث ضمها سلما وأخذ ما فيها من اموال أيضا ثم غادرها بسرعة الى قاعدة انطلاقه في باغاية .

وبعد أن ترك حامية كتامية من ملوزة وجيملة واصل رحلته نحو ايكجان (388) للراحة وللتهيئة للمعركة الحاسمة في مدينة الاريس .

وفي الوقت الذي احرز فيه الداعي اثناء حركته التوسعية الكبرى على مكاسب مادية وأدبية واستقر في ايكجان كان ابن ابي الاغلب الذي نجح في تيفاش وفي دور مدين ومع قبائل الناحية يعد رجاله لهجوم عام على مدينة باغاية باعتبارها حصنا حصينا للدعوة الاسماعيلية ومركزا لقوتها العسكرية ومنفذا الى قلب كتامة وقد أصبح الآن مقتنعا بأهمية عنصر الدعاية ضد الخصم والتشنيع عليه ، في انجاح العمل العسكري .

386 - وعن كورة فسنطينة (بلاد الجريد) انظر : يعقوبي : المصدر 102 البكري : المصدر السابق 48 - 49 الاستبصار 155 - 157 . البغدادي : المصدر 3 ، 109 وقاعدتها وكبرى مدنها توزر . وهي امتداد لزاب الفريقية وآخر بلدانها دوجين .

387 - مدينة حصينة بجوار قموده جنوبا ذات تاريخ قديم وآثار غنية وهي حصينة وكانت مسورة منذ عمر يعقوبي انظر 102 .

388 - ابن عذاري : البيان 1 ، 197 - 198 ويلاحظ أن مسؤولية الهزيمة في قسطلية القيت على عاتق ابي مسلم بتأثير دسائس ابن الصائغ الذي بقي يحرض الامير عليه بقوله « هذا من تصيغ شيخ السود ومن سوء نظره » حتى أمر بقتله وصلبه ويعتبر قتله قبيل المواجهة الحقيقية في الاريس من الاخطاء الكبيرة سيما وان التهمة ملققة له بسبب عدائه لابن الصائغ النعمان : افتتاح ورقة 145 (197 - 198 ط . بيروت) ابن الأثير : المصدر 8 ، 16 ابن خلدون 4 ، 73 .

والذي يلاحظ ضمن مظاهر الانتعاش والتطور في صفوف القسوات
الاغلبية :

— قيام ابن أبي الاغلب بهجوم قوي على مدينة تيفاش ، بتحريض من
حبيب بن ليفه ، عاملها القديم وقد اشترك في هذا الهجوم المفاجيء عدد
كبير من الجيش الاغلبى وقاده ابن أبي الاغلب نفسه ، ونجح فيه الى حد
بعيد اذ تمكن من احتلال المدينة ومن تأديب كثير من سكانها كما قتل العناصر
المتشعبة والموالية للداعي ومن هؤلاء عبد الله بن كليب ، والجا حاميتها
الكتامية وعاملها صولات السكتاني ، الى مغادرتها الى قلمة ثم الى ايكجان
واذا كان الداعي لم يخف لنجدة السكان فذلك لاعتقاده بأنهم لا يتخلون
عن مذهبهم أمام القوة العسكرية واتضح له ان الاعداد للمعركة القادمة
أجدى له ولانصاره من الدخول في مواجهة من أجل مركز ثانوي يصعب
الدفع عنه كما تيقن بأن هدف الحركة الاغلبية كان نفسيا وقصد بها الضغط
للتأثير على ولاء السكان في جهات اخرى (389) .

— وغداة سقوط حيدرة وارتكاب جند كتامة لاختفاء تجاه السكان اغتتم
ابن أبي الاغلب الفرصة وانهى الى الامير الخبير وهذا بدوره أمر بكتابة
سجل يندد بالداعي وبانصاره الذين يخونون اليهود ، ويعتدون على الاموال
والحرمان وقرى على المنابر في رقادة وفي القيروان وفي سائر حواضر افريقية
وكان لهذا السجل اثر هام في النفوس بدرجة أن الداعي من فرط تأثره
واهتمامه بما قال عنه وعن رجاله جمع مشائخ كتامة وأبلغهم بأن ما وقع
منهم في حيدرة استغل ضد الحركة ولذلك اجتهدوا في اصلاح الخطأ
بتأديب من اشترك في السلب والنهب ثم بجمع المنهوبات وارجاعها الى
ذويها ليظهر للناس زيف الدعاية الاغلبية (390) .

— وعندما علم ابن أبي الاغلب — وهو في الأربس أن الداعي اتجه نحو
اقليم قمودة تحرك بأثره واصطدم مع كتبية من رجاله وانتصر عليهم في
دور مدين كما أشرنا . ومعركة دور مدين ، أعادت الاعتبار للجيش الاغلبى
في نظر السكان وحطمت خرافة أن رجال الحركة الجديدة لا يهزمون كما
كانت انتصارا حاسما قبل معركة الأربس . هذا الى أنها تركت جرحا عميقا
في نفوس جند كتامة وعند انصار الداعي في المنطقة . وأهمية هذه المعركة
أنها هيات جو الانفراج في المنطقة واثاحت لابن أبي الاغلب أن يفخر بنكايته
في الحرب ، كما هيات للامير فرصة استغلالها للتخفيف من حركة النقد

389 — النعمان : افتتاح ورقة 139 (190 ط . بيروت) .

390 — نفسه 140 (192 - 193 ط . بيروت) .

الموجهة اليه ، ولذلك أمر بكتابة سجلات تشيد بالنصر الباهر في دور مدين على قوى الشر ، والطغيان لتقرأ على منابر افريقية وحواضرها (391) .

— ويبدو أن الانتصار في دور مدين والعمل الدعائي الذي خلده او سبقه كانت نتائجها حسنة بالنسبة للجانب الاغلب الذي أصبح انصاره واعين لاسس المعارضة والنضال ضد الحركة الاسماعيلية كما انضم اليهم المترددون . والأهم من ذلك تراجع كثير من انصار الحركة ، عن موقف التأييد للداعي ، وبدؤوا يربطون صلاتهم بالأمانة الاغلبية ، ويعلمون ولاءهم لمثل الأمير وقائد جيش الأربس ، ابراهيم بن الاغلب وغدت الوفود في هذه الفترة تتجه لا الى ايكجان كما كان الحال من قبل ، وانما أصبحت تقصد مقر ابن أبي الاغلب في الأربس ، لتظهر براءتها من الانتساب الى الداعي ، ومن هؤلاء بنو وشنو ، وبنو صدغيان من قبائل بني هراس الذين انضموا الى الحركة من قبل ثم بنو ماجن من قبيلة هوازة .

كما وقع تحت تأثير الحركة الدعائية الاغلبية فريق بني ورديم بنواحي قلعة بل تعرضوا لضغط عسكري مباشر حيث طرقت مضاربهم قوات اغلبية لتأديبهم على تشيعهم وقد قادها ابن الهمداني من مساعدي ابن أبي الاغلب ولولا اسراع الداعي لتدعيم مركز هذه القبائل بنجدات من كتامة ، ومن النواحي القريبة حيث رفعت مصوياتهم وشجعتهم على المقاومة في ظل العقيدة الجديدة لتحولت وجهتهم بتأثير القوة الاغلبية التي وصفت بأنها « عسكر ثقيل وكثير العدد (392) »

وحركة تنكر القبائل للدعوة الاسماعيلية ، او تحولها عنها الى الجانب الاغلب ، وهي التي توصف في المصادر الاسماعيلية بأنها نفاق (393) ، هي

391 - النعمان : افتتاح 142 (194 - 195 ط . بيروت) .

392 - نفسه : 143 (196 ط . بيروت) .

393 - يستخدم النعمان هذا المصطلح الديني للتعبير على ثورة القبائل ضد الداعي ورفضها للدعوة الاسماعيلية كما بقي يطلقه على ثورات المتشيعين ضد المهدي وغيره من الخلفاء الفاطميين في المغرب ويظهر ذلك في ثنايا مخطوطي افتتاح الدعوة والمجالس والمسائرات . وهذا الصنيع منه غير غريب لأن مؤرخي السنة أطلقوا مصطلح الردة على ثورات الخوارج المسلمين وعلى حركة كسيلة بن لزم الذي وصف بالعين . وهذا الوصف الآخر الذي يدل على معنى ديني أطلقه بعض الخلفاء الفاطميين على الذين خلصوا النطقة في المشرق او في المغرب مثل المعز بن باديس انظر ماجد : السجلات المستنصرية سجل 5 ، ص 43 وبلد كوش سجل 57 ص 186 كما أطلقت اللعنة ووصف النفاق على فرقة لواته المشافين سجل 56 ص 187 كما لم يسلم من وصف اللعنة الاثراك السلاجقة اعداء الفاطميين سجل 65 ص 185 .

من جهة تعتبر ثمرة طيبة للعمل الدعائي وللضغط العسكري أيضا ومن جهة أخرى، كانت امتحانا عسيرا ، أصيبت به الحركة الاسماعيلية، وواجهه الداعي قبيل المعركة الحقيقية ، وقد اقتضت جهودا ضخمة من أجل تدعيم ولاء هذه القبائل او تأديبها على تقلبها . وهذه الجهود التي أشرف عليها الداعي من ايكجان (394) وتصدى لتنفيذها خيرة من رجال جيملة وملوسة وأجانة بقيادة عروبة بن يوسف وأبي يوسف مكنون بن ضبارة وأبي مجدول لم تخل من ضحايا كثيرين فضلا عن أنها خلفت مرارة والمآ عميقين في النفوس .

— أما في الجانب الاغلبى فالحركة تعتبر مظهر نشاط وحيوية وعنوان قوة ونجاح في استغلال نفس الاساليب التي يعتمد عليها الخصم . وأهمية هذه الحركة في النواحي المادية والمعنوية ، قبل المواجهة الحقيقية في الأربس، فاقت فيما يبدو أهمية الحركة الاغلبية الأخيرة ضد قاعدة باغاية .

— وقد لاحت لابن أبي الاغلب غداة رجوع الداعي الى ايكجان وبقاء باغاية بدون حامية كبيرة ، أن الفرصة مناسبة ، كي يسدد ضربة مفاجأة لهذه المدينة وللنفوذ الاسماعيلي المتزايد في المنطقة لذلك أمر بالهجوم العام وقاده بنفسه وشدد الأمر على المدينة وقتل كثيرا من المشيعين فيها ، غير أن مقاومة رجال الحامية وشجاعة عروبة بن يوسف ورجاء بن أبي قنة وولاء السكان (395) ، الذين وقفوا ضد الجند الاغلبى ، حالت دون احتلال المدينة نهائيا ، وألجأت ابن أبي الاغلب بعد سماعه بقرب وصول نجدة كمامية كبيرة الى الانسحاب السريع تاركا أمتعة وذخائر وضحايا .

ذلك ان الداعي تحرك بسرعة اثر سماعه نبأ الهجوم المدبر فأشرف بين قبيلة بني سكتان على التعبئة العامة لقبائل الجهة الذين « فاضوا من كل جانب وعلوا السهل ، والوعر مبادرين الى باغاية فاختر منهم مجموعة كبيرة بقيادة أبي مدين بن فروخ اللهيصي ، وأمره بأن ينسق مع حامية باغاية ونواحيها لقتال ابن الاغلب حتى ابعاده عن المدينة وعن مجالاتها ولو

394 — وساعد على معرفة الداعي لتحركات ابن الاغلب ضد القبائل ، عيونه في الجهة ونشاط حركة البريديين المراكز الشيعية وايكجان ولذلك كان الداعي ينه رجاله قبل أن تفاجئهم الحركات الاغلبية المعادية ، مع أنهم كانوا أقرب منه الى معسكر ابن الاغلب ويشير النعمان الى ذلك بقوله « واتصل خبر خروجه بابي عبد الله فارس الى عروبة وأبي مجدول ينذرهما ... » ، وقد قرب منهما ولم يعلم بعضهم ببعض حتى جاءهم رسول أبي عبد الله فقاموا من وقتهم » .

395 — ومن بينهم فريق من قبيلة مدغرة بقيادة رئيسهم حارث الذي اخلص في المقاومة رغمًا عن لوم ابن أبي الاغلب له بقوله « اخذك الله باحسناتك اليك » .

كلفهم ذلك تضحيات ضخمة « أن لحقت القوم بباغاية فقاتلوك دونها ، فاحمل
نفسك عليهم ولو حملتها على الأسنة ولا يردك راد عن الوصول الى
باغاية » (396) .

غير أن هذه النخبة التي انطلقت بسرعة من ايكجان وباتت بمنزل كرشة
(397) عندما ادركها الليل ، لم يقدر لها أن تشارك في القتال الذي انتهى
بانسحاب المهاجمين الى قاعدتهم في الأربس .

ويبدو أن تعليمات الداعي بعدم ملاحقة المنسحبين الا الى مدى معين
ثم رجوع أبي مدين الهيصي وعروبة بن يوسف الملوسي وأبي مجدول
الجميل بسرعة الى قاعدة ايكجان (398) بعد فشل الهجوم الاغربي ، كانت
وثيقة الصلة بالاعدادات الضخمة في منطقة كتامة والزاب قبيل الزحف العام
على آخر قلاع المقاومة الاغلبية وهي مدينة الأربس .

ومدينة الأربس التي أضحت ثغر أفريقية وقاعدة للنشاط الاغربي
الحديث منذ بدء حركة التوسع الاسماعيلية الى سقوطها احدي قرى ولاية
الكاف التونسية ومن المراكز القريبة من الحدود الجزائرية وقد لاحظ
الجغرافيون الذين سموها بلد العنبر أيضا ، أنها تقع غربي جبل زغوان
(399) . في سيطر من الارض ولا تبعد عن حاضرة رقادة والقيروان بأكثر
من مسافة ثلاثة أيام (400) . وكانت حصينة ومن المدن المسورة والغنية
بالينباع وبالعمران المتصل .

396 - النعمان : افتتاح 145 - 146 (199 - 200 . بيروت) ونصحه الداعي بان لا يجاوز
في تتبعه لابن ابي الاغلب فح العرار .

397 - توجد هذه القرية حتى اليوم باسمها القديم في دائرة «عين مليلة» محافظة قسنطينة ،
وهي مع قرية «اللكرون وجبل انف النسر» من مضارب قبائل السقنية وهم من بقايا
كتامة أي من بني سكين فيما يبدو وعن انف النسر ووجود مدينة باسم تابسلكي على
سفحه انظر البكري 54 .

398 - النعمان : افتتاح ورقة 145 - 146 ابن خلدون : العبر 4 ، 74 ابن الأثير : المصدر
السابق 8 ، 16 .

399 - جبل بقرب تونس وعليه تعتمد في مياه الشرب سمي بسبب علوه واشرافه على النواحي
كلب الرقاي . فتح أيام موسى بن نصير انظر عنه : البكري : 45 - 46 البغدادي 2 ،
667 ابن قتيبة : المصدر السابق 2 ، 63 .

400 - البكري : 46 الأديسي 86 وحدد المسافة بثلاث مراحل اليعقوبي 101 وجعلها
مرحلتين فقط ربما لأن الطريق الذي سلكه كل واحد منهما كان مختلفا عن الآخر ثم
انه يوجد طريق للشتا وآخر للصيف وغالبا ما يكون بينهما فرق في المسافة .

وقد قدر أن تشهد أرباض هذه المدينة كبرى معارك القرن الثالث للهجرة التي طوت صفحة النظام القديم ، وأذنت بانبلاج فجر مشرق في العهد الجديد (401) وقد جرى قبيل الالتحام الذي ابتداء صبيحة 23 أو 24 جمادي الآخرة 296 هـ (402) استعداد ضخم ونشاط حثيث في كلا المعسكرين .

فابن أبي الأغب تعهد قواته وعبأ صفوفه مرة أخرى بالنجادات التي تقاطرت عليه من الأمير أبي مضر « وأصبح في وضع المنهيء للهجوم » .

والداعي بدوره - بعد أن أعلن التعبئة العامة في كتامة والزاب وانطلق من أيكجان مستهل جمادي الآخرة 296 هـ ، حيث عبأ صفوفه في باغاية واستعرض قواته التي بلغت حسب بعض النصوص مائتي ألف بين فرسان ومشاة ، واستقر جنوب الأربس ، على وادي الرمل من فروع وادي ملاق (وهو فرع من مجرده) - بدأ من هذا المقر ، يرسل طلائعه (403) ، للتعرف على ميدان المعركة ، وتحديد مدى قوة خصمه ولأرهاب سكان النواحي الموالية ، سرية اتجهت نحو مكان منيولة وأخرى وصلت حتى سقبنارية (Sicca Veneria) ومنها أخذ بعض سكانها إلى معسكر وادي الرمل ، وثالثة توغلت حتى مضارب قبيلة بني جودان ويظهر أن ابن أبي الأغب الذي لم تخف عليه أهداف هذه التحركات أرسل سرية للتصدي لها فتمكنت من أسر أحد جنود كتامة ، الذي قتله ابن أبي الأغب ورفض التدخلات لفائدة إبقائه حيا (404) .

ويبدو أن المعلومات التي توافرت لدى الطرفين هي التي عجلت ببسء الهجوم العام حيث لا يمكن التراجع أو الانتظار .

غير أن الداعي وقد هاله حجم القوات التي يتصرف فيها خصمه وخشى الهزيمة رغم ضخامة حجم قواته أيضا أراد أن يضمن لانصاره قدرا كبيرا من التماسك والنظام والتنسيق احتياطا لاسوا التقديرات .

401 - وفي هذا العهد أصبحت توصف بباب الهدية انظر : جمال سرور الدولة الفاطمية في مصر 20 هامش 2 .

402 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 199 النعمان : المصدر 147 (202 ط . بيروت) .

403 - القرظي : المصدر 1 ، 63 النعمان : افتتاح 147 (202 ط . بيروت ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 16 .

404 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 147 (202 ط . بيروت) وقد غضب محبوب بن عبدون الهواري بسبب رفض اقتراحه ، وعن نشاطه بعد معركة الأربس وتطور الوضعية في الفريقية انظر ابن عذاري 1 ، 204 .

فوزع رجاله على أربع كتلات راعى في كل كتلة قيامهم مع عصبيتها بالاستماتة في القتال وفي الدفاع عن مراكزها .

وحسب ترتيبه الخاص كان على اليمينه فريق (بني ينطاسن) ومنهم اجانة وعثمان ، وكانت الميسرة في فريق (بني يناوة) ومن ضمنهم جيملة ولهيصة ومسالته ووقف (بنو ايان) ومنهم ملوزة في القلب . أما الداعي فأختار مجموعة كبيرة من اخلاط كتامة ومن الدعاة وكبار المشائخ وانتحى بهم جانبا حيث اشرف على ميدان المعركة من بعيد (405) .

ورغم هذه الاحتياطات فان سير المعركة في المرحلة الاولى من صبيحة 24 جمادى الآخرة 296 هـ لم يكن مرضيا للداعي ولم يجر في صالح انصاره الذين بانث عليهم أعراض الضعف والتراجع بسبب ضغط رجال الاغلبى وهجوماتهم المركزة .

وخوف الداعي من هزيمة انصاره ، وتلاشى معسكره هو الذي جعله يتحرك بسرعة ويلتجئ هذه المرة الى خطة جديدة (406) انبنت على عنصر المفاجأة لخصمه من وراء ظهره ، فانتدب مجموعة من رجاله وكلفهم بالسير في بعض المنخفضات (407) القريبة التي تؤدي الى طرف المعسكر الاغلبى . وفي نطاق السرية بدأت حركة التشويش على الخيل المعادية حتى تنفر ليخف الضغط على رجاله بابعاد جانب من الجيش الاغلبى عن ميدان المعركة وكان هذا التدبير بمثابة شارة على تحول الموقف لصالح الداعي لان اصطدام هؤلاء برجال أرسلوا لنفس المهمة من طرف ابن ابي الاغلب كان مفاجأة للاخيرين بحيث ادخلت الاضطرابات على نفوسهم فتعالى الصياح الذي لحقت أصداؤه جانبا كبيرا من الجيش الاغلبى فتفككت عراه وانسحب هؤلاء وأولئك في حركة فوضوية تاركين وراءهم دخائر ، ومعدات وانتحى كل فريق جانبا وسلك الطريق الذي يؤدي الى ناحيته وعندما أصبح ابن ابي الاغلب في قلة من رجاله ومساعديه وفشت روح الهزيمة في معسكره وقوى الضغط عليه من فرسان ومشاة الداعي انسحب من ميدان المعركة واتجه الى ناحية مجهولة حيث ظهر بعد ذلك في القيروان (408) .

405 - النعمان ، وكانت مسالته مع ملوزة في مصاف واحد حسب رواية النعمان .

406 - نفسه : ورقة 148 ، ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 16 القرظي : انما الحنفا . 1 ، 63 وقد عبر على خطة الداعي ضد ابن الاغلب بقوله « كادهم بخيل بعثا من خلفهم » .

407 - ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 16 وقد عبر عن مكان الواقعة بقوله « فاقتتلوا في مضيق هنالك » اما النعمان فاطلق عليه اسم المسيلة وأشار الى أنها تعرف بالمصاراة .

وفي مكان الفترة البيضاء في المسيلة وقع الالتحام انظر افتتاح الدعوة ورقة 148 .
408 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 63 ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 74 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 216 النعمان : المصدر السابق 148 (204 ط بيروت) البكري : المصدر السابق 46 ويلاحظ ابن ابي الاغلب فر مع مساعديه الى طرابلس ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 199 .

أما الداعي فقد سيطر على الموقف ورجع الى معسكره في وادي الرمل دون أن يدخل مدينة الأربس التي أصبحت مدينة مفتوحة الا صبيحة اليوم التالي (409) . ولأن الداعي لم يعد في حاجة الى تملق مشاعر السكان بالترفق بهم وكف أذى جند كتامة عنهم حل بهذه المدينة ما لا يوصف من أنواع الدمار والتنكيل بسبب تأييد السكان للامارة الأغلبية بحيث «دخلها الأولياء بالسيف فقتلوا بها من الخلق ما لا يحصى (410) » لم يفرقوا في ذلك بين الجند وغيرهم حتى الذين التجأوا الى المسجد لقوا مصيرهم «حتى كانت تسيل الدماء من أبواب المسجد كسيلان الماء بوابل الفيث » (411) .

واستمر جند كتامة في السلب والنهب حتى فارقها الداعي صباح الاثنين جمادي الآخرة 296 هـ الى قرية دقة القريبة منها حيث تصور السكان أنه يقصد مرة أخرى اقليم قسطلية عبر منطقة قمودة (412) التي توجد رقادة في هامشها .

وتشير بعض النصوص الى أن الداعي غداة خروجه من الأربس ، انسحب في طريقه الى باغاية احتياطاً من ظهور حركة مقاومة جديدة (413) قد ينظمها سكان النواحي القريبة خاصة وأن القائد الاغلبى نجا من المعركة مع أغلب مساعديه ، ودخل القيروان .

وبرجح أن هذا هو ما عزم عليه الداعي فعلا بعد انتهاء المعركة لصالحه لانها كانت أيضا سببا في خسائر وضحايا في جانب أنصاره الذين تعبوا كما أثقلوا بالفنائم والأموال وهذه تحتاج الى رعاية خاصة في حرز أمين . واقرب المراكز الحصينة والمالية له هي باغاية .

أما الاتجاه نحو قسطلية فيبدو أنه حركة بارعة قصدتها الداعي للتضليل كي يبعد عن ميدان المعركة أو عن الأربس التي أصبحت دورها خرابا وغدا سكانها يسبحون في بركة الدماء وفي نفوس من بقى منهم غيظ وموجدة وأمل في الثأر ، وقابلية للانفجار . ويؤيد ذلك أن اقليمي قسطلية وقمودة قد طرقتما الداعي من قبل ولم يوجد ما يدعو الى قصدتها ثانية الا أن يكون

409 - النعمان : المصدر السابق ورقة 149 (205 ط . بيروت) .

410 - نفسه .

411 - البكري : 46 ابن عذاري 1 ، 199 وحيدا عدد قتلى المسجد بثلاثين الفا وفيه مبالغة واضحة . ابن الأثير 8 ، 16 ، وحيد العدد بثلاثة الاف فقط .

412 - النعمان : المصدر السابق ورقة 149 (205 ط . بيروت) ابن الأثير 8 ، 16 ، يرى أنه انصرف نحو قمودة .

413 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 199 .

ابن أبي الأغب قد التجأ إلى هناك لتدبير حركة جديدة أو يكون عزم الداعي قد استقر على لاتجاه نحو رقادة لتصفية نظام الامارة بعد انهيار خط دفاعها الاساسي وهذا غير مستبعد لان بعض النصوص تشير الى أنه عندما سمع خبير فرار زيادة الله كان بين دقة التي فارقتها وسببها التي لم يصل اليها ويعني هذا أنه كان في عمق اقليم قمودة (414) .

ويبدو أن تطور أوضاع الامارة بفرار زيادة الله (415) ، إلى الشرق ولحاق إبراهيم بن أبي الأغب به بعد أن رفض جمهور سكان القيروان التعاون معه ومدته بالأموال والرجال والاعتراف به اميراً (416) ، هو الذي حمل الداعي على تغيير خط سيره والتوجه مباشرة إلى رقادة من مكان معسكره في وادي الرمل .

ولأنه بعد هذه النهاية السعيدة لجهوده ، لا يريد أن يتمجّل بالدخول إلى رقادة وفي نفس الوقت خشي أن تظهر مفاجآت بسبب سيطرة جو الخوف والرعب والسلب والنهب في المدينة التي أصبحت ضمن مسؤوليته فقد أرسل بعض رجاله ليضبطوا الأمن ويحفظوا النظام (417) .

ولأن الأمير الاغبلي الذي سمع نبأ الانكسار ظهر يوم الاحد لخمس بقين من جمادى الآخرة 296 هـ كان من قبل قد ربط مصيره ومصير أسرته بالنتيجة التي ستسفر عنها المعركة لأن ما هيأه لها كان « آخر ما قدر عليه من الخيالة واستفراغ الجهود » (418) فقد تظاهر في بدء الأمر بأن البشائر بالفتح وصلته ثم جمع في سرعة ما قدر على حمله من متاع وأموال واستصحب خواصه وفارق عاصمته ليلا إلى طرابلس .

414 - النعمان : افتتاح ورقة 154 (212 ط . بيروت) النويري : المصدر السابق 26 ورقة 31 ويشير إلى أن الداعي كان في سببية .

415 - يميز على غيره بأوصاف : الثالث والآخر والأصغر وكنيته أبو مضر ولقبه خزر انظر عنه ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 163 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 201 حسن حسني عبد الوهاب ورفقات عن الحضارة العربية بأفريقية 1 ، 228 ، 229 ابن ابيك النواداري : المصدر السابق 39 - 43 النويري : المصدر السابق 22 ورقة 43 - 44 وانظر ج 26 ورقة 30 منه .

316 - ابن عذاري : المصدر 1 ، 202 ومما قالوه له « أنت لم تستطع دفع كتامة بالساكن والسلاح والمال فكيف تقوي نحن على دفعهم بأموال الرعية » ابن الأثير 8 ، 16 ، وثاروا ضده بقولهم : « أخرج علينا فمالك عندنا سمع ولا طاعة » المقرئزي : انعاظ 1 ، 63 وكان ردهم عليه « انما نحن فقهاء وعامة وتجار وما في أموالنا ما يبلغ فرضك » النواداري : العرة 42 - 43 النويري : المصدر السابق 22 ورقة 42 - 43 .

417 - النعمان : افتتاح 154 (212 ط . بيروت) .

418 - نفسه : 149 (205 ط . بيروت) .

وقد كان من رأي ابن الصائغ هذه المرة ان يبقى الأمير حتى آخر لحظة في حاضرة الإمارة ، ليدافع عن شرفه مثل أسلافه الشجعان ويعبىء القوى ويجمع موارده كلها للقاء آخر . ولأن الأمير كان في أزمة نفسية حادة وكان من قبل قد سمع همسا عن مكاتبة وزيره للداعي سرا ، فقد رفض الرأي الصائب وختم نضاله الرائع بعار الفرار عن دار ملكه ، ومناط عزه وشرفه وواجه ابن الصائغ من غير حجة ظاهرة بما يشاع عنه من وصف الخيانة والاتصال بالداعي (419) لمجرد الحاحه عليه في مواصلة المقاومة وكان من قبل قد قبل ذلك من قريبة إبراهيم بن حبشي غداة سقوط باغاية ولم يلتفت الى اقتراح ابن الصائغ بالخروج سرا الى مصر كما أسلفنا .

ويبدو أن تهمة الخيانة لا يوجد ما يؤيدها غير حسد المنافسين لابن الصائغ ومزاج الأمير الذي أصبح حادا ويدحضها في نظري عدة اعتبارات في مقدمتها :

— ان النعمان ، كان معاصرا لهذه الأحداث ، وكتب عنها وأشار الى العناصر التي عرفت بالتشيع منذ قديم وليس من بينهم عبد الله بن الصائغ كما ذكر أن والي طبنة فضل البقاء الى جوار الداعي عن الرجوع الى رقادة ومثله عامل تيفاش الذي ترك مدينته والتجأ الى ايكجان لكنه لم يشر الى أن ابن الصائغ كاتب الداعي أو حاول الاتصال به بسبب من الأسباب غير سبب الحرب الشديدة التي كرس لها جهده .

— ولم يبق ابن الصائغ برقادة الا يسيرا ، بعد أن فارقها الأمير ثم غادرها عبر سوسة الى صقلية (420) لأسباب خاصة .

— فلو كان متشيعا أو كاتب الشيعي بما يفيد ويشجعه على المقاومة لما أسرع في النجاة بنفسه ولبقى مثل المتشيعين الذين أصبح لهم مكان مرموق في النظام الجديد مثل المروزي والنعمان وأبي اليسر الشيباني لأن الداعي سوف يراعاه بعنايته ويحفظ له الصنيعة .

— وتصرفاته الخاصة بعد سماعه نبأ الهزيمة يدل على إخلاصه للنظام ورباطه جأشه عكس الأمير ، وقريبه الذي فر من ميدان المعركة الى القيروان .

419 — نفسه : افتتاح ورقة 150 (206 ط . بيروت) ومن ذلك قوله له « ان هذا تصديق ما قيل فيك أنك كاتب الشيعي فأردت أن تمكنه مني » ويلاحظ هنا أن النعمان لم يثبت هذه التهمة أو ينفياها كما لم ينسب اليه التشيع ولو عرف به مثل المروزي وغيره لنبه على ذلك كمادته خاصة وأن ابن الصائغ كان حنفا ويقترب الفقهاء الحنفية ومنهم ابن جيمال القاضي .

420 — النعمان : افتتاح الدعوة 150 ابن عذاري : البيان 1 ، 202 ويشير الى أن وجهته كانت المشرق والأمواج هي التي أقت سفينته على ساحل طرابلس حيث يوجد الأمير وحاشيته ، النويري : المصدر السابق 22 ، 42 .

وتشير بعض النصوص الى أن ابن الصائغ كان يستر خبر الهزيمة ويضيف الحقيقة حتى لا تنهار القوة المعنوية عند السكان وحاول انقاذ الموقف بتقديم الأموال الجزيلة لكل من يقبل التجنيد للدفاع عن شرف الدولة . وفي هذا الوقت كان الأمير وحاشيته منهمكين فقط في جمع الأموال ، والامتعة وانتقاء الجوارى تمهيدا للفرار ليلا ، خوفا من ثورة العامة (421) .

فلو كان هذا الأمير منطقيًا مع نفسه ، ومع إخلاص رجاله عبد الله بن الصائغ لسمع لنداء الحكمة ، ولانقذ شرف أسرته بغير الفرار ، وقد بقي عنده متسع من الوقت لكي يعبيء جندا آخرين ويجمع فلول القدمات ويغير خط دفاعه ويتظاهر بالقوة ليعطل حركة سير الداعي أو يحمله على تأجيل الهجوم على رقادة ريشما يتغلب رجاله على آثار هزيمة الأربس سيما وأن الداعي ربما كان في نيته أن يرجع الى باغاية .

ولو تدبر الأمير القضية المطروحة عليه لتخنص من أولئك الاعوان المزيفين الذين زينوا له فكرة الفرار ، وحملوه على تنفيذها لانهم في الحقيقة هم أعداؤه الذين حكموا عليه بحياة الدلة والهوان والتشرد ، بين مصر وفلسطين والرقعة حتى لفظ أنفاسه في الرملة وحيدا وعلى حالة مهينة (422) .

وهؤلاء هم الذين أغروه بابن الصائغ الذي ساقته الاقدار الى ساحل طرابلس (423) فقتله كما دسوا له عند الوشري والي مصر . وبعضهم هو الذي أغرى الأمير باستعمال القوة ضد هذا الوالي ، الذي تباطأ في الاذن له بالدخول حتى يعرف رأي الخليفة العباسي المقنن بالله (424) وتصرفاتهم هي التي عرضته للذل والمهانة وجعلته تحت طائلة التعزير من طرف احد المحتسبين في مدينة الرقة (425) ، ومحل احتقار من طرف الخليفة العباسي

421 - ابن عذاري : البيان 1 ، 200 وبدات حركة الفرار في الثلث الاول من ليلة يوم الأحد لخمس بقين من جمادى الآخرة 296 هـ أي بعد الهزيمة بيوم واحد فقط .

422 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 241 وقد ذكر وفاته ضمن أحداث 303 هـ حسن حسني عبد الوهاب الورقات : 1 ، 229 ويحدد وفاته بسنة 300 هـ ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 163 وتوافق روايته هنا رواية ابن عذاري السيوطي : تاريخ الخلفاء 260 أبو الفداء 2 ، 66 - 67 .

423 - النعمان : افتتاح 163 - 164 - 223 - 224 ط . بيروت) ابن عذاري : المصدر السابق 202 - 203 ح . ح عبد الوهاب : المرجع السابق 1 ، 232 وكان فيما يبدو ويريد الاتجاه نحو المشرق عبر صقلية تحاشيا للاخطار من طرف حاشية الأمير المعادين له .

424 - نفسه ورقة 166 (228 ط . بيروت) ابن ابيك الدواداري : المصدر السابق 41 - 42 ابن الاثير 8 ، 22 أبو الفداء 2 ، 66 - 67 .

425 - نفسه : ورقة 168 - 169 (23 ط . بيروت) .

المقتدر بالله الذي لم يأذن له بدخول بغداد وصرفه الى المغرب عبر مصر ليأخذ منها القوة الكافية لمقاومة الحركة الاسماعيلية غير أن تصرفات رجاله ثم ما بدر منه في حق والى مصر سابقاً هي التي حالت دون الوفاء بالنجدة التي انتظرها الأمير طويلاً في ذات الحمام (426) دون جدوى .

— أما ابن الصائغ الذي قبل فيه الوشاية فقد كان نموذجاً في الاخلاص والشبات على المبدأ فلم يلجأ الى الداعي أو يحاول ضمان مستقبله عنده وكان يمكنه ذلك بقدر يسير من الجهد . ولم يفر الا بعد أن أصبحت رقادة بدون أمير شرعي . أما تحاشيه الخروج بمعية الأمير فلم يكن دافعه نفاقاً أو خيانة وإنما خوفاً على نفسه من بطانة الأمير لأنه « كان معادياً لاكثرهم وكانوا يعادونه لتقدمه عند زيادة الله وغلبته عليه فلم يأمنهم أن يسعوا به اليه وسمع ما كان رموه به من مكاتبة أبي عبد الله » (427) .

— ولا يؤثر على مستوى اخلاصه تصرفه الخاص في الاموال التي عزم الأمير على نهبها حيث أراد استبقائها لنفسه لأن الاموال ليست للامير وإنما هي اموال الامارة وقد صفت هذه بفرار زيادة الله . وأخذ الأمير لبعضها عندما فر الى المشرق مثل رغبة ابن الصائغ في الاحتفاظ ببعضها الآخر لنفسه يدخل في اطار السلب والنهب لاموال الرعية استغلالاً لظروف خاصة . ويلاحظ أن الاحمال التي ارادها ابن الصائغ لنفسه لم تؤل اليه بل بقيت لسبب خاص ، مخزونة في قصر الرباط في مدينة سوسة يرعاها ابن الهمداني عاملها حتى أخذها عروبة بن يوسف بأمر من الداعي أبي عبد الله (428) .

— ولو بقي لابن الصائغ ادنى قدر من الاقتناع بأهمية ابراهيم بن أبي الأغلب (429) الذي فر من الأربس الى مكان مجهول ولم يظهر الا بعد

426 — سوق كبيرة في الطريق بين الاسكندرية وبرقة كانت تحت نفوذ والى مصر بواسطة محرس أو رابطة وقد بنى زيادة الله مسجد أثناء اقامته فيها وذلك في طريق عودته الى افريقية ، انظر البكري 3 .

427 — النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 150 (208 ط . بيروت) النوري : المصدر السابق 22 ورقة 42 — 43 وهنا يشير الى تبرئة ابن الصائغ من التهمة على لسان الداعي الذي قال عنه (والله ماكاتبني قط) .

428 — ابن عذاري 1 ، 201 النعمان : المصدر السابق ورقة 151 وفيه ما يشير الى تبرئة ابن الصائغ من تهمة الرغبة في أخذ الاموال لأن الكلفين بحفظها هم الذين اخطأوا التقدير ، ودخلوا سوسه ولو كان لابن الصائغ تدبير خاص على حد رواية ابن عذاري ، لأخذ الاموال لانه مر بهذه المدينة عند خروجه من رقادة الى المشرق عبر صقلية .

429 — لم يوفق هذا الرجل في شيء بقدر توفيقه في الفرار نجاة من الاخطار المحققة مرة في مدينة الأربس ، واخرى عندما صاح في وجهه أهل القيروان « أخرج علينا ورجموه ومرة ثالثة عندما عزم زيادة الله على الفتك به في طرابلس لما سمعه عنه وفي هذه المرة نجا بنفسه وسبق الأمير في الهروب الى مصر حيث افسد عليه الجو وجعل عيسى النوشري يتوجس منه خيفة .

فرار زيادة الله لأجل سفره وبقي الى جانبه للاحتفاظ بما بقي ولتنظيم مقاومة جديدة .

— ومعركة الأربس ، التي انتهت نظام الإمارة اختلفت النصوص حول تاريخ وقوعها فالبكري وابن خلدون يجعلانها في سنة 296 هـ / 908 - 909 م بدون تحديد معين لأسم الشهر أو اليوم الذي وقعت فيه (430) والمقرئزي وابن الأثير والد واداري يشيرون الى وقوعها في نهاية شهر جمادي الآخرة من نفس السنة بدون تحديد اسم اليوم الذي وقعت فيه ، وكان المقرئزي قد اشار الى سير الداعي من ايكجان في مستهل جمادي الآخرة (431) مثل القاضي النعمان (432) ، الذي يتفق مع ابن عذارى على تحديد يوم معين للمعركة ، رغم أن روايتهما عنها وعن ظروفها تختلف في التفاصيل حيث نجدها كثيرة عند النعمان قليلة عند ابن عذارى .

ومن خلال روايتهما يتضح أن المعركة جرت لست بقين من جمادي الآخرة 296 هـ ، ويضيف ابن عذارى ، الى ذلك اشارة عن سماع زيادة الله لخبر الهزيمة في اليوم الثاني وهو الأحد لخمس بقين من الشهر (433) . ويعني هذا التحديد الدقيق أن المعركة جرت وانتهت يوم السبت ومايفهم ضمنا واستنتاجا من هذا الأخير أوضحه النعمان بدقة عندما أشار الى ارسال الداعي، من معسكره في وادي الرمل ، عدة سرايا، سرية يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخرة وأخرى يوم الجمعة أي لسبع بقين من الشهر ، ولست بقين منه وقعت المعركة وهو يوافق يوم السبت وأضاف أنها استمرت حتى آخر الليل وهو نفس ما أشار اليه كل من البكري وابن عذارى وانفرد النعمان بقوله « أن رجال الداعي احتفظوا بمراكزهم تلك الليلة فلم يقتحموا المدينة الا صباح يوم الأحد ولم يغادروها الا يوم الإثنين أي لاربع بقين من الشهر عكس ابن عذارى الذي أوضح أن انسحاب الداعي من الأربس تم صباح اليوم التالي للمعركة وهو الأحد لخمس بقين من الشهر (434) أي في نفس اليوم الذي أنتشر فيه خبر الهزيمة في رقادة وسمعه الأمير بعد الظهر

430 — البكري : المصدر السابق 46 ، ابن خلدون 4 ، 74 .

431 — المقرئزي : اتعاف الحنفا 1 ، 63 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 16 ابن ابيك الدواداري : الدرر المضية 40 .

432 — النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 146 (201 ط . بيروت) .

433 — ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 199 من 16 - 17 .

434 — ابن عذارى : 1 ، 199 س 12 - 14 .

حسب رواية النعمان ، فأعد لفراره في نفس الليلة (435) حيث تم ذلك في الثلث الأول منها في رواية ابن عذارى (436) .

وكيفما كان اختلاف النصوص حول تاريخ المعركة ووجهة الداعي بعدها ثم مكانه (437) عندما سمع نبأ فرار الأمير فان المؤكد أن الداعي أرسل في نهاية جمادى الآخرة 296 هـ الى رقادة سرية من كتامة بمعية عروبة بن يوسف وابن أبي خنزير بقصد الاشراف على الوضعية المتدهورة في المدينة بسبب اتساع حركة السلب والنهب واللصوصية واعمال العنف (438) التي اضطرت كثيرا من سكانها الى تركها والتوجه اما الى القصر القديم او الى سوسة أو القيروان . وكان لوصولهما نتائج حسنة خاصة عند الضعفاء الذين لم يستطيعوا الفرار ثم عند بعض أفراد الأسر الأغلبية ووجوه المجتمع الذين استقر جانب منهم في القصر القديم ، تمهيدا لاختفاء كثير منهم في القرى وفي البوادي النائية فيما بعد (439) ولم يغادر الداعي معسكره متوجها الى رقادة الا يوم السبت غرة رجب الفرد (440) 296 هـ أي بعد أن لقي وفد القيروان في ساقية ممس وهؤلاء هم الذين جاؤا بمعيته الى المدينة ولم ينصرفوا عنه حتى أذن لهم بحرية الانصراف (441) واثرت ذلك استقر بقصر الصحن احد قصور ابراهيم بن أحمد (442) بعد أن وزع رجاله على معسكرات خاصة ، في نواحي المدينة وفي القصر القديم (443) وكان عدد

435 - النعمان : افتتاح ورقة 149 (205 - 206 ط . بيروت) .

436 - البيان : 1 ، 201 .

437 - في رأي ابن عذارى (204 ، 1) انه كان في الاربس ومنها انطلق وفي نواحي سيبية عند ابن الأثير (16،8) وابن خلدون (74،4) وعن سيبية انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، 84 ، البكري : المصدر السابق 49 البعادي مرصد 2 ، 691 - وهي على مرحلتين من القيروان .

438 - ابن عذارى 1 ، 204 ابن الأثير 8 ، 16 النعمان : المصدر السابق ورقة 154 (212 ط . بيروت) .

439 - النعمان : المصدر السابق ورقة 151 وما بعدها وكان ذلك اشارة على تدهور شأنها وخلانها لفائدة المهديّة - وقد تم تخريبها في عصر العز لدين الله .

440 - نفسه ورقة 155 (214 ط . بيروت) ابن الأثير 8 ، 17 القرظي : انما الحنفا 1 ، 63 ابن عذارى 1 ، 204 .

441 - ابن عذارى 1 ، 204 - 205 النعمان : المصدر السابق ورقة 155 .

442 - وكان هذا القصر وقصر الفتح مقر ابراهيم بن أحمد الخاص ثم قصور بغداد والمختار والبحر الذي بناه زيادة الله ثم قصر العروس سيبيا في شهرة رقادة باسم مدينة القصور وكانت تحيط بها بستان وصهاريج لتزده الامراء انظر حسن حسني عبد الوهاب ورفات 1 ، 364 وما بعدها .

443 - ابن عذارى 1 ، 205 ، النعمان : افتتاح ورقة 156 (214 ط . بيروت) .

من صحبه منهم حسب رواية ابن عذارى نحو ثلاثمائة ألف بين فرسان
ومشاة (444) .

ولان المهمة الرئيسية للداعي لم تكتمل بعد ، وفي نفس الوقت تقتضي
هذه النهاية السعيدة ، القيام ببعض الاصلاحات السريعة تعبيرا عن الوضعية
الجديدة بكامل ابعادها السياسية والمذهبية فقد أشرف على اجراء تغييرات
في الهياكل الادارية وفي الناحية المذهبية اقتضت منه أكثر من شهرين أي من
مستهل رجب الى منتصف رمضان 296 هـ وذلك قبل أن ينطلق لانهاء مهمته
بتحرير عبيد الله وولده من سجن سجلماسة . ويأتي في مقدمة
الاجراءات (445) :

— منح الامان العام لسكان القيروان ورقادة بما في ذلك بقايا الاسرة الاغلبية
ومواليهم في القصر القديم لم يستثن من ذلك غير مجموعة من الفتيان بقيادة
ابراهيم بن بربر التميمي الملقب بالقوس الذي حرض على الثورة ضد الداعي
وقادها لانه كان يضمم الشر للحركة الجديدة واشتهر بالشجاعة وقوة البأس
وعندما أمر الداعي بخنقه قال لرجاله « ما أمنت بافريقية حتى قتلت
القوس » (446) .

— وأصدر سجلا خاصا بالامان العام يشرح فيه ابعاد المعركة الأخيرة ،
ويشير الى بعض ملامح السياسة الجديدة التي ستطبق في سائر ولاية افريقية،
وملحقاتها كجزيرة صقلية ومما جاء فيه خاصة بهذه الجزيرة قوله يخاطب
سكانها « وسوف أملا جزيرتكم خيلا ورجلا من المؤمنين الذين يجاهدون
في الله حق جهاده فيعز الله بهم الدين والمسلمين ويذل بهم الشرك
والمشركين » (447) .

وقد كف اذى جند كتامة عن السكان ، ومنعهم من السلب ، والنهب
والتعدي على غيرهم لكنه في نفس الوقت أرضاهم بتوزيعهم على النواحي
ومنح كل واحد منهم مكانا يأوي اليه . والذي كان محل أعجاب ودهشة
جماهير السكان هو مدى طواعية هؤلاء لاوامر الداعي وسرعة استجابتهم
لكافة رغباته .

444 — نفسه 1 ، 204 اما النعمان فقد شبههم نظرا لكثرتهم « بالجراد المنتشر » وقد بلغ
مجموع قبيلة مسالمة وحدها ، وهم أنصار شيخ المشايخ نحو اثني عشر ألف سيف

انظر طالبي : تراجم اغلبية 357 ، وهي مستخرجة من ترتيب المدارك لعياض .

445 — ابن ابي الصياف : اتعاف 1 ، 118 .

446 — ابن عذارى : البيان 1 ، 205 واستاء رجال كتامة ، من منح الامان لسكان المدينتين
لرقيتهم في السلب والنهب والتعدي .

447 — النعمان : الفتاح 159 — 162 (219 — 222 ط . بيروت) .

– وقد حرص على أن يكونوا في هاتين الحاضرتين ، قوة بناء وأداة جذب وعناصر فعالة في الدعوة للمذهب الشيعي رلاشاعة مبدأ تقديس على وتفضيله على بقية الصحابة الكرام (448) .

– وعلى عناصر من جند كتامة ، بقيادة عروبة بن يوسف اللوسي ، اعتمد في ضبط الأمن واشاعة الألفة والرحمة بين سكان مدينة سوسة (449) ، وبهؤلاء تمكن من استرجاع أموال الامارة الأعلمية التي كانت مخزونة حتى هذا الوقت في قصر الرباط في المدينة (450) .

– وعلى مجموعة أخرى ، اعتمد في احضار كل من أبي المقارع من ايكجان وأخيه أبي العباس المخطوم ، من طرابلس . وقد حضر الأخير وبمعيته أبو جعفر الجزري وأم عبيد الله (451) فكان سروره بوصولهم عظيما ، وقدم لأخيه ما هو أهل له من الاحترام والتقدير بسبب كبر سنه (452) . وكان هذا التدبير مقدمة لاستخلافه على أفريقية بعد مغادرتها الى سجلماسة (453) . أما أبو المقارع فتلطف به وأكرمه لكنه لم يعهد اليه بأية مهمة جديدة .

– ثم أمر بجمع مخلفات الامارة وأموال الأمير ، وجواريه وسائر ما انتهب من أموال الفارين في مكان أمين وكلف برعايته الأحذب أحمد بن فروخ الطنبلي أما انجوارى فقد اهتمت بشئونهن امرأة تسمى روند ، التي زودها الداعي بما يحتجن اليه من طعام ، ولباس ، ولكنه رفض الشرب أو أن

448 – ابن عذاري : البيان ، 1 ، 208 .

449 – عن سوسة ومعالها ودرها ومشاهدها انظر : البكري 34 – 36 ياقوت معجم البلدان : 5 ، 173 – 175 البغدادي : مرصد الاطلاع 2 ، 755 حسن حسني عبد الوهاب ورفقات 2 ، 15 وما بعدها وقد اعتمد في كتابة فصل طويل عنها على مخطوط كان يوجد بحوزته وهو الآن بين مخطوطات المكتبة الوطنية (المطارين سابقا) عنوانه : برنامج قيم بمدينة سوسة ووطنها من الجوامع والأولياء والمعاصر والديار رقم 18669 وكانت سوسة تعتبر منفذا للقروان وظهرت أهميتها اثناء فتنة أبي يزيد . حولها اربطة ومحارس أشهرها : قصر الرباط وقصر الطوب .

450 – كان مجموعها نحو ثلاثين حملا من الذهب وقصر الرباط يقع بجوار سوسة وهو أكبر من قصر الطوب والقرب الى المدينة وأقدم منه تأسيسا إذ يعود بناؤه الى عصر زيادة الله الأول وقد أشرف على تأسيسه مولاة مسرور الخادم واستفيد ذلك من الوثيقة التي توجد في جناح خاص من الرباط عرف « بمنحف أسد بن القرات » واشتمل على وثائق وآثار وتحف عن العصرين الألفي والفاطمي .

451 – ابن عذاري 1 ، 205 – 206 النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 169 – 170 ويبدو أن فراره الى غير منطقة كتامة بعد نجاته من السجن يدعو الى البهشة .

452 – اليماني : سيرة جعفر 121 القرظي : اعطاء الحنفا 1 ، 64 ، النعمان : المصدر السابق والصفحة .

453 – القرظي : المصدر السابق 1 ، 65 .

يمارسن اللهو مع اي كان قبل وصول صاحبهن ، وقد بقى الداعي متعففا عن كل المباحج ، ولم يمد يده الى أية واحدة منهن ولما استطلعت « روند » رايه حول رغبة هؤلاء الجواري ، في المرح واللذة بقولها « ويردن من الرجال ما يريد الرجال منهن » ، اجابها بقوله : « هذا لمولاهن وعن قريب يأتي اليهن » (454) .

— وقد عهد الداعي لرجال كتامة وللعناصر المتشعبة بالاشراف على النواحي الادارية والمذهبية والعسكرية .

فكان الحسن بن أحمد بن علي بن أبي كليب المعروف بابن أبي خنزير عاملا على القيروان ، واخوه خلف بن أحمد على مدينة القصر القديم (العباسية) وقد زودا بتعليمات دقيقة تقتضي اليقظة لمراقبة الامن والنظام والالتزام بحدود معينة فكل من خرج « ليلا » أو شرب مسكرا أو حمله ، أو وجد في حوزته تنفذ فيه عقوبة القتل (455) . وفكرة تقديم هذين الرجلين لهذه المهمة ، قصد به الرفق بالسكان ، لما اشتهرا به من التعقل وسداد الرأي وكان في امكانه أن يعين عروبة بن يوسف خصوصا وقد اشتهر بالحكمة ونجح في المهمات التي أسندت اليه في سوسة وفي رقادة ولم ير الناس منه الا خيرا ، لكنه أمسك عن ذلك وتركه في الميدان العسكري لأنه كان من اخص قاداته وقد قصد أن يدخره لعمل خطير هو تحرير عبيد الله من سجنه وتاديب القبائل والانظمة المعارضة على طول الطريق من رقادة الى سجلماسة .

— أما قضاء القيروان وسائر بلاد افريقية فقد أصبح من نصيب متشيع قديم هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى ، المعروف بالمروزي الذي تمتع بحق الاشراف العام على سائر قضاة النواحي ، حتى شمخت نفسه ، وأصبح يكتب على سجلاته « من محمد بن عمر قاضي القضاة » (456) . وهو الذي امتحن على يديه كثير من فقهاء السنة . ولاول هذه امر بترك صلاة التراويح في شهر رمضان باعتبارها بدعة أحدثها عمر بن الخطاب كما أمر المؤذنين بزيادة حي على خير العمل « في الأذان اقتداء بعلي (457) واسقاط (الصلاة خير من النوم » في « أذان الفجر » .

454 — النعمان : المصدر السابق ورقة 175 (216 ط . بيروت) .

455 — نفسه : ورقة 155 (214 ط . بيروت) ابن عذاري 1 ، 206 .

456 — ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 207 النعمان : الفتاح 156 — 157 (215 ط . بيروت) ويبدو أن هذا الخبر الذي تفرد به النعمان وهو معاصر للمروزي يشير الى ظهور لقب قاضي القضاة لأول مرة في السجلات الرسمية في بداية عمر الفاطميين في المغرب .

457 — نفسه 1 ، 170 — 171 ، 207 وعن اصل هذه الصيغة وقدمها انظر النعمان دعائم الاسلام 1 ، 172 — 173 ط القاهرة 1951 الشيال مجموعة الوثائق الفاطمية 1 ، 58 هامش 1 .

– وقد عين ائمة لمساجد القيروان وقيادة كلفوا بالدعاء لعلي بن ابي طالب وسائر اصحاب الكساء كما عمم هذا الدعاء في سائر منابر افريقية اظهرا لمذهب الشيعة في تفضيل علي ، وبغض اصحاب الرسول ، خاصة من ولي الخلافة قبله (458) .

ويلاحظ ان خطب الجمع والاعياد لم تتضمن الدعوة لاي امام ، قبل وصول عبيد الله (459) .

– وعلى دار الضرب اعتمد على خبرة ابي بكر ابن القمودي (460) الفيلسوف وفي اول سكة تذكارية ضربت وعرفت السيدية (461) لم يذكر اسم الخليفة ولا غيره وانما نقش عليها « الحمد لله رب العالمين » .

اما السكة الأخرى فتضمن احد وجهيها عبارة « بلغت حجة الله » وفي الوجه الآخر كتبت عبارة « تفرق أعداء الله » .

وخاتمه الخاص ، نقش عليه آية قرآنية أيضا هي « فتوكل على الله انك على الحق المبين » أما الخاتم الرسمي الذي يطبع به على السجلات ويودع في دار الامارة فقد نقشت عليه آية « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » ووسم أفخاذ أنخيل بآية « الملك لله » ونقش على البنود « سيهزم الجمع ويولون الدبر » و « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » وعلى الأسلحة نقش عبارة « عدة في سبيل الله » (462) .

458 – نفسه 1 ، 207 النعمان : المصدر 158 (217 ط . بيروت) ويلاحظ ان هذا التقليد في خطب الجمع والاعياد بقي مستمرا في بلاد المغرب مع جزئي يتضمن اضافة الدعاء لسائر الصحابة العشرة الكرام المبشرين بالجنة وهو يعود فيما يبدو الى عصر احياء السنة منذ القرن 5 هـ / 11 م .

459 – القرظي : المصدر السابق 1 ، 63 كما ان السكة التي ضربت في هذه الفترة لم تتضمن اسم صاحب السيادة .

460 – ينسب لقمودة ولاية القصرين الآن بدأ حياته مالكا معيا للنظر والجدل وترعرع في بيت الحكمة في رقادة وقد اشترك في حركة المناظرة ضد الداعي بقوة وحماس لدرجة انه هدده بقوله « وانك لتنظر لاهل البيت ما أرى منك من البغضاء » فخاف العاقبة وانزوى ثم تعاون مع المهدي الجديد انظر ، ح . عبد الوهاب ورفقات 1 ، 251 – 252 (نقلنا عن طبقات الخشني) .

461 – ابن عذاري : البيان 1 ، 206 والنسبة لاحد القاه في كتامة وهو السيد .

462 – القرظي : المصدر السابق 1 ، 64 انظر الخطط 1 ، 350 النعمان : افتتاح 158 (217 ط . بيروت) ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 206 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 17 وعدم ذكر اسم المهدي بين الشعارات مع انه صرح باسمه وبقرّب ظهوره من قبل فيه غرابة .

– وكلف أخاه أبا العباس محمدا المخطوم وأبا زكي تماما بن معارك بالاشراف على ولاية افريقية اثناء رحيله الى سجلماسة ويبدو ان اخاه كان بمثابة المفوض العام أما أبو زكي فكانت مهمته ذات طابع عسكري يراقب الامن في نواحي الولاية بمساعدة جند كتامة في رقادة وفي النواحي (463) .

– وحتى لا يفاجأ أهل افريقية بسرعة مغادرته للمنطقة ويطلقوا العنان لتأويلات شتى أو يفكروا في الثورة والعصيان فانه اصدر سجلا خاصا قرىء على سائر منابر افريقية فضلا عن القيروان ورقادة ، وفي هذا السجل أشار الى ما منحه الله من انصر على أعدائه « حتى انقادت اليه الأمور بأزمتهما وسلسلت اعنتها » .

وركر مسئولياته الجديدة في المنطقة وانه سوف يتصرف فيها طبق قواعد العدل ويرعى كل من يلتزم بالاوامر وأظهر حب « العتارة » واقتفى أثر أهل البيت ، ويعمل على اشاعة جو السلام والامن في المنطقة « الى غاية يشرب لها الذئب والشاة من منهل ويجتمع العدو مع عدوه في منزل ويسلك السفر والسيارة بلا خفير ولا سفير من لدن أرض مصر الى أقصى حجر بالمغرب » .

ورغم انه لم يشر الى اسم عبيد الله صراحة ولم يوضح مهمته في هذا السجل فانه لمح الى ذلك بقوله « آثرت ترك الدعة والسعة وهجرت مهاد الخفض ورفاهة العيش ابتغاء ثواب الله في لم شععثكم وضم نشركم وما يعود نفعه عليكم في يومكم وغدكم وعاجلكم وآجلكم » .

وقد تحاشى في هذا السجل ان يذكر غير نائبه تمام بن معارك (464) مع أن أبا العباس محمدا المخطوم (465) كان مكلفا بمهمة وقد استقدم من طرابلس لهذه الغاية ولم يستصحبه معه الى سجلماسة على الرغم من أنه يفيد في التعرف على عبيد الله وولده لأنه لم يسبق له أن اتصل بهما مباشرة (466) .

463 – أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 69 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 209 ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 75 ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 17 النعمان : المصدر السابق 169 – 172 (235 – 236 ط . بيروت) اليماني : السيرة 123 ابن أبي الضياف 1 ، 119 أبو الفداء 2 ، 69 .

464 – النعمان : افتتاح 171 ، 172 (232 وما بعدها ط . بيروت) .

465 – عرف بلقب خيطوم والآخرم وبالاحتساب أيضا ويبدو أن لقب المخطوم عرف به منذ أن ضرب بسيف على وجهه في الطاحونة من طرف قطاع الطرق الذين اخلوا من عبيد الله أموالا وكتبا قديمة انظر : النسابوري استنار الامام 106 طالبى : تراجم الغلبية « مستخرجة من مدارك عياض » 354 ، 357 ، 391 ابن عذاري : 1، 408 يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 751 ابن حماد : المصدر السابق 7 النويري 26 ورقة 31 .

466 – ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 172 س 17 – 18 .

وأبو العباس كان ضمن الرفقة التي صحبت عبيد الله في رحلته من سلمية عبر مصر إلى سجلماسة في صحراء المغرب لكنه فارق في طرابلس للقيام بمهمة خاصة عند أخيه في كتامة .

وينهض وجود هذا الرجل - بين رجال عبيد الله عندما فارق سلمية دليلاً على أن الأخير كان قد عزم على التوجه إلى المغرب (467) قبل مغادرته سلمية لأسباب تتعلق بأمنه وبمصير حركته (468) لكنه احتفظ لنفسه بحق عدم اطلاع أي أحد من رجاله وكبار أنصاره (469) وفي مصر ، أيد هذا الاتجاه أبو علي من كبار دعائه بدون تردد وعزم على أن يرافقه في رحلته إلى بلاد المغرب بخلاف صهره فيروز باب الأبواب وكبير الدعاة وصاحب الحظوة الذي تظاهر باشفاقه على عبيد الله من الرحلة إلى بلاد قسية وفضل اليمن لنجاح الدعوة على يد أنصاره هناك (470) .

ولعله كان يضر شيئاً خاصاً لأن عبيد الله إذا كان أمام الزمان ورأى رأياً فان طاعته عبادة واجبة لأنها الدعامة الأولى في نظر الاسماعيلية ولا يتصور مخالفته الا عن تنكر للحركة وانشقاق عليها (471) ولعل الذي ظهر فيما بعد في اليمن عندما التجأ إليها (472) ، وفتن علياً بن الفضل وحمله على الثورة والعصيان ضد منصور اليمن حتى اتخذ دار ملكه بالمديخرة وادعى النبوة وتحلل من كثير من الأحكام الشرعية (473) لعل ذلك كان له أساس قديم .

- ووجود وفد (474) كتامة معه وكانوا قد وصلوا إليه من طرف الداعي بأخبار عن سير الدعوة الاسماعيلية في بلادهم ومدى النجاح الذي أحرزه الداعي الذي أصبح يسطر على مراكز كثيرة منها أيكجان وتازروت وميلة

467 - اليمني : سير جعفر 110 ، 116 ويحدد ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق 2 ، 203 تاريخ دخوله للمغرب بسنة 290 هـ .

468 - نفسه : النسابوري : استتار الامام 96 - وما بعدها 106 وعن رحلته حتى صفا له الجو انظر ابن الوردي تاريخ 1 ، 252 .

469 - النعمان : افتتاح 106 الذي يشير إلى نيته في التوجه نحو اليمن لولا فساد امره ماجد : ظهور 86 الهمداني : الصليحيون 39 - 40 .

470 - اليمني : سيرة 114 الهمداني : المرجع السابق 28 .

471 - النعمان : الهمة في آداب اتباع الملة 38 - 39 وفيه « اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بامانتهم واطاعتهم أصل ما يجب » دعائم الاسلام 1 ، 3 ماجد : نظم 1 ، 61 - 63 .

472 - اليمني : سيرة 114 الهمداني : المرجع السابق 41 .

473 - عبد الباقي اليمني : بهجة الزمن في تاريخ اليمن 39 - 40 الشوكاني : قطر الولي 285 - 286 النعمان : افتتاح 106 اليمني سيرة جعفر 114 - 115 الهمداني : المرجع السابق 41 - 47 العقاد : فاطمة الزهراء 77 - 78 .

474 - النعمان : افتتاح 108 القريري : المصدر السابق 1 ، 60 .

فيما يبدو يشير الى عزمه على التوجه الى داعيته في كتامة لا سيما وان الآخر حثه على المجيء اطمئنانا للوضع (475) وارسل بعض انصاره ليشرحوا امامه ويصاحبوه الى المنطقة ولما اقتنع بذلك ضم اليهم ابا العباس محمدا ليجتمع مع اخيه بناء على رغبته وفي طرابلس سبقوه الى كتامة ليخبروا الداعي بذلك فيهب لاستقباله ويستعد لتدبير مقامه وكان الداعي مقدرًا لقيمة وجوده بين انصاره في كتامة وربما كان ظهوره في كتامة حافزا على اظهار الامر وعاملا على مضاعفة الجهود وتكتل الانصار وزوال كثير من التناقضات الداخلية وكان يمكن أن يتم وصول عبيد الله ورفقاؤه الى منطقة كتامة من قسطلية (476) وتوزر لو لم يكتشف أمره وبات البريد الاغلبى بوصفه وبأنه صاحب الداعي في كتامة - وهذا التطور فيما يبدو هو الذي الجاه الى الابتعاد عن انصاره في ركن قصي في صحراء سجلماسة البعيدة عن نفوذ الاغلبة والعباسيين .

وتضحيته اثناء الطريق او عندما استقر في مدينة سجلماسة لهامايبررها، فقد كان تصورهِ للوضع السياسي في المغرب غير واضح وقد خيل اليه حقا ان الحركة الاسماعيلية في كتامة ما زالت في بداية الطريق العملي وانها ستستهدف الى اخطار كبرى وقد خشى أن تكون عاقبة ظهوره في كتامة قتل ابي العباس في سجن رقادة وبقيّة انصاره في طرابلس وسلمية الذين يصبح أمرهم واضحا للسلطة كما حافظ على انصاره في مدن الشام ، ومصر وهؤلاء آووه وسترُوا أمره وعطلوا تنفيذ أوامر الخليفة العباسي ، بل زيف بعضهم الحقيقة منعا لوالي مصر ، من القبض عليه وعلى رجاله وليس بمستبعد في تصورهِ أن يكون ظهوره مقدمة لردود فعل جماعية معاكسة للحركة الناشئة في كتامة قد يشترك فيها عمال مصر وأمراء افرريقية بتأثير رغبة الخليفة العباسي الذي حرص على تضيق السبل واقامة المراسد في طريق عبيد الله وكانت الدولة الاغلبية في هذه المرحلة على جانب كبير من القوة وأكثر حواضر الزاب وكتامة باقية تحت سلطانها . واركان المعارضة للحركة الشيعية بين قبائل كتامة نفسها ما زالت قوية وحركة الصراع القبلي كانت حادة أيضا .

ويلاحظ ان توفيقه في الوصول الى سجلماسة كان يعود الى تستره وسرعة سيره ثم الى تطفه مع الادلاء ورجال القوافل الذين اعانوه على

475 : نفسه .

476 - انظر اليماني : سيرة جعفر 117 وهنا يشير الى سماع عبيد الله اخبارا سارة عن سير الحركة الاسماعيلية واثرها في اشاعة جو الامن والنظام في كتامة من طرف احد المرزبيين الذين عاشوا فترة في المنطقة وهي كافية لتشجيعه على قصد ما يحيى ابن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 751 . ط كراتشوفسكي .

معرفة مجاهل الصحراء وتجنب المراصد التي أقيمت له في الطرقات (477) وكرمه وميزاته الشخصية أوقعتهم في شرك حبه ، والجمتهم عن الحديث إلا مع أنفسهم بعد أن توقعوا من خلال تصرفاته انه ليس تاجرا « وماهو إلا صاحب فكرة أو سلطان» (478) وعوامل نجاحه مع أمير سجلماسة اليسع بن مدرار الكناسي الصفري (479) ، الذي قربه واهتم بشئونه في بدء الأمر (480) هي نفس التي كانت من قبل سببا ، في نجاته من بطش العباسيين وعمالهم في سلمية ومصر ، وطرابلس وتوزر .

وفي سجلماسة نزل بدار أبي حيشة (481) ، واستمرت حياته طبيعية هادئة حتى وصل البريد من طرف الأمير الأغلب برسالة تكشف عن شخصيته كصاحب الدعوة ، التي ينشرها الصنعاني في كتامة (482) . وربما أرسل الى هذا الأمير الصفري (483) فيما بعد ، نسخة من سجل الخليفة المكتفي بالله عندما بلغه بيد أنه لا يتصور أن يكون مضمون رسالة الأمير زيادة الله أمرا بقتله أو بإرساله اليه أو بالتضييق عليه لان امارة سجلماسة كانت مستقلة سياسيا ومذهبيا عن العباسيين وأتباعهم الأغلبة في أفريقية ولعل ذلك هو سر اختيار عبيد الله لها أدراكا منه لهذه الوضعية الخاصة .

- 477 - القرظي : المصدر السابق 61 النسابوري : استتار الامام 106 .
- 478 - النعمان : افتتاح 109 اليماني : سيرة جعفر 119 - 121 بذكر قصة الرجل الهاشمي التاجر ، الذي تعرف بعبيد الله أثناء الطريق الى سجلماسة ومال اليه ولازمه طيلة اقامته في المدينة ولما فارقها الى القيروان اوصاه بان يعرف بنفسه هند الداعي متى استقر في رقادة ، ويرسل ابنه - وكان مرافقا له أثناء السفر معه عندما يتوجه نحو سجلماسة . والقصد ان يكون الابن وسيلة للتعارف بين الرجلين لانهما لم يتقابلا من قبل وبغير ذلك لا يمكن الوصول الى الحقيقة خاصة وان الداعي ابقى اخاه في رقادة خوفا من ظهور حركات مقاومة بين جمهور سكان القيروان ، وهذه القصة مثل رواية منح عبيد الله بعض اموال من فئاتم كينونة لرجل هاشمي واوصاه بالتزام الحذر ، تدلان على ان عبيد الله كانت شخصيته باعتباره صاحب الدعوة معروفة لدى اناس في سجلماسة وفي القيروان ايضا .
- 479 - ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 216 النعمان : افتتاح 109 ولي اليسع الامارة في صفر 270 هـ البكري : المصدر 150 .
- 480 - ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 70 ابن الأثير 8 ، 14 (39 ط . دار صادر - بيروت) ابن أبي الصياف 1 ، 119 أبو الفداء 2 ، 69 الباجي السعودي : المصدر السابق 29 (ب) الدواداري المرة 21 .
- 481 - اليماني : سيرة جعفر 117 الدواداري : المصدر السابق 21 يشير الى سجنه في قلعة خاصة ، التويري 26 ورقة 31 - 32 .
- 482 - القرظي : افتتاح 1 ، 62 ابن خلدون 4 ، 71 ابن الأثير 8 ، 14 (39 ط . بيروت) .
- 483 - حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية 54 حيث يشير الى كونه سنيا وهذا مستبعد لانه لم يظهر الميل الى السنة في سجلماسة الا في عصر الشاكر لله البكري : 151 وربما كان الأقرب هو ميله الى المذهب الإباضي بتأثير الطلاقة مع الرستميين .
- E.I. (Art Sigilmasa T 4, p. 420.

والأقرب الى الظن انه لو كانت هناك علاقات مودة بين الأغالبة والرستميين الإباضية لا يمكن تصور نجاح الأمير في التأثير على هؤلاء ليتدخلوا عند أمير سجلماسة ليتمكن من الانتقام من عبيد الله صاحب الدعوة الثورية في أطراف بلاده لان روابط الصهارة والمذهب والاتجاه السياسي كانت تجمع الرستميين وبني مدرار (484) .

وبما ان العلاقات لم تكن حسنة بين الرستميين والأغالبة وكان اليسع في حل من أمره ولم يخش تأثير حركته فان أقصى ما نال عبيد الله هو التضييق عليه مجاملة للأمير الأغلبي وللخليفة العباسي فنقله الى مكان خاص تملكه مريم بنت مدرار وهي إحدى سيدات الأسرة (485) الحاكمة لتصبح مراقبته ممكنة وميسورة ولم تتغير معاملة اليسع لعبيد الله وابنه حتى سمع نبأ توجه الداعي الى سجلماسة عندئذ فقط سجن كل واحد منهما لامتحانات عسيرة مكان ضيق عرف بالمطبق (486) وعرضهما وأتباعهما لامتحانات عسيرة لكنه لم يستطع أن يظفر بأي اعتراف (487) عن علاقتهم بالحركة التي يتجه انصارها الآن عبر أرجاء المغرب في شكل مظاهرة عسكرية لا للقضاء عليه فقط وتحرير صاحب الدعوة وانما لاثبات مدى ما وصلت اليه قوة الحركة الجديدة اربابا لقبائل زناتة ولغيرها من القبائل التي بقيت حتى الآن بمعزل عنها .



وقد كان لهذه الحملة التي انطلقت من رقادة في رمضان 296 هـ / مايو 908 م اصداء قوية وردود فعل مختلفة بين قبائل وانظمة بلاد المغرب فبعض القبائل ابتعدت عن خط سير الحملة وانزوى في ركن قصي وبعضها الآخر يدافع الخوف على مصيره - سعى لمقابلة الداعي ، وخطب وده وطلب منحه الأمان ومن هذه القبائل زناتة ورئيسها محمد بن خزر الذي لقي الداعي بجوار طبنة وتلطف له حتى وافق مبدئيا على ما طلبه بشرط أن لا يعادي

484 - ابن عداري : 1 ، 216 البكري : المصدر السابق 150 .

485 - نفسه : 210،1 .

486 - اليماني : سيرة جعفر 126 وهو الذي امر عبيد الله بكسره فداة سقوط سجلماسة وذكر مصطلح المطبق في رسالة الداعي الى أبي زكي - النعمان 176 - 178 (242 ط . بيروت) .

487 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 65 اليماني : سيرة جعفر 126 ، ابن الأثير 8 ، 17 48 ط . بيروت) النعمان : افتتاح 173 - 174 . (237 ط . بيروت) والتقى عبيد الله بقوله لليسع « ما رأيت ولا أعرفه وانما أنا رجل تاجر أنظر : التويري : المصدر السابق 26 ورقة 32 .

الحركة أو يفدر بأنصارها (488) . ويبدو أن تخوفات هذه القبيلة هي في محلها لوجود سابقة غدر خطيرة سوف نشير إليها في حينها (489) .

وبما أن رغبة الداعي كانت منصبة على أحداث الهزة النفسية في كامل أرجاء المغرب وقد حصل ذلك كما أصبحت ممتلكات الإمامة الرستمية خالصة له ، ولانصاره بدون زحف أو قتال .

وبما أن مهمته هذه المرة ، كانت محددة وليس من بينها التوسع أو القتال فإنه واصل السير نحو سجلماسة وهو خائف يترقب مما سوف يقع لعبيد الله اثر انتشار نيا هذه الحملة .

وقد كان تخوفه له ما يبرره لأن اليسع لم يحسن صنعا ورفض كل عروض السلم التي قدمها الداعي ، وقتل رسله ومزق كتبه وضيق على السجناء (490) ومن ثم فللداعي الحق في أن يتوجس خيفة من نذر الشر ، على مصير حركته وصاحب دعوته . والامتحان الذي تعرض له الآن لا يقل في قسوته عما سبق أن واجهه وهو يدعو القبائل أو يشرف على المعارك .

وقد أخذ في السير ، ليفاجيء سجلماسة ويرغم أميرها العنيد على الخضوع .

وكان هذا الأمير ، قد أجال النظر في أنسب طريق للخروج من الأزمة وكان بعض رجاله مؤيدا لفكرة قتل السجناء لتنتهي الحركة وتستريح المنطقة من شرورها وبعضهم مال جانب السلم والاحسان الى السجناء ليحفظوا الصنيعة ويكفوا اذى انصارهم وكان من رأي فريق ثالث ، أن يسرح جميع السجناء فردا ، فردا ويتركوا لحال سبيلهم وعندما يتعرف القوم على صاحب دعوتهم وينشفلون به يمكن للامير أن يدبر طريق الخلاص ، ان لم ينصرفوا بنفس السرعة التي أتوا بها الى افريقية (491) واستند هذا الرأي فيما يبدو على عدم استقرار الوضع في افريقية وعدم اطمئنان هؤلاء على استمرار الهدوء بسبب بقاء جيوب مقاومة ضمن القبائل وفي داخل الحواضر الكبرى وتستمد هذه المعارضة قوتها من وجود الأمير الأغلب في طرابلس أي قريبا من رقادة وحتى عندما فارقتها الى المشرق ورفض

488 - القرظي : تماظ 1 ، 65 ابن الأثير : الكامل 8 ، 17 النعمان : افتتاح ورقة 173 (236 ط . بيروت) .

489 - النعمان : المصدر السابق 143 - 144 (197 - 198 ط . بيروت) حيث قتلوا بعض رسله الى عبيد الله عندما كان في سجلماسة سجيناً .

490 - النويري : المصدر السابق 26 ورقة 32 .

491 - اليماني : المصدر السابق 124 - 125 .

العباسيون استقباله في بغداد ووعده بالنجدة رجع الى مصر في طريقه الى المغرب كما اشرنا .

ويبدو أن هذا الرأي هو الذي تبناه اليسع بن مدرار وان ابن التاجر الهاشمي الذي رافق الداعي هو الذي عرف بعبيد الله عند الداعي قائلا :
« هذا مولاي ومولاك ومولى الناس اجمعين » .

وفي اللحظة التي التام الجمع حوله فر اليسع ورجاله الى الصحراء (492).

ورواية صاحب سيرة جعفر الحاجب تختلف عن بقية النصوص التاريخية التي تشير الى وقوع حرب عنيفة بين انصار الداعي ورجال اليسع استمرت يومي السبت والأحد من اوائل شهر ذي الحجة 296 هـ . وانتهت بفتح نجلماسة عنوة وفرار اليسع ورجاله ليلا في مجاهل الصحراء تاركين المدينة وسكانها لجند كتامة المنتصرين الذين انتشروا في حارات المدينة بحثا عن السجناء . ومجموعة منهم هي التي صحبت عبيد الله وأبا القاسم الى معسكر الداعي فلما بصر بهما سر وترجل وأركبهما وسار بين أيديهما مع رؤساء ومشائخ القبائل حتى فسطاط نصب لاستقبالهما في هذه الفرصة ولسان مقاله يخاطب أنصاره « هذا مولاي ومولاكم وولى أمركم وأمام عصركم ومهديكم المنتظر الذي كنت به أبشر قد أنجز الله له وعده وأعطاه حقه وأظهر أمره » (493) .

وعندما رغب عبيد الله في التعرف على أنصاره مباشرة حسب مراتبهم ودرجاتهم في الدعوة وكان الداعي يعرف أخلاق القوم ومدى تلهفهم على النظر الى صاحب الدعوة الذي أشيع عنه « أنه يحي الموتى ويرد الشمس من مغربها ويملك الأرض بأسرها » (494) اقترح عوضا عن ذلك طريقة أخرى تراعى فيها كامل الاحتياطات بحيث يكون عبيد الله بعيدا عن التجمع والداعي مباشرا له يليه جعفر (495) الذي تكون مهمته تهيئة المقابلة غير

492 - اليماني 126 ابن الأثير 8 ، 17 (48 ط . صادر) أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 69 القرظي : اتعاظ 1 ، 65 النويري 26 ورقة 32 .

493 - ابن هداري : المصدر السابق 1 ، 210 ابن الأثير 8 ، 17 ابن خلدون 4 ، 75 القرظي : المصدر السابق 65 البكري : المصدر السابق 15 النعمان : افتتاح 175 - 176 ، 178 (238 - 240 ط . بيروت) أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 69 الباجي المسعودي : الخلاصة النقية في أمراء أفريقية 29 الاستبصار 204 وفيه ان عبيد الله قال للداعي « قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية » .

494 - القرظي : اتعاظ 1 ، 59 .

495 - وفي هذا اليوم اطلق عليه لأول مرة لقب الحاجب الذي عرف به في النصوص وفي الحياة العامة انظر اليماني : سيرة جعفر 130 .

المباشرة بين عبيد الله والوفود فيمر هؤلاء ، عشرة عشرة ، ان كانوا دعاة وقادة ومشائخ ثم خمسين خمسين ان كانت مرتبتهم دون ذلك ثم يتدرج الامر بين مائة الى خمسمائة وبذلك يمر كل القوم امام مجلس عبيد الله وبهذه الطريقة يظفر سائر الانصار بروية امام الزمان (496) .

— ولحرص عبيد الله على التنكيل باليسع بن مدرار جد الداعي في البحث عنه مدة طويلة وعندما تمكن من القبض عليه في مستهل محرم 297 هـ / سبتمبر 909 م بمساعدة رهط بني خالد الذين لقوا جزاءهم من الداعي بمنحهم الامان (497) ضرب بالسياط وطوف به في المدينة ثم قتل مع بعض مساعديه وبقتله ثار عبيد الله لنفسه واطمان لاستقرار الوضع في سجلماسة بعد رحيله (498) الى رقادة .

ولكي يعبر عن وضعية المدينة الجديدة وتبعيتها للحركة الاسماعيلية بقى فيها اربعين يوما لينظم شئونها .

— وقد أصدر العفو العام عن سائر السكان وعين واليا من قبله ليمثل السلطة الجديدة وكان هذا الوالي من قبيلة مزانه .

— وترك حامية كتامية تساعده في حفظ الامن ومراقبة صفرية مكناسة في المنطقة . (499) .

— ويلاحظ ان قصة تحرير عبيد الله وضم سجلماسة الى اطار النفوذ الاسماعيلي ترد بصيغة مقتضبة ومتشابهة في النصوص التاريخية بحيث تشير هذه الى مسيرة الداعي اليها في رمضان 296 هـ / 908 - 909 م دون تحديد يوم معين باستثناء ابن عذارى الذي يحدد ذلك بيوم الخميس منتصف شهر رمضان (500) .

ويتفق مع المقرئزي في اعتبار المدينة فتحت عنوة وحرر عبيد الله واتباعه يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة 296 هـ بعد فرار أميرها بسبب فشله

496 - اليماني : سيرة جعفر 130 وثناء ترتيب القابلة كان الداعي يقول لكل وفد « امشوا على رفق الى الحاجب القائم على باب السماء .

497 - ابن عذارى : البيان ، 1 ، 210 .

498 - المقرئزي : المصدر السابق 65 ، انظر الخطط 1 ، 35 اليماني : سيرة جعفر 131 ويشير الى موت اليسع بعد ايام من تعذيبه ، النعمان : المصدر السابق ورقة 175 ابن الأثير : الكامل 17،8 ابن عذارى : المصدر 1 ، 214 - 217 ويلاحظ انه قتل وهو مريض ، أبو الفداء : المصدر 2 ، 70 الاستبصار 204 يذكر قتل اليسع على يد أحد رعيته حقدا .

499 - نفسه 66 ، النعمان : افتتاح 176 ، ابن خلدون 4 ، 74 ، ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 212 .

500 - ابن عذارى : البيان ، 1 ، 209 .

في الحرب كامل يوم السبت الذي يأتي مصرحا به في ابن عذارى عكس
المقريري الذي يكتفي بعدم الاشارة الى وقوع حرب يوم الأحد (501) خلافا
لما جاء في رواية ابن عذارى من وقوعها في هذا اليوم أيضا (502) .

أما اليماني فلم يشر لغير رحيل عبيد الله عن المدينة في بداية 297 (503)
909 - 910 م واتفق مع أغلب المؤرخين على رواية فرار اليسع الى
الصحراء .

وهنا نلاحظ ان فراره يجب ان تلمس له أسباب أخرى غير رفض عروض
الصلح ، أو معاملة عبيد الله الخاصة ، أو اهانة الداعي بقتل رسله وتمزيق
كتبه لأنه لا يستبعد أن يكون فراره قد تم عقب تنفيذه لجريمة قتل عبيد
الله خاصة وأن بعض النصوص أشارت الى قتل رسل الداعي بواسطة هذا
الامير ، فربما يستنتج منها شمول القتل لبعض السجناء . ومما له دلالة
خاصة ان نصوصا أخرى أشارت الى قتل عبيد الله فعلا ، على يدي اليسع
بن مدرار وربما كان حزن الداعي غداة حرب يوم السبت ، ليس فقط من
أثر الخوف (504) بل لعله سمع نيا قتل صاحب دعوته وقد يرجح قصة
القتل ، ان بعض رجال اليسع اقترحوا ذلك كحل للآزمة .

وهل يوجد ما يمنع اليسع من تنفيذ مثل هذه العقوبة ؟ وهو في سورة
غضب وفي حيرة شديدة مما حاق به بسبب هذا السجين ، والاقرب الى
القبول ان يكون قد فعل ذلك كآخر صورة من صور الانتقام من هذا السجين
الذي غدا تقمة عليه وعلى بلاده .

والنصوص التي تميل الى تصديق رواية القتل تذكر ان الداعي اختار
من يقوم بالدور من بين أتباعه ، حتى لا ينكشف الأمر أمام انصاره الذين
كانوا مهتمين بمصيره ، ومرهفي الحس لقضية سلامته ، ولادراك الداعي
هذا الجانب برر نجاحه من بطش اليسع بقوله « انه شغل عن قتله » (505) .

ولكن اذا كانت حادثة القتل قد وقعت فعلا فلماذا لا يلتجئ الداعي الى
ابنه أبي القاسم ، وهو معه ولم تشر النصوص الى خبر قتله ؟ ، ويبدو من

501 - المقريري : تعال 1 ، 65 .

502 - ابن عذارى 1 ، 210 .

503 - اليماني : سيرة جعفر 131 .

504 - المقريري : المصدر السابق 1 ، 65 س 15 ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 32 ،
نقلا عن تاريخ الرقيق .

505 - ابن ظافر : المصدر السابق 43 ويضيف ان الشخص كان يهوديا . ورغم ان مدينة
سجلماسة مشهورة بقوة جاليتها اليهودية التي كانت تحتكر بعض الصناعات مثل
صناعة البناء فان ذلك بعيد التصور : انظر البكري : 148 - 149 النويري :
المصدر السابق 26 ورقة 33 .

خلال معاملة اليسع له ، وثباته عند المحنة انه كان على مستوى معقول من الإدراك والنضج (506) .

ولو لم يفعل اليسع فعلته ، لما كان هناك مبرر قوي للفرار ، اذ معاملته لعبيد الله قد تجد مخرجا لها في اضطراره لمجاملة الأغلب والعباسي . وتمزيقه للكتب وقتله للرسول وأصراره على الحرب قد تكون ضمن الأحداث العارضة التي لا تستغرب في مثل هذه الظروف وقد جرت عادة الداعي في افريقية أن لا يقتل غير المعاندين ، وكان ميالا لاستصلاح النفوس وللتأثير عليها أكثر من ميله لسياسة القتل ، ولعل سماع الأمير اليسع لحادث الاعتداء على استقلال وتكامل الامامة الرستمية في تاهرت ، وقتل آخر أئمتها وهو اليقظان ، هو الذي دفعه الى الحرب ، والى قتل عبيد الله لما بين الامارتين الخارجيتين ، من علاقات قريبي وتكامل مذهبي وسياسي . ومن كان في مثل وضعه ، مجبر أن يفعل ما فعله ، ما دام قد كتب عليه التشرذم وعلى بلاده أن تسقط مثل امامة تاهرت ، في أيدي قوات « تنتحل مذهباً معادياً » . والنصوص الاسماعيلية ، رغم انها تعترف بأمرين : عدم لقاء الداعي مع عبيد الله من قبل وتعرض الأخير لمحن كثيرة خاصة في سجلماسة ، الا انها لا تشير الى أي شيء حول هذا الحادث الذي انفردت بروايته بعض النصوص السنية . وبالعكس اصطنعت قصة التاجر الهاشمي الذي ساعد الداعي على التعرف على عبيد الله .

وهذه النصوص ، وتلك ، تروي أحداث الفترة التالية لفتح سجلماسة وكان حادث القتل لم يقع لأن عبيد الله استمر محورا لكل ما جرى في بلاد المغرب منذ أن استقر في رقادة الى يوم وفاته الطبيعية في المهدي سنة 322 هـ / 933-934 م .

ولما اطمان عبيد الله على الوضعية في سجلماسة غادرها الى رقادة (507) حيث استراح في أيكجان ، وأخذ ما فيها من أموال (508) ، واستقبل

506 - النعمان : افتتاح 178 (245 ط . بيروت) وفيه قوله « والمهدي يومئذ حين كمل شبابه ، لم تبديه طالعة من الشيب ، والقائم حين طر شاربه » .

507 - لما طالت غيبة الداعي عن افريقية أرجف الناس عن مصيره تنفيسا عما في نفوسهم من عداوة الدعوة الاسماعيلية وعندما أنهى مهمته في سجلماسة أرسل سجلا الى نوابه في رقادة يشرح لهم ما جرى له اثناء الرحلة ففريء على المنابر أنظر النعمان : المصدر السابق 176 - 177 فكان له تأثير حسن .

508 - النعمان : 179 (46 ط . بيروت) القرظي : المصدر السابق 66 ابن خلدون :

المصدر السابق 4 ، 75 اليماني : سيرة 131 ابن الأثير 8 ، 17 ويشير الى أن سبب تأخر عبيد الله في سجلماسة هو انتظاره وصول الأموال من أيكجان ويعني ذلك أنه لم يعرج عليها لانحرافها عن الطريق وهو ما يفهم من القرظي ويبدو أن ذلك مستبعد لان أهميتها في نجاح الحركة وفي التمكين له لا تخفى عليه . وليس مثله يتجاهل مشاعر سكانها وهم قوة الدولة وعصبيتها وتشرفهم زيارة امام الزمان لدينتهم . واخذ الأموال كان بداية للفضب من تصرفاته .

وفودها كما استقبل العناصر الهاشمية والتمشيعية على طول الطريق (509) وفي رقادة التي وصلها يوم الخميس 20 ربيع الآخر 297 هـ (510) هيا له السكان استقبالا رائعا تجلت فيه العظمة والرهبة والتقدير كما هنا فقهاء القيروان وعبروا عن سرورهم بوصوله وعن الرغبة في تجديد الامان العام ، فاستجاب لهم بتجديده في الانفس والاهل وامسك عن الاموال (511) .

وعقب نزوله في قصر الصحن ونزول ابنه في قصر الفتح انصرف الناس الى شئونهم وانتهت المرحلة الاولى في تاريخ الحركة الاسماعيلية في بلاد المغرب التي خطط لها والده الامام الحسين في سلمية وأشرف عليها ابن حوشب في اليمن ونشر نفوذها في كتامة وبلاد المغرب ، أبو عبد الله الشيعي الذي أسدل الستار عن مهمته كداع ، تمهيدا لتصفية نفوذه كقائد وسياسي في بداية المرحلة التالية التي استهلها عبيد الله بجملة من الاجراءات الجذرية يأتي في مقدمتها :

— أمر عبيد الله خطباء المساجد في رقادة وفي القيروان وفي القصر القديم بأن يدعوا اليه يوم الجمعة بلقب جديد هو « المهدي أمير المؤمنين » (512) الذي انتحله لنفسه فأصبح علما بالغلبة عليه في بلاد المغرب حتى ظهور مهدي جديد في عصر الموحدين وقد تلا حركة الدعاء له بالامامة مجيء وفود

509 - لقيه التاجر الهاشمي والروزي في نواحي تاهرت وبعض الهاشميين في باغاية ، انظر اليماني : سيرة 131 .

510 - جرى تحديد هذا الموعد من ايكجان بناء على اقتراح عبيد الله على داعيه الذي ارسل الخبر الى ابي زكي ليهيبه لاستقبال الموكب « كتابي هذا اليك من ايكجان دار الهجرة ومستقر الايمان وقد وصل الامام مولانا وسيدنا وولده فاعلم ذلك وكن على اهبة منه ومن قبلك » انظر النعمان : افتتاح ورقة 180 ابن ظافر : المصدر السابق 43 ، القرظي : المصدر السابق 1 : 66 .

511 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 : 218 وهنا يصف الموكب بتفصيل الاستبصار 204 يذكر تجريد عبيد الله لسكان سجلماسة من اموالهم حتى حصل له من التبرو المحلي وقدر مائة وعشرين جملا قارن ذلك باخذ اموال الغنائم من ايكجان .

512 - وهذا اللقب له اهمية خاصة عند الفاطميين مثل لقب امام لدلالاتها على السلطة الزوجية عكس لقب خليفة الذي لم يكتسب شهرة عندهم مثل شهرته عند اهل السنة ماجد : نظم 1 ، 72 وما بعدها .

مختلفة من الشيعة والهاشميين والمتزلفين والخائفين والشعتراء
المتكسبين بقصد تهنئته بالوضع الجديد (513) .

— وأقر بعض ما سنه الداعي من قبل ، لكنه مهد لاصطناع وجوه جديدة
لا ترتبط بالداعي بأي رباط مصلحي ، أو عاطفي ولم يسبق لها الاتصال
به . ومن هؤلاء حجابة أبو الفضل جعفر بن علي وأبو أحمد جعفر بن عبيد
وأبو الحسن طيب بن اسماعيل الحاضن وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف
بمسلم السجلماسي وكان هؤلاء من خاصته ومرافقيه ، مثل أبي جعفر
الجزري الذي أسند إليه الاشراف على بيت المال . أما ابن القديم الذي
عين على ديوان الخراج وأبو اليسر الشيباني الذي سماه على ديوان الكتابة
وهارون بن أفلح الذي ولى قضاء رقادة (514) وعلي بن لقمان الكتامي الذي
عين على منطقة قابس ثم توارد عليها أبناؤه من بعده ، فهم جميعا من صنائع
المهدي ولو أن بعضهم مثل ابن القديم والشيباني ، كانا من عناصر السلطة
في العصر الأغلبي (515) .

— أما أبو زكي وأبو العباس المخطوم فقد بقيا خارج الإطار الرسمي مع
انهما كانا مستخلفين على الولاية كلها كما بدأ نفوذ الداعي يتضاعف في نظر
الوجوه الجديدة نتيجة لتفانيه في الاخلاص ولزهده في السلطة ويبدو أن
ما حصل بينه وبين المهدي ، حول طرق معاملة كتامة عندما بالغ الأخير في
اكرامهم حتى تناولوا على غيرهم ومالوا الى البدخ لا يخلو من أحد أمرين :
أما احساس الداعي بالاتجاه الجديد الذي يهدف الى ابعاد رجاله وعصبيته

513 — ابن الأثير 8 ، 18 (49 ط . بيروت) ابن ظافر : المصدر 43 ابن عذارى : المصدر
السابق 1 ، 218 القريري : المصدر السابق 1 ، 66 وفيه كما في ابن الأثير قوله
« وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة ويلقب بالمهدي أمير المؤمنين في جميع البلاد »
ابن خلدون 4 ، 75 قال انه بويج البيعة العامة ويعني ذلك أن البيعة الخاصة كانت
في سجلماسة ، النعمان : المصدر 185 — 186 (249 ط . بيروت) وعن نص الدعاء
الذي أمر به المهدي أنظر أيضا : ابن أبي الصيف 1 ، 122 . وفيه اظهار للاتجاه
الاسماعيلي واثارة لافاق المستقبل : ويلاحظ أن المهدي بدأ يتصرف مثل الخلفاء
العباسيين في بغداد من سماع المدح وحياة التسرى والبدخ في القصور وكان هذا محل
انكار من طرف داعيته الكبير الذي كان من قبل يشنع أمام كتامة على تصرفات
العباسيين .

514 — اليماني ، 122 ، ابن عذارى 1 ، 219 — 220 .

515 — البكري : المصدر السابق 18 وفيه قيل .

لولا ابن لقمان حليف النسي

سئل عن قابس سيف الردي

ابن عذارى 1 ، 263 الكعك : الحضارة العربية في حوض البحر الابيض 112 ،

الذي يلاحظ أن الشيباني ترأس بيت الحكمة في القيروان .

عنه تمهيدا للامر الخطير أو دافع الحسد والغيرة (516) « لان الفطام صعب »
على حد تعبير بعض المؤرخين (517) .

— ويهم من بين اجراءات المهدي ، انه امر باثبات الموالي وابناء العبيد
في ديوان العطاء فيكون بذلك قد سن سنة لخلفائه في الاعتماد على غير كتامة
والعناصر العربية واقتفى اثر الاغلبة والعباسيين (518) .

— واذا كانت بعض تصرفات المهدي ، واجراءاته قد وضعت بذرة الشك
وهيات لحركة المعارضة بين اقرب رجاله وانصاره فان جمهور السكان
الذين توقعوا شرا منه وشكوا في نواياه انقلبوا معارضين لاسباب منها :

— تطاوله على لقب امرة المؤمنين الذي بقي حتى الآن حكرا على الخلفاء
العباسيين فمهد بذلك لظاهرة جديدة في حياة المجتمع الاسلامي هي ظاهرة
تعدد الخلافة التي نتج عنها تأكيد ظاهرة اخرى : هي التجزئة السياسية
والمذهبية بين المغرب والمشرق الاسلاميين .

— ثم عدم احترام آثار ومخلفات من سبقه من الامراء والحكام حيث امر
بازالة أسماء من بنوها ، ووضع اسمه عليها وكانت هذه الآثار مساجد
وماجل وقصورا وقناطر (519) .

— وعندما مدح المهدي الجديد ، بشعر فيه غلو صريح ، لم ينكره كما
أثار حفيظة السكان بأقواله تجاه الصحابة غير علي ثم تجاه زوجات الرسول
غير خديجة (520) .

اذ كيف يصح في اذهانهم ، رمي هؤلاء بالكفر أو بالردة ممن يزعم انه
من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف يتخلى الامام عن أخص
واجباته ؟ وهو تغير المنكر مع انصاره وأتباعه من قبيلة كتامة الذين يزعمون

516 - النعمان : المصدر السابق 189 - 190 ويؤيد ذلك فيما يبدو قول الدامي
(مال الناس عني اليه) .

517 - أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 70 ابن الوردي : تاريخه 1 ، 252 .

518 - النعمان : المصدر 188 (257 ط . بيروت) يعينى بن سعيد الانطاكي : المصدر
السابق 756 ط . كراتشوفسكي .

519 - ابن عذاري 1 ، 220 .

520 - نفسه .

أنه يعلم الغيب ويسيتون الى مشاعر الناس (521) وهذه الاتجاهات التي ظهرت في عهد المهدي وشجع عليها أو بقي سلبيا لم يحاربها لحاجة في نفسه ، هي التي دمغته في نظر أهل السنة الذين استعدوا للجهاد وللشهادة ، في وقت كانت فيه الدولة مقبلة على عصر توسع خارجي ، ومستهدفة لتحديات خطيرة كما أساءت الى وضعه بين فريق من أنصاره القدامى الذين مكنوه من الظفر باللقب السامي في الوضع الجديد .

وغضب هؤلاء ومعارضة أولئك وما ترتب عليهما من اصطدام وتصفيات ونضال أعطيا للمعركة السياسية والمذهبية في بلاد المغرب آفاقا جديدة وطابعا خاصا وذلك ما سنتناوله في الفصل التالي :

الفصل الثالث

كتامة ومركة التوسع السياسي، والصراع المذهبي منذ قيام الخلافة الفاطمية حتى أواخر القرن الرابع الهجري

- مسؤوليات جديدة للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب .
- حركة التوسع في الغرب .
- تصفية الامامة الرستمية في تاهرت وآثارها .
- مقاومة حركات زناتة .
- نصفية امارة بني مدرار الصفيرية في سجلماسة وآثارها في تاريخ الخلافة الفاطمية .
- تصفية نفوذ الادارسة في المغرب الاقصى ومواجهة حركات الروائية وعملاتهم .
- حركة الداعي ابي الخير في قرطبة وغيرها ، قمة نجاح للخلافة الفاطمية في عصر المعز لدين الله .
- حركة التوسع في الشرق .
- صقلية والنشاط الثفري ضد الروم .
- طرابلس وبرقة والنشاط الثفري ضد العباسيين في مصر .
- كتامة والصراع المذهبي في بلاد المغرب .
- التشيع واساليب نشره - الجدل - الدعوة - القوة - محنة السنة والمالكية خاصة - عصر الشهداء - المالكية حلفاء ابي يزيد النكاري شيخ المسلمين .
- آثار الحلف الجديد .
- وضع كتامة ورجالانهم في نظام الخلافة في الدور المغربي حتى عصر المعز لدين الله .
- كتامة الجيل الثاني ، وفتح مصر .
- جعفر بن فلاح ، عنوان عصر ذهبي لكتامة .

* * *

لقد قام نظام سياسي جديد في بلاد المغرب ، هو نظام الفاطميين ، وذلك منذ أن فر آخر أمراء بني الأغلب ، عقب كارثة الأربس ، تاركا عاصمة ملكه لعبيد الله المهدي ، الذي لم يرثه فقط في سلطانه ، وفي أمواله ، وجواريه وقصوره ، وأتباعه ، وفي ممتلكاته في أفريقية ، وفي خارجها ، بل تمسك أيضا بما كان للخلفاء العباسيين ، أصحاب السيادة الشرعية على البلاد ، من نفوذ وسلطان ، ميزات ، وألقاب ، غير أنه إذا قدر للمهدي ، ولداعيه الشيعي ، ولعصبته من بربر كتامة ، أن يفاجئوا جمهور السكان في أفريقية بانتصاراتهم السريعة في المرحلة الأولى فإن بداية استقرارهم في المنطقة يعتبر حقا ، بداية لمتاعبهم الكثيرة فيها ، وفيما اتصل بها أو جاورها من مراكز قريبة أو بعيدة في أرض المغرب وصقلية ، وبلاد الأندلس ، لأن معركة الأربس ان كانت قد قضت على نظام الأغالبة والعباسيين ككيان سياسي ، فإنها لم تضع حدا لتأثيرهم الروحي وسلطتهم القوية على جمهور أهل السنة في أفريقية ، كذلك ، ما زالت في بلاد المغرب أنظمة سياسية ومذهبية وأمارات مختلفة لم تخضع بعد للنفوذ الفاطمي . ولابد من جهد مضاعف ، لضمها الى حظيرة النظام الجديد .

وهكذا اقتضى هذا الوضع الخاص ، من انصار الخلافة الفاطمية أن يواجهوا احتمالات المستقبل المشحون بالآخطار ، ونذر الشر ، ومصاعب الحرب الحقيقية ، سواء في ميدان القتال ضد الامارات والقبائل المعارضة أو في الحواضر المغربية الكبرى ، التي آوت جمهور اسنيا بدأ زعمائوه يعدون لمعركة مذهبية طويلة النفس ، مع هؤلاء المخالفين لهم في المذهب .

ويلاحظ أن أغلب فرع البتر ، خاصة زناتة ، كان قد خيم عليهم جو أشبه بجو الاجماع على اظهار العداء للفاطميين ، وانصارهم من البرانس ، خاصة كتامة وعجيسة ، وزواوة ثم صنهاجة ، ولم يكن هذا العداء ، وليد الأحداث التي أدت الى قيام الدولة الفاطمية فقط ، بل كان قديما ، قدم الدعوة الاسماعيلية في أرض كتامة .

ولفرع البتر ، وزناتة ، من المبررات ما يجعلهم يقفون موقفا عدائيا من الحركة الجديدة التي تمخضت عن دولة جديدة ، لعل من أهمها ، أن الداعي اختار مضارب البرانس ، لنشر حركته ، وبناء دور هجرته ، وانصرف عن مضارب البتر ، مع أن كثيرا منهم كانوا على صلة بالعلويين ، وبعض فروعهم شهرة ومكانة ، وأساس في الملك تفوق ما عرفت به كتامة .

كما أن عملية تحويل الدعوة الاسماعيلية من حركة سرية ، كان لها انصار متطوعون وحشد من الدعاة التاريخيين الى نظام دولة تقليدية مستقرة لها امام وموظفون رسميون وتقاليد ورسوم جديدة ، فرضت وضعا جديدا لانصار الدولة من بربر كتامة وأدت الى حدوث انشقاق خطير في صلب العقيدة ، وبين بناء الدولة وأخص رجالها .

ومعنى كل ذلك أن النظام الفاطمي في بلاد المغرب أصبح خلفاؤه منذ أن استقر المهدي في رقادة إلى أن رحل المعز لدين الله إلى مصر أمام مشاكل خطيرة يأتي في مقدمتها :

— حركة التوسع لضم ممتلكات الاغالبية ولاخضاع بقية الانظمة السياسية والقبائل التي بقيت معارضة .

— وحركة الصراع المذهبي بين اهل السنة والشيعة ، خاصة في الحواضر الكبرى ، مثل القيروان و رقادة .

— ثم حركة المعارضة الداخلية من طرف بناء الدولة ودعاتها ومن بربر كتابة ثم المعارضة الاباضية الخارجية التي تزعمتها زناتة وأحلافها .

* * *

وأول نظام صفى في بلاد المغرب بعد معركة الاربس وسقوط الامارة الاغالبية هو نظام الامامة الرستمية الاباضية في المغرب الاوسط وجبل نفوسة .

ويلاحظ أن هذه الامامة ، التي كانت عبارة عن تجمع قبائل الف بينها المذهب والحنف والعصبية لم تعرف في حياتها الوحدة والتماسك ، الا في ظل مؤسسها عبد الرحمن بن رستم والى حد ما في عهد ابنه ، عبد الوهاب . بحيث تعتبر هذه الفترة عصرها الذهبي من الناحية السياسية .

ولكن نشأ عن معارضة يزيد بن فندين وهو من بين رجال الشورى المرشحين للامامة بعد وفاة ابن رستم ، لامامة عبد الوهاب ، الذي اختير من طرفهم ، اول تصدع أو انشقاق ، في صلب المذهب الاباضي ، وبين رجال الطائفة . وظهرت الى الوجود السياسي ، فئة اباضية تنكر امامة عبد الوهاب وتشنع عليه ، عرفت بطائفة النكارية ، والنجوية ، والنكاث ، والشغبية ، والملحدة أيضا (1) ، وكان يشايعها في آرائها ضده ، فريق الواصلية ، أو المعتزلة ، وهم من بين بدو زناتة ، الذين وجدوا في بيئة

1 - الشماخي : السر ، 146 وما بعدها . الباروني : الأزهار الرياضية 101 وما بعدها ، الدرجيني : الطبقات ورقة 56 - 60 خ تونس . وعرفوا بالنجوية لتناجيمهم بالتم والشغبية لادعائهم الشغب ، والنكاث لنتهم البيعة دون سبب والملحدة لانهم الحدوا في أسماء الله . أبو زكريا : السيرة ورقة 12 - 13 . خ خ ، وفيه كما في الدرجيني اشارة الى فئة العمرية التي تنسب نفسها الى عبد الله بن مسعود ، وهي في حقيقتها تنسب لعيسى بن عمر . وهي اقدم تصدع ظهر بين الاباضية ، وقد ألف الدرجيني للرد عنهم . زغلول ، المرجع 389 وفيه أن النكارية يعرفون بالواصلية ويبدو أن الآخرين من المعتزلة ، انظر الباروني 116 .

تاهرت ، وفي تسامح عبد الرحمن بن رستم مجالا خصبا ، لاشاعة آرائهم بالجدل والمناظرة حولها ، مع غيرهم من الطوائف المذهبية (2) .

وكان الواصلية والنيكارية ضد من تمسك بامامة عبد الوهاب واعتبرها شرعية ، وهؤلاء هم انصاره الذين عرفوا بالوهابية (الوهبية) (3) .

وعند ما ضاق مجال تاهرت بالنيكارية بعد هزيمتهم وخابت مساعيهم وفشلت مشروعاتهم في تنفيذ حركة الثورة ضد عبد الوهاب ، لعزله او قتله (4) ، هاجر فريق كبير منهم الى جبل نفوسة ، حيث أصبحوا هناك أداة للتشهير به ، وعقبة في سبيل توطيد نفوذه في المنطقة . ويبدو أن اباضية جبل نفوسة لم يتأثروا في بادئ الامر بأراء النيكارية وبقوا على ولائهم للبيت الرستمي ولامامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن في تاهرت حتى انه استعان بجهود رجالهم في التغلب على الازمة الداخلية ، فطلب من بينهم علماء ، وجدليين لينافحوا عن المذهب ، ويناظروا النيكارية والواصلية فيما ادعوه من آراء مذهبية مخالفة . (5)

وقد احتفوا به أيضا ، وأضافوه في منطقتهم عندما مر بهم في طريقه الى الحج (6) ، وعندما هم بالرجوع الى تاهرت استجابة لرغبتهم خاصة بعد وصول فتوى علماء المذهب الاباضي في البصرة وبلاد المشرق بعدم جواز ذلك له خوفا من المسودة ومن انعدام الامن في الطريق (7) عين نائبا

- 2 - الدرجيني : المصدر ورقة 67 - 68 ، أبو زكريا : المصدر ورقة 17 - 18 ، الباروني : المرجع 116 - 118 . البكري : المصدر 267 . وكان مجمع الواصلية بجوار تاهرت ، وكان عددهم في عصره ثلاثين الفا ويعيشون حسب انماط المجتمع البدوي ، ويذكر أن ميمون بن عبد الوهاب كان رأس الاباضية وامام الصفرية والواصلية : وانظر الدرجيني ورقة 66 حيث يشير الى قتل هذا الامر بواسطة النيكارية وانهم اترفوا بذلك عندما خاطبوا ابنه ، بقولهم « بابن المهديوم دمه » فاخبر جده بذلك فخاربهوم ، محمد بن تاويت الطنجي : دولة الرستميين اصحاب تاهرت 114 - مقال مجلة معهد الدراسات مدريد مجلد 5 ، عدد 2 ، 1957 .
- 3 - ابن حوقل : المصدر 93 : وفيه اشارة لاعتبار جبل نفوسة دار هجرة لاباضية ، اتباع عبد الله ابن اباضي ، الذين ذكرهم في مقابلة الوهبة اتباع عبد الله ابن وهب الراسبي ، الذي يذكر انه هاجر الى هذا المكان ودفن فيه مع ابن اباض . ويبدو ان هذه الرواية غريبة لأن اهل الطائفة لا يعتقدون صحتها . الشماخي : المصدر 424 وما بعدها ، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير 2 ، 552 ، 553 .
- 4 - الشماخي : المصدر 148 ، ابن الصغير اخبار الائمة الرستميين ، 16 وما بعدها . انظر عنه موتلنسكي اعمال المستشرقين 14 قسم 3 لسنة 1905 .
- 5 - الباروني : المرجع السابق 118 وما بعدها ، الشماخي : المصدر السابق 154 ، ويشير الى نجدة عسكرية تولت قتال الواصلية .
- 6 - نفسه 137 وما بعدها .
- 7 - نفسه 140 - 141 ، الدرجيني ، الطبقات ورقة 77 - 78 ابو زكريا ، السيرة ورقة 21 - 22 . وكان يمثل علماء الاباضية في هذا العصر الربيع بن حبيب وابو عمر ، وابن عياد وقد افتوا بجواز التوكيل لاداء مناسك الحج ، انظر الشماخي : السيرة 122 .

عنه في الجبل من نسل الامام ابن الخطاب ، هو ابنه السمع تلبية لرغبة جماهير السكان الذين ما زالوا يكونون تقديرا لاسرة ابي الخطاب اول ائمة الظهور عند الاباضية (8) .

غير ان وفاة السمع بن عبد الاعلى المعافري كانت سببا في حدوث انتفاض اباضية جبل نفوسة ضد الامام عبد الوهاب الذي تأكد في عهد ابنه افلح ايضا .

واسباب هذا الخلاف ، الذي يعتبر الانشقاق الثاني في صلب الطائفة الاباضية يرجع الى رفض الامام عبد الوهاب لراي سكان الجبل في تعيين خلف بن السمع واليا عليهم بعد وفاة ابيه وتمسك براه وعزله رغم التفاهم حوله وتشجيعهم له على البقاء في مركزه . وقد رفضوا راي الامام ولم يأخذوا بفتوى علماء المذهب ايضا بل بايعوا خلفا بن السمع اماما (9) وأعلنوا انثورة الانفصالية في اقليم طرابلس ، ضد الامامة الرستمية في تاهرت . ولأول مرة أصبحت هناك امامة شرعية من الرستميين في تاهرت وأخرى خطابية (نسبة لأبي الخطاب) في جبل نفوسة ، ويمثلها امام من غير الرستميين ووراءه وقفت عصبته وأنصار ابيه وجده من قبائل نفوسة وهوارة ، وغيرهما . وهم الذين عرفوا بالخلفية ، ويمكن اعتبارهم خطابية ايضا ، وهم يمثلون في التاريخ السياسي والمذهبي لاباضية افريقية والمغرب ، الصدع الثاني ، والانفصال السياسي ، بين تاهرت الرستمية ، وأقليم جبل نفوسة .

ولا يستبعد ان يكون للاقليمية (10) وللعصبية القبلية دخل فيما حصل من تطورات في منطقة جبل نفوسة لغير صالح الرستميين ، وعناصر السلطة في تاهرت . ويبدو ان نفوسه وأحلافها كانت رغبتهم ايضا أن يظهرُوا في ميدان التوجيه والزعامة السياسية في الجبل مثل لماية ، ونواته ومزاته ، التي كانت زعامتها بارزة في تاهرت . بحيث تأخذ نفوسة على عاتقها توجيه اباضية اقليم طرابلس الذي هو منعزل جغرافيا عن بيئة تاهرت ، ولا ينال من الائمة الرستميين عناية كبيرة ، في نظير ما يساهم

8 - نفسه 147 ، الدرجيني : المصدر السابق ورقة 79 - 80 ، كما عين عبد الوهاب نائباً في جبل دمر مركز الاباضية ، ابو زكريا : السيرة ورقة 21 - 22 ، يحي هويدي : المرجع السابق 1 ، 46 - 47 ، الشماخي : السير 163 ، وقد وصف بوزير الامام عبد الوهاب . E.I. (Art Abdal Wahab T 1, p. 67.

9 - نفسه 148 وما بعدها ، الدرجيني : المصدر السابق ورقة 81 - 82 وقد برروا عصيانهم بقولهم « ما هو لنا بامام ، وانما امامنا خلف اذ هو في حوزتنا والحافظ لجماعتنا والجامع لكلمتنا . واما عبد الوهاب ففي حوزة غير حوزتنا وغير اهل لجماعتنا » ابن الصغير : المصدر السابق 20 وما بعدها .

10 - الدرجيني : الطبقات ورقة 81 - 82 .

به في حياة الامامة وفي مشاريعها وفي ربط علاقاتها بالشرق (11) والسبب في ذلك انشغال الائمة بمناطق نفوذهم وبرعاياهم في المغرب الاوسط .

وهكذا يصبح اقليم جبل نفوسة ، في عهد خلف بن السمح كما كان في عهد جده الامام ابي الخطاب ، مركز الدولة ومناطق الاهتمام ومستقلا عن الانظمة السياسية التي تجاوره . ثم ان أهمية جبل نفوسة واقليم طرابلس كله من الناحية التاريخية تفوق أهمية تاهرت لان المنطقة الاولى ارتبطت بأبي الخطاب بخلاف الثانية التي ارتبطت فقط بأحد زملائه من حملة المذهب الاباضي، ونائبه عن القيروان ووآرث مجده في امامة الاباضية (12).

ولذلك فشلت كل المحاولات التوفيقية وتأكد الوضع الانفصالي لجبل نفوسه في عهد أفلح بن عبد الوهاب ثالث الائمة الرستميين الذي رفض خلف بن السمح وأنصاره الاعتراف بامامته ، وناصبوه العداة . وأشهرها حربا عنيفة ضد واليه ابي عبيدة عبد الحميد الجنائوني الذي عينه أبوه من قبل لمراقبة شئون المنطقة ولل قضاء على انفصال خلف الذي وصف ، بالخبيث بن الطيب في بعض المصادر الاباضية (13) .

ورغم ان الجنائوني ظفر ببعض الزايات في الاقليم والحق بعض الهزائم بالخلفيين فانهم بقوا في هذه المنطقة ضمن فئات الاباضية الاخرى المنتشرة في بلاد المغرب عنوانا على الانشقاق ، والاستقلال بالرأي ، والانقسام في صلب الطائفة الاباضية الكبرى (14) التي تعرضت بعد ذلك لعدة هزات بسبب الاختلاف المذهبي حول بعض الفروع (15) والقضايا .

11 - نفسه ورقة 103 ، وفيه ذكر مزايا نفوسة واهميتها لنظام الامامة الرستمية حتى قال ابن رستم « انما قام هذا الدين بسيوف نفوسة واموال مزاةة » .

12 - البكري : المصدر السابق 68 . وفيه نقلا عن محمد بن يوسف الوراق قوله : « وكان (عبد الرحمن) خليفة لابي الخطاب عبد الأعلى أيام تغلبه على القرية . فلما قتل هرب وترك القيروان فاجتمعت اليه الاباضية وانفقوا على تقديمه وعلى بنيان مدينة تجمهم فترلوا موضع تاهرت » ، ابن عذاري : المصدر السابق 1 - 277 ، الشماخي : السمر 130 . E.I. Aboul Khattab T I, p. 98-99.

13 - الدرجيني : المصدر السابق ورقة 83 - 85 ، انظر الشماخي : المصدر السابق 179 ، 188 .

14 - الباروني : المرجع السابق 166 وما بعدها ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 393 - 394 ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق 393 - 394 ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق 558 . الشماخي : السمر 183 وما بعدها ، هويدي : المرجع السابق 1 - 47 وما بعدها . E.I. (Art Abadites T I, p. 3-4.

15 - وعن افتراق الاباضية الى فئات متنازعة ، هي ، الوهابية ، والنكارية ، والخلفية ، والنفائية ، نسبة لثقات في ناحية قنطرة اقليم جبل نفوسة ، ومنها السكاكية نسبة (للسكاك) والسليمانية في وارجلان بمنطقة الصحراء وهي تنسب الى ابي سليمان بن يعقوب وتعرف بالقرئية أيضا ثم التمزينية في نفوسة وتنسب لابي يونس وسيم التمزيني ، انظر الدرجيني : المصدر السابق ورقة 91 ، ابو زكريا : المصدر

ويلاحظ أن انفصال معظم اقليم جبل نفوسة ان كان قد اتاح لهذه القبيلة أن تعبر عن استقلالها وتشارك في مواجهة بعض الأحداث الخارجية التي عرفتها منطقة طرابلس ومن أهمها فتنة العباس بن أحمد بن طولون (267 هـ / 880 - 881 م) ، الذي خرج مفاضبا لايه يريد التوسع على حساب الاغالبية . حيث ظهر دورها بقيادة أبي منصور الياس « صاحب نفوسة » الذي قام محتسبا وناصرا جيرانه من المسلمين ، فأنزل الهزيمة بجند العباس بن طولون وألجأه الى برقة ، وكفى الاغالبية مؤونة حربه مرة أخرى (16) ، فانه سرعان ما أساء الى وضعها ، خاصة عندما بدأت تنحدي نفوذ الاغالبية من غير تنسيق مع القوى المعادية لهم ، فقد أغرتها قوتها وميزات موقعها بالتعرض لابراهيم بن أحمد ، أمير بني الاغلب (283 هـ / 896 - 897 م) في الطريق بين قابس وطرابلس ومنعته من المرور فكان ذلك بداية لانهارها اثر سلسلة من الهزائم منيت بها على يد هذا الامير (283 هـ) ثم على يد ابنه أبي العباس عبد الله (17) (284 هـ / 897 - 898 م) ، وانهار هذه القبيلة وعداؤها للامامة الرستمية هما اللذان حالا دون التجاء بقايا الاسرة الرستمية الى منطقتها فيما بعد لتدبير شأن الطائفة أو لحياء نظام الامامة وفضلوا جوار بني وارقلان في صحراء المغرب الاوسط .

ومع أن انفصال معظم اقليم جبل نفوسة ، قد اراح الامامة منذ عصر افلح بن عبد الوهاب من كثير من المشاكل الخارجية الا أن المشاكل الداخلية بقيت ، والصراع على الحكم استمر وكل ما هنالك انه أصبح الآن يدور في تاهرت وبين أعضاء الأسرة الرستمية أنفسهم ، ابتداء منذ عصر امامة أبي بكر بن افلح - رابع الائمة - الذي اختلف السكان عليه وطردوه ثم راجعوا طاعته واعادوه الى تاهرت (18) ، كما استمروا على ولائهم لأخيه

السابق ، ورقة 26 ، 37 ، 41 ، 42 ، هويدي : المرجع السابق ، 48-49 ، ويجمع بينها اسم الوهبة وهي تتبرا من الأزارقة والبيهسية وبقايا النكارية في جربة وزواغة .
E.I. (Art Abadites T I, p. 3-4.

16 - ابن عداري : المصدر السابق ، 1 ، 156-158 ، ويعرف بالياس وكان يمثل سلطة الامام الرستمي في جبل نفوسة ضد الخلفية ، الشماخي : المصدر السابق 224 .

17 - نفسه ، 1 ، 173 ، 174 ، وفيه أن ابراهيم بن أحمد ، تكاية في بعض شيوخ نفوسة الأسرى ، قال له : « اعراف علي بن أبي طالب ، فرد عليه النفوسي : لعنك الله يا ابراهيم على ظلمك وقتلك ، فذبحه وشق عن قلبه ، الدرجيني : المصدر السابق ، ورقة 107 - 108 وتسمى الواقعة الكبرى التي انهزم فيها الاباضية واقعة مانو ، ويرى أنها من اسباب انهيار القبيلة وسقوط الامامة الرستميصة ايضا ، أبو زكريا : السيرة ، ورقة 30 ، الباروني : المرجع السابق 144 الشماخي : المصدر السابق 229 ، 267 ، 269 (نقلا عن الرقيق القيرواني) .

18 - نفسه 1 ، 278 ، ابن الصغير : المصدر السابق 31 وما بعدها .

أبي اليقظان محمد بن أفلح (19) ، فلما توفي سنة 281 هـ / 894-895م بدأ فصل من الصراع الأسري الحاد الذي انتهى بسقوط نظام الامامة الرستمية ، بدون قتال أو زحوف عسكرية هادفة .

ذلك أن امامة ابنه أبي حاتم يوسف منذ سنة 281 هـ ، لقيت معارضة شديدة من طرف سكان تاهرت ومن عمه يعقوب بن أفلح ، الذي اضطره الى ترك تاهرت ، والالتجاء الى حصن قريب يعرف بحصن لواته (20) ، وبدأ في تدبير شئون الحرب التي أعلنها ضد المخالفين ومن ضمنهم عمه يعقوب الذي استبد بالامامة وأحاط نفسه بأنصار كثيرين من سكان تاهرت (21) هم الذين ساعدوه على البقاء مدة أربع سنوات ، وعندما ظفر بعمه ، الذي تنكر له أنصاره بعد هزيمته ودخل تاهرت (22) واستعاد حقوقه في الامامة ، لم يلبث الا سنين قليلة وقتله أبناء أخيه (23) سنة 294 هـ / 907 م ليخلو الجو لأبيهم اليقظان بن أبي اليقظان وهو ثامن الائمة الرستميين الذي قدر له أن يقتل هو وأسرته ويصفي نظام الامامة الرستمية في تاهرت بعده على أيدي جند كتامة ، وداعية المهدي الفاطمي أبي عبد الله الشيعي (24) .

وهكذا يلاحظ أن الازمات التي كانت ذات طابع مذهبي في عصري عبد الوهاب وأفلح في تاهرت وجبل نفوسة ، والتي تحولت منذ امامة أبي بكر بن أفلح ، القصيرة ، الى صراع حاد على السلطة بين الاقارب في تاهرت ، تؤيد كلا منهم عصابة خاصة ، هي التي عاقت جهود المخلصين ومساعيتهم من أجل بعث وحدة قوية في مجتمع تاهرت الرستمي لمواجهة

19 - ابن الصغر : المصدر السابق 41 .

20 - وعن هذا الحصن وقلعة نفوسة وقلعة اسكدال وغيرها من القلاع بجوار تاهرت ، انظر ابن الصغر : المصدر السابق ، 39 ، وعن ولاية أبي حاتم يوسف ، انظر 50 ، 51 منه ، ابن تاويت الطنجي ، دولة الرستميين ، 125 وما بعدها ، وقد اشترك في التأمر الشاعر بكر بن حماد الأثاني أيضا .

21 - ابن الصغر : المصدر السابق 53 وما بعدها ، ابن تاويت الطنجي ، دولة الرستميين 126 وعقب فشله وسقوط الامامة الرستمية استقر في وارجلان وجبل نفوسة ثم التجأ الى مصر ويعتبر آخر الائمة الرستميين .

22 - نفسه 56 وما بعدها ، ابن تاويت الطنجي ، دولة الرستميين 125 - 126 ، وقد اعتذر اليه بكر بن حماد بقصيدة شعرية فعفا عنه .

23 - ابن عذارى : المصدر السابق ، 1 ، 278 ، ولأبي حاتم يوسف بنت تعرف دوسرا ، الدرجيني ، الطبقات ورقة 110 ، أبو زكريا : السيرة ورقة 33 ، وهي التي ستمثل دورا مع الداعي الشيعي ضد الامام اليقظان .

24 - نفسه ، 1 ، 278 - 279 ، الباروني : المرجع السابق ، 265 وما بعدها انظر ايضا 292 ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 394 - 395 ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، 2 ، 565 ، الدرجيني : المصدر السابق ورقة 111 ، أبو زكريا : المصدر السابق ، ورقة 33 .

الآخطار ، التي بدأت تلوح من بعيد في أرض افريقية ، بل أن الأخبار المروعة عن حركات وزحوف كتامة ونشاط حركة التوسع في افريقية ضد مدن الزاب وكتامة الأغلبية ، كانت تصل اليهم ، ومع ذلك ما استطاع الأئمة الأواخر في غمرة الصراع المذهبي والأسري والنزعات القبلية والتمزق الاجتماعي مواجهة الأحداث وبعث الاستقرار في الحكم والتغلب على التناقضات الداخلية وجمع طاقات السكان في صعيد واحد من أجل تدعيم مركز الإمامة وتمتين جهاز دفاعها حماية لها من السقوط تحت طائلة القوى الخارجية (25) .

ومجتمع تاهرت كان نقطة ضعف بارزة في نظام الإمامة إذ أنه كان خليطا غير متجانس سياسيا ومذهبيا ، فأغلبه من فرع البتر ، وأقله من فرع البرانس ، هذا الى جانب جاليات أندلسية ومجموعات من النصارى والفرس المستعربين ، وكثير من تجار المشرق والمغرب ، وطلاب العلم والمعرفة الذين ارتضوا تاهرت مقاما لهم ومستقرا (26) .

ومن بين عناصر السكان كان الفرس وبربر نفوسه ، ولماية ، وهوارة ، ومزاتة ، حماة النظام ، وحراسا على مكاسب الإمامة ، ومنهم الطبقات العليا باعتبارهم عصبية الدولة وعلى مذهبها ، وهم مصدر قوتها الأدبية والمادية . أما بقية الطوائف فكانت الى جانب أن لها مصالح خاصة ، ومتناقضة في المدينة تخالف مذهب الدولة ، ولا تهتم بمصير نظام الإمامة ولا تفكر في التضحية أو التنازل عن أي شيء من امتيازاتها خدمة للمصلحة العامة .

وهذا الوضع الذي يمتاز باختلاف الأجناس والمذاهب ، والمصالح ، جعل مجتمع تاهرت يعيش حياة طائفية منفصلة ممزقة ، فلا صلة لطائفة بأخرى ولا بنظام الإمامة التي أصبحت رمزا لطائفة معينة ، شغلها صراعاها الداخلي عن التفكير ، في مصير الإمامة ، وصرفها الى تكتيل الأنصار والمساعدين حولها ، ولو كانوا من غير الإباضية (27) .

وقد كان تسامح الأئمة الرستميين مع الطوائف المذهبية ومع المخالفين لهم ، وتركهم يعيشون حياة انفصالية في إطار مذهبهم ، ميزة حسنة ، تركت آثارا حضارية معتبرة ، لكنها من ناحية أخرى كانت نقطة ضعف

25 - ابن الصغير : المصدر السابق ، 37 وما بعدها .

A. Negre la fin de l'état des Rustomides, p. 10 sq.

26 - اليعقوبي : البلدان ، 104 - 105 ، ويصف تاهرت بعراق المغرب وكان لها اخلاط من الناس ، وهي في طاعة محمد بن الفتح الذي زار اليعقوبي بلاد المغرب في عصره ، البكري : المصدر السابق 67 ، ابن الصغير : المصدر السابق ، 13 .

27 - ابن الصغير : المصدر السابق ، 57 ، حيث يذكر بصفتها مالكنيا ، معاودة جرت له مع رجل هواري إباضي في تاهرت ، عن مسألة في الفروع .

بارزة في نظام الامامة (28) ، التي كان يعرضها صراع الطوائف أحياناً للمشاكل ولحروب تطبع حياتها بطابع الفوضى ، وعدم الاستقرار . ويعني أيضا ان دور الأئمة الرستميين في حياة الطوائف غير الاباضية كان ضعيفا وان سلطتهم الروحية كانت منعدمة مثل أثرهم المادي . ولو كانت الاسرة الرستمية متماسكة ، مثل أسرة بني مدرار في سجلماسة ، لها جيش قوي ، ومجتمع موحد ، وعصبية موالية ، لكان من الميسور على اليقظان ابن أبي اليقظان آخر الأئمة ان يقود حركة المقاومة ، ضد كتائب الشيعة ويمنع عناصر التآمر من الاتصال به ، والتنسيق معه ، غير ان الخلاف الاسري ، والتمزق الاجتماعي وضعف قوة الدفاع الذاتية ، بسبب فناء خيرة الرجال في الفتن والحروب الداخلية او ضد تحرشات مغراوة وبني يفرن الزناتية هي التي جعلت نظام الامامة يتهاوى بسرعة وبدون اية مقاومة داخلية .

وقد تسببت في هذه النتيجة أيضا ، ظاهرة اخرى ، هي الانحلال الخلقي الذي أدى الى اغتيال أبي حاتم يوسف على يد بني أخيه اليقظان الذي استبد بالامامة مغتبطا ، واثار غضب ابناء أخيه ودفعمهم الى سلوك طرق ملتوية ، للثأر وللانتقام منه . فأصبحت دوسرا واخوتها عيونا للداعي ، ولجند كتامة ضد بلادهم وسببا في تخريب نظام الامامة الرستمية ، وقد اتصلت دوسرا بالداعي (29) ، منذ ان فارق رقادة ، وبعد ان صورت له وضع الامام في تاهرت على حقيقته ، ضعيفا متهاويا ، منظويا على نفسه مبغضا من طرف السكان ، رغبت منه ان يثار لها ولاخوتها من قاتلي ابيهم على ان تساعد ، بما أمكنها ، وتصير له زوجة المستقبل .

وقد انضاف الى رغبة دوسرا ، بدافع الحقد والحرص على الاخذ بالثأر ، رجاء والحاح بقية الطوائف غير الاباضية عليه ومنهم ، الصفورية ، والواصلية واهل السنة والشيعة ، في ان يريحهم من حكم اليقظان ومن نظام الامامة الرستمية ، التي أصبحت ، تقوم على الغدر ، والخيانة واللااخلاقية (30) .

ورغم ان الداعي ، لم يكن في نيته عندما فارق رقادة ، غير مشروع تحرير عبيد الله من سجنه ، بسبب الخوف على مصير الحركة ، اذا لم يأت صاحب الدعوة وامام الزمان ، فانه مضى قدما ، في تنفيذ فكرة ضم املاك الامامة الرستمية ، بعد تصفيتها الى اطار الحركة الاسماعيلية ، لاطمئنانه الى سهولة الامر بسبب استعداد السكان ، وعدم الخوف من اية ردود فعل داخلية او خارجية قد تعطل حركة سيره نحو سجلماسة

A. Negre op, cit p. 10.

- 28

29 - الدرجيني : الطبقات ، ورقة 111 ، أبو زكريا : المصدر السابق ، ورقة 33 .

30 - الباروني : الاذهار الرياضية 292 ، الدرجيني : الطبقات ، ورقة 111 .

وهي هدفه البعيد ، واحتمال تدخل الأمويين في الأندلس لفائدة الامامة بعيد ، رغم ما كان بين الامارة الأموية ونظام الامامة ، من علاقات مودة وصداقة ، وتعاون ، لانهم كانوا منشغلين بمشاكلهم الخاصة في شبه الجزيرة ومن أخطرها تمرد عمر بن حفصون ضد الامارة في قرطبة (31) كذلك كان الأدارسة في وضع سياسي غير مستقر ، ولم تكن علاقتهم وماضيهم يسمحان لهم بالتحرك لتجدة فئات من الخوارج . أما امارة سجلماسة الصفرية التي كانت حليفا طبيعيا للامامة في تاهرت وراعية للصفرية فيها ، فعلى الرغم من انها كانت ضعيفة وبعيدة نسبيا عن تاهرت فانها أسهمت الى حد ما بجهد ، في التنكيل بعبيد الله المهدي وبإبنه ورجاله ، والتضييق عليهم ، وربما قتل أهمهم ، ثارا لما حل بتاهرت ، وبالامام اليقظان وأسرته وبنظام الامامة الرستمية كما أشرنا .

ومع اقتناع الداعي بأهمية ضم تاهرت وسهولة ذلك في ظل أوضاعها الدقيقة فانه احتاط للأمر خيفة من ظهور مفاجآت قد تقضي على بعض أنصاره ، فأرسل رسلا الى الامام اليقظان يطلب الاجتماع به خارج المدينة ، فسعى اليه الأخير بأبنائه وأخوته ورجاله ، وأثناء المحاورة التي جرت لجس النبض أساء الداعي لمقام الامام وتجاهله ، وخاطبه من مركز القوة . ووصفه بالحيران ، وعيره بسوء التدبير ، والجبن ، وبارتكاب مالا يحل للمسلمين فعله « ما بالكم قتلتم أميركم ، وسلبتم من أنفسكم ملككم ، وأطفيتم نور الاسلام والقيتم الينا بأيديكم ، بغير قتال ولا حصار » (32) .

وتظاهر الداعي امام السكان ، بمنح الأمان العام للجميع ووعده بالتسامح مع الطوائف غير الشيعية ، وأرسل من مكانه - خارج المدينة ، من يشيع هذه الاتجاهات ، لتطمئن النفوس .

وقد ظهرت نتائج هذه الأعمال ، فتمكن رجاله من دخول تاهرت أمانا ، وبدون أدنى مقاومة في شوال 296 هـ / يونية 908 م ، وفي داخل المدينة ، تنكر جند كتامة لعودهم السابقة بالأمان والتسامح وارتكبوا أفعالا سيئة ضد السكان ، كما أمر الداعي بقتل اليقظان وأبنائه وأخوته

31 - ابن عذاري : البيان 2 ، 199 وما بعدها ، وعن وفاة ابن حفصون سنة 305 هـ انظر ص 2 ، 256 منه . كليا سارانظلي ، مجاهد العامري 8 - 9 ، وقد امتدت الثورة من عهد الأمير المنذر الى عهد عبد الرحمن الثالث ، ابن حزم ، نقت العروس 75 ، ويلاحظ أن ابن حفصون خطب لابراهيم بن القاسم صاحب مدينة البصرة ، انظر ليفي بروفنسال الذي يلاحظ انتهاء الثورة في عهد عبد الرحمن الثالث 306 هـ - 918 م في كتابه

L. Provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane T I, p. 300-1.

32 - الباروني : الأزهار : 293 : الدرجيني ، الطبقات ورقة 111 ، أبو زكريا : السيرة 33 .

وسائر من ينتمي الى البيت الرستمي ، لم يفرق في ذلك بين من سبق لهم الاتصال به وبين من لم يسبق لهم ذلك الا من اختفى ، أو فر (33) من قبضته الى جهات بعيدة .

وبدأت حركة نشيطة من أجل العثور على دوسرا واخوتها ، وبقية اعضاء الاسرة الرستمية ، غير ان هذه المراه اختفت خوفا على نفسها من القتل ، أو من أن تسبى ، وكانت هي وعمها أبو يوسف يعقوب ، وابنه أبو سليمان مع بعض الحراس ، والاتباع ، قد تمكنوا من النجاة بأنفسهم حيث التجأوا بعد صعوبة الى صحراء بني وارجلان وبقوا هناك في حماية اباضية المنطقه (34) .

وفي صحراء بني وارجلان استقبلهم شيخ اباضية الجهة وعالمهم أبو صالح جنون بن يعريان بما يليق بمكانتهم كأعضاء في بيت الامامة الرستمية ، وعرض عليهم ، مشروع إعادة احياء نظام الامامة ، في هذه الجهة ، لكن ابا يوسف يعقوب ، رفض هذا العرض ، لأنه غير عملي ، بسبب صعوبة البيئة ، وعدم وجود القوة الكافية لحماية النظام الجديد ، الذي لا يكفي لبقائه ، في هذه الفترة اخلاص ، أو حماس مجموعة من الأنصار المستضعفين (35) .

ويبدو أن مشروع احياء نظام الامامة ، وايواء الفارين من البيت الرستمي اعتبر عمليين موجهين ضد الحركة الاسماعيلية ، ولذلك أمر عبيد الله المهدي ، بعد تحريره من سجلماسة ، قوة عسكرية بالتوجه لحصار بني وارقلان ، وتأديبهم ، على اظهارهم العداوة (36) . ثم على اساءة معاملته عندما كان في طريقه الى سجلماسة ، حيث القى سفهاء قصر بكر التراب على وجهه فقادهم الى سجلماسة بسرعة (37) .

33 - ابن عذارى : المصدر السابق ، 1 ، 279 ، 209 .

34 - الباروني : المرجع السابق ، 293 ، الدرجميني : المصدر السابق ، 122 - 123 .
E.I. (Art Rust) T 3, p. 1270.

35 - نفسه 294 ، ومما رد به أبو يوسف يعقوب على الشيخ الاباضي قوله « لا يستتر الجمل بالقمم » ، الملي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، 2 ، 25 ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق 295 ، هامش 2 .

36 - الدرجميني : المصدر السابق ورقة 112 ، أبو زكريا : السيرة ، ورقة 33 - 34 ، ويتفقان على القول بان المقصود من الحصار الذي فشل بحيلة رجل يهودي ، وهو التضييق على السكان حتى يموتوا عطشا ، وقد تحصن السكان بكدية تعرف بكريمة وهي على 6 أميال من وارقلان . ومما يلاحظ انهما تفردا بهذه الرواية من حملة فاطمية ضد بني وارقلان .

37 - الدرجميني : المصدر السابق ورقة 110 ، أبو زكريا : المصدر السابق ورقة 32 - 33 وارسال حملة لتأديب بني وارقلان لهذا السبب وحده غير مستبعد ، لأن المهدي تكل بمن اساء اليه أثناء رحلته في إقليم برقة (الطاحونة) .

وتشير بعض النصوص الى أن الداعي ، أرسل ، رؤوس القتلى في تاهرت الى أبي زكي ، وأبي العباس في رقادة ، لكي تشهر في المنطقة ، ترهيبا لمن قد تحدثهم أنفسهم بتدبير المقاومة ، أو بإظهار العداء والعدا . وقد طوفت الرؤوس في القيروان ثم نصبت على باب رقادة (38) ليراها ، المارون ، وينقلوا أخبارها الى الآفاق البعيدة فيزداد اقتناع السكان بقوة الدولة الجديدة .

وقد كفل سقوط الامامة الرستمية على يد جند كتامة (39) ، وضم تاهرت لاطار الدولة الفاطمية عدة مميزات هامة يأتي في مقدمتها :

(أ) ان الدولة الفاطمية الشيعية نجحت في القضاء على قوة المذهب الإباضي، عندما تشتت شمل أنصاره في مجاهل الصحراء ، وصفت نظام الامامة الرستمية ، بعد ماض طويل في المنطقة فأصبحت الطائفة الإباضية في المغرب الأوسط لأول مرة تعيش بدون كيان سياسي ، ونظام جامع ، وكان يمكن أن تهدد حركة التصفية ، بزوال المذهب ، لولا ان بعض المخلصين من الطائفة حافظوا على تماسكها في أماكن منعزلة ، عن طريق نظام العزابة ، الذي حفظ كيانها ، وهي تعيش في اطلره حتى وقتنا الحاضر (40) .

ولم يخل مشروع تصفية الامامة ، من ردود فعل أخرى ، حيث كان تمنع إباضية جبل نفوسه ، واقليم طرابلس ، وثوراتهم ضد الفاطميين ، ثم ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد وتهديدها لكيان الفاطميين فصولا من حركة المعارضة الإباضية .

(ب) ثم ان سقوط مدينة تاهرت ، التي تقع في مجال البتر ، على أيدي بربر كتامة ، من البرانس كان يعني تمسك البتر ، وبدو زناتة ، بالعداء ، وبالمقاومة الشديدة للخلافة الفاطمية ، التي ارتبط مصيرها بسيادة فرع البرانس وكتامة خاصة .

38 - ابن عذاري : البيان 1 ، 209 ، البكري : المصدر السابق 68 ، وقد عمرت الامامة الرستمية مائة وثلاثين سنة ، ابن الأثير ، الكامل ، 8 ، 49 ويلاحظ ان مدة الامامة الرستمية كانت مائة وستين سنة ، وانظر جورج مارسيه الذي يجعلها 147 سنة في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية : E.I. (Art Tahert) T 4, p. 640-641.

39 - نفسه 1 ، 209 ، 210 .

40 - يحي هويدي : المرجع السابق 1 ، 52 ، 53 ، الدرجيني : المصدر السابق ورقة 2 ، لقبال : الحسبة الذهبية 87 - 90 ، اطفيش : اعزابن ، تعليق بدائرة المعارف الإسلامية ، انظر مقال البربر ، مجلد 3 ص 13 ، الترجمة العربية ، ويعرف العزابة بالبربرية اعزابن ، ويرقى هذا المصطلح الى عصر أبي يزيد النكاري ، انظر ابن حماد : أخبار بني عبيد 20 ، وعن نشاط العزابة ، انظر الشماخي ، السمر 416 ، 418 ، 419 ، 451 ، 474 وغيرها .

(ج) وقد كسبت الدولة الفاطمية من الاستيلاء على تاهرت ، مركزا هاما في طريق القوافل التجارية ، يضمن لها الاشراف والسيطرة على حركة التجارة بين المشرق والمغرب ، والصحراء ، حيث توجد منابع البتر في السودان الغربي (41) .

وغدت أهمية تاهرت أكثر بروزا عندما انضمت سجلماسة ، باب السودان الغربي ، الى اطار الدولة الفاطمية ، فكانت تاهرت بمثابة المحطة الوسطى للقوافل المتجهة نحو السودان الغربي ، عبر مدينة سجلماسة .

(د) ثم ان ضم تاهرت - وهي كما اشرنا ، في مجالات البتر ، كان يشير الى ان قلب بلاد البتر ، وزناتة ، قد أصبح محاصرا ، ومن ثم فان حركات هؤلاء سوف تكون مراقبة بدقة ، اما معارضتهم للنظام الجديد ، فانها لن تكون ذات جدوى ما دامت تاهرت قاعدة من قواعد الموالية .

وقد دلت الأحداث التالية لضم تاهرت على ادراك كل من الفريقين المتنازعين لأهمية الاستيلاء عليها .

وغدا النزاع من أجلها ، طابع الحياة السياسية حتى بعد رحيل الفاطميين الى مصر . وكان يتصدر النزاع ، من البرانس ، كتامة ، واحلافها ، ثم صنهاجة ، أما من جانب البتر فتصدرت النزاع زناتة ، بفرعيها الكبيرين ، مفراوة ، وبنو يفرن ، كما أسهمت مكناسة في عصر سيادة ابن أبي العافية بدور كبير في حركة الصراع العنيف من أجل الظفر بميزات موقع تاهرت ، خدمة للامويين في قرطبة .

وطالما احتفظ الفاطميون بمركزهم القوي ، في تاهرت ، كان بتر زناتة ، رغم حركات الشغب ، والتخريب ، لا يجدون ثغرة ينفذون منها ، للنيل منهم ومن ولائهم الأقوياء .

وادراك المهدي وخلفائه لأهمية المدينة ، في أية معركة ناجحة ضد زناتة وغيرها من البتر المعادين ، هو الذي أملى عليهم اختيار نخبة من أخلص قادتهم ، ورجال كتامة ، للاشراف منها ، على حركات البتر ، وعلى الجزء الغربي ، من الدولة الفاطمية ، الذي اتسع حتى مشارف طنجة ، وواحات الصحراء ومراكز العلويين وبنو صالح أمراء تكور . ومن بين

41 - ابن الصغير : اخبار الأئمة الرستمين 12 - 13 ، انظر عنه مولنسكي : أعمال المستشرقين 14 لسنة 1905 ، قسم 3 .

الولاية أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي ، وعسروية بن يوسف
المثوسي (42) ومصالة بن حبوس المكناسي .

وتشير النصوص الإباضية الى حادث استيلاء الداعي ، على المكتبة
المعروفة بلقب « المعصومة » في مدينة تاهرت ، التي كانت على جانب
كبير من الفنى والاهمية ، فأخذ منها أمهات كتب الرياضة ، والصنائع
وما شابهها من الكتب الفنية والعلمية ، وأحرق بقية الكتب والآثار المذهبية ،
ومن ضمنها أمهات كتب المذهب ، ودواوينه ، ومن ثم فقدت أغلب هذه
الأصول المذهبية ، وغدا رجال المذهب الإباضي ، بدون مصادر مذهبهم
لاول مرة (43) .

ويبدو أن هذه الدعوى ، تفتقر الى السند التاريخي الصحيح ، ولا
يوجد ما يؤيدها ، في النصوص التاريخية السنية والاسماعيلية أيضا .

وتقاليد الداعي كانت مؤسسة على احترام الآثار الادبية القديمة وعدم
اللجوء الى أسلوب الحرق والتخريب الا لضرورة حربية ، وهذا عندما
تستعصي المدن المسورة ، ويتمادى سكانها في المقاومة ، وفي اظهار العناد ،
مثلا جرى ذلك في مدينة الأربس ، وفي سجلماسة ، وبلزمة ، حيث
استخدم النار ، لحرق الأبراج ، أو بعض الأماكن المحصنة ، أو الهامة
بالنسبة للمعارضين له ، لكن لم يؤثر عنه أنه عمد الى حرق الكتب، والآثار
الادبية ، حتى بالنسبة لهذه المدن السابقة التي استعصت عليه ، وقاومت
أنصاره .

ولم تشر النصوص الى سلوكه سياسة حرق الكتب المذهبية سواء في
رقادة ، أو في القيروان ، أو في سجلماسة ، لذلك تبدو الرواية الإباضية
فريدة ومستغربة ، ودفع اليها فيما يظهر ، الغضب والكرهية والرغبة

42 - ابن خلدون : العبر ، 4 ، 78 ، وفي نفس الوقت أصبح اخوه حباسة بن يوسف
من القليم بركة يشرف على مراكز هامة في الجزء الشرقي من الدولة الفاطمية ،
ابن عذارى : المصدر السابق 1 ، 239 .

43 - الرجيني : الطبقات ورقة 111 ، ومن ضمن المصادر ، ديوان تاهرت الذي هو
عمدة طائفة الغزابة في الأحكام . أبو زكريا . السيرة ، ورقة 33 ، الباروني : المرجع
السابق 293 ، الشماخي : السير 228 ، ويقول : « بقيت نسخة عمروس ينتفع بها
الإباضية ولولاها لبقي أهل المذهب من غير ديوان بالغرب يعتمدون عليه » وهذه النسخة
منقولة عن مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني ، الذي رواها عن تلامذة أبي
عبدة مسلم بن أبي كريمة امام الإباضية ومجتهدهم في مدينة البصرة . وعن هذه المدونة،
انظر سير الشماخي 228 .

في التشهير واطهار العداء للشيعة ، وتلك صفات بقيت تلازم الإباضية وظهرت أصدائها في أغلب كتبهم المتأخرة (44) .

ولنا ان نتساءل أيضا ، عن أهمية كتب « الحرف » والفنون « الدنيوية » التي اقتصت بها تاهرت ومكتبة الأئمة الرستميين دون حواضر افريقية الكبرى ، ومكتبات الأغلبية ، وأهمها بيت الحكمة في القيروان الذي اشرف على تأسيسها وتجهيزها زيادة الله 290 هـ / 902 م (45) ثم مكتبات فاس وروائع الآثار الادريسية وقد لاحظنا ان النصوص لم تشر الى فكرة الاستيلاء على المكتبات الخاصة بالامراء الأغلبية ، ولا على الآثار التي كان يملكها علماء المالكية أو الحنفية ، الذين اصطدموا مع الخلفاء الفاطميين ، وعارضوا سياستهم المذهبية .

ومن دون شك ، كانت حواضر القيروان ورقادة وتلمسان وفاس وسجلماسة ، زاخرة أيضا بالكتب والمكتبات مثل تاهرت ، ومع ذلك يفتقر الباحث الى اشارات عن حرق الكتب أو المكتبات حتى في عهود الفتن والصراع المذهبي بين الشيعة والسنة .

ثم ان الداعي ، كان في طريقه الى سجلماسة ، لا الى رقادة ، فكيف يثقل نفسه بالكتب ، ويشغلها بالنشاط الثقافي وهو يعد للحرب ، لا سيما وأن النصوص الإباضية تبالغ في وصف المكتبة المعصومة (46) ، وفي عدد الأسفار التي كانت تشتمل عليها .

ولو أن تاهرت لم تصبح الآن منطقة نفوذ فاطمية ، لكان لرواية حرق الكتب ، وجه صواب . أما وقد صارت المدينة ، وما فيها ، ملكا خالصا للفاطميين ، فان الأقرب الى التصديق أن يكون الداعي ، قد أمر بالعناية « بالمعصومة » وبالآثار القديمة ، ويؤكد ذلك أن الداعي تصرف في المدينة بطريقة تشعر بأنه أصبح سيد الموقف فيها ومسؤولا على أمنها ، وراحة سكانها ، فلم يبرحها حتى ترك حامية كتامية لحفظ الأمن ، وقائدا كتاميا من لهيصة ، هو أبو حميد دواس بن صولات ، الذي بقي معه إبراهيم بن

44 - الوارقلاني : الدليل لأهل العقول : 1 ، 29 - 32 وفيه قوله « وأما الشيعة الجهلة رؤاقتهم وغاليتهم فانهم قدحوا في الاسلام والنبوة والالوهية » يحي هويدي : المرجع السابق ، 1 ، 31 .

45 - عثمان الكمال : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط 112 ، وفيه ترجمت كتب انساب البربر ، من رجالها الطيب بن الجزائر ، وإبراهيم الشيباني البغدادي الذي كان يشرف عليها . وقد ازدهر الاثنان في العصر الفاطمي .

46 - وتعرف قلعة المدينة ، أو قصبته باسم المعصومة أيضا ، انظر البكري : المصدر السابق 66 .

محمد اليماني ، الذي كان يرافق الداعي ، وعرف في كتامة بالسيد الصغير كما اشرنا (47) .

ولعل حرق المعصومة ، ان حصل فعلا ، يعود الى عصر الفتن الداخلية والصراع بين الأئمة الأواخر وما تخلله من حروب مهلكة ثم لماذا لا نفترض أن الفارين من بقايا الأسرة الرستمية ، هم الذين أخذوا شيئا غير قليل من هذه الكتب المذهبية والدينيوية ، غير أن بعضها ضاع في الطريق لانشغالهم بالدفاع عن انفسهم ضد فرسان كتامة الذين كادوا يقيضون عليهم ، أما البعض الآخر فقد ناله البلى ، أو أعدمه المعارضون لحكم الامامة ، والمنشقون عن الطائفة الإباضية ، وقد لاحظنا ان الانشقاق المذهبي ، أدى الى استقلال معظم إباضية نفوسة وطرابلس كما أن الخلاف المذهبي بين صفرية سجلماسة وإباضية تاهرت كان عميقا ، رغم ما وجد بين الأسترتين الحاكميتين من رباط المصاهرة (48) ، وقد ضم صفرية تاهرت ، أصواتهم الى أصوات المالكية والأصلية والشيعة والإباضية المعارضين ، وطالبوا الداعي بالتدخل نوضع حد لنظام اليقظان وأسرته الرستمية على أن يكونوا عوناً له في مجهوداته (49) .

فعل هذه الطوائف ، بحكم تعايشها مع إباضية تاهرت وتأثرها من استبدادهم ، وتعصبهم وعنادهم التي كانت تظهر في حلقات الجدل والمناظرة بين رجال الطوائف ، هي التي قادت المعركة ضد آثارهم الأدبية والمذهبية ، مثلما ساهمت بتواطئها ومساعدتها في محو كياناتهم السياسي .

وإذا كانت ظروف احتلال تاهرت ، وما صاحبه من اختلال الأمن واستبداد جند كتامة بالسكان ، وسلوكهم سياسة السلب والنهب قد هيأت فرصة مناسبة لضياح ، أو لافساد كتب المذهب الإباضي ، فإنه يلاحظ أن إباضية نفوسة بقوا حتى هذا الوقت في حرز أمين .

ومنطقة الجبل كانت تعتبر مركزاً هاماً للمذهب وموطناً لعلمائه وحملته ، وأولى الرأي فيه ، وقد كان بعض الأئمة يستعين بهم في الفتوى وفي تسيير بعض الخطط الشرعية ، مثل القضاء والحسبة ، وفي الرد على بعض

47 - يشير ابن عذارى الى لقب الهواري أيضا فربما اكتسب ذلك من اقامته في تاهرت : البيان 1 ، 210 ، وقد تكون النسبة الى الأهواز وحققها إذا أن تأتي بصيغة الأهوازي كما هي القاعدة اللغوية وعلى هذا الاعتبار تكون الكلمة مصحفة في رواية ابن عذارى .

48 - البكري : المصدر السابق 150 ، ابن عذارى 1 ، 216 ، إذ تزوج ممدار المنتصر بن اليسع ، أروى بنت عبد الرحمن بن رستم ، فولدت له ميمونا ، الملقب بابن أروى ، الذي كان مقرباً من نفسه ، فأراد أن يوليه العهد من بعده ، لولا معارضة صفرية سجلماسة له التي الجأته الى ترك الإمارة لابنه الآخر ، الملقب بابن بقية ، والأمير الذي بقي حتى 270 هـ حيث وليها اليسع بن ممدار الذي سجن عبيد الله .

49 - الباروني : المرجع السابق 92 وما بعدها .

المعارضين للمذهب ، مثل الواصلية (50) ، وعلى ذلك فما كان يوجد في تاهرت من كتب مذهبية لا يمكن اعتبارها هي الفريدة في بابها ، وبضياعتها ضاعت الأمهات ، كما يزعم مؤرخو الإباضية ، بل أن الموطن الثاني للامهات كان أيضا في قرى جبل نفوسة ، وما ضاع من تاهرت كان له بدون شك نظير ، أو أصل في منطقة الجبل (51) .

ويلاحظ أن الداعي لم يكن قاسيا مع سكان تاهرت الإباضية وهذا سر بقاء أغلبهم في المدينة بعد حادث الفتح ، أما أقلهم فقد غادروا المدينة إلى صحراء وادي ريغ وصدراته ، ووارجلان وكريمة وإلى كتلة أوراس ، ومنطقة الزاب ، حيث بقوا بجوار اخوانهم يعيشون في إطار مذهبهم وتقاليدهم ، واليهم التجأ أبو يزيد فيما بعد فحموه ، وأيدوه ، ووقفوا إلى جانبه ، وأمدوه بالقوة التي ساعدته على الاستمرار في مقاومة النفوذ الفاطمي وفي كسب معارك كبرى وفي التغلب على أغلب حواضر أفريقية .

وقد لاحظ الرحالة البكري انتشار الإباضية في مدن الزاب ، وأوراس (52) ، كما لاحظ ذلك ابن حوقل قبله بالنسبة لاقليم قسطيلية ، وقفصة ، وبشرة ، وسوماطة في منطقة نفزاوة (53) .

وهؤلاء الإباضية كانوا في المنطقة قبل عصر الامامة لكن عددهم زاد بسبيل من المهاجرين واللاجئين اليهم في عهود الفتن والحروب الداخلية واثرت سقوط الامامة أيضا .

ويظهر أن فشل حركة أبي يزيد ، هي التي قضت على آمالهم ووضعت حدا لوجودهم في المناطق القريبة من مراكز العمران فهاجروا إلى أماكن منعزلة في واحات الصحراء ، وفي الشطوط على فترات متقطعة حيث توجد منهم حتى وقتنا ، مجموعات ضخمة في واحة الشبكا أو بلاد مزاب ، موزعين على عدة قصور ومدن متقاربة أكبرها غارداية (54) .

50 - الباروني : المرجع السابق 118 - 119 .

51 - الشماخي : المصدر السابق 424 ، ومن ذلك ديوان اشتمل على تأليف كثيرة وبلغ عددها 33 ألف سفر ، انظر 228 منه عن مدونة أبي غانم أيضا .

52 - المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب 72 - 73 ، 144 ، 145 حيث يلاحظ أن مزانة وخرسة وسكان باغاية كلهم إباضية مثل هواة ومكناسة في جبال أوراس .

53 - صورة الأرض 93-94 ، ويصنف الإباضية إلى اتباع ابن أباض (إباضية) ووهبية وهم اتباع ابن وهب الراسبي . ويلاحظ أن أبا يزيد من إباضية سوماطة ، أما زنانة ومزانة فكانت نزعة الاعتزال بارزة فيهما . وعما يوجد بين المعتزلة والإباضية من مسائل مشتركة يتفقون حولها . انظر ، يحي هويدي : المرجع السابق 1 ، 56 وعن وصف نفزاوة ، وكبرى مدنها بشرة ، انظر اليعقوبي ، البلدان 102 .

54 - ثم القرارة وبريان والعطف وبني يزقن ، وبنورة ومليكة : انظر توفيق المدني : كتاب الجزائر 210 - 212 ط 1963 .

وعندما اضحت تاهرت قاعدة فاطمية احتفظت بمكانتها كحاضرة اقليمية كبرى ومركزا للانطلاق الى جهات مختلفة في ارض المغرب ، وفي عصرها الجديد ، لم تتأثر وضعيتها ، من سياسة الفاطميين المذهبية على عكس ما كان ينتظر لها فعلا ، وانما عانت من دسائس مجموعات وطوائفها المذهبية ، ومن حركات زناتة والحاح محمد بن خزر الغراوي عليها ، بتنسيق مع بعض المعارضين للحكم الفاطمي فيها .

* * *

وعداء زناتة للحركة الاسماعيلية ، قديم العهد ، ويرتبط بالعصر الذي كان فيه الداعي في ايكجان ، وعبيد الله المهدي في سجلماسة ، اذ تشير بعض النصوص الى ان عامل طبنة من طرف الداعي ، وهو يحيى بن سلمى ، ترك مركز ولايته واسرع للقاء الداعي ، في باغاية وقد كان في طريقه الى قسطنطينية واخبره بان رسله الكتاميين الى عبيد الله في سجلماسة ، وكان عددهم اربعة عشر رجلا ، قد ادوا مهمتهم عند صاحب الدعوة وعند عودتهم قتلوا عن آخرهم في منطقة الزاب قرب طبنة من طرف عناصر زناتية كانت فيما يبدو تخضع لاشراف محمد بن خزر ، الذي لاحظنا حريته في الحركة في مجالات الزاب وافريقية حتى تلمسان ، وقد كان هؤلاء الرسل يحملون كتابا هاما مرسلا من عبيد الله الى داعيته ، لم يتمكن المعتدون من العثور عليه لان رجال الوفد تمكنوا من دفنه في الارض ، كما اخبر بذلك احدهم الذي تحامل على نفسه وادركه الموت في طبنة ، وقد قام والي طبنة بالبحث عنه وسلمه الى الداعي في باغاية (55) . ويقدر ما كان اغتباطه بمحتوى الكتاب ، فحمد الله اذ لم تطلع زناتة على ما فيه بقدر ما تألم للحادث الذي راح ضحيته خيرة من رجاله المخلصين وعزم على الرجوع لتأديب زناتة ، والانتقام من محمد ابن خزر زعيم مغراوة ، ولم يشنه عن عزمه ، الا رأي اصحابه ، على اساس ان «البلد بعيد» وهذا العسكر منا بالقرب ، ولا نأمن ان يخالفنا الى بلدنا» واجمعوا على الاستمرار في الخطة القديمة والانطلاق الى قسطنطينية لان امر زناتة لا يفوتنا (56) .

وكانت هذه الحادثة بداية الحركة العدائية التي تبنتها زناتة ضد نظام الفاطميين ومات اثنائها كتاميون كانوا يؤدون مهمة خاصة ، ومن ثم كان على قبيلة كتامة بدافع العصبية ان تأخذ بثأر قتلها وعلى الداعي باعتباره مسؤولا عن مصيرهم ورأس الحركة ان يقوم بعمل حاسم لتأديب قطاع الطرق من بدو زناتة .

55 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 143 وما بعدها (197) وما بعدها ط بيروت) .

56 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 144 (198) ط . بيروت) .

وقد نشطت حركة المعارضة وظهر تأمر ابن خزر ضد سلطان الفاطميين في تاهرت ، منذ وقت مبكر ، يرجع الى بداية عهد أوائل ولاية المدينة الكتاميين وهو أبو حميد دواس ، الذي كلف بالإشراف على شؤونها ومراقبة حركات المعارضين فيها (57) .

وكانت المؤامرة في هذه الفترة أساسها محمد بن خزر المغراوي الذي ربط صلة مع بني دلوس من سكان المدينة فحثوه على الزحف ضدها لإخراج دواس وطرد حامية كتامة ووعدوه بالتأييد والمساعدة ، وقد خيل لمحمد بن خزر أن الفرصة مناسبة لاستخلاص المدينة من قبضة الفاطميين ، من جهة وللتعرض لوكب عبيد الله وداعيه ، عند رجوعهم من سجلماسة ، ومرورهم بأرض تاهرت من جهة أخرى وكادت هذه المؤامرة تنجح لو لم تتسرب أخبارها الى والي المدينة عن طريق عناصر موالية للحكم الفاطمي ، كارهة لتسلط مغراوة ، فتصرف دواس بسرعة وتحفظ على بني دلوس في حصن برفجانة ، أو تاهرت القديمة وهي بجوار تاهرت الحديثة على مسافة خمسة أميال الى الشرق منها (58) ، ثم ترك تاهرت الى قلعة ابن حمة ، جنوبها (59) ، وبقي هناك يراقب الوضع من بعيد ، فلما زحف ابن خزر ووجد جماعة بني دلوس مراقبين وبعيدين عن ميدان المعركة لم يفلح في افتتاح تاهرت واكتفى بالتحصن ببعض أرباضها ، ثم تركها بسبب مقاومة السكان الذين كاتبوا دواسا يخبرونه بانسحابه ويطلبون منه الإسراع في العودة الى المدينة لتهدأ نفوس سكانها ، كما أن سكان حصن برفجانة بعد أن ثبت تأمر بني دلوس عليهم مع ابن خزر انتقموا منهم فقتلوه عن آخرهم (60) .

57 - ابن عذاري : البيان 1 ، 210 ، انظر ايضا 279 منه حيث يشير الى انه وليها ستة اشهر ، ولما وصلته المسائر فتحها سنة 299 هـ .

58 - البكري : المصدر السابق 67 ، ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 280 - 281 . حيث يلاحظ أن تاهرت القديمة هي التي خربها الخيز بن محمد بن خزر الرناتي . وتاهرت الحديثة هي عاصمة الامامة وتقع بجوار ناقدمت مركز الأمير عبد القادر فيما بعد .
E.I. (Art Tahert) T 4, p. 640-641.

59 - ابن عذاري : المصدر 1 ، 210 - 211 ، وفي هذه القلعة ولد بكر بن حماد الرناتي ، شاعر المغرب الأوسط في القرن الثالث للهجرة ، وبها نشأ وتوفي في شوال 296 هـ أي في نفس الوقت الذي مر فيه الداعي بتاهرت . رحل الى بغداد في عهد المعتصم العباسي ومدحه فاجزل له .

60 - ابن عذاري : البيان 1 ، 213 حيث يشير الى موت ابن خزر أثناء المعركة وقارن ذلك بما ورد في صفحة 266 منه حيث ذكر ابن خزر مرة أخرى ، الباروني : المرجع السابق 295 ، ويسمى انصار ابن خزر ، بني دبوس ، ويسمى الحصن ، بحصن بخانة ابن الصفيح : المصدر السابق 55 س 16 عن بني دبوس في عصر يعقوب بن الفتح .

كذلك لم يصمد ابن خزر أمام قوات الداعي عند رجوعها من سجلماسة وتوجهها نحوه بناء على أوامر عبید الله ، لما بلغته مؤامرة تاهرت ضد أبي حميد دواس ، فترك ابن خزر الميدان وأخلى الطريق لها ، وتوغل في مجاهل الصحراء (61) . وعندما اطمأن إلى انصرافها ، عنه ، إلى رقادة وانشفال المهدي بالموكب وبالافراح في افريقية وبالوان الحياة الجديدة ، فاجأ تاهرت على رأس جموعه وحاصر دواسا في المدينة وضيق على سكانها ، فأرسل المهدي لنجدته ولتأديب محمد بن خزر حملة كتامية أسند قيادتها إلى هارون بن يونس المسالتي ، المعروف بشيخ المشايخ ، فأدرك دواسا وقوى جانبه ونال من المحاصرين وقتل كثيراً منهم (62) . كذلك قام الداعي أبو عبد الله بمعينة قادة كتامة وبعض الدعاة « بنزهة عسكرية » في أرض المغرب وفي مجالات زناتة « لما ظهر من الاثنيات وفساد الطرق ، وقيام القبائل على عمالهم » . فحصل على انتصارات باهرة ، وسيطر على عدة مدن ومراكز وانتقم من عناصر الشغب بالقتل والسبي ، وأنهى خبر توفيقه في أعماله إلى المهدي في رقادة الذي أمر بقراءة سجلات حولها على منابر افريقية (63) .

وفي بداية 298 هـ / 910 - 911 م وقبيل رجوع الداعي إلى رقادة شن حملات عنيفة ضد مضارب صدينة وزناتة ، فتمكن من قتل كثير من رؤوس الفتنة وسبى ذراريهم واستولى على ذخائرهم ، وطمس معالم مدنهم حيث أحرق بعضها بالنار وأرسل إلى المهدي يخبره بانتصاراته ضد زناتة ، فاستبشر وأمر بقراءة كتبه على الناس (64) ، لتخفف حدة مقاومة المعارضين وتطمئن نفوس الأولياء والمؤيدين .

غير أن زناتة لم تكف عن معارضتها للنفوذ الفاطمي ولم تنكسر مقاومتها بعد الهزائم التي منيت بها وعادت إلى العمل من جديد في ظروف دقيقة بالنسبة للدولة الفاطمية ، ومع انشغال المهدي بحركة التآمر عليه التي تزعمها بناء الدولة ودعاتها وما نتج عنها من ردود فعل عنيفة ، فإنه أرسل في بداية 299 هـ / 911 - 914 م حملة كبرى لتأديب زناتة التي حاصرت تاهرت بقيادة محمد بن خزر والجات دواسا إلى الفرار مرة أخرى . فقتلت من جموعها في موقعة فلك مديك « عددا لا يحصى » وتبدد شمل

61 - نفسه ، 1 ، 214 ، وبلاحظ أن مجال تحركه كان ما بين إقليم الزاب ومدينة تلمسان ، انظر ابن الأثير : الكامل ، 8 ، 53 .

62 - نفسه ، 1 ، 221 .

63 - نفسه ، 1 ، 222 .

64 - نفسه ، 1 ، 223 ، وبلاحظ أن الداعي بقي في هذه المهمة عدة أشهر أثناء سنتي 297 ، 298 هـ . وفي كل هذه المدة لم تشر النصوص إلى محمد بن خزر الذي فصل الاختفاء حتى تسنح له ظروف العمل .

قبائلها ، وفي نفس الوقت تمكنت القوة الفاطمية من فتح تاهرت وتأديب سكانها الذين ثاروا من قبل ضد دواس ، وتأمروا على حياته ، ومكنوا ابن خزر من المدينة ومن الاستيلاء على السلاح ومن اهانة أم دواس ، وعياله ، وقتل أكثر حامية كتامة وكانوا نحو ألف فارس ، لكنهم عندما سمعوا انباء الحملة الفاطمية تراجعوا في موقفهم من محمد بن خزر الذي خشى العاقبة وانصرف بدوره عن تاهرت الى الصحراء ، تاركا سكان المدينة للقتل والسبي والنهب ، حتى قيل أن عدد القتلى بلغ ثمانية آلاف رجل ، كما اشعلت الحرائق في المدينة الثائرة .

وقد اتضح للمهدي من خلال أحداث تاهرت سوء تصرف دواس اللهيصي ، وعجزه عن الصمود والمقاومة واسراعه في الفرار عن المدينة للمرة الثانية لمجرد ظهور حركة المقاومة ، ولم يفكر أبدا في مصالح الدولة ولا في مصير انصاره وجنده ، لذلك استدعاه الى رقادة وتمهل به فترة ثم قتله عقابا على القصور والجبن (65) . أما تاهرت فقد انتدب لولايتها قائد الحملة التاديبية مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي (66) . الذي سيطر على الوضع وتبع عناصر الشغب وحوى المدينة مؤقتا من بطش وتحركات محمد بن خزر ثم انطلق منها غرة ذي الحجة 304 هـ / مايو 916 م على رأس قوة من كتامة ومكناسة لتأديب أمراء تكور ، من آل سعيد بن صالح ، لأنهم تطاولوا على السلطة الفاطمية الجديدة ، وأساءوا الرد على كتاب المهدي ، الذي تضمن دعوتهم الى الاعتراف بالسيادة الفاطمية (67) .

وقد تمكن مصالة بعد حرب شديدة من اقتحام تكور محرم 305 هـ يونية 917 م بالكيده وبمساعدة أحد أنصار سعيد بن صالح أمير المدينة الذي استبسل في القتال حتى قتل هو ، « واستبيح عسكره » وشرذ آله واقاربه ، فالتجأوا الى مرسى مالقه ، وبجاعة في حماية الخليفة الناصر الاموي ، الذي « حباهم بالكساء الرفيعة والصلوات الجزيلة » وخيرهم بين البقاء حيث هم او الانتقال الى الزهراء او قرطبة ، فاستحسنوا البقاء في مالقة لرغبتهم في التهيئة للعودة الى ملكهم في تكور (68) ، عندما يأنسون قوة ويجدون عونا للثار من مكناسة ، وحامية المهدي في المدينة . ورغم ان مصالة أرسل الى المهدي بخبر الفتح وبرؤوس بني صالح التي شهرت

65 - ابن عذاري 1 ، 229 وما بعدها ، الباروني : الرجوع السابق 296 .

66 - نفسه ، 1 ، 230 .

67 - نفسه 1 ، 249 ، البكري : المصدر السابق 94 وما بعدها .

68 - ابن عذاري 1 ، 252 ، البكري : المصدر السابق 96 .

في القيروان ونصبت في رقادة (69) فانه بقي في المدينة ستة أشهر لم يفارقها خوفا على ضياع المكاسب الجديدة .

وإثناء هذه المدة نظم شؤون المدينة وانتخب (ذلولاً) من رجاله لكي يبقى عاملاً عليها ، وترك في معيته حامية كتامة مع عناصر من مكناسة . ويبدو أن ذلولاً لم يكن كفؤاً للمهمة لأن أنصاره سرعان ما تفرقوا عنه بعد رحيل مصالة الى تاهرت ، وتركوه يلاقي مصيره مع قلة من رجاله على يد القوة العسكرية الاموية التي قادها صالح بن سعيد بن صالح من مدينة مالقة الى تكور ، التي سقطت في أيديهم (70) . ورجع آل سعيد بن صالح الى سالف عهدهم أمراء في المدينة ، وأرسلوا يخبرون الناصر الاموي بانتصارهم على الحامية الشيعية ، فقرأ كتاب صالح ابن سعيد الأمير ، في جامع قرطبة ، ونسخت منه صور قرئت في سائر كور الأندلس ، واثرت ذلك أمر الناصر الاموي « بامداد آل صالح بما يجلب من الأخبية الشريفة والآلة العجيبة والكساء الرفيعة والسروج ، والحلي والبنود ، والطبول والدروع وجميع السلاح » (71) .

وبذلك استقر الأمر لآل صالح في اطار الصداقة والحلف مع الامويين في الأندلس ، وظلت تكور موالية للامويين معرضة عن الفاطميين حتى 317 هـ / 929 - 930 م عندما هاجمها موسى بن أبي العافية في عصر ولائه للفاطميين وهدمها وخرّب آثارها ومعالمها وتركها « بلاقع تسفى عليها الرياح ، وتعاوى فيها الذئاب » (72) انتقاماً من أمرائها الذين ارتبطوا بالولاء مع الامويين وخلصوا طاعة المهدي الفاطمي . ويلاحظ أن مصالة لم يقدر له أن يعود اليها لانصرافه الى تنظيم شؤون تاهرت ثم لمواجهة ثورة وعصيان أمراء سجلماسة منذ 309 هـ / 921 - 922 م ، الذين انفصلوا

69 - وخذ الانتصار في تكور ضد بن صالح ابو جعفر احمد بن الروزي ، الشيعي ، بقوله :
لما طفى الأردل وابن الأردل في عصبه من الطغام الجهل
قال تكور دون ربي معقلي آتاه محتسوم القضاء الفيصل
انظر ابن عذاري 1 ، 251 ، البكري : المصدر السابق 96 . المزيزي الجوزدي
سيرة جوند 164 ، وكان المهدي قد أرسل اليهم قوله :
فان تستقيموا استقم لصلحكهم وان تعدلوا عني ارى قتلكم عدلا
وهكذا ، فهذه الأبيات الشعرية تدخل في اطار النضال المذهبي ، واهمية دور الشعر في تخذيل الأعداء وكسب الانتصار ظاهرة ملحوظة .

70 - ابن عذاري 1 ، 244 - 245 ، 252 وقد بويغ صالح بالأمرة ولقب باليتيم وكان أول امر دخل تكور ، لذلك سلم له أخوته بالأمر عندما وصلوا بعد شهرين الى المدينة البكري : المصدر السابق 97 .

71 - نفسه ، البكري 97 .

72 - البكري : المصدر السابق 97 ، ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 274 . وكان أميرها من بني صالح هو المؤيد بن عبد البديع بن ادريس بن صالح الذي قتل أثناء هذه الحركة .

عن المهدي وخلصوا الطاعة وانتقموا من رجاله (73) . وبعد أن أنجز المهمة رجع سريعا الى تاهرت مقر ولايته ، ومنها واصل السير نحو المهديّة التي أصبحت دار هجرة للشيعة وعاصمة جديدة للدولة الفاطمية (74) ، لأن المهدي طلب منه توضيحات عن أعماله التي أنجزها في تكور وتاهرت وسجلماسة .

ومن بين هذه الحواضر كانت أوضاع تاهرت تقض مضجع المهدي وتقلق باله ، لذلك لم يستبق مصالة بجواره الا أياما قليلة ، صرفه بعدها ، في نفس شهر شعبان 310 هـ نوفمبر 922 م الى تاهرت (75) . ومنها ، بدأ مصالة يعد لحملة تاديبية ضد بتر زناتة ، وأنصار محمد بن خزر المغراوي ، الذين بقوا قدى في عين الولاة الفاطميين في المدينة ، وشجى في حلوقهم ، وحربا على السيادة الفاطمية في مجالات زناتة والمغرب الاوسط .

وعندما اكتمل الاعداد ، خرج مصالة سنة 312 هـ / 924 - 925 م على رأس قوات كثيرة من مدينة تاهرت وقصد مضارب زناتة في حوض الشلف ، وجبال الونشريس ، فقتل وسبى وسيطر على الموقف وأغرته قوته ببث السرايا في أرجاء زناتة وضد فرع مغراوة ، فخرّبوا ونهبوا ، دون أن يجدوا مقاومة من طرف محمد بن خزر ، الذي تحاشى الاصطدام مع القوة الضاربة ، لكنه بث عيونته وأرصاده لسبر تحركات مصالة وتقدير مدى قوته بعد المعارك الأخيرة والى أي حد بقى جنده قوة متكاملة ؟ . وعندما بلغه أنه أصبح في مركز ضعيف بسبب بقاء قلة من الجند الى جواره وذهاب أكثرهم للسلب والتخريب في أعماق أرض زناتة اغتتم هذه الثغرة ونفذ منها الى تحقيق أغراضه فظهر في ميدان الحرب وتحرش بمصالة وقاتله والح في القتال حتى قضى عليه وعلى أنصاره أثناء معركة ضارية جرت يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان سنة 312 هـ (76) .

ويبدو أن موت مصالة بن حبوس ، بعد ولاية استمرت ثلاث عشرة سنة في تاهرت وفي أعمالها ترك فراغا سياسيا كبيرا في الجناح الغربي من الدولة الفاطمية وأثرا سيئا في نفس عبيد الله المهدي الذي لم يجد ما يعبر به عن رضاه عن أعمال مصالة غير تعيين أخيه يصل بن حبوس على رأس ولاية تاهرت وكانت مهمته العاجلة أن يكتل قبيلة مكناسة للاخذ بثأر زعيمها ، من بتر زناتة وفرع مغراوة رهط محمد بن خزر بصفة خاصة ، أما مهمته بعد ذلك فهي أن يشتد في سياسته مع العناصر المعارضة للحكم الفاطمي في المدينة وفي نواحيها التي كانت تغري ابن خزر بالزحف عليها ، وتعاون

73 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 259 - 260 .

74 - نفسه ، 1 ، 258 ، النعمان : افتتاح الدعوة ورفلة 201 (275 ط . بيروت) .

75 - نفسه 1 ، 263 .

76 - نفسه ، 1 ، 266 ، 279 ، الباروني ، الازهار 297 .

معه ضد ولاية الفاطميين ، غير أن الذي حصل هو أن الوالي أظهر عجزاً في تأدية مهمته ولم يقم بأي نشاط إيجابي ضد زناتة وابن خزر الذي لاحظناه أثر انتصاره الأخير على مصالة بدعم مركزه ويوسع دائرة نشاطه ويكتل انتصاره ويضغط بشدة على مدينة تاهرت أثناء ولاية يصل .

وقد عزم ابن خزر على اقتحام تاهرت بالقوة في بداية سنة 314 هـ 926 - 927 م ، وأخراج يصل منها مع حاميات الدولة الفاطمية بيد أن مقاومة السكان الموالين للدولة أو المعارضين لحكم مغراوة وانتشار الأخبار عن قرب وصول الحملة الفاطمية التي وجهها المهدي بقيادة موسى بن محمد الكتامي نجدة لوالي تاهرت هما اللذان صرفاه عن الاستمرار في حصارها وفضل الانسحاب إلى مجالاته القديمة في إقليم الزاب والصحراء ، التي أدركها في نفس الوقت الذي وصلت فيه حملة موسى بن محمد إلى مشارف طينة ولأن هؤلاء لم ينتبهوا لوجود رجال ابن خزر بمعية أخيه عبد الله بن خزر في وادي مطماطة بالمنطقة لحقت بهم هزيمة مفاجئة وقتل أكثرهم ومات قائدهم أيضاً ولم يصل منهم إلى تاهرت فيما يبدو إلا عدد ضئيل ، ومن ثم اقتضى الأمر بذل مجهود جديد لتدعيم مركز والي تاهرت المستضعف أمام تحرشات ابن خزر وأخوته ، عبد الله ومعبد ، وقلقل ، ومن بين هؤلاء الأخوة أصبح عبد الله بمثابة نائب عن أخيه محمد في مجالات لمائة وأحلافها الذين ارتضوه واليا عليهم (77) بعد انضمامهم إلى مغراوة للعمل ضد النفوذ الفاطمي في الزاب وفي تاهرت .

وهكذا أرسل المهدي ، حملة جديدة عهد بقيادتها إلى كتامي آخر هو اسحاق بن خليفة لمحو أثر هزيمة وادي مطماطة ثم لتأديب لمائة وأحلافها على ثورتها ضد النظام الفاطمي (78) .

غير أن مجهود ابن خليفة لم يثمر بسبب مقاومة هذه القبائل التي غذاها ودعمها تأييد قبيلة مغراوة ثم أشرف عبد الله بن خزر على سير المعركة (79) .

ويبدو أن سيطرة محمد بن خزر على الوضع السياسي في الزاب وتاهرت وغيرهما من أراضي المغرب الأوسط وهزائم قادة كتامة المتوالية وعجز ولاية تاهرت عن القيام بعمل حاسم ضده ، ثم جو العداء للحكم الفاطمي الذي انتشر بين قبائل زناتة وهوارة ولمائة ومطفرة ويني برزال ومكلاتة في المغرب الأوسط بسبب انتصارات ابن خزر وضغوطه هي التي دفعت المهدي إلى

77 - ابن عذاري : المصدر السابق ، 1 ، 269 .

78 - نفسه .

79 - ابن عذاري : البيان ، 1 ، 269 ، النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 201 (276 ط . بيروت) العزيمي الجوندي ، سيرة جوند 39 ، تعليق 21 .

بذل جهد ضخم ، اشرف عليه ابنه وولى عهده أبو القاسم ، منذ 9 صفر
سنة 315 هـ (80) أبريل 927 م .

وقد مرت الحملة بقواعد الأربس وباغاية وتوغلت في مضارب كتامة ثم
بني برزال ومكلاثة الذين قاوموا الحملة فهزموا ثم مضارب مطفرة ، وفي
سوق ابراهيم في حوض الشلف ، اقام أبو القاسم نحو شهر لصعوبة السير
بسبب رداءة الجو وكثرة الأمطار والوحل وشدة البرد . وقد عانى من
ذلك مصاعب جمة وكان معرضا للأمراض بسبب «كثرة الذباب في العسكر»
وقلة التغذية (81) . وبعد أن أمن هوارة ولماية الذين استجابوا للطاعة
ولم يقاوموه تركهم الى تاهرت ومنها انطلق نحو حصن تامغلت (82) بقرب
الصحراء وبعد ان اقام في المكان مدة شهرين في مواجهة محمد بن خزر الذي
كان يعسكر برجاله في موضع عرف «أورن» (83) ترك حرب زناتة ورجع
الى المهدي بسرعة عبر مدينة طبنة حيث لم تسفر حملته على تعديل ميزان
القوى الذي بقي راجحا لصالح بن خزر الذي بقي مطلق الحرية في نشاطه
في مجالات البتر وضد تاهرت والعناصر الموالية للفاطميين ، ومع ذلك فقد
أفادت في وضع أسس قاعدة شيعية جديدة في اقليم الزاب ، هي الحمديّة
« المسيلة » وكانت مهمتها مراقبة مضارب زناتة وفرع البتر ، وحماية
النفوذ الفاطمي في منطقة الزاب حيث أضحي الاعتماد عليها بعد ذلك في أي
مجهود حربي في المناطق المجاورة لها خاصة أثناء فتنة أبي يزيد ظاهرة
ملحوظة (84) .

اما سر عودة أبي القاسم بسرعة الى المهديّة دون اخضاع محمد بن خزر
فيعود الى أنه سمع أخبارا مقلقة ، سواء من طرف جوذر الذي تركه
مستخلفا عنه في قصره ومستحفظا عنى حرمه وأهله (85) ، أو من طرف
ابنه قاسم الذي أبلغه بما يشاع في المهديّة حول النص على ولاية أخيه أبي
علي أحمد بعد المهدي الذي قدمه لامامة المصلين في مناسبة عيدي الفطر

80 - نفسه ، النويري نهاية الأرب 26 ورقة 35 - 36 ، ابن حماد : المصدر السابق 12
وما بعدها .

81 - نفسه 1 ، 270 .

82 - وبين تامغلت واشعر بني زيري ثلاثون ميلا اي في اطار ولاية نيتري الآن وكانت مدينة
مبينة في سفح جبل وتغرب من الصحراء . انظر البكري : المصدر السابق 66 .

83 - لم نظفر بتحديد موقع حصن أورن الذي تغرب صيفته فيما يبدو من كلمة وهران .

84 - ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 179 ، القرظي : انماط الحنفا 1 ، 72 ، وقد
امر أبو القاسم ابن حمدون بتخزين الطعام في الحمديّة كما قام بتجهيز بني كملان
منها .

85 - القرظي : المصدر السابق 39 .

والاضحى (86) وغير مستبعد نظرا للوضع الخاص أن يكون المهدي قد مهد بذلك لتعين حجته من بين أبنائه الباقين خصوصا وأن اخبار القائم قد انقطعت عنه منذ أن خرج سنة 315 هـ حتى ساءت « الظنون من جهته » وتوقع أن يكون قد حصل له شر . (87)

ويلاحظ أن التنافس في بيت المهدي والخلاف في صميم أسرته من بين أسبابه مشكلة الحكم وقد استمر ذلك في عصر القائم والمنصور والمعز لدين الله ونلاحظ صداه فيما سجل عن سيرة حياة رجل معاصر لهؤلاء الأئمة وهو الأستاذ جوذر الصقلي (88) .

وهكذا بقي محمد بن خزر على طفيلانه ووالي تاهرت يصل بن حبوس على ضعف مركزه يترقب في كل حين تحركات ابن خزر وضغطه على تاهرت حتى توفي (يصل) سنة 319 هـ / 932 م ، وعندئذ تصرف سكان المدينة بحرية وقدموا على الولاية عليا بن مصالة بن حبوس قبل أن يستطلعوا رأي المهدي ، ولذلك رفض رغبتهم واعتبرهم عصاة وأرسل لتأديبهم حميدا بن يصل منذ شهر ذي الحجة 319 هـ ، الذي تمكن من ضبط شئون المدينة ومن الضرب على أيدي القادة الطموحين ، وأنهى اخبار توفيقه الى المهدي ، حيث قرئت السجلات على منابر أفريقية في جمادي الآخرة (89) 320 هـ / 932 - 933 م ، غير أن النصوص لم تشر الى نشاط خاص قام به حميد بن يصل ، ضد محمد بن خزر وفرع مفرأوة الدين بقوا قوة يخشى خطرهما على النفوذ الفاطمي في تاهرت حتى أن الخسائر التي لحقت ابن خزر اثر اصطدامه مع موسى بن أبي العافية الكناسي لم تؤثر على قوته الحقيقية (90) ، لأن موسى لم ينسق مع والي تاهرت الفاطمي وذلك

86 - ابن عذاري : البيان 1 ، 272 ، انظر سيرة جوذر 41 ، من شدة حساسية الناس لقضية النص حيث « قد تعلق كل واحد منهم بغير سبب يشب من اولاد مولانا » .

87 - نفسه ، 1 ، 270 ومن هنا تائر لورود كتابه فجأة يصور فيه ما لقيه من محن ومشقات حتى هم الحاضرون أن يشاركوه تائره ، وبكائه لولا أنه يدد حيرتهم باطلانه عن حياة مولاهم وحجته من بعده أبي القاسم .

88 - العززي : المصدر السابق 41 ، 63 ، 64 ، 69 ، وقد وصفهم المنصور باولاد الافاعي ونسبهم الى الشجرة الملعونة ، وكانوا يعقدون على جوذر لكائته عند الأئمة ولأنه كان يستودع على سر النص على حجة الامام دون غيره من رجال الدولة . انظر تعليق 68 - 69 من سيرة جوذر .

89 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 289 ، ومن بين من قتلهم حميد بن يصل : داوود بن مصالة ، وستان وأبو جميل .

90 - نفسه 1 ، 289 - 290 .

بمبب نواياه الانفصالية التي اعلنها اثر ذلك ، واصبح مواليا للامويين منذ شهر شعبان 320 هـ - أغسطس 932 م . (91)

ويخيل الى الباحث أن الاميرين : الزناتي والمكناسي ، لو نسيا خلافتهما العارضة بسبب وضع مدينة جراوة العلوية ونسقا جهودهما واحكما صلاتهما مع الامويين في الأندلس ومع أمراء نكور من بني سعيد بن صالح ثم مع ادارة فاس ، وأمراء سجلماسة الصفرية لما كان للفاطميين تاريخ سياسي يذكر ، وخلفاء بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة 322 هـ / 933 - 934 م .

وقد استمر وضع تاهرت مضطربا في عهد واليها الجديد ابي مالك بن يغمراسن بن ابي شحمة اللهيصي بسبب شغب سكانها وتقلب أهوائهم وميل جانب منهم الى محمد بن خزر ، ولذلك ثاروا ضده وضيقوا عليه حتى اخرجوه من المدينة 323 هـ / 934 - 935 م ، واختاروا من تلقاء أنفسهم واليا من مكناسة هو ابو القاسم الاحدب بن مصالة بن حبوس ، فلم يلبث غير سنة واحدة وقتل على يد ميسور الفتى اثناء رجوعه من حرب موسى بن ابي العافية ، لأن ابا القاسم تعاون مع عناصر الشغب في المدينة وقبل منهم الولاية دون تقليد من الخليفة وعمل على طرد والي المدينة الكتامي ، كما أنه قاوم دخول ميسور الفتى فكلفه جهدا مضاعفا وأساء الى الدولة الفاطمية في بداية عهد القائم بأمر الله ، عندما تغلب على تاهرت وفصلها عن السلطة الشرعية ، في وقت كانت فيه الحاجة ماسة الى تضافر جهود رجال الدولة وانصارها لبعث الاستقرار في المنطقة ، وللوقوف ضد حركات فرع مغراوة الزناتية .

ويبدو أن هدوءا نسبيا عرفته تاهرت ، في عهد واليها الجديد داوود بن ابراهيم العجيسي الذي استمر منذ 324 هـ / 935 - 936 م الى شهر جمادى الآخرة 333 هـ / يناير 944 م حيث لم تشر النصوص الى حركات عصيان ، أو زحوف زناتية ضده حتى تمكن حميد بن يصل من الفرار من سجنه في المهدي اثناء انشغال القائم بفتنة ابي يزيد اليفرني ، واعتصم بتاهرت وطرده واليها الشرعي وفصلها عن السلطة الفاطمية في المهدي . وكان غرضه هذه المرة أن ينسق جهوده مع بقية أبناء عصبته بني ابي

91 - نفسه 1 ، 291 ، وكان ابن ابي العافية قد كاتب الناصر الأموي منذ 319 هـ يعلن ولادة فقبل منه وشجعه على العمل ضد مراكز نفوذ العلويين والفاطميين . أما المهدي فقد ارسل لقتاله ابن عصبته حميد ابن يصل فهزمه ورجع الى المهدي دون أن يجدد له العهد بالولاية باسم الفاطميين ، لذلك حلق عليه المهدي وسجنه وبقي في سجنه حتى فر الى الأندلس وانضم الى انصار الامويين ومثل دورا هاما اثناء حركة الصراع بينهم وبين الفاطميين على مراكز النفوذ في شمال المغرب الأقصى ، انظر السلاوي : الاستقصاء 1 ، 82 ، ابن خلدون ، العبر ، 4 ، 82 ، ابن عذاري . 317،304،1

العافية المكناسيين الذين انشقوا عن الدولة الفاطمية ووالوا اعداءها الامويين منذ فترة طويلة فيصفوا النفوذ الفاطمي من الجهة ويستخلصوها لانفسهم في اطار التبعية والولاء لقرطبة .

وشعور الخليفة الفاطمي بخطر مكناسة على وضع الدولة في تاهرت هو الذي جعله يتحرك بسرعة ويتصرف على نحو يحفظ له حقوقه الشرعية في منطقة المغرب الاوسط ، اذ تم طرد حميد بن يصل الذي التجأ الي الاندلس لآخر مرة (92) على يد ميسور الفتى الذي أصبح واليا جديدا على تاهرت وعلى الجزء الغربي من الدولة الفاطمية لفترة يسيرة تمكن اثناءها من ارجاع الامن والنظام الي المدينة . ويبدو أن سياسته القوية وحزمه مع عناصر الشغب والتآمر أساء الي وضعه اذ أضربوا الخلاف عليه ودبروا لأسره وطرده من المدينة بالتعاون مع محمد بن خزر وابنه الخير ، اذ تشير بعض النصوص (93) الي اتفاق سكان المدينة مع ابن خزر على المجيء الي تاهرت ، والتظاهر بأنه انما قدم لنصرة ميسور الفتى ضد المعارضين له ، وعندما انطلت الحيلة على ميسور وخرج لاستقبال ابن خزر ورجاله في ارباض المدينة الذين كانوا في حشد عظيم قبضوا عليه وطرده حيث رجع الي المهدي ليلقي مصيره اثناء فتنة ابي يزيد (94) ، واحتل ابن خزر تاهرت واستبد بآمارتها ، وفرض سلطان مغراوة زناتية عليها وعلى ما جاورها حينما من الدهر ثم انقلبت الوضعية الداخلية في غير صالحه وصالح أسرته بسبب معارضة عناصر الشيعة وقبائل المنطقة ،

92 - ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 279 ، الباروني : المرجع السابق 298 واتجاهات الثورة والعصيان عند حميد بن يصل ، كانت قديمة ورغبتة في الاستبداد بشؤون تاهرت كانت واضحة منذ 318 هـ . عندما فارق المهدي فجأة بدون اذن اليها وبني بها قلعة وسورها واصهر الي احد رجالها واصلح بين عناصرها ، ولولا ان المهدي ارسل الي عامله في المدينة يامره باخراجه من تاهرت الي المهدي ولا يؤخره ساعة لكان قد أعلن نيته في هذا الوقت . انظر البيان 1 ، 376 .

93 - نفسه 1 ، 280 ، الباروني : المرجع السابق 298 . ومحمد بن خزر بن حفص بن صلوات المصراوي أحد رجالات مغراوة مع اخوته : عبد الله ولفل ، ومعبد ، ولذلك يوصف بأخي معبد . وقد انحدر عن محمد ابنه الخير ثم حفيده محمد . اما عبد الله فهو جد زيري بن عطية « القرطاس » مؤسس اعظم دولة زناتية في المغرب الاقصى ، وهو معاصر الحاجب المنصور وباني مدينة وجدة 384 هـ وقد توفي 391 هـ والي فلل ينتمي خزون مؤسس الدولة في سجلماسة . ثم الفروع التي امتد نفوذها الي طرابلس أيضا . اما معبد الذي توفي منذ وقت مبكر فلم يعرف له عقب . ويلاحظ أن هنالك في الأسرة من عرف بمحمد بن خزر وعاصر امتداد نفوذ ادريس الثاني الي تلمسان . انظر السلاوي ، الاستقصاء 1 ، 189-190 . ط الدار البيضاء .

94 - ابن عذاري : البيان 1، 309 . القرظي : اتماط 1، 77 ، ابن خلدون : العبر ، 4، 86 ، ابن الاثير : الكامل 8، 151 ، العزيزي الجوزري ، سيرة جولد 180-181 تطبيق 103 .

مثل هوارة ولماية الاباضية وفرع بن يفرن المنافسين لفرع مغراوة ، وفي غمرة اضطراب الاوضاع بسبب الصراع القبلي بين بني يفرن ومغراوة ، تمكن يعلى بن محمد اليفرني من الاستيلاء على تاهرت ، وفرض سيادة بني يفرن عليها من قاعدتهم الحصينة في افكان ، وهو الوضع الذي استمر حتى خروج جوهر الصقلي الى ارض المغرب سنة 347 هـ / 958 - 959 م على رأس حملة كبرى لارجاع الامن والنظام في تاهرت، وفاس وسجلماسة، وقد تمكن جوهر من اخضاع يعلى وقتله وأسر ابنه الذي عرف بيدو ، واخذ ذخائره وهدم مدينة افكان وأحرقها بسبب ميل يعلى الى المقاومة وقتال جند الفاطميين بدافع الولاء للامويين . (95)

وكان هذا التوفيق ضد فرع بني يفرن وأميرهم يعلى ذا اثر حسن على الوضعية في تاهرت التي رجعت الى اطار النفوذ الفاطمي وأصبحت بعد انتهاء هذه الحملة في عهدة زيري بن مناد الصنهاجي فوليها جزاء له عما بذله من جهد في محاربة زناتة وثوار المغرب الاقصى (96) . ومن يومئذ تحمل بنو زيري مشقة كبرى في مراقبة حركات زناتة البترية وحركات مكناسة المواليين للامويين في الاندلس .

وفي الوقت الذي أصيب فيه فرع بني يفرن بهذه النكبة زال خطر بني خزر المغراويين على تاهرت مؤقتا بسبب توفيق المعز لدين الله في سياسته مع محمد بن خزر وسائر الثوار في منطقة الزاب وقلعة أوراس (97) ، حيث منحه الامان واحتفى به عند ما قدم المهديّة ، وبقي في القيروان حتى توفي سنة 348 هـ / 959 - 960 م ، وكان قد توفي أخوه معبد قبله (98) ،

95 - نفسه ، 280 ، 1 ، بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة 6 ، ورقة 191 . القرظي : اتعاف 1 ، 94 ، ابن الأثير : الكامل 8 ، 524 (ط . بيروت) ، ابن خلدون 6 ، 314 ، و ج 97 ، 4 ط . بيروت ، السلاوي : الاستقصاء 1 ، 180 ط 1954 ، الدار البيضاء حيث يشير الى ولاية يعلى على طنجة نيابة عن الناصر الاموي ، ابن أبي زرع دوض القرطاس 61-62 .

96 - بيبرس الدوادار : المصدر السابق 6 ، 192 ، ابو الفداء : المصدر السابق 2 ، 107 ويشير الى ان زيري بن مناد كان شريكا لجوهر في « الامرة » ، ابن خلدون : العبر ، 97 ، 4 ، ابن الأثير : الكامل 8 ، 189 ، ابن الوردي تنمة المختصر 286 ، 287 ، 97 - القرظي : اتعاف 1 ، 93 ، ابن الأثير ، الكامل ، 8 ، 498 وما بعدها ، القرظي ، سيرة جولد ، 108 - 109 بيبرس الدوادار : المصدر السابق 6 ورقة 195 . 98 - ابن خلدون العبر 4 ، 95-96 ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق 6 - 195 . Lévi Provençal op, cit T 3, p. 110. ويشير الى وفاته في سنة 350 هـ ،

وهو غير أبي خزر الذي ثار في افريقية سنة 358 هـ واستامن الى المعز في جمادي الآخرة 359 هـ ، لان هذا الأخير كان تكاريا اباضيا بخلاف محمد بن خزر فكان سنيا مواليا للامويين في اغلب الفترات . انظر عن ثورة أبي خزر ، ابن الأثير : الكامل 8 ، 215 ، سيرة جولد 108 ، 109 تعليق 119 ، بيبرس الدوادار 6 ، 208 واخباره مع المعز لدين الله الذي صحبه معه الى مصر حيث أنعم عليه بفسياح ودار توجد بتفصيل في (الشماعخي) السير 346-356 .

قال الامر الى ابنه الخير ثم حفيده محمد بن الخير اللذين استمرا على سياسة موالة الامويين (99) وعداء الفاطميين ، والخير بن محمد بن خزر هو الذي عاد الى النشاط ضد تاهرت وخربها في احدى حملاته ضدها . ومحمد بن الخير (100) هو الذي اقلق بال المعز لدين الله قبيل رحيله الى مصر لانه كره ان يتركه تائرا ضد النفوذ الفاطمي ولذلك جند جميع الوسائل للقضاء عليه . وتشير بعض النصوص الى تكليف المعز لدين الله لبلكين باقتفاء اثره ، وان الاخير عرف مكان محمد بن الخير ففاجاه في سرية تامة وهو يشرب مع رجاله فلما شعر به وواجهه ، ولم يكن مستعدا للحرب ، وكره ان يلقي مصيره على يد صنيعة من صنائع اعدائه الفاطميين ، قتل نفسه بسيفه وترك انصاره للقتل والاسر .

وكانت هذه الحادثة التي وقعت قبيل رحيل المعز لدين الله الى مصر ذات اصداء حسنة في نفسه فسر بها وجلس لتقبل التهاني مدة ثلاثة ايام (101) ، كما كانت نكبة حلت بفرع مفراوة ، وباسرة محمد بن خزر حيث تضاعل دورهم في الفترة التالية بينما نشط ابناء عمومتهم خزرون ، وزيري بن عطية القرطاس ضد مراكز النفوذ الفاطمي في سجلماسة والمغرب الاقصى وتاهرت . وهم الذين تصدوا للصراع مع الامراء الزيريين بعد رحيل المعز لدين الله الى مصر وانزلوا بهم وبصنهاجة هزائم منكرة نكاية فيهم بسبب معارضتهم للامويين وولائهم للفاطميين (102) لان فرع بني يفرن ضعفوا وذلوا بعد موت يدو بن يعلى 383 هـ / 993 - 994 م اثناء صراعه مع زيري بن عطية المفراوي الذي غالى في ولائه للحاجب المنصور (103) .

99 - السلاوي : المرجع السابق 1، 83 .

100 - ابن عذاري : البيان 1 ، 281 ، ومن ولاية محمد بن خزر على فاس من قبل الناصر الاموي قبل سنة 344 هـ ، انظر السلاوي 1، 197 ط 1954 ، القريري ، اتعاط 1 ، 128 حيث يذكر خبر وفاته وورود رأسه مع كتاب من طرف المعز الى فائده جوهر في مصر شعبان 360 هـ .

LEVI PROVENCAL, op. cit., T. 2 p. 186-187.

101 - بيبرس النوادر : المصدر السابق 6 ، ورقة 117 ، ويرد اسمه هنا « محمد بن الحسين » ، القريري ، المنفي الكبير 1 ، ورقة 243 ، ابن خلدون : العبر ، 6 ، 314-315 ، ابن الاثير : الكامل 8 ، 221 .

102 - ابن عذاري : البيان 1 ، 329 ، 341 ، 357 ، 359 ، ابن خلدون : العبر ، 4 ، 179 ، ويلاحظ ان دولة زيري بن عطية كانت عظيمة لانها تضمنت المغرب الاقصى وجزءا هاما من المغرب الاوسط امتد حتى تاهرت وقد ورث مجده ، ابنه المعز منذ 391 هـ فلما توفي خلفه ابنه حمامة حتى سنة 433 هـ ، فلما توفي آل الامر الى ابنه دوناس الذي نازمه بنو عمه فضعت الدولة وانهارت تحت ضربات المرابطين وفر معتصر المفراوي امام يوسف بن تاشفين ، انظر السلاوي 1، 192-205 ط 1954 .

103 - السلاوي : المرجع السابق 1 ، 194 - 195 ، ويلاحظ هنا ان النزاع بين زيري بن عطية بن عبدالله المفراوي ، ويبدو بن يعلى اليفرني كان امتدادا للنزاع التقليدي بين فرعي مفراوة وبني يفرن .

ونجاح بلكين في القضاء على ابن خزر قومه من نفس المعز لدين الله الذي اقتنع بأهمية دوره في بلاد المغرب ، ومن ثم رشحه نهائيا للنيابة عنه بعد رحيله لأنه اطمأن على بقاء المغرب في اطار السيادة الفاطمية بسبب انشغال صنهاجة بمواجهة زناتة، وهذه سوف تهب على بكرة أبيها للاخذ بثأرقتلاها ويتآلف البرانس مع الزيريين كما يتآلف البتر بدافع العصبية مع زناتة ، ويرجع العداء التقيدي بين الفرعين شديدا كما كان وتنتشر الحروب التي تعمق جهود هؤلاء وأولئك في اظهار الاستقلال عن النفوذ الخارجي وفي تحقيق نوع من الوحدة الاقليمية (104) كما ان ترحيل أغلب عناصر كتامة ابي مصر وعزل الباقين منهم عن السلطة والاشراف على شؤون المغرب كانا مقصودين ليستمر تحفظ كتامة وعداؤهم لنظام الزيريين ، لانهم لم يرتاحوا لاختيار بلكين وصنهاجة للنيابة بدلا من شخصية كتامية مع ان كتامة اقدم عهدا بالولاء للحركة الاسماعيلية ، ولنظام الفاطميين (105) ، عكس الزيريين الذين بدأ دورهم الايجابي في حياة الدولة الفاطمية منذ عصر فتنة ابي يزيد (106) .

ويلاحظ أن الخطة التي رسمها المعز لدين الله هي التي نجحت فعلا ، اذ أن ثورات كتامة لم تنقطع وتمنعهم عن السلطة الزيرية كان واضحا بتنكيل الزيريين بهم كان منقطع النظير ، كما أن فرع بني يفرن اتهموا زيري بن مناد بالتحريض على قتل يعلى بن محمد زعيمهم ، وكان قتل محمد ابن الخير المغراوي بحركة بارعة تزعمها ابنه أبو الفتوح يوسف بلكين ، ومن ثم فقد تألف الفرعان مغراوة وبنو يفرن في المرحلة التالية للاخذ بالثأر من الزيريين وصنهاجة والاستعانة على تحطيم نفوذهم وهيبتهم باظهار الولاء والدعوة للامويين . وقد أدركوا من ذلك شيئا كثيرا ، كما قتلوا زيري بن مناد 360 هـ / 970 - 971 م واحتزوا رأسه وأرسلوه الى الحكم المستنصر الأموي ، مع وفد يتزعمهم يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي (107) الذي غدا أخوه جعفر ثائرا ضد الفاطميين بسبب دسائس خصمه العنيد زيري بن مناد الصنهاجي ثم ابنه بلكين (108) ، الذي ثار بدوره لقتل ابيه من زناتة .

104 - ابن خلدون : العبر ، 6 ، 314 ، ابن الاثير : الكامل ، 8 ، 221 .

105 - نفسه ، 6 ، 316 ، ونصر ما قاله « استبلاغ السلطان في تكريمه (بلكين) ونفس ذلك عليه كتامة » .

106 - المقرئ ، اتعاط ، 1 ، 78 ، أبو الفداء : المصدر السابق ، 2 ، 97-98 ، بيبوس الدوادار : المصدر السابق ، 6 ، ورقة 150 .

107 - ابن خلدون : العبر ، 6 ، 315 .

وأصبح مسئولاً على تاهرت ، وأشير ، وأقليم الزاب . أما بعد رحيل المعز لدين الله فقد أصبح سيداً أوحده في أرض أفريقية والمغرب يمتد نفوذه من هوامش إقليم طرابلس حتى مشارف طنجة ، بيد أنه كان نفوذاً سورياً في أرض المغرب الأقصى ، وفي مجالات زناتة التي بقيت رغم جهود الزيريين نهياً مقسماً بين فرعي بني يفرن ومغراوة في إطار الحلف والتبعية للاندلس الأموية حتى ظهور حركة المرابطين (109) .

وهكذا يلاحظ أن دور كتامة في حركة التوسع الفاطمي في تاهرت وفي مجالات زناتة أسفرت عن عدة نتائج في مقدمتها :

— سقوط نظام الإمامة الرستمية وضرورة الإباضية جماعات طائفية مشردة ، تكتم غيظاً وتتحين فرصة .

— وقد ظهرت حركة معارضة داخلية لوجود كتامة في تاهرت ، كانت تغذيها المجموعات المذهبية غير الشيعية .

— وقد لعب فرع مغراوة وأسرة محمد بن خزر دوراً كبيراً في إضعاف النفوذ الفاطمي وفي تغذية حركات العداة والانتفاض ضد ولاة الفاطميين في المدينة ، فكان بحق عقبة كأداء في سبيل الأمن والاستقرار .

— وإصراره على العداة هو الذي جعل تحطيم نفوذه وتتبع أفراد أسرته وسائر فرع مغراوة هدفاً مباشراً للسياسة الفاطمية في الجزء الغربي من الدولة .

— وكان الصراع حول تاهرت وأرباضها يكتسي طابعاً سياسياً ومذهبياً ، فضلاً عن الطابع القبلي ، إذ أن البتر وبدو زناتة ، كرهوا الحاميات الكتامية ولاة الفاطميين من كتامة ، وعجيسة وصنهاجة لأنهم تصوروا أن هدف السياسة الفاطمية هو إذلال البتر بواسطة أعدائهم البرانس ، وهو التصور الذي أعطى للمقاومة طابعاً حاداً .

108 — العزيزي الجودري ، سيرة جودر ، 100-101 ، تعليق 82 ، وقد حاول المعز لدين الله أن يزيل أثر الخلاف بين جعفر وأبي الفتوح أثناء جلسة سرية لكنه لم ينجح وسمع من كلامهما ما أثر في نفسه وسجله في توقيح أرسله إلى جودر . وقد تأثر جعفر للانصراف عنه في نيابة المغرب وخشي أن يكون تقديم خصمه تمهيداً للقضاء عليه ، لذلك ترك ولايته في الحمديّة إلى مضارب زناتة . انظر ابن خلكان : المصدر السابق 113،1 ابن خلدون : العبر 4، 176 - 177 ، المقرئزي : اتعاظ 1 ، 99 .

109 — ابن خلدون : العبر ، 6 ، 32 .

— وتجربة الحكم الفاطمي في تاهرت ، كانت فاشلة ، لأنها لم توجد الاستقرار ولم تعبر عن نفسها في غير الحروب ، والفتن ، والثورات المستمرة ، وقد ظهر أثناءها عجز جهاز الدولة عن مواجهة حركات المعارضين لضعف ولايتها وقلة خبرتهم أمام الأحداث الكبرى .

ويبدو أن الخلفاء الفاطميين وولاتهم في تاهرت لم يفهموا وضع البلاد وطبيعة سكانها، الذين يختلفون عنهم في المذهب وفي أسلوب الحياة الاجتماعية، لذلك لم يعالجوا أوضاعها المضطربة بغير القوة القاهرة التي كانت توضع أحيانا تحت تصرف من ليس كفؤا لاستخدامها في موطنها ، ومن ثم كانت الهزائم المتوالية وحركات الفرار أو الانفصال . وما حاول أن يقوم به القائم (110) بأمر الله ، ثم ميسور الفتى ، وزيري بن مناد ، بقي دون جدوى بسبب الف السكان لحركات الثورة والعصيان .

— وعدم استقرار الأوضاع في تاهرت قاعدة الجناح الغربي من الدولة الفاطمية ، وقلب بلاد البتر وزناتة ، انعكست آثاره ، في ظهور قوة الأمويين كعنصر يوجه الأحداث ضد الفاطميين ، ثم في انتشار تيار الثورة والعصيان في بعض مراكز نفوذهم القديمة ، وفي مقدمتها ولاية سجلماسة (111) التي غدت منذ أن توجه الداعي إليها لتحرير عبيد الله المهدي، منطقة نفوذ فاطمية.

— وقد كان يظن أن تصفية امارة بني مدرار الصفرية بقتل اليسع ، وتعيين إبراهيم بن غالب المزاتي (112) واليا على المدينة تسنده حامية كتامية كبيرة (113) ، اجراءات كافية لاقرار السيادة الفاطمية على سجلماسة ، وقبيلة مكناسة الصفرية ، غير أن ما جرى في المنطقة بعد نحو خمسين (114) يوما من رحيل المهدي عنها ، متجها الى افريقية ، قضى على كل أمل في المحافظة على المنطقة في اطار النفوذ الفاطمي .

110 — ابن عذاري : البيان 1 ، 274 ، حيث يلاحظ تغلب محمد بن خزر على المنطقة كلها اثر انسحاب القائم الى المهدي .

111 — وعن وصف سجلماسة ، انظر البكري : المصدر السابق 148 وما بعدها ، ابن خرداذبة : المصدر السابق 86 - 87 ، الادريسي : المصدر السابق 4 ، البغدادي ، مرصد الاطلاع 2 ، 694 ، القزويني : اثار البلاد 18 و19 و24-26 ، الاصطخري : المصدر السابق 39 ، ويلاحظ أنها من حد تاهرت لكنها منقطة عنها وقريبة من منابع التبر وان تبعيتها في عصره كانت للمهدي الفاطمي ، شعرة المرابطون 20 ، 57 .
E.I. (Art Sidjilmasa) T 4, p. 419-421.

112 — ابن خلدون : العبر 6، 296 ، الباروني ، الأزهار 95 وينسبانه لكتامة بينما هو من قبيلة مزانة حليفاتها ، ابن عذاري : البيان 1 ، 212 ، 213 .

113 — وقد اضطرب رأي ابن عذاري حول عدد الحامية فمرة قال أنها خمسمائة فارس ومرة أخرى ذكر أنها بلغت ألفي فارس من كتامة . انظر 1، 212، 213 .

114 — ابن عذاري : البيان 1، 212-217 ، 293 ، البكري : المصدر السابق ، 150 ، النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة 180 .

ويظهر أن الفراغ السياسي الذي خلفه سفر المهدي ، وقصور الوالي الجديد وشغب الحامية وقتلها وسط محيط معاد ، هي التي شجعت عناصر السلطة القديمة على العودة الى المقاومة والنشاط من جديد لحياء مجد الأسرة الدرارية وتقديم من بقي منهم على الامارة الجديدة . وهؤلاء قد تركوا في المدينة ، على أساس أنهم لا يمثلون خطرا على النفوذ الفاطمي ، وعندما واتتهم الفرصة لاعلان الثورة ضد مظاهر السلطة الجديدة في 3 ربيع الاول 297 هـ / نوفمبر 909 م - قتلوا عامل المهدي ، ونكلوا بعناصر كتامة وبنائير التشيعيين ، ورشحوا للامارة الصفرية ، الفتح بن ميمون بن مدرار ، الملقب بـ « واسول » (115) الذي استمر يشرف على الامارة حتى توفي في رجب 300 هـ / فبراير 912 م فولياها اخوه أحمد بن ميمون برضا صفرية مكناسة واستمر حتى قتل في محرم سنة 309 هـ / مايو 921 م على يد قائد المهدي وواليه على تاهرت مصالة بن حبوس الكناسي (116) وهو الذي ارسل لتأديب سجلماسة وللثأر من سكانها لقتلهم والي المهدي وحامية كتامة وتم ذلك في غمرة انشغاله بالمشاكل الداخلية والخارجية سواء في افريقية أو في تاهرت .

ولم يشأ مصالة بن حبوس بعد أن اقتحم المدينة عنوة ، وحطم عناصر المقاومة الداخلية وقتل أحمد بن ميمون وأطلق الحرية لجند كتامة في السلب والنهب ، والثأر لقتلاهم ، أن يصفي نظام الامارة ويحول الحكم الى غير بني مدرار لقوة عصبيتهم فيما يبدو ، لذلك عين على سجلماسة من نفس الأسرة المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار (117) ، ورغم أنه مال الى الاستبداد بالسكان وتعسف ضدهم وتمسك بطاعة المهدي، وقبل أن يكون صنيعة له في سجلماسة الصفرية ، فقد استمر حكمه لفترة طويلة ، فلما توفي سنة 321 هـ / 933 - 934 م ، خلفه في الحكم ابنه محمد وبعد وفاته أيضا سنة 331 هـ / 942 - 943 م ، أصبح عمه الصغير ابو المنتصر سمغون بن المعتز بن محمد ، أميرا ، تدبر شئونه جدته ، وهذا التطور ، يضاف اليه صغر سن الأمير ، هما اللذان أنارا ابن عمه محمد بن الفتح بن

115 - نفسه ، 1، 214 ، ابن خلدون : العبر ، 269-270 ، البكري ، 150 ، الباروني ، الأزهار 95 ، وفيه كما في ابن خلدون والبكري ، أن قتل الوالي كان سنة 298 وينفرد بأن الأمير الجديد هو ابن الرستمية وليس أخاه المعروف بابن بقية . ومعنى ذلك أن الانتقام لقتل الرستميين حصل بسرعة وعلى يد أحد اقربائهم من جهة أروى بنت عبد الرحمن بن رستم .

116 - ابن عداري ، 1، 293 ، ابن خلدون : العبر ، 6 ، 270 ، البكري : المصدر السابق ، 150 .

117 - نفسه ، 1، 259-260 ، 293 ، البكري : المصدر السابق 151 ، الباروني : الأزهار ، 96 ، ابن خلدون : العبر ، 6 ، 270 ، زماور ، معجم الاتساب ، 1 ، 102 .

ميمون الأمير ، فحاربه حتى تغلب على أنصاره ، وأخرجه من سجلماسة واستبد بشؤونها (118) ، برضا السكان ، لأن النصوص لا تشير الى نشوب حركات ثورة أو عصيان ضده ، مثلما لم تشر الى ردود فعل من طرف الفاطميين وأنصارهم في المدينة أو ولايتهم على تاهرت قبل عصر المعز لدين الله . وأسباب ذلك ، انشغال القائم ، والمنصور بأحداث فتنة أبي يزيد ، واضطراب أوضاع تاهرت بسبب معارضة مفراوة وبني يفرن ، ثم أوضاع المغرب الأقصى بسبب ثورة موسى بن أبي العافية وإعلانه الولاء للامويين ، وتتبعه للادارسة الذين انقسموا بين مشايخين للفاطميين وموالين للامويين ، الذين بلغ نشاطهم في منطقة المغرب الأقصى والوسط درجة قصوى ، بررت توجيه المعز لدين الله لحملة ضاربة 347 هـ / 958 - 959 م بقيادة جوهر الصقلي ، وزير بني مناد لارجاع النفوذ الفاطمي ولدعم أنصاره .

وقد كان محمد بن الفتح ، في مبدأ الامر وحتى سنة 342 هـ / 953 - 954 م ، لا يمثل أي خطر على النفوذ الفاطمي ، لأن ما قام به في سجلماسة كان يدخل في إطار اصلاح الأوضاع الداخلية للامارة ، لايجاد عنصر الاستقرار في الحكم ، ولذلك تشير النصوص الى أنه كان ملتزما لقواعد العدل ، وحسن السيرة مع السكان ، ويبدى الطاعة ظاهريا للعباسيين ، وحتى المذهب الصفري ، الذي هو خير تعبير عن شخصية سجلماسة وقبيلة مكناسة ، تركه ، ورجع الى المذهب السني ، فأصبح اشعريا في العقائد ، مالكيا في الفروع والأحكام .

أما في سنة 342 هـ فقد تطورت اصلاحاته على نحو خطير ، اذ لقب نفسه الشاكر لله جريا على ما كانت تقتضيه رسوم الخلفاء العباسيين والفاطميين (119) والامويين اثر البيعة ، ثم انتحل لقب الخلافة وامرة المؤمنين ، فأصبح يعرف الشاكر لله أمير المؤمنين وأبي الا أن يخلد ذكرى هذا التطور الجديد ، على السكة ، التي ضربت في سجلماسة فغدت تعرف « الشاكرية » (120) .

والذي شجعه فعلا هو استقرار أوضاع سجلماسة ، والتفاف السكان حوله ، وشعوره بالمعظمة ، ورغبته في جعل المدينة مركزا للامامة ارضاء

118 - نفسه 1، 291 ، 292 ، وقد ذكره بلقب الامين وجعل بداية حكمه سنة 321 هـ ، بعد شهرين من الوصاية على أبي المنتصر ، الذي ورد عنده بصيغة « ابو المنصور » ، البكري ، 151 ، الباروني ، الأذهار 96 ، ابن حزم ، نطق العروس ، 76 .

119 - عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، 72، 1 وما بعدها .

120 - بيبيرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، 6 ، ورقة 191 ، البكري ، 151 ، ابن هداري : البيان ، 1، 292 ، ابن خلدون : العبر ، 4، 270-271 ، الباروني ، الأذهار 96 ، ابن أبي ذؤعد : روض القرطاس 62 ، ابن حزم : المصدر السابق والصفحة وفيه عن الشاكر قوله « أبأؤه كلهم صفرية حاشاه هو وحده فانه أظهر السنة وخالف أبأؤه في الذهب ولم يكن خارجيا » . E.I. (Art Sidjilmasa) T 4, p. 419-421.

لعصبته المكناسية . ولم يتخيل أن ذلك خروج عن العرف المألوف ، لأن الرستميين في تاهرت كانوا ينتحلون لقب الامام وهو يعني امرة المؤمنين عند الخوارج والشيعة ، وقد انتحل اللقب وتجراً على العباسيين كل من المهدي وعبد الرحمن الناصر الاموي ، واضحت كل من المهديّة والزهراء عاصمة لخلافة اسلامية ، يدين لها بالولاء جمهور كبير من سكان النواحي وبقي الخوارج الصفرية والاباضية وحدهم بدون امامة تجمعهم ، ولا يوجد ما يمنع من صيرورة سجلماسة بعد سقوط تاهرت مركزاً للإمامة على نهج الخوارج .

وليس في تسمية السكة ، بالشاكرية ، شيء غريب ، لانها لا تحمل اكثر من معنى النسبة ، للذكرى ، وقد كان الداعي الشيعي ، قد سن هذه القاعدة غداة دخوله رقادة ، ف ضرب سكة سماها السيدة (121) .

ويبدو أن الشيء الذي أحق المعز لدين الله ليس فقط رجوع ابن واسول الى السنة ، أو الدعوة باسم الخلفاء العباسيين التي تحمل معنى الثورة ضد الفاطميين ، وإنما أيضاً انتحاله للقب الخلافة لما فيه من التعبير العملي عن العصيان للنفوذ الفاطمي كما يدل على زيف الدعوة الى العباسيين أيضاً وهل أدل على تمويه ابن واسول وخداعه من اطمئنان السكان اليه وعدم ثورتهم عليه وعدم ادعائهم لتوسلات جوهر القائد باخراجه عنهم حتى يجنبوا بلادهم شر الحرب ، أنهم بدون شك يعلمون حقيقة مذهبه ، ولو كان في أمره ما يخالف عقيدتهم الصفرية أو يؤثر عليها لما تأخروا في التعبير عن معارضتهم مثلما لاحظنا ذلك من قبل عندما جرت محاولات لابعاد ميمون بن الرستمية ، خشية من تسلط الاباضية عليهم (122) .

وشعور المعز لدين الله بمصاعب حرب سجلماسة هو الذي جعله يحث جوهر على محاولة القضاء على انفصال ابن واسول سلماً ، وبواسطة السكان أنفسهم (123) ، وفي نفس الوقت مهد لسير الحملة العسكرية التي اشتملت على خيرة أنصاره من كتامة وصنهاجة (124) ، بحملة تشهير كبرى ، وجهها بنفسه بمساعدة قاضيه النعمان ، فوصف ابن واسول أثناء المجالس الخاصة باللعمين والفاسق والدعي، والكافر بالله كما صور في صورة من تحلل من

121 - ويلاحظ أن نفس الاعتبار جعل من جمّة (المهديّة) ومن السيلة (المحمديّة) ومن صبرة (النصورية) ومن القاهرة وطبرمين العزيزة كما عرف الدينار بالعزيزي أيضاً .

122 - البكري : المصدر السابق 150 .

123 - النعمان : المجالس ، السيرات ، 1 ، ورقات 294 - 297 .

124 - نفسه ، 30، 31 ، وقد حثهم على الترفق بمواليه ، والطاعة لجوهر بقوله : « اقمته مقام نفسي وجعلته معكم اذني وعيني » وقد أسهم محمد بن خزر أيضاً بجهد واضح لانه أصبح موالياً للمعز لدين الله . انظر

L. Provençal, op. cit., t. 2, p. 109.

طاعة الأئمة ، ومن الشرائع السماوية ، ونسب إلى الشعوبية ضد العرب ،
و ضد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (125) .

كما حدد المعز لدين الله أغراض الحملة : وهي الجهاد لمن خالف ، وانتحل
لقب الخلافة ، « وليست لدفع شر أو مكروه ، أو جلب مال » ، لأن الأموال
كثيرة والأمن متوفر (126) .

وعندما أصبح الأمر واضحاً أمام الجند الذين جهزوا مادياً وعبئوا
نفوسهم بالغضب على سكان سجلماسة وأمامهم ابن واسول ، تمكنوا من
احتلال المدينة والسيطرة على أرباضها ، أما ابن واسول ، فقد غادر المدينة
بأهله وأمواله إلى قلعة مجاورة تعرف بـ (تاسجدالت) (127) .

ومن هناك بقي يترصد حركات جوهر ومصر المدينة وحال سكانها بعد
الذي حاق بهم حتى تمكن قوم من مطفرة من التعرف عليه وهو متنكر
فاقتادوه مع أصحابه إلى جوهر ، في شهر رجب 347 هـ / سبتمبر
958 م (128) حيث احتفظ به أسيراً .

وقد استغل سكان سجلماسة رحيل جوهر عنهم بعد أن ترك عاملاً يمثل
الخليفة المعز لدين الله وثاروا ضد الوالي وقتلوه ، وقدموا للولاية المنتصر بن
محمد بن المعتز ، وأرسلوا إلى المعز لدين الله يشرحون له حقيقة الوضع ،
وأن الوالي القديم أساء استعمال سلطته ، فتظاهر المعز لدين الله برفض
ما اتفقوا عليه ، وما تغلوا به ، وصرفهم إلى بلادهم وطلب أن يأتي الوالي
الجديد مع أهل الحل والعقد في المدينة ، ليتعرف على مجريات الأحوال .
ويلاحظ أن المعز لدين الله تصنع الغضب والجفوة في أول لقاء له مع وفد
سجلماسة واليها .

وبعد أن عنفهم على مواقفهم السابقة تجاه الدولة منذ عهد المهدي الذي
ترفق بهم ، لارتباطه عاطفياً معهم بسبب أقامته بين أظهرهم ، وشدد النكير
على مساندتهم لحركة ابن واسول ، التي تعني تدعيم الانفصال عن الجماعة
الإسلامية طلب من المنتصر بن أحمد أن يجلس بجواره وقال للحاضرين :

125 - نفسه ، 2، 399 ، وما بعدها ، وقد نقل عنه قوله عند الحديث على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم « هذه من حيل العرب » .

126 - نفسه ، 1 ، 28 ، 29 .

127 - وهي على مسافة اثني عشر كلم من سجلماسة ، ابن عذارى ، 1، 316 ، البكري 151 .
Dachraoui la captivité d'Ibn Wasul le rebelle de Sidjilmasa p. 295 sq
cahiers de Tunisie T. 4, n° 15 1956.

128 - ابن عذارى : المصدر السابق ، 1، 316 ، وفيه إشارة عن قتله في هذا الوقت ،
البكري : المصدر 151 ، ابن خلدون : العبر ، 6 ، 271 ، النعمان ، الجالس
والسائرات 1 ، 294 وما بعدها ، ابن الأثير 8 ، 524 (ط . بيروت) بيبرس
الدوادار : المصدر السابق 6 ورقة 191 .

« تستحقون اليه العقاب ، ولكن عفونا عنكم واستعملنا عبدنا هذا » فأظهر المنتصر وسائر المرافقين له آيات الخضوع والطاعة والولاء للخليفة بتقبيل الارض ، وأقاموا اثر ذلك في عز وكرامة وخلع عليهم المعز لدين الله ثم أنصرفوا الى بلادهم صحبة واليهم الجديد (129) .

والطريف في حركة ابن واسول ، تلك المحاورات التي جرت بينه وبين المعز لدين الله ، والتي تشبه ما جرى من قبل ، بين موسى بن نصير والخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك (130) ، بعد فتح الاندلس . ومن خلالها ظهر مدى ادراك المعز لدين الله لمجريات الاحوال ، ومدى معرفته لآراء سكان بلاد المغرب في الائمة ، وفي الحكم الفاطمي ، ولنوع التهم التي كانت تعلق لهم من بعض معارضتهم .

واهتم المعز لدين الله بمعرفة دوافع حركة ابن واسول وتجربته على لقب الخلافة وكان رد ابن واسول ، غير صريح لانه يرجو العفو ولكي يقنع المعز لدين الله ويرضي غروره ، غير نفسه بالجبن وبالجهل ، وأعترف بالخطأ ، وبانه ادعى ما ليس من حقه . غير انه لم يحرر جوابا على سؤال المعز لدين الله ، عن حقيقة الشبهة التي تنسب الى الائمة الفاطميين رغم انه شجعه بقوله « فاننا لا نأنف من سماعه ، ولا ننكر عليك ان تقوله » (131) .

وكي يدفعه ولو الى مجرد الائمة ايجابا ، ذكر امامه من ذلك « اعتقاد الناس أن الفاطميين ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويدعونها بعده ويمطلون السنة والشريعة ويدعون لغيرها ويخصون بالعبادة رأسا يوحى اليهم وينثر من فيه الدنانير لهم » (132) .

وعندما رغب ابن واسول حضور صلاة الجمعة خلف الامام المعز لدين الله ليخفف من ظروف اعتقاله ويحل وثاقه ، أوضح له أن صلاته بغير النية والاعتقاد في احقية الفاطميين للامامة ، غير مقبولة وأن ما حصل منه وكان سببا في توضيحات مادية جسيمة لا يسدل الا على التطرف في العداة « ولو كنت تعتقد امامتنا ، لم تحل هذا المحل ولم تكن لتبخل عليك

129 - النعمان : المجالس والسايرات 1 ، 300 - 303 .

130 - ابن قتيبة : المصدر السابق ، 3 ، 74 وما بعدها .

131 - النعمان : المصدر السابق ، 1 ، 352 - 354 .

132 - نفسه ، 1 ، 357 وما بعدها ، الشوكاني : قطر الولي ، 287 ، وما بعدها ، وفيه اشارة عن اساءة الرافضة للسنة عن طريق وضع الاحاديث التي توافق هواهم ، ويرفضون الاخذ بالاحاديث الصحيحة لانها تمدح الصحابة غير علي ، ومذهبهم الظن عليهم حتى كانوا يسمونهم اهل النصب او الناصبية او النواصب ، وهم من يدينون ببغض علي ، ويوضح الشوكاني مدى تقدير واحترام اهل السنة لعلي بن ابي طالب .

بسجلماسة ولا لها عندنا في الوزن ولا للدنيا بما فيها وما كنا لتتكلف في ذلك ما كنا تكلفناه ، من تعب أوليائنا وأتعاب أنفسنا » (133) .

وقد تظاهر ابن واسول أمام الرسول بالاعتناق بما قاله المعز لدين الله ، وجاء في عفوهِ « والله ما هذا إلا من كلام النبوة ، وهذا ابن رسول الله حقا ، وهذا من ميراث حكمته » ، وعندما تحايل للوصول إلى غايته بسؤال المعز لدين الله عن طريق الرسول ، عما يحفظه من حكم ارسططاليس ، وقصده ما أشار به هذا الحكيم على الاسكندر من اصطناع العفو عند المقدرة ، بالنسبة للأمراء والملوك تنبه المعز لدين الله (134) إلى حقيقة ما يرمى إليه ، لكنه أمسك عن ذلك ، وبالع في تجريحه وتأنيبه وبعد أن استغله في التعرف على طبائع الاقاليم وميزات سجلماسة وسكانها بنوع خاص (135) شهر في المهديّة ، على عجلة خاصة صنعت لهذا الغرض (136) ، أمام سمع وبصر وفد سجلماسة وأميرها الجديد ، الذين نقلوا بدون شك بعد رحيلهم صورة مما جرى له ، إلى سكان المنطقة . فانقادوا وأطاعوا ، المنتصر بن محمد ، لفترة طويلة ، وفي غمرة الاضطراب السياسي بتأثير الدسائس الأموية ، ضد الفاطميين في بلاد المغرب ، ظهر من نسل الشاكر لله متغلب جديد انتحل لقب المنتصر بالله لكنه لم يلبث طويلا وقتله أخوه أبو محمد الملقب بالمعز بالله 352 هـ / 963 - 964 م ، الذي استمر أميرا في سجلماسة حتى سنة 366 هـ / 976-977 م عندما امتد نفوذ بني خزر المرابطين إلى الجهة بدعم ومساندة الأمويين عن طريق خزرون بن قفل (137) الذي قتل المعز بالله واحتل سجلماسة وأقام الدعوة باسم الأمويين وصفى بقايا التشيع والخارجية في الاقليم ، لفائدة احياء السنة ، في إطار النفوذ الجديد وقد اعتبر المنصور عمله هاما فأرسل إليه تقليدا بالولاية من طرف الخليفة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله (138) ، ورغم جهود أبي الفتوح يوسف بلكين بن زيري أثناء حملته

133 - نفسه 1 ، 338 ، وما بعدها ، وقد سجن ابن واسول في سقيفة القصر في شهر رمضان وأحضر للصلاة وهو مشدود الوثائق وقد استجيب له لأن عليا بن أبي طالب سبق له أن عامل المسجونين نفس المعاملة : أنظر ، المجالس والمسائرات 2 ، ورقة 399 وما بعدها .

134 - نفسه 1، 340 ، وما بعدها .

135 - النعمان ، المجالس والمسائرات ، 2-570-571 .

136 - نفسه 1، 364-365 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ، 63 ، ويلاحظ أنه ابني محبوبا في المهديّة حتى مات .

137 - وخزرون «أي خزر الصغير» هو ابن أخي محمد بن خزر زعيم مغراوة المشهور .

138 - ابن خلدون : العبر ، 6، 271-273 ، ابن عذاري : البيان القرب 1، 329 ، ويلاحظ موت المعز بالله في نهاية رمضان 367 هـ ، السلوي ، الاستقصاء 1، 90 ، بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة 6 ، ورقة 230 .

المشهوره ضد ثوار بلاد المغرب 368 هـ / 978 - 979 م وتوفيته في ارجاع سجلماسة مؤقتا الى دائرة النفوذ الفاطمي - الزيري، فان سجلماسة بقيت في اطار نفوذ بني خزر ، حلفاء الامويين (139) وقد وليها بعد خزون ابنه وانودين ، ثم حفيده مسعود ، الذي عاصر فتح المرابطين لسجلماسة 445 هـ / 1053 - 1054 م وراح ضحية اجماع فقهاء درعة وسجلماسة الذين استنجدوا بالمرابطين حيث قتل على يد عبد الله بن ياسين الجزولي الذي أجرى اصلاحات هامة في المدينة أعادت اليها اعتبارها كحاضرة اسلامية كبرى وقضت على بقايا نفوذ فرع مفراوة فيها (140) .

ويلاحظ أن سجلماسة لم تكن فقط عبئا على الخلافة الفاطمية ، بل أن فوائد الحاقها بها تجاوزت مجرد تحطيم معارضة الصفرية ومحو الكيان السياسي لبني مدرار الى المجالات الاقتصادية التي عادت بنفع كبير على الخلفاء الفاطميين .

وقد أسهمت سجلماسة في العصر الفاطمي في بعث حركة النشاط التجاري بين بلاد المغرب ومنطقة السودان الغربي حيث منابع التبر ومراكز الرقيق ، وأضحت سوقا تجارية عالمية في دار الاسلام ومحطة صحراوية هامة في طريق القوافل ، ومعبرا لها عندما تتجه نحو السودان أو تنطلق منه الى بلاد المغرب (141) .

وقد درت الحركة التجارية على سجلماسة أرباحا وفيرة حتى بلغت رسوم العبور سنويا أربعمائة ألف دينار وهو مبلغ ضخم بالقياس الى بعد المنطقة وعزلتها في جوف الصحراء .

وكانت القوافل تنفذ من سجلماسة الى حوض السنغال ، عبر صحراء سنهاجة ، كما كانت هناك طرق أخرى عبر واحة وارقلان الى عنق نهر النيجر ، أو عبر واحة الجريد وغدامس الى قلب بلاد السودان (142) .

والحركة التجارية في هذه العصور كانت تساعد على توثيق العلاقات السياسية والثقافية ولم يتخل التجار المسلمون عن واجب التبشير بالاسلام وبمذاهبه بين أمم السودان الوثنية ، وقد قام رجال المذهب الخارجي - صفرية واباضية بالتمكين لأنفسهم في هذه المناطق المنعزلة .

139 - ابن عذاري : المصدر السابق 1،330،341 ، بيبرس العوادار : المصدر السابق6، ورقة 230 .

140 - البكري : المصدر السابق 167 ، السلاوي : المرجع السابق 1،101-102 ، ابن أبي ذرع : المصدر السابق 90-91 ط حجرية ، شعيرة ، المرابطون 57 - 58 .

141 - البكري : المصدر السابق 149 .

142 - شعيرة المرابطون : 16 وما بعدها ، وهنا يشير الى بقية طرق التجارة بين المغرب والسودان .

وبرز دور علماء سجلماسة ودرعة وواحة توات في حركة نشر الاسلام والتبشير به ، وكان عملهم بمثابة مقدمة سهلت على المرابطين أن يقوموا بانجاح حركتهم السياسية الكبرى (143) .

وعندما غدت سجلماسة منطقة نفوذ فاطمية تحول الاشراف على الطرق التجارية مع السودان الى الخلافة الفاطمية وولاتها في هذه الجهات .

وقد اثرى هؤلاء من ذهب السودان بواسطة التجارة وعن طريق تمثيل دور الوسيط وضمان الأمن والارشاد الى المسالك والدروب والرفق بالتجار ، ثم الاحسان الى مقامهم (144) .

ولا يستبعد أن يكون الفاطميون قد فكروا بعد استقرار الأمن ، في مد نفوذهم السياسي والمذهبي وراء سجلماسة ، كما لا يستبعد أنهم أرسلوا دعاة للمذهب ، مبشرين بالاسلام الى بعض مناطق السودان الغربي ، غير أن الحركة لم تثمر ولم يظهر لها اثر يذكر (145) بسبب عدم استقرار النفوذ الفاطمي في سجلماسة ، وفي سائر المغرب الأقصى بسبب منافسة الامويين وغلبة ظاهرة الانفصال عليهم وشيوع الثورة ضدهم في هذه البلاد .

ومع ذلك فاشرافهم على الحركة التجارية وعلى العلاقات بين المغرب والسودان ، كان خطوة هامة في سبيل توطيد النفوذ الاسلامي في المنطقة أثناء حكم الزيريين ، وقد أشيع عن علاقات مودة وصداقة بين ابي الفتح المنصور وبعض ملوك السودان ، أراد الاخرون الإبقاء عليها وتمتينها بهدايا جمة ونادرة أرسلت الى المنصور سنة 382 هـ / 992 - 993 م (146) ، وقد اشارت بعض النصوص الى أن نصير الدولة باديس بن المنصور خرج الى المصلى في هيئة حسنة وبين يديه زرافتان ، وفيل ، وجمل أبيض ناصع البياض ، كان محل دهشة الناس واعجابهم لغرابته (147) .

143 - نفسه ، 24 وما بعدها .

144 - ارشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط 255 ، ترجمة احمد عيسى ، القاهرة 1951 .

145 - شعرة : المرجع السابق 26 ويشير الى ان البجليين في تارودات ، هم ثورة للدعوة الشيعية ويمثلون النزعة المذهبية الفاطمية ، وقد بقوا حتى قضي عليهم عبد الله بن ياسين ، وعن هؤلاء ، انظر البكري 161 ، حيث يصفهم بالروافض ، لكنه ينسب حركتهم الى ادريس ابي القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن ادريس ، ويرجع ظهورها حسب روايته الى ما قبل دخول الداعي بلاد افريقية وكتامة .

146 - ابن عذاري : البيان 353،1 .

147 - نفسه 357،1 .

ولئن بقي تأثير الاسلام ضعيفا في بلاد السودان حتى ظهور حركة المرابطين (148) ، فان بلاد المغرب استفادت كثيرا في الميدان الاقتصادي ، وقد ساعد ذهب السودان ، آخر الخلفاء الفاطميين في المغرب وهو المعز لدين الله على تجهيز أضخم حملة عرفها تاريخ الفتوح الاسلامية ، وهي التي وجهها لفتح مصر (149) .

لم يكن أسر ابن واسول والقضاء على حركته الانفصالية في سجلماسة ، سوى جزء من المهمة الكبرى التي انيطت بعهدة أبي الحسين جوهر الصقلي ، والتي انتهت آخر فصولها عند سبته ، باقرار الأوضاع في المغرب الأقصى وبرد الاعتبار للخلافة الفاطمية عن طريق تأديب الادارة وصنائع الأمويين .

وقد كان توسع الفاطميين في ميدان المغرب قديما وقد تم على حساب أقربائهم الادارة العلويين وفرع بني عمر الذين كان يمثلهم أظهرهم شخصية يحيى بن ادريس بن عمر الذي فرض سلطته في فاس اثر وفاة قريبه يحيى بن القاسم وابدى مقاومة شديدة للحملة الفاطمية التي قادها مصالة بن حبوس 305 هـ / 917 - 918 م ، يساعده ابن عصبته موسى بن أبي العافية ، كما تمنع عن القائد الفاطمي وراء أسوار فاس بعد هزيمته في ميدان الحرب قرب مدينة مكناسة ، ولم يسلم له الا بعد صلح تم بينهما ، وبمقتضاه اعترف يحيى بالولاء والتبعية للمهدي ضمن كتاب أرسل الى المهدي . كما دعا له على منابر فاس ، ودفع أموالا تأكيدا لولائه ، وفي مقابل هذه التضحيات أبقى في مركز حكمه في فاس وأعمالها الى جانب موسى بن أبي العافية المكناسي، الذي عهد اليه بالاشراف عما سوى ذلك من أرض المغرب الأقصى ، وعلى هذه الصورة أصبح المغرب الأقصى منطقة نفوذ فاطمية ، واندمجت دولة الادارة العلويين في اطار الخلافة الفاطمية وأضحى آخر أمراء فاس ، عاملا من طرف المهدي أو حليفا له .

غير أن توزيع مسئولية الحكم بين عاملين ، أحدهما قديم العهد وأصيل ، وشرعي في نظر السكان لنسبه العلوي ، والآخر محدث النعمة ، كل مؤهلاته عصبته المكناسية ، وتظاهره بالولاء للفاطميين كان نقطة ضعف بارزة في سياسة قائد الفاطميين ، لأنها ستؤدي الى الصراع ، وتحمل في

148 - عن حركة المرابطين ودور ابن ياسين بين قبائل اللثام . انظر : شعيرة : المرجع السابق 28 وما بعدها . البكري 164 وما بعدها ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين 100 وما بعدها ، السلاوي : الاستقصاء 1،2 وما بعدها .

E.I. (Art Ribat) T 3, p. 1230-31.

149 - المقرئ : اتماع الحنفا 1،97 س 1 ، ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية 285 ، تعليق 164 . وقد لوحظ أن مبلغ ما صرف على الحملة كان أربعة وعشرين مليون دينار ذهبي .

طياتها بذور الخلاف من أجل السيطرة العليا . اذ لا أهمية للمغرب الأقصى بدون فاس وأعمالها كما أن عزلة هذه عن بقية مدن المغرب أمر غير طبيعي .
ومن ثم حرص كل أمير على الكيد للآخر ، تمهيدا لاستقلاله بالامر ، فكان ابن أبي العافية كلما هم بتصفية نفوذ يحيى بن عمر ، بادره الأخير باظهار مزاياه وفضله ونسبه ، فينصرف عن تنفيذ مخططه ونفسه تنطوي على قلق وغضب ، حتى كانت الفرصة المناسبة عندما قدم مصالة بن حبوس الى المنطقة سنة 307 هـ / 919 - 920 م الذي صدق ادعاءات قريبه وتكب يحيى واستصفى أمواله ونفاه الى أصيلا في منطقة الريف بجوار بني عمه الذين أرادوا مساعدته لاستعادة نفوذه في فاس ، لكنه رفض العودة وغادروهم الى افريقية التي لم يصلها الا بعد أن عانى من الاسر والسجن ، في الكاي - قاعدة موسى بن أبي العافية ، حوالي عشرين سنة ، وفي المهديّة مات جائعا غريبا سنة 332 هـ / 943 - 944 م (150) .

أما فاس وأعمالها التي وليها بعد رحيل مصالة ريحان بن علي الكتامي ، ولم تؤول الى موسى بن أبي العافية الذي بقي مع ذلك على نفوذه الواسع في بلاد المغرب الأقصى فانها سرعان ما استعادها ، فرع بني القاسم الادارسة الذين تزعم ثورتهم الحسن بن محمد بن القاسم المعروف بالحجام منذ سنة 310 هـ / 922 - 923 م . وهو الذي قتل ريحان ، وصفى النفوذ الفاطمي بمساعدة بربر الناحية الذين كانوا يعطفون على الادارسة ، وبهم نشر نفوذه في عدة مناطق أصبحت تدين له بالولاء ، ثم أعلن الحرب ضد موسى بن أبي العافية وهزمه في فحص الزاد قرب وادي المطاحن (بين فاس ، ورباط تازا) وقتل ابنه منهلا ، ثم انقلبت انتصاراته فجأة الى هزيمة ساحقة وتفرق عنه أنصاره ، وانسحب الى فاس حيث تمكن حامد بن حمدان اللوزي من القبض عليه وتقييده وانهاء الخبر الى موسى بن أبي العافية الذي بادر بالتوجه الى فاس للانتقام منه ، ثارا لموت ولده ، غير أن امتناع حامد من تسليم الحجام حيث تركه ينجو بنفسه أساء الى وضعه والى علاقته بموسى بن أبي العافية ، الذي هم بقتل حامد ، لولا فراره الى المهديّة وبقاؤه هناك الى أن رجع بمعية حميد بن يصل بن حبوس المكناسي ، لقتال موسى بن أبي العافية بعد أن خلع طاعة الفاطميين (151) .

150 - البكري : المصدر السابق 125 وما بعدها ويجعل مجيء موسى للمرة الثانية سنة 310 هـ ابن عذاري 301،1 ، وما بعدها ، أنظر 257 منه ، وهنا يحدد مجيء موسى بسنة 309 هـ ، ابن خلدون : العبر 274،6 ، السلاوي : الاستقصاء 1،79 وما بعدها أبو الفداء المختصر في اخبار البشر 2،74-75 ، حسن ابراهيم حسن ، عبيد الله الهندي 194 وما بعدها .

151 - ابن عذاري : المصدر السابق 302،1 ، السلاوي ، الاستقصاء 1،80 وما بعدها ابن خلدون : العبر 275-274،6 ويجعل ثورة الحجام في بداية 313 هـ . البكري 126 - 127 .

وفي هذه المرحلة من توسع موسى بن أبي العافية بدأ مشروع تصفية عناصر العلويين فأجلى الأدارسة عن مدنهم وحصرهم في قلعة حجر النسر ، ولما أراد اقتحامها للقضاء عليهم ، لأمه رجاله على طرفه في العداء لآل البيت بقولهم : « أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتخليه منهم ، هذا شيء لا نوافقك عليه ، ولا نتركك له » فاكتمى بمراقبة تحركاتهم في الحصن بواسطة قوة أسند قيادتها لأبي الفتح التسولي المكناسي (152) ، وبعد أن ترك ابنه مدينا نائبا عنه في فاس ، حول وجهته إلى تكور ومراكز العلويين في جراوة ، وتلمسان وأرشقول ، فأدرك مجدا كبيرا ولم يعد إلى فاس ، إلا بعد أن أصبح جزء هام من المغرب الأوسط تابعا لنفوذه ويشمل ما بين تاهرت والسوس الأقصى (153) .

واختفاء مصالة بن حبوس ، واضطراب أوضاع الخلافة الفاطمية في آخر عصر المهدي ، واتساع نفوذ موسى ورغبته في الاستقلال بالتدبير وعصبيته البثرية ، هي التي كانت وراء انفصاله عن الفاطميين وارتباطه ظاهريا بالولاء لأعدائهم الأمويين .

وإدراك المهدي لخطورة هذه الحركة على مصير الجزء الغربي من الدولة الفاطمية هو الذي أوحى إليه بالإسراع في إخمادها والحد من عدواها ، بجهد مشترك بين كتامة ومكناسة تولى الإشراف عليه حميد بن يصل المكناسي ابن أخي مصالة الذي تمكن من هزيمة موسى بن أبي العافية بفحص ميسون فانسحب موسى إلى تسول ، كما لحقه ابنه مدين ، وقائد الجيش الذي كلف بحصار الأدارسة بعد هزيمة على أيديهم . وهكذا سيطر ابن يصل على الوضع السياسي ، وعين حامدا بن حمدان اللوزي عاملا على فاس ، بينما أصبح خصمه ، وقائد حركة الثورة ضد المهدي ، محصورا في مضارب مكناسة (154) .

غير أن هزيمة موسى لم تقض على قوته ولم تحد من نشاطه ضد النفوذ الفاطمي ، ومن ثم نلاحظ أن أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي الذي ثار في فاس ، وقتل حامدا بن حمدان ، أرسل رأسه إلى موسى بن أبي العافية الذي وجهه بدوره إلى الأندلس الأموية .

152 - البكري ، 127 ، ابن عذاري 304،1 ، ابن خلدون 275،6 .

153 - ابن عذاري 274،1 ، ابن خلدون 276،6 ، السلاوي ، 81،1 .

154 - ابن عذار 304،1 ، ابن خلدون : العبر 276،6 ، السلاوي ، الاستقصاء ، 82،1 ، البكري 128 ، وتتفق النصوص على أن سبب غضب المهدي على حميد بن يصل ، إنما يعود لابقائه موسى بن أبي العافية بدون عقد جديد ، وفي وضع الثائر الموالي لأعداء الفاطميين . ولعل ابن يصل كان يبيت الانتفاض ضد الفاطميين ، لذلك لم يتصرف كما يجب بالنسبة إليه . ويبدو أن وضع مكناسة تآثر بموت مصالة بن حبوس وعدم اقتناعهم بالذهب الأسماعيلي وقرب بلادهم من الأندلس شجعهم على نبذ طاعة الفاطميين والتقرب من الأمويين ، أبو الفداء 75،2 .

وأكبر هزيمة حلت بموسى بن أبي العافية وأعوانه انما كانت في بداية عهد القائم بأمر الله وبجهد بذله مولى أبيه ميسور الكبير ، منذ سنة 323 هـ / 934 - 935 م (155) . اذ تحفظ على أحمد بن بكر الذي تظاهر بالولاء وأرسله الى المهديّة واقتحم فأسا بعد حصار طويل ، وأقر ما اتفق عليه سكانها بعد اعلان ولائهم وتبعيتهم للقائم بأمر الله وترك حسنا بن قاسم اللواتي واليا عليهم ، وهاجم موسى بن أبي العافية بمساعدة الأدارسة خاصة فرع بني محمد بن القاسم فأسر ابنه البوري ، وألجأ الى الصحراء حيث بقى مشردا حتى توفى 328 هـ / 939 - 940 م ، أما مراكز نفوذه ، فقد آلت الى الأدارسة بموافقة ميسور الفتى (156) .

وهكذا بقى الوضع السياسي في بلاد المغرب كما أقره ميسور الفتى ، حتى عصر المعز لدين الله الذي أراد استصلاح ابن بكر الجذامي وجلبه للتعاون مع الفاطميين (157) ، فأقره على ولاية فاس بدلا من حسن اللواتي ، وعهد اليه بالإشراف على ابقاء ولاء المغرب الأقصى للفاطميين (158) .

بيد أن ابن بكر ، خيب الظن فيه ، وبقى على ولائه للامويين وتصدى لأنصار الفاطميين وقتل كثيرا منهم كما تزعم حملة تشهير ضدهم في المنطقة أظهرتهم في صورة ساخرة ، ومن ذلك قوله « هؤلاء الفواطم تسترضي أحدهم بقلّة من نبيد » (159) ، وقد تصدى لحملة جوهر وتحصن في مدينة فاس ، فأتعب رجال الحملة وأعنتهم ، ولم تلت قناته حتى اقتحمت فاس بجهود بدلها زيري بن مناد ، وأخذ ابن بكر أسيرا حيث شهر في المهديّة ، وبقى في سجنه حتى مات .

وبما أن الظفر بابن بكر ، يعتبر عملا موجها ضد نفوذ الأمويين في المنطقة فقد حرص جوهر على اظهار قوة الفاطميين في أقصى بلاد العدو ، وتحدى نفوذ الأمويين بحصار سبته قاعدتهم الحصينة ومركزهم الهام في الاتصال

155 - ينرد البكري بخبر النجدة التي أرسلها القائم بأمر الله الى ميسور الفتى ، ابطات أخباره عنه وقد قادها صنبل الفتى الأسود منذ شهر جمادي الآخر 323 هـ ، انظر 98 - 99 منه . Levi Provençal op, cit T 2, p. 100-101.

156 - ابن عذاري 1، 296-297 ، 304 ، البكري 128، 129 ، ابن خلدون العبر ، 6، 277 ، ابن الأثير : الكامل ، 8، 284-285 ، السلاوي : الاستقصاء ، 1، 82-83 (ط 1) (171 - 172 ط 1954) ، بيبرس النوادر : المصدر السابق ، 6، 145 ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، 69 ، العزيزي الجوزدي ، سيرة جوذر 180 ، تعليق 103 ، حسن إبراهيم : عبيد الله المهدي 198-199 ، مصطفى غالب ، اعلام الشيعة 496 - 497 .

157 - ابن خلدون : العبر ، 6، 278 ، السلاوي ، 82، 1 .

158 - ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، 63 ، ابن خلدون : العبر ، 4، 96 ، إبراهيم جلال : المعز لدين الله ، 41 ، وينسب لزناته .

159 - النعمان : العجاس والمسائرات ، 2 ، ورقة 442 ، وما بعدها .

بزعماء المغرب وإدارة الريف ، وفي الانطلاق نحو مراكز النفوذ الفاطمي في هذه البلاد .

وصراع الفاطميين والامويين من أجل السيادة العليا في المنطقة ابتدأت فصوله الأولى منذ عهد عبید الله وامتدت حتى عهد الحاكم بأمر الله . وقد اتخذ كل فريق أسلحة حادة للنيل من خصمه ، وأحداث ثغرة في نظامه . وبان أثناء حلقات الصراع ، غلبة طابع الهجوم من الجانب الفاطمي ، ضد الجانب الأموي الذي غلب على مواقفه طابع الدفاع عن كيانه السياسي والمذهبي .

وكانت وسائل الأمويين في النضال متعددة مثل خصومهم الفاطميين ومنها :

— تحويل نظام الإمارة الأموية إلى نظام خلافة في عهد عبد الرحمن الثالث الذي لقب نفسه بالناصر ، وانتحل لقب أميرة المؤمنين 317 هـ / 930 م ، وأصبح ذلك تقليداً لسائر حكام بني أمية حتى عصر الطوائف ، وكان الهدف من ذلك ، أن لا يترك جمهور السكان في الأندلس والمغرب يتجهون بعواطفهم نحو المهدي ، وبقية الخلفاء الفاطميين بعده (160) .

— وقد تلا ذلك احتلال سبتة 319 هـ / 931 - 932 م والاهتمام بتحسينها وبحاميتها وطردها بقايا أسرة بني عصام منها ، لأنهم كانوا أتباعاً للإدارة وهؤلاء كان موقفهم مشبوهاً (161) . وعامل سبتة من طرف الناصر الأموي ، هو الذي قاوم حملة جوهر واحتفظ باستقلال مدينته وأرسل إلى الناصر بعد انسحاب الحملة يصور له الوضع ، وجهوده في دحر قوة الفاطميين (162) ، بالتعاون مع القادة العسكريين (163) .

— وقد عمل الناصر الأموي ما وسعته جهوده على جذب أنصار الفاطميين ، وولاتهم على النواحي بمختلف الوسائل والأغراءات وبسبب ذلك ، ثار موسى بن أبي العافية ضد المهدي الفاطمي كما ثار أحمد بن بكر الجذامي ، وعمل كل منهما على تصفية النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب .

160 - ابن عذاري : البيان المغرب ، 2 ، 235 - 236 ، أرشيبالد لويس ، المرجع السابق 413 - 414 ، ويعمل الأخير الفاطميين مسؤولية الانشقاق في العالم الإسلامي ، مختار العبادي : سياسة الفاطميين في المغرب والأندلس 205 وما بعدها صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد 5 ، 1954 .

161 - نفسه 1 ، 316 ، 324 ، 388 - 389 ، وانظر ج 2 ، 307 ، وقد أسقط الحكم المستنصر (353 هـ) جميع الوظائف الخزنية والفارم السلطانية على سكان سبتة ، ووظف ما هو مطلوب منهم على سكان أشبيلية ، العبادي : العجل في تاريخ الأندلس 127 - 129 .

162 - نفسه 1 ، 317 .

163 - نفسه 2 ، 333 .

Levi Provençal op, cit T 2, p. 98 sq.

كما دعم الأمويون حركات مغراوة ، وبني يفرن ضد الفاطميين . وأسندوا إلى زعمائهم مسؤوليات كبرى ليخلصوا في الوقوف إلى جانبهم ، ومن هؤلاء يعلى وابنه يدو ، ثم محمد بن خزر ، وابنه الخير ، وحفيده محمد ، وزير بني عطية وأسرته .

ولم يخف الأمويون تأييدهم لحركات الثورة والعصيان ، ضد نفوذ الفاطميين سواء في نكور ، أو في تاهرت وسجلماسة ، كما ارتاحوا لحركة أبي يزيد التخريبية وأيدوها لأنها حركة زناتية وبني يفرن من أعوانهم ، وقد استقبل الناصر مبعوثين عن أبي يزيد ، ومنهم ابنه أيوب في عاصمة الخلافة بالزهراء (164) . كما حرص على رعاية فقهاء المالكية في مصر الاخشيدية ، وأرسل اليهم أموالا كي ينشطوا في الدعوة ضد الفاطميين (165) .

وقد هيا الأمويون للقادة الذين فروا من بطش الخلفاء الفاطميين ، مقاما طيبا ، وأسندوا اليهم مهمات ادارية كبرى ، ومن هؤلاء حميد بن يصل بن حبوس (166) ، وأسرة علي ابن حمدون أمراء اقليم الزاب (167) .

وابن يصل ، هو الذي لعب دورا كبيرا في ضم تلمسان وغيرها ، وفي جلب كثير من قبائل المغرب الاوسط إلى الأمويين ، وقد استأمن اليه مجموعة من قادة كتامة ، فأرسلهم إلى قرطبة ، حيث استقبلهم الناصر الأموي في قصره بالزهراء في جمادي الاولى 344 هـ / اغسطس 955 م - وجباهم بالطفاه ثم أرجعهم إلى حميد بن يصل ، قائد العدة المغربية (168) .

164 - ابن حماد : المصدر السابق 39 ، ابن الأنبار : العلة اليسراء، 2، 390-391 .
Levi Provençal op, cit T 2, p. 103-4.

165 - السيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين 303 ، ابن فرحون : الديباج المذهب 248 - 249 ، (ط1، 1351 هـ) عن أنشط العناصر المالكية في الدعوة والتشهير ضد الفاطميين وهو أبو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان الأندلسي ، المعروف بابن القرطبي رئيس المدرسة المالكية في مصر ، الذي كان يدعو على نفسه بالموت قبل دخولهم مصر بقوله « اللهم امتني قبل دخولهم مصر » فاستجاب الله له ، وتوفي في جمادي الاولى 355 هـ ، انظر عنه بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة 6، 201 . ويشبهه في كراهيته للاسماعيلية ، ولامتداد نفوذ الفاطميين إلى المشرق ، أبو بكر محمد بن علي النابلسي ، الذي تزعم ثورة ضدهم في طبرية . وكان مالكا متحمسا ، ويفتي باستحلال دم كل من جاء من المغرب في ركابهم ، انظر عنه عياض : ترتيب المدارك مجلد 2 ، ج 3 ، 301 ط . بيروت .

166 - ابن عذاري ، 1، 317 ، وقد وصف بصاحب « نيكساس وتلك الجهات كلها » من أرض المغرب الاقصى ، وانظر 2، 328-329 منه .

167 - ابن خلدون : العبر 4، 177-180 ، ابن خلكان 1، 113 ، سيرة جوتر 175 تعليق . 82 .

168 - ابن عذاري 2، 330-331 .

ويث الامويون عيونا ورقباء في جهات كثيرة من بلاد المغرب وافريقية ، كانت مهمتهم بدون شك ، بث الافكار المضادة للنفوذ الفاطمي وكان هؤلاء يتسترون بالتجارة أو بالزيارة للرواية . وكانت مدن المغرب وافريقية تحتضن جاليات اندلسية نشيطة .

ومن ذلك أن بعض النصوص تشير الى حادثة تعذيب أبي جعفر محمد بن خيرون ، من أبناء التجار الاندلسيين في القيروان 300 هـ / 912 - 913 م بسعي خاص من المروزي يدعى أنه كتم أمر وديعة كانت في عهده (169) ، فهل يتصور بسهولة أن رجلا في مثل غناه وبسطته ، وكان صاحب فنادق وتجارة يكتفم وديعة ؟ ثم نتساءل عن هؤلاء الذين عرفوا خبر الوديعة وشهدوا ضده ؟ أنهم فيما يبدو عيون المهدي ، وعناصر الشيعة في المدينة الذين كانوا ينقمون على أهل اليسار يسارهم . وهل من أجل وديعة يعذب شخص له ظهور في الحياة الاجتماعية حتى يموت تحت طائلة التعذيب ؟ ان الذي يبدو أقرب الى التصديق ان اسباب تعذيبه تدخل في إطار الصراع بين الامويين والفاطميين ودوافعه سياسية ومذهبية .

وقد اشارت بعض النصوص الى ظهور حركة تشهير كبرى في المحمدية تحت اسم عاملها الفاطمي ، جعفر بن علي بن حمدون ، الذي لم يتحرك لكتبتها والقبض على زعيمها : عثمان بن أمين الذي كان « يقدر في الدولة ويكاتب بني أمية ، ويرعون ذمامه هناك ، ويقضون حوائجه . »

ويلاحظ ان رقباء الفاطميين في المحمدية هم الذين انهوا اخبارها الى جوذر ، الذي بلغها في حينها الى المعز لدين الله دون تخرج من والي المحمدية ، فكانت ردود فعل الخليفة مؤيدة لما سمعه جوذر ، عن حماية جعفر بن علي لصاحب هذه الحملة وتعاطفه معه (170) .

169 - ابن عذاري : البيان ، 1، 235 ، الدباغ : معالم الايمان 2 ، 197 - 200 وقد وصف ابن خيرون بالفرضي والشهيد أيضا - ويشير العبادي : سياسة الفاطميين في المغرب والاندلس 205 ، الى بعض عيون الفاطميين مثل ابي اليسر الشيباني وأبي جعفر البغدادي ، وابن حوقل . والذي يلاحظ أن الشيباني وأبا جعفر كونا ذكريات عن بلاد الأندلس وأهلها ، عند مرورهما بالامارة الأندلسية في عهدي محمد بن عبد الرحمن وعبد الله ، وقدنا جبهما للعناصر الأندلسية معروفا لدى المهدي ، الذي قربهما اليه ، وقد خدم الشيباني نظام الأغالبة ، ومر بالاندلس قبل قيام الخلافة الفاطمية ، ولما توفي ، خلفه في مهمته أبو جعفر منذ سنة 298 هـ ، انظر ابن عذاري ، 1، 224-225 علي مكي : التشيع في الأندلس 112-115 ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مجلد 2 سنة 1954 .

170 - المزيزي : المصدر السابق 123-124 .

وقد التجأ الأمويون منذ عهد الناصر ، الى سلاح حاد هو لعن الفاطميين والتشهير بهم في سائر بلاد الاندلس والمغرب الاقصى ووصفهم بملوك الشيعة مبالغة في الإنكار عليهم لانتحالهم لقب امرة المؤمنين (171) .

وطرد العناصر المشبوهة من الاندلس وتبع المتشيعين والتضييق عليهم وقتل من تظاهر بالدعوة للفاطميين منهم مثل أبي الخير الداعي ومراقبة السكان والتشديد عليهم في التزام مذهب مالك بن أنس ، من الوسائل التي واجه بها الأمويون حركات اعدائهم الفاطميين (172) .

ولم يتورع الأمويون عن استعمال سلاح القرصنة للقضاء على القوة البحرية لأعدائهم الفاطميين ، وللإطلاع على طبيعة علاقاتهم بالانظمة السياسية المجاورة ، اذ تشير النصوص الى حادث استيلاء البحارة الاندلسيين الذين كانوا متجهين نحو الاسكندرية في مهمة خاصة 344 هـ / 955 - 956 م على مركب كان يحمل رسولا ، وكتبوا الى المعز لدين الله من جزيرة صقلية ، فاستاء المعز لدين الله وجهز اسطولا ، عهد بقيادته الى الحسن بن علي الكلبى ، وكلفه بتأديب الأمويين ، فنزل الحسن مرسى المرية - قاعدة الاسطول الأموي - واحرقه ، واخذ مركب الخليفة الناصر ، بما فيه من امتعة وجوار وصلت لحينها من الاسكندرية ، كما نزل بحارة الاسطول الفاطمي في البر الاندلسي وارتكبوا اعمالا سيئة ورجعوا الى قاعدة المهديّة غانمين (173) .

وقد رد الخليفة الناصر على هذه الاعمال ، بعدة حملات بحرية وجهت منذ 345 هـ / 956 - 957 م ضد مراكز النفوذ الفاطمي في افريقية والمغرب الاوسط وأسفرت عن احراق مرسى الخرز وسلب نواحي سوسة وطبرقة وشرشال (174) .

171 - ابن عذاري : البيان ، 2، 330-331 ، وفيه قوله «امر» : الناصر « باطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الاندلس وانفاذ كتبه بذلك الى العمال في سائر الاقطار » .

172 - ابن سهل : الاعلام بنوازل الاحكام ، وقرر من سر القضاة والحكام . خ حسن حسني عبد الوهاب . انظر قطعة منه في حوليات الجامعة التونسية ص 61 وما بعدها . عدد (1) سنة 1964 .

173 - بيبيرس النوادر : المصدر السابق 6 ورقة 186 ، ابو الفداء ، 2، 106 ، ابن الوردي ، 1، 286-287 ، الشرفاوي ، البحرية الأندلسية 43 (رسالة ماجستير) 1935 .

174 - ابن خلدون ، 4، 96 ، السلاوي ، 1، 87-88 ، ابن عذاري : البيان ، 2، 330-333 ، الشرفاوي : الرجوع السابق 42 . Levi Provençal op, cit T 2, p. 108.

وقد وصل العداء الاموي للفاطميين الى غايته القصوى سنة 395 هـ / 1004-1005 م في حركة الوليد بن هشام ، الذي ادعى انتماءه لبني امية وعرف بأبي ركة واستبد بشؤون برقة ، وجعل هدفه مصر وكان أعوانه هم أعداء النفوذ الفاطمي في المغرب من لواتة ، وزناتة ، وعملاؤه في مصر ، هم عرب بني قرة ، فهؤلاء وأولئك هم الذين ارتضوا امامته وصدقوا ادعاءاته بأنه « هو الذي يملك مصر ، ويقتل الجبابرة » (175) .

وخطورة الحركة ، تكمن في اعتمادها على عصبية قوية ، وعلى دعوى دينية ، ثم في قربها من مركز هدفها ، وهو اسقاط نظام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فهي أشبه الحركات بثورة أبي يزيد في الدور المغربي وبثورة القرامطة في الدور الشرقي للخلافة الفاطمية ، وهذه الثورات كلها جعلت الوجود السياسي للخلافة الفاطمية محل اختبار .



وكانت وسائل الفاطميين في الصراع مع الامويين تعتمد أساسا على :

— سلاح الدعوة المذهبية ، فقد أرسل الخلفاء الفاطميون دعاة الى اطراف بلاد المغرب والى عمق شبه جزيرة الاندلس ، كما اصطنعوا عناصر من بين سكان البلاد وكلفوهم بنشر آرائهم واحداث القلاقل والفوضى والنزاعات المذهبية وتخذيل السكان عن الخلافة الاموية والظن في حكامها ، تمهيدا لصرفهم عنها وتحول ولائهم الى الخلافة العلوية .

— وتشجيع الثوار ، والمنتقذين في الأطراف ، مثل ابن حفصون وغيره ، كان أسلوبا للعمل ضد استقرار وأمن الخلافة الاموية في قرطبة .

— ومحاولة احكام الحصار حولها والاستيلاء على المراكز المجاورة لها التي تعتبر مجالها الحيوي ، في أرض المغرب الاقصى ، وتحديها باظهار قوة الدولة الفاطمية ، أمام طنجة وسبتة وتاديب انصارها ، والانتقام من

175 — ابن عذاري : البيان ، 1، 370-371، ابن الاثير : الكامل ، 9، 74-75 ، الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا 206-207 ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 247-252 : العبادي : سياسة الفاطميين ، 208 وما بعدها علي مكي : التشيع في الاندلس 120 ، النوري : المصدر السابق ج 26 ورقة 54 وما بعدها .

المؤيدين لها من زعماء زناتة وأمراء تكور والأدارسة ، كان عملا مقصودا لعزلها وبث الرعب بين سكانها ، تمهيدا للاتقضاض عليها في المرحلة التالية (176) .

— ومن أقوى الأسلحة ، التشهير بماضي بني أمية في الإسلام وبموقفهم من الحركة الإسلامية ، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم اذ استمروا في عدائهم لآل البيت وسفك دمايهم واغتنام الفرصة لتشريدهم في الآفاق ، وتعقب آثارهم .

وتصدر المعز لدين الله حملة التشهير ، والقدح في الخلفاء الامويين ، فكان يصفهم « باللعناء » و « الأرجاس » ، و « الفسقة » ، و « طرداء رسول الله » ، ويطعنهم في نسبهم ، ويبالغ في تحقيرهم الى درجة انه قال لبعض من سأله عن نسبهم « الى أي ينسبون ، الى الكلاب ، او الى القردة او الى الخنازير ، والله انها لخير ممن انتسبوا اليه ، وأن من انتسبوا اليه ، أسوأ حالا منها فدعوهم وما ادعوه ، فكفاهم عارا وخزيا بانتسابهم اليه » (177) .

وكان المعز لدين الله ، يصف عبد الرحمن الناصر ، بالمتغلب ، ويلعنه كلما ورد اسمه في المجالس ، ويعني ذلك أن الحق في حكم بلاد الاندلس ليس له ، وانما هو للخلفاء الشرعيين من نسل علي وفاطمة (178) .

ولاحظ المعز ان اقدامه على الامر بلعن الفاطميين على المنابر ، ان هو الا صورة مكررة من العداة بين الامويين وآل البيت او بين بني أمية وبني هاشم ، وصدى لما كان يفعله معاوية بالنسبة لعلي بن أبي طالب وهو في نهاية الامر ، أسلوب لا يشرف أسرته ، ان كان يعتقد نسبتنا الى آل البيت ، ولن يفيد ان كان ينكر نسبتنا العلوي ، مثلما لم يستفد أسلافه من قبل عندما كانوا يحاشون ذكر ما اشتهر به الرسول من القاب وكنى ، ويكتفون بلقب المذم (179) .

176 — النعمان : المجالس 2، 499 ، ومن ذلك قول المعز لدين الله يخاطب بعض الوفود «ومن ذا يعد أنا الأرجاس من بني أمية ، ومن هو في مثل حالهم ، الا من أعمى الله قلبه ، وغلقت عليه شقوته وحيله » .

177 — نفسه ، 1، 22-23 .

178 — نفسه ، 1، 238 .

179 — نفسه ، 1، 85-86 .

وفي الوقت الذي كان فيه المعز لدين الله يقود حملة الطعن ضد الامويين في افريقية والمغرب ، اثمرت حركة الدعوة الاسماعيلية ونجحت جهوده ، وجهود اسلافه في عمق بلاد الاندلس وظهرت حركة اسماعيلية كبرى تدعو للثورة ضد الحكم المستنصر ، والولاء لأبي تميم معد بن اسماعيل، وتزعمها داع اسماعيلي من بين سكان قرطبة ، هو أبو الخير الداعي الذي وصفه أعداؤه بأبي الشر ، وشهدوا عليه بما كان يذيعه من آراء غريبة حول الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والخلفاء الامويين .

وحركة أبي الخير كانت اخطر الحركات التي واجهها نظام بني أمية في الاندلس ، بعد وفاة عبد الرحمن الناصر وقبل انتقال المعز لدين الله الى مصر (180) .

وخطورة هذه الحركة تظهر في كونها لم تقتصر على قرطبة والزهاء ، وانما كان لها تأييد في سائر كور الاندلس « وليس في الاندلس بلد ، الا وهو يغلي بالشهادات عليه بما أذاع فيهم من هذا الالحاد » (181) .

ولم يكن أبو الخير وحده في الدعوة للفاطميين بل كان له أعوان ومؤيدون في جهات من بلاد الاندلس أيضا « وقد بلغني أن جماعة على مذهبه ، أمرت الحكام بالتشدد عليهم واخافتهم (182) .

وكان أبو الخير صريحا ، وجريئا في الدعوة لمذهب الغلو ، وللثورة ضد الحكم المستنصر لاسقاط نظامه بالقوة « ما كان أملي من الدنيا الا خمسة آلاف فارس ، أدخل بهم الزهاء وأقتل من بها ، وأقوم بدعوة أبي تميم وكذلك يكون » (183) .

وكان يذيع بأن قتال بني أمية والفقهاء المالكية أفضل من قتال الأعداء والمشركين (184) ، ويعترف صراحة « بأن جرایة الشيعي عليه وعلى أصحابه جارية » (185) وبأنه لو استطاع حرب بني أمية ، وقتل أنصارهم وسبي نسائهم ، وذرائعهم لما تأخر لحظة واحدة « ولو كانت تسعة أسياف لكان سيفي العاشر ثم أضع سيفي في باب القنطرة فلا نبقي أحدا » (186) .

- 180

Dachraoui tentative d'infiltration shiite en Espagne Musulmane sous le règne d'Al-Hakem p. 97 sq. Revista Alandalus. T. 2, p. 3. 1958.

181 - ابن سهل : الاعلام بنوازل الاحكام - قطعة منه 76 . حوليات تونس 1964 .

182 - نفسه 74 .

183 - نفسه 61 .

184 - نفسه 69 .

185 - نفسه 68 .

186 - نفسه 66 .

وقد لوحظ عليه تعاطفه مع أحداث الفاطميين في بلاد المغرب ، فقد اعتبر توفيق جوهر في حملته نصرا ، هو مقدمة لفتح بلاد الاندلس (187) ، وانكر على أحد المهاجرين من القيروان خروجه عن بلده ، بدعوى أن الفاطميين « هم أهل الحق والسنة ، ولا ينجي منهم الفرار » كما كان يهتم بحال العلويين في المشرق أيضا وقد سأل بعض القادمين منه عن حال العثمانية والبكرية والعلوية ، ولما أجابه بغلبة النزعة العلوية ، رد عليه بقوله « هذا الحق كانك ترى الالوية خارجة من داري » (188) .

وقد نقلت عن أبي الخير كثير من الآراء المتطرفة حول القرآن ، والسنة والخلفاء الراشدين ، وعائشة ، كما عرف عنه التهتك ، والانحلال الخلقي ، وترك الفرائض ، وانكار الحساب والعقاب ، واعتبار الملائكة بنات الله ، والمساجد دورا للبقر ، ثم سخريته ممن يصلون أو يحجون لأنهم « يتعبون أبدانهم ، ويقصدون حجارة صماء » ونقل عنه أيضا أنه تمنى أن يقلع الحجر الأسود من مكانه مثلما فعل غلاة القرامطة من قبل (189) .

وعندما استفاضت حركة أبي الخير ، وشهد عليه أربعة وأربعون شاهدا ينتمون الى طبقات مختلفة في المجتمع الاندلسي (190) عند صاحب الشرطة وهو قاسم بن محمد ، الذي اعتمد شهادة ثمانية عشر منهم لمعرفة آياهم ، وتأكده من صحة شهادتهم ، استشار الأخير ، الفقهاء منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة وأحمد بن مطرف صاحب صلاة الجماعة وإسحاق ابن إبراهيم في أمره ، فأفتوا بوجوب قتله دون اعدار ، بعد استطلاع رأي الحكم المستنصر ، وكان هذا رأي صاحب الشرطة أيضا ، على خلاف من أفتى بالاعدار اليه أولا قبل قتله .

وقد أقر الحكم المستنصر الرأي الاول ، وكتب الى وزيره عيسى بن فطيس باستحسان رأي الفقهاء ، منذر بن سعيد (191) ورفقائه ، وجاء في سجله قوله « ورأيت هذا الامر « التشيع » قد كثر ، وكان ممنوعا مطروحا ،

187 - ابن سهل : المصدر السابق ، 69 .

188 - نفسه 65 - 66 .

189 - نفسه 64 .

190 - نفسه 75 .

191 - وعن شخصية منذر بن سعيد ودوره في حياة الخلافة الاموية بالزهراء ، انظر الخشني ، طبقات 175 ، ابن الاثير : الكامل 243،8 . الفتح بن خاقان : مطمح الأنفس ومسرح الناس في ملح أهل الاندلس 37-46 . ط الجواب 1302 ، وعن احتمال ميله للتشيع ، انظر : علي مكي : التشيع في الاندلس 109-111 .

فتقدم الى القاضي والحكام بالاخذ على أيدي الناس في هذا فمن خالف مذهب مالك بن أنس بالفتوى أو غيره ، وبلغني خبره ، أنزلت به من النكال ما يستحق « (192) .

وإثر قتل أبي الخير ، ظهرت أصداء استحسان عند الفقهاء ، الذين كتبوا - على لسان اسحاق بن ابراهيم بتأييد الحكم المستنصر وتهنئته على قطع دابر الإلحاد والتطرف (193) . فرد عليهم بالشكر وبأنه أمر بملاحقة جميع من يشتبه في أمره في سائر بلاد الأندلس ، أو يفتي بغير مذهب مالك بن أنس ، وبإدراك طلاب العلم الى نسخ سجل الخليفة ولما تساءلوا عن حقيقة الجدل الذي جرى حول قتله هل يكون باعذار أو بغيره ، كان رده حاسما ، وقاطعا لكل ريبة أو اشتباه « لم تجر بيني وبين أصحابي فيما سألتهم عند المذاكرة، أكثر من اجتماعنا على وجوب قتله بغير اعذار » (194) . وأوضح لهم ، أنه يكفي لقتل هذا الملحد تخذيله للسكان وتحريضه على الثورة والطمع على الخليفة وجنوحه لاستعمال القوة ضد رعيته لقتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم . وقد بلغت جرأته ، أن نصح قوما في نسائهم بأن « يطلقن الجرم ، ويتخذن الظفائر ، ويستعددن بها ، فانهن عن قريب يمتحن بالسبي من الشيعة ، وأنه مقدمتهم اليهن » (195) .

ويبدو أن حركة أبي الخير ، لم تكن الوحيدة ، في شبه جزيرة الأندلس (196) ، غير أن انتقال الفاطميين الى مصر هو الذي أضعف أنصارهم في كل الجهات المغربية وجعل حركاتهم ضعيفة ، وأصداءها خافتة .

وإثناء حركة الصراع يلاحظ أن الإدارة كانوا سلاحا ذا حدين ، استخدمه كلا الطرفين ضد الآخر ، ووجد كل منهما في الأمراء الإدارة المذبذبين صنائع وأعوانا . فيحيى بن ادريس ، من بني عمر ، تعاون مع الفاطميين واستمر كذلك حتى طرد من فاس (197) . والحسن الحجام ، من بني القاسم ، أظهر العداوة ، وعمل لنفسه حتى هزم (198) . غير أن

192 - نفسه 70-71 .

193 - ابن سهل ، 71-73 .

194 - نفسه 74 .

195 - نفسه 78 .

196 - ومن ذلك ثورة غلام المطار المعروف بالفصيح الذي ادعى الخلافة وأنه ابن المهدي الفاطمي وثار في مدريد ، انظر عنه علي مكي صحيفة الدراسات ، مدريد ، مجلد 109 سنة 61-62 ص 502-503 .

197 - ابن عذاري : المصدر السابق ، 1، 301 .

198 - نفسه 1، 302 .

مساعدة رجال هذا الفرع ، وهم حسن ، وقنون ، وإبراهيم ، لميسور الفتى كانت مفيدة ، لذلك لقوا منه جزاءها في تمليكهم على النواحي (199) .
 وأثناء حملة جوهر الكبرى - فر الى قرطبة ، الحسن بن قنون ، ناجيا بنفسه من بطش أبي الحسين لولائه للامويين (200) ، واستمر على ولائه لهم ، لقرب بلاده ، من مركز ثقلهم وخوفه من حركات تأديبية يوجهونها ضده ، وعندما انس من نفسه القوة ، قطع الدعوة المروانية ، وتكل بأعوانها ، وساعد الأمير الزيري في جهوده لاقرار الاوضاع في أرجاء بلاد المغرب (201) ، غير أن الحكم المستنصر ، انزل به هزيمة وأسره في قرطبة فترة ثم طرده منها فاتجه نحو مصر في عصر العزيز بالله ، الذي احتفى به وأكرمه ووعدته بالمساعدة على استرجاع مجد الادارسة في منطقة الريف وبلاد المغرب ، وقد تمكن هذا الامير من احياء نظام الادارسة لفترة قصيرة 375 - 373 هـ / 983 - 986 م ، لقي اثناءها مساعدة الزيريين ، بيد أن توالي الضغط عليه من الحاجب المنصور ، الذي أصبح مستبدا بشؤون الخلافة الاموية في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم الجاه الى طلب الامان والتوجه الى قرطبة حيث قتل في طريقه اليها في جمادى الاولى 375 هـ / سبتمبر 985 م ، وبموته ينتهي الدور السياسي للادارسة وينمحي كيانهم ، وتتلشى أسرههم وسط محيط السكان في الريف ، وبقيّة المغرب الاقصى (202) .

ولا ريب أن تطف العزيز بالله بالحسن بن قنون ، كان حلقة في سلسلة الصراع السياسي والمذهبي بين الامويين والفاطميين الذي استمر بعد انتقال الفاطميين الى مصر يوجهه خلفاء المعز لدين الله في القاهرة وينفذه نوابهم الزيريون في بلاد المغرب .

199 - نفسه 297،1 .

200 - نفسه 316،1 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق 63 .

201 - ابن أبي زرع 63 وما بعدها ، الشرفاوي : البحرية الأندلسية 46 .

202 - ابن عذار 364،2 - 369 ، زيباور ، المرجع السابق 103،1 ، السلاوي 1 ، 89 ، ويعقب على موت ابن قنون بقوله « وركدت ربح العلوية بالمغرب ، وتفرق جمعهم ، وانقرضت دولتهم وتفرقت الادارسة في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء الى أن خلعوا اشارة ذلك النسب الشريف واستحالت صيغتهم الى البداوة » ، ابن أبي زرع : المصدر السابق 66 ، ويفسر سر ذبلبتهم وسقوطهم بقوله : « كان الادارسة ينايئون مملكتين عظيمتين وغاليتين كبيرين : وكانوا ينازعون الخلفاء الى درك الظلقة ، ويقعدهم ضعف سلطانهم ، وقلة مالهم فكان سلطانهم اذا اشتد وقوى الى مدينة تلمسان ، واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لا يجاوز سلطانهم البصرة وأصيلا وحجر النسر ، الى أن اغتراهم الادبار ، والرقّة وانقضت ايامهم وانقطعت مدنهم » .
 Levi Provençal op, cit T 2, p. 196, 263-4.

ويبدو أن صنيع الامويين بالحسن بن قنون ومعاملتهم له بقسوة متناهية ، هي التي دفعت العزيز بالله الى ارسال كتاب تشهير وهجو الى الحكم المستنصر بالله ، الذي ارتفع بمستوى رده على العزيز بالله الى قضية الطعن في نسب الفاطميين « أما بعد فقد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لاجبنك » فكان ذلك الرد على اختصاره ، اكثر وقعا ، وتأثيرا في نفسه (203) .

لا ريب ان استمرار الصراع بين الامويين والفاطميين ونوابهم في افريقية لم ينتج عنه أي تغيير جذري ، سواء بالنسبة لقضية تعديل الحدود السياسية او بالنسبة لقضية الولاء وكسب مزيد من الانصار في الناحية المذهبية .

وكانت النتائج السلبية للصراع اكثر من النتائج الايجابية ، فضلا عما لحق المتصارعين من خسائر مادية وادبية ، فقد اثر الصراع على تماسك أسرة الزيريين ، وفتح باب الشقاق بينهم (204) ، كما اضعف البحرية الاسلامية في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، في وقت نشطت فيه قوى بحرية أخرى للتوسع الاقليمي ولتمثيل دور الوسيط في التجارة بين حوضي البحر المتوسط .

وقد سقطت اقريطش (205) التي طلب سكانها نجدة من المعز لدين الله . وكانت باب مصر ، ثم قبرص التي كانت تحمي سورية وتدهورت القوة البحرية في صقلية التي كانت تحمي شواطئ بلاد المغرب .

203 - حسن ابراهيم : الدولة الفاطمية 64 ، ويبدو ان شيئا من اللبس ، يوجد هنا ، اذ نسب هذا المؤرخ الرد الى عبد الرحمن الناصر ، الذي توفي 350 هـ 961 م ، اي قبل انتقال المعز لدين الله الى مصر ، فضلا عن خلافة العزيز التي لم تبدأ الا بعد وفاة ابيه 365 هـ ، وفيها كان خليفة الامويين في الزهراء ، هو الحكم المستنصر بالله الذي توفي سنة 366 هـ ، انظر : ابن الاثير : الكامل 8، 244، 245، وعن عبد الرحمن الناصر ، انظر . E.I. (Art Abd Al Rahmen) T I, p. 54. أبو المعاسن : المصدر السابق 114، 4 ، الثعالبي ، بتيمة الدهر 1، 255 .

204 - ابن عذاري 1، 349 - 350 ، حيث يشير الى عصيان ابي الجهاد بن زيوري لابن اخيه المنصور ومكانته لابن ابي عامر يعرض ولاءه ، ويرجو التوصية به عند زيوري بن عطية الفراوي ، ابن الاثير ، 9، 12 .

205 - وعن وصف الجزيرة وحكم مسلمي الاندلس فيها حتى 350 هـ - 961 م . انظر : البكري ، المسالك والممالك - جغرافية اوروبا ، 138 هامش 212، 4 ، ابراهيم العدوي اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين - المجلة التاريخية المصرية مجلد 3 عدد 2 اكتوبر 1950 ، زمباور : معجم الانساب والاسرات 1، 109 .

ومع ظاهرة ضعف الاساطيل الاسلامية في بلاد المغرب والاندلس ، فقد بقي البحر الأبيض المتوسط حتى فترة طويلة بمثابة البحيرة الاسلامية ، بسبب قوة البحرية الفاطمية ، ونشاط مسلمي بلاد المغرب ، وصقلية ضد جنوب ايطاليا وتوسع مجاهد العامري أمير دانية من قواعده البحرية في جزر البليار (الشرقية) ضد جزيرة سردينية ، وغيرها من جزر غرب البحر المتوسط (206) .

وإذا كان توسع الخلافة الفاطمية بسيف كتامة وأحلافها في غربي الدولة قد جرى ضد أنظمة ، وفي أرض لا علاقة لها بالإمارة الاغلبية ولا بنظام الإمامة الرستمية في تاهرت ، فإن توسعها في شرق الدولة كان بمثابة استكمال لضم مناطق أصبحت في اطار نفوذهم ، وضمن ممتلكاتهم بحق الارث ، عقب فتح رقادة وتاهرت وتصفية نظام الاغلبة والرستميين .

وصقلية (207) من المناطق التي آلت الى الخلافة الفاطمية بمجرد فرار آخر الامراء الاغلبة في رقادة .

وغداة دخول الداعي رقادة أقر عامل الجزيرة القديم عليا بن أبي الفوارس وأمره بالغزو في البر والبحر وخص جزيرة صقلية في كتاب الأمان الذي منح لأهل افريقية بأشارة هامة تضمنت الوعد باصلاح شؤونها وتحسينها وشحنها بالمجاهدين ، لتستمر الحرب المقدسة ، والجهاد وحركة نشر الاسلام ضد مراكز نفوذ الروم في جنوب ايطاليا (208) .

وعندما استقر المهدي في رقادة ، أرسل الحسن بن أحمد بن علي بن كليب ، المعروف بابن خنزير ، ليكون واليا عليها وكان في معيته أخوه علي وحامية كتامية كبيرة ، وقاضي الجزيرة الجديد اسحاق بن أبي المنهال

206 - أرشيبالد لويس : المرجع السابق 322 ، النعمان ، المجالس والمسائر ، 421،422 . كليا سارانللي تشاركوا ، مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط 152 - 158 ، وتلاحظ الباحثة أن مجاهدا ، نفذ خطة غزو سردينية رغم توسلات زوجته المسيحية بأن ينصرف عنها .

207 - عن وصف الجزيرة وفتح الاقالبة لها ، انظر البكري ، المسالك والممالك 213-223 ، (قطعة منه) نشر عبد الرحمن الحجوي 1968 ، ياقوت ، معجم البلدان 373-377 .

208 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 162 (222 ط . بيروت) ، امبرنو ريزينانو : تاريخ الأدب العربي في صقلية 36 ، ميشيل أماري : المكتبة الصقلية 434 (نقل عن النويري) جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية 232 .

(209) ، وبينما استقر الحسن منذ عشر ذي الحجة 297 هـ / يوليو 910 م في مازر على الساحل الغربي من الجزيرة ، عين أخاه على مدينة جرجنت التي تقع جنوبها . وبدون شك استقر قاضي الجزيرة الى جانب عاملها في مازر . أما الحامية الكتامية ، فقد وزعت على المدينتين .

ويلاحظ أن دخول عناصر السلطة الجديدة الى الجزيرة لم يقترن بادنى مقاومة ، لا من طرف السكان ولا من جهة بقايا الاغلبية ومواليهم وجنودهم . وهذا الوضع الهادئ استغله والي الجزيرة في التوسع ضد دمنش (210) وغيرها ، حيث تحصل على مغانم كثيرة وانتصارات اغرته بالتطاول على السكان والاستبداد بهم . وسلك أخوه مسلكه تجاه سكان جرجنت ، فكانوا فيما يبدو ، يطلبون منهم وظائف مالية ، أو يرغمونهم على اجراء تغيرات مذهبية في الأذان وخطب الجمع ، مثلما جرى في افريقية ويتركون جند كتامة يعيشون فسادا ويمدون أيديهم الى الاموال والحرمان كسابق عهدهم في حواضر افريقية ويظهرون الاستملاء على بقايا السلطة القديمة بسبب أنهم الجند الفاتحون .

ولهذه الاعتبارات ظهرت مقاومة عنيفة لحكم بني خنزير ، وكان طابعها سياسيا مذهبيا ولم تخل أيضا من طابع عنصري إذ أن بقايا عرب الجزيرة من تعيم وأحلافها ، انفوا أن يتسلط عليهم برب كرامة وأحلافهم .

وهكذا اثمرت حركة المقاومة ضد هؤلاء الطارئین المستبدین ، فاسر ابنا خنزير وحبسائهم طردا خارج الجزيرة وانتهب منهما ما كانا قد استوليا عليه من قبل من سكان مازر ، ودمنش كما حل بجند كتامة فيما يبدو تكال غير أن الثوار خشوا عاقبة الثورة وحلول النقمة بهم ، فشرحوا وضعيتهم للمهدي وأوضحوا له أن حركتهم الاحتجاجية لا تحمل طابع العصيان أو الثورة السياسية أو المذهبية ضد سلطان الفاطميين وانما هي لفت نظر للسلطة الجديدة تجاه نوع الولاة الذين يسيئون الى نفوذها ، وقد طلب السكان العفو فاستجاب لهم المهدي ، وعين على بلادهم عليا بن عمر البلوي ، وكان شيخا عربيا طاعنا في السن يميل الى السلم ويكره العنف ، وفي طبعه لين ، فوصل مازر آخر ذي الحجة 299 هـ / 911 - 912 م (211) .

209 - ابن عداري 233،1 ، ابن خلدون : العبر 442،4 ، زمباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، 107،1 ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 276 .

210 - ابن الأثير : الكامل 18،8 ، ابن خلدون : العبر 442،4 .

211 - ابن الأثير : الكامل 18،8 (49-50 ط . صادر بيروت) ، ابن خلدون : العبر 442،4 ، ميشيل أماري : المصدر السابق 250-251 (نقلا عن ابن الأثير) 434 نقلا عن النويري . ابن عداري : البيان ، 233،1 ، عبد المنعم ماجد : المرجع السابق 276 ، انظر العلاقات بين الشرق والغرب للمؤلف ، 107 ، ريزيتانو : المرجع السابق ، 53 ، توفيق المدني ، المسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا 129-130 .

وفي عهد هذا الوالي ، الذي ترفق بالسكان وصانهم ، بدأت اتجاهات الثورة الانفصالية تظهر في مدن الجزيرة يدفع سكانها الى ذلك ، جور كرامة وعنصريتهم من جهة ، ورغبة العناصر العربية وبقايا أسرة بني الأغلب في الثار لسقوط الإمارة وانفصال افريقية عن سلطان الخلافة العباسية السنية في بغداد ، من جهة أخرى ، هذا الى جانب استضعاف السكان لوالي المهدي ، الذي لم يكن من رجال الحرب ، ومن ثم اطاحوا به بسهولة وقدموا من تلقاء أنفسهم ، وحسب خطة موضوعة رجلا من بقايا بني الأغلب ، هو أحمد بن زيادة الله بن قرهب سنة 300 هـ / 912 - 913 م ، وفي عهده صار الانفصال السياسي والمذهبي لجزيرة صقلية ، حقيقة ملموسة ، وأمرا واقعا ، اذ بعد فترة أعداد نفسي ، وتهيئة مادية ، تأكد أثناءها من ثقة الناس فيه ، واجتماعهم حوله ، وعلى ما يتخذه من خطوات سياسية في الجزيرة أعلن الثورة ضد الفاطميين . وأرجع الخطبة والدعوة للعباسيين ، وعندما وافق المقتدر بالله العباسي على حركته وبأن يكون داعيا له ، وقائما بأمره في جزيرة صقلية ، وأرسل اليه مع التحف والالطاف خلعا والوية سوداء ، ليرجع شعار العباسيين ، اغتبط بذلك وأوغل في الثورة ضد المهدي الفاطمي « وأظهر الحزم والجد في أمره » (212) .

ومن مركزه الحصين في جزيرة صقلية . مارس نشاطا ثغريا ، في أرض قلورية ، وضد طبرمين على الساحل الشرقي من الجزيرة منذ سنة 300 هـ . كما قام بأعمال كبرى ضد سواحل بلاد المغرب ، ترضية للعباسيين ، واذا كان لم يقدر لابنه علي - الذي أرسل لفتح طبرمين ، وحاصرها ثلاثة أشهر ، أن ينجح في مهمته لحصانة المدينة واختلاف الجند عليه ، ورغبة بعضهم في التخلص منه ، فان ابن قرهب نجح في ميدان بلاد المغرب ، حيث أحرق رجاله ، أسطول الفاطميين في مرسى لمطة (213) ، وأسروا كثيرا من بحارته ، وقتل امير الأسطول وهو عامل صقلية القديم ، الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، وحملوا رأسه نكاية فيه الى ابن قرهب (214) في صقلية ، وهذا الانتصار أغرى ابن قرهب ، بتوسيع مجال عمله التخريبي ضد سواحل بلاد المغرب ، اربابا للفاطميين الذين كانت قوتهم البحرية في هذه الفترة ضعيفة وموزعة ، خاصة بعد الخسائر الأخيرة .

212 - ابن عداري : البيان ، 1، 233 ، اماري : المصدر السابق 435 - 436 (نقلا عن النويري) ، ابن الأثير : الكامل ، 8، 19 وما بعدها . ابن خلدون : العبر ، 4، 442 ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 276-277 .

213 - تقع لمطة قرب محرس النستير ، وهو أجل محارس افريقية واربطتها وقصورها . وقد أشار البكري اليها باسم ملاحه لمطة ، واعتبر ملحها أجود من غيره ، وكان سلمة للتصدير : انظر المغرب 84 .

214 - ابن عداري : البيان ، 1، 238 .

وهكذا خرب أسطوله ميناء صفاقس (215) ، ونفذ الى طرابلس لنفس المهمة ثم انصرف عنها لاسباب خاصة ، لكنه بقى يمارس نشاطا بحريا واسعا ، وحركة قرصنة ضد سواحل الفاطميين حتى حلت به الهزيمة ، واخذت معظم قطعه غنيمة خالصة للفاطميين ، وعندئذ بدأ نجم ابن قرههب في الأفول ، وامره في التراجع والنخمول ، وتنكر له سكان الجزيرة قبل غيرهم ، لانهم اذا كانوا قد خشوا بأسه لظفره في الحرب في قلورية ، وضد افريقية فانهم الآن بعد انكساره ، وضياح أسطوله أصبحوا يفكرون في وسيلة للتقرب من المهدي ، والتخلص منه ، وتحمله مسئولية ما حصل في الجزيرة وتصدرت مدينة جرجنت ، وهي التي سوف تبقى قلعة ثورية ضد الولاة - حركة العصيان ضده ، وربطت صلاتها بالمهدي ، وأعلنت ولاءها واقتدى بها سائر سكان المدن الاخرى ، خوفا من عاقبة الاستمرار في الانفصال والثورة ضد الفاطميين .

وفي غمرة الفتن بين أنصار ابن قرههب ، الذي رغب في مغادرة الجزيرة ومعارضيه ، تغلب الاخيريون وتحفظوا عليه وعلى ابنه علي وقاضيه ابن الخامي ، وعلى بعض خاصته ، وأرسلوهم مقيدين الى سوسة ، رجاء في العفو ، وطلبوا عاملا ، وقاضيا ورفضوا استقبال الجند ، وتظاهروا بالاستغناء عن المعونات المالية من الدولة (216) .

وكان رد المهدي - على سكان صقلية ، كقوا لتقلب أهوائهم وشغبهم واستعدادهم للعصيان في كل حين ، حيث رماهم بحشد من كتامة وشيوخها وبقائد حازم هو أبو سعيد موسى بن أحمد الضيف (217) .

وبوصول هذا القائد ، الى صقلية اشتعلت نار الثورة في طرابنش (218) ، وجرجنتي ، وبالرم ، وسائر مدن صقلية ، وأصبح الموقف خطيرا ، اذ استعصى السكان وتمنعوا عليه ، بعد حصار عدة أشهر ، قتل أثناءها منهم

Huart (cl) histoire d'Arabe T I, p. 340. - 215

216 - ابن عذاري : البيان 1، 242، 243 ، ابن الأثير ، الكامل 8، 25، 26، 71، 72 ط صادر ، ابن خلدون : العبر ، 4 - 442 - 443 و 79 أيضا ، زمباور : المرجع السابق 46 ، اماري : المصدر السابق 252 - 253 ، 436 ، عبد المنعم ماجد : العلاقات ، 107 ، المدني : المرجع السابق 131 - 133 ، وبعد أن عنف ابن قرههب وأصحابه ، ضربوا بالسياط وقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا على قبر الحسن بن أبي خنزير بباب سالم في مدينة رقادة .

217 - وسبب ذلك اقتناع المهدي بقول ابن قرههب « ان اهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم ، ولا يطيعونهم وينتهبون أموالهم ، ولا يزول ذلك الا بمعسكر يقهرهم ، ويزيل الرئاسة عن رؤسائهم » .

218 - عن وصفها ، انظر ياقوت : المصدر السابق 6، 36-37 .

عدد كثير ، كما سلبت اموالهم وذخائرهم وهتكت أعراض نسائهم ، وأفترعت ابيكارهم وعبث بصبيانهم فلم تلن قناتهم ، ولم يضعفوا حتى اشتدت الضغوط عليهم من كل جانب ، وكثرت حشود كتامة ، وتقاطرت نجدات المهدي على قائد الحصار ، الذي لم يقبل بدوره ، منهم مجرد الاستسلام ، بعد الذي حصل منهم حتى يسلموا عدتهم ويتخلوا عن زعماء الثورة ، ويدفعوا مغرماً ضخماً ويهدموا أسوار مدينة بالرم بأنفسهم ، وفي نهاية الأمر ، أرسل جميع زعماء الثورة في بالرم وجرجنتي الى المهدي ، حيث انكفات بهم السفينة في البحر ، ففرقوا جميعاً . ويبدو أن ذلك تم بتدبيره ، مبالغة في التنكيل بهم ، وبسكان بالرم ، وجرجنتي ، لأن بعض النصوص تشير الى ايعاز المهدي اليه بالعفو عن السكان وكان ذلك يعني انهاء لمهمته الاستثنائية ، فرجع الى رقادة بعد أن ترك حامية كتامة ومستخلفا عنه في الجزيرة ، هو سالم بن أبي راشد ، الذي عين اثر ذلك عاملاً رسمياً من طرف المهدي (219) .

واهمية سالم بن أبي راشد ، في صقلية تظهر فيما مارسه من نشاط ثغري في جنوب ايطاليا ، وفي مساعدته للبعوث البحرية التي ألحت على هذا الاقليم منذ سنة 305 هـ / 917 - 918 م فقد تمكن مسعود الفتي سنة 310 هـ / 922 - 923 م من القيام بغزو بحري ناجح افتتح اثناءه مدينة أغاثي Santa Agati وغنم منها غنائم ثم انصرف الى المهدي (220) ، وتلاه جعفر بن عبيد الحاجب ففتح مدينة واري (Aria) بعد معركة حاسمة جرت سنة 313 هـ / 925 - 926 م وقتل اثناءها خلق كثير ، كما غنم غنائم ، وأخذ سبايا ، وأسر بطريق المدينة ، الذي اقتدى نفسه ، بخمسة آلاف مثقال (221) .

ويبدو أن الهدوء النسبي الذي عرفته الجزيرة حتى سنة 313 هـ ، والتوفيق الذي حصل عليه قادة الحملات الثغرية هو الذي دفعه الى

219 - ابن عذاري : البيان ، 1 243-244 ، وفيه اشارة لتولية سالم من طرف الصيف ، ابن الأثير : الكامل 25،8، 26 (72-73 ط صادر) حسني ابراهيم : الدولة الفاطمية 99 ، عبد المنعم ماجد : العلاقات 107 ، اماري . المكتبة 253 ، نقلا عن ابن الأثير ، المدني : المرجع السابق 133 ، وما بعدها . زمباور : المرجع السابق 107،1 ، ابن خلدون : العبر ، 4، 443 ، العزيزي : سيرة جولد ، 71 حيث وصفه المنصور بالحمار ، في احدى سجلاته لجولد ، كي يقوي من عزم واليه الكلبى - انظر 174 منه .

220 - نفسه ، 1، 264 .

221 - نفسه 267 - 268 ، انظر 266 منه حيث يشير الى خروج جعفر الى صقلية منذ 312 هـ فتبقى بقية السنة دون أن يلقي العدو ، توفيق المدني : المرجع السابق

. 134

القيام بحركة توسعية كبرى في إقليم انكبردة (222) وخليج تارنتو، تمكن اثنا ها من فتح عدة مراكز وقلاع ، ومن اقرار انوضع في قلورية Calabria التي أصبحت مركزا للراحة وللانطلاق الى ما يليها من مراكز الروم في جنوب ايطاليا (223) ، واكمل مهمته بعد انسحابه الى بالرم ، صابر الفتى الذي ابتدا منذ سنة 315 هـ / 927 - 928 م ، سلسلة من الحملات البحرية ، ضد مراكز الروم ، فغنم غنائم كثيرة (224) ، وفتح همدنا ، وقلاعا ، وشدد الحصار على سلير (سالرنو) وعلى نابل (نابلي) ولم ينصرف عنهما 316 هـ / 928 - 929 م الا بعد صلح طلبه سكانهما مقابل أموال وامتعة نفيسة (225) . وبعد أن استراح الجند ، قام بفتح مدينة ترموله 317 هـ 929 - 930 م بعد هزيمة أنزلها بالسردغوس Serguis قائد البحرية المعادية ، واثار ذلك رجع الى المهديّة (226) . فواصل النشاط الثغري بعده ، سالم بن أبي راشد ، ثم يعقوب بن اسحاق ، الذي كلف في بداية عصر القائم بأمر الله بمواصلة النشاط الثغري ضد الروم حيث يرتبط باسمه فتح كبرى مدن جنوب ايطاليا وهي جنوة ، كما أوقع رجاله بسكان جزيرة سردينية ، وأحرقوا مراكبهم ومراكب كورسيكه وعادوا ظافرين (227) .

وقد كان هذا النشاط الثغري الواسع في جنوب ايطاليا وجزر البحر المتوسط ثمرة للجهود المخلصة التي بذلها جند كتامة وأحلافهم سواء في ميدان المحافظة على ولاء صقلية ، وقلورية ، بجانب ولاية الفاطميين ، أو في ميدان النشاط البحري الى جانب قادة البعوث البحرية وهم : صابر الفتى ، وجعفر الحاجب ، ويعقوب بن اسحاق ، وسالم بن راشد ، الذي مهد بسياسته العنيفة ، تجاه السكان وعدم مراقبة عمال المدن لثورة ابتدأت في قاعدة العصيان القديمة ، وهي جرجنتي ، التي أيدتها بالرم ، ولم يتمكن

222 - اسم لجنوب ايطاليا ابتداء من نابلي حتى أقصى الساحل الجنوبي ، البكري : المسالك والممالك 146 - 149 ، ياقوت ، 1، 363 ، المسعودي ، 1، 256 . ابن رسته ، الأعلام النفسية ، 128 مجلد 7 - الكتبة الجغرافية .

223 - ابن الأثير ، 8، 54 ، العزيزي : سيرة جوند 71-72 ، ابن خلدون ، 4، 443 ، أماري : المصدر السابق 253-254 .

224 - ابن عذاري ، 1، 270 ، وصابر الفتى كان احد موالى ابن قهرّب الناصر المعروف انظر 269 منه .

225 - ابن عذاري : البيان ، 1 ، 273 .

226 - نفسه ، 1، 275 .

227 - نفسه ، 1، 296 ، ابن الأثير ، 8، 98 (ط صادر) ، ابن خلدون : العبر ، 4، 443 ، أماري : المصدر السابق 254 ، 436-437 ، عبد المنعم ماجد : الطلاقات ، 108 ، المدني : المرجع السابق 138 ، القريري ، اتعاظ ، 1، 74 ، ابو الغداء ، 2، 88 .

من اخماد الثورتين الا بعد جهد وتضحيات ، ونفقات باهظة تحملتها خزينة الخلافة الفاطمية التي ارسلت في نهاية 325 هـ / 936 - 937 م ، حملة تأديبية ضد ثوار جرجنتي ، وبالرم اسندت قيادتها الى ابي العباس خليل بن اسحاق الذي عرف بالشدة وبالميل لسفك الدماء .

ولم يفن عن السكان تظاهرهم بالولاء والطاعة نساء ورجالا ولا شكواهم من سلفه ، بقصد بث روح الفرقة بين الاثنيين والانتقام من سالم لانه أصبح سببا لنكبتهم بمجىء هذه القوات ، وذلك لان حقيقتهم كانت معروفة ، وماضي ، جرجنت ، وبالرم في العصيان ، والشغب ضد الولاة كان ناصعا .

كما لم يفن عنهم ايضا تحصنهم وراء أسوار المدينتين ، بعد فشل مساعيهم ، ولا طلبهم النجدة من البيزنطيين ، لان القائد الجديد ، وضع اساسا لمدينة جديدة هي الخائصة وتقع بجوار بالرم ، وتحصن فيها برجاله ، ومنها أشرف على حصار جرجنتي ، مند جمادي الأولى 326 هـ / ابريل 937 م ، كما هجر مدينة بالروم ، ولم تحل سنة 329 هـ / 940 - 941 م حتى كانت جرجنتي ، وبالرم ، وسائر مدن الجزيرة في قبضة رجال خليل بن اسحاق الذين احتفظوا بزعماء الثورة في هذه المدن ، خاصة جرجنتي ، التي كان سكانها هم سبب الثورة ودعاتها في بقية المدن ، وعندما أتم خليل بن اسحاق مهمته ، ورجع الهدوء نسبيا الى الجزيرة ، تركها الى المهدي ، وفي طريقه أمر بثقب المركب ففرق سائر ثوار صقلية (228) .

وفي ظل اضطراب اوضاع صقلية ، بسبب قسوة الولاة ، أو ضعفهم وانقسام سكانها ، الى جنسيات مختلفة ، ونحل متعددة تهيأت الظروف

228 - ابن عذاري : المصدر السابق ، 1، 305 ، ابن الاثير : المصدر السابق ، 8، 118-119 (337 - 338 ط . بيروت) ، اماري : المصدر السابق 254-256 نقلا عنه ، وانظر 437 منه نقلا عن نهاية الأرب للنويري ، ابن خلدون : الصبر ، 4 ، 442 وما بعدها ، العززي ، سيرة جوتر 71 ، تطبيق 77 ، زمباور : المرجع السابق 107 ، و خليل ابن اسحاق ، من القلاة في المذهب الاسماعيلي ، ومن القساة في معاملة الغير حتى ان المهدي كان يعينه في المهمات الاستثنائية ، كجباية الاموال ومحاسبة الدواوين والعمال ، وكان لا يخفي ميله للعنف ، بل يفخر به امام الاالا وفي المجالس ، ويبدو ان قسوته كانت سببا في كثرة الدساسات حوله ، حتى نقم عليه المهدي ، وهم بقتله لولا تدخل ابنه ابي القاسم ، وينسب اليه شعر في المهدي ، وفي القائم ، تضمن غلوا واضحا : انظر ابن عذاري : البيان ، 1، 305-306 ، ابن ابيك النواداري ، الدرر المضيئة 115 ، المدني ، 141 ، القرظي ، اعطاء ، 1 ، 87 .

المناسبة لظهور قوى سياسية جديدة ، وانبعث النشاط في جانب الروم الذين استنجد بهم ثوار جرجنتي من قبل (229) .

وقد انضاف الى ذلك ، الفراغ السياسي الهائل الذي تركه خليل بن اسحاق بعد انسحابه سنة 329 هـ لأن عطافا الأزدي بعده ، عجز عن كبح جماح الأسر الاقطاعية ، والزعامات المحلية ، التي عطلت نفوذه ، كما أن سكان قلورية استغلوا نهضة الظروف ، اوقفوا أموال الهدنة التي قررت عليهم من قبل . وبدأ جانب المسلمين أثناء هذه الفترة ضعيفا ، لأن الغزو الثغري توقف ، وانشغل السكان بالفتن وبتأييد الزعامات المحلية التي اشتهر من بينها : أسرة بني الطبري ، وبني ماضوض ، وبني أخيه ، والذين لم يكتفوا بالتحجير على عطافا الأزدي واغتصاب سلطاته بل ثاروا ضده والجاؤه الى قلعة الخالصة واستولوا على ذخائره وأموال الولاية ، وبقي حتى عزله المنصور وعين على الجزيرة واليا عربيا ، هو الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ابتداء من سنة 336 هـ / 947 - 948 م مكافأة له على إخلاصه للدولة ودوره في إنهاء ثورة أبي يزيد وهو الذي أصبح رأس أسرة عربية جديدة في صقلية هي أسرة الكلبيين (230) التي استمرت حتى الفتح النورماني للجزيرة في نهاية القرن الخامس الهجري .

وبمهارته وإخلاص جند كتامة له ، تمكن من فرض سلطانه على سكان الجزيرة ، فأمنهم من الأخطار الخارجية واستأنف سكان قلورية ارسال أموال الجزيرة اليه كما تتبع عناصر الشغب وزعماء الفتنة ، وشرد كثيرا

229 - يشير بعض الباحثين الى ظهور عنصر النورمان منذ بداية 327 هـ ، في مركز حصين في جنوب إيطاليا وانهم كانوا يقومون بأعمال القرصنة ضد ممتلكات البابوية ، والامبراطورية البيزنطية ، ومن هناك ، كانوا يراقبون تطور اوضاع الجزيرة : انظر ، توفيق المدني 141 .

230 - أبو الفداء ، 101،2 ، وما بعدها ، زمباور : المرجع السابق ، 107 ، عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، 276 - 277 ، ريزينانو : المرجع السابق 54 ، يصفه بالكتامي ، باعتبار أن عصبية الدولة وجنودها الذين رافقوه كانوا من كتامة ، ابن خلدون : العبر ، 442،4 ، وفيه قوله « دولة بني الحسن الكلبيين بصقلية من العرب المستبدين بدعوة المبيدين » ، العزوي : المصدر السابق ، 70-71 ، تعليق 76 . ويوصف هنا بأنه من شيوخ كتامة ، أي من زعماء جنودها السياسيين ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق 112،6-113 ، ويشير هوارت الى أنه عربي من كلب ، انظر

Huart (cl) histoire d'arabe T I, p. 342.

منهم ، وقتل آخرين تنفيذاً لوصية الخليفة المنصور ، بعد ان استرجع منهم ما اخذوه من اموال ، في عهد سلفه عطف الأزدي (231) .

وبعد ان اطمأن على الوضع الداخلي استأنف النشاط الثغري في جنوب ايطاليا الذي أسفر عن عدة نتائج هامة في مقدمتها :

— اتخذ الحسن الكلبى منذ 340 هـ / 951 - 952 م مسينا مركزاً هاماً للانطلاق والراحة ، في فصل الشتاء ، ومنها عبر البحر الى ريو Reggio فانساح المسلمون في قلورية ، والجاوا « جراجة » لدفع الجزية مقابل فك الحصار عنها ، كما تبعوا قوات البيزنطيين حتى اضطروهم الى الالتجاء الى قاعدتهم في باري — على بحر البنادقة (الادرياتيكي) دون أن يجرؤوا على مواجهة قوة المسلمين .

وعندما عاد الروم ، واجههم الحسن الكلبى بجوار جراجة ، فهزم السرفوس ، وأعيد حصار المدينة ولم ينصرف المسلمون عنها الا بعد ان طلب الامبراطور قنسطنطين 7 برفروجنتيوس الهدنة من الحسن الكلبى الذي وافق ورجع الى ريو ، التي أصبحت خالصة للمسلمين ، فبنى فيها مسجداً بمئذنة ، واشترط لبقاء الهدنة ، احترام عقائد المسلمين فيها ، وعلى أن يكون لهم الحرية في ممارسة عقائدهم وتوسيع مسجدهم اذا ارادوا ، والا يدخله نصراني ، ومن دخله من اسرى المسلمين ، ولو كان مرتداً ، تكون له الحصانة ، ثم ان بقاء كنائس الروم في صقلية وافريقية رهن ببقاء هذا المسجد . وقد بقى الروم اوفياء لهذه الشروط طيلة ولايته التي انتهت بعد وفاة المنصور : 341 هـ / 952 - 953 م (232) .

— وعندما نقض الروم الهدنة أثناء ولاية ابنه أحمد ، واستولوا على عدة مراكز ، وحاصروا نابولي الحليفة للمسلمين وهدموا مسجد ريو ، عاد الحسن من جديد سنة 345 هـ / 956 - 957 م فأرجع الوضع الى سالف عهده ، وألجأ الروم الى طلب الهدنة ، على أن يستمر دفع الجزية ، كما كان — من طرف سكان قلورية الذين احتفظوا بدينهم (233) .

231 - أماري : المصدر السابق 257-258 (نقلا عن ابن الأثير) ، ابن خلدون : العبر ، 443،4 وما بعدها ، عبد المنعم ماجد : العلاقات ، 108 ، المدني : 142-143 ، العزيزي : المصدر السابق 71-72 وضمن وصية المنصور للحسن استعمسال الصرامة والشدة لاسترجاع هيئة الدولة لانه « في بلد قد أسكرت أهله النعمة وابتطروهم الاحسان ، وامتدوا مع خليل اشياء لا يخرجها من رؤوسهم الا السيوف» ، ابن الأثير : الكامل ، 8، 169-170 (471 ط . بيروت ، ديزيتانو ، 54 ، أبو الفداء 101،2-102 .

232 - أبو الفداء : المصدر السابق ، 2، 101،102 ، ابن الأثير : الكامل ، 8، 170-171 ، 178 .

233 - أماري : المصدر السابق 438 ، (نقلا عن الثوري) ، عبد المنعم ماجد : العلاقات ، 109 ، المدني : المرجع (لسابق) 148 .

— وقد استغل أحمد ، قوة مركز المسلمين ، وهدوء الوضعية ، في القيام بحركة توسع كبرى في شرق الجزيرة ، على حساب الروم ففتحت طبرمين بعد حصار طويل في ذي القعدة 351 هـ / ديسمبر 962 م — وأخرج سكانها منها ، فالتجأوا الى رمطة القريبة منها ثم عمرت بجاليات اسلامية وسميت المعزية (234) .

— وحول رمطة التي استعصت على المسلمين منذ ان بدءوا حصارها في رجب 352 هـ / يولييه 963 م بقيادة الحسن بن عمار (235) ، بسبب مناعتها وعناد سكانها ، ومن انضم اليهم من طبرمين والروم ، تحول الصراع من اجل افتتاحها ، او تحريرها من قبضة المسلمين ، الى مواجهة كبرى ، بين قوة الجناح الغربي من دار الاسلام ، وقوة دار الحرب التي كانت تمثلها الامبراطورية البيزنطية ، التي خيل لامبراطورها ، نفقور فوكاس ، من الاسرة المقدونية ان انفرصة مواتية لضرب دار الاسلام في الغرب ، كما سبق ان ضربها بنجاح في الجبهة الشرقية ، فأرسل مانويل على رأس قوات ضخمة كما أسندت قيادة الأسطول الاسلامي الى الحسن الكلبى ، الذي تمركز في بالرمو ، وانجد قائد حصار رمطة بقوات كافية لكنها كانت دون قوة الروم الذين خيل اليهم انهم يستطيعون تحطيم قوة ابن عمار ، بعد تبديد شمل قواته، وبالتالي يحررون رمطة التي قويت مقاومتها بوصولهم غير ان ادراك ابن عمار لوضعه الدقيق جعله يقاتل في جبهتين ، لاحكام حصار رمطة ، ثم لدحر الروم ، وقد تمكن ببراعته من هزيمة الروم وقتل قائدهم ، وتبديد شمل قواتهم في معركة عرفت باسم معركة رمطة ، والحفرة (236) ايضا ، وانهزم الروم اقبح هزيمة ، فأكثر المسلمون فيهم القتل ، كما أنهى حصار رمطة ، واقتحمها بقواته وأدب سكانها وصبغها بصبغة اسلامية .

— اما فلول الروم وبقايا السيوف من سكان رمطة الذين غادروا ريو بحرا في طريقهم الى باري أو الى بيزنطة ، فقد اقتفى اثرهم والى الجزيرة احمد بن الحسن ، وغامر بقواته ودخل البحر واشتبك معهم ، وأنزل

234 — ابن الأثير : الكامل ، 8، 190 ، ياقوت : المصدر السابق ، 6، 23 .

235 — وهو الذي ازدهر في مصر في عصر الحاكم بأمر الله ، عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، 371 ، العزوي ، سيرة جوند ، 179 ، تعليق 95 .

236 — النويري : المصدر السابق ، 22، قسم 2 ورقة 121-122 .

بهم هزيمة عند مضيق مسينا ، سنة 354 هـ / 956 م عرفت بموقعة
المجاز (237) .

وهكذا كانت النتائج عظيمة وتمثلت في :

— ظهور قوة المسلمين والاسلام في الجزيرة وفيما جاورها .

وتأكد مبدأ تبعية قلورية مع مراكز اخرى في اطار دفع الجزية لولاة
الفاطميين في الجزيرة .

ويلاحظ أن مركز المسلمين في الجزيرة لم يتأثر بوفاة الحسن الكلبى
عقب الانتصار (238) ، لأن ابنه أحمد ، بقي محافظا على المكاسب الإسلامية
في الجزيرة حتى استقدمه المعز لدين الله سنة 358 هـ / 968 - 969 م
لنفس السبب الذي استقدم به أباه من قبل ، وهو أن يشرف على رئاسة
الاسطول الفاطمي ، وعين على الجزيرة مولى من موالى أبيه ويسمى
يعيش (239) .

ويبدو أن هذه الحركة لم تقع موقعا حسنا في نفوس مسلمي صقلية
وافريقية الذين ربطوا بين اقضاء هذه الاسرة عن الجزيرة وبين نزعة المعز
لدين الله في الميل الى الاستبداد ، وفي الضرب على أيدي من يخشى خطرهم
واقفتان الناس بهم من القادة والولاة .

ودلت هذه الحركة على رغبة المعز لدين الله في ابقاء صقلية تابعة لنفوذه
مباشرة بعيدة عن أية صورة من صور الانفصال .

وخشى أن يكون اعجاب الناس بالحسن بن أحمد وتقديرهم للقادة
الكلبيين الذين برهنوا على نجاعتهم في الاصلاح الداخلى وفي الغزو الثغري ،

237 - ابن الأثير : الكامل ، 8، 199 - 200 ، اماري ، الكتبة الصقلية 263-266 ،
نقلا عنه ، و 439-441 ، نقلا عن النويري ، وفيه قوله عن انهزام الروم ،
« فوقعوا في الوعر وافضى بهم الى حفر خندق عظيم كالحفرة من بعد فخره فسقطوا
فيها وامتلأت الحفرة منهم على طولها وعرضها وعمقها » ، ابن خلدون : العبر ،
4، 446-447 ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، 102 وما بعدها ، عبد المنعم
ماجد ، الطلاقات ، 109-110 ، العزيمي ، المصدر ، 88 ، تطبيق 95 ، المدني :
المرجع السابق 148 ، وما بعدها ، ابو الفداء ، 2، 101-102 ، بيبرس 6، 161-
162 .

238 - ابدى المعز لدين الله تأثرا عميقا لوفاته ، فكلف جولد بتعزية ابنه وهو والي الجزيرة
لما كان يربطه بأسرة الكلبيين من علاقة مودة وتصاف ، سيرة جولد ، 116، 120، 128-
129 ، توقيع رقم 68 - انظر تطبيق 132 منه .

239 - اماري ، الكتبة الصقلية ، 441 نقلا عن النويري ، ابو الفداء ، 2، 102 ، عبد المنعم
ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية 279 ، وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل ، 8، 219 .

مقدمة لتأييدهم في الانفصال والاستقلال بحكم الجزيرة وملحقاتها . وهدوء الأوضاع في صقلية وخضوع قلورية واقرار مبدأ الهدنة مع البيزنطيين ، شجعه على اعتبار صقلية ولاية تابعة له مباشرة كغيرها من الولايات (240) .

وشعور سكان صقلية خاصة انصار الكلبيين ، بأهداف المعز لدين الله تجاه الأسرة هو الذي أدى الى حالة من الفوضى والاضطراب وانعدام الأمن بسبب ثورة السكان ضد يعيش الذي عجز عن التوفيق بين جند الدولة ومواليها من جهة ، وبين الثائرين في مدن بالرمو وسرقوسة ، وغيرها من قلاع صقلية ، وظهرت العداوة والعنصرية بين العرب والبربر ، وبين فرعي البربر أيضا كما قويت ظاهرة الانشقاق المذهبي ، بين الشيعة والسنة من جهة أخرى .

وامام هذه الوضعية السيئة ، سلك الخليفة مسلكا وسطا ، يرضي نزعته ولا يفضب سكان صقلية لاهمية بلادهم في الصراع مع الروم ، فأبعد يعيش عن الولاية لاستضعاف السكان له وأقر من حيث المبدأ ، ولاية أحمد بن الحسن على الجزيرة سنة 359 هـ / 969 - 970 م ، لكنه احتفظ به الى جانبه ، للقيام بالمهمة التي أسندت اليه من قبل ، وأرسله الى مصر ، حيث توفي في طرابلس وأرسل الى الجزيرة مستخلفا عنه ، أخاه أبا القاسم بن الحسن ، الذي تجلى عند ظهوره في الجزيرة ، صدى ما يكنه سكانها من حب وتقدير لآسرتة ، فمالوا الى السلم ، والهدوء في اطار التبعية له حتى توفي في سنة 372 هـ / 982 - 983 (241) ، فوليها ابنه جابر ، ثم قريبه جعفر بتقليد من العزيز بالله (242) منذ 373 هـ / 983 - 984 م . واستقر الحكم في الأسرة الكلبية ورائة ، انما في اطار التبعية السياسية

240 - نفسه ، وفيه اشارة لهدايا وردت على المعز من الديمستق ، ومن امبراطور بيزنطة ، وقد ابلغ المعز ، والي الجزيرة خبر الهدنة وكلفه ببناء اسوار بالرم ، وبلاكثار من المدن المحصنة الجامعة ، وجمع السكان فيها بدلا من تركهم متفرقين في قرى وقصور صقلية .

241 - ابن خلدون : العبر ، 447،4-448. أماري 266 - 267-442 ، ابن الاثير : الكامل 9،5 . حسن ابراهيم : الدولة الفاطمية 106-107 ، عبد النعم ماجد : العلاقات 110 ، ابن عذارى : البيان 1،340 ، المدني : المرجع السابق ، 150-151 ، وفي عهد ابي القاسم ، زار ابن حوقل صقلية ونقل اليه خبر وفاة أخيه في طرابلس .

242 - ابن عذارى : البيان ، 1،340 ، أبو الفداء ، 2،102 - 103 ، وبعد جعفر 375 هـ وليها عبد الله بن محمد (ت 379 هـ) ثم ابنه أبو الفتوح يوسف بن عبد الله الذي أدرك شطرا من خلافة الحاكم ، ووساطة قريبه الحسن بن عمار ، وبعد وفاته عين ابنه جعفر بسجل من الحاكم ولقب بتاج الدولة وائر عصيان السكان له ، وليها أخوه تاييد الدولة أحمد الأكل منذ 410 هـ وعندما قتل 427 هـ وولى أخوه صمصام الدولة الحسن ، اضطرت امورها حتى آلت الى النورمان ، وقد واجه معظمهم محاولات الروم للعودة الى الجزيرة ، ونشاط البابوية ، والامبراطورية ، وحركات النورمان المخربة .

والمذهبية للخلفاء الفاطميين في مصر حتى اقتطعها روجر النورماني من دار الاسلام ، 484 هـ / 1091 - 1092 م مستغلا انصراف الفاطميين عنها ، وشيوع ظاهرة « الطائفية » ، والصراعات السياسية والمذهبية ، وعجز الزيريين عن حمايتها بسبب غرق الاسطول ، واضطراب الوضع الداخلي في افريقية والمغرب الأوسط (243) .

ومن خلال تجربة الفاطميين في التوسع في جزيرة صقلية يلاحظ :
- أن نفوذهم فيها لم يستقر الا في عهد أسرة الكلبيين ، ولفترة مؤقتة أيضا .

- ويبدو أن الفاطميين لم تكن لهم سياسة قارة ومحددة تجاه صقلية ، رغم أنهم بادروا الى ضمها بسرعة اثر استقرارهم في رقادة ، واعتبروها ثغرا للجهاد ، وللغزو ضد مراكز الروم في البحر ، وللتوسع في أرض أوروبا ، ويدل على ذلك :

- أنهم لم يتحروا في اختيار ولاية الجزيرة ، فكانوا يعينون احيانا على رأس هذه الولاية الثغرية ، من غلب عليه اللين ، أو طعن في السن أو لم يكن له ماض في التسيير الاداري وفي تدبير الحروب ، وأحيانا اخرى ، كانوا يعينون ولاية اقوياء يتجاوزون الحد في العنف ، وفي اراقة الدماء .

- وجند كتامة ، الذين استولوا على الجزيرة ومارسوا النشاط الثغري منها ، ضد قلورية واستقروا في أنحاءها لحراسة النفوذ الفاطمي ، سرعان ما استبدوا بالحكم ، وبالسكان وكانت نزعتهم قوضوية ، وتغلبت عليهم العنصرية ، وكانوا يميلون الى الشغب والى الاعتداء على الاموال والحرمانات ، كما كانوا يتدخلون في الصراعات الداخلية بين الامراء الكلبيين ، حيث وقفوا الى جانب علي ، ضد أخيه جعفر بن يوسف ، الذي انتقم منهم فنفى معظمهم من الجزيرة ، ثم أبعده العناصر القديمة عن السلطة وعن الجيش ، واستعان بجند من أهل الجزيرة فكان ذلك تطورا خطيرا اساء الى وضع البلاد ، التي تقوم حياتها على قوة جندها (244) .

243 - ومحاولتهم في عصر العزيز بن باديس سنة 444 هـ فشلت بسبب غرق الاسطول ، لم ان ميول المغز الانفصالية ، اسادت الى الوضع في صقلية والى العلاقة مع الفاطميين لانها قصت على الأمل في التنسيق بينهم وبين الزيريين لنصرة مسلمي الجزيرة . انظر عبد النعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، 281-287 ، ريزيتانو : المرجع السابق ، 40 وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل ، 10،72 وما بعدها ، حسن حسني عبد الوهاب قصة جزيرة قوصرة العربية 61 - المجلة التاريخية المصرية ، مجلد 2 ، عدد 2 أكتوبر 1949 . النوري : المصدر السابق 22 قسم 2 ورقة 177 وما بعدها .

244 - ابن الأثير : الكامل ، 10،72 ، أحداث سنة 484 هـ .

— ومن دون شك ، كان لافراط كتامة في التشيع ونسبتها الى فرع البرانس تأثير كبير ، على اهل السنة ، من العرب والبربر البتر ، من غير موالي كتامة واحلافهم .

وقد شاعت ظاهرة اللصوصية والسلب والنهب في عهود الفتن والحروب كآثر ، لتقليد السكان لتصرفات كتامة وماكانوا يبيحونه لانفسهم في عهود الامن والاستقرار .

ولم يكن الخلفاء الفاطميون ، متفقين على نهج معين لحكم الجزيرة ، ومن ثم نلاحظ ان سياسة المنصور في اقرار الاوضاع الشرعية فيها والتصدي لحرب الشغور ضد الروم والفرنج ، بالاعتماد على أسرة عربية قوية ، برهن رجالها على اخلاصهم وأهليتهم ، لم تلق كل الرضا من طرف المعز لدين الله الذي اضطرب تصرفاته بين ازاحة هذه الاسرة تحت ستار العناية بالاسطول وتعيين ولاة من أتباعهم ، أو بين ارجاعهم اليها بطريقة خاصة حيث كان أحمد واليا لكنه لم يباشر الحكم الا فترة ، وبواسطة أخيه أبي القاسم حتى توفي في طرابلس ، ولم يسمح له المعز لدين الله حتى بالرجوع الى المهديّة في احدى المناسبات رغم أنه تحايل بالتظاهر بالشوق اليه ، والرغبة في رؤيته (245) .

وكان المعز لدين الله على عكس أسلافه ، أميل الى سياسة الهدنة والتصالح مع الروم الذين استقبل سفيرا عنهم في المنصورية (246) ، والى الاكتفاء بالجزية من نصارى قلورية ، وبعض قلاع انكبردة ، ولم يابه لمشاعر المسلمين المعادية له ، عندما تخلى عن طبرمين ورمطة ، واخلاهما ، مصانعة للروم (247) .

245 — العزيزي الجوزي : سيرة جولد 118-119 .

246 — الفرزي : انعاظ الحنفا ، 1، 226 ، النعمان ، المجالس والمسائرات ، 1 ورقة 244 وما بعدها ، قصيدة رقم 94 ، من «قصائد لم تنشر» لابن هاني ، وتضمنت اشارة الى الوفد البيزنطي الذي وفد على المنصورية — حوليات تونس عدد 6 سنة 1969 .

247 — اماري : المكتبة الصقلية 441 (نقلا عن التويري) ، ابن الأثير : المصدر السابق 240،8 — 241 ، وهنا يشير الى ان أبا القاسم الكلبي اعاد سنة 365 هـ تعمير مدينة رمطة ، وكانت من قبل قد خربت ، النعمان : المجالس والمسائرات ، 1 ورقة 244 وما بعدها ، التويري ، نهاية الأرب ج 22 قسم 2 ورقة 119 وفيه قوله : «لوفي سنة 358 هـ وصلت هدية ملك القسطنطينية فامر المعز لدين الله باخلاء طبرمين ورمطة فاغتم المسلمون لذلك » .

ويزهون بذلك على أن من بين أهدافه في الجزيرة ، هي أن تكون طريقا للمساومة ، والضغط ، في أية مفاوضة مع الروم ، وكان تعيينه ليعيش عليها ، استنقاصا لسكانها ، واتجاها للتقليل من حرب الثغور (248) .

ورغم أن انتقاله الى مصر ، بعد مدة من اخلاء رمطة ، وطبرمين ، كان في غير صالح افريقية وصقلية ، لأن أوضاع الجزيرة لم تستقر ، فإنه حرص على ابقائها تابعة له مباشرة ، تحت ستار الاستمرار في الجهاد ، ولم تشملها سلطة الزيريين ، للخوف من اتساع نفوذهم ، ورغبة في ابقاء مراكز انطلاق ضدهم ، فيما لو فكروا في الانفصال ، مع أن الوضع الطبيعي ، كان يقتضي ، ربطها بنظام الزيريين ليستمر الجهاد وحراسة النفوذ الفاطمي فيها وفي غيرها ، من أرض المغرب . ويلاحظ أن تخلي الفاطميين عن طرابلس ، للزيريين منذ خلافة العزيز بالله وعدم تفريطهم في صقلية مع أنها امتداد طبيعي لأرض افريقية ، ينهض دليلا على أن احتفاظهم بها كان لهدف استراتيجي خاص (249) .

ولم يكن وضع الجزيرة خافيا على المعز لدين الله ، ولا على خلفائه ، ولم يغيب عنهم أن الروم الذين توسعوا في اقريطش وقبرص وشددوا الضغط في الجبهة الشرقية هم الذين يتحفزون للاستيلاء عليها . وهكذا تغلبت المصالح الاسرية وطني طموح الفاطميين الى السيادة العليا في العالم الاسلامي ، منافسة للعباسيين ، على مصالح المجموعات الاسلامية في صقلية و افريقية ، اللتين تركتا لمصيرهما بعد ان أعياهما النضال ضد هؤلاء المتغلبين .

ولا مبالغة اذا قلنا بان مسؤولية ضياع الجزيرة ، لا تقع على عاتق سكانها ، او على الامراء الزيريين ، بقدر ما تقع على عاتق الفاطميين ، الذين مهدوا بسياستهم المتتوية ، الى انفصال الجزيرة نهائيا ، عن دار الاسلام .



248 - ومع ذلك ، فالذي يجب ان يلاحظ هو ان المعز لدين الله رفض مبدأ الهدنة المؤبدة التي طلبها سفير الامبراطور البيزنطي . كما استقبل المعز رسل مسلمي جزيرة اقريطش ووعدهم بالمساعدة ، كما حاول التنسيق مع كافور الاخشيسندي لنجدة الجزيرة بجهد مشترك ، لأنها «فرضة مصر» وخاطبه بقوله « وانت لعمرى بذلك اجدر لقربهم منك ، واتصالهم بك ، ومسرحتهم بلدك ، وكونهم واياك في دعوة واحدة ، ولو اسلمناهم اليك وقعدنا عنهم ، لما كان لك ولا لهم علينا حجة في ذلك » . انظر النعمان ، الجالس والمسائرات 2 ، ورفقات 411-414 ، 421 وما بعدها ، بيبرس النوادر ، زينة الفكرة 6 ، ورقة 161-162 .

249 - وقد حاول المعز بن باديس نجدة سكان الجزيرة عقب نشاط الروم ضد قلورية وقلاع صقلية ، غير ان سوء الاحوال الجوية هو الذي أدى الى فرق الاسطول في جزيرة قوصرة (Pentilliera) ومن هذه الجزيرة انظر ياقوت معجم البلدان 7 ، 183 ، ح. عبد الوهاب قوصرة العربية 55 - 73 ، المجلة التاريخية المصرية مجلد 2 ، عدد 2 ، 194 ، ابن الاثير : الكامل ، 9 ، 130 .

والاهداف الاستراتيجية نفسها هي التي وجهت عمل الخلفاء الفاطميين نحو طرابلس وبرقة ، تعبيدا لطريق الشرق وخلقاً لمراكز امامية قريبة من حدود مصر ، ومن مراكز الروم شرقي البحر الابيض المتوسط ، للضغط ولانهاك ولاية مصر العباسيين ولتهيئة ظروف مناسبة لطعن الخلافة العباسية باحتلال مصر ، وما هو من ملحقاتها مثل بلاد الحجاز والشام .

وقد استهل عبيد الله المهدي نشاطه في رقادة ، بتعيين وال على طرابلس من قبيلة اجانة (250) ، هو ماكنون بن ضبارة (251) ، عامل ميلة القديم ، وأخص رجال الداعي الشيعي الذي استقر في مركز عمله دون أدنى مقاومة داخلية في البدء ، غير أن هوارة وأحلافها من زناتة ، ولماية ونفوسة وربما زواغة ، استغلوا الفوضى ، وعدم استقرار أوضاع الدولة في افريقية ، وفي المغرب الاوسط ، وأعلنوا العصيان ، بدافع العصبية السياسية والمذهبية والحقد على الشيعة ، الذين صفوا امامة الرستميين ونكلوا بالاباضية في تاهرت وبالصفرية في سجلماسة .

وتصدر زعامة الثورة ، شخص من هوارة البرنسية، يسمى ابا هارون، الذي استهل عمله بحصار مدينة طرابلس منذ أواخر 298 هـ/910 - 911م وازهار العداة لعامل المهدي ، ولجند كتامة .

وعندما أصبح الوضع خطيراً ، أرسل المهدي نجدة كتامية بقيادة ابي زاكي تمام بن معارك الاجاني (ابن أخيه) لرفع الحصار ، ولتأديب الثوار ، وعندما أنجز مهمته بنجاح ، وشتت شمل هوارة وأحلافها ، وقتل كثيرا منهم ، ومثل بهم ، وأرسل رؤوسهم الى رقادة حيث شهرت (252) - لقي مصيره - هو الآخر ، انما على يد عمه عامل طرابلس ، بناء على أمر وصله من المهدي ، لانه من بين زعماء الحركة الثورية ، ومن أخص مساعدي ابي عبد الله الشيعي ، وقد أبعد المهدي « على بنية بناها ، ونية نواها في قتله ، وقتل ابي عبد الله الشيعي بعده » وقد حرص العامل على تبليغ المهدي خبر تنفيذ الامر في حينه ، عن طريق بريد

250 - صحفت الكلمة الى اسجانة (سيرة جودر 121) ووصف ماكنون بالاجابي (الباء) ابن عذاري : البيان ، 227،1 ، كما وصف باللحياني ايضا ، انظر : الراوي : الفتح العربي لليبييا 184 ، ابن خلدون : العبر 4 ، 76 .

251 - ياتي اسمه احيانا بصيغة ماكنون بن دبارة ، ابن عذاري ، البيان ، 227،1 س 3 ، وضبارة اسم مالوف ، وورد في بعض المصادر التاريخية ، انظر الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، 7، 405 ، عن عامر بن ضبارة ودوره اثناء حركة التوسع العباسي في خراسان .

252 - ابن عذاري : البيان المغرب ، 1، 225-226 ، ابن خلدون : العبر ، 4 ، 77 ، ابن الاثير : الكامل ، 8، 18 ، 52 ط . بيروت) .

الحمام (253) الذي وصل الى رقادة بعد التنفيذ ، الذي صادف الثلاثاء من غرة ذي الحجة 298 هـ ، وعلى الاثر ، امر عروبة بن يوسف اللوسي ، وجبر بن ناسب الملي ، بقتل الداعي وأخيه غدرا ، فنقذا الأمر ، رغم استنكار الداعي واستعطافه لعروبة ، مرافقه القديم (254) .

ويظهر أن ما نتج عن قتلها ، وقتل أبي زاكي قبلهما في افريقية ومنطقة كتامة كانت له أصداء قوية في طرابلس ، وفيما جاورها ، لأن بعض النصوص تشير الى خروج حملة عسكرية من طرابلس ، قادها ابن دوقان ورجاء بن أبي قنة الكتاميان ضد مضارب لواته حيث ظفروا بغنائم وانتقموا من لواته شر انتقام ، وانهوا أخبار توفيقهم الى المهدي ، فقرئت سجلات عنها في القيروان وأعمالها ، والقصد من ذلك أن تهدأ نفوس السكان وتضعف مقاومتهم (255) .

وظهرت نتائج هذه الحملة التأديبية في هدوء الوضعية في كامل اقليم طرابلس ، واخلاد السكان بعدما حل بهم الى الراحة والسكون الذي استقله عامل طرابلس في الاستبداد والفهر ، واطلاق الحرية لعصبيته الكتامية ، يتصرفون كيفما شاؤوا ، ضد أموال الناس ومعتقداتهم ، وحرماتهم ، وعندما تبادوا في الطغيان ، ولم يظهر من الوالي ما يدل على الاستنكار ، وبلغ الغضب الشعبي أقصاه ، تفجرت حركة الثورة وتحرك السواد مستهل سنة 300 هـ / 911 - 913 م ضد عامل المدينة وضد جند كتامة ، وبينما تمكن العامل من الفرار ، نكل بجند كتامة ، فقتلوا عن آخرهم ، بعد حصارهم داخل المدينة ، وكانت خير فرصة لهوارة وللعناصر العربية ولبقايا بني الاغلب (256) كي يعلنوا انفصالهم عن الدولة ، فعينوا من تلقاء أنفسهم ، زعيما عربيا ، للاشراف على شؤون المدينة ، هو محمد بن

253 - وعن استعانة الفاطميين ببريد الحمام ، انظر ابراهيم العدوي ، الحمام الزاجل في العصور الوسطى 136 - 137 ، المجلة التاريخية المصرية مجلد 2 ، عدد 1 سنة 1949 .

254 - ابن عذاري : البيان ، 1 ، 227 - 228 ، وقد اكتفى عروبة بقوله يخاطب الداعي : «امرني بقتلك من امرتي بطاعته ، وانخلعت له من الملك بعد توطنته» ، ابن حماد : المصدر السابق 11 ، يحي بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 756 وما بعدها النويري : المصدر السابق 26 ورقة 34 ، الراوي : المرجع السابق 184 .

255 - نفسه ، 1 ، 229 ، ورغم ذلك فقد بقيت منطقة برقة على وضعيتها الإدارية القديمة من حيث تبعيتها للعباسيين حتى نجاح حملة حباسة بن يوسف الكتامي . انظر ابن عذاري : البيان ، 1 ، 235 .

256 - نفسه ، 1 ، 234 س 6 ، 14 .

اسحاق القرشي ، الذي عرف بابن القرلين (257) وكان يساعده في مهمته بعض زعماء الثورة وهم محمد بن نصر والحوحوه ، واستمر هذا الحكم الثلاثي لمدينة طرابلس عدة شهور (258) كانت هي فترة التهيئة والاعداد في رقادة .

وقد تمثل الجهود الفاطمي ، ضد ثوار طرابلس ، في حملتين ، بحرية ، وأخرى برية . وكانت الحملة البحرية التي تألفت من خمس عشرة قطعة أسبق تحركا وظهورا أمام ميناء طرابلس حيث هزمت ، وقتل من فيها وأحرقت سائر قطعها بواسطة الثوار الذين عقدوا العزم على تأكيد مبدأ الانفصال ، الذي لم يتأثر الا بعد وصول الحملة البرية التي قادها : أبو القاسم ، وعامل طرابلس القديم ، وانطلقت من رقادة يوم الاحد 2 جمادى الأولى سنة 300 هـ / ديسمبر 912 م فأنزلت هزيمة نكراء بهوارة وأحلقها ، الذين قصدوا تعطيل حركة الحملة وصرفها عن هدفها كما فرض الحصار الشديد ، على المدينة وعلى أرباضها ومنعت عنها الامدادات ، حتى مل السكان وعانوا من الجوع ، الذي اضطرهم لاكل الميتة ولطلب الأمان على أموالهم وأنفسهم وأظهروا التخلي عن زعماء الثورة الذين تحفظ أبو القاسم عليهم ورفض تأمينهم ، وتمسك بحق الدولة في تأديبهم لعصيانهم وللخسائر الجمة التي لحقت بالدولة من جراء طموحهم وطميشهم ، وهم الذين سيقوا الى رقادة ، وبعد أن شهروا ، وطوف بهم في مدينة القيروان ، على الجمال بالفلانس ، قتلوا (259) ، ورجعت الاوضاع في طرابلس الى الهدوء ، الذي استغله أبو القاسم في تأمين المدينة من مثل هذه الحركات الثورية .

فقد فرض غرامة حربية باهظة على السكان وكلف بجمعها منهم خليلا بن اسحاق ، من أبناء الجند في طرابلس (260) .

وقد اعتبر العناصر الاغلبية في المدينة خطرا على الامن والنظام ، لذلك قتلهم ، كما قتل من اشترك الى جانبه في القضاء على الثورة منهم (261) ، وعمله ضد بقايا بني الأغلب استمرار للاتجاه الذي تبناه أبوه في افريقية ،

257 - ابن عذاري : البيان، 232-233 ، لعله تصحيف للقوريني ، نسبة لقوريني ، وهي الشحات ٢.

258 - نفسه، 234، 8-9 .

259 - نفسه ، النعمان ، افتتاح ورقة 200 (274 ط . بيروت) .

260 - ابن أبي دینار : الأوس ، 56 (ط . تونس 1967) ابن خلدون ، العبر ، 4 ، 78 ، الزاوي : المرجع السابق 185 وقد قدرت الغرامة هنا بثلاثمائة ألف دينار .

261 - ابن عذاري ، 234، 1 .

عندما قتل عبد الله بن القديم وكان صاحب الخراج في عصر زيادة الله ،
بعد أن ساعد المهدي في كبت حركة التمرد ضده (262) .

ويلاحظ هنا أن النصوص لا تشير إلى مصر ماكنون بن ضبارة ، عقب
هذه الأحداث ، هل عين من جديد واليا على طرابلس أو كان فراره بمثابة
نهاية لحياته السياسية ؟ وقتله المهدي عقابا له على ذلك ، أو أودت به
حركات التصفية ضد بناء الدولة ورجالها ! وقد تأكد مبدأ الاستقرار
النسبي ، في طرابلس ، منذ سنة 301 هـ / 913 - 914 م بسبب أنها
أصبحت قاعدة عبور للحملات الفاطمية ضد مصر .

وحتى هذا الوقت ، بقيت سرت واجدابية ، وماوالاها ، منطقة
نفوذ عباسية ، وعلى صلة وثيقة بمصر ، التي كانت تتأثر بها ، بينما كانت
تولي أفريقية ظهرها .

وبداية دخولها ، دائرة النفوذ الفاطمي ، لم يكن ، قبل حملة حباسة
بن يوسف سنة 301 هـ / 913 - 914 م لأن بعض النصوص تشير إلى
ما نتج عن دخوله مدينتي سرت ، واجدابية بالأمان ، من فرار بقايا بني
الأغلب وجند بني العباس (263) .

كما أن حباسة نكل بجماعة في برقة لأنه وجدهم يلهون بالحمام ، بحجة
أنهم عيون للعباسيين وعلى صلة بولاتهم في مصر عن طريق بريد الحمام .

وشمل بتنكيله طوائف كثيرة من السكان لا سيما الأغنياء منهم ، الذين
استصفي أموالهم ، وقتل كثيرا منهم ، ولم ينصرف عن برقة إلا بعد أن واجه
مقاومة من جهة حدود مصر ، كما سحبه المهدي ، ترفقا بالسكان الذين
اشتكوا إليه مما حل بهم من بطش وتنكيل ومصادرة هذا القائد الملوسي ،
ورھط كتامة (264) .

وتصرفاته هذه ، إلى جانب عدم توفيقه في الحرب ضد مصر ، وفراره
من نكال أبي القاسم ، إلى أخيه عروبة هي التي شجعت السكان في برقة
على إعلان الثورة منذ أواخر سنة 302 هـ / 914 - 915 م فنكلوا بعامل
المهدي وبحامية كتامة انتقاما لما أصابهم على يد حباسة ، وكانت الثورة

262 - نفسه ، 1، 231 ، ابن الأثير : الكامل ، 8، 19، (52 ط . بيروت) .

263 - ابن عذاري : البيان ، 1، 235 ، النعمان ، افتتاح الدعوة ورقة 200 .

264 - نفسه ، 1، 236، 237 ، الرازي : المرجع السابق ، 185-187، ويوصف بأنه كان
حاد الطبع ، عديم الذمة متقلبا ، سفاكا للدعاء .

عامة وشاملة وصدرت عن شبه اجماع اذ « بدر الفوغاء الى من كان خلف
عندهم أبو القاسم من كتامة فقتلوه » (265) .

واستمرت المنطقة في وضع انفصالي لمدى أشهر حتى وصل أبو مديني
بن فروخ اللهيصي الى المنطقة برسم تأديب الثورة وارجاع النفوذ الفاطمي
اليها (266) ، وبعد أن واجه مقاومة السكان وعنادهم اثناء الحصار لمدة ثمانية
عشر شهرا لحقتهم اثناءها خسائر كبرى ، تمكن من اقتحام مدينة برقة
ومعاينة الثوار حيث احرق بعضهم بالنار ، وأرسل آخرين الى المهدي ، في
رقادة حيث قتلوا كما استصفي أموالهم واستولى على ذخائرهم (267)
و اثر ذلك استقر في المدينة واليا وقائدا على الحامية ومشرفا على سير
البعوث فيما جاورها حتى حدود مصر الى أن توفي أواخر سنة 306 (268)
/ 918 - 919 م .

ويبدو أن سياسة القسوة والسلب والنهب التي طبقت ضد سكان
طرابلس ، وبرقة ، اوضحت لجميع العناصر والنحل ، غير الشيعية أنهم في
نظر السلطة الجديدة سواء ، فكلهم يعتبرون مخالفين في المذهب وفي الاتجاه
السياسي ويؤخذون بالظنة ، في كل ما يطرا على المنطقة من حوادث وفتن ،
ولكنها من جهة أخرى دفعتهم الى التنسيق والتضافر تجاه هؤلاء المستبدين
الطغاة .

وإذا كانت حركات العصيان السابقة قد تصدرتها هوارة وأحلافها وبقايا
العناصر العربية فان حركة المقاومة للنفوذ الفاطمي منذ سنة 310 هـ / 922
- 923 م قد تبنتها قبيلة نفوسة ، وقادتها من منطقتها المنعزلة الحصينة
في اقليم طرابلس .

وأشرف على التنسيق وعلى قتال والي طرابلس الفاطمي ، وهو علي بن
سلمان الداعي الكتامي ، زعيم نفوسي ، يعرف بأبي بطة ، الذي حصن
منطقة الجبل وواجه أول هجوم قام به علي بن سلمان وأحبطه ، اذ أن هذا
الآخر « لما قرب منهم بيتوه ، وقتلوا كثيرا من أصحابه ، وانهزم الباقون
وتفرقوا عليه » . . ولم يجد علي بن سلمان ، مفرا من الالتجاء الى طرابلس
حيث أنهى اخيار الجند ، وفرارهم عنه الى المهدي ، الذي تصرف بحزم
وعلى صورة تنم على الاتقان ، والضبط ، اذ أمر عامله على قابس ، وهو علي
بن لقمان الكتامي بقتل كل من مر بالمدينة من فلول جند علي بن سلمان .

265 - نفسه ، 1 ، 240 ، الزاوي 187 .

266 - ابن عداري ، البيان ، 1، 241 . وترد نسبته بصيغة اللهيص احيانا .

267 - نفسه ، 1، 244 .

268 - نفسه ، 1، 254 ، الزاوي : المرجع السابق 187 .

فنفذ الأوامر في كثير منهم وفي نفس الوقت أرسل الى علي بن سلمان في طرابلس مدداً يتهياً به للثأر لهزيمته في جبل نفوسة ، ولا يستبعد أن يكون المهدي قد أمر ابن لقمان عامله في قابس ، بالوقوف الى جانبه ، في المجهود الحربي ضد نفوسه ، باعتباره أقرب العمال الفاطميين اليه (269) . وهو المجهود الذي انتهى بالنجاح ضد نفوسه ، يوم الاثنين ، أواخر شعبان 311 / نوفمبر 923 م - حيث هدم حصن أبي بطة ، وتكل بأنصاره النفوسيين قتلاً وسبياً ، ثم انصرف الى قاعدته في طرابلس ، دون أن تشير النصوص الى مصير أبي بطة ، بعد الهزيمة أو الى علي بن سلمان هل أبقى عاملاً في جبل نفوسة ، عنواناً على الغلبة والنفوذ الجديد (270) أو اكتفى بما ناله من نصر على قبيلة نفوسة .

وإذا كان علي بن سلمان (271) ، قد انتقم من نفوسة ، وثأر لهزيمته ، وشرفه العسكري ، بعد فترة اعداد طويلة نسبياً ، فان مصيره بعد ذلك بقي غامضاً ، فهل رجع الى طرابلس وبقي فيها ؟ ، أو انصرف الى المهديّة ؟ وعين خلف له ، وعلى أية حال ، فقد استمر النفوذ الفاطمي في طرابلس ، وبرقة اللتين توارداً عليهما قضاة (272) من طرف المهدي وكانت فيها حاميات كتابية أيضاً . وقد أمرت هذه الحاميات في بداية عصر القائم بأمر الله بالتنسيق والتعاون مع رجال الحملة الرئيسية التي أنفذها الى مصر سنة 323 هـ / 934 - 935 م .

وقيام سكان طرابلس عقب ولاية القائم باخماد ثورة ابن طالوت القرشي وقتله ، وإرسال رأسه اليه في المهديّة دليل قوي على وجود أنصار كثيرين

269 - نفسه ، 1، 263 ، الباروني : الأزهار الرياضية 296-297 ، التراوي : الرجوع السابق 188 .

270 - ابن عداري : البيان ، 1، 265 .

271 - يرد أحياناً على بن أبي سلمان - ابن عداري ، 1، 265 ، وكان أخوه فيما يبدو هو صاحب الوثائق ، ومتولي القضاء انظر 290 منه .

272 - وقد ولي قضاء برقة ، أحمد بن محمد بن سيرين الفقيه الحنفي ، لأنه تشرق ، ورافق أبا عبد الله الداعي الى سجلماسة راجلاً محتسباً الثواب في طلب الإمام ، ابن عداري ، البيان ، 1، 209 ، وكان قاضي طرابلس هو محمد بن عمران النفطي ، الذي اشتهر بخراب الذمة والارتشاء حتى نقل الى قضاء القيروان 311 هـ . بعد عزل اسحاق بن أبي المنهال ، انظر 1، 264 منه . حيث يشير أيضاً الى وفاة محمد بن سلام البرقي ، المتفقه على مذهب الشيعة ، وقد ولي قضاء طرابلس في عصر المهدي وبترشيح من أبي جعفر البغدادي ، عبد الله بن سليمان ، وكان صاحب الوثائق بها أيضاً ، وقد عزل لانحرافه الخلفي ، وولي بعده أحمد بن بحر ، بتركية ابن أبي المنهال الذي أعيد للقضاء وابن بحر كان من مساعديه ومن قضاة المظالم في القيروان في عصره انظر 290-291 منه .

للفاطميين في هذه البلاد هم سبب استمرار نفوذهم فيها وفيما جاورها (273) .

ويلاحظ أن آخر حملة فاطمية وجهت لفتح مصر ، وجدت عمالا فاطميين ، في اجدابية وفي برقة ومنهم افلح بن ناشب القائد المشهور الذي استمر في برقة بعد رحيل المعز لدين الله الى مصر . كما استمر ، عبد الله بن يخلف في طرابلس (274) ، حتى عصر العزيز بالله ، الذي سحبه فأصبحت منطقة طرابلس امتدادا لنفوذ ابي الفتوح بلكين، توالى عليها من طرف الزيريين منذ 367 / 977 - 978 م ، يحيى بن خليفة الملياني (275) ، وعوصلة بن بكار الذي ترك الولاية الى يانس الصقلي في عصر الحاكم ، واستقر في مصر سنة 390 هـ / 999 - 1000 م (276) ، وهذا التطور في وضع المنطقة ورغبة الحاكم في ارجاعها الى نفوذه المباشر ، كان بداية لخلاف حاد بينه وبين باديس بن المنصور استغله ، فيما بعد بنو خزر المغراويون ، أعداء الزيريين واقتطعوا المنطقة وأسسوا فيها أسرة زناتية استمرت فترة طويلة بمساعدة السكان ، غير أن باديس بذل جهودا كبيرة لارجاع نفوذه ، فيها بعد وفاة فلفل بن سعيد سنة 400 هـ / 1009 / 1010 م كما مال الحاكم لاسترضائه ، بانفاذ سجلات اليه تتضمن اضافة برقة وأعمالها الى نفوذ أسرته منذ 403 هـ (277) / 1012 - 1013 م .

* * *

وإذا كانت حركة التوسع السياسي ، في غربي الدولة ، وفي شرقها قد أسفرت عن خلق مراكز هامة للعمل ضد الأمويين والروم والعباسيين فان حركة التوسع المذهبي التي قادها خلفاء الفاطميين منذ عبيد الله المهدي وغذتها كتامة بفلوها ، واستبدالها ، رغم انتهاء حدثها ، لم ينتج عنها ما يعلي من شأن الفاطميين أو يشرف كتامة ، رغم حرص هؤلاء وأولئك على تسخير كل امكانياتهم لنشر التشيع والتمكين له بين جماهير السنة في افريقية وبلاد المغرب والأندلس .

273 - ابن عداري ، البيان ، 1، 295-296 ، القرظي ، اتعاف ، 1، 74 ، ابن خلدون : العبر ، 4، 83 ، ابن الأثير ، 8، 98 .

274 - ابن خلدون : العبر ، 6، 317 ، الزاوي : المرجع السابق 194 .

275 - نفسه ، 4، 107 . ابن عداري ، 1، 329 .

276 - ابن الأثير : الكامل ، 9، 58 .

277 - أسس الأسرة فلفل بن سعيد بن خزون بن فلفل بن خزر ، وبنى قصرا بطرابلس ، احتفل باسمه حتى اليوم ، ابن عداري : البيان ، 1، 359-361، 372-374 س 1-2 ، ابن الأثير : الكامل ، 9، 58، 66، الزاوي ، 204، 213 .

ولا ريب ان جهود الداعي الشيعي ، بين قبيلة كتامة ، لم تضع بدون جدوى ، حيث أصبح بين هذه القبيلة دعاة متحمسون ، كانوا عدته من قبل لتعبئة النفوس ، والقوى في كتامة وفي اقليم الزاب ، وكانوا الى جانبه يوم معركة الأربس وبلغ من كثرتهم أن الداعي الشيعي قدمهم أمام عبید الله في سجالمة ، للسلام عليه ، وفق ترتيب خاص منعا للفوضى وللارتباك .

وبقيت صلته بهم ، قوية بعد دخول رقادة ، اذ كانوا بطانته الخاصة ، ومن بينهم رجال أشرف على تكوينهم وتربيتهم فقدوا على نسجه ، ولا يتصورون سيدا أو زعيما غيره (278) ، وكان بدوره يبادلهم نفس التقدير . ويؤثرهم بالخير باعتبارهم رجاله ، وعصبيته ، اذ تشير بعض النصوص الى أنه رشح للقيام بدعوة سكان القيروان ، ورقادة الى المذهب الاسماعيلي ، كثيرا من قادة كتامة ، ووجوهها (279) .

وقد بلغ من غلوهم في التشيع وفي تقديس الامام كما أمرهم الداعي - أن صيغة اليمين عندهم لم تكن باسم من أسماء الله ، كما هي عادة المسلمين ، وانما كانت باسم المهدي ونصها « وحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي يرقادة (280) » وهي صيغة لا تتضمن الغلو فقط ، وانما هي كفر صريح ، لأن فيها اشراكا للمخلوق ، مع الخالق ، في احدي خصائصه ، وهي معرفة الغيب (281) .

وهذه الصورة من الغلو العقائدي ، يضاف اليها ، التغيرات المذهبية التي اجراها المهدي بعد استقراره في رقادة واطلاقه الحرية للدعاة ، وكتامة يفتنون الناس في عقائدهم ويرغمونهم على تغيير المؤلف لديهم هي التي وجدت فضلا من الصراع المذهبي العنيف بين الشيعة ، وجمهور أهل السنة خاصة المالكية ، كذلك يلاحظ أن التناقض بين معظم المذاهب السنية والمذهب الاسماعيلي كان يحمل في طياته بدور الشقاق وعوامل الصراع ، حتى لو كان الخلفاء الفاطميون متسامحين مع المعارضين . وبيئة افريقية نفسها لم تخل من مثل هذه الصراعات المذهبية في العصر الأغلبي ، الذي

278 - الفرزي : اعطاء الحنفا 1،67، أبو زكريا : السيرة واخبار الائمة ورقة 33 ، وفيه عن بعض الكتامين يخاطبون الداعي بقولهم « لا نعرف لانفسنا سلطانا سواك » .

279 - ابن هداري : البيان ، 1،208 .

280 - نفسه ، 1،221 .

281 - والذي يلاحظ أن الاسماعيلية لم يؤلها الائمة وان كانوا يغالون في تصوير قدراتهم العجيبة ، ومن ذلك ادعاء معرفتهم للغيب . انظر الكرمانى : الرسالة الواظلة 9 ، تقديم ونشر كامل حسين .

كان يدور بين الحنفية والمالكية أو بين هؤلاء جميعا ، وبين الواصليّة والظاهرية . وقد شارك الأمراء الاغالبية بنصيب في تغذية الصراع بين المالكية والحنفية لتقريبهم للاخيرين ، وتعيينهم على رأس الخطط الشرعية ، اما عن اقتناع واتفق مذهبي ، أو مجاملة للخلفاء العباسيين الأحناف . وعنصر المجاملة هو الذي أدى أيضا الى رعاية مذهب الواصليّة وتقريب رجاله وتعيين بعضهم على رأس القضاء .

وإثناء فترة الصراع امتاز المالكية عموما بالتشدد والتماسك والزهد في المناصب أو في القرب من السلطان ومن ثم أصابهم في عصر سيادة الأحناف (282) ، والواصليّة في العصر الاغلبي ما أصابهم في عصر سيادة الشيعة أثناء الحكم الفاطمي من اضطهاد ، وتعذيب وملاحقة . بينما كان الأحناف أكثر مرونة وطواعية ورغبة في النفوذ منهم . هذا الى أنهم كانوا يميلون الى تفضيل علي ، والى جواز الانتقال من مذهب الى آخر ، ولذلك سادوا في العهد الفاطمي ونالوا حظوة عند الخلفاء واحتكروا الخطط الدينية لأن كثيرا منهم تشرق ، واخذ بمذهب الدولة ، خدمة لأغراض خاصة ، وأقل عناصر السنة تشيعا هم المالكية الذين اضطر بعضهم للتشيع ، افتنانا تحت الضغط ، وبدافع الفقر والحاجة أو حرصا على كسب امتياز خاص ، أو وظيفة عند الدولة .

وقد قام الأحناف تجاه المالكية في هذا العصر بنفس الدور الذي مثله من قبل في العصر الاغلبي ، فكانوا سوط عذاب وعيوننا للنظام على المالكية .

وإذا كانت حركة المعارضة للفاطميين في بلاد المغرب قد شملت طوائف مذهبية كثيرة ، حيث كانت إباضية نكارية ، في نفوسة وإثناء حركة أبي يزيد ، وصفرية في سجلماسة ، أثناء حركة ابن واسول ، وسنية زناتية ومكناسية في حركات مغراوة وبني يفرن ، ثم في ثورة ابن أبي العافية ، فإن جميعها كانت سلبية بالنظر لنتائجها لأنها اقتصرت على الميدانيين السياسي والعسكري ، وكانت آثارها التخريبية واضحة وشرا بالنسبة لأطراف النزاع ، أما معارضة طوائف السنة فإنها كانت سلمية هادئة وخصبة في آثارها وإيجابية في نتائجها ، وانحصرت في مجالس خاصة ،

282 - وعن بعض من امتحنهم ابن عبدون القاضي أنظر عياض : ترتيب المدارك مجلد 2 ، ج 3 ص 230 وما بعدها ، 194 وما بعدها ، وعن ترجمة حياته أنظر : محمد الجودي تاريخ قضاة القيروان ورقة 4 خ رقم 18397 تونس ، الخشني : المصدر السابق 242 - 245 ، المالكي ، رياض النفوس ، 1، 494 ، وليله الى سفك الدماء قال عنه ابراهيم بن احمد « لو ساعدته لخطت له مقبرة على حدة » طالبى : تراجم اغلبية . 259

المناظرة وللجدل حول المذهب دفاعا عنه من زيغ الغالين ، ولهذا أفادت الحضارة الإسلامية وأغنت الفكر الديني وعمقته عن طريق استخدام الحجج العقلية والآثار النقلية ونشاط حركة التأليف والخطابة والدعوة .

ويعني هذا أن كلا الطرفين ، الشيعي ، والسني ، استفاد من حلقات المناظرة ، كما أفادوا جمهور السكان في أفريقية بواسطة الوعي الذي ظهر بينهم ، حتى كانت المناظرات تجري في رقادة أو في القيروان ثم تنتشر أخبارها وينقلها الناس بسرعة إلى سائر أرجاء أفريقية ، وتبقى حجج علماء المالكية وردودهم على الشيعة حديث المجالس ، وتتردد على الألسنة ويفتخر بها السكان .

وظهر أثناء حركة الجدل ، دور علماء المالكية والسنة عموما ، ومن بينهم محمد بن نصر بن حزم ومحمد بن سحنون (283) ، وأبو بكر بن القمودي ، وابن البرذون ، وابن هذيل ، وعلي ابن منصور الصفار ، ومحمد الرقادي ، وعبد الملك بن محمد الضبي (284) ، وابن القطان ، وأبو العرب تميم وأهمهم شيخهم أبو عثمان سعيد بن الحداد (285) ، الذي ناضل عن المذهب المالكي ، ضد الأحناف (286) حيث كانت له مناقشات مع محمد بن الكلعي حول مسألة خلق القرآن ومع أبي المنهال شيخ العراقيين ومقدمهم ورأس أسرة عتيبة ، تعاونت مع الفاطميين وساندتهم في آرائهم (287) كما ناضل ضد المعتزلة وشيخهم الفراء ، سليمان بن أبي عصفور (288) ، وغير هؤلاء من أصحاب النحل والبتدعة (289) الذين تصدى لهم ابن الحداد ، وفند آراءهم ، ومنهم أبو العباس المخطوم ، وأبو عبد الله الداعي ومحمد بن عمر

283 - الخشني : فضاء قرطبة وعلماء الفريقية ، 256 ، طالبي ، تراجم اقلية ، 182 - 201،183 .

284 - نفسه 280-284 ، طالبي تراجم 398-399 .

285 - نفسه 257-258 ، عياض : ترتيب المدارك مجلد 2 ، ج 3 ، 34 ط . بيروت ، تراجم اقلية 351 وما بعدها .

286 - اشتهر من بين فقهاء الحنفية علماء كان لهم مهارة في الجدل والمناظرة هم : عبد الله ابن محمد بن الاشج وأحمد بن وهب واسحاق بن أبي المنهال . ومحمد الكلعي ، ومحمد بن أسود الصديني وكان بعضهم يميل إلى الاعتزال ، واعتنق كثير منهم المذهب الاسماعيلي وتعاونوا مع العهد الجديد مثل أسرتي أبي المنهال والنعمان ، أنظر الخشني طبقات 286 وما بعدها . ابن عذاري 212،1 ، وبيئة العراق مسقط رأس النماة ، ومهد التشيع والحنفية .

287 - الخشني : المصدر السابق 247،248

288 - نفسه : 257-258 ، 286-289 ، طالبي : تراجم اقلية 357 .

289 - ويرى فقهاء المالكية أن جميع الاتجاهات والمذاهب غير السنية ، تعتبر بدعا وانحرافات وقد ذكر عبد الله بن فروخ في كتاب أرسله إلى مالك بن أنس أنه ألف الرد على المبتدعين في الفريقية .

الروزي ، ومن كان في ركبهم ، مثل أسرة ابن أبي خنزير ، وأبي موسى هارون بن يونس المعروف بشيخ المشائخ وأسرة النعمان بن محمد التميمي الذي لم يظهر دوره في حركة الجدل ، سواء في أواخر العصر الأغلبي ، أو في بداية العصر الفاطمي ، حيث تبدو شخصيته ضعيفة متضائلة مترددة ، سريعة الانفعال والتأثر ، لما يشيعه الخصوم حتى كاد يعتزل الحياة الإدارية - لولا تعنيف المعز لدين الله وتشجيعه له على البقاء والثبات في وجه الحاسدين (290) .

وعلى عكس حركة الجدل في العصر الأغلبي، التي لم تعرف كل تفاصيلها ، ولم تتخللها أعمال العنف ولم تخلف ضحايا وشهداء (291) ، فإنها في العصر الفاطمي ، كانت تعتبر صورة من الجهاد الحقيقي في نظر المالكية ، لذلك نتج عنها ضحايا ، وشهداء ، كما عرفت أغلب موضوعاتها وهي :

- قضية تفضيل علي وصلاة التراويح ، والقياس ومنزلة السنة في التشريع ، وفضل العلم ، على المعلم ، وتقديم المفضل على الفاضل ، بعد حصول الاتفاق (292) .

ومسألة تفضيل علي ، هي أصل كل المجالات وما عداها ، فروع لها ، ورأى الاسماعيلية المعتدلين أنه أفضل من سائر الصحابة الكرام وأحق بالإمامة بعد الرسول ، وأن غيره مغتصب لما ليس من حقه ، وآية ذلك في نظرهم أنه أحد الخمسة أصحاب الكساء على خلاف أبي بكر مثلاً ، وقد نص الرسول عليه عند غدير خم بقوله «من كنت مولاه ، فعلى مولاه» . كذلك أشاد الرسول بعلمه أمام الملا من الصحابة ، بقوله «أفضلكم علي» هذا إلى أن أبا بكر ، كان يلتجئ إليه ، بعد خلافته في كل ما يصعب فهمه ، ويستعصى حله ، من مشاكل مثل قضية فرض الجدة ، بحيث كان في

290 - النعمان : الجالس والمسائرات 1، ورقة 203 وما بعدها ، وقد رد المعز على النعمان بقوله «بانعمان والله لولا معرفتي بك لنسبتك إلى الجهل ، إذ كنت قد علمت ما مر على مواليك من أذى من نصب لهم وعاداهم .. أفما علمت أنك الجاني على نفسك ما منه فوجرت إذ قد تبين لك مخالفة السفل الرعاع لآولياء الله .. وهذه الألسنة الحداد هي متاجر النساء والسفل والأوغاد» . محمد الجودي : قصة القيروان ، ورقة 20 - 21 ، ويوصف النعمان هنا بقاضي فضاة السلطان وبالداعية .

291 - الحبيب الجعفاني : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية 153 وما بعدها .

292 - الخشني : المصدر السابق 258-275 ، ويشير هنا إلى أربعة مجالس للمناظرة ، انتظمت في رقادة واشترك فيها ابن الحداد ، وكل من الداعي الشيعي ، وأخيه أبي العباس المحظوم ، أبو العرب تميم : طبقات علماء المرقبية 199 وما بعدها ، حسن حسني عبد الوهاب ورفقات 1، 259 . حسني إبراهيم حسن : عبيد الله المهدي ، 333-342 .

عهده ، بمثابة المرشد والمفتي والمعلم له ، وعلى ذلك فهو أفضل منه ، ومن سائر الصحابة ، الذين هم دون أبي بكر في الفضل والاعتبار (293) .

أما الفلاة من الاسماعيلية فرأيهم أن عليا أحق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الأخير ، اغتصبها منه ، وقد لوحظ هذا الاتجاه في بلاد الأندلس ، في آراء وأقوال أبي الخير الداعي الذي أسلفنا الحديث عنها (294) ، وكان رأي المالكية كما عبر عنه ابن الحداد مقنعا إلى حد بعيد ، إذ أوضح الأخير أن أبا بكر وإن لم يكن ضمن أصحاب الكساء الخمسة فهو ثاني اثنين إذ هما في الغار .

وقضية الولاية ، في الحديث الشريف ، ليس المقصود بها ، أن يكون الناس طوع أمر عبيد الله المهدي ، أو من انتسب إليه ، وإنما يقصد بها ، الولاية الدينية ، وتقديم الاحترام ، والتقدير لعلي ولذريته .

ويلاحظ أن الله تعالى أمر الأنبياء أنفسهم بأن لا يعتبروا الناس عبيدا لهم ، أما علي فليس بنبي ، وإنما هو وزير له ، وأثير عنده ، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي ، بالمهارة في القضاء ، جاءت ضمن حديث طويل ، وصف فيه عمر بالشدة في دين الله ، ومعاذ بن جبل بادراك الفروق الدقيقة بين الحلال والحرام ، كذلك يلاحظ أن مسألة تفضيل المعلم ، على تلميذه ، نسبية ، وقاعدة أغلبية لأن الواقع ، يشهد أحيانا بأن كثيرا من الطلبة ، يواصلون دراساتهم فيصرون في مستوى رفيع ، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاتجاه بقوله : « رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه » .

وأشارت قضية تراويح رمضان نقاشا حادا ، بين المروزي ، وبعض فقهاء المالكية والحنفية . وفي البداية تحفظ ابن الحداد ، ولم يشترك في الجدل ، رغم أنه كان بين الحاضرين ، حتى ظهر عجز أصحابه عن الإقناع ، بسبب أن المروزي احتج عليهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم صلاة التراويح الا ليلة واحدة ثم قطعها ، وأن عمر بن الخطاب هو الذي استمر في العمل بها ، وعلى ذلك فهي بدعة ، فكيف يتفق ادعاؤكم التسنن مع استمراركم في إقامة البدعة ، وكان رد ابن الحداد ، اعترافا بأنها بدعة ،

293 - نفسه : 264، 271-275 ، ابن عداري : البيان : المغرب ، 1 ، 207 س 6 - 7 ، عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين 1، 51-52 .

294 - ابن سهل : قطعة من الأعلام بنوازل الأحكام 61، 64 حوليات الجامعة التونسية 1964 . والمعتدلون من الاسماعيلية ، يعتبرون درجة النبوة أعلى من درجة الإمامة وينكرون التطرف والقلو : النعمان : الهمة في آداب اتباع الملة 39 ، المجلس والمسائرات 1 ، ورقة 357 وما بعدها ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 71 .

لكنها مستحسنة ، ابتغاء لرضوان الله وثوابه ، أما ان الرسول لم يواصل القيام بها في رمضان فذلك لانه مشرع ، وخشى أن يتوهم الناس فرضيتها ، لكن هذا التوهم زال بعد موته (295) .

ولما لم يجد المروزي ما يحتج به ، بسبب وضوح الحقيقة ، لجأ كعادته الى التهديد باستعمال القوة ضد كل من يقوم بالتراويح في رمضان (296) .

وحول منزلة السنة ، والتمسك بالقياس ، جرى نقاش تزعمه أبو عبد الله الشيعي ، الذي انكر على فقهاء المالكية مثل موسى بن عبد الرحمن القطان وابن الحداد ، عملهم بالقياس وترك القرآن في حديث جرى عن حد شارب الخمر ، وقد روي ابن القطان حديثا نبويا ، انكره الداعي وتمسك بنص القرآن ، فأوضح ابن القطان أن الحد استفيد قياسا على حد القذف المنصوص عليه في القرآن لأن مال المخمور ، أن يطلق لسانه بما يشين غيره ، لأن الشخص إذا « سكر هذى ، وإذا هذى افتري ، فوجب عليه ما يؤول أمره اليه وهو حد القذف » وكذلك فعل عمر بن الخطاب (297) ، وعندما طعن الشيعي في عمر ، ووصفه بأنه فر بالراية يوم حنين ، وانكر ابن القطان الواقعة ، بقوله « ما عرفنا ولا سمعنا بهذا » ، تدخل ابن الحداد وأوضح أن عمر تحيز الى فئة ، ومن تحيز ليس بفار (298) .

وقد تخللت حركة الجدل ، بعض الحوادث التي قصد بها الاثارة والتأثير ، ومن ذلك أن الداعي الشيعي لما بادر ابن الحداد ، في إحدى المناظرات ، بقوله « يا شيخ أنك تطيل جدا » أجابه بسرعة « ها أنا أطيل فلا يفهم عني ، فكيف لو قصرت » (299) .

295 - عن البدع المستحسنة في المغرب والاندلس ، انظر : الونشريسي : المعيار العرب ، والجامع المغرب في فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، 2 ، ط فاس 1314 - 1315 هـ هنري بريس : المستحسن من البدع (منتخبات من معيار الونشريسي) . الجزائر 1946 . الطرطوشي : الحوادث والبدع ، تحقيق محمد طالبى . تونس 1959 .

296 - الدباغ ، معالم الايمان 2، 206 ، وقد تنذر بالمروزي أحد المعتوهين فقال له : « قد لظنت لنا أصلحك الله في قطع قيام شهر رمضان فلو احتلت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤونته كلها » فاستاء المروزي وجزره بقوله « اذهب عني يا ملعون » . ابن عذاري 1 ، 208 .

297 - الدباغ : المصدر السابق ، 2، 207 .

298 - نفسه ، 2، 208 ، الخشنى : المصدر السابق 258-262-264 .

299 - نفسه ، 2، 211 .

ويبدو أن هذا الرد الجاف لم يعجب أبا موسى هارون بن يونس المسالتي المعروف بشيخ المشائخ ، فنهض يريد قتل ابن الحداد بالرمح ، فنهاه الداعي ، لكنه في نفس الوقت قال لابن الحداد « لا تفضب هذا الشيخ الذي يفضب لفضبه اثنا عشر ألف سيف » (300) .

وهم عدد انصاره من قبيلة مسالطة الكتامية وحدها .

ولحرص الداعي ، على أن لا يصاب ابن الحداد بأذى ، بعد أن عرف أهميته ، وخوفا من افتتان الاسماعيلية بأرائه ، أصبح يكتم عنه مجالس المناظرة (301) ، وكان ابن الحداد بدوره معتدا بنفسه ، (302) وبالقوى الشعبية التي تلتف حوله ، فلا يحضرها حتى يدعى لها من طرف أبي عبد الله الشيعي أو غيره .

ويلاحظ أن دوره في حركة الجدل لم يكن سببا في التفاف جماهير المالكية وحدهم (303) ، بل اكسبته تقدير الداعي ومحبة كثير من المتشيعين ، ومن ذلك أن الشيعي أوصى حاجبه الصقلي بأن يأذن للناس بالدخول للمناظرة ، إذا اكتمل عددهم ، فلما حضر ابن الحداد أذن له الحاجب بالدخول فأنكر الداعي ذلك عليه ويادره « قلت لك : الناس » ، فأجاب الحاجب ، سليقة ، ومن فرط الإعجاب ، « هذا هو الناس كلهم ، فإنا فعلت ما أمرتني به » فأسرها الداعي في نفسه ، لفترة ثم تخلص منه لشكه في مذهبه (304) .

وعندما فشل الشيعة في اكتساب هذا الرجل الذي تقف وراءه جماهير السنة ، ويجمع الى التبحر في المذاهب الاسلامية والعلوم الدينية ، قوة هائلة في الخطابة وبراعة في التفسير ، وحذاق لفنون الجدل ، وأساليب

300 - طالبى : تراجم اقلبية 357 ، والنص هام في توضيح عدد بعض فروع كتامة فى المريقية .

301 - الدباغ : المصدر السابق ، 2 ، 205 .

302 - نفسه ، 2 ، 210 ، وقد بنفت 40 مجلسا ، حفظ منها الخشني اربعة مجالس فقط وغيرها مبثوث في المصادر المختلفة .

303 - الدباغ 2 ، 210 ، وقد وصفه ابن القنطان للجماهير بقوله « لو سمعتم سعيد ابن الحداد فى تلك المحافل وقد اجتمع له جهازة الصوت وفخامة النطق وفصاحة اللسان ، وصواب المعاني لتمنيتم أن لا يسكت » ، حسن حسني عيد الوهاب ، ورقات ، 1 ، 258 - 262 ، نقلا عن رياض النفوس للمالكي ، 2 ورقة 32 وهو مخطوط بمكتبته الخاصة .

304 - نفسه ، 2 ، 211 .

الاقناع ، اكتفوا برصد حركاته والتحري على أعماله وعلاقاته بأصحابه (305) ، ولهذا السبب علموا خبر وفاته (302 هـ / 914 - 915 ر قبل غيرهم ، فأرسلت البشائر سحرا من القيروان الى المهدي في رقادة .

وبقدر ما اغتبط الشيعة بموته بقدر ما استاء جمهور السنة والمالكية ، الذين رثوه بقصائد شعرية ضمنوها فجيعتهم بفقده ولوعتهم في اختفاء « زعيم » من زعمائهم المخلصين (306) وكان موته خسارة كبرى للمالكية ، اذ خلف فراغا كبيرا ، وأصبحت حركة الجدل ، التي استمرت ضعيفة من جانبهم ، تجرى في غير صالحهم ، وأحرز الشيعة تقدما كبيرا في غزو الافكار وتشريق الكثيرين من أهل السنة ، كما هجروا العواصم المالكية ، وقلاعها ، واستقروا في مركزهم الجديد في المهديّة التي أصبحت مقرا للخليفة ولمجالس الذكر والحكمة ، وقد استخدمت جميع الاساليب للتأثير على الجماهير السنّية ولتحويل الانظار الى العاصمة الجديدة حتى أن عبید الله المهدي فرض على سائر الحجاج المرور بها لآداء ما يجب عليهم من رسوم (307) .

ومن خلال ما جرى من جدل بين المالكية والشيعة كانت تبدو شخصية المروزي الهزيلة وآراؤه الفطيرة ، وضيق افقه وقصوره عن الاقناع والتجاؤه الى سلاح التهديد لفرض آرائه ، ولم يتورع أن يعزر اناسا كان لهم ظهور في الحياة الاجتماعية وسبق أن تعايش معهم ، في العصر الاغليبي ، وفترة قضائه ، كانت فترة محنة للمالكية وكان يسانده ويشجعه على العنف ، أبو العباس المخطوم (308) ، لأنه كان مثله محدود الافق ، متعصبا ، « عجولا كثير الكلام ، ضعيف العقل » (309) . وقد استغل الاثنان فرصة غياب أبي عبد الله الداعي في سجالماسة للتنكيل بأهل السنة ، وقد أراد

305 - نفسه ، 215 ، ابن عذارى : البيان ، 1، 240 ، ح عبد الوهاب ورفقات ، 1، 258، وما بعدها .

306 - نفسه ، ابن عذارى ، 1، 240 .

307 - ابن عذارى : البيان ، 1، 262 . وفيه قوله « امر عبد الله أن يكون طريق الحاج على المهديّة لآداء ما يجب عليهم من المفارم في الشطور وأن لا يتمدى هذا الطريق احد » . وقد وصفت المهديّة في الشعر بالحرم ، وشبه مقامه فيها بمقام ابراهيم في مكة ، انظر البيان ، 1، 258، 259، النويري : نهاية الأرب ، 26 ، ورقة 35 ، يحيى بن سعيد : المصدر السابق 762 ط كراتشوفكي .

308 - الدباغ : معالم الايمان ، 2، 198 وما بعدها ، ابن عذارى ، 1، 207 . وقد كتب احد المالكية في اتجاه القبلة حيث يجلس المروزي للصلاة في المسجد ، آية « ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسمى في خرابها » ولا رآها المروزي تالم وأمر بمحوها وبالتقصي عن فعل ذلك .

309 - ابن عذارى : البيان ، 1، 206 .

المخطوم أن يطرد من حاضرة القيروان كل من يرى رأي المالكية أو يقلد مذهب أهل المدينة المنورة (310) ، حتى يخلو له الجو ، وعزمه على تنفيذ هذا الإجراء - الذي رفضه أخوه الداعي (311) - لا يدل فقط على اتجاهاته المتطرفة وعنفة ، وإنما أيضا ، يبرهن على مدى تخوف الإسماعيلية من فقهاء وشيوخ المالكية ، لأنهم كانوا بحق أصحاب الزعامة الشعبية ، يحكم أصالتهم في المنطقة واختلاطهم بالسكان وانتمائهم الى طبقات غير أرستقراطية وفقرهم ، عكس الأحناف والمعتزلة الذين كانوا في معظمهم من طبقات متوسطة أو عليا ومن غير سكان افريقية أصلا بل من حواضر العراق والشرق الاسلامي .

وتصرفات أبي العباس المخطوم ، واهتزاز شخصيته هما اللذان اديا الى فتن واضطرابات كبرى ، لم تقتصر على القيروان ورفادة وإنما شملت حواضر كثيرة في افريقية والمغرب الاوسط . وعلى النقيض منه كان أخوه أبو عبد الله أثناء الجدل مثلا للرجل المتزن الهادئ ، المتعقل الذي يعرف كيف يذود عن مذهبه ، أما بالحجة المقنعة ، أو بالسفسطة ، وحسن التخلص ، وكان الحسن بن أبي خنزير ، باعتباره عاملا على القيروان ، هو الذي يقوم بتنفيذ العقوبات على المخالفين .

وقد أشارت النصوص الى مبلغ تأثره من تعذيب وقتل محمد بن خيرون حتى أنه تدخل عند المهدي لعزل الروزي ولعقابه حيث قتل قتلة شنيعة (312) .

وكان يشبه الداعي ، في تعقله وهدوئه وصراحته في الطرف المالكي ، أبو عثمان سعيد بن الحداد ، الذي حاز إعجاب خصمه وتصور فيه جمهور أهل السنة ملامح ابن حنبل « القيرواني » في شجاعته ، وشدته ، ورفضه للمغريات أو الالتجاء الى التسر والتقية ، مثل أبي بكر القمودي ، رغم

310 - نفسه .

311 - نفسه 213،1 ، ولقد عنفه الداعي على تطرفه بقوله (قد افسدت علينا من امر البلد واهله ماكانت بنا حاجة الى صلاحه) .

312 - الدباغ : المصدر السابق 198،2 وما بعدها ، ابن عذاري : البيان 241،1 وقد رمى في اسطبل برفادة حيث كانت الدواب تركض عليه وتدوسه حتى مات ، وكانت اخدى جوارى ابن خيرون التي صارت في كنف ابن خنزير تشمت به ، قائلة له : يا شيخ السوء قتلت سيدي ابن خيرون ، شيخ القيروان وأزقتني من عنده ، ورددتني عند خنزير ابن خنزير ، الخشني ، طبقات 229 . وهنا يشر الى رغبة المهدي في تولية ابن خيرون القضاء لسعة علمه ولأنه الف كتاب نسب الشيعة وأخبارهم ، لولا كيد الروزي وسعيه به عنده .

أن رأي أنصاره كان يقتضي منه قدراً من الحذر والحيطه ، خوفاً من عقاب الشيعة وتكيلهم به (313) مثلما تكلوا بغيره من فقهاء أهل السنة والمالكية خاصة ومن هؤلاء :

ابراهيم بن محمد الضبي ، المعروف بابن البرذون ، وأبو بكر بن هذيل ، وهما اللذان قتلا بعد التعذيب والتشهير ، لسعاية محمد الكلاعي والمروزي بهما ، عند ابن خنزير ، والتهمة التي لفتت لهما هي الطعن في النظام الاسماعيلي ، وتفضيل الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، على الامام علي بن أبي طالب (314) ، وقد اعتبرا في نظر فقهاء المالكية شهيدين ، وأطلق علي قبريهما ، اسم قبور الشهداء (315) ، وهما اللذان استهلا عصر المحنة والاضطهاد ، والشهادة بالنسبة لجمهور الفقهاء المالكية ، ويسبب قضية التفضيل ، قتل محمد الشذوني الزاهد ، وأبو علي حسن بن مفرج بأمر من عبيد الله المهدي (316) ، وضرب محمد بن العباس الهذلي ، وسط المسجد بالذرة وهو عريان ، وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه ، وشهر في أسواق القيروان ، بتهمة أنه يطعن في النظام ، ويعرض بالمهدي ، ويفتي بقول مالك بن أنس (317) ، وقتل محمد بن أبي أيوب المعروف بابن العاهة ، بتهمة أنه ينوي الثورة ضد المهدي ، وفي سبيل البحث عنه ، لتنفيذ العقوبة هدمت الدور التي استتر فيها (318) ، وقتل عبدوس وهو أحد المؤذنين الزهاد في مدينة القيروان بعد أن ضرب وقطع لسانه لأنه حسب زعم الشيعة - اذن ، دون أن يضيف « حي على خير العمل » (319) .

كذلك ضرب وعذب من أهل الفضل والزهد ، هشام بن الربيع التميمي ، وقد أوصى قبل وفاته بأن لا يدفن في المهديّة (320) ، كما قتل أحمد بن يحيى بن طيب ، المتطبب ، والفقير الحنفي ، في ظروف غامضة (321) .

313 - الدباغ : المصدر السابق 2،202 وما بعدها : وكان رده علي من نصحه بالتزام الاعتدال ، قوله « قد أريبت علي التسعين ، ومالي في العيش من حاجة ، وقتيل الخوارج خير قتيل ، ولا بد لي من المناظرة والمناضلة عن الدين » .

314 - ابن عداري : البيان 1،212،213 ، طالبي : تراجم الغلبة 392 ، وقيل ان ابن خنزير لما قال لابن البرذون يا خنزير رد عليه « الخنازير معروفة بابتاتها » .

315 - الدباغ : المصدر السابق 2،180،183 .

316 - ابن عداري 1،262 ، طالبي : المصدر السابق 371 وما بعدها .

317 - نفسه 1،265 .

318 - نفسه 1،235 .

319 - ابن عداري : البيان 1،256 .

320 - نفسه 1،276 ، وكان يصفها المالكية : بالمهدومة ، أو الرديّة ، عياض : المدارك ، مجلد 2 ، ج 3 ، 315 .

321 - نفسه 1،222 .

وقتل بأمر المهدي وصلب في رملة المهديّة كل من أبي القاسم الحسن بن مفرج مولى مهريّة وهي إحدى سيدات الأسرة الأغلبية ، ومحمد بن عبد الله السدري الزاهد ، بتهمة التحريض على الثورة ، وتسييرها ، ضد النظام ، وقد اعتبر الاثنان ، في نظر المالكيّة ، ضمن الشهداء (322) ، مثل أبي الفضل عياش بن عيسى المسمى الفقيه ، الذي رثاه تلميذه الشاعر المالكي المشهور أبو القاسم الفزاري (323) ، وقد أشار إليه أبو العرب تميم ، الذي عاصره بقوله « ختم الله له بالشهادة بعد هذه الفضائل في جهاد بني عبيد » (324) .

وامتحن على يد الروزي ، بالضرب ، والتعنيف كل من أبي سعيد محمد ابن محمد بن محمد بن سحنون التنوخي الذي هدده الروزي بقوله : « بلغني عنك أشياء أقل ما يجب فيها سفك الدماء فاشتغل بما يعينك » (325) ، وابن بطريقة ، الذي عزله أيضا عن قضاء طرابلس وسجنه ، وعندما أطلق المهدي سراحه لثوية حفظها له أيام مروره بطرابلس قيل انه قتل على أيدي اللصوص طمعا في ماله (326) ، وعزل الروزي محمد بن حفص الفهم عن أمانة الصلاة في جامع رقادة لأنه رفض التشيع ، رغم أن الوظيفة كانت تدر عليه شهريا عشرة مئاقيل (327) .

وامتحن أبو القاسم الطوزي بالضرب على يد أبي العباس المخطوم بسعاية من الروزي (328) أيضا وكان من فقهاء المالكيّة النبهاء كما امتحن بالسجن على يد اسحاق بن أبي المنهال : أبو جعفر بن نصر بن زياد الهواري ، وقد اتهم بأنه يفتي بمذهب مالك ، ولفقت له تهم أخرى ، وعند ما برئت ساحته أطلق سراحه ، بتأثير تدخل أبي سعيد الضيف . ولمعاداته للشيعة ، ولن تعاون معهم ، أوصى بأن يصلّى عليه في داره بعد وفاته حتى لا يتقدم للصلاة

322 - الدباغ : المصدر السابق 2، 243-244 ، طالبي : تراجم اغلبية ، 402 .

323 - ح.ح. عبد الوهاب : مجمل تاريخ الادب التونسي 87 ، وقد قتل أثناء حركة ابي يزيد .

324 - الطبقات : 252 ط تونس 1968 .

325 - الدباغ : المصدر السابق 2، 238 ، وما بعدها ، وقد اعترف الروزي بأنه اذبه ارضاء للمشاركة الذين أكثروا حوله الوشايات وخشى عاقبة ذلك ، طالبي : تراجم اغلبية 381-383 .

326 - نفسه 2 ، 226-229 ، طالبي : تراجم اغلبية 374 - 375 .

327 - ابن عذاري : البيان 1، 266، 267 . وما احتج به الروزي عليه قوله « لا يؤم بنا الأولى من أولياء أمير المؤمنين فادخل الى بعض الدعاة ياخذ عليك البيعة وتبقى على خطتك » .

328 - الدباغ : المصدر السابق 2، 198 وما بعدها ، ابن عذاري 1، 275 ويسميه الطرزي وقد ولي خطة الحسبة والمظالم في القيروان ، طالبي : تراجم 377 - 379 .

عليه قضاة الشيعة (329) . ومثله أحمد بن محمد القرشي الذي رفض ان يلي القضاء في القيروان ، عندما رشحه القائم بأمر الله بسبب كراهيته للتعاون مع رجال العصر الشيعي (330) ، وسار على منوالهما الطبيب المشهور أحمد بن الجزار ، الذي رفض التملق وقبول هدايا القاضي النعمان ، رغم أنه كانت تربطه صلة صداقة بأحمد بن عبيد الله المهدي عم المعز لدين الله ، وكانا يتزاوران بكثرة ، كذلك يلاحظ أنه ألف كتاباً هاماً عن قيام الدولة الفاطمية ، يعتبر في عداد المصادر المفقودة ، ولهذين السببين ، اعتبر في نظر المالكية ، متشيعاً ، فنبذوه وأهملوا الحديث عنه في كتب طبقات المالكية رغم شهرته (331) .

أما أعنف شخصيات المالكية وأشدهم بغضاً وعداءً للفاطميين فهو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن مسلمة الصدفي ، كان من بين الفقهاء والزهاد الذين لازموا حياة الرباط في قصر الطوب ، بجوار مدينة سوسة ، فلما حل المهدي برقادة ، هجر الرباط ، ولما سئل عن سر ذلك ، أجاب : « كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر ، والآن حل هذا العدو بساحتنا ، وهو أشد علينا من ذلك » ولم يكتف بذلك بل تزعم حركة تهدف إلى تزويد الناس في حياة الرباط على الثغور ، وكان يقول للذين يذهبون إلى الأربطة : « جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك » وأظهر معارضة للنظام الشيعي وللتطور الجديد ، في أول جمعة أقيمت في رقادة ودعى أثناءها لعبيد الله بلقب المهدي أمير المؤمنين ، وأعلن أمام الناس مسؤولية الشيعة عن تعطيل صلاة الجمعة ، بقوله : « قطعوها ، قطعهم الله » وكان يهدف من وراء ذلك إلى الدعوة إلى مقاطعتهم في أيام الجمع والاعياد أيضاً التي يدعي لهم أثناءها باللقاب الخلافة ، وقد نجحت دعوته ، أيما نجاح ، بين جمهور السنة ، الذين كانوا يكتفون بصلاة الظهر ولا يرتادون المساجد الجامعة (332) .

وقد غير جبلة بن حمود ، مجرى حياته ، بعد قيام الدولة الفاطمية ، فكان إذا صلى الصبح يخرج إلى أرباض القيروان ، تجاه رقادة ، مقر المهدي ، وهو على أتم استعداد للقتال ويبقى هناك حتى غروب الشمس ،

329 - نفسه 3،7-7 ، طالبي : تراجم اقلية 366 - 370 .

330 - أبو العرب تميم : المصدر السابق 253 ط تونس 1968 .

331 - ح.ج عبد الوهاب ورفقات 1،306 ، وما بعدها : ابن عداري : البيان 1 ، 338 ، القرظي : انماط 1،90،91 ، وقد أشرف على علاج المنصور وعندما توفي ، أراد الشيعة قتل ابن الجزار لكن طبيبه الخاص اسعاق بن سليمان دافع عنه وبراه من تهمة التسبب في موته وعن دور الاثنين في الحركة الفكرية ، انظر : الجنحاني القيروان عبر الحضارة 164 .

332 - ابن عداري : المصدر السابق 1،400 .

وعندئذ يعود الى منزله وعندما استغرب الناس تصرفاته وسألوه عن السبب ، اجابهم : « احرس عورات المسلمين منهم ، فان رأيت شيئا حرّكت المسلمين عليهم » (333) .

ومن ملاحظة اقوال شيوخ المالكية وتصرفاتهم تجاه الدولة الفاطمية يتضح أن وجهة نظرهم في العهد الشيعي تنبني على اساس أنه :

عصر شهداء المالكية وعصر المحنة بالنسبة لاهل السنة المتزمين ، وعصر سيادة البدعة . وكان المتطرفون من المالكية مثل جبلة بن حمود ، وأبى العرب تميم ، وغيرهم ، يرون أن النضال ضد الفاطميين الشيعة يعتبر جهادا مقدسا ، مثل جهاد الروم ، والمشركين بالله وربما اعتبر الفاطميون في نظرهم أسوا حالا من الكفار ، لذلك يفضلون جهادهم على جهاد الروم الكفرة ، ويعتقدون بأن الخروج عليهم واجب ، ومراقبة تحركاتهم ، والتنبيه على خطر مذهبهم ، أفضل من الخروج الى الثغور للرباط ، وكان شيوخ المالكية يعتبرون المرابطة في هذا العصر ، بمثابة استسلام ، واعتراف بالبدعة ، وتهرب من واجب حماية جمهور السكان من الفتنة المذهبية ، ومن ثم نلاحظ أن شيوخ المالكية رغم ما نزل بهم من أنواع العذاب ، والتنكيل لم يهاجروا عن بلدتهم الا ندرا ، حرصا على بقائهم الى جانب من يلوذون بهم ، ويعتبرونهم زعمائهم الحقيقيين ، لسانا معبرا ، وسندا ضد الاخطار .

وهنا نشير الى أن ما جرى تدبيره من حركات ثورة وعصيان أو تخريب أو احراق بعض المؤسسات (334) أو محاولة لقتل المهدي ، وبعض رجاله انما كان بوحى من الزعامات الشعبية المالكية وقام بتنفيذها على الوجه الاكمل متطوعون مخلصون لمذهبهم ولعلمائهم ، ولعل خير ما يوضح حقيقة دور شيوخ المالكية ومدى تعلق السكان بهم هو قول ابن ناجي : « جزى الله

333 - نفسه ، 222،1، الدباغ ، 2، 185 وما بعدها ، مياض ، ترتيب المدارك مجلد 2 ج 3 ، 247 - 252 ، طالبى : تراجم ائلبية 278 وما بعدها ، وقد رد على بعضهم بقوله « ارايت لو نزل الروم بنا فقالوا انما ننزلون على حكمتنا او نجاهدكم هل كان يجوز ان ننزل على حكمهم ؟ وان شئت سترى من احكام هؤلاء ما هو شر من احكام الشرك » .

334 - نفسه ، 253،1 .

مشيخة القيروان خيرا ، هذا يموت ، وهذا يضرب ، وهذا يسجن ، وهم صابرون لا يقرون ولو فروا ، لكفرت العامة دفعة واحدة » (335) .

ذلك لان المهدي على عكس الداعي ابي عبد الله ، كان ميثالا لاستخدام العنف والضغط لحمل الناس على التشيع ، فقد امر رجلا يدعى : الشريف ، بالجلوس اثر صلاة الجمعة للدعوة وطلب التشيع من العامة ، ومن رفض وعاند يقتل كما ارسل غيره الى الاطراف (336) ، وحدث مصلحة خاصة منذ 298 هـ / 910 - 911 م ، تعرف بديوان الكشف (337) وانسندت الى اثنين من خيرة أعوانه هما : أبو جعفر محمد بن أحمد البغدادي (338) وعمران بن أبي خالد بن أبي سلام ، ويبدو أن مهمتهما كانت وثيقة الصلة بحركة الصراع الذهبي ، وبالكشف عن المخالفين للمذهب من الفقهاء ، والمفتين ، والقضاة ، والمؤذنين ، وأغلب الذين امتحنوا من شيوخ المالكية ، زفعت عنهم أخبار ، من طرف أعوان هذه المصلحة ، التي كانت تنسق مع قضاة المهدي ، ومنهم المروزي ، ثم اسحاق بن أبي المنهال .

وأشد الناس اذى لأهل السنة والمالكية خاصة هم من اعتنقوا المذهب الشيعي حديثا وابتسم لهم الحظ فنالوا مسؤوليات كبرى ، في النظام الجديد .

ومن الذين فتنوا في مذهبهم واعتنقوا المذهب الاسماعيلي لأغراض مادية صرفة ، المروزي والنعمان وخلف بن مغمز بن منصور الحنفي ، وأبو بكر القموذي الفيلسوف ، ومحمد بن حيان وعلى بن منصور الصفار وعبد الملك ابن محمد الضبي ، أما ربيع بن سليمان ، المعروف بابن الكحالة فقد تشرق ، أرضاء لنزواته الشخصية ومن أجل أن تبقى صلته مستمرة مع غلام شيعي

335 - الدباغ : المصدر السابق 2، 200 ، وقد أسهم شعراء المالكية في النضال الى جانب الشيوخ ، ومن هؤلاء أبو القاسم محمد بن عبد الله الزاري (ت 345 هـ) ، الذي كان يلم العقيدة الاسماعيلية في شعره ، وينتصر لآراء المالكية ولأبي يزيد ، الذي حالفهم ، ضد منصور اسماعيل . انظر ح. ح. عبد الوهاب : مجمل تاريخ الادب 86 ، وعلى عكس الزاري ، تعاون بختري المغرب ، علي بن محمد الأيادي (ت 365 هـ) مع الفاطميين ، وخذ ذكر مدينة صبرة ، وقلعة كناية والمهدية في شعره . انظر سيرة جودر 37، 48-49 : ح. ح. عبد الوهاب ، مجمل تاريخ الادب التونسي 96-97 .

336 - المريزي : اتعاط 1، 66 ، ابن عذاري 1، 260 .

337 - ابن عذاري 1، 224 .

338 - نفسه ، 1، 225 ، وقد استكتبه المهدي بعد وفاة الشيباني واصبح مستشارا خاصا له وقد ساعده في تصفية حركة الداعي ابي عبد الله وولى أيضا مصلحة البريد وبقي عليها حتى مات وكانت له علاقة بالجاليات الأندلسية ، وكه أعوان مخلصون . ولعل حركة الجوسسة الأموية كانت تجد منه التفاعل ، ان لم يكن له دور فيها ، وقد اتهم مرة بأنه « يعمل في شتر هذه الدولة الزاهرة وادخال العيب فيها » . انظر 234، 290 منه .

كلف به ، وتشرق قاسم بن خلاد الواسطي ، من أجل الظفر بخطة القضاء في باجة فلم ينلها ، لأن الدولة استغنت عن أحداث هذه الخطة ، فضيع شرفه ومذهبه .

أما اسحاق بن أبي المنهال فقد تشرق ، ليلي قضاء صقلية وقد نقل الى القيروان ، وتوفي قاضيا ، وكان له ضحايا من بين المالكية ، واعتنق المذهب الاسماعيلي ، أبو بكر بن سليمان الحنفي ، يسمح له بالارتزاق من كتابة الوثائق والعقود بين الناس ، وكان على جانب كبير من الفقر والحاجة ، ولا ينتصب عدلا موثقا في القيروان الا من كان ثقة النظام ، وعلى مذهب الدولة . وقد أهل زرارة بن أحمد لمنصب قضاء المهديّة ، غلوه في المذهب الشيعي مثل أحمد بن محمد بن شهرين ، الذي تشرق ، فولى قضاء برقة ، وأحمد بن بحر ، الذي ولي قضاء طرابلس ، ثم أصبح قاضيا في القيروان بعد وفاة اسحاق بن أبي المنهال، وتشيع محمد بن حيان، ليبقى على الامامة في سوسة ، وهذا لا ينفي وجود نوعية أخرى من المتشيعين وهم الذين اعتنقوا المذهب ، برضاهم واختيارهم ودون ما رغبة في تحصيل مكاسب مادية ، ومن هؤلاء : أبو ريذة بن خلاد ، الذي أوصى بماله بعد وفاته للخليفة الفاطمي (339) ، وأبراهيم ابن غازي ، وأحمد البلوي النخاس ، وكان هذان من المغالين في المذهب الاسماعيلي ، فابن غازي ابتداء حياته زاهدا ، وكان من بين المرابطين في قصر الطوب ، ولورعه وتقواه ، هم سكان سوسة بتقديمه لصلاة الجماعة ، فلما استقر المهدي برقادة ، تشيع وغالى ، حتى قيل انه كان ينتهك حرمة رمضان جهارا ، ويرتكب الكبائر (340) ، ويخاطب المهدي بقوله : أنت انت ! ، وقد صحت فراسة جبلة بن حمود فيه ، اذ كان يقول لأصحابه ، وهو مرابط ، انه لا يموت على الاسلام (341) .

وكان أحمد البلوي ، يتجه في صلته الى رقادة ، بدلا من الكعبة ، فلما استقر المهدي في عاصمته على الساحل ، حول وجهته الى المهديّة ونقل عنه قوله « لست ممن يعبد من لا يرى » ! وقيل انه كان يتصدى لعبيد الله المهدي ، في الطريق ، ويخاطبه بقوله : « أرق الى السماء ! » « كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق ! وكان يهول على السكان في القيروان ويقول لهم : ان المهدي مطلع على ما تدبرونه في سركم ونجواكم حتى اغتاز منه

339 - أبو العرب نعيم : الطبقات 223-226 ، الخشنى : المصدر السابق 292-295
الدياغ : المصدر السابق 2، 198 وما بعدها ، ابن هذاري : البيان 1، 241 الجودي :
قصة القيروان 8-9 .

340 - ابن هذاري 1، 261 .

341 - عياض : ترتيب المدارك مجلد 2، ج3، 251 .

أحدهم وهمس في أذنه قوله «عبيد الله الذي تقول زان ، ابن الزانية ، فان كان يعلم ما قلت لك فلينتصر » . فصاح صيحة مجذوب ، « يا مسكين ، انه حلیم لا يعجل » . (342)

وانتشرت الآراء الاسماعيلية المتطرفة في غير القيروان ورقادة حيث ظهرت في باجة وتونس وبجبل الونشريس ، وفي منطقة تاهرت كل ذلك من اثر حركة الدعوة بواسطة دعاة منحرفين ، أو غلاة أو جهلة (343) ، ومن هؤلاء منيب بن سليمان المكناسي ، الذي اظهر التشريق بجانب تاهرت ، وفي جبال الونشريس ، في أرض المغرب الأوسط ، في صورته المتطرفة والاباحية ، فافتتن السكان ، وتحللوا من القيود ، وأباح الفوغاء وهواة اللذة لانفسهم انتهاك الحرمات ، والأعراض ، حتى « كان الرجل يدخل الى حليلة جاره فيطأها ، وزوجها ينظر اليه ، ثم يخرج فيبصق في وجهه ، ويصفع قفاه ، ويقول : تصبر ! فاذا صبر عد كامل الايمان ، وسمى من الصابرة » . وكانت الحركة من التطرف والتجاوز الى حد أنها أحدثت غليانا وثورة ، وقام جمع من السكان ضد هؤلاء المنحرفين ، فقتلوا بعضهم (344) ، والجأوا الاخرين مع دعائهم الى الانزواء ، والكف عن طلب التشيع ، كما تخلص سكان أوراس من أبي معلوم (345) فحلون الكتامي ، لقسوته وشدته عليهم ولأنه أرغمهم على أشياء ينكرونها ، وقد اشارت النصوص الى أن القائم بمأمر الله ارسل أثناء حركته في بلاد المغرب 315 هـ / 927 - 928 م عليا ابن محمد الموسي الداعي ، مقيدا الى افريقية حيث قتل في رملة المهديّة (346) لانحرافه عن الدعوة أو لتورطه في الاشتراك في حركات عدائية ضد الدولة انتقاما منها لقتل أبناء عصبته .

وقد أساءت الى سمعة الدولة الفاطمية حركات الدعاة المنحرفين الذين نشروا الاباحية وتحللوا من قواعد الشرع حتى غير القائم بأمر الله بذلك من

342 - ابن عذاري ، 1 ، 261 .

343 - النعمان : الجالس 2 ، ورفات 437-438 ، 480 وما بعدها ، 532 وما بعدها ، 635،577 وما بعدها . وطالما جار الخلفاء ، بالشكوى من انحراف الدعاة وتلفيقهم اشياء ونسبتها الى الأئمة أو ارشادهم لغيرهم بغير علم ، ومن ذلك قول المعز لدين الله « والله لو صدق الدعاة الينا ، عنا ، وأدوا الى الناس قولنا ، ولم يتقولوا علينا ما تخلف احد عنا ، ممن يتبع قولنا ، وعرف مذهبنا » . وكانت حياة الخلفاء الفاطميين ، عبارة عن صراع مع عدوين ، ونضال في جبهتين ، داخلية ، ضد الدعاة والأعوان المنافقين ، وخارجية ضد المعارضين لهم في المذهب وفي التوجيه السياسي ، عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ، 1 ، 71 ، انظر النعمان ، الرسالة الذهبية 43-44 ، حيث يلعن المعز من يدعي تاليه الأئمة .. وهي ضمن خمس رسائل اسماعيلية .

344 - ابن عذاري ، 1 ، 260 .

345 - نفسه ، 1 ، 263 .

346 - ابن عذاري : البيان ، 1 ، 271 .

طرف جماهير السنة في الغيوم ، اثناء وجوده في مصر ، ولذلك اجتهد المهدي في الحد من تطرفهم وأمر بجمعهم من الآفاق الدانية والقاصية ، فكان عددهم في القيروان وباجة وتونس وحدها نحو مائتي رجل نقل عنهم أنهم كانوا يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر جهارا في شهر رمضان ، وقد سجنوا في المهديّة حتى مات أكثرهم (347) . كما أمر بالكف عن طلب التشيع من العامة خيفة من انتشار الفلو ، والتطرف ، ومن ظهور فتن في حواضر افريقية (348) .

ولئن كان الخلفاء الفاطميون قد مكنوا لانفسهم بالامكانيات الضخمة التي يملكونها ، وفرضوا آرائهم وارادتهم بالقوة وبالعرف على جماهير السنة في افريقية (349) وضيّقوا على المالكية واضطهدوهم أكثر من غيرهم (350) فان هؤلاء في جملتهم بقوا على ولائهم لمذهبهم (351) ولتقاليدهم القديمة وتحملوا انواع الحرمان (352) ، ورفضوا جميع اشكال التعاون مع الفاطميين (353) ، وبقوا يعدون انفسهم للنضال الحقيقي ثارا لشهداء المالكية في عصر المحنة حتى أتيت لهم فرصة بظهور حركة سياسية مذهبية لا تخلو من طابع العنصرية البترية ، ضد الفاطميين ، وبربر كتامة وصنهاجة ، تلك هي حركة شيخ المؤمنين أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى ، النكارى الاباضى ، التي كانت ميدانا مفضلا لرجال المذاهب المتصارعة ولرجال الحكم والسياسة ولغروع البتر والبرانس ، ولسائر الطموحين . فكل فريق من هؤلاء وجد في الحركة ضالته المنشودة وفرصته الذهبية لنيل غرضه أو

347 - نفسه 1، 260-261 وكان أبو الخمر الداعي في الأندلس يقول عن الخمر « انه أجل من الماء للشرب والظهور » وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ظلم في تحريمها وأحل أشياء كانت الخمر خيرا منها » . انظر : ابن سهل ، الاعلام بتوازل الاحكام (قطعة منه) 62 - 63 .

348 - القرظي : اعاط ، 1، 68 .

349 - فاصبحوا يتسترون ، وفي وضع أهل اللمة وحتى وهم في هذه الحالة كان الشيعة يؤذونهم نفسيا فقد كلفوا أحد المنشدین العميان بان يهزج بدم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بقوله « انصوا الفار وما وهى والكساء وما هوى » . انظر عياض : المدارك : مجلد 2 ، ج 3 ، 318 ط . بيروت .

350 - وقد منعوهم من الافتاء بمذهبهم ومن التدريس والوظف وكتابة الوثائق ومن الاذان ، ووجبوا العمل بمذهب جعفر بن محمد فعملوا مذهب مالك .

351 - ومن ذلك ان احمد بن زياد الفارسي كتب في وثيقة الصداق شرطا على خلاف رأي الشيعة فصرّب بالمصا بطحا . انظر تراجم اغلبيّة 385 - 386 .

352 - اختار أبو محمد الورداني البقاء في وطنه ورعى البقر حتى لا يلفت اليه نظر الشيعة . تراجم اغلبيّة 336 - 337 .

353 - عياض : المصدر السابق مجلد 2 ، ج 3 ، 339 ، 363 .

لايذاء خصمه ، أما الجانب الذي لم يضعه أي فريق في اعتباره ، في غمرة النزاع ، فهو العمران ومظاهر الرخاء والحضارة التي أصيبت بضربة قاسية .

والى هذه الحركة التخريبية التي اعتبرت في نظر الخلفاء الفاطميين ، فتنة أو محنة كبرى من نوع خاص ، واعتبر صاحبها لعينا ، ودجالا (354) ، في نظرهم وفي نظر مؤرخي الإباضية الذين قسوا في الحكم عليه كأحد المفسدين في الأرض (355) ، انضم أهل السنة وفقهاء المالكية لأنهم اعتبروها أملا وحيدا في الخلاص ، من حكم الشيعة الفاطميين وساندوها بكل قواهم ، لأن وجه الحركة في البدء كان سنيا ، يظهر الترحم على أبي بكر وعمر ، ويحث على قراءة مذهب مالك والالتزام به ويستند في تطبيق قواعد الشرع الاسلامي على الكتاب والسنة ، ويراقب تنفيذها بواسطة الاحتساب على الولاة والعمال وأوساط الناس ، وكان الشيخ أبو يزيد كما لقبه فقهاء المالكية يدعو إلى التكتل لقتال الشيعة والحط من شأنهم وشأن أئمتهم ، بما في ذلك علي بن أبي طالب (356) ، ومن أجل ذلك انضم إلى صفوف رجاله لحربهم ، زهاد افريقية وعبادها وفتاؤها ، الذين أشرفوا على تهيئة المعركة وعلى تعبئة القوى السننية بواسطة الخطب التي أقيمت في المساجد والاحاديث التي وضعت لتشجيع السكان على التجنيد ، وللجهاد ضد الرافضة . واثناء المؤتمر العام الذي عقد بإشراف زعماء أهل السنة (357) ومنهم : أبو الفضل عباس بن عيسى المسي وربع بن سليمان القطان وأبو اسحاق السبائي وأبو عبد الملك بن مروان بن منصور الزاهد ، وإبراهيم بن محمد العشما ، وأبو العرب تميم ، وأشرف على توجيه أعمال المؤتمر كل من المسي وأبي العرب تميم ، وعندما اتفق رأيهم على إعلان الثورة ، جهزوا أنفسهم وأتباعهم بالعدة الكاملة وركزوا بنودهم قبالة مسجد القيروان ، وقد حملت هذه البنود ، وكان عددها سبعة تحمل شعارات مختلفة ، وتميزت عن بعضها بألوان خاصة ، فكان بند المسي ، زعيم الحركة ، أحمر ، وقد كتب عليه شعار «لا اله الا الله محمد رسول الله» ، لا حكم الا لله وهو خير الحاكمين» .

354 - النعمان : المجالس ، 1، 79 وما بعدها ، وقد خلفها النعمان في قصيدة سماها «ذات المحنة» ، سيرة جوتر 189، 53 ، تطبيق 135 منه .

355 - أبو زكريا : السيرة ورفقات 34، 35، 36، 37 ، الدرجيني ، الطبقات ، ورقة 113 ، 114 ، الاستبصار : 205-206 ، ويصفه بالصغري خطأ .

356 - ابن عذاري : البيان ، 1، 273، 307-308 نقلا عن ابن سعدون في : تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان وعن هذا النص انظر : البيان : القرب 1، 405 وما بعدها .

357 - عياض : ترتيب المدارك مجلد 2 ، ج 3 ، 319-320 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، 308-309 ، أبو العرب تميم : المصدر السابق 19 ، هامش 2 .

ومثله البندان اللذان رفعهما ربيع بن سليمان القطان وقد كتب علي أحدهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفي الآخر كتب « نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد اللهم انصر وليك على من سب نبيك وأصحاب نبيك » .

وكان مع أبي العرب تميم ، بند أصفر ، كتبت عليه بعد البسمة ، الآية القرآنية « قاتلوا أمة الكفر » وكتب على البند الأخضر الذي رفعه أبو نصر الزاهد ، قوله تعالى : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم » .

وكتب على البند الأبيض الذي رفعه السبأى : بعد البسمة « محمد رسول الله ، وأبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق » .

وأكبر البنود ، كان أبيض وقد رفعه إبراهيم العشماة وكتب عليه قوله تعالى « ألا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الفار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، التوبة آية 40 » .

واكتملت أعداداتهم بخطبة أبي إبراهيم أحمد بن أبي الوليد التي القاها يوم الجمعة ، فطعن في الحكم الفاطمي ، وشهر بالخلفاء وأغرى الجماهير السننية بالعمل الجاد وحثهم على الجهاد والاخلاص في قتال الشيعة الى جانب الشيخ أبي يزيد . (358)

ومن ملاحظة هذه الشعارات تبدو أسباب الغضب من الحكم الفاطمي لأنها تركزت على مبدأ وحدة الاله ونبوءة محمد (صلى الله عليه وسلم) وفضل الخلفاء الراشدين ، وإهمال علي بن أبي طالب وتفضيل أبي بكر عليه ، كما لم تخل من الإشارة الى آثار الحلف الجديد ، في اتخاذ بعض شعارات الخوارج الأوائل مجاملة للشيخ أبي يزيد .

وبفضل قوة أهل السنة وتأييدهم للحركة ، أحرز أبو يزيد انتصارات كبرى ضد قادة الخلفاء الفاطميين واستخلص حواضر أفريقية السننية ومنها القيروان مركز القوة المالكية ، وهدد الخلافة الفاطمية بالسقوط ولما أصبح في مركز قوة ، وغدا الخليفة الفاطمي ، القائم ، محصورا في المهديّة ، حيث « مات محسورا ، وفي نفسه مقهورا » (359) تأمر علي حلفائه السننين ومهد لقتلهم على يد جنود الفاطميين ، وقد قال لجنوده « إذا التقيتم مع القوم

358 - ابن عذاري : البيان ، 411-412 ومنها قوله : « اللهم ان هذا القرطبي الكافر المعروف بعبيد ادعى الربوبية من دون الله . . فانصرنا اللهم عليه ، وارحنا من دولته . واهلك اللهم شيعته وشتت كلمته » ، عياض : المصدر السابق 3 ، 320 - 321 .

359 - ابن عذاري : البيان ، 412 ، 1 .

انكشفوا عن اهل القيروان حتى يتمكن اعداؤكم من قتلهم ، فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم (360) ، وكان غرضه أن يصفو له الجو ، بازاحة هؤلاء الزعماء الشعبيين ، فيتمكن نفوذه في اوساط العامة ويكون اهل السنة ، بذلك ، قد راحوا ضحية تحايل خطير واستبدلوا سيذا بآخر ومهدوا لاستبداد الاباضية النكار بحواضر أفريقية السنية .

وتشير النصوص الى أن فقهاء المالكية وجماهير السنة لم يتفطنوا لتدبير أبي يزيد ، ولذلك اخلصوا في القتال وحدهم حتى سقط أغلبهم في ميدان المعركة وعندئذ عرفوا حقيقة مكر أبي يزيد، وقالوا « قتل اولياء الله شهداء» ولما انسحبوا من معسكره وانقلبوا ألبا عليه ، وحربا ضد انصاره بدأ مجده في التراجع ، حتى تمت التصفية النهائية لحركته التخريبية بالمعركة الحاسمة التي خسرها الى جانب انفصال مدينة القيروان وثورتها ضده وطردها لاتباعه وواليه (361) .

والذي يميز حركة أبي يزيد عن غيرها من الحركات المعارضة للفاطميين ، في بلاد المغرب (362) أنها :

— كانت أول امتحان رهيب ، للوجود الفاطمي في بلاد المغرب ، بعد أن سقطت حواضر أفريقية عدا المهديّة وسوسة اللتين ذاقنا مرارة الحصار ، وويلات الحرب ، والمجاعة في أواخر عصر القائم ، وبداية عصر المنصور ، وهذان الامامان هما اللذان واجهاها فأتعبتهما تعبا شديدا . فالقائم ، مات محصورا ، والمنصور قاتل بنفسه ، حتى أنهاها لفائدة الفاطميين (363) ، لكن بعد أن تعرض للمشاكل وللأمراض وطوح في الآفاق المغربية وضرب

360 — نفسه 1،309 ، عياض : المصدر السابق مجلد 2 ، ج 3 ، 321 ، ومن قتل أثناء الفتنة المسمي وربيع القطان ، وقد رمي المسمي بقصائد ، من طرف الزناري ومحمد بن أبي زيد ، وأبي عبد الله الدارمي ، ومن اشارة وردت نستنتج أنها قتلا في وقعة وادي الملح 333 هـ ، انظر عياض مجلد 2 ، ج 3 ، 322 — 330 .

361 — المقرئ : اتعاظ 1،82 — س 6 . ط 1967 ، ابن حماد : المصدر السابق 18 وما بعدها .

362 — بدأ الاعداد لهذه الحركة منذ اواخر 316 هـ أي في عصر المهدي ، وابتدا العمل الحربي ، في عصر القائم ، واستمرت الحركة حتى نهاية محرم 336 هـ . انظر ابن عذارى 1،273 ، المقرئ : اتعاظ 1،85 ، ابن الأثير : الكامل 8،67 ، 157 ، ابن حماد : المصدر السابق 18 وما بعدها .

363 — المقرئ ، اتعاظ الحنفا 1،85 ، ابن عذارى : البيان 1،1 ، 313 (نقلًا عن القضاعي) وانظر 412 منه حيث ينقل عن ابن سعدون ، ابن طاهر : اخبار الدول المنظمة ورقة 46 ، أبو الفداء المختصر 2،97-98 ، أماري : المكتبة الصقلية 318 وهنا يشير الى رواية ارسال جثة أبي يزيد ورأس ابنه فضل الى جزيرة صقلية ابن حماد : المصدر السابق 22-23 .

في السهوب والصحاري والجبال (364) ، ولاهمية دورهما ، كان المعز لدين الله يترحم على روحهما ، ويأسف لما أصابهما أثناء هذه المحنة الكبرى .

— وقد كلفت الحركة خزانة الدولة الفاطمية ، نفقات باهظة ، وخسائر لا تدخل تحت حصر (365) وفي نفس الوقت كانت البلاد تمر بمجاعة وبأزمة اقتصادية مظهرها غلاء الأسعار ، حتى بلغ عليق كل دابة ديناراً ونصفاً وبلغت قربة الماء ديناراً (366) .

— وقد أضرت الحركة بمظاهر الحياة الاقتصادية والحضارية في افريقية واقليم الزاب على نحو لم تفقها فيه أية حركة ثورية سابقة أو لاحقة وتكرر ما وقع في عصر الكاهنة ، إنما على مستوى أكبر ، ولم يحترم البدو المدن ، ومظاهر العمران ، كما لم يحترموا المساجد ، والأربطة ، والحصون ، والنساء والولدان . وتحت ستار الانضمام الى هذا الفريق أو ذلك ، كانت ترتكب أعمال تخريبية هدفها نفعي خاص « وقد كان البربر ، بأنون الى أبي يزيد من كل ناحية فينهبون ويرجعون الى منازلهم حتى أفنوا ما كان في افريقية (367) .

— وقد أضرت بعصبية الدولة الفاطمية وأصابتها في خيرة رجالها وقادتها من كتامة وصنهاجة ومن طبقة الفتيان ومن ولاة الاقاليم والمدن الافريقية وكان من ضحاياها ميسور الفتى وعلي بن حمدون وخليل بن اسحاق وغيرهم كثيرون .

— وتخللت الحركة أعمال بطولة ، وفروسية ودهاء ، فالمنصور اكرم اسرة أبي يزيد ولم ينتقم منها وأبو يزيد ، تظاهر بالمالكية ، وتصرف بدهاء مع فقهاءها حتى استغلهم في النضال . كما لم يف بوعده للمنصور في التسليم بمجرد تأمين أسرته (368) ، وشجع القائم المعارضين لأبي يزيد واستخدم المنصور المال والرشوة للقضاء (369) عليه ، كما وافق على منح الامان لأخلص أنصاره ، من هواره وبني كملان ، ولمحمد بن خزر المفراوي بشرط التعاون مع جند الفاطميين لرصد حركات أبي يزيد (370) .

364 — نفسه 83،1-84 ، النعمان : الجالس 2،652 - 653 . القرظي : سيرة جوير 44 وما بعدها .

365 — النعمان : الجالس 2،642 وما بعدها .

366 — القرظي : المصدر السابق 1،84 .

367 — النعمان : المصدر السابق 1،183 وما بعدها ، القرظي : المصدر السابق 1،79 .

368 — القرظي : المصدر السابق 1،83 وقد قال «انما وجههم خوفاً مني» .

369 — نفسه ، وقد نادى المنصور « من اتى برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار » .

370 — نفسه ، 1،85 . وكان ذلك قبل حصار أبي يزيد في قلعة كناية ، ابن الاثير : المصدر السابق 8،157 ، ابن حماد : المصدر السابق 28 .

وقد اختلطت أحداث هذه الفتنة وتكاثرت الزخوف اثناءها ومع ذلك فقد ظفرت بعض المعارك بأهمية خاصة وعرفت بأسماء الامكنة او الأزمنة التي جرت فيها ، ومنها : واقعة وادي الملح التي خسرها جند الفاطميين اواخر (371) 333 هـ / 944 - 945 م ثم واقعة الجمعة محرم 335 هـ أغسطس 946 م - التي كسبها المنصور اسماعيل ، الذي قارب أن يقتل بنفسه خصمه العنيد ، ولاهيتها سجلها المنصور في كتاب أرسله باسم أبيه القائم ، الذي لم يعلن خبر وفاته حتى الآن (372) .

ومنه قوله « قد استولينا على مناخ اللعين بما فيه من قليل وكثير فقتل به مالا يحصى سوى من قتل في المعركة وليس الى احصاء قتلاهم سبيل لكثرتهم (373) ، واذا كانت هذه المعركة الحاسمة هي اشارة النصر الحقيقي . بحيث وضعت حدا لنظام أبي يزيد في افريقية ، وقضت على امله في احتلال المهديّة وصيرته مشردا بين أوراس ومنطقة الحضنة ، فان واقعة قصور الحيتان في الزاب كانت بمثابة نهاية لحركة ، وبشيرا بقرب التخلص منه (374) .

وشعور المنصور بالنهاية السعيدة لجهوده المضنية هو الذي دفعه الى ارسال سجل عنها الى ابنه معد ضمنه فرحة النصر وشوقه اليه ومشاكله الخاصة اثناء الحرب (375) ، واثرها ، انعم على جوذر الصقلي بالعتق تقربا لله ولقب بمولى أمير المؤمنين وسمح له بكتابة اسمه على الطراز (376) .

371 - ابن عذاري 310،1 ، العزيزي : المصدر السابق 52 ، تعليق 51 وذكرت باسم الوادي المالح ، البكري : المصدر السابق 29 ، والوادي المالح يفصل بين المهديّة ومدينة تماجر .

372 - العزيزي : سيرة جوذر 44 وكان جوذر اثناء غيبة المنصور في الحرب مستظفلا على دار الملك وسائر البلاد « وجرت هذه المعركة بجوار مدينة القيروان في محرم 335 هـ .

373 - نفسه 45 انظر تعليقي 36،38 منه ، ويلاحظ أن تاريخ كتابة السجل الذي أرسل الى المهديّة لا يعني بالضرورة أن المعركة انتهت فيه ، أي في محرم 335 هـ .

174 - العزيزي : سيرة جوذر 48 وما بعدها ، وهي مما انفرد بذكره كاتب سيرة الأستاذ جوذر ، الذي يلاحظ عليه أنه تجوز في التعبير عن انتصار أبي يزيد حيث يصفهم بالأزارقة في أكثر من مكان . ولا يعني ذلك إلا معناها وهو التشدد والتعصب وسبي المسلمين وقتل اطفالهم واستحلال حرمانهم واسترقاق حرارهم ، لان طائفة الأزارقة اندثرت آثارها ولم تبق اصدااء حركتها الا في الشعر فضلا عن أن طوائف الخوارج في معظمها تفرعت اصلا عن الأزارقة .

375 - نفسه 50-51 .

376 - نفسه 51-52 .

وحصار أبي يزيد في قلعة كناية (377) في أرض عجيسة والظفرية بعد فشله في اقتحام الحمديّة يدل على أن قلعة الشيعة في إقليم الزاب ، أدت دورها كاملا الى جانب السلطة الشرعية سواء بمقاومتها للحصار أو بايوائها للجيش الفاطمي ، ومساهمتها في تخفيف الضائقة الاقتصادية التي كانت تمر بها المنطقة (378) .

وقد حاول بعض الطموحين استغلال فترة الصراع بين الفاطميين وأبي يزيد في الحصول على امتيازات خاصة ، إذ تشير النصوص الى حركة ثورية ظهرت في محرم 334 هـ / أغسطس 945 م ، وتزعمها رجل ، كان يدعو لنفسه ، تحت ستار النسبة الى العباسيين ، واستعمال شعار السواد ، وقد استجاب له كثيرون وتطور أمره وكان يمكن له تحقيق هدفه ، لولا اسراع رجال أبي يزيد في القضاء على حركته حيث أسروه وساقوه الى أبي يزيد فقتله (379) .

وقد حيكّت مؤامرة خاصة استهدفت حياة أبي يزيد وتزعمها فريق من أنصاره الذين ملوا الحرب ، وكرهوا تصرفاته وتعاطفوا مع الفاطميين وتلقوا تشجيعا خاصا من القائم بأمر الله غير أن أبا يزيد عرف أخبار هذه المؤامرة فقام بقتل زعمائها (380)

وكسب الفاطميون منذ عصر القائم ولاء صنهاجة ومساندتها لجهودهم في مواجهة حركة أبي يزيد . وانضمام زيري بن مناد ورجال صنهاجة (381) الى جند كتامة وطبقة الفتيان ، منح الفاطميين ميزة التفوق العددي ، وقد أبلى زيري بلاء حسنا في الحرب حتى قيل أنه ألح على أبي يزيد أثناء المعركة وطعنه حتى ألغاه على الأرض واستمر القتال حوله ، وفي النهاية تمكن أنصاره من النجاة به ، أما بعد تضحيات كبرى (382) .

377 - وردت ، قلعة كتامة في أكثر من مصدر ، انظر القرظي : اتعاظ ، 85،1 ، أبو الفداء 98،2 ، ابن الأثير : الكامل 157،8 ، كما وردت كتامة في ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد 32،23 .

378 - القرظي : المصدر السابق 72،1 ، « ومن الحمديّة كان يمتاز ما يريد ، إذ ليس بالموضع مدينة سواها » انظر 84،81 منه ، ابن حماد ، 13 ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 35-36 .

379 - نفسه 80،1 .

380 - نفسه 81،1 .

381 - القرظي : المصدر السابق 78،1 ، أبو الفداء 98،2 .

382 - نفسه ، 85،1 .

وتعتبر حركة أبي يزيد ضمن الكوارث والأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي أصيبت بها بلاد المغرب في العصر الفاطمي وقد تنوعت هذه الكوارث فكانت حرائق ومجاعات وأوبئة ، وغلاء في الأسعار وقلة في المون ، وغلبة ظاهرة الجفاف ، وحدث الزلزال (383) ، هذا مع سياسة المصادرة والجور في الأحكام (384) .

وعقب تصفية ثورة أبي يزيد انتقم المنصور من جميع من أيده وانضم إليه فنال أهل السنة وفقهاء المالكية منه شر كثير ، ولم يزالوا معه في الامتحان الى أن توفي (385) 341 هـ / 952 - 953 م .

وشاء المنصور أن يخلد ذكرى انتصاره على أبي يزيد قرب القيروان فبنى مدينة صبرة 336 هـ / 947 - 948 م وسماها المنصورية (386) ، وانتقل إليها في بداية 337 هـ (387) / 948 - 949 م واستوطنها وخلت أكثر أرباض المهديّة وتهدمت كما نقل سوق القيروان إليها (388) وهكذا

383 - ومن تتبع ما حصل منذ بداية العصر الفاطمي تلاحظ نشوب حريق في سوق القيروان ، 306 هـ (ابن عذاري ، 1، 253) وأسواق تاهرت وأسواق فاس ، وأرباض مكناسة سنة 305 هـ (ابن أبي زرع 68) وأصيبت الفريقية بوباء شديد انتشر حتى حدود مصر سنة 307 هـ في وقت ارتفعت فيه الأسعار واشتد الفاطميون على السكان (ابن عذاري 1، 254) وظهرت مجاعة كبرى منذ سنة 303 هـ (ابن أبي زرع 68) كما ارتفعت الأسعار لمدة طويلة ارتفاعا فاحشا حتى بلغ ثمن قفيز القمح مثقالا من ذهب في بداية 317 هـ وعانت القيروان نفسها من وباء خطر شمل أرباضها ونواحيها ، (ابن عذاري ، 1، 273) . وحدثت في المدينة زلازل كما خسفت إحدى قرى ساحل تونس من جراء هزات أرضية فيما يبدو (ابن عذاري 1، 230) ولم تنفج الأزمة الا عندما نزلت الأمطار في الجهة : حيث انخفضت الأسعار وزال الوباء ، (ابن عذاري 1، 276) .

384 - عين المهدي على الخراج منذ 303 هـ ابا معمر عمران بن احمد فاحص الضياع ، ووظف عليها الخراج بعد أن لاحظ نسبة الخراج ، حيث يرتفع في وقت الرخاء ، ونسبته حين ينخفض وقت الجفاف ، وجمع النسبتين ووظف نصفها على كل ضيعة (ابن عذاري 1، 242) وبعد سنتين من هذه العملية وبسبب الحاجة الى المال لتجهيز حملة ضد مصر 306 هـ وظف صاحب الخراج على أهل الضياع غرامة اضافية بحجة انها تغلفت مبالغها من بقايا التسييط ، وقد عرفت لذلك باسم التضييع (ابن عذاري 1، 253) وتكرر هذا الاجراء بعد ذلك وظهر التملل على اموال الناس في كل جهة (نفسه 1، 254) .

385 - ابن عذاري 1، 313 .

386 - ابن عذاري 1، 312 ، ابن حماد : المصدر السابق 23-24 .

387 - نفسه 1، 213 ، نقلا عن القضاعي .

388 - نفسه 1، 312 .

اضاف المنصور الى قواعد الشيعة القديمة حاضرة جديدة بوسعت على حساب المهدي ، وأثرت على مستقبلها ، كما أثرت الأخيرة من قبل على مستقبل رقاد ، وهذه أثرت على حاضرة القيروان ، أما تونس فانها لم تظهر بلقب الحاضرة الدائمة الا في بداية العصر الحفصي (389) .

وإذا كان اباضية اوراس وطرابلس واقليم الزاب قد اخرجوا النظام الفاطمي ، انتقاما لحادث سقوط الامامة الرستمية وللحملات التخريبية ضد طرابلس وجبل نفوسة ، واحيوا الصراع القديم بين البتر، والبرانس، فانهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى تخريب ما بنته كتامة بجهد ابنائها لانهم هبوا جميعا لنداء الواجب وواجهوا الاعداء ودافعوا عن مكاسبهم دفاعا مجيدا وبذلوا مهجهم وارواحهم لكي يستمر البناء سليما شامخا .

وإذا كان المنصور قد تغلب على الازمة فان عنف الحركة وجرأة صاحبها وطول امدها ، وهزائم جند الخلافة ، التي تعرضت لأخطار الزوال ، يدعو الى التساؤل عما إذا كان حاضر كتامة في عصري القائم والمنصور ، ينسجم مع ماضيها الى جانب الداعي وفي بداية عصر المهدي ، وكله بأس ، ونجاعة ، وظفر في الحروب .



وهنا يلاحظ ان قبيلة كتامة ، هي عصبية الدولة وأساس ظهورها ، فعلى أرضها نمت الحركة الاسماعيلية وعلى سواعد ابنائها قامت الخلافة الفاطمية على حساب الانظمة السياسية والمذهبية في افريقية وبلاد المغرب وقضي على كثير من الفتن والثورات ، وتعاون دعائها وجندها على نشر المذهب الاسماعيلي بكل همة ونشاط .

ومنذ ان استقر المهدي في رقاد ، بدأ يتصرف على اساس الاعتماد على رجال كتامة في تسيير شؤون الدولة الجديدة وفي مواجهة خصومها وأعدائها، الى ان ظهرت خيوط الحركة السرية المعاكسة التي تزعمها أبو العباس المخطوم وجمع من زعماء كتامة .

ولتوضيح حقيقة هذه الحركة التي تعتبر انشقاقا داخليا ، لا بد من الإشارة الى أن عبید الله المهدي ، لما عرضت عليه جوارى الامير الاغلبى الفار - فرق كثيرا منهم على قادة كتامة ووجوههم تأليفا لهم واعترافا بدورهم الايجابي، وعين على سائر جهات افريقية عمالا وولاة وكان منهم (390) القضاة والدعاة وقادة الجند في افريقية وفي خارجها - وقد فرق عسكر

389 - اذ استمرت المنصورية حاضرة للامراء الزيريين وكانوا يقيمون فيها ، او في اشهر ، انظر عن هذه العواصم : ابن عداري 1، 293، 294، 312، 306، 234، 258 .

390 - يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 756 ط كراتشوفسكي .

كتامة على جهات البلاد وفي المناطق التي انضمت لاطار الدولة وعين على بعض موانئ الدولة الهامة رجالا منهم ، أظهرهم عروبة بن يوسف ، الذي قضى وقتا في سوسة بعد انتهاء مهمته في رقادة ، عقب دخول الداعي إليها كما عين على تاهرت وأشرف منها على سائر الجزء الغربي من الدولة .

وحت المهدي رجال كتامة على التائق في اللبس والتجمل واقتناء خير مركوب والظهور في مظهر يشرف الدولة الجديدة . وبسبب اغداق الاموال عليهم حلوا سروجهم ولجهم وظهروا بأزياء حسنة . وعناية المهدي بهم واثراؤهم على حساب غيرهم استغللا للمسؤولية واتساع أحوالهم بعد الضيق وشظف العيش (391) ، أفسد طباعهم واثروا على أخلاقهم فمالوا إلى التعالي على الجماهير وإلى ارتكاب ما لا يتناسب مع الذوق السليم والآداب العامة ، وإلى تفضيل حياة البذخ والقصور والجواري في حواضر افريقية ومدنها على حياة الجندية ومتاعبها .

ولما كان أبو عبد الله الداعي أحسن من عرف كتامة على حقيقتها بعد العشرة الطويلة ، فإنه لم يرتج لهذا التطور المفاجيء في حياة كتامة واعتبر المبالغة في العناية بهم عاملا على افسادهم واضعاف طاقاتهم الحربية وتراخي عزائمهم وهو أمر يؤثر على كيان الدولة التي لم تقم إلا على أساس المحافظة على تماسك هذه الطبقة العسكرية الخلافة .

وكان في رأي الداعي ان تستمر العناية بهذه الطبقة في الميدان العسكري لا في مجال الحكم وحياة القصور والترف والمباهج لتبقى محافظة على بنيانها وأخلاقياتها ، مخلصه للنظام وللإمام من نسل علي بن أبي طالب .

ولم يكن الداعي ، فيما يبدو معرضا حين قال للمهدي « يا مولانا ان كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأجريتهم على تربيتهم وتعليمهم وتم لي منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت » ، بسبب خبرته بهم ولقد عبر بصدق عن تجربة كاملة عاشها بين أظهرهم عدة سنين ، وأخلاصه لدولة وللنظام وحرصه على استمرارهما هما اللذان دفعاه ، إلى التجرؤ على مركز الإمام (392) لإظهار تدمره ومعارضته لبعض تصرفاته تجاه عصبية الدولة وقوتها الحربية ، « وهذا الذي فعلته أنت بهم ، من إعطائهم

391 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 187 .

392 - كيف يتناسب موقفه من المهدي مع اعتقاده بوجوب الطاعة المطلقة للإمام المصوم المقدس كما هي تقاليد الاسماعيلية ويلاحظ ان معارضة الداعي للمهدي سبقتها معارضة فيروز باب الابواب وانكاره على المهدي توجه نحو المغرب . انظر النعمان ، الهمة في آداب اتباع الله ، 39، 78، 79 ، عبد المنعم ماجد ، نظام الناطميين 1، 68-69 ، يحيى بن حزمة العلوي : الإفحام لافئدة الباطنية الطغام ، 60 وما بعدها .

الاموال وتوليتهم الاعمال وما امرتهم به من اللباس والحلي فساد لهم للخروج من عاداتهم « (393) .

ويبدو أن المهدي استاء من موقف الداعي وجرأته لكنه لم يظهر له شيئاً وان لم يدعن لآرائه ، الآن كما لم يدعن لها من قبل عندما أقدم على اخذ الاموال المستودعة في قلعة ايكجان فتسبب بذلك في ظهور غضب شيوخ كتامة ورجالها منه .

والذي يدعو الى الدهشة اهمال منطقة كتامة وتجاهل قلعة ايكجان ، حتى أن المصادر أصبحت لا تشير اليها بعد قيام الدولة ، وبمكس ذلك ركر المهدي وخلفاؤه جهودهم على منطقة افريقية واهتموا بحواضرهم الجديدة التي انشأوها على الساحل ، مثل المهديّة ، أو في اقليم الزاب مثل المحمدية ، أو بقرب زغوان مثل قلمجنة (394) .

ولم يقتصر الامر على اخذ أموال ايكجان واهمال شأنها بل ان المنطقة جردت من عناصرها الحية ، وشبابها الأقوياء الذين ارتضوا حياة الجنديّة في حواضر افريقية والمغرب ، ولم يبق في أرض كتامة غير ضعفاء القوم وصغار السن ومن لاهم لهم في الحياة الجديدة وفي المجالات الجديدة .

ولأن المهدي لم يأخذ برأي داعيه تجاه كتامة وامتيازات شيوخها ومنطقتها ، واجه حركات ثورية وانتفاضات كبرى انطلقت اولها من عمق أرض كتامة نفسها ، بعد استقراره في رقادة ، وكانت رد فعل لاخذه الاموال وتركه ايكجان مهملة وعدم تشريفها بأية ميزة خاصة ، هذا ان تعذر اعلانها قاعدة للدولة الجديدة بسبب عزلة موقعها .

وقد تزعم حركة الثورة رجل يعرف (بلب) الذي التفت حوله بعض قبائل الجهة وزعمائها الغاضبون الذين ساعدوه وهيئوه فيما يبدو لاعلان الثورة ضد النظام الجديد .

ولما كان عبيد الله المهدي حديث عهد في رقادة وفي نفس الوقت عرف عن طريق أنصاره ، أنها محدودة وحركتها أسباب خاصة ، فقد ترك تصفيتها للعناصر الداخلية من الذين بقوا على الولاء له ، وهؤلاء هم الذين تمكنوا من اخماد الحركة الاحتجاجية الأولى في أرض كتامة ، وأخذوا زعيمها

393 - النعمان : افتتاح : ورقة 190 .

394 - البكري : المصدر السابق 46 من قرى جبل زغوان وضع أساسها القائم بأمر الله وأصبحت سكناً لعناصر هواة ونفوسة .

أسيرا ، وأرسلوا أخبار نجاحهم في مهمتهم الى رقادة حيث قرىء سجل
عنها في مدينة القيروان (395) .

ويبدو أن سياسة المهدي في الاعتماد على عناصر جديدة ترتبط به
والانصراف تدريجيا عن بناء الدولة قد خلق مضاعفات كبرى وقد كان
في استطاعة المهدي أن يرضى عناصر القوة القديمة بتعيين أبي عبد الله
الشيعة داعيا للدعاة أو قاضيا أو مشرفا عليهما معا ، أو قائدا عاما على
جيوش الخلافة الفاطمية أو مسئولا على قطاع الخراج والضياح ، وسياسة
الأموال وكانت آراؤه في هذه الناحية واضحة ومناسبة لقواعد الشرع .
ولو أحب المهدي أن يشرف الداعي لانتدبه الى الصلاة اماما في الاعياد نيابة
عنه لكنه لم يفعل وانتدب للامر حجة ، وولى عهد المسلمين ابا القاسم على
صفر سنة اذا قيس بالداعي ، اذ تشير النصوص (396) الى خروج القائم
بمعية الداعي وبعض قادة كتامة الى المصلى يوم اول عيد فطر ، اقيم في
رقادة بعد اعلان الخلافة الفاطمية حيث صلى بالناس وخطب فيهم .

وحرص المهدي ، الذي لم يحضر بنفسه لامامة المسلمين على تخليد هذا
الحدث في سجل قرىء على منبر مسجد القيروان وسائر منابر افريقية
كما تكرر ذلك بالنسبة لعيد الاضحى الذي اشرف عليه ابو القاسم أيضا
نيابة عن المهدي ولم يحضره الداعي لوجوده في مهمات خاصة خارج
افريقية (397) .

ويبدو ان الاهمال التدريجي لقادة الأمس وتهيئتهم لقبول وضع هامشي
هو الذي حز في نفوس أنصار الداعي واثّر فيه بدوره على ما كان يعرف
به من اخلاص وتجرد .

ومثل أبو العباس دورا كبيرا في تعبئة النفوس بالغضب ضد المهدي
مستغلا تدمير قادة كتامة من أخذه أموال ايكجان فكان يكرر على مسامعهم
قوله « والله لا تركنا بناء بنيناه بأيدينا وأتعبنا فيه أبداننا ، وذهبت فيه
أعمارنا ، سكنى غيرنا ، ونحن من وراء أبوابه ، حتى يحل في أعاليه ويلحقنا
بأسافله » .

وكان أبو زكي ، مستاء من ارتفاع شأن عروبة ، وحظوته عند المهدي ،
مع أنه أقدم منه أثرا في الحركة الاسماعيلية ، فكان يعلن في حدة وعصبية
« والله الموت الموت ، في قطع أيام تقدمني فيها وارتفع علي ابن راعي البقر »

395 - ابن عداري : البيان ، 1 ، 221 .

396 - نفسه .

397 - نفسه ، 1 ، 222 ، ص 10 .

ويظهر أن التفاوت في المكانة الاجتماعية بين القائدين ، ثم صراع قبيلتي أجانة ، وملوزة من أجل الظفر بالمركز الأكثر حظوة واعتباراً بعد قيام الدولة ، هما اللذان خلقا موقفاً معقداً أدى إلى خيانة عروبة للداعي وبالتالي إلى نتائج سيئة .

وإثار غضب بقية زعماء كتامة نزعة الاستبداد عند المهدي ، ثم حياة الرخاء والنعيم ، التي أصبح يتقلب فيها دونهم مع أنهم هم سبب مجده وسعادته « والله لا تركناه يقاسمنا هذه القصور ، التي نزلها إلى الأجنة التي حولها إلا بالإشارة ويكون الأمر أمرنا والحكم حكمننا كما كان ولا رضينا أن نأخذ من تحت يده كما كان ولنا الفضل فيما تعطر فيه » (398) .

وتمسك الداعي بهدوئه وتصرف بحكمة وسط جو محموم بالإشاعات رغم أن أخاه كان يعنفه على استخذائه لشخص غريب عن أهل البيت ، استهمل حكمه بمحاولة اضطهاده والتقليل من قيمته والتمتع بشمار النصر وحده (399) .

ولم يشأ الداعي أن ينحرف وراء التيار قبل تهيئة مبرراته، لذلك، أوضح لانصاره « أن الدعاء لأهل البيت واجب، وأن الإمام المهدي حق وأن الزمن مجهول عندي، وكنت ارتببت في والد عبيد الله فكيف لا يرتاب فيه » (400) . ولم يخف عليهم أنه قد يكون أخطأ فيه ، وليس هو المهدي الحقيقي الذي جاءت به البشائر واستند في الشك فيه ، على تصرفاته وسياسته التي تبعد عنه صفة امام الزمان ، ومهدي العصر (401) ، وأخيراً اتفق مع كبار انصاره ومنهم عروبة على امتحانه لمعرفة حقيقته ، فإذا تبين زيفه أزيح عن مركزه (402) .

398 - النعمان : افتتاح ، ورقة 196 .

399 - القرظي : تعاطف 1، 67 ، ابن الأثير : الكامل 18، 8 ، يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 756 - 757 ، ابن حماد : المصدر السابق 11 ، البكري 26 ورقة 34 .

400 - الاستبصار (المجهول) 204 ، ويستبعد بعض المؤرخين حادث تأمر الداعي ضد المهدي وثورته ضده ويرى أن النصبة ملفقة لتشويه سمعة المهدي . انظر مصطفى قالب : اعلام الشيعة 252-253 .

401 - ابن عذاري : البيان 1، 223 ومما قاله « ان أفعاله ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أذعو إليه وأخشى أن أكون قد غلطت فيه » الاستبصار 117 ، وفيه أن الداعي وصفه بأنه يهودي وقد وضع مؤقناً حتى يحضر الطوي .

402 - نفسه . وبلاحظ أن هذا الاتفاق الذي جرى خارج أفريقية وفي مكان يسمى الثور ، بجوار مدينة تنس في المغرب الأوسط ، كان يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 297 هـ واشترك فيه عروبة وتعاهد الجمع على الثورة .

وأثر رجوعهم ، كشف عروبة (403) للمهدي كل مدار في اجتماع الثوار بمدينة تنس ، تزلفاله ، ورغبة في الاطاحة بخصومه ومنهم ابو زاكي الاجاني ، وهارون بن يونس المعروف بشيخ المشايخ ، الذي كان أول من تجرأ على المهدي وأظهر الشك فيه بقوله له « ان كنت المهدي ، فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك » فاحتار المهدي وحاول صرفه عن نزعة الشك على أساس ان « اليقين لا يزيله الشك » ولما ألح في العناد ولم يقتنع أمر المهدي بقتله تطهيرا له (404) كما تخلص من سائر زعماء الحركة بما فيهم الداعي وأخوه ابو العباس ، وأبو زاكي ، وشمل بنكاله كل من اتصل بهم من قريب أو بعيد أو اشتبه في أمره ، من بين فروع كتامة أو من عناصر السلطة القديمة مثل ابن القديم (405) ، ومحمد بن أبي سعيد الملي صاحب السوق في القيروان ، وابن رجال البغائي وجماعة من قادة بني الأغلب (406) .

ونجاح المهدي في قتل زعماء الحركة الثورية أصاب مركز قبيلتي أجانة ومسألته بتدهور خطير بينما ارتفع شأن ملوزة ولهيفة ولكن إلى حين .

وقد عم الاستياء والغضب جهات مختلفة في افريقية وبلاد المغرب ، وكانت له أصداء قوية بين الاسماعيلية في المشرق .

وشعور الخليفة المهدي بأثر الحادث هو الذي دفعه إلى التحرك بسرعة لشرح القضية وملابساتها لانصاره في المشرق بقوله « أما بعد فقد علمتم محل أبي عبد الله وأبي العباس من الاسلام فاستزلهما الشيطان ، فظهرتهما بالنسيف والسلام » (407) . أما في افريقية ، فقد احتجب لعدة أيام ثم

403 - الاستبصار 205 ، ويوصف عروبة هنا بصاحب الشرطة فلعنه كان مدسوسا على الداعي ورجاله منذ بدء الحركة ، تجاه قبائل المغرب الاوسط ، وقد جوزي بولاية الشرطة تقديرا لاخلاصه ، ابن عذارى : البيان 224،1 س 1-3 ، ابن الأثير : الكامل ، 19،8 .

404 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 192 ، ابن الأثير : الكامل 18،8 (51 ط . بيروت) ، القرظي ، تماظ الحنفا 67،1 . يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 758 وقد لقب هنا بلقب مقدم الدعاء .

405 - ابن الأثير : الكامل 19،8 ، ويذكر ان ابن القديم ساعد المهدي في الكشف عن زعماء المؤامرة وفي جلبهم إليه . E.I. (Art Mahdi T 3, p. 125-6.

406 - ابن عذارى : البيان المغرب 231،1 ، القرظي : المصدر السابق 68،1 ، النعمان : افتتاح الدعوة ، ورقة 198-199 .

407 - ابن عذارى : البيان المغرب 228،1 وقد وصف ابو عبد الله الداعي بأنه « كان أحد رجالات العالم القائمين بنفس الدول واقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال القرظي ، تماظ الحنفا 1 ، 68 ، وقارن هذا الوصف بما ورد في الاستبصار (لجهول) 205 .

أعلن تأمين كتامة واستقبل رجالها كل على حدة ثم قبض على كثير منهم ،
ونكل بهم تنكيلا شديدا ، كل على حسب دوره ، ومابدأه من انطباع آزاء
الحادث (408) .

ويبدو أن تنفيذ عروبة بن يوسف لاوامر المهدي لم يخل من اثر في نفسه
اذ هو جريمة اخلاقية كبرى لابد أن تكون قد أثقلت ضميره بالنظر لمركزه
الخطير عند الداعي . ولا بد أن يكون قد تنبه فيما بعد ، الى أنه وأن استخدمه
المهدي أداة ضد خصمه ، في ظروف دقيقة قد غدا في وضع غير سليم ، خاصة
وأن المهدي قد احاط بالشك والحذر كل من ارتبطوا بالداعي ، من قريب ،
أو من بعيد ، وهل كان خافيا على المهدي أن عروبة من أخص رجال الداعي ،
وأنه عندما تخلى عن ولي نعمته الأسبق وخانه لن يتردد اطلاقا في ظروف
مشابهة في ارتكاب مزيد من الخيانات ضد من لم تربطهم به غير رابطة
المصلحة المادية المؤقتة (409) .

ويهمنا من الحادث أن كتامة التي كانت بتأثير الداعي عماد الحركة
الاسماعيلية وأساسا لقيام الدولة ولتوسعها ، غدت الآن جماعة مشبوهة
ومنبوذة ، ومتفرقة الأوصال ، تعيش محنة كبرى ، وتنطوي على غضب
شديد وانفعالات خطيرة ، سرعان ما عبرت عنها عمليا في الثورات المتعددة ، وفي
الاعتقادات المتطرفة ، ومن ذلك ادعاؤهم بأن أبا عبد الله حي لم يموت ، ومعنى
ذلك أنه سوف يرجع . واصطنعوا لأنفسهم مهديا جديدا في عمق أرض
كتامة (410) بعد فشل ثوراتهم في أرض افريقية .

وقد اشتعلت اولها في مدينة رقادة ، بقصد الثار لقتل أبي عبد الله وقادة
كتامة ، ولم تخمد الا بعد خروج المهدي بنفسه لتسكين الفتنة واقناع
زعماء الثورة وقد قام بعد ذلك ، بالتخلص منهم دون استثناء (411) كما
ظهرت ثورة أخرى ، وأخر شعبان 299هـ / مارس 912م في مدينة القيروان
حيث اشتبك رجال كتامة مع سكان المدينة لأنهم منعوهم من السلب والنهب ،
حتى يمهّدوا لاضطراب الوضع وسيادة الفوضى ولم تنته هذه الفتنة الا بعد

408 - نفسه 1، 229 .

409 - وانحراف عروبة عن الداعي ، بعد فترة قصيرة ، لم يكن خاليا من تأثير المهدي الذي
بدأ يستفسد قلوب رجاله خوفا منه . وساعد المهدي على النجاح في تفتيت صفوف
الداعي ، التناقضات الموجودة بين بعض فروع كتامة من جهة وبين كبار انصاره من
جهة أخرى .

410 - ابن الأثير : الكامل 19، 8 (53 ط . بيروت) ، القرظي : اعطاء الحنفا 1، 68
س 17 - 18 ، النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 35 .

411 - ابن الأثير : الكامل 19، 8 .

أن تصدى لقمعها. عامل المدينة ابن أبي خنزير الذي « سكن الناس ، وأمر بتغيب القتلى فطرحوا في المراحض » وبلغ عدد من قتل من كتامة وحدها نحو ألف رجل (412) .

أما أخطر الثورات فهي التي ظهرت في أرض كتامة نفسها وفي منطقة الزاب كلها بعد انسحاب فلول كتامة وبعض رجالها من افريقية الى مواطنهم الأصلية وقد لعبت فيها أجانة ، وماوطن دورا كبيرا .

ولم يجد أنصار الداعي ، وأبي زاكي ، وسيلة للنيل من نظام الدولة في افريقية، غير الانفصال السياسي والمذهبي عن رقادة ، ورفض طاعة عبيدالله ، بادعاء أن كادو بن معارك ، وهو من قبيلة ماوطن (413) - لذلك عرف بلقب الماوطي ، هو المهدي المنتظر ، واتخذوا مكان اقامته قبلة يتجهون اليها وزعموا أنه الذي ينفذ شريعة أبي عبد الله بعده ، ويواصل مهمته اثناء غيبته (414) ، وباسمه أرسل الدعاة الى الأطراف (415) وهم الذين نشروا نفوذ الحركة في أرض كتامة ومنطقة الزاب حتى أصبحت كبرى حواضر المنطقة ومنها قسنطينة ، وميلة في دائرة نفوذها (416) .

وهذا التطور الخطير ، الى جانب الخوف من أن يتكرر مع الدولة الفاطمية في رقادة ، ما حصل من قبل ضد الأسرة الاغلبية التي صفت عن طريق حركة مذهبية مشابهة لهذه ظهرت في أرض كتامة ، هما اللذان دفعا المهدي ، ورجاله المخلصين الى الاسراع لاختتام هذه الحركة الجديدة ، قبل أن يستفحل أمرها .

ويبدو أن فشل الجهود الأولية ضد الحركة بسبب تقلب اهواء قادة كتامة وتعاطفهم مع الحركة وفرار بعضهم الى مراكزها وانتلابهم ضد أعوان الدولة (417) هو الذي جعله ينتدب لمواجهة الحركة ابنه ، ابا القاسم ولي عهد المسلمين وجعل تحت نظره فيما يبدو بعض قادة كتامة مثل عروبة وجبر

412 - ابن عذاري : البيان ، 1، 230-231 ، القرظي : اتعاظ ، 1، 68 ، ابن الأثير ، 8، 19،
النعمان : افتتاح ورقة 200 .

413 - النعمان : افتتاح ورقة 200 .

414 - ابن عذاري ، 1، 231 ، والذي يلاحظ أن بعض النصوص تشير الى أنهم اعتقدوا
نيوته ، انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، 8، 19 .

415 - النعمان : المصدر السابق ورقة 200 .

416 - ابن عذاري ، 1، 231 .

417 - ومن هؤلاء : حولات بن خبزة الذي فر الى الماوطي مع مائتي رجل من اتباعه . انظر
ابن عذاري ، 1، 231 .

بن ناسب وأبي خليفة عامل القصر القديم . وإذا كان أبو القاسم قد جد في قتال الماوطي ، وأنصاره وتبعهم حتى الساحل ، وقتل كثيرا منهم واسترد المدن التي استولوا عليها فإنه لم يسلم من محاولة التآمر عليه إذ فر جماعة من قادة الجيش الى الماوطي لم تكشف النصوص عن أسمائهم ولو لم يكن مرنا ومتسامحا معهم حتى انصرفوا اليه وأطلعوه على حقيقة الوضع وهي التي أفادته في أسر الماوطي واخماد حركته ، لما نجحت جهوده في هذا الظرف الدقيق من حياة الدولة ، وتطور علاقاتها بكتامة (418) .

وبعد ان اكمل ابو القاسم المهمة ورجع الى رقادة وفي معيته المهدي الصغير ، وبعض أنصاره أسرى ، طوف بهم في القيروان على الجمال ثم قتلوا بمدينة رقادة (419) .

وقد كانت هذه الأحداث الخطيرة سببا في زرع بذور الشك واستحكام العداء وسوء الظن عند الطرفين . وغدا المهدي بعد تصفية نفوذ أجانة ومسالته وماوطن ، يعتمد مؤقتا على زعامات من ملوذة ولهيصة ، ولوذة ، انما في قدر كبير من الحذر واليقظة ، وترقب المكروه من جانبهم في كل حين .

وإذا كان المهدي ، قد انتدب حباسة بن يوسف اللوزي لمهمات كبرى في برقة ومصر واعتمد على أخيه عروبة في مواجهة بعض الأزمات في تاهرت والجزء الغربي من الدولة ، ثم على أبي مديني بن فروخ اللهيصي في برقة وحامد بن حمدان اللوزي وريحان الكتامي ومرمازوا في ميدان المغرب الأقصى ، فان أغلبهم لم يكن مستقلا بالتدبير ، فضلا عن أن ذلك كانت تحتمه الحاجة اليهم لصد بعض الأخطار (420) .

ويبدو أن الأخوين حباسة وعروبة كانا بيتان أمرا خطيرا ، ضد النظام الفاطمي ، فعروبة ربما بدا له سوء تدبيره وخطل رأيه وأثرت عليه حركة الانتقام من عصبية الكتامية وسوء معاملتهم من طرف المهدي وابنه أبي القاسم كما ظهر لأخيه حباسة في ميداني برقة ومصر ، أنه أصبح محل شبهة وأن سوء الظن الذي استحكمت في نفس المهدي ، انتقل منه الى ابنه وحجته ولي عهد المسلمين والافما سر هذه الدعوة المفاجئة لحباسة ، بأن يترك مركز قيادته في الاسكندرية ، بعد أن أشرف على النصر لقائد مغموور

418 - ابن الأثير : الكامل 19،8 ، النعمان : المصدر السابق ورقة 200 ، القرظي : المصدر السابق 68،1 .

419 - ابن عذاري 233،1 ، ابن الأثير 19،8 ، وتشعر روايته بان المهدي الصغير قتل في بلاده .

420 - نفسه 1 ، 240 س 3 .

من كتامة هو أبو فريدين ، ويلتحق بمقر أبي القاسم في الفيوم ؟ ، ان لم تكن هناك نية مبيتة للتخلص منه أو اهانتة (421) .

وإدراك حياسة لاتجاهات أبي القاسم ، هي التي دفعته الى العصيان والفرار مع بني عمه ، الملوذين الى بلاد المغرب ، للتنسيق مع عروبة وبقية الأنصار وعلان الثورة ضد الخلافة الفاطمية . غير أن حادث أسره في الطريق وسجنه في رقادة قضى على أمله في التنسيق كما أحبطت مساعي أخيه وعصبيته الذين أشعلوا ثورة شديدة ضد المهدي في القيروان وسقط الجميع قتلى على يد غالب وطبقة الفتيان واحتزت رؤوسهم وجمعت في قفة وحملت الى المهدي الذي لاحظ رأس الأخوين معها فتعجب من تقلب الأحوال وفساد النوايا لرجال « ضاق بهم قضاء المشرق والمغرب واحتوت رؤوسهم قفة صغيرة » (422) .

وهؤلاء الذين تحدث المهدي عن أصدائهم القوية في المغرب والمشرق هم بعض قادة كتامة التاريخيين في الدور المغربي للخلافة الفاطمية ومن أهمهم: أبو اليمون عروبة ، من ملوزة وأبو زكي تمام من أجانة وأبو مدينى بن فروخ من لهيصة .

ومن بين هؤلاء يعتبر عروبة من بين رجال الداعي وأركان مدرسته الهامة الذين اتصلوا به منذ أن كان في قلعة إيكجان . وقد أشار إليه ابن خلدون

421 - ابن عذاري : (البيان 239،1 وبدا غضب حياسة من هذا التصرف من قوله « لما أشرفت على أخذ البلد ، يفوز أبو فريدين بخبره وذكره ، » س 5-6 ، ابن حماد : المصدر السابق 12 ، النويري : المصدر السابق 26 ، ورقة 14-16 .

422 - نفسه 240،1 ، القرظي : اتعاظ 69-70 ، ابن خلدون : العبر 4،79 ابن الأثير : الكامل 31،8 ويلاحظ أن النصوص تختلف حول مكان عروبة عندما أعلن الثورة ، وحول ظروف قتل أخيه حياسة في رقادة ، فابن الأثير ، والقرظي يتفقان على وجود عروبة في القيروان التي أشعل فيها الثورة انتقاما لقتل أخيه بعد وصوله من مصر دون أن يشيرا الى حادث هروبه من قبضة أبي القاسم ، ويتفق ابن خلدون معهما في القول بأن حياسة قتل إثر رجوعه منهزما ، لكن ثورة أخيه الانتقامية ظهرت في بلاد المغرب وهي تطلب عليها وأحبطها ، غالب مولي المهدي ، ويتفرد ابن عذاري برواية أن عروبة الذي كان على اتصال بأخيه مكاتبه ، كان في تاهرت ، وفارقها بماله ، عند سماع خبر فرار أخيه ، حيث قتل في أوراس ، ويبدو أنه كان في طريقه الى بلده ، أو الى مكان ما في أفريقية للتدبير لنجدة أخيه وللضغط على المهدي ، ووجوده في تاهرت في هذه الفترة أي سنة 302 هـ ، لا يخلو من أحد احتمالين إما أن يكون واليا على تاهرت . أو أحد مساعدي واليها قائد جيش المهدي وهو مصالة بن جبوس الكناسي والاحتمال الأخير هو الأرجح لأنه لو كان واليا مستقلا بالتدبير لعلن الثورة والانفصال ولما فكر في الفرار خاصة وأن أمامه فرصة للانتحاء إما الى زنانة أو الى الأندلس .

ضمن الطبقة الأولى من مشاهير قادة البربر بفروعهم المختلفة ، ووصفه بأنه القائم بدعوة عبيد الله الشيعي ، ووالي بلاد المغرب من طرفه (423) .

وقد ظهر بأسه واخلاصه للحركة الاسماعيلية منذ ان ووجهت بحركات عدائية في تازروت وكان ممن قاتل بشجاعة حتى أصيب بجرح بالغ ، اثر على صوته فيما بعد لكن بعد ان قتل أحد زعماء الفتنة الشجعان (424) .

وكان على رأس السرية التي ارسلت من ايكجان بسرعة لرصد تحركات ابراهيم بن الطنبلي ، قائد بني الاغلب الذي اتخذ باغاية مركزا لنشاطه وهو الذي كسب معركة دار ملول في منطقة أوراس وقتل ابراهيم بن الطنبلي (425) . كما كان عمدة الداعي في تأديب القبائل التي انضمت لابن أبي الاغلب اثر انتصاره في معركة دور مدين ، ثم في شد أزر الموالين للحركة ضد ضغوط القائد الاغلب (426) . واصبح بعد فتح باغاية على رأس حاميتها الكتامية، وكان يرافقه ابنه محمد ، ومن مركزه في باغاية أحبط مساعي ابن أبي الاغلب والجاه الى ترك المنطقة (427) مهزوما .

وكان دوره في معركة الاريس بارزا ، لذلك انتخبه الداعي للسير الى رقادة ، لضبط الامن والنظام ، ثم عهد اليه بعد ذلك بضم سوسة وتأمين أهلها وكان أيضا الى جانب الداعي ، يوم أن خرج الى سجلماسة لتحرير المهدي ، وعندما توجه لتأديب زناته ، وقبائل المغرب المعادية أيضا ، ولذلك حضر اجتماع مدينة تنس الذي رسمت فيه خطة العمل في المستقبل ، لكن عدم التزامه بسرية الحركة ، وبشرف الكلمة ، وبمبدأ الوفاء ، لأهداف شخصية ونوازع عصبية ، لم يؤثر على خصومه فقط ، بل شمل عصبية واثرا أيضا على مركز كتامة في الدولة وعدل الكثير من امتيازاتها .

وقد يبعث على الدهشة ان يجازى على أعماله بولاية الشرطة فقط (428) بحيث لم يظهر لا في ميدان الجندية كقائد مستقل بالأمر، ولا في ميدان السياسة أيضا ، الا في فترة قصيرة في تاهرت . وربما كان هنا ، مساعدا لمصالة ابن حبوس الذي ولي تاهرت والجزء الغربي مباشرة بعد عزل أبي حميد دواس بن صولات الكتامي منذ سنة 299 حتى شعبان 312 هـ نوفمبر 912 م (429) .

423 - العبر ، 6 307 ، 4 18 ، مفاخر البربر (المجهول 50 - 51 ، ابن عذاري 1 ، 239 س 1 ، الذي يشعر كلامه بذلك .

424 - النعمان : افتتاح ورقة 70 وما بعدها .

425 - نفسه . ورقة 130 .

426 - نفسه ورقة 142 .

427 - ابن خلدون : العبر 4، 74 .

428 - الاستبصار (المجهول) 205 .

429 - ابن عذاري : البيان 1، 230 س 3-4 و 266 س 7-9 .

وما آل إليه مصير عروبة بسبب انحرافه عن القصد لمصالح آنية ، هو نفس ما يلقاه كل غادر لولى نعمته ، خائن لبني قومه وصولي في أعماله .

أما خصمه العنيد ، أبو زاكي تمام بن معارك الاجاني فقد امتاز عنه بأنه كان ينتمي الى وجوه أجنبية وزعمائها أي أرقى منه في المكانة الاجتماعية وأسبق اتصالا بالدعوة وأشد تقربا (430) من الداعي ، ومنذ أن كان غلاما حدثا وسيما كانت تبدو عليه مخايل النبيل والذكاء والنشاط الجهم ، والتفاني في خدمة أبي عبد الله ولذلك غدا من أخص مرافقيه . وقد أسهم بجهد كبير في حركة نشر الدعوة في منطقة كتامة والزاب وكان يوم معركة الأربس الى جانب الداعي ، وقد راعى له هذا الأخير إخلاصه وتفانيه ، فرسمه مستخلفا عنه في افريقية بعد خروجه الى سجلماسة (431) . ومنها أرسل اليه يشرح له توفيقه في مهمته ، فقام أبو زاكي بنشر ذلك ليقطع الأراجيف ، ومن أيكجان ، تلقى منه ما يفيد موعد وصول موكب المهدي فاستعد وهيا استقبالاً حماسيا منقطع النظير . وكانت فترة نيابته في افريقية من أحسن الفترات في تاريخ الدولة من حيث سيادة الأمن والنظام . وما وقع من تصرفات خاصة ومضايقات لفقهاء السنة ورجال المالكية لم ترتبط باسمه لأنه مثل أبي عبد الله الداعي كان يكره أسلوب القهر والفرض الذي تمسك به أبو العباس ، والمروزي وابن أبي خنزير .

ولما كان أبو زاكي من بين الذين تحمسوا أثناء اجتماع تنس ، لقضية امتحان المهدي ، ولأجراء حركة تطهيرية في صفوف النظام ، تتناول الرأس والأعضاء وهيا داره مكانا لاجتماع المتآمرين ، وكان عضد الداعي ورفيقه فقد عجل المهدي بإبعاده عن مسرح الأحداث ، ليتمكن من تنفيذ خطته المعاكسة (432) في حرية وفي أطمئنان ضده ، وضد الداعي وأخيه وسائر أنصارهما .

أما أبو مدينى بن فروخ فقد كان لا يقل مكانة وأهمية عند الداعي من عروبة وان لم يصل الى مستوى أبي زاكي ، انضم الى الحركة الاسماعيلية وهاجر الى تازروت ، منابذا لأخيه مهدي بن أبي كناوة الذي بقى على موقفه العدائي . ظهر موقفه مبكرا في مواجهة حرب الأحلاف (433) .

430 - نفسه 168،1 .

431 - النعمان : افتتاح ورقة 172 ومما جاء في بيان الداعي لسكان افريقية قوله (وقد امرت تماما بن معارك بالرفق بالرعية والاحسان اليها وافاضة العدل ، والعرف فيها ، وقبض يد الجور وازالة الفشم عنها) ، ابن خلدون : العبر 4،75 .

432 - المقرئزي : اتمام 68،1 ويوصف هنا بكبير القوم وانه عين واليا على طرابلس س 2 .

433 - النعمان : افتتاح ورقة 68-69 .

أما ظهوره في ميدان القيادة فكان يوم أن انتدبه الداعي لفتح مدينة مجانة التي استعصت على قادة آخرين فاقتحمها عنوة وقتل وألها وشتت شمل المدافعين عنها ورجع إلى قاعدة أيكجان (434) ، ولم يفارقها إلا عندما لاحت أخطار الحركة الأغلبية المعاكسة ضد باغاية ، عندئذ رجع من جديد لحمايتها وتأمين العناصر الموالية للحركة الإسماعيلية من انتقام بني الأغلب ، وقد كان توفيقه كاملا ، لذلك رجع إلى أيكجان ، ليبلغ الداعي عما أنجزه من أعمال في إقليم الزاب (435) . وعندما انتهت معركة الأربس انقطعت صلته بأيكجان واستقر في رقادة ، حيث كان ضمن الذين خرجوا مع الداعي إلى سجلماسة غير أنه لم يتورط في حركة التآمر ضد عبيد الله ولم يرد اسمه ضمن المجتمعين في مدينة تنس ، أو في دار أبي زاكي في رقادة ، ربما لأنه كان متحفظا وسليبا ، أو ضمن الذي اصطنعهم المهدي ، فانصرفوا عن الداعي .

ومما له دلالة أنه - على عكس عروبة ، وأبي زاكي - لم تكن بجانبه في رقادة قوة من عصبته ، لهيصة ، ومن ثم كان محدود الطموح ميالا للسلم مرتبطا بالنظام العام .

ولعل هذا هو سر نجاحه من حركة التصفية التي شملت كبار رجال الداعي ، بل يلاحظ أنه ارتفع رصيده وعظمت قيمته بعد انتهائها حيث وقع الاعتماد عليه في اخماد ثورات برقة (436) . وفي الإبقاء على هذا الإقليم ضمن إطار الدولة الفاطمية لما له من أهمية في مشاريعها الشرقية ، وقد تصرف بحزم وضبط الأمن واستمر واليا حتى توفي سنة 306 هـ (437) / 918 - 919 م .

وباختفاء هؤلاء القادة الذين كونتهم حروب التوسع يصبح المجال مفتوحا لظهور زعامات أخرى من عرب إفريقية ومن طبقة الفتيان الصقالبة وأهمهم غالب وميسور وجوذر وبشري ، ومسلم ، وصابر ، ونسيم ، وصندل ومسرور ومسعود وغيرهم (438) ، ثم من قبيلة مكناسة البتوية ، ومن قادتها : مصالة بن حبوس وأسرته ثم قريبه موسى بن أبي العافية وأسرته أيضا .

434 - نفسه ، ورقة 136 - 137 .

435 - نفسه ، ورقة 145-146 ، ابن خلدون : العبر 4، 74 .

436 - ابن عذاري ، البيان : المغرب 1، 241-244 .

437 - نفسه 1، 254 . والحرص على إبقائه ثم عزله من الله بن الحسن بن أبي خثري عن ولاية القيروان سنة 306 هـ وإرساله إلى القتال ضد مصر وتعيين أبي سعيد الضيف بدله يدخل كل ذلك في إطار سياسة إبعاد الخطرين والمشبهين في ولائهم ممن كانت لهم صلات بالداعي وبكبار رجاله ، انظر البيان : المغرب 1، 253 ، أس 15-17 .

438 - ابن عذاري 1، 207، 264، 269 ، البكري : المصدر السابق 98 ، س 2 .

أما كتامة فرغم أنها استمرت عصب الدولة وجندها وقوام حياتها وصمام أمنها ، وعدتها في وجه الاخطار التي تظهر هنا وهناك في شرق الدولة أو في غربها فاننا لم نعد نسمع عن قادة كتاميين بارزين تولوا مسؤوليات كبرى حتى عصر المعز لدين الله وغدت كتامة أوزاعا متفرقين ، وجندا من غير قادة بارزين وزعامات ظاهرة . وبرز في ميدان القيادة على كتامة ، رجال من مكناسة أو من طبقة الفتيان (439) .

وهذا الوضع هو الذي اثر على معنويات رجالها وعلى تماسك جندها وجديتهم تجاه حركة أبي يزيد حيث قاتلوا في ظروف صعبة ومن غير روح معنوية وبدون قادة ومن غير خطة منظمة ، ولذلك أصيبوا بكوارث وتحطم كبرياتهم وشرفهم العسكري رغم أنهم حاولوا الثبات الى جانب ميسور الفتى وبشري ، وتظاهروا بالاهتمام بمصير الدولة وبأمنها تجاه الحوادث الخطيرة ، وقد استطلعوا رأي القائم بأمر الله ، ولأنه كان أسيرا لبعض النبوءات (440) الخاصة حول وقت انتهاء الحركة ، فإنه تركهم يتصرفون بحرية حسبما يمليه الموقف ولم يرد أن يقترح على رجال كتامة اتجاهها معينا فيلزمهم به « ما يمني من الرأي أحملهم عليه ، وإن كنت أرى وجه الصواب ، إلا يكون عناء (441) . أما المنصور الذي أظهر جدية في مقاومة الحركة فقد أنصف جند كتامة ، وأعاد اليهم اعتبارهم كحماة للنظام وشركاء في المسؤولية وكان ثناؤه وتمجيده لدورهم رائعا في الخطبة

439 - والفتيان من اصول اوروبية ، أغلبهم من عنصر الصقالبة . ويعرفون أيضا بالظلمان كانوا في البدء خدما في القصور ثم تدرجوا في الرقي حتى فدوا أساسا في نظام الدولة في عصر الأغالية ، وفي ظل الظلافتين الأموية بالاندلس والفاطمية في المغرب ومصر ، انظر سارائلي تشركوا : مجاهد العامري 12 هامش 1 ، القرظي : انماظ الحنفا 1 ، 101،76 ، العززي الجولدي : سيرة جولد 41 ، البكري : المسالك والممالك 154 وما بعدها . قطعة منه عن « جغرافية الاندلس واوروبا ، نشر عبد الرحمن الحجبي بيروت 168 ، باقوت ، معجم البلدان 5 ، 372 وما بعدها ، المسعودي ، مروج الذهب 1، 253-254 .

Levi Provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane T 2, p. 122 sq.

440 - ومن رواية النعمان يتضح ان المهدي تنبأ بان المنصور هو الذي يقضي على حركة أبي يزيد وذلك قبل ولادته ونص كلام المهدي « صاحب هذا الأمر في هذا الوقت حمل في بطن امه وعن قريب يولد » انظر افتتاح الدعوة ورقة 203 ، المجالس والمسائرات 2 ورقة 619 .

441 - النعمان : المجالس والمسائرات 1، ورقة 13 وقد فهم النعمان من كلام القائم بأمر الله ان التصفية النهائية لحركة أبي يزيد لا تكون على يديه ، اما المنصور عندما سئل عن سبب عجز القائم عن مواجهة الحركة فكان جوابه « ما كان للقائم أن يفعل إلا ما قد فعله ولا كان لي أن أفعل إلا ما قد فعلت » وأوضح النعمان الأمر بقوله : «فقام المنصور بالأمر في أوامره وتركه القائم لانصرام أمره وانقطاع زمانه » : انظر المجالس والمسائرات 1، ورقة 11-12 .

التي أعلن فيها موت أبيه القائم بأمر الله ، إذ خاطبهم بأهل الدعوة ، وأنصار الدولة ، « يا أهل دعوتنا ، يا أنصار دولتنا يا كتامة ، أحمداً الله ، واشكروه على ما خصكم به من نعمته » ولكي يعود اليهم اعتزازهم بالدولة ويقوى ارتباطهم بها ، وينسوا ما حصل لقادتهم ورجالهم في عهد مضى أوضح أمام الملا رضاه عن كتامة بقوله « اللهم اني أصبحت راضياً عن كتامة لاعتصامهم بحبلك وصبرهم على البأساء والضراء » ولم ينس أن يشني على دورهم الايجابي وثباتهم على المبدأ عكس غيرهم حتى انتهت المحنة الكبرى في قوله « حتى اذا قضى الله زلزال البلاد واختبار العباد .. واشتدت الكروب وفسدت القلوب ، عصمكم الله ، وهدى قلوبكم وثبت اقدامكم الى أن جلاها الله عنكم » (442) .

ويبدو أن المنصور لم يكن مجاملاً ولا مبالغاً لأن دور قبيلة كتامة اثناء الفتنة كان رائعا (443) فلم تشأ أن تستغل الظروف الصعبة ، لأهداف خاصة مع أن مبررات تحركها ضد القائم كانت متوفرة ، إذ هو سبب لكثير من النكبات التي حلت ببلادها ، وبقاداتها التاريخيين ، ولم تؤيد بعض الانتفاضات التي ظهرت في كتامة اثناء الفتنة بل اجتهدت في انائها بسرعة وتسليم القائمين بها الى الخليفة المنصور (444) .

وعلى نهج المنصور ، سار حجته المعز لدين الله الذي اغتنم فرصة نعي أبيه ، وخاطب كتامة بالاولياء ، والانصار ودعا لهم بالخير بقوله « وأخصص اولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين .. بما استوجبوه بطاعتك ، وفضاء فروضك وموالاتك ومعاذاتك أعدائك » (445) وأسبغ عليهم نعما وامتيازات (446) ، وأعاد اليهم المسؤولية والى بلادهم اعتبارها في نظر الدولة ، وأكثر من الاتصال بقادتهم وشبابهم وشيوخهم ، ليسألهم عن احتياجاتهم وعمما تطلبه الدولة منهم . وهكذا دخلت قبيلة كتامة في عصر جديد ، هو بحق عصرها الذهبي ، الذي لم تعرف شبيها له الا في فترة قصيرة في حياتها بعد قيام الدولة في المغرب ثم بعد انتقالها الى مصر .

442 - العزيزي الجولدي : المصدر السابق 55-60 ومن خطبة المنصور انظر ابن حماد : المصدر السابق 22-23 .

443 - القرظي : اتماع الحنفا 1،79 وهنا يذكر قوله (ثم وصلت كتامة فزلت بقسنطينة فخاف أبو يزيد) .

444 - ابن الاثير : الكامل 157،8 (444 ط . بيروت) .

445 - العزيزي الجولدي : المصدر السابق 80-84 .

446 - نفسه 116 وهنا يسجل بعض امتيازات شيوخ كتامة في افريقية .

ومن دراسة أهم وثيقة فاطمية سجلها مؤرخ معاصر للمعز لدين الله عن علاقته بكتامة ، ومجمل آرائه وأخباره ومجالسه ، نلاحظ كيف أن المعز لدين الله لم يأل جهداً في خلق جو جديد وروح جديدة بين فروع قبيلة كتامة وسخر كل مواهبه وحيله وقدراته الخاصة في التلبيس والاقناع والتوجيه كي يشعرهم بأنهم كل شيء في الدولة وأن العلاقة بينهم وبينها مغلقة في القدم وأبدية ، وقد وجدت لتبقى ، « وهؤلاء كتامة ، أجدادهم مع أجدادنا ، وآباؤهم مع آبائنا وهم معنا ، وكذلك يكون أعقابهم مع أعقابنا الى يوم الدين » (447) .

ولاحظ ان رجال الدولة الفاطمية يعترفون بجهود قادة كتامة واخلاصهم وتعلقهم بالولاء وصبرهم في عصر المحنة ووفائهم المنقطع النظير « والله ما وفيت أمة من الأمم لنبي من الأنبياء ولا لامام من الأئمة ولا لملك من ملوك الدنيا ولا وفى لها ، وفاءهم لنا ، ووفاءنا لهم ، الا وقد تداخل أولئك الفشل واعتراهم الخلل وحال عليهم ملوك الدنيا واستأثروا غيرهم دونهم ، وأطرحوهم وأوقعوا بهم » .

ومن ذا الذي ، يجرؤ على ادعاء ما لكتامة من منزلة ومكانة او يدرك ما لفرسانها من حسن هيئة وجمال المراكب (448) وقدرة على تحمل المكروه اليسوا هم الذين اشتدوا على أعداء النظام وحاصروا أبا يزيد ورجاله في أعالي الجبال « وأذاقوهم طعم الموت وأحلوهم محل الذلة ، وأخرجوهم قسراً بظباء السيوف ، وجد الرماح ، حتى الحقوهم قمم الجبال من أطراف البلاد ثم استنزلوهم منها قسراً وأبادوهم قتلاً » (449) .

وكان يؤكد في كل مناسبة وعن طريق القسم أيضاً ما يمكنه لرجالات كتامة من تقدير ومحبة وبيالغ أحياناً ، فيصفهم بالاخوة والأبناء والأقربين وبحزب الله ، وأنصاره وبجنده وأحبابه . « أنتم البنون والاخوة والأقربون ، ما يعد لكم عندي أحد ، ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر ، وما ذلك الا لما لي في قلوبكم » ويقرر أن استمرارهم على الانتصار للدولة وخدمة أهدافها ، هو صدى لموقف آبائهم وامتداد طبيعي له بقوله « ما نصر الله ولياً من أوليائه ، قبلنا بمثل نصركم لنا ، على ذلك مضى أولكم ، وعليه أنتم » (450) أما سلامة أخلاقهم وبعدهم عن مظان الشبهة وتنزههم عن التعرض لسير الناس

447 - النعمان : المجالس والمسائرات 1، ورقة 4 .

448 - نفسه .

449 - نفسه 1 ورقة 3-2 .

450 - النعمان : المجالس والمسائرات 1، ورفات 10، 26، 29 .

بالدس، أو الطعن عليهم، عند الأئمة الذين كانوا مقربين منهم، وندمهم، فقد كانت من دواعي اغتباطه وأعجابه بهذه القبيلة العتيدة على أساس أن غيرهم من أنصار الدولة كانوا يتقربون إلى الخلفاء عن طريق الوشاية بغيرهم، والطعن على بعضهم (451) .

ومع أن المعز لدين الله حرص على إرضاء بقية أنصار الدولة والمخلصين للنظام خاصة من طبقة الفتيان (452) فإنه كان صريحا وواضحا معهم عندما نفس بعضهم على كتامة مكائنها في الدولة، وفضلها وأكثر المعز لدين الله من مدحه لرجالها وثنائه عليهم (453) دون غيرهم .

أذ ركز كلامه مع هؤلاء على بعض ما يميز كتامة باعتبارهم كانوا أحرارا وفي وضعية طبيعية ومع ذلك أخذوا بالدعوة واتوا لنصرتنا مختارين وضحا ببلدانهم وأهلهم بدافع الاخلاص والولاء وثبتوا على نهجهم، رغم تغير الأحوال وتعاقب الخلفاء فهم لا نظير لهم، ولا سواء بهم .

وإذا فستان ما بين من يأتي للدولة طائعا مختارا وعن اقتناع وبين من تملكه عن طريق الشراء وتعهده في كل وقت وحين (454) .

ومع ذلك، فإن مكانة قيصر، ومظفر، وجوهر، كانت لا تعد لها مكانة أخرى في واقع الأمر خاصة في عهدي المنصور والمعز لدين الله الذي تعلم في صفه على يد مظفر (455) .

وقد كان هذا الأمر محل غيرة من الأولياء لأن قيصر ومظفر استبدوا بشؤون الدولة (456) وتصرفا باستقلال في الرأي عن الخليفة المعز لدين الله وكانا طريقا إليه فكل من يريد أمرا، لا يتجاوزهما، حتى قادة كتامة وشيوخها كانوا يلتجئون إليهما ويوسطونهما في المهمات الكبرى والصفري أيضا .

451 - نفسه ، 1 ، 7 وما بعدها حيث يذكر المعز أنه كان يجاري أحد جلسائه من شيوخ كتامة ليظفر منه بشيء عن حالة غيره ولا يجد عنده إلا حديث البر والاصلاح .

452 - نفسه ، 1، 6-7 .

453 - نفسه ، 1، 3 وما بعدها ومما قاله هؤلاء للمعز « فنحن يا أمير المؤمنين فما ترى أنا نصرنا وقد كان لنا من العناد والجهاد كمثل ما كان لفرنا فمن نازعنا ذلك فليعد مشاهدنا ووقائعنا ومقاماتنا ومن استشهد منا » .

454 - نفسه ، 1، 3-4 ، العزيزي : المصدر السابق 41 - 42 حيث يشير إلى إشراف جولد على بعضهم وأنه بالغ مرة في عقوبة من انحرف منهم ولم يطلق سراحهم من السجن إلا بعد تدخل حجة القائم وولي عهده أبي الطاهر اسماعيل .

455 - القرظي : اتعاظ ، 1، 101 . س 8 - 9 .

456 - ابن خلدون : العبر ، 4، 96-97 ، ابن أبي دينار : المصدر السابق 63-64 .

وعندما شعر المعز لدين الله بالآثار السيئة لاستبدادهما وقلق أنصار الدولة من قبيلة كتامة ، نكبهما (457) ، وشهر بهما في مجالسه ووصفهما « باللعينين » ، ونفى أن يكون لأي منهما سلطان عليه أو على كبار أنصار الدولة بل اعتبر التجاء الأنصار إليهما أو إلى الواسطة لقضاء حاجة من الإمام ، يحط من قيمتهم ، ويسيء إلى سمعتهم وذلك في قوله « وربما تعلقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة إلينا ، لا والله ما جعلنا لأحد عليهم من ذلك من سبيل » (458) .

وبعد أن نهى المعز أنصار الدولة عن الالتجاء إلى أسلوب الوساطة واتخاذ الولايع للوصول إلى سدة الإمامة وحثهم على الاتصال المباشر به ، في كل حين مثلما جرت عادته من قبل معهم ، تظاهر بأنه كان دائما مستعدا لاستقبال وفودهم وقضاء حاجاتهم ولم يرفض لأي أحد منهم طلب رؤيته في شأن مادي أو معنوي (459) .

ولادراك المعز لدين الله بأن كتامة امتحنت في عصر المهدي وزالت عنها الرئاسة ، وتخطتها المسؤولية حتى حمل ذكرها ونشأ الجيل الثاني من رجالها بعيدا عن الدولة ، لأن الجيل الأول فني في الحرب أو في الفتن الداخلية فقد أراد أن يعيد الوضع سيرته الأولى ، حفظا للتوازن بين العناصر المستبدة بشئون الدولة وأظهرهم طبقة الفتیان ، فعين شباب كتامة ، على نفس الأعمال التي كان يليها آباؤهم من قبل ووجههم توجيهها خاصا ، ولم يشترط عليهم غير الطاعة والامتثال ورعاية حقوق الإمام في الاطلاع على كل ما يجري ، في أرجاء البلاد . (460)

ولخوفه من حركات انفصال يقومون بها ثارا لما حل بآبائهم من قبل ، كان يوضح أمامهم ، بأن ما حصل في عهد المهدي لرجالهم ولزعمائهم إنما كان يقصد به تطهيرهم من الذنوب ، وتربية غيرهم من عامة الناس (461) حفاظا على النظام وعلى الانسجام بين رعايا الدولة ، وهو المبدأ الذي حرص

457 - ابن خلدون : العبر ، 4 ، 96-97 ، وقد قتل سنة 349 هـ ، فإرن ذلك بما ورد سهوا في سيرة جوند 157 ، تطبيق 30 .

458 - النعمان : المصدر السابق ، 1 ، 156 - 157 ، 2 ، 666 وما بعدها .

459 - نفسه ، 2 ، 512 ، 557 ، وقد ذكر أن فيهر رد على من رغب رفع شأن إلى الطليفة بقوله « إنما تقضى حوائج الرجال إذا احتيج إليهم ، واليوم فليس لولانا عدو يحتاج معه إلى الرجال » .

460 - نفسه ، 2 ، 600 ، 603 وقد أوصى أحدهم بقوله « طالعنا بأمورك ، ما عسى أن تريد العمل به ، قبل أن تملكه ، فما أتاك منه فامض على ما تأمرك به تكن على سبيل نجاة وسلامة وراحة ، وتزول الحجة عنك » .

461 - النعمان ، 2 ، 434 - 435 ، 584 وما بعدها .

على تحقيقه الخليفة المعز لدين الله حرصا كبيرا ، تجلّى ذلك حتى في المناسبات الاجتماعية ، ومن ذلك ما أمر به من ختان الأطفال في أرجاء الدولة بمناسبة ختان ابنائه : عبد الله ونزار وعقيل ، وتوزيع الهدايا والأرزاق على سائر السكان في المناطق القريبة والبعيدة مثل صقلية التي نالت من الطاف الخلافة خمسين حملا (462) .

وقد قصد المعز لدين الله أن تكون مناسبة الختان أيام أفراح وسرور ، ووحدة عواطف بين سائر السكان وقد اغتنم هذه الفرصة كي يستخلص العبرة أمام وفد كتامة الذي كان أول الوفود التي حظيت بلقائه ، بعد انتهاء أيام الختان ، وليؤكد لهم مرة أخرى بأنهم البطانة والخاصة وأساس الدولة منذ عهد الأسلاف إلى الآن . وعليهم إذا ان يصدروا في أعمالهم ، وفي علاقاتهم الخاصة مع بعضهم على نهج سليم غير ضار بسمعتهم أو بمصالح الدولة التي تعتمد على قوتهم كعناصر موحدة الأهداف بعيدة عن ريح الشقاق والنفاق ، وتعلق عليهم آمالا في رفع شأنها في وجه الأمويين في قرطبة والعباسيين في بغداد (463) .

ويستنتج من تكرار ظاهرة القسم بالله في أحاديث المعز لدين الله مع رجال كتامة، ومن المبالغة في اظهار فضلهم وميزاتهم واعتبارهم معدن الولاية(464)، ثم من الحرص على مجيء وفودهم إلى المهديّة في المناسبات الكبرى (465) وتبسطه في الحديث معهم عن وضعهم في الدولة ونظرتها اليهم وعن رأيهم في عمالهم ، ومن استفساره عن رجال كتامة ، ان كانوا يواظبون على سماع الحكمة والذكر في المجالس التي تعقد في المساجد أو في القصر (466) . نستنتج من ذلك ان رجال كتامة كان يعتربهم شيء من الفتور والتهاون في نصره النظام ويخامر بعض رجالهم الشك في العقيدة (467) ، ولذلك اجتهد المعز لدين الله بقدرته العجيبة في جعلهم تحت نظره الخاص ، وحصارهم كي يبقوا عدة لمشاريعه الشرقية .

- 462 - القرظي : اتعاف 10، 94 ، النعمان : المصدر السابق 2، 654 وما بعدها .
463 - النعمان : المصدر السابق 2، 663 وما بعدها ، وقد خاطبهم بقوله « واني احب ان اباهي ، واكثر بكم في الدنيا والآخرة » .
464 - انظر القرظي : سيرة جوند : 121-122 ، حيث يصفهم المعز بالسفلة في مناسبة خاصة عرفها من جوند الذي كان « مشفقا على كتامة ، رؤوفا بهم لكانهم في هذه الدولة الطاهرة » .
465 - النعمان : المصدر السابق 1، 2-3 .
466 - نفسه 2، 512 .
467 - النعمان : المجالس 2 ، 584 وفيه قول المعز لدين الله يخاطبهم « لا ترتابوا فينا ولا تشكو أفيما نأتيه وننذره من امركم كيفما جرت الاحوال » .

وقد أشار المعز لدين الله ، أمام وفد كتامة ورجالها الذين أتوا من بلادهم بأعداء كبيرة للاشترار في القضاء على انفصال سجل ماسة الى ظاهرة تناقلهم وعدم استجابتهم على هذا القدر من الكثرة للخلفاء من قبل ، عندما ووجهوا بأحداث كبرى مثل حركة ابي يزيد .

ويبدو أن هذا لا ينازع فيه ، بعد التطورات التي حصلت ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يبقى الحماس للدعوة ولنظام الدولة في مستواه القديم ، وادراك المعز لدين الله لذلك هو الذي جعله يتقصى اخبار كتامة في بلادهم وما طرأ عليهم من تحول وكانت فرحته كبيرة عندما عرف عن طريق وفودهم أن طاعة الخليفة هي الظاهرة العامة التي يستوي فيها الكبير ، والصغير والسيد والمسود ، « وما ذلك فينا دون بنينا ، وخدمنا ، وعبيدنا والله ما يحلف أطفالنا وعبيدنا وخدمنا الا بحق مولانا ، وفضلته ، ولا على السنتهم ولا لهم غيره ، ولا يعرفون لهم مولى سواه » (468) .

ولأن هذا اعطاه الاطمئنان عما يجري في منطقة كتامة ، وزوده بمادة للحديث مع وفود أخرى ، فقد أوضح مدى تعلق سكانها بالولاء للخلافة بجميع عناصرهم بقوله « والله والله ما يتخالجني الشك في اعتقاد صغيركم وكبيركم وحرمكم وعبدكم وذكركم وانشاكم » (469) .

وإذا صرفنا النظر عن تفنن المعز لدين الله في اصطناع الأساليب والمواقف المختلفة ، للتأثير على كتامة واشعار رجالهم بأنهم وحدهم المسؤولون على مصير الدولة ، والقوامون على بقائها ، ومد نفوذها في الآفاق البعيدة ، فإنه يلاحظ أنه في إطار سياسته الخاصة ، جرى في معاملته لهم ، على غير الرسوم المألوفة ، إذ تشير بعض النصوص (470) ، الى أنه دعا بعضهم للاجتماع به في يوم شات ، وأدخلهم على نفسه من غير الباب الذي جرى الرسم بدخول العامة منه على الخلفاء ، وكان على هيئة متواضعة ومنصرفا الى كتابة رسائل الى الدعاة في المشرق والولاية في المغرب يجيبهم فيها بنفسه على مشاكل الدعوة والحكم .

468 - نفسه 1 - 150 - 153 .

469 - نفسه ، 1 154 وما بعدها .

470 - المقرئبي : المصدر السابق 1، 95 ، عبد المنعم ماجد : اصل حفلات الفاطميين بمصر - 253 - 254 صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مجلد 2 ، 1954 .
G. Marcais : op cit p. 155.

وكان يهدف من هذه الحركة التمثيلية أن يشعرهم بأنه عندما يحتجب عنهم لا ينصرف الا لشؤون الامة ولما يحفظ الدعوة واستمرار الدولة مع زهد كامل في مباحج الدنيا وملذات الحياة . ومعنى ذلك أنه يجب عليهم أن يكرسوا جهودهم لخدمة المصلحة العامة ولتخفيف المشاكل على الضعفاء ولاسباغ الرحمة والعطف على البؤساء حتى يشعر الجميع بالاطمئنان وبالراحة في ظل الدولة العادية ، ولا يعطوا لانفسهم ولحياتهم الخاصة الا ما تستحقه ، وفي نطاق القصد والاعتدال خاصة في أمور النساء (471) .

ويلاحظ ان مواعظ المعز لدين الله وأحاديثه الخاصة واطراءه لاخلاق كتابه ، وجهوده في بث روح جديدة بين ربوعهم اثمرت في نهاية الامر وهيات لظهور جيل جديد من كتامة يعتز بماضي اسلافه في الدعوة وبدورهم في حركة توسيع نفوذ الدولة في المغرب ، وهو يقدر أيضا أهمية دورهم في الاستمرار في دعم مسيرة الدولة لتدرك اهدافها في المشرق ، ومن بين هذا الجيل برز قادة عظماء ، ساروا على الدرب واستعادوا سيرة اسلافهم في ميداني الحرب والدعوة ، وأهمهم ابن عطاء الله ، والي قابس ، وصولة متولي ديوان الخراج في افريقية ، وعبد الله بن يخلف عامل طرابلس وعسلوج بن الحسن الدنهاجي الذي كان أحد رجال المعز المقربين الذين افضى اليهم بالنص على حجتة عبد الله (472) ، ثم جعفر بن فلاح مساعد جوهر في الحملة التي فتحت اثناءها مصر ، وقائد فتح الشام ، وجبر بن القاسم الذي بلغ منزلة كبرى في مصر ، أما أفلح بن ناشب عامل برقة منذ سنة 342 هـ / 953 - 954 م فيبدو انه (473) شديد الصلة بكتامة ، وقد أدرك أفلح في برقة مجدا كبيرا حتى طمحت نفسه لمناسبة جوهر الكاتب فأبى ان يترجل له ، استعلاء بنفسه ، رغم أن الجميع كانوا مثلما رسم المعز لدين الله يترجلون له ، وتلطف مع الخليفة أن يعفيه من ذلك لقاء مبلغ ضخم من الاموال ، ولما رفض اقتراحه ، استسلم للامر الواقع ،

471 - المقرزي : اتعاظ الحنفا 1، 96 . عبد النعم ماجد : أصل حفلات الفاطميين بمصر 253 - 254 ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، مجلد 2 ، 1954 .

472 - المقرزي الجوزري : المصدر السابق 139 س 11 .

473 - ابن ابي دينار ، المؤنس 63 ، وصف في بعض النصوص بمولى المعز وولامه ، لمة من اخبار المعز ورقة 4 ، القلقشندي : صبح الاعشى ، 3 ، 349 - ويبدو انه أحد أخوة ثلاثة ارتبطوا بالدعوة الاسماعيلية ، وبالخلافة الفاطمية ، فأكبرهم فيما يبدو هو الحكم بن ناسب الذي عين نائبا عن الداعي في ايكجان ، فداة مفادته لها الى تازدوت اضطرارا . وكانت مهمته رعاية شؤون انصار الدعوة أما جبر بن ناسب (نماسب) فقد اتصل بالمهدي وهو الذي تولى قتل ابي العباس المخطوم بتسع عشرة طعنة بالرمح ، انظر ابن عذاري : البيان المغرب ، 1، 227 - 228 . النعمان : الفتح الدعوة ، ورقة 62 .

وعامل جوهر بمثل ما يعامل به من طرف الولاية والعمال ، فترجل له وقبل يديه (474) . وبسبب نشاطه الجهم ، استقر الامن والنظام في برقة ، ومن ناحية حدود مصر واستقرار الامن انعكست آثاره في النشاط الخارجي ضد بعض موانئ البحر الابيض المتوسط ، وجزره التابعة للروم ، ومن احدى موانئ برقة انطلقت النجذات الى مسلمي جزيرة أفریطس (475) .

وقد كانت صلوات افلح بالمعز لدين الله ، وبلاستاذ جوذر قوية ومتينة ، لدرجة أن الاخير على ما بلغه من قيمة وشأن لما طلب من افلح عشرة جمال وأرسل اليه عشرين ، تخرج من رد ما زاد على الطلب ، ومن مراجعته ، ولما استأذن المعز لدين الله في ذلك ، وفي رد مثل الهدية ، وافق بدون تردد أو ابطاء (476) ، وهذا لا يعني الا التقدير المتبادل والاهمية الخاصة التي كان يحتلها افلح في الدولة الفاطمية في عصر المعز لدين الله واستمرت أيضا في عصر ابنه الخليفة العزيز بالله ، وكان احد الذين طلبوا من المعز لدين الله في الايام الاخيرة من حياته ان يوضح امامهم قضية النص على حجته وولي عهده بعد وفاة الامير عبد الله (477) .

وبلغ من قيمته أن غدا أيضا مع المعز لدين الله والجعفرين الكتامي والاندلسي ضمن ممدوح (478) أبي القاسم محمد بن هانيء الأزدي شاعر القصر الفاطمي (479) .

474 - شرح لعة من اخبار المعز لدين الله وتسييره عساكره الى مصر ورقة 4 خ مكتبة جامعة القاهرة رقم 24022 ، ابن أبي الضياف : المصدر السابق 1، 126 ، 127 ، القلقشندي ، صبح الاعشى 3، 349 . عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين 245 .

475 - النعمان : المجالس والمسائرات 2 ، ورقة 417 وما بعدها ، العزيزي الجوزي : سيرة جوذر 95 تعليق 101 ، ابن الأثير : الكامل 8، 196 ، (أحداث 351 هـ) الدشراوي : قضية أفریطس في عهد المعز لدين الله 27 وما بعدها . وهي نصوص مختارة من نسخة خطية للمجالس والمسائرات للنعمان بن محمد ، كانت على ملك ح.ع. عبد الوهاب ، انظر حوليات الجامعة التونسية عدد 2 ، سنة 1965 .

476 - العزيزي : المصدر السابق 95 .

477 - المقرئزي : المصدر السابق 1، 229 س 9 . ط 1967 وعندما كان يأتي الى القاهرة كان يستقبل استقبالاً فخماً واستمر والياً على برقة حتى بعد 379 هـ . انظر 216 ، 249 منه .

478 - الراوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، 193 هامش 1 ، وقد وصف خطا بقاضي برقة وكان له ابن يسمى محمداً ، انظر اليطلاوي « قصائد لابن هانيء لم تنشر » ح تونس 69 .

479 - وعن هذا الشاعر الافريقي الاصل (من هانيء قرية من قرى الهدية) الذي اشتهر بالاندلس ومات في مجلس أنس ببرقة رجب 362 هـ . انظر : ابن خلكان : الوفيات 4 ، 49 ، محمد النيفر : عنوان الأريب 1، 29-31 ، ح.ع. عبد الوهاب : مجمل تاريخ الادب التونسي 90 .

ولم يبق أمام المعز لدين الله وقد نجح في تعبئة رجال كتامة معنويا ، وخلق عندهم اعتزاز بأنفسهم إلا أن يواجه نتيجة لما عمله بنفسه ، موقف الرفض الذي واجهه به شيوخ كتامة عند ما رغب في تعيين عمال للصدقات في مدنتهم ، لينولوا جمع الاموال وارسالها الى دار الخلافة للاستعانة بها في تحقيق مشروع توسع الدولة في مصر ، وقد برروا موقفهم عندما أحضرهم عنده يقولهم « ما كنا يا مولانا بالذي يؤدي جزية تبقى علينا » فتظاهر المعز بالسرور وتصنع الاغتباط لموقفهم القوي وقال : « وانما أردت أن أجربكم فانظر كيف أنتم بعدي ، اذا سرنا عنكم الى مصر ، هل تقبلون هذا أو تفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم ، والآن سررتموني ببارك الله فيكم » (480) .

أما مبعث سروره فيرجع الى أن تمنع كتامة وتمسكهم بالامتياز ، سوف يقود الى حركة النضال المرير بينهم وبين الامراء الزيريين لأن عقد التقليد ، ثم الوصية الخاصة لأبي الفتوح لم تتضمن استثناء كتامة من الجباية ، وفي ظل الصراع يبقى النفوذ الفاطمي مستمرا في المغرب . ويشبه هذا التصرف رغبة المعز لدين الله استخلاف جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي ، رغم أنه كان يعرف ضعف عصبية وكراهية صنهاجة لاسرته ، بسبب علاقته السيئة بزيري بن مناد أميرها وابنه أبي الفتوح ، وربما فكر في استخلاف من هو أضعف منه عصبية ، وأقل مستوى ، وهو جودر الصقنبي (481) ، لأن غرضه في الحالتين هو بقاء الوجود السياسي للخلافة (482) ، ومثل هذه التصرفات والأعمال ومنها مثلا مبالغته في اضعاف القيمة على جوهر ، الذي استفسدت قلب مساعده جعفر بن فلاح ، أن كان بعضها قد اثر على الأوضاع في المغرب ، ومصر ، وبلاد الشام ، فان أكثرها كان لمصلحة الدولة ، وحسبه من العمل ، تهيئة عصر جديد بواسطة جيل جديد من جند الدولة ورجالها الكتاميين ، وهم الذين نشروا نفوذ الخلافة الفاطمية ، واشعاعها الفكري في مصر وهي باب الشام وفي سائر بلاد المشرق العربي ، وبهم أزهى الأمل وتحققت الأمان ، وقطف المعز لدين الله ثمار دعاء المهدي وجهود القائم بأمر الله وأتلف المغرب مع كتلة « شامصر » لغاية سامية هي الدفاع عن « دار الإسلام » ، وبسط نفوذ الخلافة العلوية ، أرساء لظاهرة « الشرعية » وتصحيحا للأوضاع « الدستورية » .

وجهود أبناء كتامة - الجيل الثاني - في هذا السبيل وموقفهم من الخلافة وموقفها منهم وهل كان استمرارا للقديم أو انحرافا عنه أو نقدا له ذلك هو ما سنعالجه في الفصل التالي .

480 - القرظي : انماط الحنفا 98،1 .

481 - القرظي الجودري : سيرة جودر 109 .

482 - ابن أبي الصياف : اتحاف أهل الأمان 128،1-131 .

الفصل الرابع

كتامة والنفوذ الفاطمي في مصر وبلاد الشام منذ الفتح إلى نهاية القرن الخامس الهجري

- الوجهة الشرقية للحركة الاسماعيلية .
- المحاولات السياسية والعسكرية ضد مصر حتى 358 هـ .
- قادة الحملة الكبرى (358 هـ) .
- جوهر الكاتب .
- شخصية جعفر بن فلاح .
- كتامة والادارة المدنية والعسكرية في مصر .
- كتامة والخلفاء المصريون .
- آثار وبقايا كتامة في القاهرة وفي الاقاليم .
- كتامة وميدان الشام ومشاكل الحكم الفاطمي فيه .
- القرامطة .
- الشطار .
- عرب الشام وامراؤهم .
- الولاة الكتاميون في بلاد الشام منذ الفتح حتى ظهور قوة الاتراك السلاجقة في نهاية القرن الخامس بعد الهجرة .

* * *

لم يكن للدعوة الاسماعيلية التي انتشرت من دار الهجرة في سلمية الى الآفاق البعيدة في المشرق ، وفي المغرب ، هدف مباشر ونهائي في دار الاسلام ، غير اسقاط نظام الخلافة العباسية واحلال الخلافة العلوية محلها ، احياء لمجد العلويين في المشرق ، وانصافا لهم من الغاصبين (1) .

ولما كان هذا الهدف لا يتحقق الا في ظل نظام سياسي علوي قار ، يكون في منطقة ما من بلاد المشرق ، او في اقليم وثيق الصلة به مثل مصر ، فقد اتجهت العناية في المرحلة الاولى من التوسع على حساب العباسيين لتحقيق الهدف نحو تأسيس أنظمة سياسية في الاطراف ، حيث تكون

1 - المقرئ : تعاضد 2 ، 53 ص 3 ط 1971 .

هذه بعيدة عن مركز الثقل العباسي ، وحيث يتوفر الامن ، ويوجد استعداد من السكان الذين كانوا يميلون الى تأييد دعوى العلويين بدافع حبهم لآل البيت وكانت هذه الخطة متقنة وحكيمة ، لأن الفاطميين استغلوا الاوضاع المختلفة في المناطق البعيدة في التمكين لانفسهم ولحركتهم وفي الاعداد وفي التهيئة المعنوية والمادية ، قصد التسرب الى المناطق الاخرى المجاورة ، تدريجيا كل ذلك في اطار الاحتراز من الاحتمالات السيئة والمفاجآت غير السارة .

ومن ثم لم يكن رجال الدعوة الاسماعيلية منذ البدء راغبين في استقرار الدولة الفاطمية باليمن ، لفقرها وتطرفها حتى لو حصلت هجرة المهدي اليها ، واعن منها الدولة العلوية ، كما لم يفكر أي خليفة من خلفاء الفاطميين في الاستقرار نهائيا في بلاد المغرب رغم أهمية موقعه وغناه وسعة مجالاته وتفتح اراضيه على عالم البحر المتوسط وافريقيا ، والارض الكبيرة . وانما كان الفاطميون يعدون ليوم العودة الى بيئتهم الشرقية التي غادروها مضطرين . وفي المشرق انصارهم ومؤيدوهم ودعاتهم المنتشرون في الجزائر المختلفة ومنها مصر ، وباقي اراضي الخلافة العباسية .

ومن ثم لم يكن للفاطميين خطة اخرى ، ثم حملهم عدااء المالكية وثورات زناتة وفشلهم في حكم بلاد المغرب وبعدهم عن المشرق ، على تغييرها ، لان التوجهة الشرقية للحركة الاسماعيلية ، ظهرت منذ عصر مبكر ، على لسان المهدي قبل دخوله أرض مصر اثناء فراره الى بلاد المغرب . فقد خاطب احد ولاة الرملة التشيعيين الذي خشي عليه من رقباء العباسيين في الطريق ، بقوله : « طب نفسا ، وقر عينا ، فوالذي نفسي بيده ، لا وصلوا الي أبدا ، ولنملكن أنا وولدي نواصي ولد العباس ، ولتدوسن خيولي بطونهم » (2) . ومثل هذا القول ، لا يدل الا على وجود خطة ثابتة ضد العباسيين في المشرق ، كان من المفروض لها فيما يبدو أن تنفذ من سلمية لولا انكشاف أمر الحركة للعباسيين ، وكانت « هجرة المهدي الى المغرب ، مفاجأة مذهلة لاطلص رجاله ، وأكبر دعواته لانهم كانوا على علم بالخطة الاصلية وبأهداف الحركة الاسماعيلية ، ولم يكن من بينها فيما يبدو ، اعلان الامامة العلوية في اقصى دار الاسلام أي في بلاد المغرب .

2 - اليماني : سرية جعفر 112 .

وتصرفات المهدي بعد اعلان الخلافة الفاطمية في رقادة وارساله الحملات ضد برقة ، ومصر أكثر من مرة ومجازفته بحياة ابنه أبي القاسم في ميادين بعيدة عنه كانت التزاما بالخطة الاصلية (3) .

وكان رد المهدي على ابنه الذي تردد وخاطب اياه « يا امير المؤمنين قد خولك الله ، وملكك واعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية فعلام تغم نفسك ، وتشغل صدرك ، دع هذا حتى يأتي الله به عفوا » ردا حازما وعمليا فقد قبض يده اليسرى وقال : « نعم هذا المغرب في قبضتي هذه ، وبسط اليمين وقال : ولكن كفى هذه من المشرق صفر ، ان ثقل عليك ما أمرتك به ، خرجت له بنفسي » (4) .

ومثل هذا الرد لا يدل على غير الاصرار على مضايقة العباسيين والرغبة في تعبيد طريق المشرق لمن يأتي بعده ، رغم انه كان يعلم انه ينطلق من قواعد غير مستقرة ، الى مناطق يسودها الامن والاستقرار في ظل ولاية مصر العباسيين ، وأن الخلافة العباسية في هذه الفترة على جانب كبير من القوة تمكنها من الاحتفاظ بأراضيها ورد الاخطار عنها (5) ، لم يشأ لبنة ان يشذ عن الاتجاه العام ، فاستجاب لرغبة أبيه ، رغم اقتناعه بعدم جدوى العمل في هذا الوقت وناضل ضد ولاية العباسيين في مصر بالقلم وبالسيوف ولقي الهزائم المنكرة وقوبل بالسخرية (6) ، وغير من طرف السكان (7) ، وكان المهدي يقابل كل ذلك بعدم الاكتراث ، لأنه مقيد بخطة قديمة بانته ملامحها في بلاد المغرب في اول صلاة جمعة دعى له فيها بامرة المؤمنين « اللهم فانصرده على أعدائك المارقين ، وافتح له مشارق الارض ، ومغاربها كما وعدته ، وأيده على العصاة الضالين » (8) .

واهتمام المهدي وخلفائه باقليم برقة يدخل في اطار السياسة الشرقية للخلافة الفاطمية . ومن برقة ، انطلقت البعث الاستطلاعية ضد حدود

3 - وقد عبر بعض الباحثين عن بعض اهداف الفاطميين بقوله : ان فتح مصر كان هدفا رئيسيا . (objectif principale) انظر : Huart op, cit T I, p. 340.

4 - التعمان : المجالس والمسائرات ، 1 ، ورقة 19 - 20 ، وقد كان رد ابي القاسم على ابيه « بل انفذ لما أمرت به يا امير المؤمنين واسارع اليه » .

5 - نفسه ، وقد عبر المعز لدين الله عن نشاط المهدي ضد مصر بقوله : « علم المهدي انه لا يصل الى ذلك لكنه أحب الا يضيع الحزم » .

6 - المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، 1، 69 ، ومن فرط تأثره لهجو الصولي وتوجيهه له قال : والله لا ازال حتى املك صدر الطائر ورأسه ان قدرت والا اهلك دونه » ومن هذا القول تتضح الاهداف البعيدة للدعوة الاسماعيلية .

7 - ابن عذارى : البيان ، 1، 26 ، ص 18 .

8 - ابن ابي الفياض : اتحاف اهل الزمان ، 1 ، 122 .

مصر ، والحملات العسكرية البرية والبحرية لضم أراضيها في الجنوب ،
وفي الشمال ، واليهما التجأت العناصر الموالية للفاطميين ، والثائرة ضد ولاة
العباسيين في مصر .

واهمية قاعدة برقة ، باب مصر في الاستراتيجية الفاطمية للنضال ضد
العباسيين في المشرق ، تماثلها أهمية قاعدتي فاس وطنجة ، باب الاندلس ،
لنيل من الامويين ، ثم صقلية ، وقلورية باب أوروبا ، للنشاط الثغري ضد
البيزنطيين .

وبينما فشلت قواعد فاس ، وطنجة ، وصقلية ، وقلورية على المدى
البعيد في أداء مهمتها نجحت قاعدة برقة في أداء دورها كاملا غير منقوص .

ولم يرث القائم بأمر الله عن أبيه ، لقب الخلافة فقط بل أصبح ملتزما
بنفس سياسته واتجاهاته الشرقية ، وباقلاق راحة العباسيين من مركزهم
في مصر ، غير أنه - بعد أن خبر ميدان الحرب في الجبهة المصرية - كان
يميل أيضا لاستخدام أساليب السياسة والدعوة الهادئة لكسب ولاء
مصر (9) ، وجلب ولائها الاخشيديين للاعتراف بالسيادة الفاطمية ،
والتعاون مع الفاطميين جيرانهم في المغرب ، ولذلك أرسل الى محمد بن طفج
الاشيد الذي أنزل هزيمة منكرة من قبل برجاله ، يطلب منه الاعتراف
بالولاء للفاطميين ، بوصفه تابعا وحليفا ، أو جارا صديقا ، ايثارا لجانب
السلم بين الجيران واشاعة لروح المودة والالفة ، والتعاون بينهم ضد
الايثار ، ولم ينس أن يهون عليه مسألة الانفصال عن العباسيين ، باعتبار
أن الولاء لهم أصبح عادة تقليدية قديمة ، فضلا عن كونهم لا يقدرون قيمة
المخلصين من رجالهم .

ولقد تضمنت الرقعة التي كتبها القائم بأمر الله بخطه ولم يطلع عليها أحدا
قوله : يخاطب الاخشيد : « قد خاطبتك أعزك الله ، في كتابي المشتمل
على هذه الرقعة بما لم يجر لي في عقد الدين ، وما جرى به الرسم من
سياسة انصار يستجلبون ، وضمنت رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من
كتابي ، وذوي المكانة عندي . وأرجو أن تردك صحة عزيمتك وحسن رأيك
الى ما أدعوك اليه ، فقد شهد الله على ميلي وإيثاري لك ورغبتني في
مشاطرتك ما حوته يميني واحتوى عليه ملكي ، وليس يتوجه لك بالعدر
في التخلف عن اجابتي ، لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم
لا يرون احسانك ولا يشكرون اخلاصك ، يخلفون وعدك ويحفررون ذمتك ،
لم يعتقد منهم أحد حسن المكافأة ، ولا جميل المجازاة ، وليس ينبغي لك

9 - وقد شغله عن مصر ، اضطراب وضع بلاد المغرب ودساتس الامويين : انظر ، عبد المنعم
ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين 98-100 .

ان تعدل عن منهج من نصحك وايتار من آثرك الى من يجهل موضعك ،
ويضيع حسن سعيك ، وانا اعلم ان طول العادة في طاعتهم قد كره اليك
العدول عنهم فان لم تجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصدق
فانني ارضى منك بالوادة والامر والطاعة حتى تقيمني مقام رئيس من اهلك
تسكن اليه في أمرك وتعمل بمثل ذلك ، واذا تدبرت هذا الامر علمت ان
الذي يحملني على التطاؤؤ لك وقبول الميسور منك ، انما هو الرغبة فيك ،
وانت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته والله يريك حسن الاختيار ،
في جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل « (10) .

ورغم ان الاخشيد ، تأثر بمضمون الرسالة الا انه كان بعيد النظر ،
عندما لم يسارع بالاجابة عنها ، واعتذر بأنه اُمي ، ومن الصعب عليه
نظرا لعلاقاته الخاصة بالعباسيين ، ان يبوح بسر خطير ، لاي كاتب من
كتابه (11) ، قد يستغله ضده ، وترك نفسه حر التصرف ، يتأمل أبعاد
المشروع الجديد ومكاسبه ، ويبدو انه مال في فترة ما من صفاء ذهنه ، الى
البقاء على موقف التحفظ ، لان ارتباطه بالعباسيين يتيح له قدرا كبيرا من
الاستقلال بالتدبير ، اما عندما طلع نجم محمد بن رائق الخزري ، وقلده
الخليفة العباسي ولاية الشام التي تعتبر امتدادا لنفوذ الاخشيديين ومجالا
حيويا لتوسعهم ، فانه هم بقطع الصلة مع الخلافة العباسية وعلان الخطبة
للقائم بأمر الله الفاطمي (12) ، لولا ان رجاله نصحوه بالعدول عن تنفيذ
هذا الاتجاه الخطير ، الذي سيزيد بدون شك - من غضب العباسيين ،
ويعلی شأن خصمه ابن رائق ، الذي قد ينقلب الى بطل انقاذ ، ويرمى به في
ميدان مصر الثائرة ضد السلطة الشرعية في بغداد (13) .

واذا كان الاخشيد قد استجاب لراي المخلصين من نصحاؤه ، فأبقى
على الرباط الشكلي ، مع العباسيين ، واحتفظ باستقلاله عن الفاطميين ،
فانه استجاب الى حد ما ، للعرض الثاني الذي تضمنته رسالة الخليفة

10 - ابن سعيد ، المغرب في حطى المغرب ، 175، وما بعدها ، وعن قصائد القاسم
ومكاتبانه لاهل مصر ليخذلهم عن التبعية للعباسيين ، أنظر عريب بن سعد ، صلة
تاريخ الطبري ، 43-41 ، ومن ضمنها ما رد به الفصولي على القاسم بأمر الله .

11 - نفسه ، 1 ، 176 ، عاشور ، مصر في العصور الوسطى 189 .

12 - نفسه ، س 4 وقد عبر عن موقفه بقوله « قد تاذبت بالراضي ، وبهذا الصبي ابن
رائق ، وقد امرت الخطيب ان يدعو لأبي القاسم صاحب المغرب » .

13 - ابن سعيد ، 1 ، 177 س 16 - 17 وقد قالوا للاخشيد « لانك اذا عملت هذا كاتبه
من مصر ، من يكره هذا ، وكتب بذلك الى العراق فان كان الراضي لم يقلده
قلده وانفذ اليه الاموال والساكر وصيرت له شيعة وخاصة ولكن دع هذا الى وقت
آخر » .

الفاطمي ، حيث اقترح في رده على القائم ، ان يقبل الاخير زواج ابنه ، وحجته ولي عهد المسلمين ابي الطاهر اسماعيل بابنته ، فاستجاب القائم بأمر الله وحيد الفكرة على أساس أنها تتيح فرصة لربط المغرب بمصر ، عن طريق المصاهرة ، التي تتضمن الحلف والتبعية في نظره ، ولذلك نلاحظ أنه عندما انطلق بالفكرة ، الى ابعادها السياسية وأرسل الى الاخشيدي يقول له : « وصل كتابك ، وقد قبلنا ما بذلت ، وهي ودبعة لنا عندك ، وقد نحلناها من بيت مالنا قبلك مائة ألف دينار فوصل ذلك اليها » (14) . لم يرتح لمضمون الرد ، الذي انبنى على أساس تبعية للفاطميين ، وكان ينتظر من الخليفة القائم أن يقبل مشروع الزواج ، تشريفا له ، وطريقا للمصافاة بين البلدين ، وأن يهاديه بأموال ، والطف كثيرة ، نظير هذا العرض السخي ، ليفاخر بها ، ويزايد أمام بعض خصومه وليشعر الخليفة العباسي بأهمية مركزه ، وعظمته ، وقوته فلا يبالغ في اضافة كل الأهمية على خصمه محمد بن رائق .

وما دام الامر لم يتم مع القائم بأمر الله ، كما توقعه الاخشيدي ، مكسبا ماديا وأديبا ، فانه بقي على تحفظه ، ووضع القديم واليا مستكفيا من طرف العباسيين (15) .

وكان يمكن للخليفة المنصور ان يواصل العمل في نفس الخط الذي رسمه ابوه ، وجده ، نضالا بالقلم ، وبالسيوف ، في سبيل نشر الدعوة ، وتنفيذ مشاريع الدولة ، واعلاء كلمتها في المشرق العباسي ، لولا « التياث أمر بلاد المغرب (16) ، بسبب ثورة ابي يزيد ، وابنه فضل ، وانتقاض محمد بن خزر ، واضطراب أوضاع صقلية ، وعندما تغلب على معظم هذه المشاكل (17) لم يمتد به أجله ، ومع ذلك فان اهتمامه بارجاع الحجر الأسود الى مكانه ، اكسب خلفاء الفاطميين سمعة في المشرق ، فتعاطف معهم جمهور غفير من سكانه ، وكان خير وسيلة للابانة عن أهميتهم للابقاء على سلامة المقدسات الاسلامية ، بعيدا عن أيدي المفاشرين ، حتى ولو كانوا من بين الاسماعيلية ، وقد أوصى ابنه وحجته المعز لدين الله ، بالاهتمام بأمر مصر ، والشرق ، تنفيذا لوصية جده القائم (18) .

14 - نفسه ، المغرب في حلي المغرب 1 ، 177 .

15 - وبموت الخليفة الراضي 329 هـ ، وموت محمد بن رائق ، صفا النجو السياسي لالاخشيدي وخلصت له ولايتنا مصر وبلاد الشام . انظر ابن سعيد : المصدر السابق 1 ، 179 .

16 - عيد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، 98 - 100 .

17 - القريري : اعطاء الخنفا 1، 91 ، ويشير الى ان المنصور الفاطمي ، يشبه في الحرم وتصفية المشاكل ، سمية ابا جعفر المنصور العباسي .

18 - نفسه 1 ، 69 .

وبإشراف المعز لدين الله ، تم تنفيذ الخطة الأصلية للحركة الإسماعيلية ضد العباسيين في المشرق .

وقد كان هذا الخليفة أوفر خلفاء الفاطميين نشاطا في العمل ضد العباسيين ، فلم يقتصر على ميدان الدعوة وإرسال الدعاة لتخديدهم وعيائهم واستفساد ولائهم ، وتمهيد نفوسهم لقبول التشيع أو الولاء للخلافة الفاطمية ، بل أرسل الجيوش لنجدة سكان أقریطش التابعين لهم ، كي يظهرهم على حقيقتهم عاجزين عن حماية الإسلام أو عن فرض هيمنتهم على بعض ولائهم في مصر الذين تباطأوا في نجدة سكان الجزيرة ، وعندما استقبل رسول ملك الروم ، في المنصورية ، أوعز إليه بسر خطر « لتدخلن علي وأنا بمصر مالكا لها » (19) .

وتركزت خطته لتحقيق هذه الغاية ، على التمهيد الكامل لذلك ، في بيئة المغرب ، بحشد القوى وتربية جيل جديد من كتامة ، يكون جديرا بأن يمثل رجاله الدور الإيجابي في المشرق ، نظير ما فعله أسلافهم في بيئة المغرب ، أما التمهيد لذلك في بيئة المشرق ، فيكون بمتابعة نشاط الدعاة ، وتسقط أخبارهم ، والاعتماد على الماهرين منهم في اكتساب ثقة ولاية مصر الإخشيديين ، ومن هؤلاء أبو جعفر بن نصر الذي أثر على أحمد بن علي بن طفج ، وحوله إلى المذهب الشيعي ، وحمله على مكاتبة المعز لدين الله بعد أن صوره أمامه بمثابة والد رحيم ، سوف يخفف عنه مشقات الحكم ، وعبث الجند (20) ، وبواسطة هذا الداعي وغيره كان يعرف المعز لدين الله ، سير الأوضاع في مصر . وعن بعض مكاتباتهم ، وردوده عنهم ، تحدث إلى شيوخ كتامة بقوله « واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عليها بخطي » (21) .

وفي أكثر من مرة كان يشرح أمام شيوخ كتامة ما يعلقه عليهم من آمال في ميدان مصر والمشرق ، بعد أن تحقق الشيء الكثير على أيدي أسلافهم في المغرب « واعلموا انكم اذا لزمتم ما أمركم به رجوت ان يقرب الله علينا امر المشرق ، كما قرب أمر المغرب بكم » (22) .

19 - نفسه 1 ، 266 ، ابن الأثير : المصدر السابق 8 ، 239 - 240 .

20 - سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج 11 ورقة 240 ، خ دار الكتب رقم 551 ، أبو الحسن ، النجوم الزاهرة 4 ، 730 . كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية 16 ، القرظي : اتعاف ، 1 ، 139 ، وقد أصبح أبو جعفر ، من بين المقربين إلى المعز لدين الله ، ومن مرافقيه .

21 - القرظي : اتعاف 1 ، 95 .

22 - القرظي : اتعاف ، 1 ، 96 .

ولشعوره بأن التعبئة المادية ، والمعنوية لم تكتملا بعد ، لم يستجب لرغبة دعائه في المشرق ، بأن ينتقل بسرعة الى مصر لتطور الأوضاع في صالح الحركة الاسماعيلية ، « أننا لم نتخلف عن ذلك الا انتظارا للمدة التي وعدنا الله الظهور فيها ، ولو حضرت ما تخلفنا » وكي يوضح امامهم ان التأخر لحكمة ، وان الانتقال الى مصر هدف اساسي للحركة الاسماعيلية ، ذكرهم بالسابقة التاريخية التي ارتبطت بالمهدي جد الخلفاء الفاطميين ، تعبيرا عن وجوده السياسي ، وبأنه وان لم ينجح - هو صاحب حق شرعي في هذه البلاد ، وذلك ما أصبح تقليدا متبعا بالنسبة لخلفائه وامانة موروثه عنه . (23)

وعندما شعر المعز لدين الله بأنه أصبح في مركز قوة ، بعد اكمال الاستعدادات المادية ، والمعنوية ، افتعل حادثة الجارية التي قيل ان ام الامراء ، وجهتها من المغرب لتباع في مصر ، فاشترتها امرأة مثلها هي بنت الاخشيدي ، لتتمتع بها . وقد كانت هذه الحادثة محورا لحديث دعائي قوي شنع فيه على ولاة مصر ، ونظام العباسيين ، وعلى المجتمع المصري ، امام جمع من شيوخ كتامة ، وقادتها ، وقد ختمه بقوله « يا اخواننا انهضوا اليهم ، فلن يحول بينكم وبينهم شيء ، واذا كان قد بلغ بهم الترف الى ان صارت امرأة من بنات ملوكهم تخرج وتشتري لنفسها جارية تتمتع بها فقد ضعفت نفوس رجالهم ، وذهبت الفيرة منهم » (24) . وهذا الأسلوب الدعائي الملتهب، كان جزءا من خطة كاملة، غايتها التمهيد لغزو مصر ولانتقال الخلافة الفاطمية اليها ، اما الوسيلة ، فكانت التشهير بالمجتمع ، والاساءة الى عناصر السلطة الداخلية ، والخارجية ، حتى كان المعز لدين الله في مجالسه يصف العباسيين بالملاعين ، ويحرص على أن يتحف رجاله بما يحط من قيمتهم كخلفاء ، ومن ذلك ما لاحظه من أن كتب التاريخ ، والأخبار ، التي سجلت عن العباسيين واطلع عليها ، تذكر ميل بعض الخلفاء الى اللهو والشرب والتمتع بالفلمان ، وعقب على ذلك بقوله « هذه محاسن القوم فكيف بمساوئهم وهذا قول من قصد بقوله مدحهم ، فكيف بمن قصد ذمهم (25) .

23 - النعمان : المجالس والسايرات 2 ، ورقة 474 وما بعدها ، اما النعمان فقد عبر عن الوضع قبيل فتح مصر بقوله « ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق ، . . الا أنه لم ير العزم في أمره ، فلما لو عزم على ذلك لاحال دونه حائل » .

24 - المقرئزي : اتعاف ، 1 ، 100 .

25 - النعمان : المجالس والسايرات 1 ورقة 170 - 171 ، وقد لاحظ المعز بدهشة كيف ان الكتب التي اهداها اليه بعض العلماء المعاصرين لم تتضمن غير سر بني امية ، وبني العباس ، وأخبارهم ، ولم يوجد فيها ما ينسب الى أي خليفة فاطمي ، مع أن الرجل الذي ألف هذه الكتب ، صحب المهدي والقائم وكبر في عصر المنصور ، انظر : ورقة 84 - 85 منه .

ولم يتورع عن الطعن في مشروعية خلافتهم ، او عن الاشارة الى أن هدف الخطة الاسماعيلية منذ عصر المهدي ، كان القضاء عليهم « لو أراد الله ببني العباس خيرا لقطع أمرهم يومئذ على يديه وهم في عنقوان أمرهم ، وتعام سلطانهم وعزهم » (26) .

وتدل بعض التوقعات التي أصدرها المعز لدين الله الى النعمان بن محمد ، بمنيه بالخير الكثير ، والبناء الرفيع في مصر ، ردا على طلبه الحصول على أرض للبناء ليجتمع شمل أسرته بالمنصورية ، على أنه كان يعتبر نفسه مؤقتا في بلاد المغرب ، وأن ساعة الانتقال الى مصر قريبة ، « فالله يهيك السلامة حتى تبتنى في أيامنا ، ومعنا ، حيث يختاره الله ويرضاه له من أرض المشرق الأبنية الواسعة المنيفة » (27) . ومن هذا القبيل ، قوله أمام جمع من رجاله وجدهم عند جواهر متأثرين لمرضه الشديد ، « لا تفتموا ، فانه يبرا ، ويفتح مصر بمشيئة الله » (28) .

ويرتبط بالخطة الأصلية للحركة الاسماعيلية ، في عصر المعز لدين الله ، التدخل في شؤون الحجاز ، تمهيدا لفرض الحماية على الحرمين الشريفين ، واكتساب مودة الاشراف ، اذ تشير بعض النصوص الى توسط المعز لدين الله لتحقيق الصلح بين فرعي بني الحسن ، وبني جعفر بن أبي طالب ، الذين اقتتلوا فيما بينهم ، وقد أنفذ أموالا ورجالا وتحمل ديات القتلى وكان أكثرهم من بني الحسن ، « فصار ذلك جميلا عند بني الحسن للمعز » قابلوه بالدعاء له في مكة عقب فتح مصر ، وتولى ذلك منهم حسن بن جعفر الحسني ، الذي أرسل اليه المعز لدين الله « بتقليد الحرم وأعماله » (29) .

وكانت مكاتبات الدعاء ، وبعض عناصر المجتمع في مصر ، لا تنقطع عن المعز لدين الله ومن هؤلاء الوزير ، أبو الفضل جعفر بن الفرات ، المعروف بابن حنزابة ، الذي حثه على فتح مصر ، نكاية في الأمير الأخشيدي : الحسن بن عبيد الله بن طنج أمير الرملة والشام ، الذي ضيق عليه ، وآذاه ، وقصد به شرا (30) . وتضمنت بعض المكاتبات تعبيرا عن سهولة فتح مصر وطواعية سكانها للفاطميين ، بعد اختفاء كافور الأخشيدي ، قولاً نصه « اذا زال

26 - نفسه 2 ، 478 وما بعدها .

27 - نفسه ، 2 ، 634 - 635 .

28 - لمعة في سيرة المعز ورقة 3 ، مخطوط مكتبة جامعة القاهرة رقم 24022 .

29 - المقرئزي : انما الحنفا ، 101 ، 1 .

30 - ابن ابيك البوادري : الدررة المضيئة 6 ، 120 - 121 ، العيني ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ج 19 ، القسم (2) ورقعات 221 - 222 . 507 - 508 ، من القسم (3) .

الحجر الأسود ، ملك مولانا المعز لدين الله مصر « (31) ، وكان هذا الخادم المتغلب الذي عرف بالأستاذ ، وكنى بأبي المسك وقلد مصر نهائيا من طرف الخليفة العباسي ، بعد وفاة ابني الأخشيد ، من الدهاء والحكمة بحيث أدرك قوة تأثير الحركة الاسماعيلية في مصر (32) وأحس بثقل الفاطميين المجاورين له في برقة ، فلم يظهر العداء ، لكنه لم يتعاون مع المعز لدين الله لنجدة مسلمي اقريطش خوفا من غضب العباسيين ، واحتفظ بتوازنه امام القوتين المتصارعتين ، فكان « يهادي المعز صاحب المغرب ، ويظهر ميله اليه ، وكذا يدعن بالطاعة لبني العباس ، ويداري ، ويخدع هؤلاء وهؤلاء (33) . وما كان من أمر بقي خافيا في مصر ويريد المعز لدين الله أن يعرفه ، قبل ارسال حملة جوهر الضاربة ، فقد استفاده أخيرا من يعقوب بن كلس ، الذي فر من مصر ، ناجيا بنفسه ، من فتك الوزير ابن الفرات ، الى بلاط المعز لدين الله في المنصورية (34) . ولم يرجع الى مصر الا في ركابه .

وقد ظهر التعبير العملي عن اهداف الخطة الاسماعيلية في المشرق ، في الأعمال العسكرية التي وجهت ضد مصر ، منذ عصر المهدي واستمرت حتى اواخر عصر المعز لدين الله وكانت مصر في نظر الحركة هي الطريق الطبيعي للنفوذ الى قلب الخلافة العباسية في بغداد ، بعد التهام أطرافها في الحجاز والشام .

ولم تكن حملة جوهر ، في عصر المعز لدين الله ، غير الحلقة الاخيرة في سلسلة طويلة من الجهود العسكرية استهلها المهدي بارسال حملتين قادهما ابنه أبو القاسم ، وكان صاحب مقدمته في الحملة الأولى ومساعدته في القيادة ، ابا داود حباسة بن يوسف اللوسي ، واشترك الى جانبه كثير من قبيلة ملوزة وظهر من بين قادة كتامة أبو فريدن ، وكانت هذه الحملة برية ، كما ظهر نشاط الأسطول الفاطمي في السيطرة على مواني برقة ، والاسكندرية ، ومن ثم وصفت في بعض النصوص ، بأنها : برية بحرية (35) .

31 - العيني : المصدر السابق ج 19 (ق 2) ورقة 266 - 267 ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ، 23 وفيه « الدنيا كلها » ، القرظي : اتعاط 1 ، 102 ، نقلا عن ابن زولاق ، وفيه « الأرض كلها » .

32 - وكان من جلساته انشط دعاة الفاطميين وهو أبو جعفر بن نصر الذي اثر هنسه قوله : « كافور الأسود غدا يؤخذ بأذنه انما بنيت هذه الدار لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيمة على كل تابع ومتبوع ، وذيل مرفوع تقير فيها الاحوال وتحمل اليها الاموال » . انظر كامل حسين : ادب مصر الفاطمية 16 .

33 - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4 ، 6 .

34 - ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 152 - 153 ، العيني : المصدر السابق ، 19 (ق 3) 507 - 508 .

35 - الذهبي : تاريخ الاسلام ج 3 ، ورقة 56 (احداث سنة 301 هـ) خ دار الكتب رقم 396 تاريخ .

وكانت القوة الفاطمية ضخمة (36) ، ومن ثم سهل عليها تحطيم المقاومة في برقة ، وهزيمة ولاية الاقليم المعتمدين من طرف أبي منصور تكين الخاصة والي مصر ، فانسحب أبو النمر أحمد بن صالح ، لأنه عزل عن الولاية ، ولحق به خلفه خير المنصوري ، ثم خصمه عبد العزيز بن كليب ، اللذان تحاسدا ، وخذل كل منهما الآخر ، كما واصلت الحملة سيرها نحو الاسكندرية واقتحمتها في محرم 302 هـ / يولية 914 م بدون مقاومة ، لأن أغلب أهلها تركوها الى جهات مختلفة بما خف من أموالهم وأمتعتهم ، ولم يجد أبا منصور تكين، أسلوب التخذيل الذي اصطنعه مع رجال الحملة، عندما أرسل الى حباسة باسم الخليفة العباسي المقتدر بالله ، يدعو الى الطاعة كما لم يغب عنه ما بذله من جهد لرد القوة المهاجمة التي ضيق جزء منها على الفسطاط ، من مركز مشتول (37) ، وسار الجزء الآخر بقيادة أبي القاسم ومعه أبو فريدن نحو الفيوم (38) ، وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، لم ترجح كفة أحدهما حتى وصل مؤنس الخادم في رمضان 302 هـ (39) ، بعد انسحاب حباسة مفاضبا لأبي القاسم (40) ، الذي أيس من النصر ، وبانت له استحالة بقائه في الفيوم بعد النكبات التي حلت به وبرجاله في الوقت الذي تدعم فيه موقف والي مصر ، بنجدة مؤنس الخادم ، ولم يجد مفرًا من التستر على فشله وذلك باتهام حباسة ، ثم بانسحابه يجر أذيال الخيبة الى رقادة التي وصلها في ذي القعدة 302 هـ (41) / مايو 914 م .

36 - الكندي : الولاة والقضاة 268 وما بعدها وقد قدر قوة حباسة بمائة الف وزيادة ، ولم يشر الى أبي القاسم في هذه الحملة ، الذهبي : نفس المصدر السابق ، وقد قدر القوة الفاطمية بأربعين الفا ، وأشار الى أبي القاسم ووصف حباسة بصاحب مقدمته ابن عذاري : المصدر السابق 1، 235 وما بعدها ، 238 وما بعدها . ويلاحظ امداد المهدي لحباسة بالجيوش باستمرار ، وأنه خرج قبل أبي القاسم ، والتقى معا في الاسكندرية ، القرظي : اتعاظ 1، 68، 69 ، ويجعل خروج أبي القاسم سابقا على خروج حباسة ، الذي قاد الحملة البحرية منذ 302 هـ ، الطبري : المصدر السابق 11 ، 408 - 409 ، ووصف حباسة بقائد ابن البصري ، غريب سعد : المصدر السابق 27 - 28 ، 36 .

37 - الكندي : المصدر السابق 269 - 270 وقد لاحظ هزيمة قوة حباسة اولا ثم انتقامها من أهل مصر ثانيا .

38 - ابن عذاري ، 1 ، 23 س 1 ، 4 .

39 - نفسه ، 1 ، 239 س 11 .

40 - نفسه ، س 5 ، 7-8 ، وعن حملات المهدي ضد مصر انظر أيضا : سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى 187 ، وماريوس كئار في مقال :

EI. Art Fatimides T. 2 p. 873 2° Edition.

41 - ابن عذاري : البيان 1 ، 239 س 10 ، 12 وانظر ص 240 س 17-18 ، وعن بعض مظاهر التخريب التي تسبب فيها جند كتامة انظر البكري : المغرب 2 .

واثر هذه الحملة الفاشلة ، انتدب لولاية مصر ذكا الأعور منذ صفر 303 هـ / أغسطس 915 م خلفا لأبي منصور تكين الخاصة ، فاهتم بمدينة الاسكندرية وترك فيها ابنه مظفرا ، عاملا مقيما مع قوة كبيرة ، وفي الفسطاط تكل بكل العناصر المشيعة ، أو المشبوهة ، التي يشك في أن لها اتصالا

بالحركة الاسماعيلية في المغرب (42) .

وأما المهدي ، فقد أرسل الى برقة ، أبا مديني بن فروخ اللهيصي ، الذي امن الاقليم ، وضمه الى الفاطميين وانطلق منه نحو النشاط ضد حدود مصر ، وتشير بعض النصوص الى أن سكان لوبية ، ومراقية تركوا المنطقة ، ودخلوا مدينة الاسكندرية القريبة منهم منذ شهر شوال 304 هـ / مارس 916 م - بدافع الخوف من والي برقة الذي كان دائب النشاط والحركة ويضغط على حدود مصر ، وعلى مدينة الاسكندرية التي هي باب مصر ، وأول ميناء هام يتصل بالمغرب (43) وقد بدأ لذكا الأعور ، ولابنه مظفر عامل الثغر ، أن المهدي لن يبقى مكتوف الأيدي ، ما بقيت عنده قوة ، وأنه هو الذي أوحى الى واليه في برقة ، بمواصلة نشاطه ضد حدود مصر ، تمهيدا للحملة الثانية التي انطلقت من رقادة منذ شهر ذي القعدة 306 هـ / أبريل 918 م واشتركت فيها حشود من كتامة ، مع عرب أفريقية ، وبربرها ، وبعض القادة المشهورين ، مثل خليل بن اسحاق ، وأبي غانم الكاتب ومن الله ابن الحسن بن أبي خنزير ، وجوذر الصقلي (44) ، وكانت حملة برية ، بحرية ، وتولى قيادة المقدمة ومساعدة أبي القاسم ، سليمان بن كافي الخادم (45) ، الذي كان له أيضا الاشراف على الاسطول الذي باشر قيادته يعقوب الكتامي (46) .

وقد تمكنت قوات الفاطميين من دخول الاسكندرية بدون مقاومة ، لان معظم سكانها القادرين على الدفاع غادروها الى جهات مختلفة مثل المرة الاولى كما غادرها مظفر بن ذكا ، الى وجهة غير معروفة ، وبينما تقدم سليمان بن كافي نحو مدينة الفيوم واقتحمها عنوة ، بقي أبو القاسم في

42 - الكندي : الولاة والقضاة 273 - 274 .

43 - نفسه . والذي يلاحظ ان اسم القائد الكتامي (ابي مديني) جاء مصحفا في المتن والهامش ايضا ، انظر 274 هامش 1 منه ، وعن كورة لوبية ومراقية ومن منازلها الرمادة ، انظر اليعقوبي : البلدان 95 ، عسر بن محمد الكندي : فضائل مصر 47 - 48 (ط 1971) . تحقيق ابراهيم العدوي .

44 - ابن عذاري : المصدر السابق 253،1 ، العززي الجوزري : المصدر السابق 43 ، تعليق 35 ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 96 وما بعدها .

45 - نفسه 1 ، 254 . عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري 41 - 42 . وابن كافي من عنصر الصقالبة ، العززي : المصدر السابق 35 تعليق 10 .

46 - الكندي : المصدر السابق 276 وما بعدها ، القرزي : اعطاء الحنفا 71،1 .

الاسكندرية فترة استقبال اثناءها نجدات كبرى ، حتى « اجتمع اليه عدد
يجل عن الاحصاء » وبهم سار نحو الفيوم ، والاشمونيين التي وصلها في رجب
307 هـ / (47) نوفمبر 919 م ويبدو انه احس بحاجة الاسكندرية الى قائد
كفو يحافظ عليها ، ويراقب حركات العباسيين ويتولى العناية بالاسطول ،
لذلك بقى وحده في الاشمونيين وارسل ابن كافي الى الاسكندرية لينضم الى
يعقوب الكتامي .

ورغم سوء حالة ذكا الأعور ، لخلافه مع الرعية بسبب تصرفات الجند ،
وشغب هؤلاء عليه بسبب تأخر الأرزاق ، فانه وجد سندا قويا من القوة
الشعبية التي شجعتة على المقاومة والتحصن في الجيزة ، وبناء استحكامات
حول معسكره ، وبقي في وضع المتأهب للقتال ، يساعده محمد بن طاهر ،
والماذرائي ، حتى توفي في ربيع الآخر 307 هـ / أغسطس 919 م فخلفه
أبو منصور تكين في الولاية بتقليد من المقتدر بالله العباسي ، وأشرف على
تقوية جانب الدفاع بناء على خطة سلفه ، وتولى الماذرائي ايهاً أبي القاسم ،
بانه على الطاعة ، وأن مصر خالية من الجند وأن الاستيلاء عليها هين ولا
يخشى الخطر الا من جانب « العوام » وكان قصده ان يتيح لنفسه فرصة
واسعة لكي تكتمل استعدادات مصر بوصول مؤنس الخادم على رأس القوات
العباسية (48) ، وبوصوله فعلا بدأ الهجوم ضد مراكز القوة الفاطمية في
الاشمونيين ، والفيوم ، والاسكندرية أيضا ، غير أن القادة الذين كلفوا
بالقتال في الفيوم ، والاشمونيين لم ينجحوا في مهمتهم لأن قوات أبي القاسم
كانت ضاربة ومسيطره على المنطقة (49) . بينما ، نجح ثمل الفتى صاحب
مراكب طرسوس في الحاق هزيمة بحرية بقيادة الأسطول الفاطمي في رشيد
والاسكندرية وتحطمت معظم قطع الأسطول التي عبثت بها الرياح ، وألقتها
قرب البر ، فأسر من فيها باليد ، وسلم قادة الأسطول انفسهم الى ثمل
الفتى الذي صحبهم الى القسطنطينية ودخلوا القسطنطينية في شوال 307 هـ ،
فمن والي مصر على أهل القيروان وطرابلس وبرقة وصقلية ، لانهم ارغموا
على الاشتراك وعرفوا بمقتهم للحكم الفاطمي ، بينما أمر بقتل عناصر كنامة
والمشيعيين مثلهم ، واكتفى بتشهير قادة الاسطول في شوارع مدينة القسطنطينية
قبل ايداعهم السجن (50) .

47 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 255 .

48 - نفسه ، ابن سعيد : المصدر السابق 1، 175 .

49 - الكندي : المصدر السابق 276 - 277 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقة 14 ،
القرظي : انماط الحنفا 1، 71 .

50 - الكندي : المصدر السابق 277 ، ابن عذاري : البيان 1، 255 ، الذهبي : المصدر
السابق 3 ورقة 16 ، القرظي : المصدر السابق 1، 71 . وبينما مات سليمان
ابن كافي في السجن ، فر يعقوب الكتامي من سجن بغداد ، الى افريقية ، عبد المنعم
ماجد : ظهور خلافة 98 ، ولقب مؤنس بالظفر .

ويبدو أن هذا الانتصار البحري ، يضاف اليه صيرورة أبي القاسم في شبه عزلة في الفيوم والأشمونين وقد طال مقامه وانتشرت الأمراض والأوبئة بين رجاله وسادت بينهم روح الملل ، والتذمر ، يبدو أن هذه العوامل التي شجعت مؤنس الفتى ، وتكين الخاصة ، وجني الصفواني على مهاجمة القوات الفاطمية في الفيوم والأشمونين ، أثرت أيضا على معنويات أبي القاسم ، فتحاشى الاصطدام بالقوة المهاجمة وفضل الانسحاب الى أفريقية عبر برقة ، فأدرك المهدي في شهر رجب 309 هـ / نوفمبر 921 م بعد غيبة استمرت نحو سنتين وثمانية أشهر (51) .

وتلاه مؤنس الفتى ، وتكين الذي عزل عن الولاية ، فانسحبوا جميعا عن مصر ، التي وليها لفترة قصيرة ، هلال بن بدر حتى سنة 311 هـ / 923 - 924 م ، ثم خلفه لمدة سنة ، أحمد بن كيفلغ ، واثرا عاد أبو منصور (52) تكين الخاصة الى ولاية مصر ، وبقي فيها حتى توفي سنة 321 هـ / 933 ، فوليها بتقليد من القاهر العباسي محمد بن تكين ، الذي لم يتم له الأمر طويلا بسبب معارضة الماذرائي ، وتأييد عنصر المغاربة في الجيش ، وكان رئيسهم هو أبو مالك حبشي بن أحمد ، الذي بان تطرفه أيضا أثناء ولاية محمد بن طفج الأخشيد ، فكره الخضوع له ، وانسحب مع جنده ، والمؤيدين لهم من الأتراك واستقروا في الاسكندرية ، وسرعان ما فارقوها الى برقة بعد فشل محاولتهم لغزو الفسطاط ، ومن اقليم برقة ، الموالي للفاطميين ، اتصلوا بالقائم بأمر الله ، وزينو له العودة الى العمل العسكري ضد مصر ، بمساعدتهم « لأنهم يعلمون وجوه الحرب ! وكيفية الوصول إليها » (53) .

وبقاء القوة المعارضة لوالي مصر في برقة كان منسجما مع الاستراتيجية الفاطمية الجديدة التي ظهرت بعد انسحاب القائم بأمر الله من مصر ، اذ غدت هذه القاعدة هي التي تشرف على النشاط العسكري وتوجهه ضد أراضي مصر ، وقد أشارت بعض النصوص الى حركة عسكرية قادها في بداية 310 هـ / 922 - 923 م ، فلاح بن قمون الكتامي ، ضد حدود مصر فاصطدم بجندها ، بذات الحمام ونال منهم وكانت من الأهمية بحيث قرئت أخبارها في جامع القيروان (45) ، تلتها حركة أخرى ضد منطقة الواحات

51 - نفسه ، 278 ، ابن عداري 1، 260 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقنا 15 ، 16 ويلاحظ الذهبي أن ابن المديني القاضي قتل لانه كان يدعو الى المهدي مع جماعة آخرين .

52 - نفسه 278-279 ، السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة 3 ، 11 ، الذهبي : المصدر السابق ج 3 ورقة 16 .

53 - نفسه ، 280 - 287 ، السيوطي : المصدر السابق 2، 13 .

54 - ابن عداري : المصدر السابق 1، 263 ويبدو أن القائد هو أبو جعفر بن فلاح الذي ازدهر في عصر المعز لدين الله وصحب جوهر الى مصر .

في صعيد مصر ، منذ بداية 311 هـ / 923 - 24 م وقادها ، مسرور بن سليمان بن كافي ، الذي استولى على الحصون القريبة ، وهزم عامل المنطقة وهو الكرمازي وأسر ابنه ، وابن أخيه وسيطر على المنطقة وكان في نيته فيما يبدو توسيع نشاطه في أرض صعيد مصر ، لولا ظهور الأوبئة في جنده ، وهو الذي حمله على الانسحاب إلى قاعدة انطلاقه في برقة ، إنما بعد أن خرب الاستحكامات العسكرية ، وبعض مظاهر العمران (55) . وقد وقعت الإشادة في القيروان وأعمالها بما أنجزه مسرور بن سليمان ، من أعمال هامة ، في أراضي مصر ، انتقاما لهزيمة الحملة الفاطمية الثانية (56) . وربما تلتها حركات أخرى ضد مدن وحصون مصر ، وهي التي جذبت بعض المغامرين الذين عارضوا ولاية ابن طفج وأرادوا النيل منه تحت ستار مساعدة الفاطميين ، ولم يشأ القائم بأمر الله أن يرفض هذه الفرصة ، لأنها تحقق بعض أهدافه ، ولا تتنافى مع الخطة الأصلية للحركة الإسماعيلية ، ولذلك جهز قوة كبيرة من كتامة أشرف عليها مولاه زيدان ، الذي انضم إليه في برقة عامر المجنون ، وأبو زرارة ، ويعيش مع قوات حامية برقة الكتامية ، ويبدو أن القيادة أصبحت ليعيش الكتامي الذي سار مع القوات المعارضة لحكم ابن طفج يتقدمهم بحكم واستولوا على الإسكندرية بدون صعوبة (57) .

وقد خيل للقوات المتحالفة ان ابن طفج سوف يستسلم بسهولة ويترك الولاية إلى الشام أو إلى العراق خاصة وأن عناصر من المشاركة والمتشيعين كانوا ضده ، بيد أن ذلك كان حلما بددته عزيمة هذا الوالي الشجاع الذي أسرع بإرسال قوات كبيرة إلى الإسكندرية قادها أخوه الحسن بن طفج ، بمساعدة صالح بن نافع ، وفي اللقاء الذي تم بين هذه القوة وبين قوات الحلف قرب قروجة ، انهزم هؤلاء وقتل يعيش أمير الجيش ، وبعض مساعديه ، وأسر منهم كثيرون من بينهم عامر المجنون ، أما يحكم وبعض رجاله فقد تركوا ميدان القتال فرارا بأنفسهم إلى برقة حيث أستقروا في منزل الرمادة ، الموالي للفاطميين (58) ، فترة ، ثم دخلوا مصر بأمان ابن طفج (59) سنة 328 هـ / 939 - 940 كما أن قادة كتامة الذين أسروا أثناء

55 - نفسه 1، 265 ، وبذلك انتقم مسرور لهزيمة أبيه وأسرهم ويبدو أن هدف حركته هو الضغط على والي مصر الذي بقي محتفظا بوالده في السجن .

56 - نفسه 1، 267 ، المزيري : المصدر السابق 152 ، تعليق 10 .

57 - يشير الكندي إلى وفاة حبشي بن أحمد بالرمادة قبل وصول حملة القائم بأمر الله ، التويري : المصدر السابق 26 ورقة 16 .

58 - ابن عذاري 1، 296 ، الكندي : المصدر السابق 286-288 ، حسن إبراهيم : عبيد الله المهدي 181 وما بعدها ، وهنا يشير إلى أن قائد الحملة كان هو حبشي بن أحمد على خلاف ما ورد في الكندي وابن عذاري .

59 - الكندي : المصدر السابق 289 .

الحملة ، أطلق ابن طنج سراحهم سنة 327 هـ / 938 - 939 م لثقتة بنفسه
وبقوة مركزه في مصر (60) .

وعلى هذه الصورة المحزنة ، انتهت آخر محاولة فاطمية ، للاستيلاء على
مصر ، بالاعتماد على قوة المعارضة الداخلية وعلى اضطراب أوضاع مصر
بسبب نزاع الجند وعلى حامية برقة القوية وكان فشل هذه المحاولة بسبب
تنافر العناصر المهاجمة واختلاف أغراضهم ، وحزم ابن طنج ، وإخلاص
أعدائه مدعاة للانصراف عن شئون مصر إلى المغرب وصقلية ، لتهدئة
أرضهما ، وحشد امكانياتهما المادية والبشرية لتوجيهها حسب خطة منظمة
نحو خدمة أهداف الدولة في بلاد المشرق .

ولئن كان البناء الداخلي في مصر بقي متماسكا طيلة حياة محمد بن طنج
الأخشيدي ، فان وفاته سنة 334 هـ / 945 - 946 م في نفس الوقت الذي
قام فيه نظام شيعة متطرف في بغداد هو نظام بني بوية الذي استبد امرأه
بالخلفاء العباسيين كان بداية لتصدع ما اجتهد من قبل في تقويته وإساءة إلى
أعماله في مصر ، سوء المعاملة التي تعرض لها أبناءه أبو القاسم أنوجور
(ت 347 هـ / 958 - 959 م) وأبو الحسن علي (ت 355 هـ / 965 -
966 م) من طرف خادمه أبي المسك كافور ، وما قابله به هذان الأميران
من استهانة بشأنه واحتقار له حتى توفي كل منهما وفي نفسه ألم وحزن
للحجر عليهما وحرمانهما من التمتع بمباهج السلطة (61) ، كانت له أصداء
قوية في صفوف أنصار أبيهما ، وهم الأخشيديون ، الذين احتفظوا بكرهيتهم
لأنصار أبي المسك ، وهم الكافورية .

وعرفت مصر ، فصولا من صراع هؤلاء ، سواء في حياة كافور ، أو بعد
وفاته في جمادي الأولى 357 هـ / مايو 967 م (62) ، وقد صيرهم النزاع
الداخلي عاجزين عن صد الأخطار الخارجية سواء منها التي ظهرت من جهة
النوبة (63) ، أو من جهة برقة ، وقد رجحت كفة الأخشيديين بعد رجوع
الأمر إلى أبي الفوارس أحمد بن علي بن طنج الذي ضيق عليهم ، فتركوا

60 - نفسه ، 287 .

61 - القرظي : الخطط 1، 329 .

62 - أبو الحسن : النجوم الزاهرة 4، 10 ، القرظي : انعاظ الحنفا ، 1، 96 .

63 - ويلاحظ أن المعز لدين الله واجه الخطر النوبي ، بالطرق السلمية ، فأرسل بعد
استقراره في مصر سفارة إلى جورج ملك النوبة ، يدعو إلى الإسلام . وقد تولى
رئاسة الوفد عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني . انظر : زاهر رياض ،
اتجاهات مصر الأفريقية في العصور الوسطى 71 ، المجلة التاريخية ، مجلد 20 ،
مايو 1958 .

مصر الى الرملة ، يشكون الى الحسن بن عبيد الله بن طنج كبير الاسرة ، فلم يلتفت اليهم ولم يستسلم لآرائهم في وجوب قتال ابي الفوارس وذلك لقربته منه (64) ، ووصايته عليه (65) ، ويبدو أن ابن الفرات الذي كان مستبدا بشئون الادارة المدنية وشمول الاخشيدي الذي كان مشرفا على النواحي العسكرية هما اللذان كانا سببا فيما حل بزعماء الكافورية من اضطهاد ونكال .

وصراع الجند وشغبهم ضد السلطة وظهور الازمات الاقتصادية وانتشار الأوبئة ، والمجاعات ، وغلبة ظاهرة الجفاف بسبب انخفاض ماء النيل وشيوع ظاهرة السلب والنهب ، واختلال الامن في العاصمة ، وفي الأقاليم ونجاح دعاة الشيعة الفاطميين في التمكين لانفسهم ، وفي بث آرائهم ورجالهم في عدة جهات من البلاد خاصة الاسكندرية ، التي اكتسبت بهم ، وبالعناصر المغربية التي استقرت فيها ، تحت ستار التجارة ، والرواية وطلب العلم ، أو التعليم طابعا مغربيا واضحا ، هذه كلها بعض أعراض الضعف في البناء الداخلي التي سهلت على الفاطميين مهمتهم ، منذ سنة 358 هـ / (66) 968 - 969 م .

وقد استخلص الفاطميون دروسا من فشل الحملات السابقة واتضح لهم أنها ، وان فشلت في فتح مصر وضمها نهائيا الى بلاد المغرب ، الا انها كانت خير تمهيد لارساء قواعد الفتح على أسس متينة ، وبسببها غدت المسالك معروفة ، والبلاد معهودة ، وأصبح بين سكانها عناصر متشيعة ، أو موالية للنفوذ الشيعي بسبب بطولات قادة الحملات الفاطمية ، وجراتهم المنقطعة النظر ، وقد ضم هؤلاء جهودهم الى دعاة الشيعة ورجالهم القدامى في مصر ، من أجل تهيئة التربة للبذر الحقيقي ، والى هؤلاء أرسل المعز لدين

64 - الذهبي : المصدر السابق 3 ورقة 186 (حوادث 357 هـ) .

65 - العيني : عقد الجمان ج 19 (ق 2) ورقة 219-220 (حوادث 357 هـ) .

66 - سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عصر الاخشيديين 360 - 370 ، القرظي ، الخطط

1 ، 330 ، عبد الله الشرفاوي : تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من السولاة ، والسلطين ورقة 58 (ص 101 ط العثمانية 1304 هـ) . وهي على هامش كتاب لطائف اخبار الاول للاسحاقى المنوفى ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام 52 هامش 1 ، (القسم الثالث منه ط الدار البيضاء 1964 . تحقيق مختار العبادي والكناني)

يعني بن سعيد الأنطاكي : تاريخ الدليل 812 ط كراتشوفسكي وفازلييف ، ابن ابيك الدواداري : الدررة المضيئة 120 - 121 ، الاسحاقى : لطائف اخبار الاول ، 114 ط العثمانية 1304 هـ ، القرظي : اغانة الامة لكشف الغمة 12-13 ط حمصى 1956 جمال الدين الشيبان : الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الاسكندرية 145 - 154 . مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد 15 سنة 1961 .

الله بنودا تحمل شعارات الخلافة الفاطمية ، كي يظهرها في الأماكن الهامة ، وفي الوقت المناسب ، ولتكون أيضا إشارة على الولاء للدعوة الفاطمية (67) ، ولعل أوضح دليل على استعداد النفوس في مصر لتقبل التحول الجديد ، الذي كان يبشر به الدعوة الإسماعيلية ، وأشار إليه القائم بأمر الله من قبل في قصائده ومراسلاته مع سكان مصر والشرق العربي ، هو اتفاق أهل الرأي ، والمشورة ، وكبار رجال الدولة ، والإشراف وزعماء الجند على إعلان الولاء للخلافة الفاطمية ، وطلب الأمان من قائد الحملة جوهر الكاتب على الأنفس والأموال والعقائد .

ومع أن المعز لدين الله كان يعلم ظروف مصر السيئة ، وأنها غنيمة سهلة ، فإنه بدأ استعدادته لتوجيه الحملة الكبرى ، منذ وقت مبكر ، وكان قد كلف جوهر أثناء تجواله في بلاد المغرب 347 هـ / 958 - 959 م بحشد الرجال الأكفاء (68) . كما أمر عماله في مدن قابس ، وطرابلس وبرقة بأن يتعاون كل منهم مع الآخر في إظهار أقليمه من أجل حفر الينابيع والآبار ، وبناء استراحة في كل منزل (69) . ورصد أموالا كثيرة ، بلغ مجموعها حوالي أربعة وعشرين مليون دينار ، وضعها في صناديق خاصة ، وختم عليها بخاتمه ، وكلف بها ابن مهذب صاحب بيت المال ، وبلغ مجموع ما حشده من جند كتامة ، وعبيد زويلة ، وطبقة الفتيان نحو مائة ألف (70) ، هذا عدا النجيدات التي تقاطرت على مصر بعد مسير الحملة ، وقادها كل من سعادة بن حيان من جهة والحسن بن عمار من جهة أخرى .

ولم يغفل شأن الجند ، فشحذ همهم ، وحيأهم بالطافه ، واحتفل بلقائهم أكثر من مرة ، قبل توجيههم إلى مصر ، أما قائد الحملة ، جوهر الصقلي ، فقد بالغ في إضفاء الأهمية على شخصه ، وعلى عظمة دوره في مصر ، كي يخلص الجند في طاعته ، ويترفق به زعماء كتامة ، وقادتها ، وكان أظهرهم شخصية هو جعفر بن فلاح الذي رافقه ابنائوه وبقية المشاركين في الحملة .

67 - القرظي : اتعاظ الحنفا ، 102 ، 1 .

68 - ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ورقة 47 . مخطوط دار الكتب ، بيبرس الودادار : المصدر السابق 6 ، ورقة 20 .

69 - القرظي : اتعاظ 1 ، 96 . علي إبراهيم حسن تاريخ جوهر الصقلي 27 ، جمال سرور ، الدولة الفاطمية في مصر 66 .

70 - نفسه ، 1 ، 97 ، لمة (لجهول) ورقة 3 . علي إبراهيم حسن : المرجع السابق 27 ، وعندما سئل الشريف أبو جعفر مسلم من طرف المؤرخ ابن زولاق عن عدد الجيش الذي رآه مع جوهر ، أجاب « هم مثل جمع عرفات كثرة وعدة . انظر القرظي : اتعاظ 1 ، 107 ، س 23-24 ، الشرفاوي : المصدر السابق ورقة 59 .

ويبدو أن قول المعز لدين الله أمام جند كتامة « والله لو خرج هذا وحده لفتح مصر ، وليدخلن بالارادة من غير حرب ، ولينزلن في خرابات ابن طولون ، ويبنين مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا (71) » يتجاوز المبالغة في المدح ، وتهدة نائرة قادة كتامة الذين طمحت أنفسهم الى القيادة الى بيان ملامح الخطة السياسية التي سيسير عليها جوهر بعد الفتح ، وتضمنت أمرا ، لبناء دار الهجرة الجديدة أو عاصمة الخلافة الفاطمية التي اقترح اسمها الجديد ، وحدد مكانها نسبيا وهذا مما يبعد الروايات الأسطورية عن سبب التسمية والقول بأن المعز لدين الله كره موقع مدينة القاهرة عندما حضر الى مصر ، كما لم يقر التسمية التي اختارها قائده مجاملة له باحياء ذكرى المنصور (72) .

وفي القول دليل واضح على مدى معرفة المعز لدين الله لأوضاع الجبهة المصرية ، فضلا عن كونه كان يريد تهوين المشروع على رجاله ، وتطمين أنفسهم من الاخطار الداخلية أو الخارجية .

وفد كان تصور المعز لدين الله صحيحا ، وفي محله ، إذ أن الحملة الكبرى ، لم تصادف أية صعوبة في نفاذها من برقة الى مصر ، بسبب هدوء الوضع ، ونجاعة حامية برقة التي كان رجالها أعرف بالحرب وبالمسالك في أطراف مصر وفي دواخلها من غيرهم .

وكانت الرحلة الى مصر أشبه بنزهة عسكرية طويلة الامد ، تخللتها الاقامة المتقطعة على طول الطريق .

وأمام مدينة الاسكندرية التي تكرر سقوطها في أيدي رجال الحملات السابقة دون مقاومة ارتاح السكان لظهور الحملة وفتحوا أبواب المدينة للجند ولم تبدر منهم أية بادرة مقاومة ، ولقد كان جوهر بعيد النظر عند ما سيطر على الوضع ، ومنع الجند الكتاميين الميالين الى السلب والنهب من مد أيديهم الى أرزاق الناس أو الاحتكاك بهم (73) .

71 - لعة (لجهول) ورقة 3 - 4 ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ورقة 73 - 74 ص 41-42 ط 1969 . ويلاحظ أن المعز لم يخرج بنفسه لفتح مصر خوفا من آثار هزيمته على وضعه في بلاد المغرب « وخاف أن يفرو بنفسه ويغيب سعيه فيفوته المغرب ولا تحصل له مصر » .

72 - المقرئزي : انعاظ الحنفا 1 ، 111 - 113 ، الخطط 1 ، 361 ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4 ، 41-42 . لعة (لجهول) ورقة 4 . ابن ظهيرة : المصدر السابق ورقة 75 ، عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها 10 - 11 .

73 - يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 818 وما بعدها .

أما صدى وصول الحملة الى الاسكندرية بين سكان الفسطاط فقد عبر عنه تحرك الوزير ابن الفرات ، بسرعة لمواجهتها ، بالطرق السلمية وكان هذا أيضا رأي من استشارهم من زعماء المجتمع في مصر الذين كلفوه بالاتصال بقائد الحملة للحصول على الامان العام ، فاناب عنه وفدا تزعمه الشريف أبو جعفر مسلم العلوي ، وانضم اليه بعض كبار الدعاة الاسماعيلية ومنهم أبو جعفر أحمد بن نصر .

وبعد أن تلقى الوفد التفويض من سائر طبقات المجتمع بحيث لم يتأخر عن تشييعهم قائد ، ولا كاتب ، ولا عالم ، ولا شاهد ، ولا تاجر (74) . عرضوا على القائد جوهر في قرية تروجة رغبات السكان وما يشترطونه نظير اعلان الولاء والطاعة للخليفة الفاطمي ، فاستجاب لجميع ما اقترح عليه وكتب نص الامان العام (75) ، باسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ، وأشهد على نفسه جميع الحاضرين ، وفي الامان تأكيد لما طلبه السكان ، مع توضيح بعض أهداف الحملة الفاطمية ، ومنها الدفاع عن دار الاسلام التي نال منها الروم والمغامرون بسبب استخداء العباسيين وضعفهم .

وعندما عرف زعماء الكافورية ، والاشيادية ما تضمنه عهد الامان ، ولم يكن فيه ما يرضي جشعهم الى الاموال والى الاقطاعات (76) ، عارضوه ، وردوا على الشريف ، ردا جافا ، خفف من وطأته ابن الفرات الذي ذكرهم بأنهم هم سبب التفاوض لطلب الامان ، وتلطف مع الشريف ، وناجاه ، بينما مال المعارضون الى الصخب والضجيج وتمسكوا بشعار واحد ، هو « ما بيننا وبين جوهر الا السيف » (77) . وانصرفوا عن الوزير ، وعن أبي الفوارس أحمد بن علي ، وبدؤوا بزعامة تحرير شويزان يهيئون لمقاومة حملة جوهر (78) ، الذي تصرف بحكمة عندما عرف هذه التطورات ،

74 - القرظي : اعاط الحنفا ، 102،103 .

75 - نفسه ، 103،107 ، بيبرس الدودار : زينة الفكرة 6 ، ورقة 201 - 202 ابن مسكوية : تجارب الامم ، 257،6 . ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد 41-44 .
التويري : نهاية الأرب 26 ورقة 38 وما بعدها .

76 - بيبرس الدودار : المصدر السابق 6 ، ورقة 200 - 201 ويلاحظ هنا ان تحرير اشترط الا يجتمع بجوهر ، وتكون الاشمونين اقطاعا خاصا به ، ويقلد مكة والمدينة واعمالها ويقيم هناك .

77 - القرظي : اعاط الحنفا ، 108،108 س 23 ، وانظر بيبرس الدودار : المصدر السابق 200،6 - 201 من بعض اعداء المذهب الاسماعيلي الذي حث الناس على الفتك بابن الفرات ، وشنع على جوهر الصقلي وخاطب الناس بقوله « ايها الناس قد اظلمت من اخر ب فاسا ، وسبى اهلها ، فالتقوا هذا الرجل المفرور » ابن الفرات آ فانه قد شرع في اطلاق بلدكم وسفك دماكم بمراسلة هذا الرجل » .

78 - نفسه ، 109،109 ا س 3 .

فطلب أرجاع نسخة الامان والتمس من القاضي ابي الطاهر الذهلي ، رايه في مشروعية قتالهم فأفتاه بحلية قتال من يمنع المسلمين من الدفاع عن حدود أرضهم ضد الروم ، وعندئذ اقتنع جوهر بتأييد وجوه المجتمع لمبدأ الولاء للخلافة الفاطمية . وبدأ يعد لتأديب هؤلاء القوم الذين أضلهم الفرور واعماهم التعصب ورفعوا راية الثورة وضلوا جانبا من السكان ، وذلك من مركزه الحصين في منية شلقان - شرقي القناطر الخيرية - التي أراد منها العبور الى الفسطاط ، وفيها تحفظ على كل المراكب التي وصلت من دمياط والوجه البحري ، وجزيرة تنيس ووجهتها الفسطاط ، وكلف مساعده في قيادة الحملة ، جعفر ابن فلاح بالعبور الى الجانب الآخر من النيل ، بقوله : « لهذا اليوم ارادك المعز لدين الله » (79) وذلك للقاء القوة المعادية وبعد ان تمكن جعفر مع جمع من رجال كتامة المغامرين من عبور النيل سباحة وهم عراة ليس عليهم الا « سراويل » (80) بدد شمل قوات الثورة وقتل بعض زعمائها ومنهم نحرير الارغلي ومشير الاخشيدي ، ويمين الطويل ، وانسحب بعضهم دون قتال تاركين جماعة من « المصريين » يلقون مصيرهم وأخلى الجميع قواعد تمرزهم في الجزيرة لأنهم عرفوا أن الأمر في غير صالحهم ، وتفرقوا في الانحاء ومنهم من التجأ الى الشام .

وهكذا عاد السكان الى الشريف ابي جعفر مسلم الذي توسط عند جوهر الذي أكد سياسة الامان ، بشرط التحفظ على أموال وممتلكات زعماء الثورة الفارين حتى يعلنوا الولاء للخلافة الفاطمية ، وירضوا بما رضي به عامة السكان (81) . وتلا ذلك دخوله المدينة يوم السبت 17 شعبان 358 هـ على رأس قواته ، وفق ترتيب خاص ، حيث تمركز في موضع المناخ ووضع هنا أساس العاصمة الجديدة وقصر مولاه المعز لدين الله ، مباشرة . واثر ذلك تقبل تهاني السكان ، لكنه رفض الهدايا والضيافة الا من طرف الشريف ابي جعفر مسلم (82) الذي اتخذت داره مركزا لتجميع الفقراء المعوزين بواسطة النداء حيث فرقت عليهم أموال كثيرة في الجامع العتيق ، احتفاء بمناسبة الفتح (83) الذي أرسلت البشائر به الى المعز لدين الله في المنصورية (84) .

79 - أبو الحاسن : المصدر السابق 31،4 .

80 - القرظي : اعقاب الحنفا 1،109 س 5-6 .

81 - نفسه 1،110 . ويلاحظ ان البنود التي تحمل اسم المعز كانت قد فرقت على انصار

الدعوة لذلك « نشر كل من عنده بند بنده في درب حارته » انظر س 2 - 3 ،

أبو الحاسن : المصدر السابق 4،8 وما بعدها ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة

الفاطميين 103 - 104 ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، 60 ،

عمر كمال توفيق : مقدمات المدوان الصليبي 66 وما بعدها .

82 - نفسه 1،111 .

83 - نفسه 1،114 .

84 - القضاي : المصدر السابق ورقة 179 .

اما الاجراءات التي عبرت عن وضع مصر الجديد كولاية فاطمية فاهمها :

- ازالة شعار العباسيين وقطع الخطبة للمطيع العباسي والدعوة للمعز لدين الله ، ولابائه ابتداء من عشرين شعبان 358 هـ في المسجد العتيق وكان ذلك بحضور جوهر الصقلي كما دعى له في جامع ابن طولون وسائر منابر مصر (85) .

- استهلت دار الضرب نشاطها بعد فتحها بأمر من القائد جوهر بسك دنائير جيدة العيار سجل عليها تاريخ الفتح واسم المعز لدين الله، والدعاء له، وشعار العلويين وهو : « علي افضل الوصيين ، ووزير خير المرسلين » (86).

- وقد انتدب جوهر ، عمالا للخراج ، والضياح ، والحسبة ، والشرطة، اما المظالم فتولاها بنفسه فترة حيث كان يجلس لسماع الشكوى كل يوم سبت ، ثم تركها الى ابي عيسى مرشد تحت نظره ، كما استعان بجهود ابن الفرات الذي اقره على خطته السابقة .

وقد ارسى تقاليد الشيعة في الدعاء لاصحاب الكساء ، قبل الدعاء للخليفة الفاطمي، وفي عدم التكبير بعد صلاة الجمعة، وفي الاذان والاقامة، والافطار بعد اكمال العدد في رمضان حسب الفقه الجعفري ، وقد اشارت بعض النصوص الى انكار جوهر على اهل مصر ، استمرارهم في الصوم اعتمادا على عدم رؤية هلال شوال ، في الوقت الذي افطر فيه هو ، واقام صلاة عيد الفطر ويعتبر ذلك بداية لنقض عهد الامان الذي اقر بنوده بنفسه (87) . وقد قابله السكان بردود فعل مختلفة ، اساءت الى الامن الداخلي في الوقت الذي كان فيه بقايا الكافورية والاشييدية والقرامطة ، يتآمرون ، ويعدون لتحركات كبرى ضد مصر ، في ظل اوضاعها المضطربة وازمتها الاقتصادية التي ازدادت حدة بعد الفتح حتى ارتفع سعر القمح وبلغت قيمة ستة اقداح منه دينارا واشتد الفلاء وشاع الاحتكار والغش بعد وفاة المحتسب ابي جعفر

85 - المقرئ : اعاط الحنفا 1، 114 - 115 ، 119 س 4 . ويلاحظ ان الخطيب كان يلبس البياض ، ابو الفداء : المصدر السابق 2، 115 . ويشير الى ان اقامة الدعاء والخطبة كان في شهر شوال وكان الخطيب هو ابو محمد عبد الله بن الحسين الشيساطي ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 5 ، السيوطي : حسن المحاضرة 2 ، 13 ، ابن ابيك الدواداري : الدرر المضية 6 ، 125 .

86 - نفسه ، 1، 115 - 116 . وانظر شذور العقود في ذكر النقود 34 - 35 ، النويري : نهاية الارب ج 26 ورقة 41 .

87 - نفسه 1، 116 - 117 ، 119 ، ابو الفداء : المصدر السابق 2 ، 115 ، القضاي : المصدر السابق ورقة 179 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ورقة 189 - 190 ويلاحظ هنا ان « العبيدين » سبقوا « القرامطة » باخذ مصر واقاموا فيها « دولة الرضى » .

الخراساني ، الذي أصبح من أكبر واجبات خلفه سليمان بن عزة ، مراقبة تجارة القمح ، والطحانيين وسماصرة الغلات وسائر فئات التجار الذين اشتدت شراحتهم للكسب غير المشروع والغش على حساب الفئات الفقيرة والوسطى (88) ، وكانت وطأته شديدة على الصيارفة بنوع خاص (89) .

وإذا كان جوهر قد وجه ضربة قاصمة لبقايا الكافورية والابخيدية حيث تحفظ على الخطرين منهم في مصر والشام ، وأرسلهم الى بلاد المغرب (90) ، فانه واجه حركة ثورية في صعيد مصر تزعمها عبد العزيز بن ابراهيم الكلابي ، وكانت غايتها ارجاع النفوذ العباسي الى البلاد (91) .

وقد انزعجت طبقة الاشراف العلويين لتصرفات جوهر ازاء عبد الله بن طاهر الحسيني ، عندما دخل عليه بطيلسان كحلي ، فقد انكر جوهر ذلك عليه ، وشق الطيلسان بنفسه ، امام وجوه المجتمع ، ولما انكر الشريف ذلك ، امر جوهر بتمزيقه وهو يضحك حتى بقي الشريف حاسرا بغير رداء (92) .

واستاء التجار والافنياء من التدخل في العملة حيث منع التعامل بالدينار الابيض ، وحط من قيمة الدينار الراضي ، بينما ارتفع صرف الدينار المعزي وسبب ذلك اختفى الدينار الابيض وانتشر المعزي وافتقر كثير من السكان (93) .

وكان الفقراء والمحرومون يعبرون ايضا عن نقتهم على العهد الجديد مدفوعين الى ذلك بعاطفة دينية ثم كان يحركهم غيرهم من المعارضين وكانوا يتخيرون مناسبات للتنفيس عما في نفوسهم ولاظهار ميولهم السننية ، وتشير بعض النصوص الى القاء القبض على عجوز عمياء ، وجدت تنشد

88 - القرظي : اعاط الحنفا 118،120-122 بحيث « لا يخرج قبح غلة حتى يقف عليه » .

89 - نفسه 132،1 وعندما عزل بعض الصيارفة شغبوا عليه ورددوا شعارا معاديا للشيعنة وهو « معاوية خال علي » فهم جوهر باحراق رحبتهم لولا خوفه على الجامع . انظر آدم ميتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري 109،1 .

90 - نفسه 117،1 - 118 .

91 - نفسه 131،1 .

92 - نفسه 132،1 .

93 - نفسه 122،1،146،131، انظر شذور العقود في ذكر النقود 36 ، ابن ميسر ، اخبار مصر 2،46 ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 128،1 ، عطية مشرفة : المرجع السابق 208-209 ، عبد الرحمن فهمي : موسوعة النقود العربية وعلم التميات 197 - 199 ، 200،202 .

في الطريق ، أهازيج في غير مصلحة العهد الجديد ، فاعتنم بعض السكان الفرصة ونادوا بأسماء الصحابة (94) ورددوا شعارا قديما يؤدي مشاعر الشيعة ، ونصه : « معاوية خال المؤمنين ، وخال علي » . وكان أهل السنة في العهد الاخشيدي ، خاصة عناصر الكافورية من السودان يؤذون الشيعة ويرغمونهم على ترديد هذا القول ، ومن امتنع منهم ، سلب ما معه من اموال (95) .

ويبدو ان الشغب انتشر ولم ينته حتى تدخل جوهر بنفسه وهدد السكان وأمر مناديه في الجامع العتيق بأن يوضح لهم ، بأن سجن العجوز انما كان للمحافظة على حياتها « فلا ينطقن أحد الا حلت عليه العقوبة الموجعة » (96) .

ويرجح أن اضطراب الاوضاع في مصر وبلاد الشام ، بسبب معارضة أهل السنة وضغط القرامطة ، كان من بين الاسباب التي عجلت بانتقال المعز لدين الله الى عاصمته الجديدة في مصر استجابة لرغبة مولاه ونائبه جوهر الصقلي (97) .

ومشروع الهجرة الجماعية الى مصر كان محل تفكير وعناية المعز لدين الله ورجاله المقربين منذ وقت مبكر (98) ، وان لم يكن محل رضا كل أفراد الاسرة الفاطمية اذ تشير بعض النصوص ، الى ظهور اتجاه لمعارضة فكرة انتقال الخلافة الى مصر وتزعمه ، أحمد بن المهدي ، الذي نقل عنه ما يفيد انه كان « يكثر القبيح ويتقول على المقام ويتأخر عن الحركة مع أمير المؤمنين » وعندما شاع هذا الاتجاه وعلم به الاستاذ جوذر عن طريق المكلف بشؤون المهديّة نصير الصقلي ، اطلع المعز لدين الله ، الذي أجابه بتوقيع ، تضمن انكاره على أحمد بن المهدي تصرفاته التي هي في الواقع امتداد لماضيه في الطعن على بيت الامامة ، ووصفه بالشقي ، الضال ، وعند هذا الحد اكتفى ، ولم يأمر بشيء ضده وختم توقيعه بالدعاء عليه بقوله : « فالذي بيده ملكوت كل شيء ، أرغب اليه في هلاك كل ضال غوي من قريب وبعيد ومسر ومعلن » (99) . ولم يشن عزم المعز لدين الله ، ما يشاع عنه ، اذ استمر

94 - نفسه 130،1 .

95 - القرظي : اتمام 1 ، 146 « حتى كان كافور يوكل بابواب الصحراء ويمنع الناس من الخروج » (اي في موسم عاشوراء) انظر ص 132 منه ، س 7-4 .

96 - نفسه 1 ، 131 .

97 - ابن خلدون : العبر 4، 100 .

98 - القرظي : المصدر السابق 109 س 1-2 ، ص 22 .

99 - نفسه 105 - 106 .

في اعداد العدة للانتقال الى الشرق ، وعندما اطمأن على وضع بلاد المغرب وصقلية اصطحب معه اهله وحاشيته وخزائن الاموال ورفات آبائه وما استطاع حمله وتجميعه من ذخائر وأموال بلاد المغرب وعناصره القوية من كتامة وعبيد زويله ، وخرج من قاعدة المنصورية يوم الاثنين 22 شوال 361 هـ / 5 يولية 971 م ، قاصدا مصر عن طريق برقة (100) ، التي فقد فيها أعظم نصيرين له ، أحدهما مولاه جوذر الصقلي (101) والآخر متنبىء الغرب ، شاعر بلاطه محمد بن هانيء الذي تحسر عليه ، وقال : « كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك » (102) .

وفي الاسكندرية التي وصلها أواخر شعبان 362 هـ / مايو 973 م أوضح للذين خفوا لاستقباله « بأنه لم يسر للازدياد في ملك ، ولا رجال ، ولا سار الا رغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين (103) » أما دخوله مدينة القاهرة فكان يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان 362 هـ يونية 973 م ، وبعد أن استقبل طبقات المجتمع حسب مراتبهم يتقدمهم الاشراف ثم الاولياء ، وسائر وجوه المجتمع بدأ يهيء للاشراف بنفسه على سير المعركة السياسية والمذهبية من مركز قريب (104) ، بوصفه خليفة علويا ، ورأس « دولة المصريين » (105) .

وترتب على انتقال المعز لدين الله تطورات خطيرة أهمها ، انقلاب وضع مصر الدستوري حيث أصبحت لأول مرة دار خلافة ومركز امامة اسماعيلية لأنها كانت من قبل مجرد ولاية عباسية ، أو مقرا لدويلات طرفدارية كانت تدين بالولاء والتبعية للخلافة العباسية في بغداد (106) ،

- 100 - ابن عذاري : المصدر السابق 325،1 ، أبو الفداء : المصدر السابق 2 ، 117 -
118 ، القرظي : اتعاف 1 ، 134 ، النويري ج 26 ورقة 42 - 43 .
101 - العزيزي : المصدر السابق 147 ، وقد دفن بمسجد القصر في (مياسر) وهو موضع بجوار مدينة برقة .
102 - ابن خلدون : العبر 4 ، 103 ، ج . ح . عبد الوهاب : مجمل تاريخ الأدب 90 .
ابن الأثير : الكامل 223،8 . أبو الفداء : المختصر 118،2 ، العيني : المصدر السابق ج 19 (ق 2) ورفات 270 - 272 ، ابن خلكان : الوفيات 4،49 .
103 - القرظي : اتعاف الحنفا 1،133 .
104 - نفسه 1 ، 136 .
105 - سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 5 من 16 - 17 ويلاحظ أن الدعوة للعباسيين انقطعت ، وصارت للمصريين . ولم تزل كذلك حتى 567 هـ . انظر ورقة 15 حيث يوصف جعفر ابن فلاح بكونه أول قواد المصريين في دمشق ، أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين 220،1 ط 1 ، 1288 هـ . عبد النعم ماجد : موقف المصريين من حكم الماليك 1 ، حولية آداب عين شمس ، عدد 12 سنة 1969 م .
106 - القرظي : اتعاف 1،134 ، وقارن بما ورد في : شذور العنود في ذكر النقود 34 ، « فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة » .

وقد أصبح لطبقة الأشراف حسنيين وحسينيين وجعفرين ، مكانة مرموقة في الدولة وحظوة عند المعز لدين الله الذي سأل عنهم ، ابا جعفر مسلما بمجرد اتصاله به ، وكان هذا الشريف الذي لعب دورا في انجاح عملية الفتح بالامان منزلة كبرى فقد أعفى من الترحيل لجوهر فداة دخوله مصر (107) ، واحتفى به المعز لدين الله وأمره بركوب قبة ، لأن الحر كان شديدا (108) ، وقد قبل المعز لدين الله هديته (109) ، كما أصبح من كبار الملازمين له وتفاضى عن اشتراك أخيه عبد الله في حركة القرامطة (110) مكتفيا بعتاب الشريف أبي مسلم الذي تبرأ من تصرفات أخيه .

وعندما أساء بعض رجال كتامة التصرف تجاه بعض الأشراف ، وهددوا بقتل كل من يزعم أنه شريف وسمع المعز لدين الله ذلك انكره وتوعد المتطرفين بالعقاب الشديد ان عادوا الى مثل هذا التصرف واعتذر للأشراف وطيب خواطرهم بقوله « لقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا ، لكم بحمد الله الشرف العالي والرحم القريبة » (111) .

واقضى الوضع الجديد ، تكريس كل الجهود من أجل النجاح في المعركة ضد القرامطة وضد توسع الروم في الجبهة الشرقية ، ثم الانطلاق الى الهدف الأسمى في السياسة الحربية الخارجية للفاطميين وهو الذي أوضحه المعز لدين الله لسفير الروم الذي وفد عليه في القاهرة ، وكان يتردد عليه من قبل في المنصورية ، في قوله يخاطبه « لتدخلن على بغداد وأنا خليفة » (112) . وأما جوهر الصقلي وغيره من قادة الحملة فقد انحسر نفوذهم بعد انتقال المعز لدين الله الى القاهرة ، الذي أصبح يشرف بنفسه ويباشر تسيير الأمور عن طريق وجوه جديدة (113) ، ولم يبق لجوهر ومساعديه في القيادة غير الميدان العسكري .

107 - نفسه 11،1 .

108 - نفسه 1 ، 133 .

109 - نفسه 1 ، 137 .

110 - نفسه 147،1 ، 150 .

111 - المقرئزي : اعطاء الحنفا 1،147،217 عن معاورة جرت بين المعز لدين الله والشريف أبي مسلم بان اثناءها مدى تقدير الاول للثاني .

112 - نفسه 1،226 ، ابن الأثير : الكامل 8،239 - 240 .

113 - ويلاحظ أن ابن الفرات لم يبارح مصر الى بغداد رغم انه لم يواصل القيام بمسؤوليات خطة الوزارة وبقي مراقبا وقد صارحه المعز لدين الله بقوله « اذا لم تل لنا شغلا ، فيجب الا تخرج عن بلادنا ، فانا لا نستغني أن يكون في دولتنا مثلك » : انظر عنه اعطاء الحنفا 1،102 هامش 2،129-130 ، العيني : المصدر السابق ج 19 (ق 3) ورلة 507-508 ياقوت الحموي : معجم الادباء 7،163 وما بعدها ، ابن خلكان : وفيات الاعيان 1،305 على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر 68-69 .

وجوهر القائد الذي أشرف على فتح مصر وبناء مدينة القاهرة ومسجدها ، هو أبو الحسين جوهر بن عبد الله ، من مسلمي جزيرة صقلية ، لذلك عرف بالصقلي ، كما وصف بالرومي (114) ، لأن جزءا من الجزيرة كان بأيدي الروم ، وبالصقلي (115) أيضا ، كان من بين موالى الخليفة المنصور المقربين اليه واحد الأفراد القلائل الذين عرفوا ظروف النص عليه بعد وفاة القائم ، وكان المنصور هو الذي أفضى اليه بالخبر ، كما أوضح ذلك في حديثه مع جوذر مستودع المنصور اسماعيل (116) .

لم يظهر لجوهر دور هام ولم يلقب فيما يبدو ، قبل عصر المعز لدين الله الذي عينه كاتباً في بدء خلافته ومن ثم عرف بلقب الكاتب (117). وبالقائد أو قائد أبي تميم ، وعبد المعز ومولى أمير المؤمنين مثل جوذر الصقلي الذي ظفر بهذا اللقب بعد موقعة كناية ، وعلت قيمته قبيل إرساله على رأس حملة ضد الثوار في أرجاء بلاد المغرب حتى قيل أنه رقى إلى رتبة الوزارة (118) تشريفا له ، لكنه لم يلقب بلقب الوزير ولا بالأشرف على الدواوين وإنما كان بمثابة الواسطة بين الخليفة المعز لدين الله وكبار رجال الدولة حتى أن القاضي النعمان لما استطلع رأي المعز عما يقرأه يوم الجمعة من علوم أهل البيت على جماعة المؤمنين رد عليه بقوله : « أخرجنا لك ما تقرأه اليوم واجتمع بجوهر يكتبه لك » (119) .

وقد عاد المعز لدين الله أثناء مرضه الخطير مبالغة في العناية به كما أسند إليه قيادة أضخم حملة لفتح مصر وفوض إليه التصرف في شؤونها بعد الفتح والإشراف على حركة التوسع منها ، في بلاد الشام .

وقد أمر المعز لدين الله ، جميع رجال الدولة بما فيهم أولاده وأخوته وحجته عبد الله ، بأن يترجلوا له ، وكان ذلك حدثاً لم تجربه الرسوم (120) . وقد التزم بذلك سائر الولاة ، والحكام ، وقد أمر حجاب جوهر جميع

114 - أبو الفداء : المصدر السابق 2، 115 . القرظي : الخطط 1 ، 337 لمة (لجهول) ورقة 3 ، ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 40 .

115 - عبد الله الشرفاوي : تحفة الناظرين ورقة 58 وعن صقلاب من بين قلاع جزيرة صقلية . انظر ياقوت ، معجم البلدان 5، 372 .

116 - القرظي الجوزدي : سيرة جوذر 40 س 23-24 ، وكان جوذر قد احتفظ بسر النص مدة سبع سنوات .

117 - عبد الله الشرفاوي : تحفة الناظرين ورقة 58 .

118 - القرظي : اتعاط الحنفا 1، 93 ، ابن خلدون : العبر 4، 96-97 ، ابن الأثير : الكامل 8، 189 .

119 - النعمان : الجالس والمسائرات 2 ، ورقة 634 - 635 .

120 - القرظي : خطط 1، 379 .

الوفود لاستقباله في الحيزة بالترجل له باستثناء الوزير ابن الفرات ،
والشريف أبي مسلم (121) . كذلك ترجل له سعادة بن حيان عندما
قدم على رأس نجدة من بلاد المغرب (122) .

وعرف قبل انتقال المعز لدين الله بلقب النائب وخليفة المعز (123) .
وكان الى جانب الخليفة المعز على المنبر أثناء خطبة اول عيد فطر يقام
بعد انتقاله الى مصر (124) .

وعندما منع المعز لدين الله من النداء عن زيادة منسوب النيل حتى
يصل الى مستواه العادي وهو ستة عشر ذراعا أمر بأن لا يكتب بذلك
الا اليه أو الى القائد جوهر (125) .

ويبدو أن بروز أهمية عسلوج بن الحسن الصنهاجي ، ويعقوب بن
كلس ، في سياسة الدواوين والأشرف على الأموال كان يعني الحد من
صلاحيات جوهر القائد الذي احتفظ بنفوذه خاصة في الميدان العسكري
(126) . وكانت هزيمته أمام القرامطة في بلاد الشام ، أثناء حركة افتكين
بمثابة شارة على تراجع أمره ، وضعف سلطانه وقد اعتمد العزيز بالله
على ابن كلس في تدبير شؤون الدولة وأبعد جوهر عنه (127) لكنه كان
يستشير به باطنا (128) .

ولعل أوضح دليل على انصراف العزيز عنه وضالة شأنه أنه أمر
كثيره من القادة بالترجل لمنجوتكين الذي قربه العزيز بالله . وقد شعر

121 - نفسه : اتعاف الحنفا ، 110 ، 111 .

122 - نفسه ، 128 ، 1 ، والذي يلاحظ هنا أن القرظي لم يشر الى ترجل الحسن بن عمار ،
عندما قدم من المغرب ، ربما لأنه لم يلقه في ظاهر المدينة مثلما لقي سعادة بن حيان
انظر 130 منه .

123 - نفسه ، 144 ، 1 ، ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 166 .

124 - نفسه ، 138 ، 1 .

125 - القرظي : اتعاف هامش 2 ، والذي يلاحظ أن هذا الامتياز لم يمنح لحجة المعز
وولي عهد المسلمين عبد الله الذي كان حيا في هذا الوقت ، إذ توفي في جمادي الأولى
364 هـ ، انظر اتعاف ، 135 ، 1 - 136 ، 137 ، 217 ، عبد المنعم ماجد : نظم
الفاطميين 2 ، 104 ، 105 ، وعن وفاء النيل وزيادته عن ستة عشر ذراعا ، ونقصانه
عنها ، وما تعرف به كل نسبة انظر : عبد اللطيف البغدادي : الافادة والاعتبار
44 - 45 .

126 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 118 ، 1 ، القرظي : اتعاف الحنفاء ، 216 ، 219 .

127 - القرظي : المصدر السابق ، 242 ، 1 .

128 - نفسه ، 261 ، 1 ، وكان ابن كلس من الناقمين على جوهر كما أن قادة كتامة لم ينسوا
له موقفه من جعفر بن فلاح ، النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 49 .

جوهر بما لحقه من مهانة وذل فكان يدعو على نفسه بالموت « . وها أنا اليوم أمشي راجلا بين يدي منجوتكين ، أغزونا وأغزوا بنا غيرنا ، وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلي ومدتي ، فقد أنفت على الثمانين أو أنا فيها وقد استجاب الله دعاءه ، فتوفي سنة 381 هـ / 991 - 992 م (129) .

أما أكبر مساعديه في قيادة الحملة ، فكان جعفر بن فلاح الكتامي ، ويلاحظ أن الغموض يكتنف حياة هذا القائد ودوره في الدور المغربي للخلافة الفاطمية . فنسبته كما وردت في المصادر القليلة التي أشارت إليه كانت ذات صبغة عامة ومن ثم يوصف فيها بالكتامي ، مساعد جوهر .

ولم نظفر رغم استشارة كثير من المصادر ، على نسبه الخاصة بين فروع كتامة المعروفة . وقد لاحظنا أن كثيرا من قادة كتامة ورجالها في الدور المغربي ينسبون إلى عشائريهم الخاصة والأمثلة على ذلك ، أبو مدين بن فروخ الهيصي ، وأبو زاكي الاجاني ، وعروبة المومسي ، وأبو القاسم السكتاني ، والقلة منهم هم الذين جاءت نسبتهم ذات صبغة عامة مثل جعفر بن فلاح ، وعبد الله بن يخلف ، وتشيع هذه الظاهرة خاصة في الدور الشرقي للخلافة الفاطمية . ويزداد الأمر غموضا عندما يكتفي بمجرد ذكر النسبة المغربية ويستثنى من ذلك حالات قليلة يأتي فيها ذكر النسبة الخاصة لأحد فروع كتامة ، ومن الأمثلة على ذلك عسلوج بن الحسن الدنهاجي ، وابن لبون الدنهاجي وجبر بن القاسم المسالتي (130) ، وغيرهم ممن ازدهر في عصر الحاكم سواء كانوا من عنصر دنهاجة في مصر أو من أسرة ابن ثعبان من فروع جيملة (131) ، الذين أدركوا مجدا في بداية عصر الظاهر لأعزاز دين الله في بلاد الشام .

وبالنسبة لجعفر بن فلاح ، نلاحظ أن المصادر القليلة التي أشارت إليه ، لم تغدنا بشيء ، ينير السبيل حول نشأته وحياته عندما ظهرت الحركة الإسماعيلية في منطقة كتامة ، وأفريقية ، ولا عن نشاطه في خدمة الدولة الفاطمية قبل اشتراكه في الحملة الكبرى ضد مصر الإخشيدية ، فلم نصادف إشارة إليه ضمن قادة كتامة في بلاد المغرب الذين اشتركوا

129 - نفسه ، خطط ، 379،1 ، وقارن ذلك بما ورد في اتعاط الحنفا 107،1 س 24 عن قول الشريف مسلم أن عمر جوهر عند الفتح كان نيفا وخمسين سنة . وقد أدرك ابنه الحسين ، الذي لقب بالقائد بن القائد مجدا كبيرا بفضل مواهبه وماضي أبيه واستمر حتى قتل في عهد الحاكم بأمر الله .

130 - القرظي : اتعاط 216،1 وقد ورد بصيغة المسالي .

131 - ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب 222،1 . ط دمشق 1951 .

الى جانب جوهر أثناء حركته الكبرى سنة 347 هـ / 958 - 959 م ، هذا بينما نلاحظ اشارة عن اشترك زيري بن مناد في الحملة ومسؤوليته القيادية ودوره في اقتحام مدينة فاس .

فهل ان جعفر بن فلاح لم يقم فعلا بأي دور ايجابي لفائدة الدولة قبل اشتراكه في الحملة ضد مصر ، التي لم يفصلها عن حملة بلاد المغرب غير فارق زمني يسير ، مداه احدى عشرة سنة ، ربما كان خلالها جعفر صغير السن نسبيا ، يشق طريقه الى الظهور في الميدان السياسي تدريجيا ، وهذا احتمال قريب ، أو ان المصادر التاريخية انسأقت وراء الروايات الخاصة التي تبرز قيمة جوهر وأهميته عند المعز لدين الله الذي حرص على خضوع الجميع اليه وأظهره دون غيره في ميدان القيادة في بلاد المغرب حيث ينافس الكثيرون من اولياء الدولة وعصبيتها ، من رجالات كتامة خاصة ، الذين كانوا بارزين مثله ، وكرهوا ان يظهر عليهم فجأة مع انه لم يصل الى مستواهم في القدم ، والتاريخية وقوة العصبية . ولعل ذلك هو سر اهمال الحديث عنه وعن غيره في ميدان المغرب .

أما في مصر فيبدو أن وجود مجموعات قبلية أخرى غير كتامية ، ساعد على ظهوره كقائد لبني قومه الذين كان دورهم البطولي الى جانبه في بداية ظهور حركة المقاومة عند منية شلقان ، دورا مشرفا .

ويبدو أن جعفرا بن فلاح كان من بين قادة الدولة ورجالها في بلاد المغرب ، لكنه لم يلق العناية التي يستحقها لاعتبارات خاصة ، لانه من غير المقبول بسهولة أن يظهر فجأة في قمة الميدان السياسي والعسكري مساعدا مباشرا لجوهر في قيادة أضخم حملة ضد مصر وأساسا تركز عليه جهود الفاطميين في مصر ثم في بلاد الشام اذا لم يكن المعز لدين الله قد عرفه من قبل معرفة جيدة وخبره في ميدان القيادة فتبينت له قدراته ومهارته في الحرب ، واخلاصه للنظام والتزامه بسياسة التوسع لايجاد مناطق للنفوذ الفاطمي في بلاد المغرب والمشرق .

وعلى اقرب الاحتمالات فان جعفر ابن فلاح كانت اهميته في بلاد المغرب لا تقل عما أداه من خدمات للدولة في ميدان المشرق وهو من بين الرعيل الاول ، للجيل الذي اشرف المعز لدين الله على تربيته وتكوينه من أبناء كتامة وشبابهم ، ويؤيد ذلك مجموعة اعتبارات في مقدمتها :

— ان مركز جعفر في قيادة الحملة ضد مصر ، كان يلي مباشرة (132) مركز القائد الأعلى ، وهو جوهر لذلك وقع الاختيار عليه ليقوم دون غيره

132 - ابن منجب الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة 82-83 ويشير الى ان مقدار ما اعطى لابن هانيء من طرف ابن فلاح كان مائتي دينار وهو نفس ما اعطاه اياه جوهر .

بأكبر دور ضد الكافورية والأخشيديّة ، الذين تجمعوا لمقاومة عبور الحملة إلى الجانب الآخر من النيل ، وهذا يشير إلى أنه كان بمثابة رئيس أركان الحملة حسب المفهوم العسكري الحديث .

— وقد اعترف القائد جوهر بأهمية اشتراكه في الحملة ودوره الإيجابي ، ولمح إلى دواعي اختيار الخليفة المعز لدين الله له دون غيره إذ خاطبه بقوله « لهذا اليوم أراك المعز لدين الله » (133) .

— وقد انتدب جعفر ، لكي يتتبع فلول الكافورية والأخشيديّة ويضم بلاد الشام إلى النفوذ الفاطمي ، وهذا يعني أن جوهر كان يعترف بقيمته الخاصة وأهميته لكي يضم قطرا متسعا ويقف فيه حارسا له ولمصر ، من قايا عناصر السلطة القديمة ومن أطماع القرامطة وتطلعات العباسيين ، وأقارات الروم البيزنطيين (134) .

— ويلاحظ أن المنافسة بين القائدين كانت قوية ومثلت أحد العوامل لترشيح جعفر لمهمة في بلاد الشام ، إبعادا له من مصر (135) .

ومع ما كان يوجد من تنافس فإن جوهر حرص على إرضاء مساعده ومشاركته عاطفيا ، فقد حضر جنازة أحد أبنائه في مصر اعتبارا لشخصه كما حضرها كبار القادة من الكافورية والأخشيديّة (136) . ويلاحظ أن هذا الابن الذي توفي في مصر كان أحد أبناء جعفر الأربعة الذين صحبوه أو الحقوا به فيما بعد وهذا في حد ذاته يبرهن على أن هذا القائد الكتامي كان كبير السن نسبيا ، عندما اشترك في الحملة ، وقد ظهر دور أحد أبنائه في ميدان القيادة مباشرة ، وهو أبو محمود إبراهيم .

— ولو لم يكن جعفر في مستوى القيادة وعلى درجة لا تقل عن قيمة جوهر ما تطلعت نفسه إلى الرئاسة العليا وإلى الاستقلال ببلاد الشام عن التبعية لجوهر في مصر ، فقد حرص على الاتصال مباشرة بالخليفة المعز لدين الله في المنصورية دون وساطة جوهر .

وإذا كان الخليفة المعز قد سار في خط معين لم يتزحزح عنه ومن ثم كره تصرفات جعفر ، ووقوعه في جوهر ، وسارع إلى رد رسائله ، ولامه وحثه على الكتابة إليه عن طريق القائد الأعلى ، فإنه أوضح له أن حسن

133 - أبو المحاسن : المصدر السابق 31،4 .

134 - نفسه 4 ، 27 ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 41 - 42 .

135 - علي إبراهيم حسن : تاريخ جوهر 39-40 .

136 - المقرئزي : اعطاء الحنفا 118،1 .

التدبير لا يقتضي استفساد قلب جوهر مع إخلاصه للنظام ، وثباته على العهد « قد أخطأت الرأي لنفسك ، نحن أنقذناك مع قائدنا جوهر ، فكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه ، ولا تتجاوز به بعد » (137) .

وعندما اتضح للمعز لدين الله ما بين القائدين من تنافس وجفاء ، وكان يعرف قيمة جعفر وطموحه إلى السلطة والاستبداد بالأمر لم يشأ أن يوسع الهوة بينهما بتفدية طموح جعفر لئلا يفضب جوهر ، ونظراً لأهمية كل منهما للنظام الفاطمي فقد التزم الخليفة بالمبدأ الذي رسمه من قبل وهو إضفاء كل الأهمية على قائده جوهر وفي نفس الوقت أرضى خاطر جعفر ، بتمجيد دوره وخاطبه بقوله « فلسنا نفعل ذلك على الوجه الذي أردته وان كنت أهله عندنا » (138) .

— لم تشر النصوص إلى صفاء الجوين القائدين ، ولذلك لم يطلب جعفر نجدات من جوهر ، كما لم يخف الأخير ، لمساعدته عندما لاحت الأخطار .

— وكانت هزيمة جوهر بعد ذلك في ميدان الشام بسبب تخاذل كتامة بمثابة الثار الذي استوفاه رجال هذه القبيلة منه لموقفه المعادي لأكبر قادتهم في بلاد الشام ، وكان أبعاده تدريجياً عن مركز النفوذ بعد سنة 364 هـ / 974 - 975 م تدبيراً سياسياً خاصاً قصد به ترضية أسرة ابن فلاح ، التي استاءت من موت رئيسها في ظروف محزنة ، كما كان بداية لسياسة جديدة بمقتضاها ، بدأ اصطناع وجوه جديدة عوضاً عن القادة القدامى الذين استنفدوا طاقتهم وأدوارهم ، وهذه السياسة أدركها جوهر وعبر عنها في قوله للحسن بن عمار الكلبي ، « لكل زمان دولة ورجال ، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا » (139) .

— وكان ابن فلاح أحد الجعفرين (140) اللذين مدحهما ابن هانيء شاعر المعز لدين الله في قوله :

137 - نفسه ، الخطط 1 ، 378 .

138 - نفسه .

139 - القرظي ، الخطط 1، 379 . وقد جرى ذلك عندما أمر الجميع بالترجل لمنجوتكين وظهر الانفعال والتائر على القائد الكلبي الذي زفر زفرة كادت تنقطع لها نياط قلبه .

140 - وعن جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي أمير الزاب : انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان 1، 311 ، ومقال لوتورنو عنه في دائرة المعارف

EI. Art Djafar T. I p. 383 2^e Edition

وفيه يقول ابن هانيء :

ويا ملك الزاب الرفيع عماده
على ملك الزاب السلام مسرددا
بقيت لجمع الجسد وهو فريق
وربحان مسك بالسلام فتيق
انظر قصيدة رقم 66 ، ص 82 من « حوليات الجامعة التونسية » شعر لابن هانيء
لم ينشر ، عدد 6 سنة 1969 .

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح اطيّب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت اذني باحسن مما قد رأى بصري

وبما أن ابن هانيء قد قتل غيلة في برقة ، أي لم يقدر له اللقاء بابن فلاح في مصر ، فضلا عن بلاد الشام ، فإن المؤكد على كل حال أن يكون مدحه له في فترة مبكرة ، دليلا على ظهوره في الميدان السياسي والعسكري كشخصية قوية في عصر المعز ندين الله وذلك قبل أن يشترك في الحرب في ميدان مصر والشام ، وكان اللقاء بين الشاعر والقائد قد تم في أرض المغرب تأكيدا حسب اشارة الشاعر نفسه (141) .

— وما أشار اليه ابن هانيء عن قيمة جعفر بن فلاح ، أكدته بعض النصوص التي اوضحت بأن ابن فلاح لم يكن فقط قائدا عسكريا ماهرا وإنما كان أيضا شاعرا قديرا له عواطف رقيقة خاصة تجاه أهل البيت وعنصر الاشراف حتى أن عدوه القرمطي بكاه بعد قتله ، تأثرا واعترافا بقيمته (142) .

ولعل هذه الاعتبارات جميعها تؤيد ما نعتقده من ظهور جعفر بن فلاح في ميدان المغرب قائدا كبيرا لا تقل أهميته عن زيري بن مناد ، ولا عن جوهر الصقلي ، الذي حظي بالقيادة العليا في المغرب وفي مصر ، عن غير اقتناع من القائد الكتامي الذي حاول من مركزه في بلاد الشام أن يبرهن للخليفة المعز لدين الله على أنه أهم من غيره اخلاصا للنظام ونجاعة عند الاخطار .

وقد لا يبعد عن الصواب القول بأن الخلفاء الفاطميين بعد الذي جرى لهم مع كتامة أصبحوا يحتاطون من طموح قادتهم ويجاهدون من أجل ابعادهم عن مراكز التوجيه العليا ، خوفا على سلطانهم أن يتأثر لان كتامة يدلون على الخلفاء بسبب دورهم التاريخي في نصره الحركة الاسماعيلية وكونهم

141 - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4 ، 31 هامش 3 . ابن خلكان : المصدر السابق 112، 113 ، ابن الأبار ، الحلة السراء ، 434 . ط . بيروت 1962 .
الجيلالي : المرجع السابق 118، 119 ، العيني : عقد الجمان 19 (ق 2) ورقة 247 - 248 .

142 - أبو المحاسن : النجوم 4، 33، 58-59 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ورقة 190 ،
العيني : المصدر السابق والورقات ، وقد نسب اليه شعر وجهه الى يعقوب بن
كلس منه :

مد نظرت عينه الى عدي
تقبيل كف له ولا قسم

ولي صديق ما سني علم
اعطى وافنى ولم يكلفني

لقبال : اسرة ابن فلاح الكتامية 43 مقال : مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر عدد
1970، 2 .

أقدم عهدا بها إذا قيسوا بطبقة الفتيان الصقالبة الذين كانوا غرباء عن البيئة ومفتقرين الى التاريخية والى العصبية ومن ثم كانت لا تطمح نفوسهم الى شيء مما تطمح اليه نفوس الكتاميين ، وكانوا يرضون دائما بدور التابع الدليل ، ولذلك استصفاهم الخلفاء واعتمدوا عليهم اعتمادا كليا حتى بلغ منهم قيصر ومظفر مكانة كبرى في عصر المنصور والمعز ، ومثلهما جوذر الذي كان مستودعا لثلاثة أئمة وناب عن المنصور في تسيير سياسة الدولة وكان عمدة المعز في التعرف على سير الحياة السياسية والإدارية ، ولو امتد به العمر لكان له شأن كبير في مصر ، ثم هم المعز لدين الله باستخلافه على بلاد المغرب بعد رحيله لولا امتناعه ، ورغبته في البقاء الى جانبه في مصر كما أشرنا .

وظواهر التجديد في القيادة واصطناع الوجوه الجديدة والتركيز على غير العرب ، والبربر ممن مسهم الرق ولم تكن لهم عصبية سارت مع الخلافة الفاطمية منذ قيامها في بلاد المغرب حتى سقوطها في نهاية الامر . (143)

وتشير بعض النصوص الى أن جوهر الصقلي ، كان اول من اطلع على اتجاهات المعز لدين الله ، في التمهيد لظهور عنصر الأتراك في الحياة السياسية للخلافة الفاطمية في مصر ، ذلك أن هذا الخليفة أسر لجوهر بمناسبة تقديمه أحد الغلمان الأتراك اليه بقوله : « يكون عندك مكتوما حتى ترى أنه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس ، تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة ، ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره » (144) . وعلى ذلك فما تم في عهد العزيز بالله كان تنفيذا لرغبة والده أو تحقيقا لما تكهن به وأضحى منجوتكين في عهده ، مثل جوهر في عهد والده .

ويرتبط بشخصية جعفر بن فلاح ، تحقيق اسمه الكامل ، فقد جاء في أغلب المصادر التي أشارت اليه مختصرا ، أي على النحو التالي « جعفر بن

143 - واعتماد الخلفاء على الأسر الكبيرة كان ظاهرة أخرى خاصة في بلاد المغرب ، ومن هذه الأسر ، أسرة ابن خنزير وأسرة الكلبيين ، وأسرة النعمان وأسرة ابن أبي المنهال ، وأسرة ابن فلاح وأسرة ابن ثعبان . وبعض هذه الأسر امتد نشاط أفرادها الى مصر وبلاد الشام ، وأزمع بأن هذه الظاهرة تطبع الحكم الفاطمي بصفة « الأرستقراطية الإقطاعية » . وكان القدر المشترك بين هذه الأسر أو عنصر الوحدة هو الولاء للخليفة الفاطمي ، الإمام المعصوم الذي ينتمي الى عترة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

144 - القرظي : الخطط 1 ، 379 ، وقد روى جوهر هذا القول ليخفف من ألم أبي محمد الحسن بن عمار الذي أمر كفره بالترجل لمنجوتكين التركي .

فلاح الكتامي» (145) . ويضيف بعضها اليه كنية أبي علي ، لان أحد أبنائه يعرف بهذا الاسم (146) . بينما تذكر بعض النصوص كنية أخرى لهذا القائد فهو أبو الفضل (147) ، وهو فيما يبدو اسم أحد أبنائه الذي توفي في مصر وحضر جنازته كبار رجال الدولة بما فيهم القائد جوهر (148) ، لأنه لم يظهر له دور ما في مصر أو بلاد الشام على عكس أخوته علي ، وإبراهيم وسليمان ، ونجد اسمه أكمل من ذلك في بعض النصوص التي تشير إلى جده ، أبي مرزوق (149) .

وإذا كان جوهر قد اعتمد على مساعده جعفر في ضبط الأمن في مصر حتى استشعر منه الخطر فرماه مع قلة من عصبته إلى ميدان الشام للاحاقه بسلطان الخلافة الفاطمية ، حيث كان يرجو أن يتحطم كبرياؤه وتنكسر حدة طموحه لما يعرف عن طبيعة المنطقة وعن الحياة السياسية المضطربة في أرجائها ، بسبب تقلب أهواء السكان ونفوذ الأخشيديّة وادعاءات القرامطة وتأثير العباسيين وضغط الروم وتلاعب الحمدانيين (150) ، وشغب الأعراب ، فان الملاحظ أن ذلك ان كان يتسق مع السياسة العامة للدولة الفاطمية ، فان المسؤول عن ذلك هو المعز لدين الله الذي اجتمع مع قائده أكثر من مرة ورسم له خطة العمل وبيّن له عناصر السلطة الجديدة في مصر ، وهم المغاربة ، مع الذين أخذوا بالذهب الاسماعيلي أو أظهروا الرغبة في التعاون مع رجال العهد الجديد .

145 - ابن عداري 1 ، 315 - 316 . ابن خلدون : المعبر 4، 100 - 101 ، القرظي الخطط 1 ، 378 ، الزركلي : الاعلام 6، 71 . حسن إبراهيم : الدولة الفاطمية 153 هامش 1 . عمر كمال توفيق : العدوان الصليبي على الشرق 69 ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 109 . E.I. Art Fatimides, T. 2, p. 94 .

146 - ابن خلكان : المصدر السابق 1 ، 113 ، الجيلاي : المرجع السابق 1 ، 317 ، (نقل عنه) ط ثانية 1965 .

147 - ابن الأبار : الحلة السراء 434 ترجمة رقم 145 .

148 - القرظي : اتمام 1، 118 ا س 3 .

149 - نفسه 1، 120 س 4 . وما يلاحظ أن ابن عداري 1 ، 263 ، أشار إلى قائد باسم لمون بن فلاح . أما نسبة جعفر بن فلاح لفرع من بين فروع كتامة ، فتبقى لغزا محيرا ، غير أنه لا يستبعد أن يكون من بين عناصر مساعده أو ذنهاجة الذين هاجروا إلى مصر بأعداد ضخمة وعرف من بينهم قادة كثيرون استاصل منهم الحاكم بأمر الله مجموعة والحق بهم على بن جعفر بن فلاح في ظروف غامضة .

150 - القرظي : اتمام الحنفا 1 ، 98 ، حيث يشير إلى رأي المعز لدين الله في بني حمدان .



وقد احتفظ جوهر بأغلب الموظفين في العهد القديم ورأسهم الوزير ابن الفرات ، لكنه اشرك معهم في المسئولية عمالا مغاربة (151) ، كانوا بمثابة عيون ورقباء للنظام الجديد ، وفي نفس الوقت كانوا يتدربون على فن التسيير الإداري ، تمهيدا للمرحلة التالية التي استبدوا فيها بسائر مراكز السلطة (152) .

ولم يترك الخلفاء الفاطميون في بدء حياتهم في مصر ، فرعا من فروع الإدارة المدنية أو العسكرية دون أن ينتدبوا للإشراف عليه عناصر من بين كتامة أو غيرهم من المغاربة ، فكان من بينهم عمال الخراج والشرطة وولاية بعض الأقاليم والمحتسبون وقضاة المظالم . ومن بينهم من بلغ مرتبة « نائب الغيبة » عند خروج الخليفة عن مصر لمباشرة الحرب ومنهم من كان له رأي في النص على حجة الإمام ، وبلغ بعضهم خطة الوساطة وهي صورة من الوزارة في العصر الفاطمي .

وقد ولي الحسبة في مصر الفاطمية ، سليمان بن عزة ، الذي اشتهر بالشدة مع فئات التجار والصارفة حتى اظهروا عداوتهم للنظام ، وهم جوهر بتأديبهم واحراق رحبة الصيارفة ، لولا خوفه من انتشار اللهب الى المسجد الجامع (153) . وبسبب قسوته عزل عن الخطة اكثر من مرة ، ثم ابعد عنها منذ شهر محرم 363 هـ وتولاها يعقوب بن كلس بالاشتراك مع عسلوج بن الحسن الدنهاجي (154) حتى محرم 364 هـ حينما افردت بوال مستقل من كتامة هو عبد الله بن ذلال (155) . كما وليها فيما بعد حميد بن المفلح (156) في عصر العزيز ، وردت في سنة 383 هـ / 993 - 994 م الى النوبة النصراني ضمانا وقبالة (157) ، وفي 414 هـ / 1023 - 1024 م وليها داوود بن يعقوب الكتامي ، مع الاسواق والسواحل ، فنزل الى مجلس الحسبة في مصر وهو على ابهة عظيمة ، ودبر الاسعار عوضا عن سلفه (158) .

151 - نفسه 1 ، 119 ونص كلامه « ولم يدع عملا الا جعل فيه مغربيا شريكا له فيه » .
عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 96 - 97 ، النويري : نهاية الأرب 26 ، ورقة 41 .

152 - عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 99 ، وقارن ذلك بما ورد له في : ظهور خلافة الفاطميين 291 .

153 - القرظي : انعاش الحنفا 1 ، 132 .

154 - نفسه ، 1 ، 144 .

155 - نفسه ، 1 ، 216 .

156 - نفسه ، 1 ، 276 .

157 - نفسه ، 1 ، 277 .

158 - نفسه ، 2 ، 135 ط 1971 .

وتولى خطة المظالم في مصر ، أبو سعيد عبد الله بن أبي ثوبان ، وكانت سلطته ، وأحكامه في البدء مقصورة على المغاربة ثم تناولت المصريين فحكم بينهم وسجل أحكامه ، وكان « الشهود المصريون يشهدون عنده ، ويشهدون على أحكامه » على خلاف التقاليد القديمة (159) وكان ابن أبي ثوبان يكتب على سجلاته لقب « قاضي مصر والأسكندرية » وقد استمر على وضعه حتى توفي في ذي القعدة 364 هـ / يولييه 974 م . ويلاحظ هنا أن النعمان بن محمد ، لم تكن سلطاته تشمل المغاربة بخلاف ابن أبي ثوبان الذي تجاوز المغاربة إلى الحكم بين المصريين ، ويبدو أن ذلك كان معروفا عند المعز لدين الله الذي لم يخاطب عليا بن النعمان بالقضاء إلا بعد وفاة ابن أبي ثوبان (160) ، مع أن أباه توفي منذ فترة طويلة (161) .

وتولى خطة الشرطة في مدينة القاهرة (الشرطة العليا) جبر بن القاسم المسالتي (162) ، وتولاها في القسطنطينية (الشرطة السفلى) عروبة بن إبراهيم ، وأصبح النظر في الشرطتين من اختصاصات عسلوج بن الحسن الدهاجي ، وابن كلس (163) ابتداء من محرم 363 هـ / أكتوبر 973 م . وقد عهد إلى جبر بن القاسم في بداية 364 / 974 - 975 ، بالإشراف على الشرطتين ، لأنه كلف بأن يعمل على اجلاء المغاربة من مدينة القسطنطينية ، وتجميعهم في مدينة القاهرة ، (164) . وقد لاحظنا من قبل كيف أن المعز لدين الله ، قرب جبرا ، وأودعه سر النص على حجة عبد الله ، أما في عهد العزيز فقد بقي لفترة يتصرف في شؤون مصر كلها ، أثناء الحرب ضد افتكين وحينما نكب ابن كلس ، ردت اختصاصاته إلى جبر بن القاسم (165) . وعندما عين على عدة أقاليم منها تنييس ، ودمياط ، والفرما وغيرها ، لم ينتقل عن القاهرة وإنما استخلف ابنه ، وكاتبه للنظر في شؤون هذه البلاد ، ويلاحظ

159 - نفسه ، 1 ، 138 ، ابن ميسر : أخبار مصر 2 ، 44 ، ابن حجر العسقلاني : رفع الأصر عن قضاة مصر 587 . ملحق كتاب الولاة والقضاة للكندي ، ابن أبيك الواداري : الدرر المضية 6 ، 131 .

160 - نفسه ، 1 ، 223 ، ابن ميسر : المصدر السابق ، 2 ، 47 . عطية مشرفة : نظم الحكم 266 .

161 - نفسه ، 1 ، 215 ، ابن ميسر : المصدر السابق 2 ، 46 ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، 1 ، 141 .

162 - القرظي ، اتعاط الحنفا 1 ، 150 وقد صحف إلى خير فيما يبدو .

163 - نفسه ، 1 ، 144 .

164 - نفسه ، 1 ، 150 ، 216 .

165 - ابن ظافر : أخبار الدول المتقطعة . ورقة 53 - 54 ، ابن الصيرفي ، الإشارة فيمن نال الوزارة 89 - 90 .

أن الدار التي كان يسكنها هي التي آلت فيما بعد إلى البطاحي الوزير (166) .

أما الإدارة المالية فقد تولاهما بالاشتراك مع ابن كلس ، عسلوج بن الحسن الدنهاجي ، فكان نظرهما (167) يتضمن الخراج والضياح والأحباس ، وجزى أهل الذمة والمواريث وبسبب سياسة الخراج والضبط عرف مقدار دخل الضياح كما راقب العمال والمتقبلين ، واشتد على المدينين للدولة ، وطبق بشدة سياسة الدولة تجاه العملة ، وكانت نتيجة جهوده ، رغم أرهاق الناس ، واعانتهم ، حسنة بالنسبة لخزينة الدولة ، فتوفرت الأموال وتنافس المتزعمون من أجل الظفر بالقبالة ، وكانت هذه الأموال بمثابة تعويض عما فقدته الدولة من مبالغ خيالية ، لم يكن يعرف سرها غير المعز لدين الله وخازن بيت ماله وهو محمد بن الحسين بن مهذب (168) .

وقد استمرت الإدارة المالية شيوعا بينه وبين ابن كلس حتى أواخر ذي القعدة 364 هـ وأثرها انفرد عسلوج بالديوان وبالنظر في وجوه الدخل كلها (169) .

وكان عسلوج بن الحسن أحد الأفراد القلائل الذين رأوا المعز لدين الله قبيل وفاته ، وطالبوه بتوضيح قضية النص ، فتأثر من موقفهم ولم يجبههم وقال لهم « قابلتموني بما لا يجب » (170) وقد استمر عسلوج قويا ظاهر النفوذ ، اعتمادا على عصبيته الدنهاجية حتى عصر الحاكم بأمر الله .

وفي ميدان حكم الأقاليم كان لكتامة حظ كبير ، فكان من بين رجالها عمال طرابلس وسرت وأجدابية وبرقة ، وأسوان وكثير من مدن بلاد الشام الداخلية والساحلية .

ومن هؤلاء كان حمزة متولي مدينة أسوان ، في عصر العزيز بالله ، طموحا إلى الاستبداد بالسلطة إلى حد أنه مال إلى الانفصال عن الخلافة وخلق متاعب للدولة ، في الوقت الذي كانت فيه منصرفة إلى الحروب الخارجية

166 - ابن الصيرفي : المصدر السابق 89 - 90 ، محمد النياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي 241 - 242 (نقلا عنه) .

167 - ابن أبيك النوادري : المصدر السابق 6 ، 131 .

168 - القرظي : اتعاف الحنفا 144 ، 145 ، 146 - 147 ، 230 ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، 1 ، 113 ، وما بعدها .

169 - القرظي : اتعاف 223 .

170 - نفسه 229 وقد وصف هنا بالقائد وكان معه في الوفد : ابن كلس ، والفتح بن ناشب ، وطارق الصقلي ، وجوهر الذي أكره على الاشتراك .

في بلاد الشام ، وقد تكفل باخماد ثورته ومصادرة امواله جعفر بن محمد بن أبي الحسين الصقلي ، الذي استنصحه معه الى القاهرة حيث تم قتله على يد ائتكين الذي أخذ امواله انعاما من العزيز بالله عليه (171) . وقد استمر كل من ابن يخلف وأفلح بن ناشب على طرابلس وبرقة حتى عصر العزيز (172) .

وقد ارتفع شأن الحسن بن عمار ، وظهر غناؤه في اخماد حركات الشغب في الداخل ، وفي مواجهة حركات القرامطة وقد هيا له الخليفة العزيز مكانة مرموقة في الدولة ، فكلفه بتدبير الاموال ومحاسبة ارباب الدواوين والنظر في الشكاوي وما يحتاجه جمهور السكان ، فنهض بهذه المهمات الكبرى لفترة ، ثم توالى عليها الفضل بن صالح (173) ، ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات ، الذي أعفي من المهمة استجابة لرغبته ، وبينما حوسب ، وألزم بدفع اموال لخزينة الدولة (174) ، لم يمس ابن عمار بأي اذى ، بل حفظ له العزيز مكانته في الدولة وأبقى على امتيازاته وأقر له مخصصات شهرية ويومية لمعاشه ، وكانت عبارة عن خمسمائة دينار للحم والحيوان ، والتوابل والفاكهة ، تدفع له شهريا . كما كان يرسل اليه كل يوم سلة فاكهة بدينار ، ثم عشرة أرطال من الشمع وحمل ثلج كل يومين . واستمر هذا التقليد في عصر الحاكم بأمر الله (175) .

ويلاحظ أن حظوة كتامة واشراف قاداتهم على قطاعات مهمة في الادارة المصرية منذ عصر الفتح ان كان ينسجم مع تقاليد الخلافة الفاطمية ، فانه لم يخل من اضرار وسيئات انعكست آثارها على المجتمع المصري ، لا سيما جماهير السنة منه ، لان رجال كتامة ، فضلا عن كونهم يفتقرون الى الثقافة الرفيعة والى الادراك الحسن لوضعية السكان في مصر ، كانوا متعصبين للمذهب الاسماعيلي ولا يتركون فرصة دون ان يظهروا مشاعرهم المعادية لأهل السنة ولسائر السكان المخالفين لهم في المذهب ، مثلما جرت عادة اسلافهم في بلاد المغرب ، وفي حواضره السنية الكبرى ، فكانوا هنا ، وهناك

171 - نفسه 245 - 246 .

172 - نفسه 249 ، ومنذ سنة 384 هـ ولي برقة صندل الأسود الذي قام بجهود كبرى لفائدة الدولة بمدنها بالاموال وبمساهمة كبرى من اجل اعادة بناء الأسطول الفاطمي الذي احرقه الروم في ميناء القس . انظر اتعاط 1 ، 281 ، 285 ، 290 .

173 - نفسه 277 .

174 - نفسه 279 .

175 - ابن منجب الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة 86 .

يجدون التشجيع والسند القوي من النظام ، الذي لم يلتزم اطلاقا بما قرر في وثيقة الامان ، فكان جوهر القائد هو اول من تجاهلها واطهر اتجاهاته الجديدة في ارساء تقاليد المذهب الاسماعيلي في الاذان والامامة والخطبة ، وصلاة الجنائز ، وفي الأعياد وتجاهل المعز لدين الله رغم كراهيته للتعصب وانكاره تطرف كتامة - ما جاء في الوثيقة ، فشجع على طلب التشيع من الجماهير واقام مجالس الدعوة الحكيمية في مساجد مصر الجامعة ، وهي الجامع العتيق وجامع ابن طولون وجامع القاهرة .

واسند القضاء الى فقيه الشيعة النعمان بن محمد الذي شارك ابا الطاهر القاضي السني في سلطانه ، وطفى عليه وكان قاضي المغاربة هو علي بن وليد الاشبيلي الذي صلى وراءه جوهر القائد اول عيد قطر في مصر بعد فتحها (176) ، وقد استمر على الخطة حتى وفاته في نهاية محرم 362 هـ (177) ، وقد توالى على القضاء بعد موت النعمان بن محمد ، وابن ثوبان ، رجال من اسرة النعمان القاضي ، اولهم علي بن النعمان قاضي القضاة الذي تمخض القضاء في عهده فأصبح شيعيا ، واختص بالعزيز بالله ، اختصاص ابيه بالمعز لدين الله (178) . وباشارة استحسان من هذا الأخير ، أصبح الاحتفال بيوم الغدير تقليدا من تقاليد الدولة الفاطمية حتى سقوطها على يد صلاح الدين بن أيوب (179) .

وكان يوم الغدير ، مناسبة كبرى لاطهار الزينة والسرور ، والتقرب الى الله بمختلف انواع القربى والصدقات . وقد حرص أهل السنة منذ 389 هـ / 998 - 999 م ، لا سيما في بغداد حيث يحتفل بعيد الغدير على ابهة كبيرة ، على الاحتفال بيوم دخول الرسول وابي بكر غار ثور وكان يوافق يوم ستة وعشرين من شهر ذي الحجة (180) .

176 - القرظي : اتعاظ الحنفا ، 116 ، 1 .

177 - نفسه ، 1 ، 143 هامش 2 .

178 - الكندي : الولاة والقضاة 589 - 591 ، 494-495 ، ابن حجر المسقلاني : دفع الاصر 407 - 409 . ومن اقوى المعارضين لنفوذ آل النعمان وكتامة والمغاربة عموما ابو الفرج يعقوب بن كلس ، عبد النعم ماجد : نظم دولة الفاطميين ، 1 ، 141 - 142 .

179 - القرظي : اتعاظ 10 ، 142 هامش 3 ، 273 ، 276 ، 284 ويوافق 18 من شهر ذي الحجة ، ماجد : نظم الفاطميين 2 ، 126 - 128 .

180 - نفسه : الخطط 1 ، 388 - 389 ، وهنا يذكر تفاصيل كثيرة عن مراسيم الاحتفال بعيد الغدير ، نقلا عن المؤرخين المعاصرين ومنهم المسبحي ، وابن زولاق ، جمال سرور : الدولة الفاطمية 80-81 .

وتعصب المغاربة ورجال كتامة كان يحيل زيارة مشاهد آل البيت ثم الاحتفال بيوم عاشوراء وهو مناسبة حداد وحزن على الشهداء الى مظاهر العنف والاعتداء على جماهير اهل السنة وكل من لم يظهر التضامن معهم في البكاء واظهار الالم أو بدا عليه مظهر السرور واليسار والاناقة حتى السقاؤن كانوا لا يسلمون من اعتداء الشيعة الذين كانوا يشقون (الروايا) ويكسرون الأواني ، وكانت ردود الفعل السنية تأتي أحيانا في صورة احتجاج بفلق الدكاكين وتعطيل حركة الأسواق ، أو في صورة التحام مع الفلاة والمتشيعين الذين قويت روحهم المعنوية وعظم نفوذهم بانتقال المعز لدين الله الى مصر .

ولولا أن هذا الخليفة كان يكره التطرف ، ويحاربه كما أشرنا لوقعت كوارث كبرى في مصر بسبب نزاع طوائف المجتمع ، تجعل النفوذ الفاطمي في مصر محفوفًا بالأخطار معرضا للهزات مثلما كان حاله في بلاد المغرب بسبب معارضة المالكية وطوائف السنة والاباضية أيضا .

وقد وقف الى جانب العدل والتسامح المذهبي كثير من قادة الدولة ومنهم الحسن بن عمار وجوهر وسعادة بن حيان الذين حالوا دون تكرار حوادث العنف والاصطدام بين المغاربة وجمهور السكان (181) .

ولادراك جوهر القائد بأن كتامة وسائر المغاربة متطرفون مذهبيا ويميلون الى السلب والنهب والاعتداء على حرمان الناس ومساكنهم تحت ستار الخلاف المذهبي ، منعهم من الاختلاط بهم وحظر عليهم أن يسكنوا القسطات أو القاهرة وتتبع الفوضويين منهم بالعقاب الشديد ، وكان يراقبهم مراقبة دقيقة حتى كان مناديه كل عشية يذكرهم جهارا أمام الملا من السكان ، بما قرر من منعهم من البيت في المدينة .

وقد أشرف المعز لدين الله بنفسه بعد أن عرف حقيقة علاقتهم بالسكان ، وشكوى الآخرين منهم على اختيار مكان لبناء معسكرات خاصة بالمغاربة في ضواحي عين شمس ، بعيدا عن المدينة . وهو الذي عرف بالخندق أو الحفرة كما عرف بخندق العبيد تغليبا ، لوجود عبيد زويلة ضمن الجيش الفاطمي مع كتامة وغيرهم . وقد رصد الأموال للبناء ، كما عين مشرفا خاصا

181 - نفسه ، اتعاف الحنفا 1، 145 - 146 . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4 ، 14، 18، 25، الذهبي : المصدر السابق 3 ورقة 189 . وقد أطلق على تصرفات الشيعة يومي عاشوراء والفدير مصطلح « الشعار الجاهلي » ، ابن ميسر : أخبار مصر 2 ، 45 . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 2، 128-129 .

بالمغاربة ، في هذا المكان (182) . ولم يفد هذا الاجراء في الحد من نشاط المغاربة ضد السكان لأن عناصر منهم بقيت داخل الفسطاط ، كما تراجع المعز لدين الله تحت ظروف خاصة وسمح لهم بسكنى مدينة القاهرة وجمع سائر المغاربة في المدينة حتى الذين بقوا في الفسطاط ، إذ أمر المعز صاحب الشرطة باجلائهم عنها واسكانهم مع بقية اخوانهم في القاهرة (183) .

كما أمر بالتشديد على عناصر الفوضى والشغب وتأديبهم حسب ما ارتكبوه من جرم في حق السكان أو الدولة (184) . ويبدو أنه عمل أيضا على الحد من تطرفهم وغلوهم المذهبي (185) ، ومن ذلك أنهم كانوا يعتقدون بعد اختفاء المعز لدين الله لمرضه ، أنه في السحاب فكان أحدهم إذا رأى سحابة ، ترجل ، وأوماً بالسلام (186) . وإذا رأى طائرا سجد له اعتقادا منه بأن روح المعز لدين الله حلت فيه (187) .

وقد استمر نشاط كتامة في اطار الولاء للدولة بعد وفاة المعز لدين الله ، غير ان دسائس ابن كلس ، وكان يكره نفوذهم ويقف ضدهم وضد العناصر المغربية هي التي مهدت لاصطناع العزيز بالله لوجوه جديدة من بين الأتراك والديلم ، بقصد حفظ التوازن في الدولة ، والحد من نفوذ كتامة وخطرهم . واحساس هؤلاء بالأبعاد الجديدة لسياسة الدولة في عصر العزيز هو الذي انعكست آثاره في ظهور حركات العصيان والشغب وعدم الاخلاص في مواجهة الأخطار وكانت هذه مظاهرا لضغط التي قصد بها رجال كتامة التعبير عن كراهيتهم للسياسة الجديدة ولم يتورعوا عن إثارة النزاع مع عناصر الأتراك والديلم ، لأحداث الفوضى والارتباك ، وتماديهم في الضغط ، وفي الأعمال السيئة ، هو الذي دفع العزيز بالله الى الخروج عن اطار صمته ، فقد أوضح لأحد رجاله ، وهو رشيق الحمداني ، الذي سأله عن سبب غمه ،

182 - القرظي : تعاط الحنفا ، 145، 1 ، ابن ميسر : المصدر السابق 2 ، 45 . أما صيغة البناء فكانت « لا بيتن في المدينة أحد من المغاربة » . النوري : المصدر السابق ج 26 ورقة 45 .

183 - نفسه ، 150، 1 ، ابن ميسر : المصدر السابق 2 ، 46 .

184 - نفسه ، 1 ، 148 ، 223 .

185 - وتشير بعض النصوص الى أناس تركهم المعز لدين الله قبيل اختفائه ، بقصد تسقط الأخبار ، وعندما ظهر ، زعم أنه رفع الى السماء فافتن الناس بذلك وامتلأت قلوب الجهال والعامه منه رعبا وخوفا ، انظر ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 14 .

186 - القرظي : تعاط 1 ، 231 ، أبو العباس : النجوم ، 4 ، 71 ، العيني : المصدر السابق ج 19 (ق 2) ورقة 298 . السيوطي : حسن المحاضرة 2 ، 14 .

187 - العيني : المصدر السابق 19 (ق 2) ورقة 299 .

بقوله « كنت مفكرا في قوم أشجوا صدري ، وملأوا بالغيظ قلبي ، ولا أدري ما أعمل » ، وعندما اقترح رشيق قتلهم . أجابه العزيز « ما هذا يكون بيدي ، ولكنه والله سوف يجيء من يقتلهم ويقتلك معهم » (188) .

وشعور العزيز بالله بقوة كتامة وأهميتها في حراسة نظام الامامة بعد وفاته هي التي جعلته ، يستدعي ، وهو على فراش الموت في بلبيس ، الحسن بن عمار ، والقاضي محمد بن النعمان ويحدثهما في شأن النص على حجتة وولي عهده وهو ابنه وبعد ان تأكد من موافقتهما وإخلاصهما لاستمرار النص في بيته ، أوصاهما به ، كما أوصى ابنه ، وحدثه عن الأمانة التي ستصير إليه . وعندما توفي بعد يومين ، أعلن خبر موته ولم يكتم كالعادة (189) التي سبقت مع خلفاء الدور المغربي رغم أن الظروف كانت غير ملائمة في هذا الوقت .

وهذا الاعلان في حد ذاته ، يشير الى استقرار الأوضاع في مصر ، بسبب اخلاص كتامة ، وقوة جهاز الدولة ، واتفاق أصحاب الكلمة والنفوذ على ولاية الحاكم بأمر الله (190) ، وهم ابن عمار ومجموعة قادة كتامة الذين انزعجوا لموت العزيز بالله وأظهروا الحزن العميق عليه ، وقد تولى تفجير عواطف الحزن ، أحد أبناء أمراء كتامة الذي وقف وسط الجموع الحاشدة ، وارتجل شعرا سجل فيه الموقف الرهيب ، ثم اقتدى به سائر الحاضرين (191) .

وقد بلغ ضغط كتامة مداه في بداية عصر الحاكم بأمر الله حيث تأخر كثير من قادتهم عن البيعة وتجمعوا في المصلى في شبه مؤتمر ، واشتروا لاعلان ولائهم للخليفة الجديد ، مجموعة من الشروط بتحقيقهما ، تعود

188 - القرظي : المصدر السابق 1 ، 297 ، ابن عذاري : البيان ، 1 ، 339 ، ابن خلدون : العبر ، 46 ، 112 ، علي مبارك : الخطط التوفيقية 1، 9 ، النوري : نهاية الأرب ، 8-9 (خ ، المكتبة الأهلية باريس مجلد رقم 1760) .

189 - نفسه 1، 291 اس 2 - 4 ، الخطط 2 ، 36 ، ابن ميسر : أخبار مصر 2 ، 50 ، العيني : المصدر السابق 19 (3) ورقة 468 ، عطية مشرفة : نظم الحكم 83 .

190 - ويستثنى من ذلك أخته ست الملك التي أرادت تقديم ابن عمها عبد الله للامامة « وكانت مشتتة منه » . انظر ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 44 .

191 - القرظي : اعطاء الحنفا 1، 299 ، الخطط 2 ، 284 ومما قاله الكتامي :

وما تم الاحساب كيف تقسام

للسفر وجه ترحل فالساموا

انظر الى العلياء كيف تقسام

خبرتني ركب الركاب ولم يدع

والقصة رواها القرظي عن ابن الأثير ، الذي نسبها بدوره الى أبي اللتيان محمد بن حبوس الشاعر ، وهو من أصل مغربي ، ويلقب « بالأمير » ، بسبب أن أباه كان من أمراء المغرب ، الذين استقروا في بلاد الشام . انظر عنه : ابن خلكان : وفيات الأعيان 4 ، 64 وما بعدها .

الأوضاع الى طبيعتها ويسترجعون مكانتهم وهيبتهم في الدولة ، التي نال منها ادخال عناصر الترك والديلم ، ودسائس ابن كلس ، وابن نسطوريوس ، ومن ضمن هذه الشروط :

— ان يبعد عيسى بن نسطوريوس عن المسؤولية العليا وان تكون الوساطة لرجل من المغاربة . وان تصرف لهم مخصصات مالية تقسط على ثمان مرات في السنة وان يبدأ التنفيذ فعليا في نفس اليوم ، ويكون بحضرة الخليفة .

وبعد اخذ ورد ، وتدخل الحسن بن عمار ، وبعض شيوخ كتامة لتحقيق الصلح بين الخليفة وعرفاء كتامة ، تحقق الاتفاق ، وأعطى للحاضرين ما يخصهم من أموال ، اما الغائبون ، فقد دفع ما ينوبهم الى عرفائهم . اما اعادة اعتبار كتامة في نظام الدولة ، وفي ممارسة المسؤولية ، فقد عبر عنه انتداب الحسن بن عمار للوساطة 386 هـ / 996 - 997 م برضا شيوخ كتامة الذين التزموا بالطاعة ، وارتبطوا باليمين ، كما ربطوا ابن عمار بها ، على ان يكون مخلصا وصادقا « فيما يؤديه عنهم » .

وقد راعى الخليفة الحاكم لابن عمار فضله في حل هذه الأزمة فأنعم عليه بلقب أمين الدولة وكنى بأبي محمد ، وخاطبه بقوله « انت أمين على دولتي ورجالي » ، فأصبح أول من حظي باللقب الشريف ، من رجال الدولة في العصر الفاطمي الأول ، كما قلد بسيف من سيوف العزيز بالله ، وأنعم عليه بخلع معتبرة ، وحمل على فرس بسرج مذهب وشيع الى داره في موكب عظيم ، وتولى قراءة سجل التولية والتلقيب ، القاضي محمد بن النعمان ، وفي هذا السجل ، بعض امتيازات قررت لأمين الدولة ، وأهمها ان يترجل له سائر كبار رجال الدولة ، حسبما جرت به العادة مع جوهر ، في عصر المعز لدين الله ومع منجوتكين في عصر العزيز بالله (192) .

وقد استعان ابن عمار في تسيير شؤون الخلافة بقيادة كتامة واتخذ له كاتباً خاصاً هو أبو عبد الله الموصلي ، كما أقر ابن نسطوريوس على ديوان

192 - القرظي ، اتعاذ ، 292، 1 ، ج 2 ، ص 54 ط 1971 ، الخطط 2، 12 ، 36 ، ابن ميسر : المصدر السابق 2، 53 ، ابن منجب الصيرفي : المصدر السابق 86 وما بعدها .
أبو الحاسن : المصدر السابق 4 ، 122 ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 78 - 79 ، 87 - 88 . النياوي : المرجع السابق 245 ، عطية مشرفة ، نظم الحكم 136 - 137 ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 3) ورقة 468 .

الخاص فترة (193) ، ثم ابعده وقتله في محرم 387 هـ (194) / يناير 997 م وخول لنفسه دخول القصر راكباً ، من الباب الذي خص بجلوس خدام الخليفة ، وكان يشق الدواوين ولا ينزل الا امام الحجرة التي يوجد فيها الخليفة ، ومنها يركب اذا اراد الانصراف .

اما داره فقد غدت مركز جذب لرجال الدولة ، والرؤساء ، والعامه ، الذين كانوا يبكرون كل صباح للسلام عليه ، فيدخل الوجوه ، وقادة كتامة ، وفق ترتيب خاص ، اما بقية الذين يزدهمون في البيت ، فيكتفي منهم بتقبيل الأرض ، أو بالايماء بالسلام ، ولا يسمح لهم بالقرب من مجلسه (195) .

فاذا ركب الى القصر ، تسابق كبار رجال الدولة ، الى تقبيل يده ، أو ركبته ، أو ركابه كل على حسب درجته أو قربه منه .

وقد استوى في الخضوع له ، والتعاون معه ، سائر العناصر من المشاركة ، والمغاربة ، الذين تناسوا خلافاتهم فترة ، وتضامنوا لازالة بعض مساويء الحكم التي اضررت بالمصريين وأساءت الى مظاهر العمران (196) .

وكان المشاركة يودون أن يستمر عصر الوفاق في نطاق تطبيق المساواة بين عناصر الأجناد ، ولم يكن ابن عمار سيئاً في حد ذاته ، ولم يكن يريد النيل منهم بعد أن أصبح سيد الموقف ، لولا كثرة ضغوط كتامة عليه واجتهاد رجالهم في استفساد نياته ، واستمروا في محاولاتهم للاضرار بمنافسيهم في السلطة حتى انحرف ابن عمار ، وسائرهم واتخذ منهم بطانته وحاشيته ، وبالع في تقريبهم ، وفي اغداق الاموال عليهم . وهياً لهم مراكز نفوذ في

193 - ابن ظافر : المصدر السابق ورقة 55 وما بعدها : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 44 ، ابن الأثير 9 ، 44 - 45 ، ابن ميسر : المصدر السابق 54،2 ، القرظي : اتعاط 6،2 ، يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 451 .

194 - ابن القلانسي : المصدر السابق 46 ، النياوي : المرجع السابق 245 ، القرظي ، اتعاط 2 ، 8 ، النويري 26 ورقة 50 .

G. Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne T. 4 p. 198

195 - القرظي : اتعاط الحنفا 11،2 ط 1971 .

196 - وقد وقف الكتاميون والأتراك ضد عبدة الشرا ، الذين اشعلوا الحرائق في الفسطاط تكاية في السكان ، الذين صنعوا للحاكم صورة امرأة من فراطيس وبيدها قصة تضمنت سبا مقلدا له ، وسخرية منه وبتضامنهم الفعال تبرأ الحاكم من فعل الصيد ، واوقفهم عند حدتهم ، واصدر اماناً للمصريين ، انظر : أبو العباس : المصدر السابق 4 ، 181-182 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقة 287 - 288 ، السيوطي : حسن المحاضرة 2 ، 14-15 ، ابن الأثير : الكامل ، 9 ، 117 ، النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 57 . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله 49 وما بعدها .

القاهرة ، وفي الأقاليم واتخذ لنفسه حرسا من الفرسان ، والأحداث
الكتاميين ، وليلهم الى الشغب والاستبداد ، لم ينتهوا عند حد ما قرر لهم ،
بل تطاولوا على رجال الدولة وامتدت أيديهم الى الأموال والحرمات ،
وضغطوا بشدة من أجل قتل الخليفة الحاكم والغاء نظام الامامة ، لولا أن
ابن عمار هون عليهم شأن الحاكم واستبعد أن يأتي من جانبه ما يخيف رجال
كتامة وقادتها . « وما قدر هذه الوزغة حتى يكون منها ما نخاف » (197) .

وقد خيل لابن عمار انه أصبح غير مراقب، ولذلك تصرف في اموال الخلافة
بحرية تامة ، كما فرق جوارى القصر على رجاله ، واعتق منهم ، وباع
بعضهن ، وقطع أرزاق ورسوم بعض منافسيه كما ضيق على الأتراك ،
ليرضى أحداث المغاربة في الجيش وسلك سبيل التقشف حتى في المطابخ
الخاصة (198) ، وضيق على الحاكم ، ولم ينتبه الى قوة منافسيه ،
وتأمرهم حوله حتى كان برجوان « يناكده فيما صدر عنه ، ويختص بطوائف
من العسكر دونه ، الى أن أفسد أمره » (199) .

وقد استغل برجوان تدمير السكان من أحداث المغاربة وسلبية ابن عمار
ازاء المتطرفين منهم وتصرف بحكمة كي يقضي على خصمه ، ويمهد الأمر
لنفسه ولعنصره ، كل ذلك تحت ستار المحافظة على استمرار الامامة ورعاية
وصية العزيز بالله في ابنه الحاكم بأمر الله ، وكانت الوسائل التي التجأ
اليها :

- التعاون مع شكر العضدي، في حراسة الحاكم ومراقبة ابن عمار مراقبة
دقيقة حتى « صارا على كلمة سواء ، في كل ما ساء ، وسر ، ونفع
وضر » (200) .

- التنسيق بين عنصر المشاركة في الجيش ، وبين كل من تضرر من
اجراءات ابن عمار ، وتصرفات أحداث المغاربة ، حتى فدا الأتراك والديلم
والعبيد على وفاق واستعداد للعمل ضد نفوذ المغاربة (201) عندما يتلقون
شارة البدء .

197 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 44 - 45 ، وكلام ابن عمار يعتبر ردا على قول
بعض المتطرفين من كتامة و « لا حاجة لنا الى امام نقيمه ونتعبد له » ، القرظي ،
انعاط الحنفا 2، 11-12 ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 44 ، النوري : المصدر
السابق 26 ورقة 50 ، يحي بن سعيد الأنطاكي : ذيل تاريخ سعيد بن البطريق
453 ط كراتشوفسكي وفازلييف .

198 - ابن ميسر : اخبار مصر 2 ، 55 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 45 ، عطية
مشرفة : المرجع السابق 99، القرظي : انعاط الحنفا 2، 11-12 .

199 - القرظي : الخطط 2 ، 3 .

200 - ابن القلانسي : المصدر السابق 45 س 8 ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 44 .

201 - نفسه ، 45 س 16-17 .

— التظاهر أمام ابن عمار بأنهما على الطاعة والولاء حتى يتمكننا من تعبئة القوى الداخلية بعيدا عن المفاجآت غير السارة .

— ولا يستبعد أن يكون على رأيهما ، بعض شيوخ كتامة الذين كرهوا إبعادهم عن السلطة وتقريب الأحداث (202) ، وتطرف ابن عمار في سياسته ، وهم الذين كانوا بمثابة عيون عليه ، وتصرفات جيش بن الصمصامة لا بد أن تكون صدى لهذا الاتجاه المعادي للتطرف .

— وعندما اطمأن برجوان على سير الأوضاع في الداخل وأن انصاره كثروا بسبب تمادي ابن عمار في الطغيان ، أرسل الى مولى العزيز ووالي دمشق منذ 381 هـ / 991 - 992 م ، وهو منجوتكين (203) يشرح له تطورات الوضع ويحثه على المجيء بسرعة لقمع الطائفة الباغية ، بمساعدة الأتراك والديلم ، والعبيد الذين يقفون الى جانبه ، « ويكونون معه اعوانا عليهم » .

ولم يتباطأ منجوتكين عندما بلغه الخبر ، بل اشرف بنفسه على التعبئة المعنوية (204) في الجامع الأموي ، وقد ساعده « السواد » ومشائخ البلد وأشرفه . « في كل جهوده وعبروا عن مساندتهم له في كل حركة ، تحفظ للحاكم سلطانه « ما فينا الا سامع لك مطيع لأمرك ، ومؤثر ما تؤثر ، وبأذل مهجته في طاعة الحاكم وخدمته ، وخدمتك ، ومهما رسمت لنا من خدمة ، وبذل نفس ، ومكنة كنا اليه مسارعين ، ولأمرك طائعين الى أن تبلغ منك وتدرك مبتغاك في نصره مولانا » وبفضلهم تمكن من تجنيد قوة كبيرة بلغت نحو ستة عشر ألف جندي .

وعندما بلغت ابن عمار أخبار هذه التحركات في دمشق عن طريق عيونه الذين كتبوا اليه « على أجنحة الطيور ومع أصحاب البريد » قلق من تطور الوضع على هذا النحو واستعد مع أولى الرأي وشيوخ كتامة لتلافي الأخطار ومواجهة حركة منجوتكين ، الذي صورته في صورة من عصى الخليفة (205) ، وثار ضد السلطة ، وانفصل عن الدولة في الشام مثلما صنع افتكين الشرايبي المعزي من قبل ، كي يعيب المشاعر ضده ويتظاهر بأنه ان سارع الى قتاله ، فانما ذلك بقصد الدفاع عن حقوق الامامة .

202 - ابن ميسر : اخبار مصر 2، 55 .

203 - نفسه ، 2، 48 ، القريري : اتعاظ الحنفا ، 1، 269 س 12 - 13 .

204 - ابن القلانسي : المصدر السابق 46 ، وقد اثر منجوتكين على جموع العاصرين بقوله : « وصار اخواننا المشاركة بينهم كاللذمة بين المسلمين ، وما يسعنا الصبر على هذه الصورة ، وتسليم الدولة الى هذه العصاة المتسلطة » . انظر ا س 1-3 .

205 - G. Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne T. 4 p. 196-97

وقد احضر اليه مشيري الشغب والمسؤولين عن الفتنة في بلاد الشام وهما
برجوان وشكر العضدي واستحلفهما على الطاعة وعلى « صفاء النية » ،
وخلوص العقيدة والطوية » ، واستأنف التعاون معهما لتهدئة الوضع
ولتطبيب نفوس المشاركة (206) ، ونفى امامهما أن يكون له هدف تخريبي ،
كالذي يشاع عنه ، وأوضح أن غرضه « حفظ الأمر للحاكم ومقابلة اصطناع
العزير واحسانه الى » (207) .

اما التعبئة المادية لمواجهة حركة منجوتكين فكانت ضخمة اذ حشد لها
كل امكانياته وعدته الداخلية وأخلص رجاله وقادته ومنهم أبو تميم سليمان
بن جعفر بن فلاح الذي عينه اسفهلارا على القوة الضخمة التي أرسلت
ضد منجوتكين في بلاد الشام ، وكان في معيته أخوه علي بن جعفر ، وبعض
فرسان كتامة ، والغلمان ، كما انضم الى هذه القوة حشد من العربان وقد
شيعت هذه القوة من طرف الحاكم بأمر الله وأمين الدولة ابن عمار في عين
شمس (208) .

وإذا كانت هذه القوة قد استطاعت في ظرف يسير أن ترجع الوضع
الى نصابه في بلاد الشام ، حيث قبض على منجوتكين بعد هزيمته في
عسقلان وسير الى القاهرة فأبقاه ابن عمار ، واصطنعه ليستميل به عنصر
المشاركة (209) . فان وضع ابن عمار في مصر كان ينذر بالخطر ، بسبب
قلة رجاله وغيبة اكثرهم في الشام ونشاط خصمه برجوان للنيل منه ،
ولاستغلال جميع نقاط الضعف للتسرب منها الى مركز القوة ، وسرعان
ما تهيأت ظروف العمل المادي في القاهرة ضد نظام ابن عمار بتصرف طبيعي
نسب الى قائده في الشام ، الذي أساء الى عصبيته في هذه الفترة وذلك
عندما عزل بعض ولاة كتامة الجائرين في مدن بلاد الشام وعوضهم بقيادة
آخرين ، وكان من بين هؤلاء المعزولين ابن أخته ، جيش بن الصمصامة ،
والي طرابلس الذي استاء من حادث عزله ، وتعويضه بعلي بن جعفر ،
وفارق الشام منابداً لسليمان ولاخيه ، وفي القاهرة نصب نفسه عينا
على بني حلدته (210) ، وتعاون مع المعارضين لهم ، وكشف عن حقيقة

206 - ابن القلانسي : المصدر السابق 46 ، النوري : المصدر السابق 26 ورقة 50-51.

207 - نفسه .

208 - نفسه . ابن ميسر 2 ، 54-55 ، القرظي : اتعاظ 2،7،8-9 ، ابن الأثير : الكامل

44،9 النوري : المصدر السابق 26 ورقة 51 ، يحيى بن سعيد : المصدر السابق

452 .

209 - ابن القلانسي : المصدر السابق 47 س 9-10 ، ابن ميسر : المصدر السابق ،

2 ، 55 ، ابن خلدون : المصدر السابق 4 ، 117 ، القرظي : اتعاظ 2 ، 10-11 .

210 - نفسه 48 س 13 وقد « قصد برجوان سرا وطرح نفسه عليه » النوري : المصدر

السابق 26 . ورقة 51 .

علاقتهم بالسكان في بلاد الشام وان هؤلاء يكرهون المغاربة ويودون التخلص منهم ، فأولاه برجوان الجميل قولا ووعدا ، وبذل له المعونة على أمره (211) .

ولما كان ابن عمار قد تنبه لما يدبره المعارضون له ، فقد بعث عيونه وأرصاده ، وكلف رجالا بالفتك ببرجوان ، وشكر اذا ما زاراه الى القصر ، غير أن عيون برجوان من بين رجال ابن عمار - وربما كان جيش بن الصمصامة منهم (212) ، هم الذين كشفوا للرجلين سر ابن عمار ، وتدبيره للايقاع بهما ، عند أول فرصة ، ولذلك احتاطا للامر حتى تبينت لهما الحقيقة فرجعا الى قصر الحاكم يبكيان لديه ويستصرخان به وبصيحة منكورة من طرف برجوان يخاطب الموالي : « يا عبيد مولانا احفظوا العزيز في ولده ، وأرعوا فيه ما تقدم من حقه » ، تفجرت الطاقة المكبوتة ، واشتعلت نار الفتنة الطائفية بين المشاركة والمغاربة ، وقد ابتدا الصراع في شكل قتال فردي راح ضحيته غلام من الاتراك ، واحد المغاربة ، ثم تطور الى قتال عام في الصحراء (213) ، اشترك فيه شيوخ المغاربة والاتراك وتصدر عنصر المشاركة وعبيد الشراء ، برجوان ، وشكر ، ومنجوتكين ، وبارختكين ، وينال الطويل . اما المغاربة وجميع من انضم اليهم فقد تولى قيادتهم أبو محمد الحسن بن عمار ، ولقلة عددهم وعدم توقعهم مثل هذه الحركة فقد انهزموا شر هزيمة وتفرقوا واستتر ابن عمار عند احد المصريين ، واغتنم الاتراك الفرصة ونهبوا داره وقصره واسطبلاته ، ودور أتباعه ، وعندما هدأت الفتنة ، جددت بيعة الحاكم بأمر الله باتفاق جميع الاجناد ، واستبد برجوان بالحكم ، وأصدر أمانا عاما لقادة كنامة ووجوه المغاربة الذين اشتركوا في الفتنة بما فيهم خصمه ابن عمار (214) ، الذي ظهر من استتاره واعتكف ببيته في القاهرة منعزلا عن القصر ، وعن الاتصال بالناس حتى اذن له الحاكم بالركوب ، واطلق له برجوان كل مخصصاته اليومية والشهرية (215) ، وقد أرسل برجوان الى اشراف دمشق ،

211 - نفسه 48 س 14 وحث المشاركة على بدء العمل بقوله : « ومتى لم ننتهز الفرصة في قلة عددهم وضعف شوكتهم سبقوكم الى ما لا يمكنكم تلافيه بعد التفريط فيه واستتراك الغاية منه س 18-19 .

E.I. Art Bardja wan T1, p. 1073-74.

212 - انظر جاستون فيات : G. Weit : Op. Cit., T. 4 p. 198

213 - القرظي : اتعاف 2، 12 ، النوري : المصدر السابق 26 ورقة 51 ، يحيى بن سعيد الانطاكي 453 ط كراتشوفسكي .

214 - ابن الفلانسى : المصدر السابق 49 ، ابن عداري 1، 357 ، القرظي : اتعاف 2 ، 12-13 .

215 - نفسه 50 ، ابن منجب الصيرى 86-87 ، ابن ميسر : المصدر السابق 2، 55 ، النياوي : المرجع السابق 245 ، القرظي : الخطط 2، 3-4 ، 36 - 37 اتعاف 2، 13 .

والى عنصر المشاركة في الجيش يدعوهم الى التعاون ضد سليمان بن جعفر وعنصر المغاربة ، فاتفقوا عليه ، وفاجأوه في قصره ، وهو على غير استعداد ففادر دمشق الى الرملة (216) ، ناجيا بنفسه ، أما أتباعه فقد أصابهم شر كثير على يد المشاركة وأحداث دمشق الذين استرجعوا نفوذهم في هذه الفترة (217) .

وبقي سليمان في الرملة حتى قبض عليه جيش بن الصمصامة ، أثناء خروجه الى بلاد الشام .

أما ابن عمار فقد استمر في القاهرة من غير أن تكون له سلطة ، أو نظر في شأن من الشؤون ، حتى أوعز برجوان الى الحاكم بقتله ، وقد وضع له كمين عند انصرافه من القصر مساء 14 شوال 390هـ/أغسطس 1000م . حيث ظهر عليه جماعة من الغلمان ، وقتلوه عند مكان اسطلب الطارمة بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم ، واحتزوا رأسه ، وحملوه الى الحاكم ، الذي أمر بدفنه في القرافة ، أما جثته فقد دفنت في مكان قتله ، وأثر ذلك أرسل الحاكم بأمر الله الى ابن عمه (218) ثقة الدولة الحاكمة يوسف بن أبي الحسين الكلبي والى صقلية ، يبرر قتله لكثرة ذنوبه ، وانحرافه عن العهد ويقول له : « الحمد لله قاطع الانساب بقاطع الاسباب ، اذ يقول ، وقوله هدى لاولي الالباب ، يا نوح انه ليس من اهلك » (219) .

وإذا كان قتله قد خلف مرارة في نفوس كتامة وسائر المغاربة الذين أصبحوا في وضع سيء لاستبداد عنصر المشاركة وطغيان برجوان ، فان الذي يلاحظ أن هذا الأخير ، الذي خطط لتصفية عنصر كتامة ، لم يسعد كثيرا بالوساطة ، اذ سرعان ما ظهر على حقيقته طاغيا مستبدا ، عنصريا

216 - نفسه 49 ، ابن ميسر : المصدر السابق 55،2 ، ابن الأثير : الكامل 44،9 ، النويري 26 ورقة 51 .

217 - نفسه 50 ، ابن الأثير : الكامل 44،9 .

218 - وابن عمار ليس كتاميا ، وان كان يشترك مع الكتاميين في الانتساب الى المغرب ، وفي وحدة الهدف تجاه عنصر المشاركة . وهذا على خلاف ما ورد في بعض المصادر ، التي تصفه بالكتامي أو بزعيم كتامة وشيخها أنظر ابن خلدون : العبر 1 23،4 ، المقرئ ، الخطط 36،2 ، النويري ، نهاية الأرب 26 ورقة 9 ، جمال سرور : الدولة الفاطمية 101 - 102 ، القرئبي : سيرة جولد 173 ، تعليق 76 ، وهنا يوصف الحسن بن علي الكلبي بشيخ كتامة .

219 - ابن منجب الصيرفي : المصدر السابق 87 .

منهاونا بشأن الحاكم ، الذي استاء من تصرفاته وتجاوزته ، وأوعز السى ريدان الصقلي بقتله ، في نفس السنة التي قتل فيها ابن عمار (220) .

وقد تولى الخليفة بنفسه ، شرح الوضع ، وتبديد الحيرة التي ظهرت في أوساط المشاركة الذين كان يتزعمهم شكر العضدي رفيقه القديم وأعلن مسؤوليته عما وقع لبرجوان لسوء سيرته وانحرافه . واعتمد على الحسين بن جوهر ، في تفريق التجمعات حول القصر ، وعلى فهد بن ابراهيم كاتب برجوان في الاشراف على الدواوين تحت نظر القائد وفي الكتابة الى سائر ولاة الخلافة الفاطمية ، بأسباب التخلص من برجوان (221) .

ولم يغب عن ذهن الحاكم بأمر الله ، بأن استرضاء كتامة وشيوخها خطوة ضرورية لتهدئة الوضع ، وارجاع الامن الى نصابه ، لانهم لم ينسوا بعد هزيمتهم وابعاد رجالهم من شؤون الدولة وقتل ابن عمار ، وتقريب زعماء الاثراك والديلم والعبيد ، ولذلك قلد اسلافه المنصور ، والمعز ، واعلن امام شيوخهم بأنهم عمدة الدولة واساس النظام ، وأن وضعيتهم سوف تتحسن عن ذي قبل وخاطبهم بقوله : « أنتم شيوخ دولتي وأنتم الآن عندي أفضل مما كنتم فيه مما تقدم » (222) .

ورغم هذه التأكيدات ، فالذي يلاحظ أن سوء الظن الذي استحكمت بين الخليفة ، وقادة كتامة سرعان ما ظهر التعبير عنه عمليا من جانب الحاكم 394 هـ / 1003 - 1004 م ، حيث قتل كثيرا من الكتاميين الذين سبق لهم الخدمة في عهد المعز والعزیز وأحرق جثثهم بالنار ، ومنهم أبو علي عسلوج بن الحسن الدنهاجي ، وسليمان بن عزة ، ويخلف بن عبد الله ،

220 - نفسه 86 - 87 ، ابن خلدون : العبر 4، 119 ، القرظي : الخطط 2، 4 ، 12 ،
اتماظ الحنفا 2 ، 25-27 ، ابن الأثير : الكامل 9، 45 ، الذهبي : تاريخ الاسلام
3 ، احداث 390 هـ ، العيني : المصدر السابق ج 19 (ق 3) ورقة 500 - 501 ،
النياوي ، الوزارة والوزراء 245 ، النويري ، نهاية الأرب ، 26 ، ورقة 52 .
وقد ارتفع شأن ريدان فاعتق ، ولقب بمولى أمير المؤمنين . انظر اتماظ الحنفاء
2 ، 39 ط 1971 .

221 - ابن القلانسي : المصدر السابق 55 - 57 ، ويبدو من كلام المؤلف ، انه يعميل
الى القول بموت برجوان قبل قتل ابن عمار ، وهو نفس الرأي الذي اخذ به ابن
خلدون 4 ، 119 ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 3) 500 ، النياوي : المرجع
السابق 246 ، ابن منجب الصيرفي ، الاشارة 285 ، ابن اياس : بدائع الزهور
1 ، 50 .

222 - الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية 1 ، 131-134 . ط القاهرة 1958 ، ابن ميسر :
المصدر السابق 2 ، 56 .

ومحمد بن علي بن فلاح ، وابن قيطونة وابن سمود ، وغيرهم مما يبرر تسمية عهد الحاكم ، بعصر « محنة كتامة الثانية » (223) .

وتشير بعض النصوص الى أن الحاكم أمر باحضار احد رجال كتامة ، أمام القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان مسحوبا ، ثم أمر بجلبه الى القاهرة ماشيا حيث ألزم بالتنازل عن كل ما ادعاه غيره في حقه ، وقد قيل ان هذا الكتامي ، اشتهر بالعجرفة والشدة ، ورفض الحضور أمام القاضي واهان رسوله (224) .

أما موقف كتامة من الحاكم فقد عبروا عنه في الانتقام منه أثناء حركة أبي ركوة ، فلم يظهروا جدا في الحرب ومن ثم هزم قائد الحملة اينال الطويل ، وقتل ، وقطعت أوصاله وكان من قبل قد نكل برجال كتامة في مصر أثناء الفتنة واستأمن جماعة منهم الى أبي ركوة نكاية في الحاكم بأمر الله ، وكانوا أيضا وراء المتاعب التي لحقت قائده الجديد الفضل بن صالح (225) .

ومع سوء الظن ، بسبب حركة التصفية لنفوذ كتامة ، فقد احتفظ بعض قادتهم ، بمكانة كبرى في عصر الحاكم ، ومن هؤلاء جيش بن محمد بن الصمصامة ، وأبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح ، وحسين بن علي بن دواس .

وقد أدرك جيش ، مجدا كبيرا في بلاد الشام فلما توفي في ربيع الاخير سنة 390 هـ / مارس 1000 م خلفه ابنه محمد لفترة يسيرة ، ثم رجع الى القاهرة ، ومعه وصية أبيه بالتنازل عن كل أمواله للخليفة الحاكم ،

223 - القرظي : اتمام 2 ، 47 هامش 1 ، (266 ط 1948) ، ابن عذاري : البيان 1 ، 369 ، ومحنتها الأولى كانت في عصر المهدي ، أما محنتها الكبرى فكانت في الهريقية على عهد المزم بن باديس ، وقد سم علي بن سلمان أخاه يحي في شربة سوق عقب خروجه من الحمام حتى لا يقتل وتغرق جثته مثل غيره . وقد اعترف بجريمته بقوله « قتلته قتلته مستورة » .

224 - ابن حجر العسقلاني : رفع الاصر عن قضاة مصر 2 ، 359 - 365 ط القاهرة 1961 ، الكندي : الولاة والقضاء 599 (نقلا عن ابن حجر) .

225 - أبو العباس : النجوم الزاهرة 4 ، 207 ، 216 ، القرظي ، الخطط 2 ، 286 ، ابن عذاري : البيان 1، 370 ، (ابن خلدون : العبر 4، 120 - 123 . ابن الأثير : الكامل 9 ، 74 . عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين 248 ، عبد الحميد يونس : الهلالية 63 .

وقد اشترك علي بن جعفر بن فلاح في الاشراف على الحرب ضد أبي ركوة فلقى الهزيمة ، وكان مقر قيادته في الجيزة . انظر اتمام الحنظا 2، 63-64 ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 75 .

G. Wiet : Op. Cit., T. 4 p. 203-4

وحرمان الورثة فاستحسن الخليفة تصرفه ، لكنه أمسك عن قبول الاموال (226) وأرجعها الى ورثته الحقيقيين .

أما علي بن جعفر بن فلاح ، فقد تقلب في عدة وظائف مدنية وعسكرية في الشام ، وفي مصر وآخرها رتبة الوزارة وقد لقب بوزير الوزراء ذي الرئاستين ، الأمر المظفر قطب الدولة وكان بحق من أعظم أمراء كتامة وأوضحهم شخصية وأهمهم في عصر الحاكم بأمر الله ، الذي خصه بتقدير كبير مكافأة على جهوده في خدمة الدولة ، وفي الوقوف ضد المعارضين لها في مصر وبلاد الشام ، وعندما مرض عاده في داره وحمل اليه هدايا جمّة ، ضمنها مرتبة ديياج وخمسة آلاف دينار كما كرر نفس الهدية في وقت لاحق وانعم عليه بالنفوذ والسلطان وكلفه بمقتضى سجل التقليد بالاشراف على رجال الدولة ومراقبة الادارة في الاسكندرية وتونس ، ودمياط ، والحسبة ، والشرطتين ، والعرض ، والاثبات والنظر في الواجبات ، فقام برعاية ما كلف به ، في دقة ونظام وتواضع جم ، فلم تغره السلطة بالاستبداد شأن ابن عمار ، ولم يابه لضغوط بنسي جلده ولا للذين بدءوا ينفذون من حوله ناجين بأنفسهم من مقت الحاكم وعقابه ، ومن هؤلاء الذين فروا « ابن الدابقية » الذي جعله الحاكم موضوع حديث مع رجاله ، بقوله : « متى تهربون ؟ » . وقد كان رد علي بن جعفر ، يتسم بحسن التخلص واللباقة : « يا أمير المؤمنين يهرب اليك لا عنك » ومع ما بذله علي من أجل الخلافة في عصر الحاكم ، فإن الأخير لم يراع اخلاصه ، ولم يطمئن اليه ، بسبب علو مقامه ، ومع أنه تحاشى قتله في القصر أو قريبا منه ، فقد أرسل لقتله ، فارسين متنكرين ، فرماه أحدهما بالرمح ، فجرحه ، والجأه الى الرجوع الى بيته حيث لم يبق غير فترة يسيرة ، ولفظ أنفاسه الأخيرة 409 هـ / 1018 - 1019 م وتولى تشييع جثمانه والصلاة عليه ، حجة الحاكم بأمر الله (227) ، بمعية قاضي القضاة (228) .

226 - ابن القلاسي : المصدر السابق 54 ، 57 ، القرظي ، الخطط 2 ، 285 ، ابن ميسر : المصدر السابق 2 ، 56 ، العيني 19 (ق 3 ورقة 507) .

227 - وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن الياس بن أحمد بن المهدي ، ابن عذاري : البيان 1 ، 375 ، ابن القلاسي : المصدر السابق 69 - 70 ويصفه بأخي الحاكم وولي عهد المسلمين . وقد وصل دمشق واليا عليها في جمادي الاولى 410 هـ . وهذه سابقة عن تحويل الخلفاء للنص من الأبناء الى الأقارب . أما عدم ولايته للخلافة ، وتصحيح النص لفائدة ابن الحاكم الذي عرف بالقاهر فقد كان بتأثير السيدة الشريفة ست الملك ، النويري : نهاية الأرب 26 رفات 57 ، 58 ، 60 ، عطية مشرفة : المرجع السابق 85 ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 4) ورقة 683 وما بعدها . القرظي : اتعاظ الحنفا 2 ، 103-104،114،116 النويري ، نهاية الأرب 26 ورقة 57 ، ابن حماد : المصدر السابق 57 - 58 وباسم عبد الرحمن بن الياس وضع ميثاق ولي العهد . انظر سجلات موحدة (حاكمة) ورقة 24 ب ، 25 أ خ تونس رقم 18289 . رسائل الحاكم ورقة 18 وما بعدها . خ دار الكتب رقم 20 .

228 - ابن منجب الصيرفي : الإشارة 82 - 83 ، القرظي ، اتعاظ الحنفا 2 ، 93،110 ، 114 ، المنيأوي : الوزارة والوزراء 249 - 250 .

أما حسين بن علي بن دواس ، الذي ازدهر في عصر العزيز والحاكم ، وكان يلقب بسيف الدولة ذي المجدين ويوصف في بعض المصادر بكبير أمراء الحاكم بأمر الله (229) ، وتولى الاشراف على السيارة ، وعلى بيت المال ، كما ولى خطة الوزارة فترة يسيرة ، فقد كان حذرا من الحاكم بعد الذي صنعه في حق قادة كتامة ورجالهم وبسائر المخلصين لأسلافه ، مثل برجوان الصقلي ، والقائد بن القائد الحسين بن جوهر ، وصهره قاضي مصر عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، فكان لا يرتاد القصر أو يفشى المواكب الرسمية الا وهو راكب على ظهر فرسه ، وعندما استدعاه الحاكم ربما على نية نواها وبنية بناها ، امتنع عن الحضور ، وصارح الحاكم الذي عتب عليه تأخره بأنه خدم الدولة منذ عهد قديم وله حقوق يجب أن تراعى ، غير أن سلامته تقتضي منه أن يحترز قليلا ويتحفظ من مثل هذه الدعوات المفاجئة ، ويبقى في بيته بين أهله وعبيده مستورا الحال ، وأوضح الامر للحاكم بقوله : « وقد قام في نفسي أنك قاتلي فأنا مجتهد في دفعك بغاية جهدي ، وليس لك حاجة الى حضورني في قصك فان كان باطن رأيك مثل ظاهره فدعني على حالي ، فانه لا ضرر عليك في تأخري عن الحضور الى قصرك ، وأن كنت تريد بي سوءا ، فلأن تقتلني في داري بين أهلي وولدي يكفونني ، ويتولونني أحب الي من أن تقتلني في قصرك ، وتطرحني تأكل الكلاب من لحمي » (230) .

والنصوص التي تشير الى تعجب الحاكم من كلام ابن دواس وضحكه لجراته وصراحته ، تشير الى صيرورة هذا الامر الكتامي محورا لقصة التآمر على حياة الخليفة ، وقد اشترك الي جانبه كل الفاضلين من سياسته والمتضررين من تصرفاته من بين كتامة ورجال الاسرة ، وتمثلهم اخته السيدة الشريفة ست الملك (231) .

فابن دواس كان مدفوعا بالاخلاص للدولة وبحب الانتقام منه لقتل أمراء كتامة ، ومبالفته في الشدة والشذوذ واستخذائه لبعض المتطرفين من

229 - ابن الاثير : الكامل 9 ، 118 .

230 - ابن الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة 32،32 هامش 1 ، العيني : المصدر السابق 19 (ل 4) ورقة 686 ، أبو المعاسن النجوم الزاهرة 4 ، 185 - 186 ، ابن عذاري : البيان المغرب 1،391 ، عطية مشرفة : المرجع السابق 226 .

231 - الذهبي : تاريخ الاسلام 3 ورقة 289 وما بعدها ، العيني : المصدر السابق 19(ق4) ورقة 683 ، ابن منجب الصيرفي : المصدر السابق 82 هامش 1 ، المقرئ : اتعاف الحنفا 2 ، 115 وما بعدها ، النويري ، نهاية الأرب 26 ورقة 58 وما بعدها .. السيوطي : حسن المحاضرة 2،15 ، ماجد : الحاكم بأمر الله 169 وما بعدها .

الفرس ، وأهمهم حمزة بن علي (232) وتنكيله بالقرب ، والغريب ، ولم يسلم منه حتى انساء (233) وقد ضيق على أخته ست الملك بدافع ابعادها عن السياسة ، والاهتمام بالشؤون العامة لأنها كانت لا تميل إليه (234) ، فضلا عن ذلك فقد كانت على جانب كبير من الذكاء والمهارة وكى يجرها ويتعلل لقتلها ، اتهمها في أخلاقها وبأنها تسمح ببذل نفسها الى الرجال ووصلت به جرأته الى حد أنه هددها باستطلاع حالها عن طريق قابلات فان تبين له ما يفيد انحرافها قتلها .

وكى تحافظ على شرفها وتضمن للدولة استمرارها في اطار الاخلاق والشرعية ، بادرت بالاتصال بابن دواس ، الذي وطن نفسه على كره الحاكم وكان في مثل وضعها حائرا مضطربا ، يعيش من الخوف ، في خوف ، وبعد أن استحلفته على الوفاء ووعدته بأن يصبح المتصرف في شؤون الدولة اطلعت على خطتها في أخيها ، فوافق دون تردد وبادر بالتنفيذ مغتبطا (235) ولم يكن أحب الى نفسه من ذلك حتى يستعيد رشده ، وتعود للخلافة هبتها ، وبعد أن أعلنت بيعة الظاهر لاعزاز دين الله ، وأبعدت عبد الرحمن ابن الياس (236) واعتقلته وأظهر لولاء والطاعة سائر الاجناد ، والرعية بالغت في اكرام ابن دواس ، الذي خيل اليه أنه سوف يستمر في السلطة وكانت في الحقيقة تداريه ، وتمهد للامر الخطير ، لأنه كان يعرف أسرارها وحقيقة تأمرها ، وبسبب غفلته وعدم توقعه مكروها من جانبها راح ضحية

232 - ويوصف في مجموعة رسائل الحاكم بهادي المستجيبين والمنتقم من المشركين ، وهو احد الدعاة الذين كتبوا مجموعة الرسائل التي تكون في مجموعها عقيدة العروز ، وتدور حول الوهية الحاكم . ومنها رسالة ولي الزمان ، وميثاق النساء . والسجل المطلق وخبر اليهود والنصارى والرد على القرامطة والنهي عن الخمر ورسالة البلاغ والنقص الخفي وغيرها ، انظر سجلات موحدية خ تونس 18289 ومخطوط دار الكتب 20 كلام الشيعة . القرظي ، اعطاء الحنفا 2، 113 . ماجد : المرجع السابق 117 ، 112 وما بعدها .

233 - وعن ميثاق النساء ضمن مجموعة الرسائل انظر ورقة 6 وما بعدها من مخطوط دار الكتب 20 شيعة ابن اياس : بدائع الزهور 1 ، 52 - 56 .

234 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 44 س 20 - 21 ، ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ورقة 64 ، القرظي ، اعطاء الحنفا 2، 107 ، وهنا يلاحظ أن الحاكم « انطلق منها » .

235 - ابن الأثير الكامل 9 ، 117 - 118 . ابو الحسن النجوم الزاهرة 4 ، 189 - 192 ، ابن خلدون : العبر 4 ، 127 - 128 عبد الله الشرفاوي ، تحفة الناظرين ورقة 61 ، لعة (لمجهول) ورقة 8-9 ويوصف ابن دواس بأنه « شيخ كتامة » القرظي الخطط 1، 354 ، و 2، 289 ، اللهبي ، تاريخ الاسلام 3 ، ورفات 287 - 289 العيني : المصدر السابق 19 (ق 4) ، ورقة 683 وما بعدها ، ابن القلانسي : المصدر السابق 79 - 80 .

236 - لعة (لمجهول) ورقة 9 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 69-70 وقد امرت بقتل ابن الياس قبل موتها ، القرظي : اعطاء الحنفا 2، 119 ، ابن اياس : المصدر السابق 1 ، 57 .

تأمرها عندما حضر الى القصر وقد تم ذلك باذن من الخليفة الظاهر
لاعزاز دين الله ، وبعد قتله اُقيمت جثته ثلاثة أيام ملقاة في العراء والمنادي
يعلن على الا « هذا جزاء من غدر مواليه » واثرت ذلك سلمت الى اهله
وعبيده فدفنوها (237) .

وتلا قتله حركة تطهيرية لاجهزة الدولة من العناصر الخطيرة ، ومنهم :
رئيس الرؤساء خطير أبو الحسن عمار بن محمد الذي امرت به فقتل
في ذي الحجة 412 هـ / مارس 1021 م . وباشرت الاشراف على شؤون
الدولة الى جانب ابن أخيها « فلا ينفذ أمر جل أو قل ، الا بتوقيع يخرج
عنها بخط أبي البيان الصقلي عبدها » (238) ، واستمرت على هذا الرسم
حتى توفيت أواخر سنة 414 هـ / 1023 - 1024 م (239) فأصبح
الظاهر لاعزاز دين الله يباشر الحكم بنفسه ، عن طريق مجموعة من الوزراء ،
وفي عهد أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ، منهم ، وبسبب استمرار
الدولة على سياسة تقريب عنصر المشاركة ، وعبيد الشراء واهمال شأن
كتامة وعنصر المغاربة عادت الفتنة بين طوائف الجند مرة أخرى ، بعد
ان هدات فترة طويلة . وقد ظهرت سنة 420 هـ / 1029 - 1030 م
وانحصرت بين الاتراك والمغاربة وقد كانت عنيفة وراح ضحيتها خلق كثير
من الطرفين (240) .

وقد أظهرت أحداث الفتنة وموقف الدولة على ان المشاركة لم يتأثر
وضعهم في الدولة بعد اختفاء قادتهم الكبار وبعد الهزائم التي منوا بها
في برقة وفي مصر وبلاد الشام ، لأن الاتجاه السياسي كان لصالحهم ،
أما عنصر المغاربة فرغم أنهم أصبحوا في موقف الدفاع لمعاكسة التيار
لهم ، وتقلب أمزجة الخلفاء فانهم مازالوا حتى الآن قوة مرهوبة ، لها

237 - الذهبي : تاريخ الاسلام 3 ورقة 292 . العيني : المصدر السابق 19 (ق 4) ورقة
689 - 690 ، نقلا عن القضاي ، ابن عداري : البيان المغرب 1، 391 ، ابن
خلدون : العبر 4، 127 - 128 ، لمة (لجهول) ورقة 9 . القرظي : اتعاف الحنفا
116، 2 ، 125 ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 60-61 .

238 - ابن عداري : المصدر السابق 1، 391 ، القرظي : اتعاف الحنفا 2، 128 ،
النياوي : المرجع السابق 251 نقلا عن الاشارة لابن الصيرفي .

239 - نفسه ، لمة (لجهول) ورقة 9 ، ويشار هنا الى وفاتها في مستهل جمادي الآخرة
425 هـ وهو خطأ من النساخ ، صوابه 415 هـ . ابن اياس : المصدر السابق 1، 58 .
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول 313 ، ويلاحظ أن ست الملك بقيت وصية على
الظاهر مدة أربع سنوات . القرظي : اتعاف الحنفا ، 2، 174 ، ابن الأثير : الكامل
9 ، 119 .

240 - القرظي ، الخطط 1، 355 ، اتعاف الحنفا 2، 177 ، ويشار هنا الى تأييد العامة
لعنصر كتامة ضد الاتراك الذين انهزموا وطردهم منهم كثيرون .

مكانتها ووزنها في الأحداث الداخلية والخارجية خاصة في بلاد الشام ولم يصبحوا بعد ضمن الرعية ولم يستسلموا للتطورات الجديدة التي ظهرت مع العزيز بالله بتأثير وزيره ابن كلس .

ويدل على ذلك مجموعة من الاعتبارات أهمها : ظهورهم كفرقة مستقلة ، في عصر الظاهر وكان منهم ابن فتوح الكتامي من اخص رجاله (241) ثم أن فرقة كتامة التي رفض قادتها تقديم مائة رجل منهم لتأديب بني قره في بداية عصر الظاهر ، كانت من اقوى فرق الجيش الفاطمي ، التي شوهدت في الاستعراض العسكري الذي جرى في عصر المستنصر بالله بمناسبة فتح الخليج (242) . وتشير بعض النصوص الى عصيان بعض فرق الجيش ، بتأثير دسائس فرقة لواته ، الذين كان زعماءهم يوحون الى المشاركة بأن المستنصر بالله يؤثر المغاربة ويقويهم ، والى المغاربة بأن الخليفة يقف ضدهم ويقوي المشاركة ليستبدوا بهم (243) . وفي الوقت الذي اشتكى الخليفة من موقف جند لواته ، في رسائله الى علي بن محمد الصليحي ، وتجرع المرارة من دسائسهم وشغبهم عليه وضغطهم على بقية الأجناد كي يلحقوا في طلب المال ، ووصفهم بالمنافقين ، لم يشتك من فرقة كتامة ولم يشر اليهم بالاسم .

وقد كان أحد رجالهم واسطة بينه وبين علي بن محمد الصليحي ، وقد اشار المستنصر بالله في أحد سجلاته لهذا الأخير الى ما يفيد اتصاله بأخباره عن طريق محمد بن تميم الكتامي وابراهيم بن حسن العامري(244) .

وكان من بين كتامة نديمه ومغنيه الخاص ، ويسمى : توبة بن ميسرة الكتامي ، ويعرف أحيانا بالكتامي لشهرته وقد تزعم مدرسة فنية مشهورة كان من بينها رسامون ، ومزوقون ومغنيون ، وقد ظهرت مدرسته بعد انقراض أسرة بني المعلم المشهورة في هذا الميدان وتشير بعض النصوص الى أن الكتامي رسم في دار النعمان بالقرافة ، صورة تمثل يوسف الصديق

241 - نفسه : انماط الحنفا 2، 159، 140 .

242 - نفسه ، 2، 169 ، رحلة ناصري خسرو في مصر 56 . عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها 37 ، وعن الاحتفال به وتقاليدہ انظر : عبد النعم ماجد : نظم الفاطميين 2، 107-109 وعن قوة كتامة في عهد المستنصر بالله انظر : النويري ، نهاية الأرب 26 ورقة 62 .

243 - عبد النعم ماجد : السجلات المستنصرية - تحقيق - سجل 56 ص 182 ، وعن ضغط سجل 56 ص 183 وكان عدد افراد فرقة لواته خمسين الفا .

244 - عبد النعم ماجد : السجلات المستنصرية - تحقيق - سجل 56 ص 182 ، وعن ضغط كتامة في عهد المستنصر بالله لطلب الأرزاق ، انظر : النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 62 .

وهو ملقى في الجب عاريا ، وكان الرسم من الدقة والانتقان بحيث كان يوسف يبدو وكأنه في الجب حقيقة (245) . وكان المزوقون هم الذين أشرفوا على زخرفة جامع القرافة ، الذي بنته أم الامراء السيدة تغريد زوجة المعز لدين الله وهو الذي أصبح يعرف بجامع الاولياء (246) ، وحوش الاولياء او حوش أبي جعفر المنصور في بغداد (247) .

ويرتبط باسم الكتامي الفنان مسجد توبة في القرافة الكبرى ويقع شرقي رحبة الاقحوب بجوار أرض الطبالة ، نشب ، التي كوفئت بها لتخليدها مناسبة عظيمة وهي الدعاء للمستنصر بالله بالخلافة من على منبر جامع أبي جعفر المنصور في بغداد (248) .

وابن مسرة الكتامي ، صورة طيبة عن تنوع نشاط كتامة واهتمام بعض أفرادها بغير الحياة الادارية والعسكرية ورعايتهم جانب الثقافة والفن على خلاف عهد أسلافهم في بلاد المغرب ومصر في بدء حياة الدولة .

ولا يستبعد أن يكون لكتامة دور كبير في حركة الفوضى التي عمت البلاد ، ومهدت في النهاية لظهور عنصر الأرمن في الحياة السياسية في مصر .

وكانت مظاهر الفوضى ، بادية في سرعة تغيير الوزراء والقضاة بسبب شكاوي الرعية منهم وكثرة الفتن بين عبيد الدولة وجندها . وقد تسبب الوزير الفلاح في بعضها ، عندما زاد رواتب الجند المغاربة والسودان وترك غيرهم بحجة أن أم المستنصر هي المسؤولة عن ذلك ، وقد شاعت

245 - القرزي : الخطط 2 ، 318 (4 ص 120 - 121 ط 1327 هـ) احمد فكري : القاهرة ومدارسها ومساجدها في العصر الفاطمي 1،30 ، حسن الباشا دور القاهرة الحضاري (قسم 4) مقال الاهرام 21-1-1969 الموسوعة الميسرة 1442 ، اشرف عليها شفيق فربال وجماعة القاهرة 1965 ، ابراهيم جلال المعز لدين الله 97 - سلسلة (1000 كتاب) القاهرة 1963 .

246 - نفسه 2 ، 445 ، 447 ، 451 .

247 - حسن الباشا : دور القاهرة الحضاري ، احمد فكري : المرجع السابق 1 ، 29 ، سعاد ماهر : جامع اولياء بالقرافة الكبرى - مقال - الاهرام 27-10-71 وقد استفادت من خطط القرزي الذي اعتمد على كتاب « ضوء النبراس وانس الجلاس في اخبار المزوقين من الناس » وهو في طبقات المصورين .

248 - القرزي : الخطط 2 ، 125 ، 448 ، القلقشندي : صبح الامشى 3،356 هامش 1 ط 1963 . الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقة 365 ، ابن دقماق الانتصار بواسطة عقد الامصار 5 ، 43 .

ظاهرة الانفصالية وضعف دخل الدولة من الضياع ، في الوقت الذي زاد فيه حجم النفقات واستبد الأقوياء بالضعفاء ، واستخف الجميع بالسلطة (249) وزاد الامر سوءا صراع الجند وموت كثير منهم في موقعة كوم الريش 464 هـ / 1071 م 250 واستمرار الفتن التي تسبب فيها ناصر الدولة بن حمدان ، بطموحه وميله الى اسقاط خلافة الفاطميين وخلع المستنصر بالله (251) .

وقد وقف المغاربة الى جانب السلطة الشرعية ، وبواسطتهم مع من انضم اليهم من الأتراك والعبيد ، هزم ابن حمدان وأصبح مشردا في إقليم الدلتا ، يقيم في حماية سكانها الذين ناصروه بدافع الصهارة ، ولم يستطع أن يحتل القاهرة لسيطرة الأتراك ، والمغاربة عليها ، ولم يتمكن من فرض شروطه الا بعد تضحيات جمة ، كما لم يقدر له بعد ذلك أن يهنا بالحكم ، لأن صهره ايلدكر بالتعاون مع بلدكوش ، قضى عليه واستبد بالسلطة دونه (252) ، وأساء بلدكوش قائد الأتراك الى المستنصر بالله حتى اشتكى منه في إحدى سجلاته ، الى صليحي اليمن ، ووصفه باللعين (253) ، وامام الوضع الخطير ، الذي أصبح فيه المستنصر بالله بسبب صراع الجند ، وضعف عصبية الدولة ، وتلاشي هيبتها في النفوس ، طلب الخليفة مساعدة بدر بن عبد الله الأرمي مملوك جمال الدين بن عمار والي طرابلس : لذلك عرف بالجمالي ، وكان قد عهد اليه من قبل

249 - نفسه 1 ، 356 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، 388 - 389 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 97 - 98 ، عبد النعم ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 49 وقارن بما ورد للمؤلف في : ظهور خلافة الفاطميين 375 .

250 - بن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 59 .

251 - القريري : اتعاظ الحنفا 2، 302 وما بعدها .

252 ذهبي ، تاريخ الإسلام 3 ورفقات 395 ، 400 (أحداث سنة 465 هـ) وهنا يلاحظ أن الأتراك والمغاربة كانوا الى جانب ابن حمدان ضد العبيد والعربان أثناء موقعة كوم الريش التي انهزم فيها العبيد ، وكان ابن حمدان قد كاتب المغاربة فاستجابوا له . ابن آياس : بدائع الزهور 1 ، 59 - 61 السيوطي حسن المحاضرة 15، 1 ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 84 ، 93 ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج 12 ورقة 120 ، القريري : اتعاظ الحنفا 2، 309 وما بعدها . عبد النعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 377 - 391 .

253 - عبد النعم ماجد : السجلات المستنصرية (تحقيق) سجل رقم 57 ص 186 .

بمهمات ادارية في بلاد الشام (254) ، وبحضوره الى مصر مع الارمن (255)،
وباجراءاته الحازمة مهد لعصر جديد في حياة الخلافة ، وفي مركز فرق
الجند القدماء الذين تأثر وضعهم ، وانحط شأنهم تدريجيا ، لفائدة
عنصر الارمن (256) .

وفي هذا العهد بقيت كتامة وعنصر المغاربة على شيء من النفوذ ، وقد
اشير في سجل تولية المستعلي بالله الى عنصر المغاربة والمشاركة ايضا
وكان من انشاء ابن الصيرفي (257) .

وقد ايد جند كتامة ولاية المستعلي ، ضد اخيه نزار ووقفوا الى جانب
الافضل بن بدر الجمالي الذي تلاعب في النص لحقده على نزار ، وقاتلوا
معه حتى قضى على انصار نزار ، وقبض عليه مع افتكين في الاسكندرية ،
غير ان الافضل الذي انتقم من هذين الرجلين ، تسامح مع ابن مصال اللكي ،
مراعاة لموقف كتامة من ولاية المستعلي (258) ، وقد ولي الوزارة في مصر في
عهد الخليفة الظافر وعندما نافسه ابن السلار والي الاسكندرية . . والبحيرة ،
وايده ربيبه الصنهاجي عباس بن ابي الفتح يحي بن تميم بن المعز بن
باديس ، انضم اليه جند لواتة والعربان والصيد ، وربما كتامة ايضا
كي تتأثر لعصبيتها مما حل بهم في المغرب ، على يد الامراء الزبيريين ،
وتستجيب لرغبة الخليفة الظافر الذي كان يميل الى ابن مصال اللكي (259) .

254 - ابن القلانسي : المصدر السابق 91 ، وقد ولي دمشق لأول مرة سنة 455 هـ ،
سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج 12 ورقة 119 ، وهنا يستفاد منه ان
ولاية بدر كانت سنة 462 هـ بحيث لم يغادر دمشق الا بعد ثورة السكان يساعدهم
الامير الكتامي حصن الدولة بن مترو ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين
392 .

255 - الذهبي : تاريخ الاسلام 3 ورفقات 400،402،403 ، ابن القلانسي : المصدر السابق
109 هامش 2 (نقلا عن سبط ابن الجوزي) .

256 - عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية (تحقيق) سجل رقم 57 ص 185 ظهور خلافة
الفاطميين 402 ، وقد ابقى بدر على الصيد وتكل بلواته المشافيين القرظي ، الخطط
2 ، 12 ، اتعاظ الحنفا 2،314 . السيوطي : حسن المعاصرة 20،19 .

257 - السيوطي : المصدر السابق 2،16 . وهنا نلاحظ ان السجل تضمن قوله :
مفربيهم ومشرقيهم احمرهم واسودهم « .

258 - عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 413 - 414 ، المنيساوي : الوزارة
والوزراء 280 وما بعدها ، والذي يلاحظ هنا ان كتامة لم يشر اليهم بالاسم اثناء
صراع الجند (لريحانية والحيوثية) في عهد الحافظ . وعنه انظر القرظي ،
الخطط 1 ، 357 ، اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص 6-7 ، النوري : نهاية
الارب 26 ورقة 73 .

259 - المنيساوي : المرجع السابق 280 وما بعدها وتلاحظ انه لم تقع الإشارة الى كتامة
بالاسم اثناء صراع الجند في عهد الحافظ . انظر القرظي : الخطط 1 ، 357 .
اسامة بن منقذ : المصدر السابق 7-8 .

وتشير بعض النصوص الى أن من دواعي اختيار الخليفة العاضد ، صلاح الدين يوسف كي يصبح وزيراً بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه وتحاشيه لاختيار أحد القادة والأمراء النورية المعروفين ، اعتقاده الجازم بأن صلاح الدين الشاب الصغير ، سوف يكون ضعيفاً أمام الخليفة ورجال الدولة في مصر ، لعدم وجود جيش قوي يحميه ورجال يسندونه في اتخاذ قرارات فردية بحيث يبقى في متناول الأيدي ، تحت نظر الخليفة ، لا يرفض له أمراً أو تدبيراً ، وكانت نية العاضد ، أن يعين على جند الشام الذين صحبوا أسد الدين شيركوه ، من يستطيع استمالتهم ، فإذا نجح في استمالة بعضهم ، ووثق من تأييدهم أخرج الباقين من مصر ، ويبقى بعد ذلك حر التصرف في البلاد ، مستقلاً عن النوريين وعن الصليبيين ، وانبت خطة العاضد ، أساساً على الجند الكتاميين ، الذين عول عليهم في الدفاع عن حقوق الخلافة ضد الأخطار الخارجية وفي ضبط الأمن ومراقبة تحركات صلاح الدين والجند النورية في الداخل ، وتعني هذه الخطة أن جند كتامة بقوا حتى هذا الوقت رغم تقلب الأحوال محتفظين بمركزهم في الجيش الفاطمي (260) . وهذا يرجح فيما يبدو اشتراكهم مع بقية طوائف الجند ، في حركة مؤتمن الخلافة جوهر ، صاحب القصر ، وتعاطف من بقي منهم في القاهرة بعد الهزيمة مع حركة عمارة اليمنى (261) . ومعنى ذلك أنهم لم يصبحوا ضمن الرعية (262) خانعين ومشردين في الآفاق ، الا بعد أن فشلت جميع مساعيهم من أجل ارجاع الخلافة الفاطمية والنيل من نظام الأيوبيين الذي يشير مثل نظام الزيريين في عصر المعز بن باديس ، الى نهضة السنة وانتعاش رجالها ونشاطهم من أجل محو الآثار والعقائد والتقاليد ، والمظاهر التي ارتبطت بالعصر الشيعي ، واضطهاد العناصر المشيعة ، والتضييق عليهم وملاحقتهم في كل حين ، أسوة بما كانوا يفعلونه بالسنة وبمظاهرها ورجالها في المغرب ومصر . وهكذا امتحنت كتامة في المغرب بانتعاش المذهب المالكي ، وفي مصر باحياء المذهب الشافعي ، مذهب أغلبية المصريين (263) .

- 260 - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 6، 17 (أحداث 567 هـ) .
261 - المقرئ : الخطط 2، 2-3 ، أبو شامة : الروستين 1، 178 وما بعدها ، 219 وما بعدها ، عبد النعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين 490-493 ، ذو النون المصري : عمارة اليمنى 60 وما بعدها .
262 - نفسه 2، 12 . النويري : المصدر السابق ورقة 9 - نسخة م الأهلية باريس رقم 1760 على مبارك : الخطط التوفيقية 1، 9-10 .
263 - نفسه 2، 175 ط 1327 هـ ، وفيه قوله : « اختفى مذهب الشيعة الى أن نسي من مصر ، عبد النعم ماجد : موقف المصريين من حكم المالكيك 51-52 حوليات كلية آداب جامعة عين شمس عدد 12 سنة 1969 ، ويلاحظ هنا أن الجامع الأزهر أغلق في عصر الأيوبيين واستمر كذلك حتى أعاد فتحه الظاهر بيبرس البندقداري .

وإذا كانت قبيلة كتامة في المغرب الأوسط لم يعد لها ذكر ، بعد عصر المحنة ، فإنها في مصر ، بقيت لها آثار وبقايا خالدة في القاهرة المعزية لذكر بعصر مجدها وقوتها وسيادتها ، والأهم من ذلك بقي اسمها حيا وعلما على بعض جهات في الأقاليم المصرية مثلما بقي حتى الآن علما على منطقة في شمال المغرب الأقصى .

وتشير بعض النصوص الى أن العناصر المغربية التي سكنت منطقة المنوفية ، كانوا من بين أحلاف لواتة ، وهم مزانة ، وهوارة ، وبنو الشعرية ، الذين يوجد أثر يدل عليهم ويذكر بهم (264) ، ونلاحظ أن معظم مزانة في بلاد المغرب ، قد أخذوا بالمدىب الاسماعيلي ، وصاروا من حلفاء كتامة وأوليائهم .

ويذكر ابن دقماق في عصره ، بني ينوط الكتاميين ، وكانت لهم دور مشهورة في القاهرة تجاور درب رصاصة (265) ، ويشير صاحب لمعة في أخبار المعز لدين الله الى شخصية كتامة يعرف بحسن (266) !

ولهذه القبيلة بقايا ترسبت في منطقتي الغربية والدقهلية وتدل عليها آثار تعتبر هي :

وما يوجد في مدينة القاهرة المعزية بعض مخلفات عصر سيادة كتامة .
وأهم هذه الآثار :

— حارة كتامة ، وهي عبارة عن الخطة التي اتخذتها فروع كتامة سكنا ، ومقاما ، سواء منهم الذين قدموا مع جوهر الصقلي واشتركوا في تأسيس الحارة أو الذين توافدوا فيما بعد مع المعز لدين الله ، أو قبله ، أو الذين التجأوا الى مصر من منطقتي برقة ، وطرابلس ، أو هاجروا اليها من منطقة كتامة في بلاد المغرب الأوسط .

وكانت منطقة واسعة بعضها داخل مدينة القاهرة وبعضها الآخر في ظاهرها خارج باب الخلق (267) . وحارة كتامة تجاور حارة الباطلية

264 - المقرئزي ، الخطط 1، 383 ، البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب 56 .

265 - الانتصار لواسطة عقد الأمصار 4 ، 36 ، وقارن ذلك بما ورد في المقرئزي ، اتعاط الحنفا 2، 173 . حيث أشار الى موت أبي عيسى بن بيوط (ينوط) الكتامي سنة 415 هـ .

266 - انظر لمعة (لجهول) ورقة 6 ، وعن عصر صاحب لمعة في سيرة المعز ، انظر ورقة 7 ويستنتج أنه عاش في أواخر العصر الفاطمي ، ثم ورقة 12 ، ويشعر السياك هنا بأنه من رجال العصر الملوكي ، ويبدو أنه الأقرب الى القبول .

267 - ابن دقماق : المصدر السابق 5، 37 .

شرقا ، ومن ثم اندمجت الحارتان في وقت ما ، واصبحتا تمثلان حارة واحدة ، تعرف باسم كتامة ، وأحيانا تعرف باسم الباطلية ، ولاحظ المقرئ أن مكانها في عصره كان يقوم فيه حمام كراي ، وما جاوره ، مما وراء مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام ، ويمتد من درب الأعر حتى رأس حارة الباطلية (268) . وموضعها الآن جنوب شرقي الجامع الأزهر، وتشمل المنطقة التي تتوسطها حارة الأزهرية وعطفة الدويداري ، وما يتفرع عنهما من مسالك ودروب (269) .

— وخط قصر ابن عمار ، وكان جزءا من حارة كتامة ، ومنه ينفذ المارة الى درب المنصوري على رأس الحارة الصالحة (270) ، ويأتون اليه من ناحية مدرسة ابن غنام (271) وقد عرف في عصر المقرئ بدرب القماحين، وهي التسمية التي غلبت عليه ، ويوجد الى جواره ، فضلا عن حمام كراي ، دار خوند الست شقراء ، وهي من الدور المشهورة في حارة كتامة ، تسبب الى إحدى بنات السلطان الملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وقد تزوجها الأمير رويس ، ثم انحرفت ، واتضعت في نفسها حتى ماتت في جمادى الأولى 791 هـ / 1388 - 1389 م (272) .

— وخوخة المطوع ، وتقع في أول حارة كتامة ، مجاورة للجامع الأزهر ، وتؤدي اليه وهي على مسافة قريبة من اسطبل الحمام الصفدي ، وعرفت بهذا الاسم ، نسبة لفارس يعرف بالمطوع الشرازي (273) .

268 — الخطط 10،2 ، النوري : المصدر السابق ورقة 8 ، الدوادري : المصدر 6،140 ؛ ابن دقماق : المصدر السابق 37،5 ، لمة ورقة 6 . القلقشندي : المصدر السابق 354،3 ، على مبارك الخطط التوفيقية 9،1 . عبد النعم ماجد : نظم الفاطميين 204،1 هامش 1 .

269 — أبو المحاسن : المصدر السابق 46،4 هامش 4 ، وسعة الخطة وتشعب دروبها هي التي جعلتها مركزا هاما للأحداث وقد أشير الى قتل أمين الأمان أبي عبد الله الحسين بن طاهر الوزان بأمر الحاكم في حارة كتامة ودفن هناك خارج المدينة أي في امتداد القاهرة خارج باب الخلق . انظر ابن الصيرفي : المصدر السابق 84 هامش 6 ، ابن دقماق : المصدر السابق 37،5 ، النياوي : المرجع السابق 248-249 (نقلا عن ابن الصيرفي) ، المقرئ : اتعاظ 108،2 .

270 — المقرئ : الخطط 40،2 .

271 — نفسه ، 36،2 .

272 — نفسه ، 74،2 .

273 — نفسه ، 45،2 .

— وخذق العبيد ، ويعتبر من أقدم آثار كتامة خارج مدينة القاهرة يجاور الحسينية ، وقد سكنه المغاربة ، نظرا لعدم انسجامهم مع السكان (274) ، ويرجح البعض أنه الآن فيما يسمى حي الدمرداش (275).

— وقد أشرنا من قبل الى مسجد توبة بن ميسرة الكتامي ، في القرافة الكبرى (276) .

— حارة الحمزيين (277) ، وهي خارج باب زويلة ، ونسبت لعناصر استقروا فيها وأصلهم من قرية حمزة (البويرة) (Bouira) التي أشرنا اليها من قبل ضمن مراكز كتامة وزواوة .

ويبدو ان آثار هذه القبيلة العتيقة في مدينة القاهرة كثيرة ، غير أن بعضها زال رسمه بالهدم ، أو بنيت مكانه منشآت جديدة ، اتخذت لها أسماء أخرى .

أما آثارها في الأقاليم ، فتذكر بها منية الكتامي ، وهي منطقة ضمن الأعمال الغربية ، التي كانت قصبتها مدينة المحلة ، وقد أشرنا الى أن مساحة هذه الناحية كانت تقدر بسبعمائة وثمانين فدانا وكان دخلها يوازي ثلاثة آلاف ومائتي دينار (278) ، وكانت هذه المدينة أو الاقطاع اكبر من طلخا ، مساحة ، ودخلا (297) .

وضمن مركز طلخا ، في منطقة الدقهلية (280) . يوجد منزل باسم كتامة ، كان هو وضياع كفر دميرة الجديد ومناخله ، والمنيل ، وكفر دميرة القديم ، وميت زنقر ودميرة (مقر الإصلاح الزراعي الآن) من بين تفتيش

274 — نفسه 22،2 ، القلقشندي : المصدر السابق 356،3 . ط 1963 . المقرزي : تماظ 1 39،1 س 145،8 س 9-10 .

275 — ابراهيم جلال : المعز لدين الله 84 .

276 — المقرزي ، الخطط 2،448 .

277 — نفسه 4،2 .

278 — ابن دقماق : المصدر السابق 5،95 ، وكبرى مدن الناحية سخا ، ثم طندتا (طنطا) ، التي نمت وأصبحت قاعدة الأقليم فيما بعد . انظر 88 ، 91 ، 94 منه ، القلقشندي : صبح الأعشى 3،388 ، 409-410 ، وانظر مختارات دي ساسي من كتاب زبدة كشف الممالك لابن فضل الله العمري في

De Sacy : Christoma Thie T. II p. 9

EI. Art Touta T. 4 p. 687

279 — نفسه 5،94 ، ويقدر اقطاع طلخا بـ 625 فدانا ودخلها السنوي بثلاثة آلاف دينار فقط .

280 — ودميرة كانت مقر التفتيش (الاقطاع) واذا لاحظنا ان طلخا كانت قبل الإصلاح الإداري ضمن محافظة الغربية هي وكل من مركزي بلقاس وشربين تبين لنا أن معظم آثار كتامة خارج القاهرة إنما توجد في منطقة الغربية .

(اقطاع) الأمير عمر طوسون . ولا يستبعد ان تكون منية لوزة التي كانت مساحتها ألفا وخمسمائة وثمانية وستين فدانا قد عرفت باسم فرع لوزة وهي من فروع كتامة المشهورة (281) .

وكان دور كتامة بارزا في وضع أسس قصر المعز لدين الله وفي بناء القنطرة ، التي أقامها جوهر فوق الخليج ليعبر منها الجند الى المقس ، لحرب القرامطة (282) .

ويذكر بعصر قوة كتامة ونفوذ عنصر المغاربة في الجيش الفاطمي عدة منشآت هامة منها :

— باب سعادة ، الذي ينسب لسعادة بن حيان ، الذي يوصف بغلام المعز (283) وقد ورد نجدة لجوهر وقام بجهد ضد القرامطة في الشام وتوفي بمصر في نهاية محرم 362 هـ . وحضر جنازته جوهر ، وصلى عليه الشريف مسلم (284) .

— الحارة الوزيرية وأغلب عناصرها من المغاربة الذين أهداهم الخليفة العزيز بالله الى وزيره يعقوب بن كلس ، بعد أن رضى عنه وأرجعه الى منصبه (285) ، وقد اطلق يده في التصرف في مصيرهم بالبيع أو بالعتق ، « وأنا ملكناه أعناقهم ، وحكمناه فيهم ، فمن أراد أن يبيعه باعه ومن أراد أن يعتقه اعتقه » (286) .

— حارة الباطلية وسكنها عناصر من المغرب ، قدموا مع حملة جوهر ، وسر التسمية الخاصة حسب أغلب الروايات يرجع الى قولهم « رحنا نحن

281 — ابن دقماق : المصدر السابق . 77،5 ، ولقب اللوزي يوجد في بعض اقاليم بلاد الشام الكبرى . وعن لوزة ، وبعض قادتها في العصر الفاطمي . انظر ابن عذاري : البيان ، 1 ، 302 س 16-17 .

282 — القرظي : الخطط 1،382-383 ، لمة (لجهول) ورقة 7 . وقد عرف احد ابواب القاهرة بباب القنطرة وهذا الاسم يطلق حتى الآن على احد ابواب قسنطينة .

283 — نفسه 1،383 ، القلقشندي ، صبح الأعي 3،350 ، لمة (لجهول) ورقة 7 .

284 — نفسه : اعطاء الحنفا 1،128 ، 130،132 .

285 — نفسه ، الخطط 2،6 ، لمة (لجهول) ورقة 5 . وداره في عهد مؤلف لمة في سيرة المعز ، سغدت مدرسة تحمل اسم الصحابي صفي الدين بن عبد الله بن علي . وقد وقفت على فقهاء المالكية .

286 — ابن الصيرفي : الاشارة 91-92 .

في الباطل » لانهم تأخروا عن موعد تفريق الأموال على الجند ، فحرموا من العطاء (287) ، ومكان الحارة الآن بدل عليه وجود شارع الباطلية وكانت جنوب شرقي الجامع الأزهر (288) .

– حارة الجوزرية وسكانها صقالبة ورد بعضهم من المغرب وتنسب لمن كان يشرف على شؤونهم في المغرب وهو الأستاذ جوذر ، الذي نسب اليه كاتب سيرته أبو علي منصور الجوزري ومكانها الآن في دائرة قسم الدرب الأحمر (289) .

ويذكر بزويلة ، حارة كبرى وبئر ثم بعض أبواب القاهرة المعزية ، وتعرف اليوم باسم حارة اليهود ، بشارع الموسكي (290) .

– حارة البرقية ، وهم نواتة وأحلافها وقد دخلوا مصر على فترات متقطعة ، وقد بلغ بعض أمراء البرقية منزلة كبرى في أواخر العصر الفاطمي ، ومنهم ضرغام صاحب الباب ، الذي وزر للعاقد ونافس شاوور ابن مجير السعدي (291) .

287 – القرظي : الخطط 2،8، لعة (لجهول) ورقة 6 ، ابن دقماق : الانتصار 5،37 ، ابن ابيك الدواداري : الدرر 6،140-141 وترد بصيغة الباطنية أيضا ، وعناصرها من المغرب . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1،195 هامش 6 .

288 – عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها 41 ، هامش (2) .

289 – القرظي : الخطط 2،5 . ناصري خسرو الرحلة 60 ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1،196 هامش 1، عبد الرحمن زكي . المرجع السابق 40 هامش 3 .

290 – القرظي ، الخطط 1،380 ، وقارن ذلك بما ورد في 2،4 . لعة (لجهول) ورقة 6 ، ابن دقماق : الانتصار 5،37 ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4،52 ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1،203 هامش 1 . والذي يلاحظ أنه لا أثر لقبيلة باسم زويلة التي هي صاحبة من سواحي المهدي أسسها عبيد الله المهدي ، وقد نسب إليها كل من سكنها من الجند والمبيد ، ويبدو أن مصطلح عبيد زويلة الذي يرد في بعض النصوص ، يقصد به أيضا أولئك الذين جلبوا من زويلة السودان في منطقة فزان ، وقد ذكر القرظي أن جوهر أنزل «أهل زويلة» في المكان المعروف بهم ولم يعبر بكلمة القبيلة .

291 – نفسه 2،12 . ابن ابيك الدواداري : الدرر 6،139 وما بعدها .

وينسب باب الشعرية في القاهرة لطائفة من البربر يعرفون ببني الشعرية (292) اما ما يرتبط بالعداسين (293) ، في القاهرة فينسب الى ابي الحسن علي بن عمر العدلس ، المغربي ، الذي ضمن اموال كورة بوصير وأعمالها في عصر المعز لدين الله ، وخلع عليه وسار بالبنود والطبول (294) .

وقد ولي الوساطة في عصر العزيز بالله بعد موت ابن كلس « فأمر ونهى ونظر في الاموال ، ورتب العمال وتقدم الا يطلق لاحد شيء الا بتوقيعه ، ولا ينفذ الا ما قدره وأمر به » (295) وتقلد مهمات ديوان الاستيفاء في عصر الحاكم بالله واستمر حتى قتل في رجب 393 هـ / ماي 100 م - وأحرقت جثته بالنار (296) .

ومن آثار المغاربة في منشآت القرافة ومؤسساتها الدينية ، يوجد مصلى الفتح ، وكان ملاصقا لمسجد الفتح وقد بناه ابو محمد القلعي المغربي المنجم الحافظي (297) ، وأشار ابن دقماق الى مسجد المغاربة بجزيرة الفيل والى سوقة باسمهم تجاور كوم الترمس ، على شاطيء النيل ثم زقاق عرف بزقاق المغاربة (298) .

ودار عباس ، هي احدى الآثار التي تشير الى علاقة الفاطميين بالزيريين ودور صنهاجة في تاريخ الدولة وتنسب لركن الاسلام ابي الفضل عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، الذي أهلتته مواهبه لكي يلي الوزارة في عصر الظاهر بعد أن كان واليا للقرية ، وغدت هذه الدار منذ العصر الأيوبي في اطار درب شمس الدولة الملك المعظم توران شاه الأيوبي (299) .

292 - نفسه 1،383 وهنا نشر الى انه لا يوجد اسم لقبيلة بربرية بهذا الاسم في المصادر التاريخية المعتمدة في انساب البربر وقبائلهم فلمعلم عشيرة تنتمي الى قبيلة من قبائل المغرب .

293 - ابن دقماق الانتصار 4،26 ويذكر درب العداسين وقارن هذا بما ورد في ج 5 ، 39 عن خط العداسين ايضا ، القرظي الخطط 2،42 ، ويشير الى سقيفة العداس ، ودرب العداس .

294 - القرظي : اتعاظ الحنفا 1،217 .

295 - نفسه 1،273 . الخطط 2 ، 284 .

296 - نفسه الخطط 2 ، النياوي : الوزارة والوزراء 242-243 ، نقلا عن ابن الصيرفي .

297 - القرظي ، الخطط 2،454 .

298 - الانتصار لواسطة عقد الامصار 4،15،32 وانظر ايضا ج5،46 .

299 - القرظي : الخطط 2،16،37 . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين 1 ، 50 النياوي، المرجع السابق 285 .

— أما حارة المصامدة فلم تظهر الى الوجود ، الا في عصر متأخر نسبيا ، يرجع الى عهد الخليفة الأمر ووزيره أبي عبد الله البطائحي الذي قرب اليه مقدم الطائفة ، وأقامه أمينا على أسراره وحارسا خاصا على ممتلكاته ، وامتاز بنو سوس منهم ، يحي خاص عرف باسمهم (300) .

وكان عنصر المصامدة في الجيش الفاطمي كثيرين (301) ، ولم يقتصر وجودهم على مصر ، بل كان لهم فرع في دمشق ، وقد بلغ مقدم هذا الفرع في أواخر العصر الفاطمي ، وهو زين الدين انتصار بن يحي المصمودي ، رتبة الولاية على بلاد الشام باتفاق الجند ، وكان ذلك في 468 هـ / 1075 م أي قبيل وصول طلائع الأتراك بقيادة اتسز ، وبعد أن غادرها آخر ولائها الكتاميين معلي بن حيدرة بن منزو (302) الذي يمثل وجوده استمرارا لوجود نفوذ كتامة وجزءا من الدور الذي مثلته هذه القبيلة في السياسة الخارجية للخلافة الفاطمية منذ فتح بلاد الشام حتى سقوطها في أيدي السلاجقة .



— وامتداد النفوذ الفاطمي ، الى بلاد الشام برهان قوي على أن مصر لم تكن هدفا مقصودا لدائه وانما باعتبارها قاعدة مفضلة لحراسة بلاد المغرب وجزءا من المسيرة الكبرى للسيطرة على المشرق وكذلك غدت بلاد الشام بعد ضمها رأس جسر يمتد نحو بغداد العباسية ، وخطا أماميا للوقوف ضد خطر الروم المتكالبين في منطقة الثغور ، ضد المسلمين « الذين عمهم الخزي وشملتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا ، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم » .

وقد كان هدف الفاطميين ، كما اتضح في وثيقة الامان ، « استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم وعذاب أليم » (303) .

ولما كانت بلاد الشام بحكم كونها منطقة نفوذ للاخشيديين وآلت نظريا ، وعن طريق الأثر بعد تصفية نظامهم في مصر الى الفاطميين ، وفي نفس الوقت كانت منطقة هامة في حرب الثغور (304) ، وأصبحت بعد فتح مصر

300 - نفسه ، 2 ، 16 .

301 - نفسه ، 2 ، 20 ، وقد لاحظ الرحالة ناصري خسرو أن عدد فرقة المصامدة كان عشرين الفا يوم الاحتفال بمناسبة فتح الخليج .

302 - ابن القلانسي : المصدر السابق 108 ، عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين 396 .

303 - القرظي : اعطاء الحنفا ، 1 ، 104 .

304 - وعن ثغور الشام والجزيرة والعواصم وكلها في بلاد الشام ويفصل بينها جبل اللكام انظر ماريوس كنار : نخب تاريخية وأدبية جامعة لآخبار الأمير سيف الدولة 370 وما بعدها .

منجاً لفلول المنهزمين من الكافورية والابخشيدية الذين ضموا جهودهم الى عناصر السلطة القديمة في بلاد الشام ، واصبح الخطر من جهتهم متوقفا فقد يادر جوهر بضمها الى مصر ، تأمينا للحدود وتوسيعا للنفوذ الفاطمي ، الذي امتدت خطوط دفاعه « فأصبحت في بلاد الشام وليست في مصر » .

وكان نائبه في قيادة الحملة الكبرى جعفر بن فلاح هو الرجل الاول الذي عهد اليه بتصفية بقايا الابخشيدية والكافورية وضم بلاد الشام فعليا الى نفوذ الخلافة الفاطمية (305) .

وكان يشرف على بلاد الشام كبير الاسرة الابخشيدية ، ابو محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج الذي كان مركزه دمشق ، وكان على طبرية وحوران والبشنية (306) ولاة من عرب بني عقيل ، ومنهم شبيب وظالم ، وملهم ، الذي كان يشرف عن طريق غلامه فاتك على طبرية وكان على بيت المقدس عامل ابخشيدي هو الصباحي ، ولما كانت الرملة ودمشق اهم مدن الاقليم التابع للابخشيديين فقد كان والي بلاد الشام يوصف احيانا بصاحب دمشق والرملة التي هي مدينة جنوب فلسطين العظمي (307) ، وقد ظفرت بمركز ممتاز فاق أهمية بيت المقدس بسبب موقعها الاستراتيجي وقربها من حدود مصر ، وقد تعرضت أكثر من مرة لغارات قرامطة البحرين وغدت بعد فتح مصر قاعدة حربية لمواجهة الغزو الفاطمي من جهة مصر، اذ استقر فيها الحسن بن عبيد الله بن طنج منذ شهر رمضان 358 هـ / يولييه 968 م ليخطط للمعركة القادمة مع جعفر بن فلاح ، وترك دمشق في عهدة احد موالى الابخشيديين ، وهو شمول ، ولأن الأخير ، كان يحقد على الحسن مكانته السياسية وسعة سلطانه ، و ينتظر به فرصة قدوم طلائع الجيش الفاطمي ليخذه ، ويظهر ما بيته له ، فقد اتصل بجوهر سرا وكشف له عورات البلاد وأبان عن وجهة نظره في الحسن بن عبيد الله ، ثم تقاعد عنه ورفض مساعدته في الرملة رغم الحاحه عليه وعلى الصباحي وفاتك في سرعة المجيء ، بسبب قرب العسكر

305 - عركامل توفيق : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي 66 - 67 ،

المقرزي : انماط الحنفا ، 120 ، ابن خلدون ، العبر 4 ، 100 ، ابن الاثير ،

الكامل 8 ، 212 ، النويري ، نهاية الأرب 26 ورقة 41 - 42 ، يحيى بن سعيد

الانطاكي : المصدر السابق 349 وما بعدها

عبدالمعظم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 109 ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي في

بلاد الشام والعراق 16 وما بعدها .

306 - والبشنية من كورة دمشق انظر : صلاح النجد : مدينة دمشق عند الجغرافيين

والرحالة 13 .

307 - ابن حوقل : صورة الأرض 171 .

الفاطمية ، وتركوه مع ثلة من مساعديه يواجهون الهزيمة ، ومحنة الأسر على يد جعفر بن فلاح ، منذ منتصف رجب 359 هـ / ماي 970 م وقد أرسلوا مقيدين الى مصر ، ومنها واصلوا الرحلة صحبة الهدية التي أنفذها جوهر الى بلاد المغرب (308) .

ويبدو أن حزم جعفر بن فلاح وسياسته ودعوته لولاية الأخشيديين لاعلان الولاء والطاعة للمعز لدين الله (309) ، هي التي صرفت كثيرا منهم عن مساعدة ابن طنج وأدته الى الاستسلام لقوات جعفر دون مقاومة تذكر ، الا في مدينة طبرية ، التي يبدو أن واليها فاتكا غلام ملهم العقيلي ، بيت على مقاومة قوات الفاطميين ، ولذلك تحصن جعفر في نقطة استراتيجية تسيطر على الجسر وبنى معسكرا اتخذه منطلقا لحرب فاتك ، رغم أن ملهما مال الى المودعة وتظاهر بالولاء والطاعة للفاطميين (310) . وعندما تم قتل فاتك غدرا ، تظاهر جعفر بأنه فوجيء بالحدث الذي لم يكن له به علم ، وتحفظ على عناصر التآمر من الاعراب ، وقدمهم الى ملهم ، ليقتص منهم ، فتحاشى الأخير قتلهم ، وعفا عنهم ، خوفا من الايقاع به (311) أما سكان المدينة فقد استاءوا للحدث ، والتحموا مع قوات جعفر ، وشهدت طبرية فتنة كبرى ، لم تقتصر آثارها على عناصر الخلاف وإنما شملت من جاء الى المدينة في هذا الظرف الدقيق ، وهم ممثلو سكان مدينة دمشق ، الذين غادرهم شمول الاخشيدي ، وانضم الى قوات جعفر بن فلاح في طبرية (312) ، فارتاع السكان وأرسلوا الى جعفر ، وفدا من شيوخهم

308 - القرظي : اتعاط الحنفا ، 121،1 ومابعدها ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة 4 ، 27 ، 32 - 33 ، ابن ابيك الدواداري : الدرر المضية 6 ، 123 - 125 - الذهبى : تاريخ الاسلام 3 ورقة 190 . بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة 6 ورقة 204 - 205 ، ابن الجوزي : مرآة الزمان ج 11 ورفقات 5 ، 15 ، العيني : المصدر السابق ج 19 (قسم 2) ورقة 233 - 234 ، ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق 1 ، ابن الاثير ، الكامل 8 ، 212 ، عبدالنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 109 ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام 18 .

309 - نفسه 1 ، 123 .

310 - القرظي : اتعاط الحنفا ، 121،1 ، ابن خلدون العبر ، 4،100 ، ابن ابيك الدواداري ، الدرر المضية 6 ، 125 ، ابن الاثير الكامل 8 ، 212 ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة 6 ورقة 205 .

311 - ابن ابيك الدواداري : المصدر السابق 6،126 وقد كان رد ملهم على جعفر « هو غلامي وقد وهبته » بيبرس الدوادار : المصدر السابق والورقة ، ويلاحظ أن جعفرا ترك طبرية الى دمشق ، لأن ملهما اقام الدعوة باسم المعز لدين الله دون أن يشير الى قتل فاتك .

312 - القرظي : اتعاط الحنفا ، 124،1 س 1 .

لاعلان الولاء ، ورغم أن القائد الكتامي استقبلهم بحفاوة وتبسط معهم في الحديث فانهم تألموا من سوء المعاملة ، وعندما رجعوا الى دمشق « غير شاكرين ، ولا راضين » عن قوم جفاة قباح المناظر والزي والكلام ، ليس لهم عقول يرجعون اليها « نقلوا الى سكان المدينة صورة قاتمة وانطبعا سيئا آذى مشاعرهم ، وادخل الرعب في نفوسهم (313) ، وجعلهم يستعدون للمقاومة الجدية بتوجيه اشراف دمشق وبمساعدة بقايا الاخشيديين والكافورية الذين لم يرافقوا شمولا ، ثم عنصر الأحداث والشطار » الذين كانوا بمثابة قوة دفاعية مدنية من بين عامة السكان ، وقد استغلوا حالة القلق في المدينة والفراغ السياسي بعد انسحاب شمول (314) ، وتفرق جنده ، لكي يظهروا عنصرا فعالا في حماية المدينة من الغزو الخارجي ، وبرزوا الى الحياة السياسية ويمثلوا دورا هاما في مدن الشام الأخرى قبل وبعد الفتح الفاطمي .

ويبدو أن أوضاع دمشق وحالة الاستعداد للمقاومة هي التي أملت علي ابن فلاح خطة أساسها الانتقاص من أطراف دمشق ، وكسر مقاومة بني عقيل في حوران والبثنية، وسكان الفوطة بجهد مشترك بين جزء من قواته وأعراب مرة وفزارة ، وذلك قبل اقتحام المدينة بقوات الحملة الرئيسية . وعندما شعر بأنه أبعد بني عقيل عن الميدان الى حمص ، ونال رجاله من ضواحي دمشق بعد خسائر تكبدها خف بكامل قواته (315) ، منذ يوم الخميس لثمان خلون من ذي الحجة 359 هـ ، وفرض حصارا رهيبا على المدينة ، واتخذ من يوم السبت 10 ذي الحجة معسكره ، ومقر قيادته بحي الشماسية ومن هناك أشرف على المعركة ضد أحداث دمشق وأشرافها وجندها الذين قاوموا ضغط جند كتامة فترة ثم بدؤا يميلون لانتهاء حالة الحرب والحصار في اطار الاعتراف بالسيادة الفاطمية ، غير أن جعفر بن فلاح ، لم يستجب لهم بسهولة ، قصدا لما عرفه من تقلب أهوائهم وسيطرة الشطار والأحداث ، والأشراف ، وسائر عملاء العباسيين على الوضع الداخلي ، ولذلك لقي وفد سكان المدينة معاملة سيئة أثناء محاولتهم الاتصال به في حي الشماسية للحصول على الأمان ، كما قوبلوا بالتهديد والوعيد من جانبه عندما قابلهم بنفسه وكان هدفه فيما يبدو أن يكون هؤلاء أداة تبليغ

313 - نفسه ، 123 ، 1 ، س 17-19 ، ابن ايك النواداري : الدرر المضية 6 ، 126 ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام 18 وما بعدها .

314 - نفسه ، 1 ، 124 . س 1 - 2 .

315 - ابن ايك النواداري : الدرر المضية 6 ، 126-127 ، القرظي ، اتعاط الحنفا . 124 ، 1 .

لسكان المدينة ولعناصر الشغب المتطرفين ، ليشثد خوفهم وتزداد حيرتهم ، عندما يعرفون مدى تصميم القائد على اخضاعهم بالقوة القاهرة ، وربما كان يريد بهذا التشدد أن ينصرف السكان عن المشاغبين ، ويتخلصوا منهم ، وبذلك تتبلور اتجاهات السلام والصلح على أساس متين ويبدو أنه نجح في خطته الى حد بعيد ، لأن السكان وقد هالهم هذا التشدد واحتاروا في معالجة الوضع ، لم يجدوا غير مشائخ البلد وأشرافها وكان جعفر بن فلاح يعيل اليهم ويقدرهم لأنهم من آل البيت ، وقد نجحت وساطتهم لانهاء حالة الحرب أما في نطاق الذل والاهانة التي قصدتها جعفر بقوله : «ما عفو عنكم حتى تخرجوا الى ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعر فيتمرغن في التراب بين يدي لطلب العفو . . وعندما أمعن في ذلالهم وعرف استعدادهم لتنفيذ كل ما يطلبه ، بدأ يتراجع عن موقف الشدة الذي اصطنعه حتى هذا الوقت ، وتبسط في الحديث مع الوفد ، وقرر أن يشرف بنفسه على اقامة الدعوة للمعز لدين الله في الجامع الاموي في يوم الجمعة ويتفقد شؤون المدينة تطيبا لخاطر السكان ، ثم يرجع الى معسكره بالشامسية .

وكان أعضاء الوفد قد بلغوا ذلك ، ورجبوا من عنصر الشطار أن يلازموا بيوتهم ، غير أن هؤلاء لم يستجيبوا لهذه الرغبة واستغلوا فرصة انتشار عسكر كتامة في احياء المدينة وأسواقها اثر الصلاة وقتلوا منهم كثيرين بحجة الدفاع عن النفس وعن الاموال ، فتأثر جعفر للحادث واعتبر ما حصل حركة عدائية مقصودة لنقض عهد الامان الذي تقرر مع وفد المدينة ، وانكر على المشائخ والاشراف ما حصل من الغدر برجال أمير المؤمنين وتهدهم ولم تهدأ ثورته الا عندما اعتذروا عن الحادث ووافقوا على ما اقترحه من دفع ديات ضخمة ، فدية لمن قتل من عسكره وتكلفوا بجمع المال من السكان الذين أصابهم عنت كبير في جبايته (316) .

وتشير النصوص الى ثورة عامة شهدتها مدينة دمشق في الجمعة الثانية اي بعد الاتفاق على مبدأ الصلح وقد تزعمها عنصر الاشراف بقيادة ابي القاسم بن ابي يعلى ، الذي كان بمثابة رئيس المدينة ينتهي السكان عند رايه ، ويطيعه الشطار ، وقد انضم اليه عرب بني عقيل ومنهم ظالم بن موهوب وابناء عسودا ، محمد ، واسحاق ، وكان مظهر الثورة قطع

316 - القريري : اعاطف ، 124،1 - 125 . ابن خلدون : العبر ، 4، 100 - 101 ابن ابيك الدواداري : المصدر السابق 6، 127 - 128 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ورقة 190 ، 192 ، ويلاحظ هنا ادخال الاذان الشرعي منذ صفر 360 هـ ثم الامامة منذ جمادي الآخرة من نفس السنة ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق 6 ، ورقة 205 ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق 11 ورقة 15 ، ابن الاثير ، الكامل 8، 212 .

الدعوة للمعز لدين الله وازالة شعار الفاطميين وارجاع الدعوة للمطيع العباسي ولبس شعار السواد ، وكانت الثورة من الخطورة بحيث أن جعفرا واجهها بقوة ، واجتهد في اخمادها وفي القبض على رؤوس الفتنة ومثيري الشعب ، ويبدو أن جهوده اثمرت في النهاية ، وفشلت الثورة وقر زعماءها خارج دمشق ، وبينما نجا محمد بن عسودا ، وظالم بن موهوب العقيلي بالفرار الى الاحساء حيث نجحوا في الكيد للنفوذ الفاطمي بتأليب القرامطة وتشجيعهم على العودة الى بلاد الشام ، فشل الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى ، في النجاة بنفسه الى بغداد ، فأدركه ابن عليان العدوي ، في صحراء تدمر ، وأرجعه الى دمشق لكي ينال الجزاء من قائد الفاطميين (317) ، وقد قام جعفر بن فلاح بتشهيره في المدينة على جمل ، وفوق رأسه قلنسوة من لبود ، وفي لحيته ريش مفروز ، ويده قسبة ، ومن ورائه رجل مغربي يوقع به ، ثم أودعه السجن وأخضعه لامتحان عسير حتى رق لحاله وتأثر من مصيره ووعدته التوسط عند جوهر لتخفيف العقوبة عنه وحرم ابن عليان من المكافأة وخاطب رجاله مستنكرا عليهم بقوله : « غدرتم بالرجل » ثم صرفهم عنه بدون مال ، وأرسل الشريف وبعض (318) «الأحداث» الى مصر ، أما الباقون ومعهم اسحاق ابن عسودا ، فقد قتلوا وصلبوا واحتزرت رؤوسهم وعلقت على أبواب المدينة ، وفي الميادين الكبرى ، وكان فشل هذه الثورة عاملا هاما في تشريد عنصر الاشراف والحد من تطرف الأحداث ، وشغب السكان في دمشق التي استقرت أوضاعها مؤقتا ، وعادت الدعوة الفاطمية اليها ، كما كانت من قبل .

وعندما بدأ لجعفر بن فلاح انه سيطر على الوضع الداخلي بتحطيم عناصر المقاومة ، بدأ يرسي قواعد السيطرة الفاطمية ويطبق مظاهر التحول الجديد ، في الدعوة ، وفي الأذان والاقامة . وتصرف على نحو يشعر بأنه اطمأن على الوضع فانتقل من معسكره بحي الشماسية الى الدكة فوق

317 - نفسه 126 ، بيبرس النوادر : المصدر السابق 6 ورقة 205 ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق 11 ، ورقة 18 ، ابن ابيك النواداري : المصدر السابق 6 ، 132 ، أبو العباس : المصدر السابق 4 ، 32-33 ومقدار ما رصد لن يقبض عليه حيا كان مائة الف درهم .

318 - ابن اقلانسي : المصدر السابق 1 ، أبو العباس : النجوم الزاهرة 4،32 - 33 ، ابن خلدون : العبر 4،101 ، المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، 1،126 ، ابن الأثير ، 212،8 .

نهر يزيد (319) ، بظهر سور دمشق ، وأشرف على حركة التعمير والبناء ، فاتخذ لنفسه قصرا عجيبا بناه بالحجارة وتفنن في بنائه حتى جعله « شاهقا في الهواء غريب البناء » وحوله بنى الجند مساكنهم ومعسكراتهم ونشطت حركة البيع والشراء في أسواقهم واتسعت خطتهم وانبثت الحياة بين أظهرهم حتى صارت خططهم « شبه المدينة » (320) ، وعنى بالجهة الشمالية ، وبمنطقة الثغور ، فأرسل بعوثا عسكرية بقيادة بعض مساعديه ضد الروم البيزنطيين في الاسكندرونة (321) وانطاكية التي احتلوها منذ فترة سابقة (محرم 359 هـ / نوفمبر 969 م) . وبدءوا يضغطون بشدة على مدن شمال الشام وحلب خاصة ، استضعافا للحمدانيين ، بعد وفاة سيف الدولة (322) سنة 356 هـ - 967 م ، وكان قد أرسل من قبل داعيا هو أبو طالب التنوخي الى أبي تغلب ناصر الدولة بن حمدان في الموصل يعرفه بأنه في طريقه لإعلان الدعوة الفاطمية في بلاده ، فرفض بشدة على أساس قرب المنطقة من بغداد ، ومن ضغط القوات العباسية ، ولخص رأيه في قوله : « هذا ما لا يتم ، لأننا في دهليز بغداد والعساكر قريبة منا ولكن اذا قربت عساكرهم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » (323) .

ورغم أن بلاد الشام حسب مظاهر السلطة المادية والتغيرات المذهبية ، التي فرضت في عهد جعفر بن فلاح ، قد أصبحت ولاية تابعة لنظام الفاطميين ، فانها لم تبق عضو صالحا ولم تحظ بميزة الاستقرار بل غدت منطقة اضطراب ، ونقطة ضعف بارزة . وانصراف الخلفاء الى معالجة مشاكلها ، وصرف طاقتهم الكبرى في ميادينها ، اثر على نفوذهم في مصر ، وفي بلاد المغرب خاصة ، التي انحط شأنها وأصبحت نسيا منسيا ، ومجالا حرا لتصرفات الزيريين .

319 - وهو احد فروع نهر بردى الخمسة ، انظر : EI. Art Barada T. I p. 668
320 - القرظي : اتعاط الحنفا 1، 125-126 ، ابن ابيك النواداري : الدرر المضية 6 ، 129 .

321 - القرظي : اتعاط 1، 126 ، ابن ابيك النواداري : المصدر السابق 6 ، 132 - 33 ، وقد قاد الحملة الاولى فتوح الكتامي الذي تلقى نجدة قادها عراس . يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 350 ، بيبرس النوادار : زبدة الفكرة 6 ، ورقة 208 ، ويلاحظ هذا المؤرخ أن جعفرا استأذن جوهر ، في القيام بالنشاط ضد الروم ، وقاد بنفسه حملة قوامها عشرون الفا من رجاله . عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي 74 .

322 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ 8، 214، 216، 217 ، ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورفات 9-11 ، جمال سرور النفوذ الفاطمي في الشام ، 21-22 .

323 - القرظي : اتعاط الحنفا 1، 187 ، وقارن ذلك بما ورد في 98 منه عن وصية المر لدين الله للقائد جوهر وخلاصة رأيه في بني حمدان . وما صنعه جعفر بن فلاح كشف عن اضطراب الحمدانيين وتقلبهم ، وقد ظهر ما يؤيد ذلك أثناء الصراع مع القرامطة في بلاد الشام .

وعدم استقرار النفوذ الفاطمي في بلاد الشام من اسبابه عدم اقتناع الجماهير السنية بالحكم الشيعي واحتفاظهم بالولاء للعباسيين ، أصحاب السيادة العليا على البلاد ، وهم رعاة المذهب السني ، وأعداء الفاطميين ، واعتماد هؤلاء على عناصر مغربية مشاغبة تخالف جماهير السكان في المذهب الديني ، طبع حكمهم بالتطرف ، وجعلهم يبدون وكأنهم حكام غرباء أجنب عن البيئة الشرقية التي ترعرع أسلافهم فيها .

وملاحظة هذه الاعتبارات توضح كيف أن النضال ضد الفاطميين في بلاد الشام ، لم يكن سياسيا ومذهبيا فقط ، وإنما كان يرتبط أيضا بفكرة الكفاح ضد العنصر « الاجنبي الدخيل » ولذلك لقي سكان بلاد الشام ومدينة دمشق خاصة وعنصر الأشراف والاحداث ، تأييدا فعالا من جانب العباسيين والبويهيين الشيعة ، والحمدانيين ، والقرامطة أيضا ، فجميع هؤلاء رغم اختلافهم المذهبي والسياسي وتنوع أغراضهم كانوا اليا واحدا ضد الفاطميين ، ونوابهم في الشام .

وكان يمكن أن تتحطم جميع مشاريع المخالفين ويتغلب جعفر بن فلاح على المشاكل الداخلية والخارجية لو استعد ونسق مع نائب المعز لدين الله وراقب الوضع الداخلي ولم يثر خلافا مع بني حمدان غير أنه أخطأ التقدير وأثار خلافات جانبية ولذلك انهار بنيانه ولقي مصره عند أول اصطدام بعناصر المعارضة للحكم الفاطمي التي أغراها الانتصار السريع في بلاد الشام بمتابعة نشاطها لتصفية ما للفاطميين من نفوذ في مصر .



ومعارضة القرامطة للحكم الفاطمي في بلاد الشام ، التي ظهرت فجأة كانت أخطر المشاكل التي واجهتهم في بداية اتصالهم بهذه البلاد .

وقد كان القرامطة اسماعيلية ومرتبطين بروابط ودية مع الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب . وكانوا يتظاهرون بأنهم يعملون باسمهم في المشرق لأنهم من أتباعهم ، وعندما كانت مصلحة الفاطميين في الضغط على الخلافة العباسية لينجح مشروع فتح مصر ، لم يتوان القرامطة في توسيع نشاطهم ضد أراضي الخلافة خدمة للفاطميين ، كما أنهم أخذوا الحجر الأسود ، ثم أرجعوه بعد سنين طويلة استجابة لرغبة أحد خلفائهم .

وكانوا من قبل قد رفضوا جميع العروض المادية (324)، واذلال الاخشيديين في بلاد الشام وهم اتباع للعباسيين (325) أن كان مفيدا لنائب الفاطميين في مصر ظاهرا ، لأنه سهل على ابن فلاح مهمته في بلاد الشام فقد كان بداية للاحتكاك بين القرامطة والفاطميين الذي تحول الى حركة صراع مرير ، لم يقتصر على بلاد الشام وإنما تجاوزها الى مصر ، وكان ذلك في عصر أبي علي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد بن بهرام ، المعروف بالاعصم (326) ، الذي ولي الامارة بعد وفاة أبيه سنة 359 هـ / 969-970 م وقد بنى سياسته الخارجية على أسس منها :

— التحرر تدريجيا من التبعية السياسية والمذهبية للفاطميين ، نظرا لتعارض المصالح بين الأستين (327) . وتأكيدا لهذا الاتجاه ، أبعده الحسن ابن أحمد العناصر الموالية للفاطميين من أسرة أبي طاهر وجمعهم في جزيرة (أوال) حتى لا يعتمد الفاطميون على ولائهم في التمهيد لاحتداث الشقاق الداخلي ، كما لم يعترض أثناء وجوده في مكة (359 هـ) على إقامة الدعوة باسم الخليفة المطيع العباسي ، مع أن أشرف مكة كانوا يدعون للمعز لدين الله ويتقلدون الحكم باسمه منذ أن تدخل لفض خلافاتهم ودفع ديوات قتلاهم (328) ، ولا يفسر موقف الحسن بن أحمد ، الأعلى أساس أنه محاولة للتقرب من العباسيين وبني بوبه ، على حساب الفاطميين ، وعندما بدأ المعز لدين الله في التحرك ضد الحسن بن أحمد بتشجيع أسرة سابور أبي طاهر رد عليه بحذف اسمه من الخطبة والدعوة للمطيع وإعلان الولاء للعباسيين نكاية في الفاطميين .

324 - القرظي : اتعاف الحنفا 180،1-181 ، وعن نشاط القرامطة ضد البصرة والكوفة انظر 182 وما بعدها ، وقد أخذوا الحجر الأسود سنة 317 هـ وأرجعوه في ذي الحجة سنة 339 هـ أي في عهد أبي الطاهر اسماعيل ، ابن الأثير : الكامل 8،71،175 وقد قالوا « أخذناه بأمر واعدناه بأمر » وقد فزوا بلاد الشام في نفس السنة التي فتحت فيها مصر ، عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين 100 وما بعدها .

325 - القرظي : اتعاف الحنفا 186،1 ، الذهبي : تاريخ الإسلام 3 ورقة 189 ، ويلاحظ أن القرامطة كانت نيتهم متجهة نحو مصر أيضا لولا انتهاء فتحها على يد جوهر الصقلي ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 64-65 .

326 - ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 72 ويلاحظ أن الحسن بن أحمد ولد بالأحساء 278 هـ وتوفي بالرملة سنة 366 هـ .

327 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 1 س 15-16 .

328 - القرظي : اتعاف الحنفا 101،1 ، الخطط 1،353 .

– الاحتفاظ بالمركز السياسي للقرامطة في بلاد الشام كان ركنا سياسيا في سياسة الحسن الاعصم ، تمسكا بحق الفتح على أساس أن ذلك يتيح لهم مجالا للتوسع ، وميزات اقتصادية هامة تمون خزينتهم بمبالغ مالية ضخمة . وهذا الاتجاه جعل انحسن الاعصم يقف موقفا معارضا لمد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ويتناقض مع نفسه ويخرج عن اطار الخط السياسي لاسلافه .

ولكي يبرر نشاطه ضد النفوذ الفاطمي ، ويمهد للاصطدام الذي اعد له ، طلب من جعفر بن فلاح (329) الاستمرار في دفع الأموال الى القرامطة اعتبارا بان البلاد ما زالت تابعة لهم في اطار سياسة الصلح التي قررها أحمد بن أبي سعيد ، والحسن بن عبيد الله بن طنج ، ويعني هذا الطلب المثير أن يصبح جعفر بن فلاح ، معترفا بنفوذهم ومتحملا لنتائج ترتبت عن توسعه باسم الفاطميين ، في أرض ارتبطت مع القرامطة برباط الصلح نظير دفع الأموال (330) ، وعلى هذا الاعتبار يصير القرامطة برباط الصلح للفاطميين في بلاد الشام أتباعا لهم في الأحساء ، ولأن الطلب غريب وانبنى على تجاهل متعمد للوضع الجديد في بلاد الشام فقد رفضه جعفر واعتبره غير معقول وترتب على الالجاج من ناحية القرامطة والرفض الحاسم من جهة جعفر الاصطدام المباشر في ميدان الشام (331) ويبدو أن جعفرا لم يتصور تدخلهم العسكري بسرعة ، ولذلك لم يستعد لمواجهة حتى فاجأوه وهو في قلة من أنصاره .

وقد مهد القرامطة للتدخل في شئون الشام بترحيبهم بالزعماء الفارين منها ، عقب فشل ثورتهم في دمشق ، ومن هؤلاء محمد بن عصودا ، وظالم ابن موهوب ، اللذان بسطا للقرامطة حقيقة الوضع السياسي وموقف السكان من الفاطميين وحثا الحسن بن أحمد على سرعة التدخل لنجدة سكان البلاد من بطش المغاربة (332) . وفرار هؤلاء الزعماء الى الاحساء ، كان يعلم به القائد الكتامي لكنه لم يدرس عواقبه ويحذر نتائجها ، أما الحسن

329 – ابن الجوزي : المصدر السابق 11 ، ورقة 74 ويشير الى مكانة الحسن بن أحمد للقائد الكتامي وتضمنت قوله يهدده :

والحق متبوع والخر موجود
والسلم مبتل والقتل ممدود
وان ايتم فهذا الكور مشدود
دمشق والباب مهدوم ومردود

الكتب معبرة والرسل مخبيرة
والعد ساكنة والخيول صافنة
وان انبتم فمقبول انابتكم
على ظهور المطايا او يردن بنبا

330 – وكان مقدارها سنويا ثلاثمائة الف دينار (المقرئزي : اعطاف 1، 187) بيبرس الدوادار : المصدر السابق 1 س 17 ، ولقدرها الذهبي بمائة الف وعشرين الفا (تاريخ الاسلام 3 ، ورقة 189) .

331 – عمر كمال توفيق : المرجع السابق 76 .

332 – المقرئزي : اعطاف 1 ، 186 ، الدواداري : المصدر السابق 132، 133 .

الأعصم فقد اهتبل الفرصة ، وتظاهر بأنه منقذ لسكان الشام ومنفذ لرغبات زعمائهم ، ولم يكن في الواقع حريصا على غير تحقيق أهدافه في البلاد على نحو يبقيا تحت دائرة نفوذه السياسي والاقتصادي ولو بالتحالف المؤقت مع العباسيين والبويهيين .

وبدافع الحرص على التظاهر بالتمسك بالشرعية وليضمن لنفسه قدرا كبيرا من النجاح أرسل إلى المطيع العباسي ، وعز الدولة بختيار البويهي ، يعرض تبعية بلاده للخلافة العباسية ، واستعداده للعمل في بلاد الشام باسم العباسيين ويطلب اعتماده واليا في بلاد الشام ، في إطار الخلافة الشرعية ، واشترط لتنفيذ ذلك أن يلقي مساعدة مادية من طرف الخلافة العباسية وولاتها . ورغم أن المطيع العباسي ، لم يتحمس لحركة القرامطة ولم يأبه لسياسة الاعتراف من جانبهم باعتبارها حادثا مؤقتا قد يزول بسرعة وأملته اعتبارات مادية صرفة ، ولخص وجهة نظره في قوله لسultan البويهيين « كلهم قرامطة ، وعلى دين واحد ، أما المصريون فأما تواتوا السنن وقتلوا العلماء وأما هؤلاء فقتلوا الحاج ، وقلعوا الحجر الأسود » (333) ، فان عز الدولة بختيارا ، رأى الفرصة مناسبة لاستغلال الانشقاق بين الفاطميين والقرامطة ، للتوسع على حسابهم في بلاد الشام ، فأمد الحسن بن أحمد بالعدة الحربية وبالاموال وأرسلها إلى الكوفة (334) ، وطلب من أبي تغلب ناصر الدولة ابن حمدان في الموصل أن يقف إلى جانب الحسن الأعصم في حركته ضد بلاد الشام ، وفي اللقاء الذي تم بينهما في الرحبة ، أظهر الحمداني استعداده لمصاحبة الحملة ، أو اللحاق بها ان دعا الأمر وسمح لجنده بالانضمام ، كما انضم إليها بقايا الكافورية والاششدية (335) .

وفي الوقت الذي التأم فيه شمل الأحداث بقيادة الحسن الأعصم ، الذي أصبح في حالة تعبئة كاملة من الناحيتين المادية والمعنوية وصار يتظاهر بأنه يتصرف بوحي من الإرادة الشعبية في بلاد الشام وفي إطار

333 - ابن الجوزي : المصدر السابق 11 ورقة 72 .

334 - نفسه 11 ورقة 18 ، وقدرها بالف ألف درهم والف جوشن ، والف سيف ، والف رمح ، والف قوس ، والف جمبة ، ابن أبيك النواداري : المصدر السابق 6 ، 134 ، القرظي ، انماط 187،1 .

335 - ابن أبيك النواداري : الدررة المضية 6 ، 134 ، القرظي : المصدر السابق ، 126،1 - 187،127 . وقد لاحظ الحمداني « أن العسكريين واحد » كما عبر للحسن الأعصم عن رغبته في تصفية النفوذ الفاطمي منذ زمن طويل بقوله : « هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي ، وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد على خيولك فان احتجت إلى مسيري سرت إليك » ولا سبب لذلك غير غضب الحمداني من تصرفات جعفر بن فلاح ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 77 .

الشرعية لتصحيح الأوضاع المنحرفة ، حيث اتخذ الاعلام السود شعارا وعليها اسم الخليفة المطيع ، وتحته شعار القرامطة الجديد « السادة الراجعون الى الحق » وزحف ضد دمشق ، كان موقف خصمه جعفر بن فلاح سيئا الى حد بعيد ، فضلا عن أنه كان شبه محاصر في بلاد الشام بجمهور غفير من المخالفين له في المذهب الديني ، يؤيدهم الأشراف والشطار كانت علاقته بجوهر قد فترت بسبب تصرفاته ولذلك لم يكتبه عن تطور الوضعية في بلاد الشام ، أو يطلب مساعدته بالقوات اللازمة ويبدو أن جوهر ما كان ليقوم بعمل جاد لفائدته لما بلغه عنه ، ولأن أوضاع مصر كانت تشغله ، ويظهر أن جوهر كان على علم بما يجري من استعدادات لتصفية النفوذ الفاطمي في بلاد الشام بيد أنه ترك جعفرا يواجه الأزمة بنفسه مادام قد تظاهر في رسائله الى المعز لدين الله بأنه يستطيع الاستغناء عن ارشادات جوهر ومعاونته وأن عمله في بلاد الشام لا يقل أهمية عما قام به القائد الصقلي في مصر (336) . وقد لاحظنا من قبل كيف أن حرصه على اقامة الدعوة الفاطمية في الموصل ، أحق ابا تغلب ناصر الدولة بن حمدان وأغراه بالتألب مع المخالفين للنفوذ الفاطمي .

ولم تكن قوات جعفر بن فلاح مجتمعة في دمشق ، بل أغلبها كان في النواحي أو في منطقة الاسكندرية لحرب الروم ، ومن ثم لم يتم له استرجاعها الى دمشق وحشدها ضد الأحلاف المعادية على الوجه الذي أراده ، وهكذا فوجيء بقوات ضخمة لم تكن يتوقعها وهو في قلة من الاعوان . « فلم يكن إلا كرجع الطرف أو دونه حتى انهزمت المغاربة » (337) .

ويلاحظ أن جعفرا لم ينظم قواته ولم يختبر الحالة السائدة بينهم كما لم يقدر قوة أعدائه ، لأنه لم يرتب طلائع لتقصي أخبارهم وحركاتهم وذلك بدافع الضرور ، والاستهانة بهم ، ومن ثم « لم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق » (338) .

336 - القرظي : الخطط 1، 378 .

337 - نفسه : اتعاط 126، 1 ويشير هنا الى انسحاب فتوح عن انطاكية على عجل تاركا كثيرا من العلف والطعام بقصد أن يصل الى دمشق في وقت قصر ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة ورقة 48 ، يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 350 - 351 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 78 .

338 - بيبرسى الدوادر : زبدة الفكرة 6 ورقة 116 ، القرظي : اتعاط الحنفا 1، 187 س 6-7 وهنا يصور الوضع بقوله « تفرق الناس عن جعفر الى مواضعهم ، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق » ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 1 .

وقد أخذ جعفر برأي بعض اعوانه ، ففارق مركزه الحصين في مدينة دمشق ولقي قوات الأخطاف خارج المدينة « بطرف البرية » (339) ، وهذا جعل جانبه ضعيفا بسبب كثرة أعدائه ، ولو أنه ترك الأمر لأحد مساعديه ، وبقي في المدينة يمدده بالنجادات ، ولم يخرج بنفسه على حالتي الاستعجال ، والارتجال ، وربما كان مريضا (340) ، لأمكن الصمود ، وتدبير الدفاع عن المدينة من داخل الأبواب . ولو لفترة يسيرة ، ولما وقع الانهيار السريع لخطوط دفاعه ، عند أول لقاء بالقوات المهاجمة في قرية الدكة على نهر يزيد حيث هزمت قواته وتفرق رجاله وأصبحوا بين قتيل ، وأسير ، وفار ، كما قتل - هو - في ظروف غامضة ، واحتز رأسه محمد ابن عسودا ، وصلب جثته على حائط داره ، انتقاما منه لقتله أخاه اسحاق بن عسودا أثناء فشل ثورة الشريف أبي يعلى (341) .

وأصبحت دمشق منذ 6 ذي القعدة 360 هـ / أغسطس 970 م ، منطقة نفوذ للحسن بن أحمد القرمطي الذي باشر جباية المال من سكان المزة ، ومنح الأمان لهم ولسكان دمشق ، كما أعلن الدعوة للمطيع العباسي ، وتظاهر بأنه أمير مفوض من طرفه وأعاد شعار السواد ، والخطبة في كل المدن التي استرجعها من ولاية الفاطميين (342) ، وأهمها الرملة التي فارقتها سعادة بن حيان وتحصن في يافا ولما انصرف عنها الحسن بن أحمد ترك لحصارها ظلما بن موهوب العقيلي وأبا الهيجاء بن المنجاء القرمطي ، ويظهر أن الأمر لم يطل بسعادة بن حيان ، حيث تركها إلى مصر (343) ، التي أصبحت هدفا مباشرا للقرامطة بعد سقوط بلاد الشام .

- 339 - المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، 187-188 ، ابن ظافر : المصدر السابق ورقة 48 وفيه عن مسرح المعركة قوله « لقيه جعفر دونها » .
- 340 - ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورفات 15 ، 18 ، النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 41-42 .
- 341 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 2 هامش 1 ، وتعرف الدكة بالدواسة أيضا ، وقد اعتبرت من عجائب دمشق ، ابن ظافر أخبار الدول النقطمة ورقة 48 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 78 .
- 342 - المقرئزي : اتعاظ 1، 188 ، ابن أبيك النواداري : المصدر السابق 6، 135 ، العيني : المصدر السابق ج 19 (ق2) ، ورفات 246-248 ، بيبيرس النوادار : المصدر السابق 6 ، 116 ، ابن الجوزي ج 11 ورقة 18 ، أبو الحسن : المصدر السابق 4 ، 59 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 78-79 .
- 343 - نفسه 1 ، 130 س 18-19 ، 88 ا س 3-6 ، ابن الجوزي ج 11 ، ورقة 18 ، النواداري : المصدر السابق 6، 135 - 136 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 79 ولم يفارق سعادة بن حيان مصر حتى توفي لعشر بقين من محرم 362 هـ ، أي قبل وصول المعز لدين الله . أنظر المقرئزي ، اتعاظ 1، 132 س 3 ، ولذلك لم يقدر له أن يشترك إلى جانب جوهر والمغاربة في الدفاع عن القاهرة ضد القرامطة أثناء حملتهم الثانية .

وقد استخلص جوهر الصقلي ، العبرة من قتل جعفر بن فلاح على يد القرامطة وتحاشي سعادة بن حيان الاصطدام بهم ، بسبب تفوقهم العددي وبذل جهودا جبارة من أجل تقوية مركزه في القاهرة ، فاحتفر خندقا في الجهة الشامية ليمنع نفاذ القرامطة الى المدينة ، ونصب عليه بابين من حديد ، وبنى القنطرة على الخليج وفرق السلاح على المغاربة والمتطوعين المصريين ، وتحفظ على ابن الفرات ووكل به من يلازمه حتى في داره ، ويصاحبه حيثما سار (344) . ثم اجبره على البقاء في القاهرة 345 . كما راقب بقايا الكافورية والابخشدية في مصر ، وكان هدفه من هذه الاجراءات ، ومن التحصن بمدينة القاهرة « أن تصير - هذه - حصنا فيما بين القرامطة ومدينة مصر ليقاتلهم من دونها » (346) . وكانت هذه الاجراءات ضرورية ، لأن ضغط القرامطة على حدود مصر هيا لعناصر المعارضة في الداخل فرصة التحرك ، وفي الوقت الذي ثار سكان تنيس ضد واليهم واستغلوا فرصة سيطرة القرامطة على القلزم (ذي الحجة 360 هـ) (347) ، وعلى الفرما (محرم 361 هـ) فخلعوا طاعة جوهر وظهروا الدعوة للمطيع العباسي ، وشعار السواد ، وزعت مناشير وجد شيء منها في الجامع العتيق ، وتضمنت التشهير بجوهر وتحذير السكان منه (348) ، وظهرت ثورة عباسية في الصعيد . وتحرك سواد الرعية لترديد بعض الشعارات المعادية للشيعة (349) ، كما مال الجند المصريون الى العصيان .

وقد واجه جوهر هذه التحركات المعادية بحزم وبحكمة فأدب ثوار تنيس ، والصعيد ، ووبخ السكان على ترويجهم للدعايات السيئة ، واثارتهم للعنف استغلالا للظروف الدقيقة ، وقد اعتذر السكان ، ورجع الهدوء الى مدينة الفسطاط واستقر الوضع الداخلي حتى مستهل ربيع الاول 361 هـ حيث بدأت المعركة الحاسمة مع القرامطة حول الخندق ، وبعد قتال عنيف استمر عدة ايام انتهت المعركة لصالح جوهر ، وجند كتامة وانهزم الحسن الأعصم وأحلافه من بني عقيل وطي ، وبقايا الكافورية ، وانسحب ليلا عن طريق القلزم الى بلاد الشام ، ومنها الى الاحساء ، بعد أن ترك أبا الهيجاء عبد الله بن علي بن المنجا في دمشق يساعده ظالم

344 - القرظي ، اتعاظ 1 ، 129 س 1-4 .

345 - نفسه ، 130 س 6 .

346 - نفسه ، الخطط 1 ، 361 .

347 - نفسه ، اتعاظ الحنفا ، 129 .

348 - نفسه ، 129-130 .

349 - نفسه ، 1 ، 130-131 .

بن موهوب العقيلي ، ومهمتهما المحافظة على ولاء بلاد الشام وجباية خراجها ، وكان الحسن يقرب ابا الهيجاء ، ويعتمده ، وذلك ما أغضب ظالما وجعله ينسحب من الحلف ويبقى في بعلبك بعيدا عن نفوذ القرامطة والفاطميين الى حين (350) .

وإذا كانت جهود جوهر قد كللت بالنجاح فان رغبته في قتل الحسن الأعصم أو أسره حيا ، لم تتحقق رغم أنه رصد لمن ينجح في ذلك ، ثلاثمائة ألف درهم وخمسين خلعة وخمسين سرجا بحلى على دوابها (351) . ومعنى ذلك أن المشكلة لم تجد حلها النهائي بعد ، ذلك أن الحسن الأعصم الذي انسحب مؤقتا (352) ، لمزيد من الاعداد ، دبر خطة جديدة أساسها الضغط على مصر بحرا ، وبرا ، وشعور جوهر بحدة المشكلة دفعه الى مكاتبة المعز لدين الله يستحثه على القدوم الى مصر ، فاستجاب وأسرع « وهو يظن أنها ستخرج من يده قبل وصوله اليها » (353) . كما أمد جوهرًا بنجدات برية هامة (354) .

وبفضل اخلاص جند كتامة وشجاعتهم وبأس ابن عمار تحطمت مشاريع القرامطة ، ففشل الغزو البحري لمصر عن طريق تينيس وغيرها من سواحل مصر (555) ، وأنزلت بهم هزيمة في الحوف (356) . وأسر كثير من رجالهم واحتجزت سفنهم وأعلامهم وعدتهم (357) .

ويبدو أن المعز لدين الله لم يكن يتصور مدى خطورة الحركة وهو في بلاد المغرب ، لان تفاصيلها لم تبلغه كما وقعت فعلا ، فلما استقر في القاهرة

-
- 350 - ابن أبيك الدوادري : الدرر المضية 6، 143-144 ، القرظي ، اتعاط الحنفا 130،188 هامش 1 ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة 6 ورقة 213 ، ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 18 .
- 351 - القرظي : اتعاط الحنفا 1،130،131 .
- 352 - ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ورقة 48 ، وهنا يلاحظ أن الأعصم انسحب وهو في قمة نجاحه بدون سبب معروف .
- 353 - ابن أبيك الدوادري : الدرر المضية 6، 144 ، ابن ظافر : المصدر السابق ورقة 48 .
- 354 - القرظي : اتعاط الحنفا 1،128،130،131 .
- 355 - نفسه 1،142،188،189 ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة 6 ، ورقة 214 .
- 3 ، 367 ، البغدادي : مراصد الاطلاع 1،330 .
- 356 - نفسه 1 ، 133 س 7 وعن الحوف الشرقي والقربي أنظر ياقوت ، معجم البلدان 3 ، 367 ، البغدادي ، مراصد الاطلاع 1 ، 330 .
- 357 - نفسه 1، 142 - 143 .

وعرف تأثير الحركة وأبعادها ، حاول أن يعالج مشكلة العلاقة مع القرامطة ، بالطرق السليمة ، فأرسل بيانا سياسيا مطولا الى الحسن بن أحمد يذكره بماضي القرامطة في النضال الى جانب الفاطميين أتباعا مخلصين (358) ، وينكر عليه الاتجاه التخريبي الجديد ، الذي تبناه على غير سبب معقول أو أساس مقبول ، الا تشويه الحركة الاسماعيلية واحداث الانشقاق في صفوف الاخوة والحلفاء الطبيعيين ، وسفك دماء الأبرياء تعطشا الى السلطة ورغبة في محالفة الأعداء والتربصين ، وهم العباسيون والبويهيون والحمدانيون . (359) .

ولما كان رد الحسن الأعصم على بادرة المعز لدين الله جافا ومعبرا عن الاستمرار في السياسة العدائية ومتضمنا للسخرية منه ، لاطنابه في الحديث دون فائدة ونصه « وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ، ونحن سائرون اليك على اثره والسلام » (360) لم يبق غير المواجهة الحقيقية في ميدان الحرب .

وقد جرت المعركة هذه المرة منذ شهر رجب 363 هـ / مارس 974 - في ظروف تختلف عن ظروف الحرب الأولى ، فالجبهة الداخلية في مصر أصبحت أكثر تماسكا بسبب اشراف المعز لدين الله بنفسه على المعركة وقد أراد الحسن الأعصم أن تكون الثورة شاملة للصعيد وللدلتا ، واعتمد خاصة على تفجير الوضع الداخلي ، والنيل من الجبهة ، باستمالة عناصر المعارضة ، وقد نجح في جذب فريق من الأشراف يتزعمهم عبد الله بن عبيد الله أخو مسلم ، الذي أعلن ثورة في الصعيد ، وجبى الأموال ونكل بجند كتامة ، واستقر في أخميم ، ولم يبرحها الى الشام ، ثم الى الاحساء ، حيث لقي مصيره قرب البصرة (361) ، الا بعد أن سمع خبر هزيمة القرامطة أمام

358 - القرظي ، اتعاظ 189،1 وفيه ما يوضح كيف ان القرامطة كانوا « بمخرفون بالهندي ، وأن دعوتهم اليه ، وراسلون المنصور ويخرجون الى اكابر اصحابهم أنهم من اصحابه » ، النوري : نهاية الأرب 26 ورقة 44-45 .

359 - نفسه 189،1-201 . ابن ايك النواداري : الدرر المضية 6، 149 - 156 ، بيبرس النوادار : زبدة الفكرة 6 ورقة 114 - 115 ، وقد تضمن قول المعز يخاطب الحسن « فاما أنت أيها القائد البائن .. الخارج عن الجماعة والسنة » . ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ورقة 48 وقد عقب على كلام المعز بقوله : « لا يكتبه الا مارق عن الاسلام » .

360 - نفسه 1، 202 ، ابن ايك النواداري : الدرر المضية 6، 156 ، ابن ظافر : الصدر السابق ورقة 48 ، بيبرس النوادار : زبدة الفكرة 6 ورقة 123 ، ابن الأثير : الكامل : 8، 229 .

361 - نفسه 1 ، 202 - 205 في مكان سمي التصرية . وقد سمه القرامطة لاختلافهم معه في الرأي حول التمهئة للحرب ضد الفاطميين .

خندق القاهرة ، ثم انسحاب الحسن بن أحمد ، على حالة سيئة ، الى الاحساء عبر بلاد الشام، بعد أن تفرق عنه رجاله وتآمر عليه بنو طيء وزعيمهم حسان بن مفرج لقاء أموال كثيرة وعدوا بها من طرف المعز لدين الله الذي هالته قوة الأحلاف ، ولم يجد وسيلة للنجاة غير تفريق كلمتهم وتخذييل بعضهم عن بعض (362) .

ولم يبق امام المعز لدين الله - وقد نجح في حماية القاهرة من السقوط الا تصفية آثار القرامطة ونفوذهم في بلاد الشام واعادتها ولاية فاطمية كما كانت ، وقد تولى تنفيذ هذه المهمة ، أبو محمود ابراهيم بن جعفر بن فلاح بمعية قوة من كتامة ، وبمساعدة ظالم بن موهوب العقيلي ، الذي مال الى التعاون مع الفاطميين ، وبالتنسيق بين هذين القائدين بناء على رغبة المعز لدين الله التي القى القبض على أبي الهيجاء وبقايا القرامطة واعوانهم من بين الاحداث ، وفقهاء السنة وأشهرهم أبو بكر محمد بن أحمد النابلسي الزاهد المالكي الذي عرف عنه التطرف في عدائه للفاطميين ، ولجند كتامة وأرسل الجميع الى القاهرة حيث طيف بهم على الابل بالبرانس والقيود (363) وبينما اكتفى المعز لدين الله باعتقال القرامطة فترة (364) ، ثم اطلق

362 - المقرئزي : اعطاء الحنفا 1، 202-206، 230 ، ابن ابيك السواداري : الدرر المضية 6، 159 - 160 بيبرس الدوادر : زبدة الفكرة 6 ، ورقة 215 - 216 ، ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق 3 .
وجهود المعز في ميدان الحرب ضد القرامطة التي اشترك فيها ابنه وحجته عبد الله ، وجند كتامة وعصر الاشراف والمتطوعون المصريون وبذله الاموال بسخاء وتوزيعه السلاح على الرجال كانت من بين العوامل الاساسية في الهزيمة التي مني بها الحسن الاعصم وذلك قبل انسحاب بني وطىء من الميدان .

363 - نفسه 1، 206 ، 208 ، 210 ، وقد اتصل النابلسي بجعفر بن فلاح في الرملة ، ونهاه عن السلب والنصب فاستجاب له ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 1 س 11 ، ابن الجوزي : المصدر السابق ج 11 ورقة 17 . وقد نقل عن النابلسي قوله : « لو أن معي عشرة اسهم ، لرميت تسعة في المغاربة وواحد في الروم » وقد اعترف بذلك امام المعز لدين الله . انظر ابن القلانسي ذيل 4 ، هامش 1 . وعنه انظر عياض : ترتيب المدارك ، مجلد 2 ، ج 3 ، 302 . ويلاحظ أن موقفه من كتامة والفاطميين في بلاد المشرق هو صورة من موقف الفقهاء المالكية منهم في بلاد المغرب . كما أن سياسة الفاطميين تجاه المالكية في مصر وبلاد الشام لم تتغير ، انظر المقرئزي : اعطاء الحنفا 1، 273 س 10 .

364 - نفسه 1، 211 .

سراحهم وخلع عليهم (365) قتل النابلسي ، ومثل به فأصبح في نظر أهل السنة شهيداً ، واليه ينسب بنو الشهيد من سكان نابلس (366) .

وكانت هذه حركة مقصودة ، للتأثير على القرامطة حتى يراجعوا سياستهم تجاه الفاطميين ، وفي هذا المعنى أنفذ رسولا الى الاحساء منذ شهر شوال 364 هـ (367) وقد تلقى جوابا منهم في منتصف ذي القعدة 364 هـ / يولييه 975 . « فخلع على الرسول ، وعلى جماعة معه وحملوا » (368) ، وقد اكده الحسن الأعصم برسالة الى المعز في ربيع الآخر 365 هـ / ديسمبر - 975 م وتضمنت الرجوع الى الولاء والطاعة للخلفاء الفاطميين (369) . واستمر الوضع على هذا النحو حتى توفي المعز لدين الله . ورغم أن القرامطة لم يقطعوا صلتهم ببلاد الشام . بسبب مكاتبتهم للمغامر افتكين بعدونه بالعودة الى الميدان ، في أخريات حياة المعز لدين الله ، وهو الأمر الذي لم يخف عليه ، فان وفاته كانت حدا فاصلا ، جعلهم احرارا في الحركة الى بلاد الشام ، نصرة للعناصر المعارضة للحكم الفاطمي فيها ، وتوالت النجداث ، بقيادة اسحاق وكسرى ، وجعفر من قادة القرامطة ثم انضم الحسن الأعصم اليهم في نهاية الأمر (370) ، وكان ظهوره ، بداية لانقلاب الوضع في بلاد الشام لغير صالح الفاطميين ، وقائدهم جوهر الصقلي .

وعندما نجح العزيز بالله في ازالة خطر المغامر افتكين وضمه الى صنائعه وادخله الى مصر ، لم يستجب الحسن الأعصم لنداء الخليفة بالاجتماع به ليخلع عليه ، ويصطنعه ، فالتزم من تلقاء نفسه بمساعدة مالية تدفعها خزينة الخلافة الى القرامطة في كل سنة وواظب على ارسال المعونة (371) ولذلك استمرت العلاقة ودية ، ولم يستغل القرامطة بعد وفاة الحسن الأعصم مشاكل الفاطميين في بلاد الشام ، بل تلقى العزيز منهم سنة 382 هـ / 992 - 993 م ما يفيد أنهم على الطاعة والولاء ، وعلى استعداد لنصرته

365 - نفسه 1، 216 . وقد اغتم المعز لدين الله لقتل بعض اسرى القرامطة ، وتصديق واعتق . انظر ، اتعاظ الحنفا 1، 209 .

366 - العيني : المصدر السابق ج 19 (ق 2) ورقة 299 ، وقارن ذلك بما حصل لفضايا الشيعة في بلاد المغرب . أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين 1، 202 ط 1287 هـ .

367 - المقرئ : اتعاظ الحنفا 1، 222 .

368 - نفسه 1، 223 ، وقارن ذلك بما ورد في ص 206 هامش 1 منه .

369 - نفسه 1 ، 227 .

370 - نفسه 1، 238-241 .

371 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 20 - 21 .

عند اللزوم (372) . وهكذا يكون الخليفة العزيز بالله ، قد واجه مشكلة العلاقة مع القرامطة بشجاعة وواقعية وأقر تسوية سياسية تضمنت الاستجابة التلقائية لما كان يتعلق به القرامطة من وراء زخوفهم ضد بلاد الشام واستمرت التسوية سارية المفعول حتى عصر الحاكم بأمر الله إذ تشير بعض النصوص الى توتر العلاقة بين القرامطة والفاطميين في عصره ، ربما ، لأنه مال الى قطع المعونة المالية ، أو لاغراقه في الشذوذ ، وقد كان عنوان التوتر ، رسالة أرسلها زعيم القرامطة الى الحاكم بأمر الله يهدده ، ويتوعده شرا ، ويطلب منه الاستسلام ، « لتكون آمنة على النفس والمال والأهل والولد » (373) فأجابه الحاكم مسفها رأيه ومستهيئا بقوته ومهددا له بسوء العاقبة بقوله « فيجب أن تعلم أن قد أحاط بك البلاء ونزل بك الغناء ، فما أنت جئت بل الله جاء بك » (374) وعند هذا الحد ، لا تشير النصوص بعد ذلك الى حركات أو زخوف قرمطية ضد مصر أو الشام بسبب انصرافهم الى مشاكلهم الداخلية ، وإلى معالجة الاخطار الخارجية التي تعرضوا لها منذ زمن طويل ، من جهة بني بويه (374) ، وبعض المغامرين (375) ، ومن ثم لم تشر الى نتيجة توتر العلاقة بينهم وبين الحاكم بأمر الله .

ويلاحظ أن تطور العلاقة بين القرامطة والفاطميين منذ فتح بلاد الشام حتى عصر الحاكم بأمر الله لا يمكن أن تكون أسبابه مادية صرفة بسبب أن المبالغ المالية التي قررت لهم سواء في أواخر عهد الأخشيديين أو في عصر العزيز بالله كانت زهيدة نسبيا ، ولعل استمرار حركة العداء ، يفسرها انشقاق في صميم العقيدة الاسماعيلية بسبب اجتهاد القرامطة ، كالذي حدث في المغرب ، قبيل وفاة أبي عبد الله الشيعي أو في مصر عقب وفاة المستنصر بالله ولعل الشك في صحة نسب الفاطميين كان وراء لازمة (377) .

- 372 - المقرئزي : اعطاء الحنفا ، 1، 274 س 4 .
 373 - سجلات موحدية . ورقة 23 ب ، خ تونس 18289 .
 374 - نفسه ورقة 24 ا .
 375 - المقرئزي : اعطاء الحنفا ، 1، 206 هامش 1 ، ابن الأثير : الكامل ، 9، 40 عبد الحميد يونس : الهلالية في التاريخ والادب الشعبي 57 .
 376 - نفسه ، 1، 207 ، ابن الأثير : الكامل ، 9، 15-21 وقد أشير في النصوص الى محاولة لغزو بويهي للاحساء في عهد عهد العولة بن بويه كما وقع صدام بين القرامطة والبويهيين حول الكوفة ، وتعرضت الاحساء لغزو خارجي تزعمه بنو المنتفق ، بقيادة الأصغر وقد انهزم القرامطة فانكسرت شوكتهم « وزال من حيثئذ بأسهم » .
 377 - وقد ثار جدل بين زعماء القرامطة حول العلاقة مع الفاطميين . ولو حظ انشاء الجدل مطالبة كسرى بن أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي ، لقومه بالتسليم وباطاعة للخليفة الفاطمي وأوضح امامهم أنه كان يسمع من أبيه وعمومته أنه الامام وصاحب الامر ، وقد رفض اقتراحه ، ودعي الى مجلس مناقرة ، ثم قتل في ظروف خاصة أنظر المقرئزي : اعطاء الحنفا ، 1، 238 ، هامش 3 .

ولم يستطع القرامطة الوصول الى اهدافهم بارجاع السيطرة على بلاد الشام ، والضغط منها لاسقاط نظام الخلافة الفاطمية في مصر واصبحت القاهرة حصنا حصينا يقي السلطة الشرعية من اية حركة انفصالية . وهزائمهم المتوالية امامها اصابته هيبته وحطمت كبرياءهم ووضعت حدا لتوسعهم وكانت بداية لتاعبهم الداخلية ، ويفسر فشلهم في حركتهم العدائية ضد الفاطميين بجملة اسباب منها :

— افتقار حركتهم الى الاساس العقائدي الواضح وتناقض موقفهم ، فكانوا وهم الاسماعيلية — حلفاء للعباسيين ولكل المفايرين ، ضد ائمة الاسماعيلية ، وهم الفاطميون .

— وقد اعتمد القرامطة على عرب بني عقيل ، وهؤلاء كانوا بمثابة المرتزقة ، وهوامهم كان متقلبا ، وليست لهم مبادئ مذهبية او سياسية واضحة يحاربون من اجلها ينضمون الى اية حركة فوضوية ، رغبة في السلب والنهب ، وكان ميلهم في الغالب مع الذين يدفعون المبالغ المغرية ، وكان دورهم في هزيمة القرامطة واضحا ، ولم ينته دورهم المشبوه ، عند هذا الحد ، بل سوف نلاحظ ان بني طيء لم يتورعوا عن فصل جنوب بلاد الشام عن النفوذ الفاطمي ، واقامة خلافة علوية منافسة للفاطميين في بلادهم .

— وعدم اطمئنان العباسيين الى القرامطة هو الذي جعل مساعدة البويهيين لهم في عصر عز الدولة بختيار محدودة ، ورمزية ، واقتصرت على ميدان الشام فقط (378) .

* * *

— واذا كانت مشكلة القرامطة ، قد وجدت حلها ، فان اخطر المشاكل الداخلية ، وهي مشكلة أحداث دمشق وشطارها بقيت تمثل عقبة في سبيل توطيد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام .

ويعرف عناصر الشغب أيضا بالذعار، والعيارين، والسعاة (379) والمشالح

378 — وقد حرص العزيز بالله على التقرب من عضد الدولة بن بويه استجابة له ، فكانته عدة مرات ، وتلقى منه ما مضمونه «صدق الطوية وحسن النية» ، الذهبي : تاريخ الاسلام 3 ورفات 210، 11، 214، 215 ، القرظي : اعطاء الحنفا 1، 261 . مما قام به في بغداد مبعوث خاص من طرف العزيز بالله سرقة السبع اللقي الذي كان يزير به صدر زبذب عضد الدولة (سفينة نهريه) وذلك للتأثير على موقفه ، ودرا خطره على بلاد الشام . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 23 . ا س 11 - 24، 13 .

379 — القرظي : اعطاء الحنفا 1، 208 ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان 2 ، 379 - 380 ط . بيروت 1970 ، وقد اورد اماري نصا نسبه لليافعي في : المكتبة الصقلية ص 509 . ابن القلانسي : المصدر السابق 1 ، 8 وفي اماكن كثيرة ، ابن ابيك الواداري : الدرر المنسية 166، 6 .

(380) والزناطرة (381)، وأوصافهم كما أجمعت عليها النصوص القليلة التي تحدثت عنهم هي ، حامل السلاح ، وطالبو الشر ، ورؤوس الفتنة وأهل الشر .

ونشاط الأحداث يدخل في اطار حركات العامة (382) ، لدوافع اقتصادية واجتماعية التي عرف منها الشرق العربي ، ثورة الزنج ، وغيرها ، اذ كان أغلب الأحداث من بين الطبقات الدنيا في مجتمع المدينة ، ومن العاطلين والفقراء ، وممن لا عمل لهم ، غير تأجير انفسهم وتطوعهم لاثارة الشغب ضد العناصر الحاكمة ، لانهم عند تهيج الفتن ، يصبحون أهم العناصر القوية في المدينة ، بحكم اشرافهم على القتال ، وقد كان عملهم لقاء أجر ، كما كانوا يفرضون أحيانا اتاوات معينة تسمى الخفارة (383) .

وفي أغلب الحالات كانت مهمتهم دفاعية ، ومدنية لانهم عناصر مدنية غير عسكرية ، الا في ظروف الحروب الخارجية ، فانهم حينئذ ينضمون كحرس وطني ، الى فئات الجند العاملين ، أعوانا ومساعدين . وكانت قيادتهم من بينهم ، وأحيانا يلتفون حول أسرة من الأسر الغنية ويسلمون قيادتهم الى أحد رجالاتها ، مثل علاء بن الماورد ، الذي كان مستبدا بشئون مدينة دمشق (384) . وقادة الأحداث يلقبون بالرؤساء ، وبالقواد أيضا (385)، ويفرضون انفسهم على السلطات الرسمية كأنهم عناصر السلطة الموجهة في المدينة .

وإذا كان عنصر الأحداث قديم النشأة في المدن الاسلامية ، فان نشاطهم الحاسم ، ظهر في عصور الفوضى والحروب الأهلية والخارجية والفتن المذهبية والأزمات الاقتصادية وخاصة منذ القرن الرابع الهجري . ولم

380 - ابن ابيك النواداري : المصدر السابق 6، 166 ، وقد اضاف لقباً جديداً هو لقب الحرامية أيضاً .

381 - ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية 107 .

382 - عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي 72 بيروت 1969 .

383 - الذهبي : تاريخ الاسلام 3 ورقة 200 - 201 القرظي : اتعاظ الحنفا 1 ، 212 ، 253 ، 257 .

384 - ابن القلانسي : المصدر السابق 8-9 .

385 - الذهبي : المصدر السابق ، 3 ، ورقة 200 - 201 ، القرظي ، اتعاظ 1، 212 ، 239 عامش 3 .

يقتصر نشاطهم على مدينة دون أخرى ، أو اقليم بعينه ، بل لعبوا دورا هاما في تخريب الحياة السياسية والاقتصادية والعمرائية في مدن العراق لا سيما بغداد التي عرفت فصولا محزنة من نشاطهم حتى أصبحت الحياة في بغداد في العصر البويهي حالكة السواد (386) ، ولم يخل مصدر من مصادر هذه الفترة من اشارات متعددة الى نشاطهم التخريبي ، وعرف من بين أشهر عياري بغداد البرجمي (387) ، الذي أساء الى المجتمع ، وأشاع جو الفوضى والنهب والسلب في أحياء بغداد ، ثم أسود الزند ، الذي عاث فسادا في بغداد ، ثم غادرها الى بلاد الشام حيث أشاع جو الفوضى ، وتعاون مع أحداثها ، حتى هلك (388) .

وامتد نشاط العيارين الى القاهرة أيضا وقد ادب المعز لدين الله جماعة منهم وأودعهم السجن لأنهم كانوا يؤذون الناس (389) ، وأشار مؤرخ مصري الى وجود أقطاعية كبرى في الغربية ، تعرف بمنية الزناطرة (390) . أما نشاطهم الواسع ، ومساويء تسلطهم فقد انعكست على الحياة العامة في بلاد الشام منذ فتحها على يد جعفر بن فلاح حتى استيلاء الأتراك السلاجقة عليها .

وقد بلغ نفوذهم الى حد أن دمشق أصبحت مقسمة بين رؤسائهم ، الذين تميز كل واحد منهم عن غيره بأشياعه وحزبه ، وشعاراته الخاصة (391) . ومن بين زعماء الأحداث في دمشق ابن شرارة وابن بوشرات وابن المغنية ، وعلاء بن الماورد ، وابن الجسطار الذي وصف بأنه كان من « مقدمي الأحداث وحملة السلاح وطالبي الشر » ومن أهم رجاله ، قسام التراب الحارثي (392) الذي تصدر الأحداث السياسية فترة طويلة في مدينة دمشق .

386 - حسين أمين : تاريخ العراق في العصر البويهي 57-59 ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، مجلد 17 ، سنة 1963 . وأنظر كلود كاهين في مقال الأحداث :

El. Art Ahdath T. I p. 264 2^e Edition

387 - الذهبي : المصدر السابق 3 ورفقات 322،326،328،329 ، الصيني : المصدر السابق 19 (ق 5) ورفقات 810 - 812 ، ابن الأثير : الكامل 9، 152 .

388 - نفسه ورقة 200 - 201 .

389 - القرظي : اتعاظ 1، 208 .

390 - ابن دقماق : المصدر السابق 5، 98 وقد لاحظ أن دخلها يساوي سبعمائة دينار ، أما مساحتها فتقدر بمائة وسبعة وتسعين فدانا ونصف فدان .

391 - القرظي : اتعاظ 1، 212 ، 257 س 1-2 .

392 - القرظي ، اتعاظ 1، 213، 258 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 26 - 27 ، ابن أبيك الواداري : المصدر السابق 6، 166 .

ورغم ان السكان وعنصر الأشراف كانوا يعرفون ميل الأحداث الى الشغب والشر وسفك الدماء وتهبيج الجند فان التلاحم بينهم اثناء فترات الصراع مع جند كتامة وولاية الفاطميين كان تاما ولم تفرضه الضرورة فحسب بل ان عامل الخوف من بطشهم بالسكان كان ملحوظا . وقد واجه جعفر بن فلاح ، اول ثورة عارمة، حركها الاحداث والأشراف فقبض على رؤوسائها ونكل بمؤيديها ، فرجع الهدوء نسبيا ، حتى وفاته ، وكان اضطراب أوضاع المدينة ، بسبب سيطرة القرامطة ، عاملا لظهورهم من جديد ، وقد استغلوا ميل الجند المغاربة الى السلب والنهب ، وضعف أبي محمود وتواطؤ ظالم بن موهوب العقيلي لكراهيته وجود القائد الكتامي رقيبا عليه ، ورجعوا الى النشاط التخريبي من جديد ، وقد عمت دمشق الفتن والفوضى والحرائق ، وسياسة السلب والنهب والاعتداء على الحرمات والمتاجر ، « واضطرب الناس وخافوا وخربت المنازل وانقطعت المواد وأنسدت المسالك وبطل البيع والشراء ، وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد » (393) وكانت هذه الايام حالكة السواد في تاريخ دمشق اذ فقد السكان الامن والراحة ، ولم يبق لهم مع الفئات المتصارعة، « لا مال ولا حريم، ولا روح » (394) وبذل أبو محمود وابن اخته جيش بن الصمصامة جهودا مضنية من أجل تهدئة الوضع ، بكف أذى الجند عن السكان ، وعزل الأحداث عنهم وقد استعان أبو محمود بتنظيم مصلحة الشرطة ، وعهد بها الى اثنين أحدهما مغربي والآخر من بقايا الأخشيديّة ، واستجابة لرغبة السكان عزلهما ، وعين أبا الثريا الكردي ، الذي اعتمد عليه في ضبط الأمن ، وفي الحد من نشاط الأحداث بمحاولة قتل زعيمهم ابن المورد (395) ، أو اعتقاله ، وعندما فشل الكردي في مهمته ، وازداد تدهور الوضعية الداخلية وتضرر السكان ، تدخل مشائخ المدينة ورؤساؤها وأولو الرأي فيها ، لدى أبي محمود ، يطلبون منه الأمان ، والعفو عن السكان ، وكي يستجيب اليهم ويتأكد من صدقهم ورجبتهم في السلم ، ومعارضتهم للأحداث ، « فتح المسلمون المصاحف والنصاري الانجيل ، واليهود التوراة واجتمعوا بالجامع وضجوا بالدعاء وداروا المدينة وهي منشورة على رؤوسهم » وأحضروا رؤساء الأحداث ومنهم ابن الماورد وابن شرارة وعنفوهم على مواقفهم السيئة ، واتفق الجميع

393- ابن الاثير : الكامل 8، 231 ، القرظي ، اعطاء الحنفا 1، 213 .

394 - ابن ابيك البواداري : المصدر السابق 6، 166 ، بيبرس البوادار : المصدر السابق 6 ، ورقة 227 وفيه « وكان الأحداث قد غلبوا عليها وليس للاعيان معهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة » .

395 - نفسه ، القرظي : اعطاء الحنفا 1، 212 .

ظاهرا على أن احدا لا يعارض السلطان في البلد (396) . ومع ذلك فقد استمرت الوضعية مضطربة في دمشق بسبب نشاطهم حتى فارقتها « أبو محمود في شعبان 364 هـ / أفريل - 975 م . بأمر من الخليفة المعز لدين الله الذي تأثر لما سمعه عن مشاكل نوابه في الشام وعدم انسجامهم مع السكان ، وكلف والي طرابلس ، ريان الخادم ، بالتحقيق في أسباب الحوادث ومعالجة الأوضاع السيئة هناك ، ولو بعزل الجند المغاربة في أماكن قريبة عن السكان .

ورغم أن ريان بذل جهودا مشكورة لارجاع الثقة الى نفوس السكان والامن الى مدينة دمشق ، بإبعاد الجند منها (397) ، فان اتجاهات العصيان ، والتمرد على السلطة الفاطمية ، بقيت غالبية على السكان وكان الأحداث هم الواجهة الحقيقية لهذه الاتجاهات ، واذا كان مشائخ البلد وأشرفها ، قد تظاهروا بالرغبة في السلم وتنكروا للأحداث فانما ذلك لأن هؤلاء بالغوا في الشر وفي الإساءة الى مظاهر الحياة الاقتصادية والعمرائية ، ولأنهم لم يكونوا محل رضا منهم ، ومن بقية طوائف السكان ، الذين أحسوا بوطأتهم ، مثل الجند المغاربة المخالفين لهم في المذهب ، ومن ثم فقد رحب السكان بأفتكين المغامر التركي ، وهياؤا له مقاما بين أظهرهم وأيدوه في كل جهوده ، و « سألوه أن يملكهم ويزيل المصريين ويكف عنهم الأحداث » (398) .

ولم يشعر زعماء الأحداث وأهمهم ابن الماورد ، بخطر افتكين (399) ، فرحبوا به ، وكان في نظرهم بمثابة الواجهة المؤقتة التي يستطيعون من خلالها ، تصفية مظاهر السلطة الفاطمية ، ليتصرفوا بحرية ، وبدون رقيب ، وقد أصبح ابن الماورد زعيم الأحداث هو المتصرف الحقيقي والموجه لسياسة افتكين ، وتحت تأثيره فيما يبدو ، أعيدت الدعوة والخطبة باسم الطابع العباسي ، كما بدأ عملية تصفية النفوذ الفاطمي ، في المدن الداخلية والساحلية فاستخلص بعلبك من ظالم بن موهوب العقيلي وصيدا من أبي

396 - اتعاط 1 ، اتعاط 1 ، 213 .

397 - نفسه ، 1 ، 214 ، وانصرف أبو محمود الى الرملة حيث وصله توبيخ من المعز لدين الله ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 84 - 85 .

398 - نفسه 1، 220 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 86 ، بيبرس الدوادار : المصدر نفسه 6 ، ورقة 227 .

399 - وعن حركة افتكين : انظر : ابن القلانسي : المصدر السابق 11 وما بعدها ، المقرئ ، اتعاط 1، 218 وما بعدها ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 2) ورقة 287 - 288 . ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق 11 ورقة 91 - 94 ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق 6 ورقة 227 - 228 . الذهبي : المصدر السابق 3 ، 209-308 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 86 ، حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله 127 وما بعدها .

الفتح ابن الشيخ وجند كتامة ، وحاصر عكا وطبرية ونكل بعناصر المغاربة فيهما، كما وضع حدا لسيطرة القبائل على أرباض دمشق، واعتمد في كل ذلك على رجال مخلصين ، وقاوم هجوما روميا ضد بعلبك بمساعدة ابن الماورد وتصرف بحكمة مع الدمشق الذي طلب مالا لينصرف ، وتحايل لإبعاد خطره عن البلاد ، فهاداه وتلطف معه ، وعندما أصر على أخذ الأموال ليوافق على الانسحاب صارحه أفتكين بالحقيقة « هذا بلد ليس لي فيه الا أيام يسيرة ، ولم أمر فيه ، ولم انه ، وقد خرج معي اليك رجل له يد في البلد يمني من كل ما أفعله » وقد كان على حق فيما اعترف به ، بسبب سيطرة ابن الماورد ، وحزبه على الوضع ، ويلاحظ أن القبض على ابن الماورد بأمر الدمشق اذا كان قد غدا سبيا في ثورة انصاره ، وتأهبهم للمسير ضد أفتكين ، الذي تأمر على رئيسهم ، لولا أن السكان ، وقفوا ضدهم ، لانهم خبروا تصرفاتهم وميلهم الى الاستبداد (400) ، فقد جعل أفتكين مطلق التصرف في شؤون البلاد ، لذلك جمع الأموال من السكان بالقوة وسلمها الى الدمشق ، نظير الانسحاب عن بعلبك الى بيروت ثم الى طرابلس التي لقي امامها مقاومة عنيفة اضطرته للجلاء بعد أن أصيب بمرض خطير وأدى به في الطريق (401) .

واستقبلت مدينة دمشق بعد ذلك فترة هدوء نسبية ، استمرت حتى بدأت محاولات أبي محمود للعودة اليها بجنده ، ليضم جهوده الى بقية القوات الفاطمية التي بدأت تستعد للقضاء على انفصال بلاد الشام . واذا كانت جهود العزيز بالله ، قد نجحت في هزيمة أفتكين وإبعاده عن الشام الى مصر ، فانها لم تقض على خطر الأحداث ، الذين بقوا متمسكين بالسلطة العليا ، وقد أشرف عليهم في هذه الفترة مساعد أفتكين ، وأحد أتباع أحمد ابن الجسطار ، وهو قسام التراب (402) ، الذي تظاهر بالولاء للفاطميين، لكي يصفى نفوذهم ، ويقضي على أي أثر لسلطات نوابهم وقادتهم في بلاد

400 - القرظي : اعاط 1، 220 - 221 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 151 .

401 - نفسه 1، 222 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 14 ، عمر كمال توفيق : المرجع السابق 83-84 ، عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ، مجلة آداب اسكندرية ، مجلد 16 ، 1962 .

402 - ابن القلانسي : المصدر السابق 21 ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 2) ورقة 331 - 332 وعرف بالثبالي ايضا .

الشام ، وهم حميدان بن حواس (403) ، وأبو محمد ابراهيم (404) ، وابن
 اخته جيش بن الصمصامة ، وسليمان بن جعفر بن فلاح الذي أظهر الحزم
 في مقاومة استبداد قسام ، وعنصر الأحداث ، فمنعهم من حمل السلاح ،
 وجباية الأموال غير أن قساما ، رفض أوامره وأباح لرجاله الاستمرار في
 تقاليدهم بقوله « لا يحفل بهذا الأمر ، بل كونوا على ما كنتم عليه » ثم كتب
 إلى العزيز ، يعلن الطاعة ، والولاء ويتعهد بأنه « متى جاء للملك عضد الدولة
 عسكر أغلق الأبواب وقاتله ليكون لك معونة على ما يريد » (405) ، وبهذه
 الحيلة أثر على العزيز بالله ، فأمر سليمان بن جعفر بمغادرة دمشق ، التي
 استقر فيها أخوه أبو محمود ابراهيم ، واليا « تحت مذلة قسام » حتى
 هلك في شهر صفر 370 هـ / (406) أغسطس - 980 م ، فخلفه في قيادة
 الجيش وفي الولاية جيش بن الصمصامة (407) ، الذي بقى مسلوب النفوذ
 والسلطان بسبب سيطرة قسام وعنصر الأحداث ، الذين كانوا يجدون
 التأييد الأدبي من طرف الخليفة العزيز بالله ، ليكونوا قوة حاجزة ضد
 الغزو البويهي .

وبلاحظ أنه عندما توفي عضد الدولة بن بويه ، وزال الخطر البويهي
 عن بلاد الشام ومصر ، بذلت جهود جبارة من أجل تحطيم عناصر الشغب
 في بلاد الشام (408) ، سواء كانوا أعرابا ، أو من بين الأحداث ، وقد
 أشرف على هذه الجهود بكتلين التركي وساعده بشارة والي طبرية ،
 وجيش بن الصمصامة والي دمشق (409) ، وبعد قتال عنيف ، انصرف

403 - القرظي : اتعاط 1، 249 ، ولقب بالسقاط أيضا .

الصفحة

404 - نفسه ، 1، 25 ، « وكان تحت يد قسام ، لا أمر له ولا نهي » ، ابن القلانسي :
 المصدر السابق 21 ، « وهو ضميعة لقسام » .

405 - ابن القلانسي : المصدر السابق 23 ، القرظي ، اتعاط 1 ، 250 ، 254 ويلاحظ
 أن قساما قاوم القرامطة « فصار له بذلك يد عند العزيز بالله » وكان عضد الدولة
 قد نالت نفسه لغزو مصر عن طريق الشام لولا ظهور مشاكل عاقته .

406 - القرظي ، اتعاط 1، 254-255 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 24 س 1 ،
 15-16 ، 25 س 14 .

407 - ابن القلانسي : المصدر السابق 24 س 13 ، ووصف بأنه كان « شبه وال »
 القرظي ، اتعاط 1، 256 س 9-10 .

408 - ابن القلانسي : المصدر السابق 24 ، أ س 21-24 .

409 - يلاحظ ابن القلانسي أن بكتلين « وجد جيشا بن الصمصامة رجلا أحق فلم يحفل
 به » انظر : ذيل تاريخ دمشق 25 .

السكان عن قسام ووظفوا عليه بقوة كي يقبل الاستسلام ، فانحط شأنه وذل بعد تجبره ، وتركهم يتصرفون بحرية واختفى ، ولم يظهر الا بعد اسبوع ، فأرسله بلتكين الى مصر ، حيث عفا عنه العزيز بالله (410) ، وآلت دمشق الى بكجور ، بتأثير وساطة بشارة والي طبرية ، رغم معارضة ابن كلس (411) ، الذي بقي يكيد له ، ويتسقط أخباره ويتأمر على حياته حتى حمله على الجهر بالعصيان ، وعندئذ جهز لقتاله (378 هـ / 988 - 989 م) منيرا الخادم ، الذي طرده من دمشق ، وبقي فيها واليا (412) حتى لفتت له تهمة مكاتبه الخليفة العباسي ، واضمار العصيان على الفاطميين ، فأرسل العزيز بالله غلامه منجوتكين ، فأسره وشهره ، وقائل ينادي عليه « هذا منير لعنه الله أصبحت دياره خالية ، وكلابه عاوية ، ونساؤه صائحة .. هذا جزاء من نافق على مولانا العزيز بالله » (413) ، وأصبح منجوتكين واليا على دمشق وسائر بلاد الشام ، حتى أخرجه منها منهزما منكسرا ، أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح (414) ، الكتامي الذي بقي واليا حتى أطاحت به ثورة مفاجئة ، بتدبير برجوان الصقلبي ، وآلت الولاية الى بشارة الاخشيدي منذ شهر شوال (388 هـ / سبتمبر 998 م) الذي لم يلبث طويلا ، وعزل عنها ووليها : كتامي تنكر لأهله ، وأظهر الود لعنصر المشاركة ، ولبرجوان الصقلبي ، وهو

410 - القرظي : اتعاظ ، 257،1-258 ، ابن القلاسي : المصدر السابق 25 - 27 .
411 - نفسه 1 ، 259 . ابن القلاسي 27 - 29 ، وقد نqm بلتكين على ابن كلس معارضته له في الولاية فأمر بقتل كاتبه ابن أبي العود اليهودي .

412 - نفسه ، 259،1-260 ، ابن القلاسي 29-30،40 ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 3) ورقة 428 .

413 - نفسه ، 269،1-270 . ابن القلاسي : المصدر السابق 40 - 41 ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 3) ورقة 424-425 .

414 - ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق 46 وما بعدها ، وقد وصف سليمان هنا بأنه كان ذا « نفس واسعة ، وصدر رحب وقدم في الخير متقدمة ، ورغبة في الفعل الجميل مشهورة ومقامة في الصلاح مشكورة » لكنه كان مستهترا بشرب الرّاج وسماع الفناء والتوفر على اللذة ، وعن هذا الجانب في شخصيته ، انظر : الثعالبي : نبتة الدر 1 ، 359 - 360 .

جيش محمد بن الصمصامة (415) . الذي عرفته البلاد من قبل مساعدا لخاله أبي محمود ، وواليا بعد وفاته .

وفي خلال هذه الفترة ، يلاحظ أن طائفة الشطار ، رغم أنهم أصيبوا بخيبة أمل لسيادة الأمن والنظام ، بسبب قوة الولاة ، وحزمهم ، وانصراف السكان عن تأييدهم ، ثم لأن خلافت عنصر المشاركة والمشاركة في الجيش الفاطمي ، قد طغت عما سواها من أحداث فانهم مع ذلك بقوا قوة خطيرة ، وعنصرا من عناصر المقاومة للنفوذ الفاطمي في الشام وقد قتلوا كاتب ابن كلس ابن أبي العود الكبير ، وكان لهم فيما يبدو دور فيما شاهدته البلاد من حركات عسكرية ضد بكجور ومنير وسليمان بن جعفر .

وأكبر ضربة وجهت الى طبقة الشطار في بلاد الشام هي التي كانت في عهد جيش بن محمد بن الصمصامة الذي سبق له أن احتك بهم ، وخبر حالهم ، وعرف الذلة والهوان في عهد سيادتهم ، ومن ثم جعل من أكبر مهامه بعد تأديب بني الجراح ، والعلاقة الثائر في مدينة صور وازاحة خطر الدوقس البيزنطي الذي نزل في افامية (416) ، تصفية نفوذ عنصر الشطار ، ويلاحظ أنه تدرج في في سياسته تجاه الأحداث حتى لا يثير شكوكهم فعاملهم بلطف ، وقرب رؤساءهم وأستعان بهم في تسيير الشؤون الإدارية ورسم بعضهم حجابا له ، وبلغ من تلاففه معهم أنه كان يولم لهم كل يوم ، ويؤاكلهم ويطارحهم الأحداث ، تأنيسا لهم حتى تطمئن أنفسهم ، وعندما انضح أنهم استناموا اليه ، انتقل الى المرحلة الحاسمة في سياسته تجاههم ، فأعطى أوامر سرية الى أعوانه وخاصته ، تقضي بالاستعداد والتأهب ، لتنفيذ ما يأمر به من اجراءات استثنائية في الوقت المناسب وكما يضمن لمشروعه قدرا من النجاح ، والشمول قسم « البلد ، أي دمشق وضواحيها ، الى عدة أقسام ، جعل كل قسم منها تحت عهدة قائد من أنصاره ، تكون مهمته ، تصفية عنصر الشطار والمفسدين فيه ، عند تلقي الإشارة بالبدء » .

415 - ابن القلانسي : المصدر السابق 52 - 53 ، يحي بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 456 ط كراتشوفسكي .

416 - نفسه ، 50-52 ، يحي بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق 456-654 ، النويري نهاية الأرب 26 ورقة 52 ، وقد نقش العلاقة على النقود التي ضربها « عز بعد فاقة ، وشطارة بلباقة الأمير العلاقة » وهو شعار يلقي ضوءا على وضعه الاجتماعي .

وقد رتب في حمام منزله مجموعة كبيرة من المغاربة المسلحين بالسيوف ، وكلف أحد خواصه بأن يتأكد من حضور جميع رؤساء الأحداث للوليمة ، والا يأذن بالبدا ، الا بعد أن ينتقلوا من حجرة الطعام الى المكان الذي جرت العادة بأنهم يغسلون أيديهم فيه ، وعندئذ يحكم غلق الباب وراءه ويعطي إشارة البدا ، للمحتبين في الحمام (417) .

وقد انطلت الحيلة على زعماء الأحداث فحضروا كالعادة ، وبينما كانوا منهمكين في الأكل كانت الأوامر السرية المختومة قد وزعت على قواد النواحي ، واثرا انتهاء الأكل تركهم ابن الصمصامة حسب تدبير سابق الى حجرة مجاورة اغلقت ابوابها واحكمت الحراسة عليها ، وابتدا الحراس تنفيذ الخطة بقتل جميع من حضر منهم ، وبالتنكيل من أحزابهم ورجالهم في نواحي المدينة ، واقتفى قادة كتامة أثرهم وقتلوهم قتلا ذريعا ، وثلّموا السور من كل جانب وفتحوا ابوابه ورموها ، وأنزل ابن الصمصامة المغاربة في دور الدمشقيين وجرد الى الفوطة والمرج قائدا يعرف بنصرون (418) . كان نصيبه في المعركة ضد أحداث الجهة ، قتل نحو ألف منهم « لانهم كانوا كثيرين » (419) واثرا هذه المذبحة الرهيبة ، لاحظ جيش بن الصمصامة ، انكسار نفوس السكان وضعف روح المقاومة بينهم فاستجاب لرغبتهم في منح الأمان ، لكنه جبي منهم غرامة مالية ضخمة بلغت نحو خمسمائة ألف دينار ، يقصد ارهاقهم وتأديبهم على تأييد عنصر الشطار ، المشاغبين ضد السلطة الشرعية ، وكان حظ الأشراف من الأذى التعنيف والتوبيخ ، على تواطئهم وتقلبهم ، وبعد أن قتل بعض زعماء الأحداث أمام أعينهم ، ارهابا لهم أرسلهم الى مصر ، وبهذه الاجراءات الحازمة ، ضد الشطار ، والأشراف ، عاد الهدوء الى نصابه واستعادت مدينة دمشق حياتها الطبيعية ، واستأنف سكانها نشاطهم العادي ، في ظل الأمن والنظام ، واستمر الهدوء سائدا في المدينة بعد وفاة جيش في ربيع الآخر 390 هـ (420) ، ولم يظهر لعنصر الشطار أي

417 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ 9 ، 45 .

418 - ابن القلانسي : المصدر السابق 53-54 .

419 - نفسه ، 54 س 54 .

420 - ابن القلانسي ، 54 وقد قيل أن عدد من الأحداث بلغ ثلاثة آلاف رجل .

رد فعل مضاد أثناء حكم ابنه محمد ، لفترة مؤقتة (421) ، ولا في عهد الولاة الذين تعاقبوا على دمشق بعده وهم تميم بن اسماعيل الكتامي ، الملقب « فحل » (422) . وعلي بن جعفر بن فلاح (423) ، وختكين الداعي (424) ، وطزملة بن بكار (425) ، ومفلح اللحياني (426) وحامد بن ملهم وعبد الله بن نزال (427) .

ولا يعني ذلك أنهم انتهوا تماما ، كقوة سياسية معارضة ، وإنما بدأ دورهم في توجيه الحوادث وفي حراسة المدينة ، والنضال ضد الحكم الفاطمي يتضاءل تدريجيا ومما يلاحظ أنهم كانوا القوة الوحيدة التي ساندت عبد الرحمن بن الياس ، كما ساندت الجرار الذي تغلب على دمشق (428) ، وقد أصيبوا بنكبة كبرى في أواخر العصر الفاطمي ، على يد أسرة كتامية ، هي أسرة ابن منزو ، فقتل منهم عدد كثير أثناء الصراع بين بدر الجمالي ، والمعارضين له في بلاد الشام (429) ، ولا يستبعد أن يكونوا قد قاموا بدور لفائدة تصفية النفوذ الشيعي من بلاد الشام أثناء حركة اتسنز ، لأن بعض النصوص تشير الى أنهم مثلوا دورا رئيسيا ، أثناء الحوادث التي نتج عنها سقوط دمشق في يد نور الدين محمود ، وهم الذين ساعدوه في بسط نفوذه على المدينة بعد أن استعصت عليه (430) .

ويلاحظ أن نظام الشحنة ، الذي طبق في بغداد ، في العصر السلجوقي ، وافاد في ضبط الأمن ، قد طبق في بلاد الشام بعد الفتح (السلجوقي) ، وهو الذي قضى على أية سلطة سياسية أو بوليسية لعنصر الأحداث وأصبح الشحنة أو صاحب الشرطة ، هو المسؤول عن الأمن ، وعن

421 - نفسه ، وانظر 57 منه .

422 - نفسه ، 57 ، القرظي ، اعطاء 2، 17، 45 .

423 . نفسه ، وكانت هذه هي المرة الثانية واستمر حتى رمضان 392 هـ .

324 - نفسه 57 - 58 .

425 - نفسه 58 ، ويعرف بتمصولة أيضا . هامش (نقلا عن الذهبي ، العيني : المصدر السابق 19 (ق 3) ورقة 510 .

426 - نفسه ، 62 ووليها منذ محرم 394 هـ .

427 - نفسه ، 66 ووليها منذ ست بقين من رجب 399 هـ وخلفه ابن نزال بعد ستة واربعة أشهر ونصف حتى عزل في رمضان 400 هـ ، الذهبي 254 ، 270 .

428 - نفسه ، 70 هامش 1 .

429 - نفسه 93 - 96 ، 97 هامش 1 .

430 - ابن الأثير : الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية 107 ، أبو شامة : الروضتين 1، 96 .

تتبع عناصر الشعب والخلاف ، في المدن الاسلامية (431) .

لم تقف مشاكل الفاطميين في بلاد الشام عند حد معارضة القرامطة والأحداث ، والأشراف ، ومن كان يؤازرهم مثل البويهيين والحمدانيين بل كان للنزعات القبلية ولمواقف أمراء العرب المتقلب واستغلالهم لنقاط الضعف في مركز ولاية الفاطميين باشاعة الفوضى والشغب ، أو بتأييد أعداء الفاطميين ، أو باظهار النزعات الانفصالية ، أو بافساد مظاهر الحياة الاقتصادية والعمرائية ، دور كبير وخطير ، في زعزعة النفوذ الفاطمي ، وفي القضاء على حظوظ كتامة وقادتها في النجاح والاستقرار .

ولم تكن سياسة الخلفاء الفاطميين واضحة ازاء هذه القبائل ، بل كانت مبتغية مثل أهوائهم ويبدو أنها كانت صورة من سياستهم تجاه القبائل البربرية المخالفة لهم في بلاد المغرب أي كانت مؤسسة على الوقيعة بين القبائل واستغلال تناقضاتها الداخلية ، لفرض السيطرة على الجميع سواء بطريق الحلف ، أو بطريق القهر والغلبة .

وقد رسم سياسة الفاطميين في بلاد الشام نائب جوهر وقائد فتحها ، وأول ولايتها الكتاميين وهو جعفر بن فلاح ولقد استمر العمل بما قرر في عهده في أغلب الأحيان خاصة تجاه أمراء العرب والروم وطبقتي الأشراف والأحداث .

وقد لاحظنا من قبل أن جعفر ابن فلاح اعتمد على عرب فزارة ، ومرة ، وقريهه اليه ، واصطنع زعماءهم ، واوكل اليهم مهمة تصفية نفوذ بني عقيل من طبرية ، ومن حوران ، والبشنية (432) ، الذين انسحبوا من هذه المناطق بعد هزائمهم وتفرقوا بين حمص وحماة وبعلبك وشيرز وحلب ، وعمروا تلك الجهات ، وتركوا مناطقهم ، ومضاربهم القديمة مسرحا لتخريب مرة وفزارة (433) الذين استفادوا من الحلف مع والي الفاطميين .

ويبدو أن تشريد بني عقيل كان عاملا رئيسيا في انضمام ظالم بن موهوب العقيلي الى ثورة الشريف ابن أبي يعلى ضد كتامة وقائدها جعفر بن فلاح ، كما كان فشلها ، سببا في التجاء هذا الأمير العربي الى الأحساء ، مستنجدا بالقرامطة (434) ، ووقف الى جانبهم في تصفية النفوذ الفاطمي

431 - القرظي : اتعاظ 1 ، 239 ، 240 هامش 3 .

432 - القرظي : اتعاظ الحنفا 1، 123 .

433 - نفسه 1 ، 124 ، 250 .

434 - القرظي : اتعاظ الحنفا 1 ، 126 ، 186 .

في الشام واشتراك بنو عقيل وبنو طيء الى جانب الحسن الأعصم في غزو مصر وعندما فشل وانسحب اشترك بنو عقيل في نهب ذخائره وامواله (435) .

واصبح ظالم بن موهوب ، بعد رجوع الحسن الأعصم الى الاحساء مكلفا مع ابي الهيجاء بتدبير شؤون بلاد الشام حتى ساءت علاقته بالقرامطة (436) ، فانسحب عنهم الى بعلبك كما اشرنا ، وعندما عرض عليه التعاون مع ولاة الفاطميين لتصفية النفوذ القرمطي وارجاع الهدوء الى نصابه وافق بدون تردد ، واصبح متصرفا مدنيا في شؤون الشام (437) ، حتى ساءت علاقته بأبي محمود ابراهيم لانه وقف الى جانب سكان دمشق في قتال جند كتامة ، وعندما هزم التجأ الى بعلبك مرة اخرى (438) ، وبقي هناك حتى أخرجه منها افتكين التركي (439) ، فالتجأ الى صيدا (440) ، ثم فارقها تحت ضغط افتكين (441) ، واستمر حتى ظهر جوهر في ميدان الشام ، فانضم اليه لقتال افتكين (442) ، الذي ايده عرب بني طيء وزعيمهم حسان بن مفرج (443) . ورغم جهود ظالم الى جانب جوهر فانه لم يظفر بولاية الشام بعد تصفية نفوذ افتكين بينما ظفر بها من بني عقيل لفترة قصيرة ، حميدان بن جواس حيث لم يكن له نفوذ مع قسام التراب (444) . وقد اسهم عرب بني عقيل بدور الى جانب ابي تغلب بن حميدان الذي رغب في ولاية الشام ، ونايذا ابن الجراح ، اي وقف بنو عقيل ، ضد بني طيء ، الذين انتصروا وقتلوا ابا تغلب بن حمدان (445) ، فبقى بنو عقيل ينتظرون فرصة للظهور على مسرح الحوادث حتى أتت لهم عندما انضموا مع عرب فزارة المعادين لهم من قبل ، وقيس الى جانب منير الخادم في حربه ضد بكجور وضد بني طيء وزعيمهم ابن الجراح ، الذي ساند بكجورا ، كما ساندته عرب بني كلاب (446) أيضا ، ويبدو أن

435 - نفسه 1 ، 130 .

436 - نفسه ، 1 ، 188 .

437 - نفسه ، 1 ، 206 ، 210 .

438 - نفسه 1 ، 211 .

التي ضربها « عز بعد فاقة » وشطارة بلباقة الامير العلاءة » وهو شعار يلقي ضوءا

439 - نفسه 1 ، 220 وانظر 222 منه حيث لاحظ استعانة افتكين بامير من بني عقيل

440 - نفسه 1 ، 238 .

441 - نفسه 1 ، 239 .

442 - نفسه 1 ، 240 .

443 - نفسه 1، 241 .

444 - نفسه 1 ، 249 - 250 .

445 - القريري ، اعطاء الحنفا ، 1، 252 .

446 - نفسه ، 259 - 260 .

عرب بني عقيل ، لقوا عناية خاصة من منير فلما هزم وأخرج عن بلاد الشام انحط شأنهم وضعف دورهم في الحياة السياسية (447) ، بينما ارتفع شأن طيء ، الذين مثل أمراؤهم من أسرة ذغفل بن الجراح ، دورا مشبوها في بلاد الشام .

فلم يثبتوا على مبدأ الولاء أو العداة للفاطميين أو لغيرهم من العناصر الحاكمة التي طمحت الى السيطرة على بلاد الشام .

وكان حسان بن مفرج من بين حلفاء الحسن الاعصم ، غداة غزو بلاد الشام ومصر ، وعندما وعد بمبالغ ضخمة من طرف المعز لدين الله ، تخلى عنه في ظروف عصبية (448) . كما تخلى عن افتكين أيضا في ظروف مشابهة ، وبدعوى أنه رأى منه تصرفات لم تعجبه ، ووفد على العزيز بالله (449) ، فأكرمه وصحبه الى بلاد الشام بوصفه قائدا على مقدمته ، لقتال افتكين الذي غادر الرملة مركز بني طيء ، الى طبرقة (450) وهو الذي تمكن من أسره ، وجلبه الى العزيز بالله على حالة مزرية حيث شهره بين الجند ، وأجزل الهبات لحسان بن مفرج (451) . واستمر الود معقودا بينهما وانزله دارا فخمة ، « وخلق عليه وحمل على خمسة رؤوس من الخيل ، وقاد اليه خمسة أحمال مالا (542) .

وكانت فلسطين يشرف عليها أبوه من مدينة الرملة ، منذ هزيمة افتكين (453) وقد بسط نفوذه حتى مدينة طبرية (454) . وجدد له العزيز بالله

447 - ومع ذلك فقد ثبتوا على الولاء للفاطميين فخطب قرواش في دائرة نفوذه باسم الحاكم ، (اتعاظ 2 : 88) ، كما أيد قريش بن بدران حركة البساسيري (نفسه 2 ، 252) .

448 - نفسه 205 هامش 1 عن نسب آل مفرج .

449 - نفسه 241 س 7-8 .

450 - نفسه 242 س 12 - 13 .

451 - نفسه 243 س 9 - 11 .

452 - نفسه 247 س 3-5 .

453 - المقرئ : اتعاظ 249 س 14-15 . وقد وقف الى جانب الفضل بن صالح غلام ابن كلس ضد أبي تغلب بن حمدان . انظر ابن القلانسي : المصدر السابق 22 - 23 .

454 - نفسه 250 س 8 - 9 .

ويلاحظ أنه لم يتصل بسليمان بن جعفر الذي كلف بتصفية حركة قسام ولم يتعاون معه وأن لم يظهر عداء للجند الفاطميين في الرملة حتى فارقوها عقد التولية على فلسطين (455) وأوصله إليه الفضل بن صالح . الى دمشق (456) .

ويبدو أن ذلك كان مقدمة للانحراف عن الفاطميين ، إذ أن العزيز بالله ، أو عز للفضل بن صالح بالتخلص من حسان ، ثم راجع موقفه منه عندما جدد الطاعة والولاء وطلب العفو ، وأمر الفضل بتركه حيث كان في مدينة الرملة التي غدت وفلسطين كلها بسبب موقف العزيز نهبا مشاعا لبني طيء « حتى كان الانسان يدخل الرملة لطلب شيء يأكله فلا يجده ، وهلك الفلاحون وغيرهم من الضر ومات أكثرهم » (457) .

وعندما اشتدت الضائقة الاقتصادية بسكان فلسطين ، كلف العزيز بالله نائبه في طبرية ، بشارة الاخشيدي (458) ، بالانضمام الى بلتكين للقضاء على شرور ابن الجراح وساعدهم عرب قيس ، في انزال هزيمة منكرة به ، فالتجأ الى انطاكية « مستجيرا بصاحبها » الموالي للروم البيزنطيين (459) .

ومن هناك مهد للعودة الى ميدان فلسطين بالتقرب من بكجور ، والى حمص ، الذي جمع بني كلاب واستأذن العزيز بالله في استخلاص حلب من الحمدانيين ، ولم ينسحب عنها الا بعد سماعه عن طريق ابن الجراح بقرب وصول الدمستق قائد الروم البيزنطيين (460) .

وقد حفظ بكجور الود لابن الجراح ، فقربه اليه اثناء ولايته على بلاد الشام وأغراه ببشارة الاخشيدي والى طبرية و « أنزله السواد وأطمعه في ضياع الوزير » (461) بدافع عداوته له ، وعندما حلت بهما الهزيمة على يد منير الخادم توجهوا نحو الرقة (462) وبقيتا ينتظران فرصة للعودة الى مسرح الحوادث في قلب بلاد الشام .

ويبدو أن وفادة مفرج بن دغفل ، على العزيز بالله ، حيث أكرمه وخلع عليه ، وثيقة الصلة بمصير ابنه حسان (463) ، وتشير بعض النصوص الى

455 - ابن الفلانسى : المصدر السابق 22س 12 .

456 - القرظي : اتمام 1 ، 253 س 12-13 .

457 - نفسه 1 ، 254 ، وانظر 255 س 6 .

458 - نفسه 255 س 5 .

459 - نفسه 256 .

460 - نفسه 1 ، 258 .

461 - القرظي 1، 259 .

462 - نفسه 1، 260 س 10 .

463 - نفسه 1 ، 271 س 4 .

ارسال مفرج بن دغفل الى العزيز بالله رجلا زعم انه « السيفاني » فشهر في القاهرة على جمل (464) ، ثم امر به فقتل بعد ذلك ، وأجزلت الصلات لمفرج اذ أرسل اليه العزيز بالله خمسين ألف دينار مبالغة في تكريمه وشحدا لهمة (465) كي يقف الى جانب نوابه في الشام في مجهوداتهم ضد الحمدانية والروم البيزنطيين .

وفي ظل هذه الظروف رجع حسان الى الرملة واستمر مع ابيه ، في فلسطين ، في اطار الولاء للفاطميين وقد دخل بنو طيء ، وبنو كلب ، في الصراع الداخلي بين المشاركة والمغاربة في بلاد الشام ، ثم تخلوا عن منجوتكين وعصر المشاركة وتركوهم يلقون الهزيمة المنكرة على يد أبي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الذي أمنهم على وضعهم في بلاد الشام (466) .

ولقد كان يعقوب بن كلس على حق عندما نصح العزيز بالله بقوله « ولا تبق على المفرج بن دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة » (467) إذ أن هذا الرجل كان هواه متقلبا ، ومذهبه ماديا ، ومولاه هو الذي يدفع له المبلغ الأوفر ، وعندما تشتد الأزمة وتضيق به السبل ، كان يتنازل عن شرفه ويتباكى للحصول على الأمان والعفو ، وقد حصل ذلك عندما ضيق الخناق عليه من طرف جيش بن محمد بن الصمصامة في بداية عصر الحاكم بأمر الله. ولما اقتفى أثره حتى جبل طيء، ولم يجد وسيلة تنجيه منه « رمى نفسه ، وعجائز نسائه وعاذ منه بالصفح وطلب الأمان فأمنه » ومع أن جيشا استحطفه على الولاء ، وعلى عدم التدخل في شؤون الرملة (468) وفلسطين ، فإنه لم يلتزم بذلك ، وعاد الى سالف عهده ، ينهب ويشجع السلب وتخريب مظاهر العمران ، وغدر هو وابنه حسان بقائد فاطمي هو بارختكين (باروخ) الذي كان مكلفا بقتال الحمدانيين في حلب ، وقتلوه وكثيرا من رجاله ، وقد اكتفى الحاكم بأمر الله في المرحلة الأولى ، بتوجيه اللوم اليهما (469) ، فلم يبررا تصرفهما ، بل أوغلا في التطرف ،

464 - نفسه 1 ، 285 س 11-12 .

465 - نفسه 1 ، 287 س 12 ، 15 .

466 - ابن القلانسي : المصدر السابق 46-47 . وقد أسر منجوتكين وسلمه الى سليمان بن جعفر ، لقاء مال : على بن الجراح .

467 - نفسه 32 ، القرظي : اتعاف 1، 268 هامش 1 (نقلا عن ابن القلانسي) ابن الجوزي 11 ورقة 152-153 .

468 - ابن القلانسي ، 50 - 51 ، ابن الأثير ، الكامل 9 ، 45 ، سرور ، النفوذ الفاطمي 44 .

469 - ابن الأثير 9 - 46 ، القرظي ، اتعاف 2 ، 87 .

واعتصما بالانفصال عن سلطان الفاطميين ، والاستمرار فيه الى اقصى مدى ، وقد شجعتهما ظروف خارجية على التماذي في موقفهما من الحاكم بأمر الله ومن نظام الفاطميين ، وكان الحاكم قد وقع تحت تأثير دسائس بني المغربي ، فنكل بالكتاب النصارى ، فأصبحت هناك عدواة متأصلة بينهم وبين أسرة بني المغربي ، الذين بدعوا يكيدون لمنصور بن عبدون متولي الدواوين ، عند الحاكم وهو يسمع منهم وينتظر بهم فرصة لمعرفة بأنهم مغرضون ، وعندما بالغوا ، أمر الحاكم بقتلهم جميعا فلم ينجح منهم غير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي (470) الذي فر الى فلسطين ، واستجار ببني طئي وأسرة دغفل بن الجراح « وبقي البا على الحاكم يسعى في زوال دولته بما استطاع » (471) . ولما كانت رغبة بني الجراح في الانفصال عن الخلافة الفاطمية تحت ستار الخلاف المذهبي ، رغبة أكيدة ، وعبروا عنها أكثر من مرة ، فقد تبنو آراء ابن المغربي في خلق طاعة الحاكم ، والدعوة لشريف مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني ، باعتباره صريح النسب ، وعلان خلافة علوية في فلسطين يكون مركزها الرملة وعصبتها بني طئي وأحلافهم وعنصر الأشراف .

وقد أرسل حسان ابن المغربي الى شريف مكة لاغرائه بالخروج عن الحاكم ، وقد تمكن من اقناعه بأهمية المشروع ، وحسن له الاستيلاء على الودائع ، وعلى محاريب الكعبة ، فصهرها وضربها عملة ليستعين بها ، وقد أصبحت هذه العملة تعرف « بالكعبية » ، ولقب بالراشد بالله . وبعد أن ترك نائبا في مكة ، فارقتها بمعية ابن المغربي ، الذي دعا قبائل سليم ، وهلال ، وعوف الى الالتفاف حوله ، وتأييد حركته بجانب بني طيء ، وفي الرملة استقبله مفرج وابنه حسان ، وقبلا الأرض بين يديه ، وسلموا له بأمره المؤمنين ويادر من جهته ، فأعطى الأمان العام للسكان ، وأهمهم في صلاة الجمعة ، والتف حوله العلويون ، وقام بخدمته ألف عبد ، وأسلس سكان جنوب بلاد الشام قيادتهم اليه ، بعد أن سمعوا قصصا عن عدله ،

470 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 61 - 62 وقد قتل علي ومحمد من بني المغربي كما قتل ابنان لعلي ، وهما أخوان لأبي القاسم الحسين بن المغربي ، القرظي ، الخطط 2 ، 157 وما بعدها ، وهم عناصر مشرقية من مدينة البصرة ، اتعاض الحنفا 2 ، 82 ، المقفي الكبير 1 ، ورقة 224 ، النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 55 ، ياقوت : معجم الأدباء . 1 ، 79-81 .

471 - نفسه 64 هامش 1 ، ابن الأثير ، الكامل ، 9 ، 124 ، الذهبي : تاريخ الإسلام 3 ورقة 268 - 269 .

وتواضعه ، وأنه يحتفظ ببعض آثار الرسول ومنها القضيب وسيف ذي الفقار (472) .

وتلقى الحاكم بأمر الله أخبار الأزمة ، بهدوء : اطمئنانا الى عدم استقرار رأي بني الجراح ، وقد واجهها بعزل أبي الفتوح عن شرافة مكة وتعيين أحد أقاربه ، كما اجتهد لافساد العلاقة بين بني الجراح ، والراشد بالله واستخدم لاستفساد حسان بن المفرج الأسلوب القديم ، وهو الاغراء بالأموال الكثيرة ، وعندما أحس الراشد بالله بسياسة الوفاق مع الحاكم ، عتب على مفرج بقوله « كشفت في عداوة الحاكم سكونا الى ذمامك ، وثقة بقولك واعتمادا على عهدك ، وارى ولدك حسانا قد أصلح امره مع الحاكم وأريد العود الى مأمني » ، كما لام ابن المغربي على التغير به ، في مساومة رخيصة ، ارضاء لحقده ، وبينما التجأ ابن المغربي الى العراق رجع الراشد بالله الى مكة ، حيث عفا عنه الحاكم بأمر الله وأعاد اليه اعتباره القديم في مكة (473) . وبعد أن اطمأن الحاكم الى فشل الحركة الانفصالية ، أرسل قوة عسكرية بقيادة علي بن جعفر بن فلاح الكتامي (474) ، فاحتل الرملة وأدب بني الجراح ، وشردهم في الآفاق ، واستولى على ذخائرهم وأموالهم وما كان لهم من الحصون في جبل الشراة ، ولم يرجع حسان الى الرملة الا بعد سنتين ، وذلك عندما توسط أبوه عند الحاكم للعفو عنه ، وأرسل اليه في القاهرة ، فأمنه وأقطعه ، وفي هذه الأثناء توفي أبوه ، في ظروف خاصة ، ربما بتدبير من الحاكم انتقاما منه ، ومن حسان الذي تأثر للحادث وضعفت نفسه الى حين (475) ، ذلك لان الأمل في فصل جنوب بلاد الشام والاستقلال بحكمها ، بعيدا عن النفوذ الفاطمي ، ظل

472 - اللهبي : المصدر السابق 3 ، 268 - 269 ، العيني : المصدر السابق 19 (قسم 4) ورقة 569 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 62 - 64 هامش 1 ابن عداري : المصدر السابق 1 ، 373 ، سبط ابن الجوزي ج 11 ورقة 162 - 163 ، وعن حيازة الفاطميين لسيف ذي الفقار أنظر القرظي ، اتعاظ الحنفاء 2 ، 281 ، النويري ، نهاية الأرب ورقة 55 ، يحيى بن سعيد : المصدر السابق 505 ، ابن حزم نقت العروس 58 .

473 - ابن عداري : المصدر السابق 1 ، 374 ، ابن الأثير ، الكامل 9 ، 46 القرظي ، الخطط 2 ، 157 - 158 ، 287 ، اتعاظ 2 ، 95 ، العيني : المصدر السابق 19 (ك 5) ورقة 754 ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب 46 .

474 - القرظي ، اتعاظ 2 ، 98 ، 105 ، ويذكر رجوعه الى مصر سنة 405 هـ ، حيث قاد خطة الوساطة للحاكم بعد ذلك ، أنظر 110 منه ، يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 520 .

475 - ابن خلدون : العبر ، 4 ، 120 ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 46 . ابن عداري : البيان 1 ، 374 ويذكر وفاته ضمن أحداث سنة 403 هـ ، دون إشارة الى ظروفها ، القرظي ، اتعاظ الحنفا 2 ، 99 ، يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 520 ، ويعبر عن وفاة المفرج بقوله « فاتفق الحال أن مات المفرج بن دغفل » .

يراوده ، ويغتنم الفرصة لتحقيقه ، ولو أدى الأمر الى محالقات خارجية جديدة ، وقد أتاحت له الفرصة عقب اختفاء الحاكم في ظروف غامضة ، ووصاية أخته ست الملك على ابنه الظاهر لاعزاز دين الله ، وخطط لتصفية النفوذ الفاطمي ، هذه المرة ، من سائر بلاد الشام ، على أساس جديد لا عهد لأمراء العرب به - وهو الوحدة ، والتنسيق لمواجهة قوات الفاطميين ، في جنوب ووسط وشمال الشام ، واتفق مع سنان بن عليان بن البناء أمير بني كلب ، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب ، الذي أصبح يوجه قبائل الشمال بعد تلاشي قوة تغلب قبيلة الحمدانيين ، منذ سنة 414 هـ / 1023 م .

وكان حظ بني طيء ، مضاربها القديمة في جنوب فلسطين ، وتمتد من الرملة الى مشارف حدود مصر ، ويبقى النطاق الجغرافي الذي يمتد من حلب وعانة في الشمال ، لبني كلاب ودمشق ونواحيها ، في وسط بلاد الشام ، لسنان بن عليان الكلبي (476) ، وكانت مهمة كل قبيلة ان تحرر مناطق نفوذها بالاستقلال ، أو بالتعاون مع جيرانها ، ولما كانت فلسطين قد آلت الى منتجب الدولة الدربري منذ شهر محرم 414 هـ (477) ، فقد اجتهد حسان بن مفرج في الكيد له ، حتى أبعد عنها مؤقتا ، وعندئذ أصبح مطلق التصرف فيها ، فقام بنهب الرملة والتنكيل بسكانها (478) .

أما حلب ، فقد توالى عليها مجموعة من ولاة كتامة هم صفى الدولة أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن فلاح حتى محرم 414 هـ / مارس 1203 م (479) ، ثم سند الدولة أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الجيمي الذي تنسب اليه « الرسالة السندية » حتى ربيع الآخر 415 هـ / 480 يونيه 1024 م وعقب وفاته وليها أخوه سديد الملك أبو الحارث ثعبان بن محمد ، من طرف الظاهر لاعزاز دين الله ، وكان من قبل واليا على تنيس ودمياط فوصلها في جمادي الأولى 415 هـ (481) ، وهو الذي واجه حركات

476 - ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب 1 ، 223 - 224 ط دمشق 1951 تحقيق سامي الدعان ، ابن خلدون : العبر 4 ، 128 ، ابن الأثير ، الكامل 9 ، 138 ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي في الشام 47 ، القرظي : اتعاظ الحنفا 2 ، 147 ، 155 - 156 .

477 - ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 72 .

478 - نفسه 73 ، ابن العديم : زبدة الحلب 1، 224 ، العيني : المصدر السابق 19 (قسم 5) ورقة 727 .

479 - ابن العديم : المصدر السابق 1، 220-221 .

480 - نفسه 1، 222 هامش 2 وقد كتب الرسالة السندية أبو الغلام بن سليمان ، القرظي : اتعاظ الحنفا 2، 172 .

481 - نفسه .

صالح بن مرداس الكلابي ، وقاومه واعتصم في القصر ، وشدد المقاومة من قلعة المدينة وبقي على وضعه الدفاعي حتى سقطت القلعة في جمادى الأولى 416 هـ / يونية 1025 م وقبض عليه ، وعلى موصوف الصقلي ، مستولى شئون القلعة ، وبينما أبقى عليه بفدية ، قتل موصوف الخادم ، وأصبحت حلب وقلعتها منطقة نفوذ لبني مرداس (482) ومنها امتد نفوذهم حتى عانه على نهر الفرات .

ولما أصبحت حركة أمراء العرب ، خطيرة على النفوذ الفاطمي ، وظهر عجز ولاة الشام عن مقاومتها ، أرسل لمواجهتها منتج الدولة أنوشتكين الذبيري عامل فلسطين القديم ، بناء على تزكية الوزير الجرجاني (483) ، وقد اصطدم بحسان بن مفرج في فلسطين ، وشرده من منطقة الرملة ، فالتجأ إلى قيسارية ، ومنها بث سراياه ضد حدود مصر ، فبلغت طلائعها العريش ، والفرما ، وأشاعت جو الرعب والقلق حتى أن سكان بلبيس خشوا اثر الحركة وتركوا منطقتهم إلى القاهرة (484) . ولم ينته خطرهم ، حتى نزلت بهم الهزيمة الساحقة في الاقحوانة على شاطئ نهر الأردن قرب طبرية سنة 420 هـ / 1029 - 1030 م وقتل صالح بن مرداس ، على يد عربي من فزارة أحلاف الفاطميين . كما قتل ابنه الأصغر ، بينما نجى الأكبر شبل الدولة نصر إلى حلب . وشتت شمل بقية العرب ومنهم حسان ابن مفرج ، الذي بقي بدون حليف قوي فالتجأ إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني المقدوني (485) لأن شبل الدولة نصر بن صالح المرדاسي ، تظاهر بالطاعة والولاء للفاطميين ، وبقي في حلب ، حيث نشط والي حمص الكتامي ، شجاع الدولة جعفر بن كليد للايقاع به عن طريق أفساد ما بينه وبين أنوشتكين الذبيري ، الذي وقع تحت تأثير ابن كليد ، ونابذ نصرا ، وقتله في شعبان 429 هـ / مايو 1037 م ، فكان تصرفه هذا إلى جانب أشياء نسبت إليه سببا في نكبته (486) ، وإبعاده عن السلطة ،

482 - نفسه 227،230 ، القرظي : أتعاط الحنفا 2،147 ، وقد ورد فيه اسم طمان مصحفا إلى صيغة نقيان ، كما صحف إلى شعبان في العبر ، لابن خلدون ط . بيروت ، وإلى طمان في زمباور : معجم الأسباب 1،51 .

483 - ابن القلانسي : المصدر السابق 73 .

484 - ابن خلدون : العبر 4،129 ، القرظي ، أتعاط الحنفا 2 ، 154 ، 166 ، الخطط 1 ، 354 ، ويلاحظ أن أمراء العرب انتهوا في حركتهم التوسعية قبيل خروج الذبيري إلى مدينة غزة ، بقرب حدود مصر ، انظر ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 74 هامش 1 ، نقلا عن هلال الصابي .

485 - العيني : المصدر السابق 19 (قسم 5) ورقة 760 - 761 (أحداث 420 هـ) ، ابن القلانسي : المصدر السابق 73-74 هامش 1 ، ابن خلدون : العبر 4،129 ، ابن الأثير : الكامل 9،138،157 ، ابن العديم : زبدة الطب 1،231 ، القرظي : أتعاط الحنفا 2،178،180 ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام 48 .

486 - ابن العديم : المصدر السابق 1 ، 250 ، القرظي : أتعاط الحنفا 2 ، 187 ، وهنا لا يشير إلى دور ابن كليد ، ابن الأثير : الكامل 9،171 ، 187 .

وبموته في جمادى الاولى 433 هـ / 1041 - 1042 م « فسد بعده أمر الشام ، وطمع العرب في نواحيه » (487) وصارت جهود المستنصر بالله من أجل ارجاع النفوذ الفاطمي الى حلب من غير فائدة ، لأن جعفر ابن كليد ، والي حمص ، الذي حاول اقرار الاوضاع في حلب ، لقي هزيمة منكرة على يد المرادسيين ، وأميرهم مقلد بن كامل ، واثرا انسحابه من ميدان المعركة قتله جعفر بن كامل بن مرداس ، واحتز رأسه وحمل الى حلب ، وبذلك يكون بنو مرداس قد ثأروا لانفسهم من ابن كليد . وقد زحف جعفر نحو حماة ، وحمص مركز ابن كليد ، وأنزل هزيمة بابن منزو الكتامي ، الذي جاء نجدة لحمص (488) ، كما لقي نفس المصير ، ومات أسيراً في قلعة حلب رفق المستنصرى الذي أرسل ضد بني مرداس سنة 441 هـ / 1049 - 1050 م (489) ، ورغم أن ثمالا بن صالح بن مرداس ، سلم حلب في ذي القعدة 449 هـ / 1057 - 1058 م الى مكين الدولة أبي علي الحسن بن علي بن ملهم . وغادرها الى مصر (490) ، فان وضع الفاطميين لم يستقم في المدينة بسبب تعلق سكانها ببني مرداس (491) ، وكراهيتهم للجند المغاربة الذين يخالفونهم في المذهب الديني ، هذا الى جانب نشاط الأحداث (492) . وظهور قوة الاتراك السلاجقة (493) . ومعنى ذلك أن نتيجة الصراع بين ولاة الفاطميين ، وأمراء العرب ، كانت سلبية ، بالنسبة للطرفين ، إذا لم ينتج عنها أي تغيير اقليمي ، أو فكري ، أو أي مكسب آخر ، إلا إذا اعتبرت خسائر كليهما ، وضعف مركزيهما ، أمام القوات الخارجية التي توسعت على حسابهما معا ، مكسباً لأنها خلصتهما من تركات ثقيلة ، ووضعت حدا لصراعهما الذي اثر على المنطقة كلها ، حتى جعلها عرضة للمغامرين ، ولإعداد الاسلام وهم الروم البيزنطيون .

487 - ابن القلانسي : المصدر السابق 74 - 78 ، ابن خلدون : العبر 4 ، 129 - 130 ، ابن الأثير : الكامل 9، 187 ، ابن العديم : المصدر السابق 1، 261 ، ويشير الى صراع عنيف نشب بين المغاربة والحبشيين انتهى بقتل عدد كبير منهم .

488 - ابن العديم : المصدر السابق 1 ، 265 ، ابن ميسر : اخبار مصر 2، 13 وفيه ورد جعفر بن كلشيد .

489 - نفسه 1، 266 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 85 .

490 - ابن القلانسي . المصدر السابق 86 . القرظي : اتعاظ الحنفا 2، 235 .

491 - نفسه 90 .

492 - نفسه 92 - 93 .

493 - ويبدو أن سياسة المرادسيين في عصري الظاهر والمستنصر ، كانت صورة مطابقة لسياسة الحمدانيين تجاه الخلفاء الفاطميين منذ أن تم فتح مصر الى نهاية عهد الحاكم بأمر الله ، طابعها العام التقلب والذبذبة ، وموالاته أعداء الفاطميين والاستكانة الى البيزنطيين ، أنظر ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق 27 وما بعدها ، القرظي : اتعاظ الحنفا 1، 98 وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل 8، 78 وما بعدها ، جمال سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام 48 وما بعدها .

وكان هؤلاء قد استقروا في انطاكية ، وضيقوا على حلب ، وقاموا بنشاط عسكري ضد بلاد الشام وأصبحوا عنصر قلق واضطراب ، بسبب أطماعهم وتأيدهم للشوار ونجدتهم لكل من يظهر العصيان ضد الفاطميين .

وعدت انطاكية نقطة انطلاق للجند البيزنطيين ، ومركز جذب لكل ثائر ضد السلطة الفاطمية ، من أمراء العرب وبقايا الحمدانية ، الذين رضوا بالتعاون معهم ، ليحافظوا على استقلالهم في حلب ، واستفاد منهم افتكين في تصفية نفوذ ابن الماورد ، وعنصر الأحداث (494) ، ولم تنجح مساعي منجوتكين للنيل من الروم واسترجاع انطاكية بسبب موقف الحمدانية (495) كما أن محاولات العزيز للخروج بنفسه للحد من خطرهم ، فشلت بسبب موته المفاجيء ، في بلبيس (496) ، وقد استنصر بالروم بعض ثوار مدينة صور وهو العلاء ، فنصروه (497) ، وقد نزلوا حصن أفامية ، ولهذين الغرضين أخرج جيش بن الصمصامة (387 هـ) وقد لقي توفيقا في أسر ثائر مدينة صور ، وأحباط مساعي الروم في نجدته ، كما أنزل بالدوقس هزيمة كبرى ، وشتت شمل جنده ، واقتفى أثرهم حتى انطاكية ، ثم رجع الى دمشق (498) .

ويبدو أن نصيحة ابن كلس للعزيز بالله « سالم يا أمير المؤمنين الروم ما سالموك (499) طبقها باخلاص وصي الحاكم بأمر الله برجوان الصقلي الذي أرسل الى باسيل الثاني المقدوني ، يعرض عليه الصلح ، فاستجاب لذلك ، وارتبطا بالهدنة مدة عشر سنوات ، استغلت في ضبط شؤون مصر والشام وبرقة (500) . ويبدو أن هذه الهدنة جددت فيما بعد ، إذ تشير بعض النصوص ضمن أحداث 318 هـ / 1027 - 1028 م الى هدنة مع الروم في عصر الظاهر لاعزاز دين الله ، حيث خطب

494 - القرظي : اتعاظ الحنفا ، 220 - 221 . ابن القلانسي : المصدر السابق 12 - 13 .

495 - نفسه 1 ، 270 ، 275-276 ، 281-282 ، 285-286 .

496 - نفسه 1 ، 287 - 291 .

497 - ابن القلانسي : المصدر السابق 50 .

498 - نفسه 51-52 . القرظي : اتعاظ الحنفا 2 ، 18-19 .

499 - نفسه 32 .

500 - نفسه 54 - 55 ، القرظي : المصدر السابق 2 ، 18 ، 34 ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 45 .

له في المساجد التابعة لنفوذهم في الشام ، كما أعيد بناء الجامع في القسطنطينية ، وسمح فيه بالأذان ، ونتيجة لهذه الامتيازات ، أعيد بناء كنيسة القيامة بالقدس ، وتركت الحرية لكل من يريد العودة الى دير النصرانية ممن أسلموا في الفترة السابقة (501) وقد جددت هذه الهدنة أيضا سنة 427 هـ لمدة عشر سنوات (502) ، وبقي الأمر بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية في اطار الهدنة حتى سنة 447 هـ ، حيث توترت العلاقة فجأة بينهما بسبب سماح الامبراطورة تيودورا بالدعوة للقائم بأمر الله العباسي على منبر جامع القسطنطينية (503) .

ويبدو ان ميل الخلفاء الفاطميين الى سياسة السلم مع الروم ، كان قدرا مشتركا بينهم (504) ما عدا فترات كانوا يميلون فيها الى اظهار قوة دار الاسلام (505) ، ومع ذلك فلم يتمكنوا من استرجاع انطاكية ، او من ازالة اماره حلب الحاجزة ، وبقي الوضع مجمدا ، حتى ظهر عامل جديد ، تمثل في توسع السلاجقة في شمال الشام .

ومن خلال التجربة الفاطمية في حرب الروم كان دور جند كتامة وقادتهم ، وولاتهم مشرفا ، فهم الذين حاولوا استرجاع انطاكية بقيادة فتوح وعراس (506) ، في عهد جعفر بن فلاح ، كما قاوموهم الى جانب

501 - المقرئزي : الخطط 1، 355 ، اتعاظ الحنفا 2، 176 .

502 - نفسه ، اتعاظ 2 ، 182 .

503 - نفسه ، 2 ، 230 . وسادت الطلاقة بين الدولتين بسبب رسالة القاضي الى المستنصر بالله .

504 - نفسه 1 ، 208-209، 214، حيث يذكر موقف العز لدين الله من قاضي اذنة ، بسبب انه قال في حضرة العز عن رسول الروم « انه آفة على الاسلام والمؤذي للمسلمين والاساري » ولقد حظي سفير الروم بالتقدير ، فلما مات أرسل في تابوت الى بلد الروم ، وعن وفادة رسولين آخرين لطلب الهدنة من العز ثم من ابنه العزيز بالله . انظر المقرئزي : اتعاظ الحنفا 1، 226، 288 .

505 - نفسه 1، 288 ، ويذكر رفض العزيز بالله لاقتراح الرعية بعدم الخروج لحرب الروم وعلل رفضه بقوله (انما أسير لنصرة الاسلام واللب من بلدانه وصيانة اهله) . وقارن ذلك بما ورد في اتعاظ الحنفا 2، 228 وما بعدها حيث يذكر ان هدية الروم اذا وصلت الى دار الخلافة تقوم ويحمل اليهم عوضها بمقدار ثلثها ، « ليكون للاسلام مزية عليهم بالثلث » وقد اشترط على الروم في احدى الهدنات ان يقبلوا فقط قيمة النصف من مجموع ما يهادون به الخلفاء فوافقوا على ذلك .

506 - ابن ابيك الدواداري : الفرة المضية 6 ، 133 ، النويري : المصدر السابق ج 26 ورقة 41 - 42 ، يحيى بن سعيد الاتطائي : المصدر السابق 350 وعن عمل مارق الكتامي في منطقة حلب انظر ابن عذاري : البيان 1 ، 354 .

جيش بن الصمصامة (507) ، وكانوا عدة منجوكتين ، وبكجور ، من أقوى الفرق التي صاحبت العزيز بالله عند خروجه لحرب الروم ، إذ كانت أوامره بالنسبة اليهم تقضي بتخصيص خمسة آلاف من الخيل لفرسانهم من مجموع الخيول التي بلغت اثني عشر ألفا (508) .

ولهذا الاعتبار ، ولأنهم كانوا - من بين عوامل فشل تجربة الحكم الفاطمي في الشام ، وشحت النصوص بأخبار ولاتهم واضطربت حول ترتيبهم ، يجب أن نقول كلمة حول هذا الموضوع .

* * *

ويلاحظ في بدء الأمر أن عناصر من كتامة تواردوا على حكم بلاد الشام بوصفهم قادة للجند أو ولاة ، أو عمالا على بعض المدن الداخلية أو الساحلية ، منذ أن فتحها الأمير الكتامي ، جعفر بن فلاح وهو رأس أسرة عتيقة ، عرفت نشاطاتها في مصر وبلاد الشام إلى أن ضاعت إلى الأبد على يد وال من هذه القبيلة ، هو حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو بن النعمان ، الذي فارقتها ، في ضوء ظروفها الدقيقة .

وهذه الحقيقة توضح كيف أن رجالات كتامة ، نشروا النفوذ الفاطمي في هذه البلاد وقاموا حراساً أمناء عليه وبسببه شرفوا وأزدهروا ، ثم فرطوا في أخريات حياتهم ، فضاع هذا النفوذ ، وزال بزواله مجدهم وانتهى دورهم في هذه البلاد على غير الصورة التي ابتداء بها .

ولا يفهم مما سبق أن جميع ولاة بلاد الشام حتى القرن الخامس للهجرة كانوا من بين قبيلة كتامة وأن رجالها الذين عرفتهم هذه البلاد ، كانوا جميعاً من نوع الولاية الحقيقيين ، لأن بعضهم لم يتجاوز نفوذه الإشراف على الجند ومساعدة الولاية المدنيين ، مثل أبي محمود إبراهيم بن جعفر ، وجمع بعضهم بين الاختصاصين ، مثل جعفر بن فلاح وابنه أبي تميم سليمان وجيش بن الصمصامة ، في أخريات حياته السياسية والأثنان الأخيران كلف كل منهما بإنجاز مهمات استثنائية ، فلما انتهت ، استقرا على رأس ولاية الشام .

507 - يحيى بن سعيد : المصدر السابق 456 ط كراتشوفسكي - النوري : المصدر السابق 26 ورقة 52 ، ويذكر فتح أنطاكية على يد جيش بن محمد .

508 - المقرئ : انماط الحنفا 1، 287 .

ومن قادة كتامة من ظهر دوره في بلاد الشام أكثر من مرة ، مثل علي بن جعفر وأخيه سليمان وقريبه جيش بن محمد ، الذي استخلف ابنه محمدا بعد وفاته حتى يتبين رأي الخليفة الحاكم بأمر الله ، ولم يكن ولاية كتامة جميعا من نوع الولاية الشرعيين ، أي بتقليد الخليفة ، بل كان منهم المتغلبون على البلاد ، ومن هؤلاء حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو ، وهو الأخير من بين أسرة كتامية عتيبة ، عاصرت الفوضى التي أدت إلى سقوط بلاد الشام في أيدي السلاجقة . ويعتبر هو وعبد الله بن نزال ، من بين ولاية الشام الذين استمروا على رأس الولاية أطول مدة ممكنة ، لأن قصر مدة الولاية ، يكاد يكون سمة واضحة في ولاية كتامة وغيرهم في بلاد الشام (509) ، بسبب تقلب سياسة الخلفاء ووزرائهم ، أو ضعف الولاية أو قسوتهم ، أو رغبة السكان في التجديد ، وقد يكون لتطور الوضعية السياسية والعسكرية دورها في تغيير الولاية .

ومن بين قادة كتامة الذين عينوا عمالا في بعض المدن الشامية ، أبو الفتح ابن الشيخ الذي تولى الإشراف على صيدا ، وكان « رجلا جليل القدر » (510) ، وبقي فترة طويلة في هذه المدينة ، امتدت حتى عصر الحاكم بأمر الله ، واشترك فيما جرى طيلة هذه الفترة من نضال سياسي وعسكري ضد المعارضين ، والروم البيزنطيين (511) ، ثم شجاع الدولة جعفر بن كليد ، وكان واليا على حمص (512) . ومنصور بن كراديس ، وكان عاملا على شيزر ، قرب حماة وفحل بن اسماعيل وكان واليا على صور (513) ، وصفي الدولة بن علي بن جعفر بن فلاح ، وكان شاعرا أدبيا ، مثل جده ، وقد ولي حلب منذ شهر رجب 431 هـ / سبتمبر 1022 م (514) ، وبعد وفاته ، توارد عليها ولاية من أسرة ابن ثعبان الكتامية ، وهم سند الدولة ، وسديد الملك (515) ، كما ولي طبرية ، مجد الدولة فتاح فترة (516) . وأشرف جيش بن الصمصامة في فترة من حياته السياسية على مدينة طرابلس ، كما وليها قريبه علي

509 - زمباور : معجم الانساب والاسرات 1، 44-46 .

510 - ابن القلانسي : المصدر السابق 14-15 .

511 - نفسه 50 .

512 - ابن العديم : المصدر السابق 1 ، 265 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 75 هامش 1 ، القرظي ، اعطاء الحنفا 2 ، 201 ط 1971 ، وتحتفل مدينة دمشق

باسم درب قليد ، فلعله يذكر باسم والد هذا القائد الكتامي أنظر ابن عساکر : تاريخ دمشق ، مجلد 2 ، قسم 1 ، ص 73 .

513 - ابن القلانسي : المصدر السابق 43 ، القرظي ، اعطاء الحنفا 2، 17 .

514 - ابن العديم : المصدر السابق 1، 220-221 .

515 - نفسه 1، 222 .

516 - القرظي : اعطاء الحنفا 2، 142، 152 . وهنا ورد باسم جناح بن يزيد .

بن جعفر بن فلاح (517) . ثم أبو الحسن عبد الواحد بن حيدرة (518) وابن نزال (519) .

والظاهرة التي ميزت حياة كتامة في بلاد الشام هي ظاهرة التنافر بينهم وبين سكان البلاد ، بسبب الخلاف المذهبي ، وميل الجند المغاربة الى الفوضى وكان رد السكان دائما اثاره الشغب ضد الولاة . وتنافر الحيين ، قضي على فرص التعاون بينهم ، وحال دون اجراء الاصلاحات اللازمة التي اراد تطبيقها بعض ولاة كتامة المصلحين ، ومنهم أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الذي « استقام له الأمر ، واستقرت على الصلاح الحال ، وصلحت احوال البلد واهله ، بما نشر فيه من العدل ، وحكم به من الانصاف واحسنه من النظر ، في أمور السواحل بصرف من صرفه من ولايتها الجائرين ، واستبدل بهم من شيوخ كتامة وقوادها (520) .

وكانت الأزمات تظهر فجأة ، وبدون مقدمات ، ويتكرر ظهورها حتى لاتفه الأسباب ، ويلاحظ بعض المؤرخين كيف أن الفتنة عادت الى دمشق ، واضطرب البلد كله من أجل نزاع على صبي « فثار أهل الشر من الدماشقة ، ورأس الشطار فيهم ابن الماورد بسبب منازعة أهل البلد مع مغربي بسبب صبي » (521) .

وهكذا ألف الناس الشغب ، وجروا على سياسة موالة اعداء الفاطميين ، سواء كانوا عباسيين ، أو مغامرين ، أو أعداء للاسلام مثل الروم البيزنطيين .

واحساس الخلفاء بهذا الاتجاه الخطير ، جعلهم أحيانا يطلقون العنان للولاة الذين استغلوا الظرف ، واستبدوا بالسكان ، وحكموا فيهم الجند ،

517 - ابن القلانسي : المصدر السابق 48 .

518 - نفسه 50-51 وكانت ولاية طرابلس من الأهمية بحيث أصبحت طريقا الى ولاية بلاد الشام كلها ، فأغلب من وليها من القادة ظفروا في النهاية بولاية الشام ومن هؤلاء جيش بن الصمصامة وعلى بن جعفر بن فلاح وابن نزال .

519 - القرظي : اتعاظ الحنفا 1، 269 . وقد وليها أخوه أيضا باتفاق السكان انظر 286،1 منه .

520 - ابن القلانسي : المصدر السابق 48 ، ومن عزلهم سليمان ، والي طرابلس جيش بن الصمصامة وهو ابن أخته .

521 - القرظي : اتعاظ الحنفا 1، 211 .

ومن هذه الناحية ، يعتبر حكم بلاد الشام في أغلب الاحيان ، حكما عسكريا ، للجند فيه ، الكلمة الأولى .

ومن بين ولاة كتامة الدين اشتهروا بالشدّة ، والعنف ، وسفك الدماء ، جيش بن محمد بن الصمصامة وعلي بن جعفر بن فلاح ، حتى انكر عليه اخوه سليمان « احراق ما احرق ، وبلوغه في الفساد ما بلغ » (522) وحسن الدولة معلى بن حيدرة « الذي لم يلق أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة ، في ولايته ما لقوه من ظلمه ، وسوء فعله ، وقاسوه من اعتداءاته ، وثؤم أصله (523) . أما أغلب لولاة ، فقد جنحوا الى العدل وايجاد الاستقرار ، والى التقريب بين الجند والسكان ، ومن هؤلاء جعفر بن فلاح ، وابنه ابو محمود ابراهيم الذي خاطب سكان مدينة دمشق في إحدى فترات القلق بقوله « ما نزلت لفتاتكم وانما نزلت لآرد هؤلاء الكلاب عنكم ، يعني أصحابه » (524) ، ورغم جهوده ، وجهود اخيه ابي تميم سليمان بعده ، فان سياستهم لم تنجح ، بسبب سوء الظن الذي استحکم بين الجند ، والرعية ، الذين وطنوا انفسهم على انكار كل مزايا الحكم الفاطمي ، والتربص به في كل حين ، ولذلك لم يستقر في أي فترة من الفترات ، حتى زال في نهاية القرن الخامس للهجرة ، وطيلة هذه الفترة كانت تجربة الحكم الفاطمي ، سلسلة من الاصطدامات ، والثورات ، والكوارث التي لا تنتهي واحدة منها حتى تتلوها اخرى ، يتصدر هذه الاشراف ، ويتزعم تلك « الشطار » او يشترك هؤلاء جميعا ، في التآمر ، او في دعم حركات المغامرين ، القرامطة او أمراء العرب او الروم ، ومهما كانت أسباب التآمر ، ومصدره فان النتيجة كانت دائما ، ضد الغالب ، والمغلوب ، تخريبا لمظاهر العمران وامعانا في زرع الفوضى ، وفي سفك الدماء واضعافا للطاقت الحية ، ومن ثم سهل على الروم البيزنطيين ثم السلاجقة والفرنج الصليبيين ، التسرب الى هذه البلاد ، التي أعياها طول الجلاذ في غير ميدان الحرب الحقيقية .

522 - ابن القلانسي : المصدر السابق 47 .

523 - نفسه ، 95 .

524 - القرظي : اعانك العنقا ، 211 ، 1 .

وحول ترتيب ولاية كتامة في بلاد الشام (525) ، منذ الفتح حتى زوال النفوذ الفاطمي نلاحظ أن أول الولاة الكتاميين هو جعفر بن فلاح (526) ، الذي أشرف على شؤون البلاد ، وعلى حرب الثغور حتى قتل في الدكة على نهر يزيد ، فصارت البلاد تحت نفوذ القرامطة ، حتى انهزموا لآخر مرة أمام الخندق قرب القاهرة ، وانسحبوا فعين أبو محمود ابراهيم بن جعفر ، مقدما على الجند ، ليقطع أثرهم ويتعاون مع ظالم بن موهوب في تسيير شؤونها (527) . فاستقر بحي الشماسية وأستعان بابن أخته جيش بن الصمصامة عندما فارقه ظالم بن موهوب ، فكانت هذه أول مرة يظهر فيها جيش في ميدان المسؤولية ، مساعدا لخاله وقد استقر في قصر الثقفين في دمشق (528) ، وعندما فشلا في مواجهة المشاكل ، وكشف تحقيق ريان الخادم عن مسؤوليتهما فيما جرى ، أخرجوا إلى الرملة وبقي ريان مسؤولا عوضا عنهما حتى فارق دمشق تحت ضغط افتكين التركي (529) ، وقد ظهر دور أبي محمود ، وابن أخته في قتال افتكين ، ثم في مراقبة قسام التراب بعده واستقرا في دمشق من جديد (530) ، حيث انضموا لسليمان بن جعفر الذي جاء لأول مرة ، للحد من خطر قسام التراب ، وقد بقيا في المدينة بعد صرف سليمان عنها ، بأمر العزيز بالله (531) ، وعندما توفي أبو محمود في صفر 370 هـ / أغسطس 980 ، خلفه في القيادة ، وفي تمثيل سلطة الخلافة جيش بن الصمصامة الذي انضم لقوات بلتكين التركي (532) . وفي الفترة التي آلت فيها

525 - من أهم المصادر وأوثقها حول دور كتامة في الشام ، تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي الذي يعتبر بمثابة ذيل لتاريخ هلال الصابئ . وقد غدا ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عمدة الباحثين القدماء والحديثين خاصة في حوادث بلاد الشام في العصر الفاطمي ، يضاف إليه تاريخ دمشق لابن عساكر ، ثم أمراء دمشق في الإسلام للصفدي . ص 1-85 .

526 - تحتفظ مدينة دمشق باسم حارة الفلاحين فلعلها تحمل اثرا من العصر الفاطمي ، وأسرة جعفر بن فلاح الكتامي . انظر ابن عساكر : تاريخ دمشق ، مجلد 2 ، قسم 1 ، ص 39 .

527 - ابن القلانسي : المصدر السابق 3-4 ، ابن خلدون : العبر 4 ، 105 وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل ، 8 ، 230 - 231 .

528 - نفسه 10 .

529 - نفسه 11 ، 12 . ابن الأثير : الكامل 8، 231 .

530 - ابن القلانسي : المصدر السابق ، 21 ، ابن خلدون : العبر ، 4 ، 110 ، زمباور : المرجع السابق 1 ، 44-45 ، ابن الأثير : الكامل 8، 230 - 231 ، 252 - 253 ، الصفدي : أمراء دمشق في الإسلام 25 .

531 - نفسه ، 23-24 ، ابن خلدون : العبر ، 4، 110 وما بعدها ، زمباور : المرجع السابق 1، 44-45 . ابن الأثير : الكامل 8، 253 .

532 - نفسه ، 25-26 . ابن الأثير : المصدر السابق 9، 3 .

ولاية الشام الى بكجور ، ومنير الخادم ، استقر جيش بن الصمصامة في مصر ، حتى سنة 385 هـ / 995 - 996 م ، حيث أرسل على رأس قوة كبرى الى بلاد الشام ، نجدة لمنجوتكين (533) ، الذي أصبح في وضع دقيق ، بعد هجوم باسيل الثاني ، امبراطور الروم على بلاد الشام ، نجدة للحمدانيين حلفائهم (534) .

وكان خروجه مقدمة للمجهود الحربي الكبير الذي اشرف عليه العزيز بالله ، واستهدف في النهاية خروجه بنفسه لصد خطر الروم (535) .

وقد استقر جيش بن الصمصامة في مدينة طرابلس ، حتى طرد منها ، بواسطة خاله سليمان بن جعفر الذي جاء هذه المرة واليا على بلاد الشام ، عوضا عن منجوتكين ، الذي أظهر عداؤه لكتامة ، ولايين الدولة ابن عمار (536) . واثار التصفية النهائية بين عناصر المشاركة ، والمغاربة ظفر (536) . واثار التصفية النهائية بين عناصر المشاركة ، والمغاربة ظفر جيش بن الصمصامة بمكانة ممتازة وأعيد الى ميدان الشام للمرة الثانية الاخيرة ، وعندما انجز كلف به ، استقر في دمشق واليا ، حتى توفي في ربيع الآخر 390 هـ / مارس - 1000 م ، فخلفه ابنه محمد لفترة يسيرة كما اشرنا (537) ، حتى عين عامل مدينة صور ، أبو الحارث تميم بن اسماعيل الكتامي الملقب فحل ، واليا على بلاد الشام (538) . وعندئذ غادر ولدا جيش البلاد الى مصر ، حيث بلغا وصية أبيهما الى الحاكم بأمر الله (539) . كما اشرنا .

وعندما توفي تميم الفحل ، خلفه في تسيير شؤون البلاد علي بن جعفر بن فلاح وتكاد تكون اختصاصاته قاصرة على الجند اذ لم تتضمن النظر

533 - القرظي : اتعاط الحنفا ، 1، 287 .

534 - نفسه ، 1 ، 285 - 286 .

535 - نفسه ، 1، 287 وما بعدها .

536 - نفسه ، 2، 8-10 وقد قرئ سجل تضمن لعن منجوتكين ومدح كتامة ، ابن الأثير : المصدر السابق 9، 44 .

537 - ابن القلانسي : المصدر السابق 48 وما بعدها ، ابن خلدون : العبر 4، 117 ، القرظي : اتعاط الحنفا 2، 18 ، وقد رجع كل من علي واخيه سليمان الى مصر ، وقد توفي الاخير في جمادي الآخرة 391 هـ ، انظر 43 منه ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 45 .

538 - القرظي : الخطط 2 ، 285 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 57 ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 52 . الصفدي : امراء دمشق في الاسلام 22 ، 65 .

539 - نفسه : اتعاط الحنفا 2 ، 33 ، وأبو عبد الله محمد بن جيش هو الذي تعرض لوكب الظاهر « وقد اختل عقله وحاله فوقف تحت القصر وشم الظاهر أقبج شتم وبالغ فيما شتم به » فضرب واعتقل ثم أفرج عنه . وكان من بين رجال كتامة الذين واجهوا الظاهر بصيحة واحدة « الجوع يا أمير المؤمنين الجوع لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك ، فإله الله في أمرنا » وقد تصامن معهم سائر السكان ، انظر اتعاط الحنفا 2، 164 - 165 ط 1971 .

في الأموال والاقطاعات التي كان تدبيرها لكاتب نصراني هو ابن عبدون ، وهكذا أقام بدمشق غير منبسط اليد في المال » ، حتى عين على دمشق وال جديد ، هو ختكين الداعي الملقب بالضيف منذ شهر رمضان 392 هـ يوليه 1002 م ، فاستبد بتسيير شؤون البلاد وضيق على الجند ، ومال للتوفير ، بالتحايل على أرزاق الجند ، فثاروا عليه ، وعلى كاتبه ابن عبدون ، ولما كان الضيف « قد منعهم وأغلظ في القول لهم » فقد قتلوه ، وصمموا على أخذ أرزاقهم كاملة ، والوقوف ضد كل من تحدثه نفسه بمعارضتهم أو معاقبتهم عما فعلوه « وتحالف المغاربة والمشاركة من المسكر على أن يكونوا يدا واحدة في طلب الأرزاق » ، وأيدهم قائدهم علي بن جعفر ، اقتناعا بمطالبهم أو خوفا من العاقبة ، ولهذا السبب عزل عن قيادة الجيش وكلف به ، وبتسيير شؤون البلاد مؤقتا ، أبو محمد تموصلت (طزملة) بن بكار والي طرابلس الغرب سابقا ، فلم يؤثر عليه أثناء حكمه غير تطويق رجل مغربي تنكر للاسماعيلية ، وقد شهر في المدينة ونودي عليه « هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر » ثم أبعده إلى الرملة ، وقتل هناك ، واثر صرف تموصلت عن الولاية في ذي الحجة 393 هـ / أكتوبر 1003 م (540) وليها مفلح اللحياني الخادم ، حتى ربيع الأول 398 هـ / نوفمبر 1007 م حيث أرجع إليها علي بن جعفر بن فلاح ، جزاء له عما بذله من جهد في قتل أبي ركوة (541) ، وكانت سلطته هذه المرة ، شاملة للحرب ، والخراج ، وقد استمر في الولاية حتى منتصف رمضان 399 هـ / أبريل 1009 م حيث كلف بها أبو الحسن حامد بن ملهم (542) ، فترة يسيرة ثم آلت إلى أبي عبد الله محمد بن نزال ، حتى منتصف رمضان 400 هـ / أبريل 1010 م (543) ، ومنذ هذا التاريخ حتى جمادى الأولى 401 هـ / توارد على الولاية مجموعة من القادة حتى صارت من جديد إلى ابن نزال حتى نهاية ذي الحجة 406 هـ / مايو 1016 م (544) ومنذ هذا الوقت ، لم يظهر من

540 - القرظي : اتمام الحنفا ، 2، 45، 46، 48 . ابن القلانسي : المصدر السابق 57-58 ، الصفدي ، امراء دمشق في الاسلام 21 .

541 - نفسه ، 2، 63-64 .

542 - نفسه ، 2، 71 ، الذهبي : تاريخ الاسلام 3 ورقة 254 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 66 ، وقد عين ابن ملهم منذ اواخر شهر رجب 399 هـ .

543 - نفسه ، 83 ، وقارن ذلك بما ورد في ص 89 منه ، عن توليته الشرطين في مصر سنة 402 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 66، 69 .

544 - بن القلانسي : المصدر السابق 69 .

قادة كتامة ، من ولى الشام كلها ، حتى عصر المنصور بالله ، حيث ظهر أفراد من أسرة منزو بن النعمان الكتامي ، ويبدو أن أزمة كتامة في عصر الحاكم (545) ، وبداية عصر الظاهر ، وتضييق الأخير عنهم ، حتى أصبح كثير منهم في حاجة ماسة إلى المال لسد الضروريات ، حتى ظهر ذلك علنا ، وتولوا الأعراب عنه أمام الخليفة نفسه (546) ثم إن الإشراف عليهم وعلى ديوانهم ، لم يبق بيد كتامي منهم ، وإنما تداوله عدد من قادة الدولة وأمرائها ، منهم مسعود بن طاهر بن الوزان ، ثم عز الدولة معضاد ، ثم صدقة بن يوسف الفلاحى ، الذي أشرك معه في النهاية صاعد ابن مسعود (547) . هذه العوامل كلها أثرت على الروح المعنوية عند رجال كتامة ، وأضعفت طموحهم ، ونزعته العسكرية ، وكان لبعض الخلفاء رغبة في إبعادهم وإذلالهم .

وظهور أسرة منزو على مسرح الأحداث في بلاد الشام ، سببه تطور الأوضاع فيها لغير صالح ولاة الخلافة ، وثورة السكان وانضمام أفراد هذه الأسرة إليهم ، وتأييدهم ضد بدر الجمالي ، ولم يكن للخليفة المستنصر ، قوة للقضاء عليهم في هذه الفترة الدقيقة . وظهورهم بمظهر المخالفين للسكان وللأحداث ، إن كان يتضمن معنى الاحتجاج ، والثورة لرد الاعتبار لقبيلتهم ، فإنه يشير إلى تألفهم مع سكان البلاد لقدم عهد أسرتهم بها ، حتى أن بعضهم التجأ إلى الكلبيين تحت ضغط الظروف (548) ، وكان جلال الملك بن عمار في مدينة طرابلس من أصهارهم ، وهو من أسرة عريقة .

وإذا كان الغموض يحيط بنشأة ، وبدور جد الأسرة النعمان ، وابنه منزو ، فإن حيدرة بن منزو وابنيه معلى ، وسنان الدولة ، أشتركوا في مساعدة السكان ضد بدر الجمالي ، وقد توفي حيدرة في مدينة صور أثناء

545 - القرظي : انعاظ الحنفا 2،49 وفيه قوله : « خرج الكتاميون إلى باب الفتوح فترجلوا وكشفوا رؤوسهم ، واستغاثوا بعفو أمير المؤمنين فأوصل إلى الحاكم جماعة منهم فوعدهم » .

546 - نفسه 2 ، 155، وما جاء في خطابهم للخليفة قولهم « غير أننا قد هلكتنا والله يأمولنا ، فقرا وجوعا ، وليس لواحد منا مال يرجع إليه » ، وقد أكد الكتاميون ذلك عندما جمعوا بقصد تجهيزهم للحرب ضد أمراء العرب في الشام ، وقالوا لعز الدولة معضاد « شغلنا الجوع وطلب الخبز عن هذا » ، انظر 158 - 159 منه .

547 - القرظي : انعاظ الحنفا 2،141،152،156 .

548 - ابن الجوزي : المصدر السابق ج 12 ورقة 119-120 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 96 - 97 هامش 1 ، الصفدي : أمراء دمشق في الإسلام 28،85 .

الصراع (549) . وعندما تبين لبدر الجمالي أثناء ولايته الاولى (456 هـ / 1063 - 1064 م) تعذر بقاءه في دمشق بسبب معارضة السكان له ، واصطدامهم مع الجند ، فارقها وانتدب لها : حصن الدولة معلى بن حيدرة ، منذ شهر رمضان 456 هـ ، فباشر تسيير شؤونها « فأمر ونهى على عادة أمثاله من الولاة لها » حتى عزله المستنصر بالله ، وعوضه بدري المستنصري ، الذي لم يلبث طويلا وصرف عنها الى الرملة (550) ، وتركها تعيش فراغا سياسيا ، وفي فوضى ، لم يتمكن من مواجعتها كل من بدر الجمالي أثناء ولايته الثانية (458 هـ / 1065 - 1066 م) وقطب الدولة بارز طغان منذ شهر شعبان 460 هـ / مايو 1068 م (551) وفي ظل هذه الظروف الدقيقة التي كانت تمر بها مدينة دمشق ، استولى حصن الدولة معلى بن حيدرة بمساعدة أخيه سنان الدولة على السلطة في المدينة ، وفرض حكمه قسرا على السكان منذ شهر شوال 461 هـ / يولييه - 1069 م وقد اثر عليهم بتمويهته ، « بحيل نمقها ، ومحالات اختلفها ولفقها » ، بقصد اقناعهم بأنه أمير بتقليد خاص من الخليفة المستنصر بالله ، الذي يبدو أنه اعتمد ولايته في المدينة بعد أن تغلب عليها .

وقد كان حكمه صورة من حكم جيش بن محمد بن الصمصامة ، فاستبد بالسكان دون تفريق بين الاخيار والاشرار ، وصادر الأموال وحكم بطريقة ارهابية حتى اضطر الناس الى الهجرة والى مفارقة مزارعهم « فخلت الاماكن من قاطنيها ، والغوطة من فلاحياها » ، وتأثرت الحياة الاقتصادية انهارت الزراعة (552) ، وعندما شعر بتحيز السكان للثورة عليه ، وعزم الجند على الايقاع به ، خاصة وأن ضغط الأتراك السلاجقة ، كان قويا منذ فترة ، غادر دمشق في نهاية 467 هـ / 1074 - 1075 م ، الى بانياس التي استمر فيها حتى 472 هـ / 1079 - 1080 م ثم غادرها الى صور ، ومنها الى طرابلس حيث اقام ضيفا عند صهره جلال الملك بن عمار ، وفيها قبض

549 - نفسه ، 12 ورقة 120 ، ابن القلانسي : المصدر السابق 97 وهامش 1 .

550 - ابن القلانسي : المصدر السابق 91-92 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقة 381 (احداث 456 هـ) ، القرظي : اتعاظ الحنفا 2، 270 .

551 - ابن القلانسي : المصدر السابق ، 93-94 ، الذهبي : المصدر السابق ، 3 ورقة 383 (احداث 458 هـ) وانظر ايضا ورقة 386 (احداث 460 هـ) .

552 - نفسه ، 95 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقة 386-387 (احداث 461 هـ) ، ابن الجوزي : المصدر السابق 12 ورقة 120 ، ويشير الى ولاية أخيه سنان الدولة ، القرظي : اتعاظ الحنفا 2، 296 ، زمباور : المرجع السابق 1 ، 46 ، الصفدي : امراء دمشق في الاسلام 85 .

عليه وأرسل الى مصر حيث أعتقل وعذب حتى توفي 481 هـ / (553) /
1088 - 1089 م .

وفراره ، ثم موته في مصر ، كان خاتمة مؤسفة لدور كتامة في بلاد الشام ،
التي خضعت فترة يسيرة للجند المصامدة ، ومقدمهم : زين الدولة انتصار
بن يحيى ، الذي استولى على السلطة « باغراء عصبيته ، وتشجيعها له ،
مع أغلب سكان المدينة » الذين ارتضوا به ، ومالوا اليه لسداد طريقته ،
وحميد سيرته ، وكونه أحسن فعلا ممن تقدمه وأجمل قصدا ممن كان
قبله » .

ومع استعداداته الطيبة ، ونبل قصده ، فان الضائقة الاقتصادية ، التي
اشتدت بفلاء الأسعار وقلة المواد الضرورية للعيش ، وحدة الصراع بين
المصامدة « وشطار دمشق » هيا المدينة وسائر بلاد الشام لاستقبال سلطة
جديدة « والدخول في عصر جديد ابتداء من شهر ذي القعدة 468 هـ / يونيه
1076 م حيث اقتحم اتسز (الاقسيس) دمشق بالامان وخطب فيها
للخليفة العباسي المقتدي بالله وقطعت الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي .
وفارقها انتصار بن يحيى الذي حظى باقطاع تضمن بانياس ويافا (554) .
واسدل الستار نهائيا عما كان يسمى ولاية الشام الفاطمية أو « خط الدفاع
الأول عن مصر » ، أو « القاعدة الامامية » لفتح العراق ، بل أصبحت مصر
مرة أخرى هدفا للغزو ، من قواعد الشام (555) ، وتكرر هنا شبيه ما حصل
من قبل مع القرامطة ، غير أن النتيجة كانت مغايرة تماما حيث فقدت بلاد
الشام الفاطمية الى الأبد ، وضاعت جهود بعض خلفاء الفاطميين ، لارجاع
نفوذهم خاصة في جنوب بلاد الشام ، اذ غدت منذ ربيع الأول 471 هـ /
سبتمبر 1078 م جزءا من امبراطورية السلاجفة العظام وصارت دمشق

553 - نفسه 96 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ورقة 386-387 ، القرظي : المصدر
السابق 2،315 وهنا ورد تصحيحا حيدرة بن ميرزا ، ابن الاثير : الكامل ، 10،37 ،
ويشير الى فرار مطي بن حيدرة في شهر ذي الحجة 467 هـ ، عبد العزيز سالم :
طرابلس الشام 69-70 .

554 - ابن القلانسي 108 ، الذهبي : المصدر السابق 3 ، ورقة 406-407 ، (احداث
468 هـ) ، ابن خلدون : العبر 4،136 . القرظي : اتعاظ الحنفاء 2،315 ، ابن
الاثير : الكامل 10،37 ، الصغدني : امراء دمشق في الاسلام 13 .
EI. Art Damas T. I p. 930

555 - نفسه 109 ، وما بعدها . الذهبي : المصدر السابق 3،ورقة 407 القرظي : اتعاظ
الحنفا 2 ، 317 ، ابن خلدون : العبر 4،136 وما بمسدها ابن الاثير :
38،39-10 .

مقرا لفرع سلاجفة الشام وراسهم هو تاج الدولة ابو سعيد تتش بن الب
ارسلان (556) .

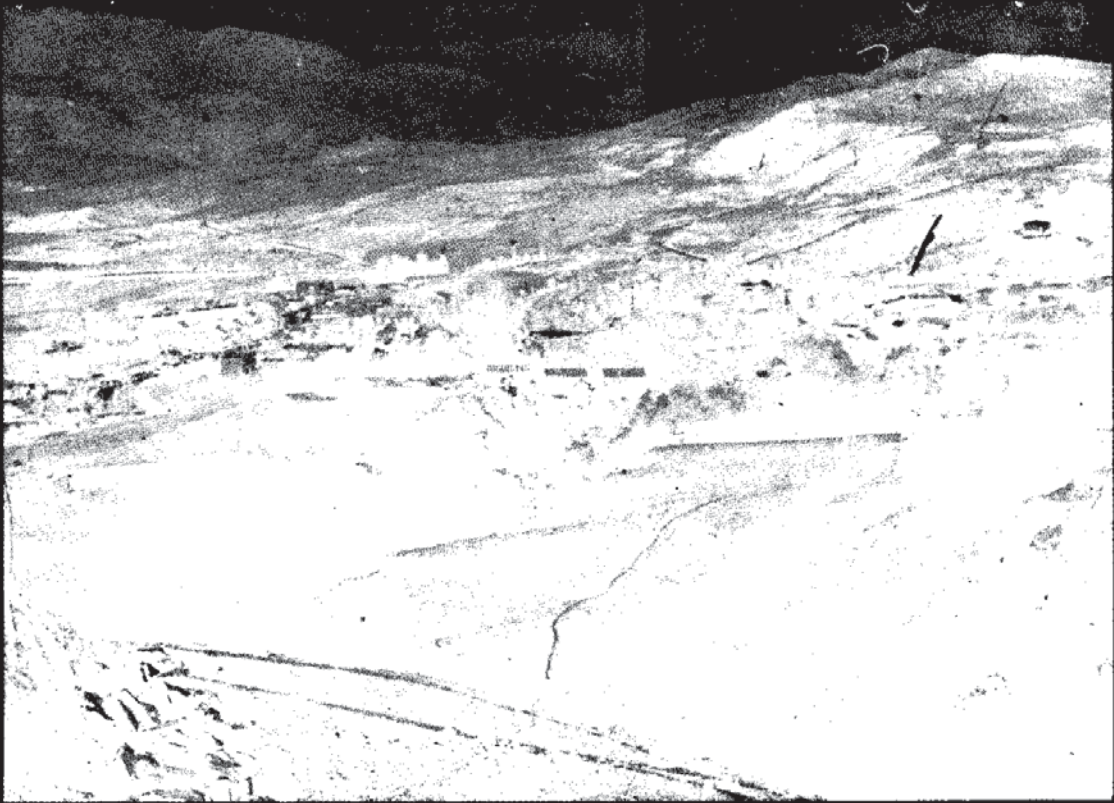
وبقيننا ان الصراع بين الفاطميين ، وسكان بلاد الشام الذي انتهى
بالخاتمة الحميدة التي توخاها هؤلاء ، وهي ان تعود بلادهم الى وضعها
الطبيعي ، عضوا صالحا في الأسرة السنية ، التي تشرف عليها الخلافة
الشرعية في بغداد ، لم تقتصر عوامل النجاح فيه على ضعف مركز الخلافة
الفاطمية ، التي كانت تعاني فعلا « أزمة حكم » ولا على ضعف عصبيتها
التاريخية ، وهم كتامة الذين غدوا في حالة ذلة وتشرد ، يعانون « أزمة ثقة »
وانما كان لحركة النهضة ، ولظواهر التجديد ، التي عرفها العباسيون ،
في ظل الأتراك السلاجقة دور كبير في ذلك ، وفي إعادة الاعتبار لدار الاسلام ،
وللخلافة العباسية التي استعادت دورها الهجومي .

وحسب كتامة - أنهم - في عصر نهضتهم ، وعناية الدولة بهم - كانوا
افضل بالنسبة للفاطميين ، من السلاجقة بالنسبة للعباسيين أي عاملا في
التوسع لاكتساب المجد وقوة دفع هائلة ضد دار الحرب ، وضمام امن
ضد الثورات والأخطار ، وأساسا قويا لعلاقات ايجابية مثمرة مع المشرق
والغرب .

وما قام به هؤلاء في ميدان علاقات الدولة خاصة مع الزيريين في بلاد
المغرب منذ الفراق الأول - برحيل المعز ، الى عصر القطيعة المؤقتة ، بثورة
سميه الصنهاجي في القرن الخامس الهجري (11 م) يستحق توضيحا ،
وذلك موضوع الفصل التالي .



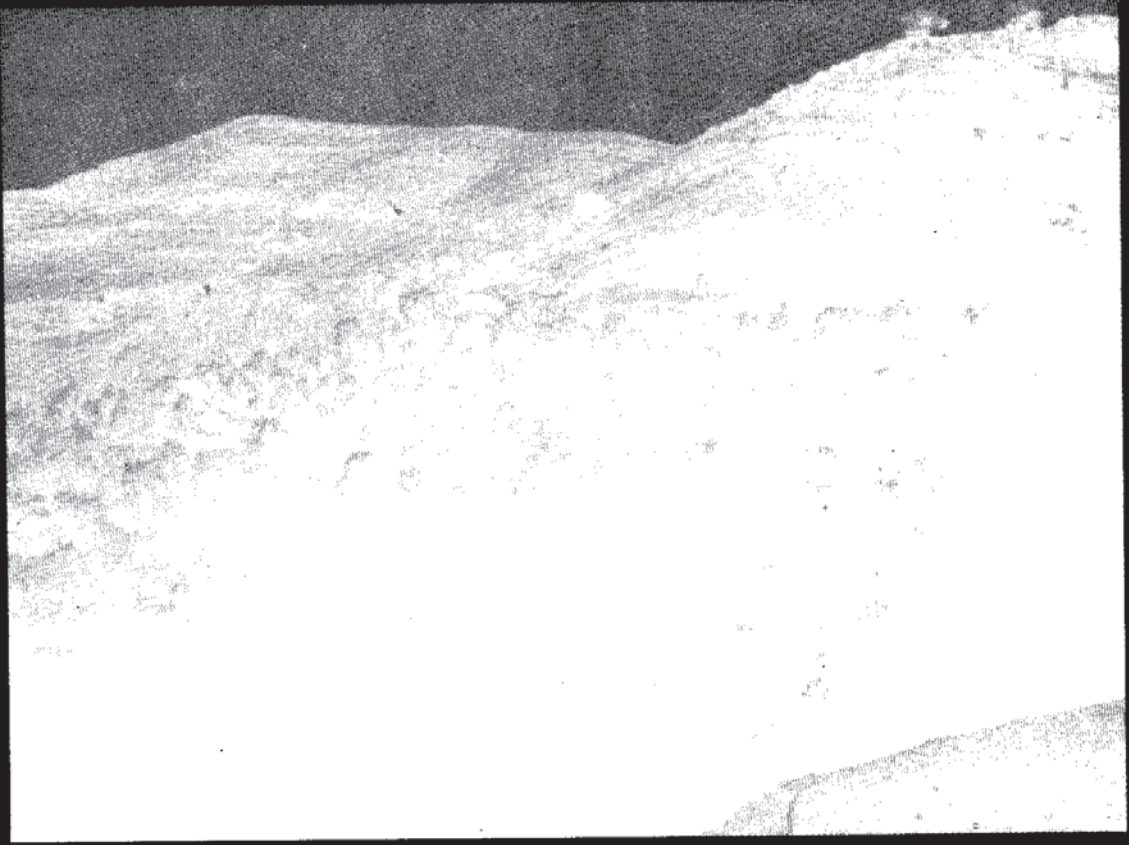
556 - نفسه ، 112 وما بعدها ، القرظي : اتفاق الحنفا 319،2 وما بعدها ابن الأثير :
الكامل 41،10 . ويشير الى رواية ابن عساكر التي تعدد تاريخ دخول تتش الى دمشق
بسته 472 هـ .



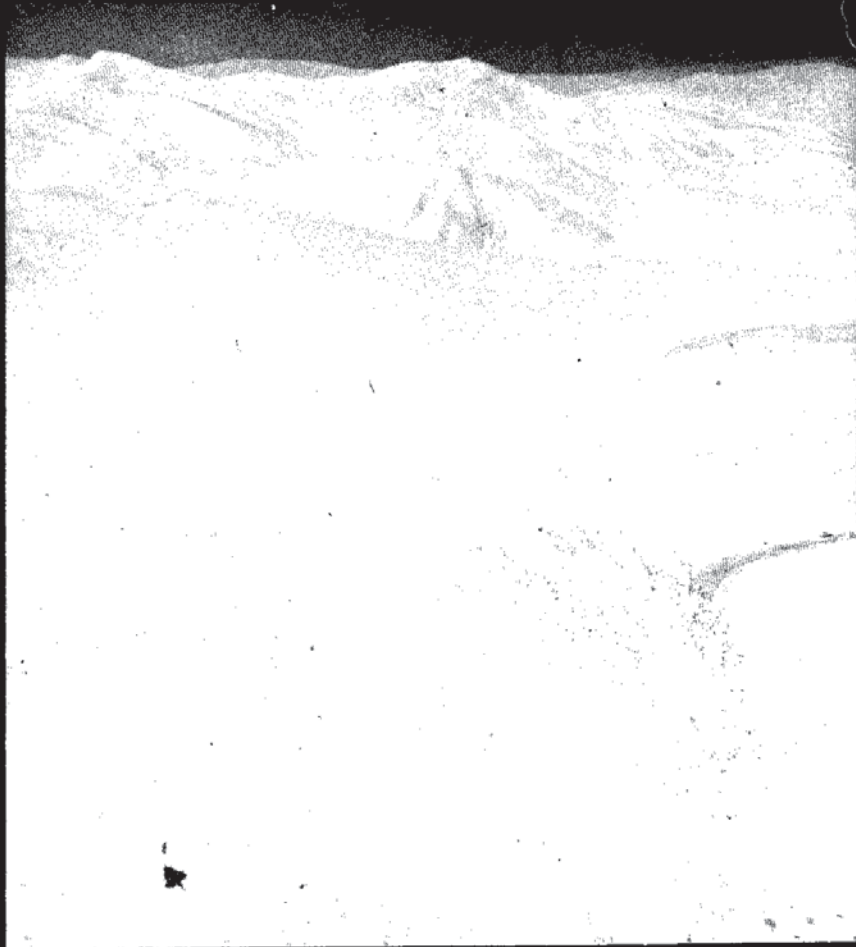
منظر عام لبني عزيز



سيدي علي البصري



ضواحي بني عزيز



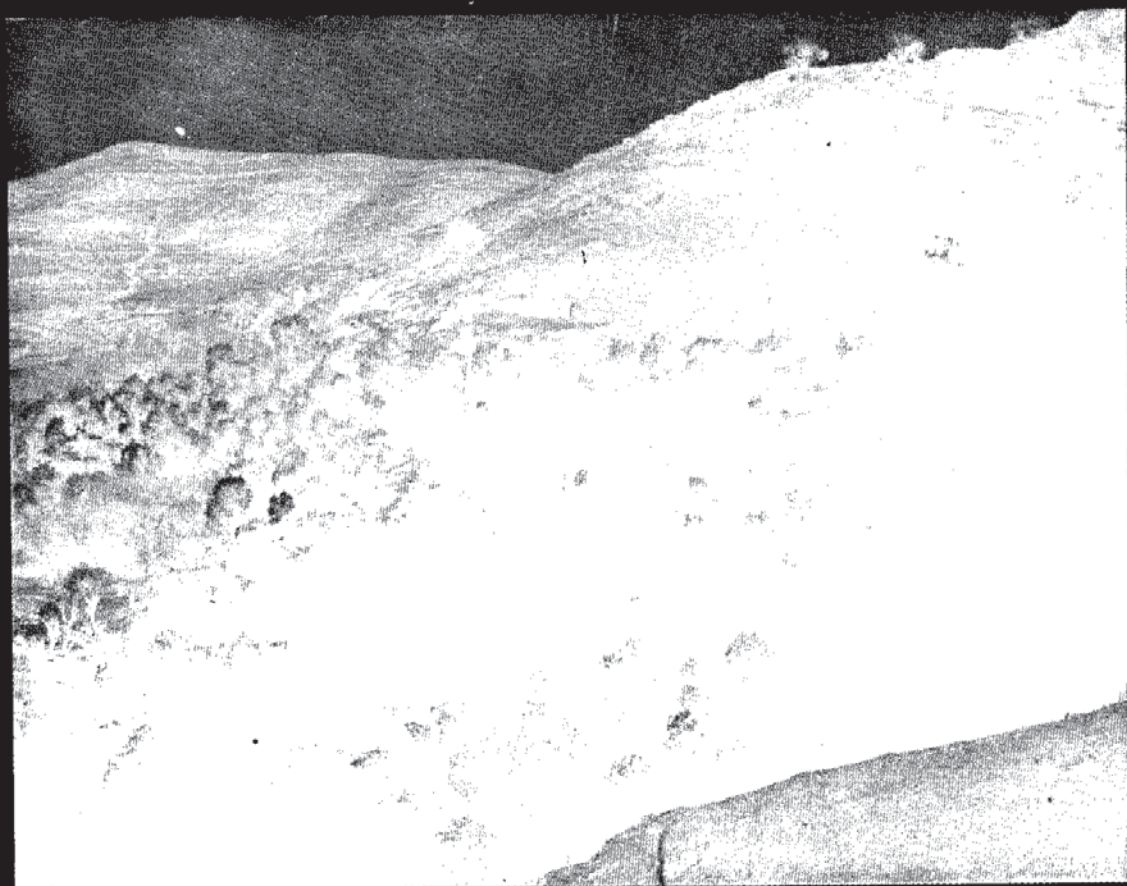
فجاج حول قلعة ايكجان
(مرقب الطير)



قلعة ايجان



قلعة ايجان
(قرب بني عزيز)



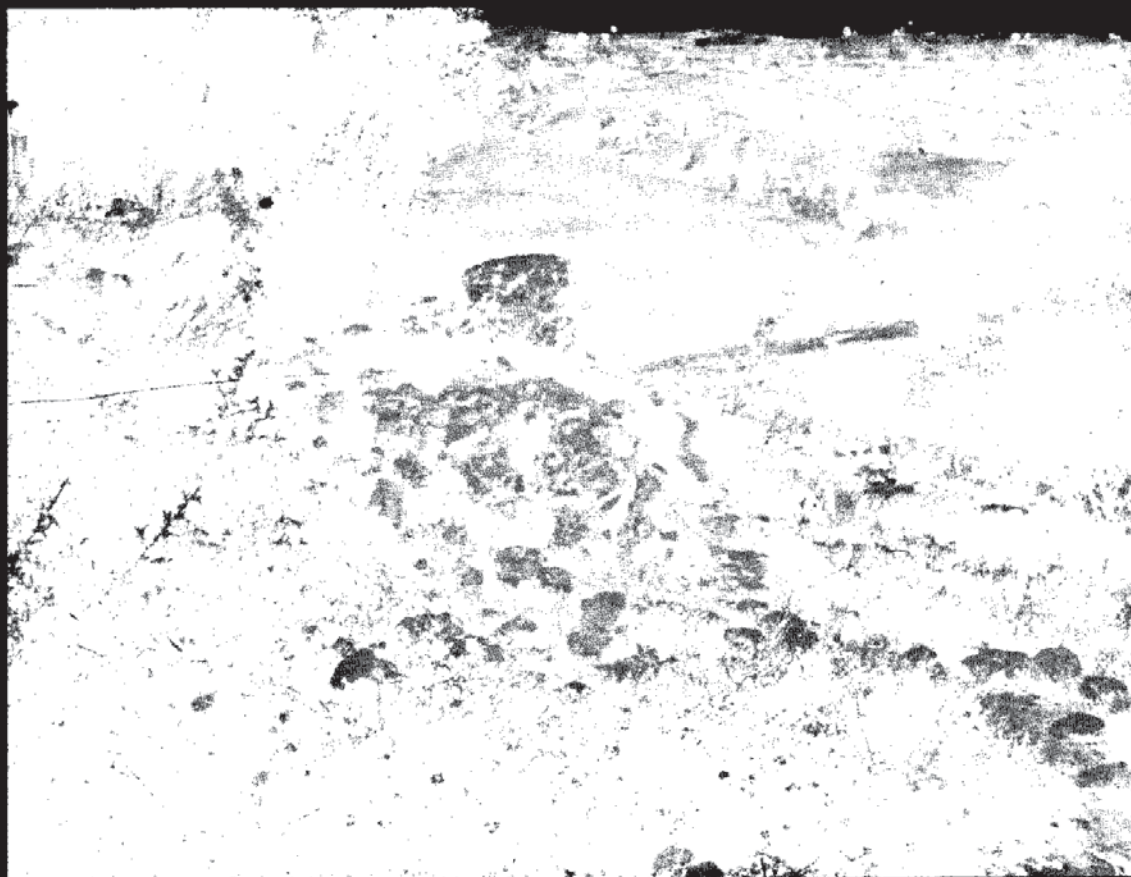
جميلة (جبل بو عزة)



سيدي علي البصري



مقبرة سيدي علي البصري
(بني عزيز)



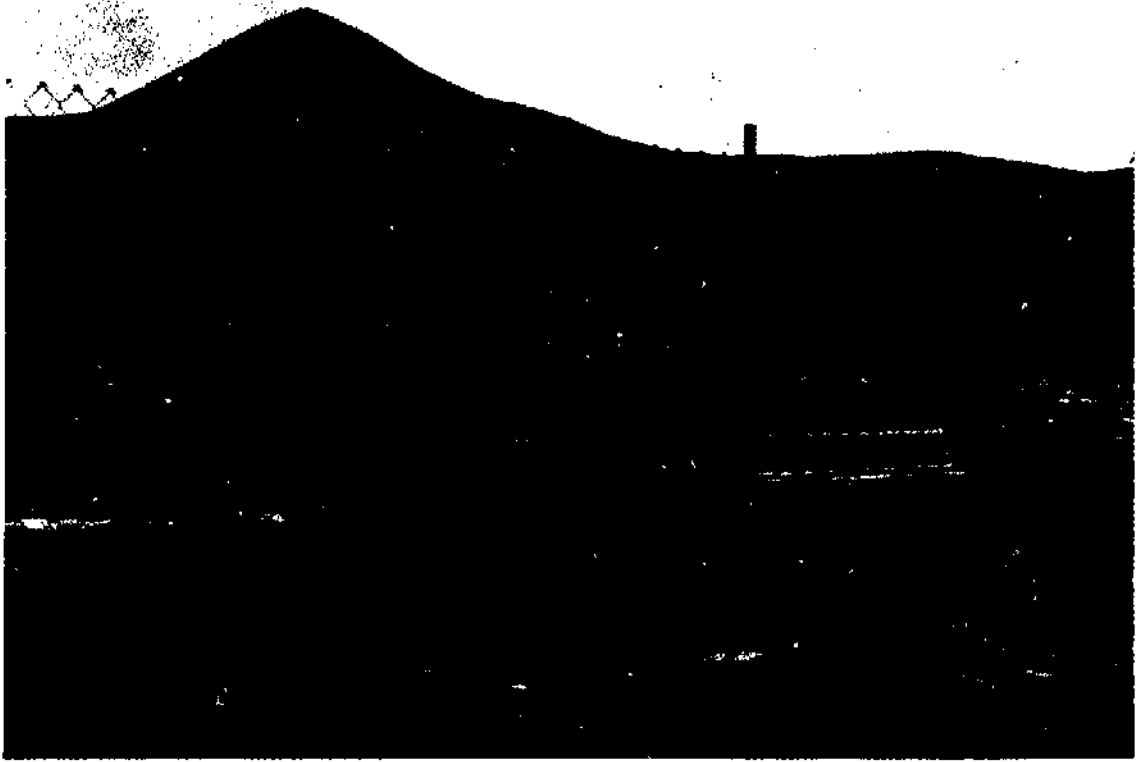
سيدي علي البصري



ٲجل (بجوار سٲيف)



ٲجل (بجوار سٲيف)



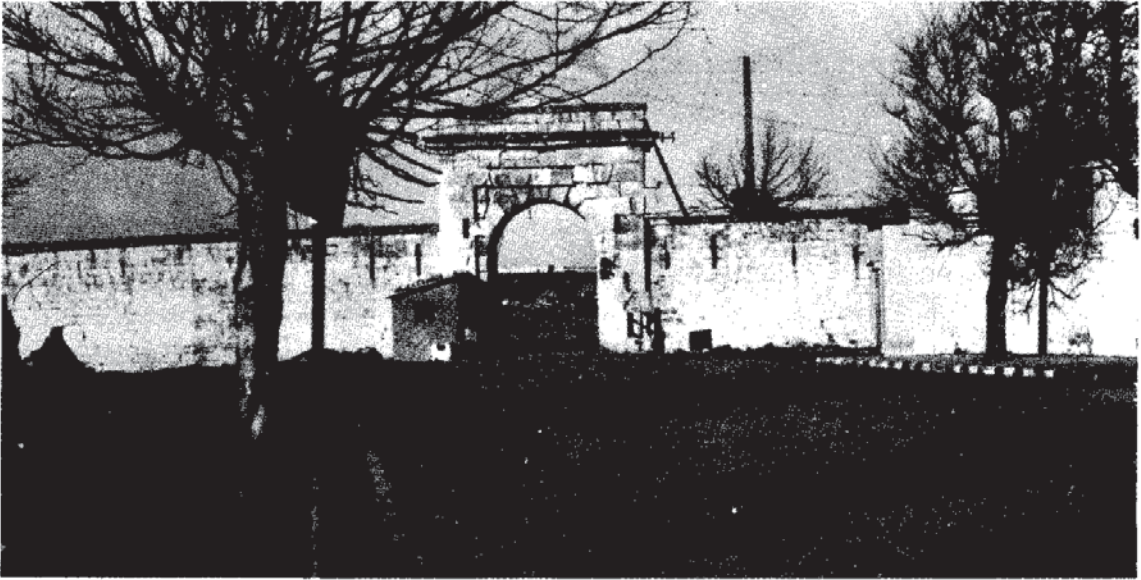
فج مزالة (مصالة)



سيدي علي البصري



فرجيوة (فيج مزالة)



بوابة مدينة جيجل



جيميلة

الفصل الخامس

أثر كتامة في علاقات الخلافة الفاطمية

فأصة مع الأمراء الزيريين

- ميدان العلاقات

- دار الاسلام

- دار الحرب

- نظام الزيريين في بلاد المغرب منذ رحيل المر للدين الله الى مصر حتى منتصف القرن الخامس بعد الهجرة .

يمكن القول بأن ظاهرة التجزئة ظلت طابع الحياة السياسية والمذهبية في بلاد المغرب الاسلامي منذ نجاح ثورة الخوارج الى نهاية القرن الثالث للهجرة .

والحدث الكبير الذي قلب الاوضاع السياسية والمذهبية وغير مجرى الحياة الاجتماعية والثقافية ، هو ظهور الدعوة الاسماعيلية في المنطقة بين اظهر قبائل البربر ، وهم كتامة بواسطة دعاة مهرة ينتمون الى مهد التشيع القديم في بيئة المشرق ، وقد وهب هؤلاء حياتهم وراحتهم وكرسوا جهودهم لضمان ولاء هذه القبائل ، الصعبة المراس التي كانت تعيش مغمورة في ظل انظمتها القبلية ، منبوذة من طرف الانظمة السياسية المعاصرة وفي عزلة عما تموج به المنطقة من احداث سياسية او خلافات مذهبية كان يفديها منذ القدم جماهير السنة وطوائف الخوارج والمعتزلة والاسر العلوية .

ولئن كان اعتناق كتامة للمذهب الشيعي باشراف الدعاة الاسماعيلية يعتبر حادثا كبيرا في حد ذاته ، فان حماس هذه القبائل لنشره ، بمختلف الوسائل او فرضه على مجموع سكان المغرب ، على اختلاف نحلهم المذهبية السابقة يعتبر هو الآخر من بين الاحداث الموجهة في تاريخ المغرب الاسلامي .

وقد اسفرت الجهود الكبرى في هذه الناحية عن نتائج هامة ، وفريدة يأتي في مقدمتها :

- ان تصفية الانظمة السياسية التي كانت سببا في تجزئة المنطقة وتفتيتها هيأت لظاهرة جديدة هي الوحدة الاقليمية على مستوى المغرب العربي .

— ان مراقبة كتامة لسير الحياة القبلية وسيطرتهم على الاحداث في المنطقة حد من ظاهرة تقليدية وهي الحروب المستمرة بين النزعات القبلية وبين الأمراء المحليين ارضاء للعصبية أو تحقيقا لمكاسب مادية وقد حلت محلها الحرب المذهبية الهادفة بين عناصر موالية وأخرى معارضة للنظام بصرف النظر عن ظاهرة الانتماء ، اذ ان الخلاف المذهبي قد يجر أحيانا الى حرب داخلية حتى بين عناصر القبيلة الواحدة .

— ومحاولة فرض المذهب الاسماعيلي على جماهير السكان في بلاد المغرب والمشرق بدافع الرغبة في تحقيق الانسجام ، وظاهرة الوحدة المذهبية ان كانت قد وضعت حدا لظاهرة الصراع المذهبي بين معتنقي المذاهب الاسلامية غير الاسماعيلية فقد فرضت على الدولة الفاطمية أن تواجه جمهورا سنيا متحدا حول مبدأ المعارضة للمذهب الاسماعيلي الدخيل .

ومن هنا نلاحظ ان متاعب الحركة الاسماعيلية ومشاكل الخلافة الفاطمية في المغرب وفي المشرق جاءت من طرف هذا الجمهور الذي تناسى خلافاته وتناقضاته الداخلية ، وأظهر طوائف المعارضة هم المالكية الذين تناسوا ان امام دار الهجرة ، تأثر فكريا بأقطاب الاسماعيلية وأثر عنه حب العلويين .

ولهذا يعتبر نجاح الخلفاء الفاطميين في كسب ولاء وود فقهاء السنة من بين الأحناف والمالكية عملا كبيرا ترتب عليه اضعاف روح الوحدة والمقاومة بين جماهير السنة . ولعل أهم ما تمخضت عنه الحركة الاسماعيلية ثم قيام الخلافة الفاطمية هو بعث ظاهرة التكامل السياسي والمذهبي بين المغرب والمشرق وأصبح المغرب وملحقاته صقلية وقوصرة وقلورية ثم مصر وملحقاتها وهي الشام والحجاز واليمن وحدة سياسية قاعدتها القاهرة المعزية .

وهذا العمل الضخم كان نتيجة جهد الطاقات الجديدة التي كونتها الأحداث الكبرى في بلاد المغرب في العصر الفاطمي ، وعليهم اعتمد الخلفاء « المصريون » في تصفية الأنظمة المستضعفة وحماية دار الاسلام بتنشيط حرب الثغور وازالة خطر الروم البيزنطيين والحد من جموح المغامرين وكان لخيرة من رجال الحرب والدعوة ، والسياسة من بين فروع كتامة العامة وهم :

مسالمة ولهيسة واجانة وملوسة وجيملة ودنهاجة دور بارز في ارساء قواعد الخلافة الفاطمية وفي نشر نفوذها السياسي والروحي كما كان لهم شرف الاسهام في مشروعاتها الكبرى ضد الخلافة العباسية وضد الروم البيزنطيين . وللمستشرق « ارشيبالد » رأي طريف (1) فيما نحن بصدده

1 - القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط (500-1100 م) 411 - 415
ترجمة أحمد عيسى - القاهرة 1951 .

يستحق التوضيح والتوجيه ، إذ يشير الى أن ظهور الفاطميين بتأييد قبائل كتامة في المغرب تمخض عن تجزئة سلطان المسلمين في البحر الأبيض المتوسط منذ القرن 11 م وأنهم بتمسكهم بمذهب يخالف مذاهب أغلب المسلمين ، قد اضعفوا « دار الاسلام » وأسأوا الى الوحدة المذهبية على النحو الذي أحدثته المونوفرتيه او مذهب الطبيعة الواحدة (2) والحركة اللايقونية (3) في الأمبراطورية البيزنطية .

ونلاحظ ان ظاهرة التجزئة كانت سابقة عن ظهور الفاطميين فضلا عن أن ظهورهم كان بحق قوة للجبهة الاسلامية في ميدان البحر بسبب اهتمامهم بشئونهم واشرافهم على قواعد هامة في المناغرة توجد على شواطئه ، وامتلاكهم لأساطيل قوية تملك القدرة على المناورة وعلى مواجهة الحرب البحرية وقد اشتركت قواتهم في ضم ما بقي من قلاع صقلية وفي اخضاع منطقة قلورية للجزية وفي دحر البحرية البيزنطية في أكثر من موقعة ، وفي نجدة مسلمي اقريطش الأندلسيين الذين هددوا في وجودهم وأهمل شأنهم المسئولون عنهم والمستفيدون منهم وهم الأخشيديون أتباع العباسيين .

وكانت دار الاسلام حتى قبيل ظهور الفاطميين تعيش خلافات مذهبية متنوعة لم تقتصر على ما كان بين المعتزلة وأهل السنة أو بين هؤلاء والشيعة والخوارج وإنما كان هناك أيضا خلاف داخلي بين طوائف السنة أنفسهم مثلما كان يوجد نظيره بين طوائف الخوارج والشيعة أيضا . وموقف غلاة الشيعة من الزيدية المعتدلين واعتبارهم رافضة مثل موقف الحنابلة المتشددين ، من بقية طوائف السنة ومثل موقف النكارية الإباضية من الوهبية وغيرها من نحل الإباضية وتنهض مواقف هؤلاء من أولئك دليلا واضحا على وجود الخلافات المذهبية الداخلية منذ قديم .

وكانت دار الاسلام في الناحية السياسية تسودها حالة الفوضى والانقسام والانفصالية (4) ، قبل ظهور دولة الفاطميين حيث لم يكن للخلفاء العباسيين غير الاسم والشكل أما النفوذ الحقيقي فكان بيد قادة الجند الاتراك والامراء البويهيين وغيرهم من حكام الأطراف ، هذا بينما كان البيزنطيون منذ قيام الأسرة المقدونية (5) يعيشون نهضة سياسية وعسكرية ، ويتبنون سياسة

2 - سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى 1،46،95 .

3 - نفسه : 104 أو ما بعدها .

4 - عمر كمال توفيق : المرجع السابق 47 وما بعدها .

5 - نفسه : 6 وما بعدها رونسيما : الحضارة البيزنطية 45-51 ترجمة جاويد ، مراجعة زكي علي - سلسلة الألف كتاب 1961 .

هجومية ناجحة ضد دار الاسلام ابتدأت حلقاتها الاولى قبل ظهور الفاطميين في مصر واستمرت بعد انتقالهم اليها (6) . وما قام به الفاطميون بعد ضم بلاد الشام من جهود مشكورة ضد الروم وأحلافهم أمراء العرب في حلب ، وانطاكية يبرهن على أن ظهور الفاطميين في هذه الفترة كان عاملا حاسما ومفيدا لدا الاسلام المشرق مثلما كان مقيدا من قبل في المغرب ، ولم تقتصر الافادة على النواحي السياسية والعسكرية ، بل تجاوزتها الى النواحي الاقتصادية والثقافية وباعتراف هذا المؤرخ كان توسع الفاطميين يمثل فترة الرخاء الاقتصادي الذي شملهم وجيرانهم الأمويين والعباسيين ثم الازدهار الثقافي الذي عمت مظاهره بغداد وقرطبة والقاهرة .

ويعتبر المستشرق ارشيبالد ظهورهم بعد اعتناق بربر كتامة للحركة الاسماعيلية أحد ردود الفعل الناجحة للعنصر البربري ضد حركة الاستعراب التي ظهرت منذ عصر الفتح واستمرت بعد ذلك فلم تجد منهم غير الصدود والأعراض وظهر تعبيرهم عن معارضتها في شكل ثورات فاشلة قادها الخوارج الصفرية والاباضية ويفسر توسع كتامة في العصر الفاطمي ضد العرب في افريقية والمغرب ومصر والحجاز وبلاد الشام على أساس عنصري كالذي حصل من الفرس المستعربين تجاه العرب في العصر العباسي الأول حيث كان العرب هنا وهناك هم الذين اصطلوا بالحركة وواجهوا المحنة وكانوا ضحايا تظرف عنصر الموالي في المشرق وفي المغرب (7) .

ولتوضيح ذلك نلاحظ أن الحركة الخارجية وهي حركة اسلامية مذهبية مثل حركة الاسماعيلية لم يعتنقها البربر فقط ، بل ابتدأت تاريخيا وسياسيا حركة عربية قمة وقاعدة وانضمام غير العرب اليها كان في فترة تالية ولم تفشل مثلما لاحظ ارشيبالد بل نجحت منذ الفترة الاولى على الصعيدين السياسي والمذهبي وتم ذلك قبل ظهور الحركة الاسماعيلية في المغرب بفترة طويلة بل تركت جيوبا وآثارا حية لها تأثيرها في الحياة الاسلامية الحديثة لبعض دول المغرب والمشرق .

ولو انضم الى الحركة الخارجية كل البربر بفرعهم البتر والبرانس لصح أن يقال أنها ربما كانت حركة لا تخلو من نوازع عنصرية وأهداف « قومية » مثل التي كانت وراء حركة الفرس المستعربين غير أنها كادت تكون حركة بتيرية في عمومها ولم تمس غير جيوب محدودة من فرع البرانس ،

6 - نفسه : 21 وما بعدها .

7 - ويلاحظ على مكي أن التشيع اتخذ صبغة معادية للعرب والعصبية العربية في المشرق ثم في المغرب والأندلس أيضا انظر : التشيع في الأندلس 97 - 98 صحيفة معهد الدراسات ، مدريد ، مجلد 2 ، 1954 .

هذا عكس الحركة الاسماعيلية التي كادت تكون حركة برنسية في جملتها ومن هنا يتضح سر مقاومة أغلب البتر خاصة زناتة ، للحركة الاسماعيلية كما وقف أغلب البرانس من الحركة الخارجية موقفا معارضا أو محايدا . وكان لبربر كتامة - من المبررات الأخرى غير الفارق العنصري ما يدفعهم الى الانتقام من عرب بني الأغلب الذين اعتمدوا فقط على عصبيتهم وعبيدهم واهملوا شأن كتامة ونزلوا بهم الدل والهوان .

واسراع كتامة لاعتناق المذهب الاسماعيلي ولحاق عجيسة وزواوة وصنهاجة بهم كان سببا في معارضة زناتة وأغلب البتر للفاطميين وعلى ذلك فظاهرة العنصرية ان سلم بها ، هي داخلية أي في صميم عنصر البربر أي بين فرعي البتر والبرانس واصولها بكل تأكيد ليست وليدة العصر الفاطمي .

ويبدو أن قياس نشاط بربر كتامة ضد عرب بني الاغلب على نشاط الفرس ضد العرب في العصر العباسي لا يستقيم الا ظاهريا بسبب ان قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب كان في نهاية القرن الثالث للهجرة أي بعد ان استقر الاسلام في المنطقة وطال عهد كتامة على عكس الفرس الذين كانوا حديثي عهد به نسبيا واعتنقوه ظاهريا ، وبقوا مشدودين لعقائدهم ونحلهم القديمة ومن ثم عوقب كثير منهم على الزندقة وعلى الشعوية في العصر العباسي ولم يكن لبربر كتامة الرصيد الثقافي والماضي الحضاري والقومية الواضحة التي كانت للفرس المستعربين الذين تصرفوا ضد العرب بوحي من تاريخهم العريق وحضارتهم المتفوقة وقوميتهم المتميزة عن العرب . وبينما كان هؤلاء يجهدون أنفسهم لتقصي عيوب العرب كان بربر كتامة يحرصون أشد الحرص على الحاق نسبهم بالعرب الخالص وهم عرب حمير ، ويجد صدى هذه الرغبة في كتب التاريخ والأنساب وقد خلت النصوص التاريخية من الاشارة الى كتامة كعنصر شغب أو خلاف اثناء فتن الخوارج لذلك يلاحظ أن بربر كتامة لم يتوسعوا ضد العرب فقط بل كان لهم نشاط واسع ضد البربر أيضا من البتر ، والبرانس وضد بعض فروع كتامة المتمسكين بملذتهم السني .

ويلاحظ هذا الباحث مدى استفادة كتامة وغيرهم بظهور الفاطميين حيث أصبح لهم شأن سياسي وحظوا بميزات اقتصادية وارتفع مستواهم الفكري والأدبي وصاروا يشعرون بالسيادة في كامل حوض البحر الأبيض المتوسط وفي مقابل ذلك تمكن الفاطميون بواسطتهم من تحطيم وحدة الخلافة الاسلامية وأشاعوا جو الحرب والاضطهاد ضد المخالفين وهكذا أقام « الاضطهاد » في الوسط بين الاسلام الاموي السني في الاندلس ،

والاسلام العباسي السني في الشرق دولة فاطمية خرجت عن الاسس التي قامت عليها الجماعة وحاولت فرض مذهبها عنوة على رعية مغلوبه على امرها تكره كثرتها ذلك المذهب (8) .

ونلاحظ ان الفاطميين لم يكونوا اول من تسبب في ظهور حركة الاضطهاد المذهبي بسبب انهم كانوا - انفسهم واسلافهم - من نتائج حركة الاضطهاد العباسي ولما كانت الخلافة الفاطمية هي ثمرة طيبة لغرس دعاة الحركة الاسماعيلية في المغرب والشرق وكانت لها اهداف محددة ومطالب تعتقد شرعيتها فقد اتخذ اول خلفاء الفاطميين لقب امير المؤمنين وعرف أيضا بلقب المهدي وكان ذلك من وجهة نظره التصحيح العملي لاوضاع غير شرعية سادت فترة في المغرب وفي الشرق على السواء .

ولا ريب ان جهاز التنفيذ لسائر مشروعات الخلافة الفاطمية كان يعتمد غالبا على عناصر كتامية تشربوا مبادئ الحركة الاسماعيلية وتادبوا بأدابها وآمنوا بخلفائها فغدوا في الدعوة وفي الحماس للحركة كما عبر العز لدين الله اعلاما يهتدي بهم وسرجا يستضاء بنورهم وعلماء تقتبس الخلائق منهم (9) وفي ميدان الحرب « أسنة رمح » وفرسانا مظفرين وفي ميدان العلاقات رسلا ووافدين آمناء .

ومنذ وقت مبكر كان لرجال كتامة نشاط ملحوظ في ربط علاقات وثيقة بين ايكجان وسلمية مقر امام الزمان ثم سجلماسة بعد ان سار اليها عبيد الله المهدي واختارها مقرا مؤقتا له فضلا عن رصد حركات المعارضين والمحافظة على تماسك رجال الحركة الاسماعيلية في المغرب وتبليغ اخبارهم الى امام الزمان .

وكانت ، فارانهم الى سلمية تهدف الى ذلك أو الى مصاحبة عبيد الله المهدي في رحلته من المشرق الى المغرب اذ أرسل اليه ابو عبد الله رجالا من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه وانهم ينتظرونه (10) .

وكان أعضاء الد فارات الكتامية يؤدون واجبهم ، ينفذون ويبلغون المهمات التي كلفوا به ويرجعون في سرية تامة دون أن يشعر بهم الرقباء أو تنال منهم المراسد في الطريق ولا سبب لذلك سوى مهارتهم في التستر ،

8 - ارشبالد : الرجع السابق 411 - 415 .

9 - النعمان : المجالس والمساربات 512،2، 557 .

10 - نفسه : افتتاح الدعوة ورقة 108 ، القرظي : اعاط الحنفا 1 ، 60 ابن خلدون :

العبر 70،4 ابن الاثير الكامل 13،8 .

وفي التظاهر بأنهم ضعفاء أو حجاج غرباء أو تجار عاديون حتى أقرب الناس إليهم كانوا لا يعلمون عنهم شيئا حتى يرجعوا إلى بلدهم وبهذه الدقة والامانة والتزام الحيطة لم توفق الأجهزة المعادية للحركة الاسماعيلية في كشف حال هذه السفارات ، أو القبض على بعض أفرادها سواء كان ميدان عملها في المشرق أو في أقصى المغرب وقد عبر النعمان عن الضبط والربط اللذين أوجدهما الداعي في كتامة وتحلى بهما رجاله بقوله « فإذا اختار لذلك من يختاره وانتخب له من انتخبه وأسر ذلك إليه ، لم يطلع عليه أحدا من أهل ولا ولد ولا يعرف أحد منهم حيث هو ولا أين توجه فلا يزال مفقودا عندهم حتى يأتيهم » (11) .

ومهارة رجال السفارات لا تبدو فقط في تنفيذ المهمات إنما أيضا في تأجيلها إذا ظهر أن أخبارها تسربت وان تنفيذها سوف يؤدي إلى تضحيات وخسائر ، ويبدو هذا واضحا في محاولة الداعي قتل ليسع بن مدرار ، وتحرير المهدي من سجنه عن طريق خطة محكمة أنتخب لها خيرة من فرسان كتامة بلغ عددهم مائة رجل ، وقد كلف كل واحد منهم بأن ينجز عمل مائة فارس ويبدل من الجهد ما يستطيع تحمله حفاظا على حياة إمام الزمان ، وكان يمكن إنجاز المهمة بسهولة ويسر بوصول هؤلاء إلى سجلماسة وأن يكفوا الداعي مؤونة الحملة التي قادها فيما بعد - لولا تسرب أخبار عن مهمتهم وانكشاف أمرهم في تاهرت - وذلك صرفهم عن قصد سجلماسة فرجعوا إلى رقادة خوفا على حياة المهدي وابنه من حركات المعارضين لهم من قبائل زناتة ومكناسة (12) وإذا كانت هذه المهمة قد أجلت فان سفارات كثيرة نفذت من أيجان إلى سجلماسة واتصل رجالها بوسائلهم الخاصة ، بإمام الزمان وبلغوا أخبار الحركة ومراسلات الداعي وهداياهم ومن ضمنها أموال المغنم التي كسبها رجال الحركة في معاركهم ضد بني الأغلب وأحلافهم (13) وما قام به الكتاميون وأحلافهم ، في ميدان علاقات الدولة الفاطمية بالقبائل المعارضة وأهمها زناتة وبرجال المذاهب غير الشيعية كان عملا هاما وقد تولى القيام به بعد هجرة كتامة إلى مصر ، الأمراء الزيريون ، الذين أصبح من أكبر مهماتهم منذ عصر أبي الفتوح يوسف إلى عصر المعز بن باديس ، الحد من طفيان زناتة والأحلاف البترية ، وفي بلاد المغرب وصقلية كما في أرض مصر وبلاد الشام كان رجال كتامة يعتقدون أنهم

11 - النعمان : افتتاح الدعوة ورقة 88 .

12 - نفسه : ورقة 89 .

13 - نفسه : ورقات 114 ، 143-144 القرظي : انما الحنفا 62،1 ابن خلدون : المعبر 72،4 ابن الأثير : الكامل 14،8 النوري : المصدر السابق 26 ورقة 32 وهنا يلاحظ أن الداعي الشيعي كان يكتب المهدي سرا .

أساس الدولة وعصبيتها وأنهم لذلك مسئولون قبل غيرهم على نشر المذهب وحماية الشرعية والوجود الفاطمي سواء رضي السكان أم غضبوا .

وبنفس الروح والعزيمة حاولوا أن يتدخلوا في شؤون الأندلس وتسربوا إليه دعاة وفاتحين وكان أملهم أن ينتشر التشيع ويدين مسلمو الأندلس في القرن الرابع الهجري بنفس ما دانوا به في القرن الأول اثر انتشار الإسلام وحركة الاستعراب في بلادهم عبر أراضي بلاد المغرب وبواسطة عناصر منها وكانت نظرتهم الى الأندلس تشبه نظرتهم الى جزيرة صقلية من حيث ضرورة تبعية كل منهما لأي نظام اسلامي مركزه في بلاد المغرب بسبب السابقة التاريخية وظاهرة التكامل الجغرافي والاقتصادي .

ولا يستبعد أن يكون غرضهم من فتح الأندلس هو أن يكون مقدمة لاقتحام أرض أوروبا ، ولذلك سابقة تاريخية ترقى الى عصر الفتح .

ولعل الرغبة في القضاء على ظاهرة تعدد الخلافة ، كانت وراء مشروع التوسع ضد الخلافة الاموية حتى تبقى الخلافة الفاطمية في المهديّة ، هي الخلافة الشرعية الوحيدة في أرض المغرب والأندلس في مقابل الخلافة العباسية التي يدين لها جمهور السنة في أرض المشرق بحيث تصبح التصفية النهائية لاحراز السيادة العليا ، ولقب الخلافة بين فرعين من بني هاشم وهم العلويون في المغرب والعباسيون في المشرق .

وقد انصرف الفاطميون بعد استقرارهم في مصر - الى العناية بهذه الناحية - ولم يعودوا يهتمون كثيرا بأحوال الامويين الذين تصدى لأزعاجهم وحصارهم نوابهم الامراء الزيريون .

وكانت وسائلهم للوصول الى بغداد متعددة منها الاساءة الى سمعة الخلافة العباسية عن طريق بث الدعاة والمخربين والانتقاص من أطرافها ، وحصارها في ركن قصي في العراق والتأثير على أمراء بني بويه الشيعة وجلب بني حمدان ، وبني مرداس وأمراء العرب ثم سياسة التصالح والهدنة مع الروم وأخيرا تشجيع القامرين وتدعيمهم لاسقاطها والدعوة للفاطميين في العراق نفسها . وتشير النصوص الى مراسلات ودية بين العزيز بالله وعضد الدولة بن بويه (14) كما تشير الى قيام أحد رجال الخليفة بالمغامرة لأخذ تحفة خاصة كانت مثبتة على سفينة نهرية خاصة بعضد الدولة بن بويه (15) .

14 - الذهبي المصدر السابق 3 ورقة 210 وما بعدها .

15 - المقرئبي : اتعاظ الخنفا 1، 261 الذهبي : المصدر السابق 3 ورقات 211 ، 214 ، 215 وقد وقع ما يشبه ذلك مع العزيز بن باديس فيما بعد انظر : اتعاظ الخنفا

2 ، 213 ط . 1971 .

وقد قصد بالحادث الاثارة واقناع عضد الدولة صاحب مشروع التوسع ضد بلاد الشام ومصر ، بأن الخلافة الفاطمية قوية ويمكنها التحرك بسرعة وفي كل الجهات وعلى كل المستويات للدفاع عن أراضيها وحقوقها المشروعة.

وقد أرغم الفاطميون أمراء بني حمدان وبني مرداس على التبعية لنفوذهم وقد دعى للخلفاء الفاطميين على فترات متقطعة في بلادهم حتى سقطت في أيدي السلاجقة كما دعى للخلفاء الفاطميين في عصر الحاكم بأمر الله في الموصل والانبار ، والمدائن والكوفة بواسطة عرب بني عقيل وأميرهم قرواش بن المقلد الذي أمر أن يكون نص أول خطبة في الموصل « الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب وانهدت بقدرته أركان النصب ، واطلع بنوره شمس الحق من الغرب » (16) ، وكانت الحركة من الخطورة بحيث أن الخليفة العباسي القادر بالله طلب من بهاء الدولة البويهبي بسرعة التدخل لانتهاء الانفصال كما أمر في السنة الموالية (402 هـ / 1011 - 1012 م) بكتابة مختصر للطعن في نسب الحاكم بأمر الله والخلفاء الفاطميين (17) ، وكان ذلك أول عمل في هذا الشأن قصد به الرد على نشاط الفاطميين وافتتان بعض الأمراء بهم . وقد جددت الدعوة للخلافة الفاطمية في عصر الظاهر في مدائن البصرة والكوفة والموصل وفي حي الكرخ ، في بغداد (18) ونشطت الخليفة الظاهر في بث الدعاة في هذه المدينة استغلالا لظروفها الدقيقة منذ سنة 425 هـ / 1033 - 1034 م (19) ، وأحيا المستنصر بالله صلات الخلافة مع أمير بني عقيل قراوش فأرسل إليه أعلاما وخلعا فاحتفى بها ولم يرجع عن الدعوة للمستنصر بالله إلا بعد أن عاتبه الخليفة العباسي القائم بأمر الله (20). كما واجه المستنصر عصيان المعز بن باديس لأنه اعترف بالولاء للعباسيين .

وبسبب عجز هؤلاء عن تقديم العون اللازم لابن باديس . وعندما لم يجدوا وسيلة ينفسون بها عما في أنفسهم تجاه حركات الفاطميين غير تجديد حركة الطعن في نسبهم العلوي كتبوا محضرا ثانيا (444هـ/1052 - 1053م) تضمن القدح في نسب المستنصر بالله وأسلافه الخلفاء الفاطميين (21)

16 - نفسه : 88،2 أبو العباس : النجوم الزاهرة 224،4 - 227 ابن الأثير : الكامل 83،9 (223 ط . بيروت) .

17 - ابن الأثير : الكامل 88،9 الذهبي : المصدر السابق 3 ورفقات 265-267 المعيني : المصدر السابق 19 (ق 4) ورقة 581 أبو العباس : المصدر السابق 229،4 - 231 .

18 - القرظي : اتعاظ الحنفا 168،2 .

19 - نفسه : 2 ، 181 .

20 - نفسه : 193،2 .

21 - القرظي : اتعاظ الحنفا 223،2 ويبدو من كلامه أن سبب المحضر هو « ما عمل مع الرسول المرسل من المعز بن باديس » س 5 - ابن ميسر : أخبار مصر 2 ، 6 .

وأكبر نجاح تحقق للفاطميين في عصر المستنصر بالله هو الدعوة اليهم في بغداد والرصافة وواسط والبصرة أثناء نجاح البساسيري بمساعدة قریش ابن بدران العقيلي في احتلال بغداد وطرده الخليفة العباسي القائم بأمر الله .

ولاول مرة تتحقق فكرة وحدة الخلافة على مستوى العالم الاسلامي وتصبح الخلافة الفاطمية هي الخلافة الوحيدة في المشرق والمغرب بما في ذلك الاندلس الذي كان يعيش في عصر الطوائف ، وكان يمكن أن يستمر الوضع على هذا النحو ويسدل الستار نهائيا منذ منتصف القرن الخامس للهجرة عن قصة الخلافة العباسية لو أن المستنصر بالله ، دعم جانب أبي الحارث ارسلان البساسيري وحافظ على مستوى العلاقة معه واستجاب لرجائه ولم يستخذ لويزيره أبي الفرج محمد بن جعفر بن المغربي « وهو ممن هرب من البساسيري ، وفي نفسه ما فيها فوقع فيه وبرد فعله ، وخوف عاقبته ، فتركت أجوبته مدة ثم عادت بغير الذي أمله ورجاه » (22) .

وكانت حركة البساسيري ، أعظم رد فعل فاطمي على دسائس العباسيين في المغرب ، وآخر محاولة ناجحة للظفر بالسيادة العليا ، بعد ذلك طفت المشاكل الداخلية ، وأزمة الحكم واستبداد الوزراء الذين فرضوا سلطاتهم على الخلفاء الفاطميين منذ عصر المستنصر بالله فأصبحوا « لا امر ولا نهى لهم » مثل ما وقع للعباسيين مع بني بويه والسلاجقة ولو أن حظ العباسيين مع السلاجقة السنيين كان أحسن من حظ الفاطميين مع وزراء السيف ، الذين كان أغلبهم صدى لنفوذ عنصره الاجنبي وعرف بعضهم بعدم الالتزام بمذهب الدولة الرسمي (23) ومن هنا كانت مضرتهم لنظام الدولة ثم لعصبيتها وهم كتامة تشبه ما حصل من مضرة لهؤلاء في العصر الاول من طرف ابن كلس وابن نسطوريوس ، وبرجوان ومنجوتكين واينال الطويل ومعضاد الذي أصبح مسؤولا عن ديوان كتامة في عهد الظاهر الفاطمي (24) .

22 - ابن الأثير : الكامل 9، 239 وما بعدها ، المقرئزي : اتعاظ الحنفا 2، 251 وما بعدها الخطط 1، 356 ابن القلانسي : المصدر السابق 87 وما بعدها وعن أبي الفرج بن المغربي انظر : ابن ميسر : المصدر السابق 2، 13 أبو المحاسن : المصدر السابق ج5، 6، 11، 62 المؤيد في الدين سيرته 178 وما بعدها ، النويري : نهاية الأرب ورقة 97 مجلد رقم 1760 ، المكتبة الاهلية باريس زمباور : معجم الانساب 1، 21-22 المنيأوي : الوزارة والوزراء 258 - 259 .

23 - عمارة اليمني : النكت العصرية 42-45 .

24 - المقرئزي : اتعاظ الحنفا 2، 158-159 وانظر 303-309 منه عن حركة ناصر الدولة بن حمدان ضد المستنصر بالله التي يبدو وكأنها رد فعل ناجح لحركة التامر ضد الخلافة العباسية التي تزعمها أبو الحارث ارسلان البساسيري بتشجيع من المستنصر بالله .

وفي ميدان علاقات الدولة بدار الحرب ، نلاحظ أن قادة كتامة أسهموا
بجهد كبير في مد النفوذ الفاطمي الى ما وراء اقليم قلورية وانكردة على
حساب الروم البيزنطيين الذين منوا بهزائم بحرية منكرة في موقعتي رمطة
والمجاز واستمر الكتاميون أساس الدولة الكلبية وعصبيتها وبفضلهم بقيت
صقلية على ولائها للفاطميين حتى فترة متأخرة (25) .

ويعتبر نشاط كتامة في شمال الشام ، ضد الروم وأحلافهم بني حمدان
والمرادسيين استمرارا للعمل الذي انجزوه في بلاد المغرب .

ومنذ وقت مبكر تشير النصوص الى نشاط فتوح غلام جعفر بن فلاح
ضد الروم في انطاكية وأنه لم ينسحب عن الميدان إلا عندما ووجهت دمشق
بزحف القرامطة (26) وكانت انطاكية قد تعرضت أيضا لأعمال هجومية
أشرف عليها عراس الكتامي الذي أرسل أيضا من طرف جعفر بن فلاح (27) .

وأما جهود مارق الكتامي ضد الروم في المنطقة فقد وصلت أصدائها
الى بلاد المغرب مع رؤوس قتلى الروم في أواخر 385 هـ/995-996م (28)
وكان لجيش بن الصمصامة ولبني ثعبان وابن كليلد جهود معتبرة في قتال
الروم ، وأشباعهم في المنطقة .

— أما دور كتامة في علاقات الخلافة بالمغرب فقد ابتداء إيجابيا وتطور الى
السلبية ثم انقلب في النهاية دورا مشبوها .

وقد منح المعز لدين الله قبيل رحيله الى مصر ، من بقي من كتامة
امتيازات وأتاح لهم فرصة التحرر من الوظائف المالية المقررة على غيرهم
لخزانة الامراء الزيريين . وأشعر شيوخ كتامة بأنهم عصبية الدولة ،
وعمدتها لحراسة الوضع وانهم غير مكلفين بأي التزام مالي أو سياسي
تجاه أبي الفتوح يوسف ولذلك لم يحثهم على الطاعة والولاء له ، بينما
أوصاه بهم وبسائر الحضر خيرا (29) ، لكنه لم يستثن اقليم كتامة ، أو

25 - نفسه 2 ، 221 - 222 وتضمن قوله « وقد بعثوا الى الحضرة يسألون ابغاد وال »
فأرسل اليهم صمصام الدولة بن لؤلؤ بقصد ضبط الأمن ، وتصفية نفوذ الكلبيين
وأرسالهم الى القاهرة وعندما وقف صمصام الدولة في مهمته « استقام الأمر في
صقلية بخروجهم عنها » انظر أحداث 443 هـ منه .

26 - نفسه 1، 126 ط . 1967 يحيى بن سعيد الأنطاكي : المصدر السابق 350 ط .
كراتشوفسكي وفازلييف .

27 - ابن ابيك النواداري : الدرر المنجية 133،6 .

28 - ابن عذاري : البيان : المغرب 1، 354 .

29 - القرظي : المصدر السابق 1، 101 عبد النعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 242 .

يخصه بعمال مستقلين من القبيلة وأمر الكتاب أن يكتبوا إلى العمال ، وولاية الأشغال بالسمع والطاعة لأبي الفتوح (30) بحيث كان موقف المعز لدين الله فيه قدر كبير من التناقض. مآناه الحذر من الانفصال .

ويبدو أن كتامة لم يقتنع زعماءها ببعض تدبيرات أبي الفتوح لذلك شجعوا وأيدوا ثورة خلف بن خير ، وانضم إليها بعضهم مع قبائل بني هراس أساس الثورة وقد اعتصم خلف بإحدى القلاع وأدار الحرب ضد أبي الفتوح (31) وكانت عنيفة استبسل فيها الفريقان غير أن نهايتها كانت سيئة بالنسبة لخلف وأنصاره حيث حلت بهم الهزيمة وأسر كثير منهم وقتلوا وأرسلت رؤوسهم إلى القيروان والقاهرة ومن بينها رأس خلف بن خير (32).

وإذا كانت النصوص لم تشر إلى ردود الفعل من جانب المعز لدين الله أو من طرف كتامة في مصر أو في بيئتهم الأصلية . فإن أبا الفتوح اقتصر على اخماد الفتنة واستخلص منها العبرة فلم يقيم أية حركة عدائية تجاه كتامة أو تجاه الفاطميين ، بل يلاحظ أن إرسال رؤوس الثائرين إلى القاهرة فيه معنى التودد للخليفة ، والاخلاص لنظام الدولة . ودأب أبو الفتوح على المبالغة في اظهار ذلك لأن النصوص تشير إلى أنه عندما عزل صاحب الخراج « زيادة الله بن القديم » وأودعه السجن وأرسل إليه المعز لدين الله يأمره بارجاعه ويهدده بالعقاب الشديد ويخاطبه « أخرج ابن القديم فلودده إلى النظر في الخراج على رسمه ، وامثل جميع ما أمرتك به ولا تخالف شيئاً منه » ، تأثر تأثراً بالغا وهم بتنفيذ الأمر ، لولا سماعه نبأ موت المعز لدين الله وعندئذ تصرف على نحو جديد وصارح رسول المعز بقوله : « بعدت مصر عن المغرب وقد صار المغرب والله في أيدينا التي دهر طويل » (33) وعندما ورد كتاب العزيز بالله يعزيه ويجدد له العهد بالولاية على المغرب ، سر بذلك واتحف الرسول واستكتم (ابن اسباط) ما جرى في حضرته وأذن له بالعودة إلى مصر (34) . وعلى الأثر (جمادى

30 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 326 ، لأن أبا الفتوح « بقي أميراً على الهرقية والمغرب كله » القرظي : المصدر السابق 1، 100 - 101 .

31 - النويري : المصدر السابق 22 (قسم 1) ورقة 49 وقد تضمن كلامه ما يشير إلى غضب كتامة وحسدها لأبي الفتوح « فشق ذلك على الكتامين وحسده وتكلموا عليه عند المعز وعابوه فلم يضره ذلك » .

32 - القرظي : اتعاط الحنفا 1، 218، 223 وقد ورد اسم العشيرة بصيغة بني هواس أما اسم الثائر فورد بصيغة خلف بن جبر ، النويري : المصدر السابق 26 ورقة 50 - 51 ويستنتج منه أن ثورة خلف تعتبر ثورة كتامية صرفة .

H.R. Idris : Op. Cit., T.I p. 50-51

33 - القرظي : اتعاط الحنفا 1، 233 - 234 وقد تنبأ المعز لدين الله بما حصل فعلا بقوله « فإذا تلاوت المدة سينفرد بالامر » انظر 99 وما بعدها ابن أبي الصياف : المصدر السابق 1، 128 .

34 - نفسه 1، 235 .

الآخرة 365 هـ) فبراير 975 م جهز هدية سنوية إلى العزيز بالله شيعها بنفسه خارج المنصورية (35) ، ومع الرسول خطاب رد على ما جاء في رسالة الخليفة العزيز بالله ومما جاء فيه : « وأعوذ بالله أن أقول ما شنعه أهل الزور والجحود بل أنا عبد من عبده » (36) .

وعندما تصرف عبد الله الكاتب نائب أبي الفتوح في أفريقية بقسوة مع السكان وصادر أغنيائهم ولم يستثن غير « الفقهاء والعلماء والأدباء وأولياء السلطان » وجمع من ذلك أموالا كثيرة تولى أبو الفتوح لزالة الظلم عن السكان وإطلاق سراحهم استجابة لرغبة الخليفة العزيز بالله كما أمر بأن ترسل الأموال المصادرة على شكل صرر وعلى كل صرة اسم صاحبها ليرى الخليفة رأيه فيها وقد اجتهد العزيز بالله وساعده ابن كلس ، فأرجعت بعض الصرر وأبقيت الأخرى على أن يعرض أصحابها من بيت المال في أفريقية (37) .

كذلك استجاب أبو الفتوح لرغبة العزيز بالله في العفو عن كباب ومفنيين أخويه اللذين فرأ من السجن إلى مصر فلم يتعرض لهما بسوء (38) ، وكان الخليفة العزيز قد استجاب لرغبة أبي الفتوح في ضم طرابلس وسرت واجدابية إلى نفوذه بعد أن أبعدها عبد الله بن يخلف الكتامي ، الذي استقر في القاهرة كما استقر فيها بأهله وولده قاضي المنصورية أبو طالب أحمد بن أبي القاسم محمد بن أبي المنهال استجابة لرغبته ولعدم اعتراض أبي الفتوح يوسف على ذلك . لكنه استشار الخليفة فيمن يوليه القضاء ، فكتب إليه تطييبا لخاطره « قد رددت هذا الأمر إليك ، فقل من شئت » فاختار محمد بن اسحاق الكوفي وأخبر العزيز بذلك ، فأقر اختياره (39) وأرسل إليه سجلا بولاية ابن اسحاق القضاء .

غير أن العزيز بالله لما أرسل إليه رسالة مع أخيه باديس بن ثوري أواخر 371 هـ / 981 - 982 م وطلب فيها أن يقوم أبو الفتوح باختيار ألف فارس من أخوته وأقربائه أمراء صنهاجة وفرسانهم ويرسلهم إلى القاهرة للإسهام في حروب الدولة ، أوضح له بأن هؤلاء عدته في حرب

35 - ابن عذاري : البيان : المغرب ، 1 ، 327 عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 243 ابن أبي الصياف : المصدر السابق ، 1 ، 132 .

H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 50 Sq.

36 - القرظي : المصدر السابق ، 1 ، 235 .

37 - ابن عذاري : المصدر السابق ، 1 ، 328-329-329 القرظي : المصدر السابق ، 1 ، 247 - 248 .

H.R. Idris : Op. Cit., T I p. 52

38 - نفسه ، 1 ، 339 القرظي : المصدر السابق ، 1 ، 253 .

H.R. Idris Op. Cit., T. I p. 53

39 - ابن عذاري : المصدر السابق ، 1 ، 329 القرظي : المصدر السابق ، 1 ، 247 محمد السراج : العطل السنسية في الأخبار التونسية ، 1 ، 937 ط . تونس 1970 .

المعارضين للنفوذ الفاطمي في المغرب وهم بنو أمية وعملاؤهم في المنطقة الذين أشاعوا دعوة المروانية « فان عزم أمير المؤمنين » على بعثهم اليه ترك الغرب وسار بنفسه في جملتهم (40) .

ويبدو أن العزيز بالله كان يحس بازدياد نفوذ أبي الفتوح في المغرب وبرغبته في الاستقلال لذلك تحايل لضعافه بتجريده من عصبيته قبل عزله عن شؤون المغرب فلما تظن أبو الفتوح للتدبير وامتنع بطريقة لبقة ، انصرف عنه وكان ذلك فيما يظهر بداية لمرحلة جديدة في العلاقة بين الفاطميين والزيريين استهلها أبو الفتح المنصور بخطاب صريح بانته فيه نزعته الى الاستقلال : « وما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، لأنني ورثته عن أبائي واجدادني وورثوه عن آبائهم واجدادهم حمير » (41) . ومع ذلك فقد استمر على سياسة الولاء للخلافة الفاطمية وأرسل الى العزيز بالله ، كما جرت العادة هدية ثمينة مع زروال بن نصر قائد المهديّة ، قيل انها بلغت « ألف ألف دينار عينا » (42) غير أن الخليفة لم يكتف بهذا القدر من الولاء وبقي مستاء من مقالة أبي الفتح المنصور ، ينتظر فرصة مناسبة لتأديبه ووضع حد لنظام الزيريين وقد مهد لتحقيق ذلك باعتماد عبد الله بن محمد الكاتب مشرفا على الدعوة الاسماعيلية (43) ، وأرسل في بداية 376 هـ / 986 م داعيا فارسيا من خراسان ، يعرف بأبي الفهم حسن بن نصر ، مكلفا بالاستقرار في إقليم كتامة وبالتعاون مع قبائله والتنسيق معهم ، لاثارة المشاكل ضد أبي الفتح تمهيدا لعزله عن نيابة أفريقية ، وقد لقي هذا الداعي حفاوة وتكريما من طرف آل الكاتب خاصة من يوسف بن عبد الله نيابة عن أبيه وزود بالاموال قبل التوجه الى كتامة . وفي هذا الاقليم وجد ترحيبا كبيرا من بقايا كتامة ومن بينهم اقارب الذين يوجدون في مصر فالتفوا حوله وأيدوه حتى عظم شأنه وشاع خبره في أفريقية بحيث أعاد تمثيل نفس الدور الذي قام به من قبل أبو عبد الله

40 - نفسه 1 ، 340 وحامل هذه الرسالة كلفه العزيز بالله في نفس السنة بالاشراف على قافلة الحج ، أنظر القرظي : اعماق الحنفا ، 1 ، 253 .

H.R. Idris : Op. Cit., T.I p. 53-54

A. Laroui : Op. Cit., p. 131

41 - نفسه 1 ، 343 .

G. Mercas : La Berberie et l'Orient p. 159

H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 64

42 - نفسه 1 ، 344 ، ابن الأثير : المصدر السابق 9 ، 12 ، محمد السراج : الحل

H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 67

السندسية 1 ، 938 .

43 - النوري : المصدر السابق 22 (قسم 1) ورقة 52-53 .

الشيبي (حتى صار يركب الخيل ويجمع العساكر ويعمل البنود ويضرب السكّة) (44) وعندما وصلت حركة أبي الفهم الى هذا الحد واضطربت شؤون افريقية أرسل أبو الفتح الى العزيز بالله يصور له الوضع وكان قصده أن يعرف ميول الخليفة وعندما اتضح له أنه يؤيد الحركة وهي من وحيه وتديره رتواطىء آل الكاتب عبد الله وابنه يوسف (45) وتأكد ذلك لديه بوصول رسولي الخليفة وهما أبو العزم الكتامي ومحمد بن ميمون الوزان ، بما يفيد معارضة العزيز لاي تصرف أو حركة ضد أبي الفهم في كتامة . وقد كان الحادث المثير انهما كلفا بالتبليغ ثم بالاتجاه نحو أبي الفهم في معقله بكتامة لتبليغه أوامر الخليفة ولمساعدته في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الحركة . وعندما تأكد أبو الفتح ، أهان الرسولين وأغلظ الكلام لهما وفاه بعبارات ضد العزيز وتحفظ عليهما في المنصورية حتى أتم استعداداته الحربية وعندئذ صحبهما معه في حركته ضد أبي الفهم وكتامة وكان هدف المنصور تعفية آثار حواضر كتامة التي آوت الداعي وناصره سكانها وقد اقتحم ميلا ، وقتل واليها مع كثير من وجوه كتامة والدعاة واكتفى بهدم أسوارها ونهجير سكانها الى باغاية وواصل حركته التخريبية ضد منازل وقصور ومدن كتامة حتى بلغ سطيف وهي « كرسى عزهم » ، وقد تحصن بها أبو الفهم . واطر هزيمته ، تركها الى جوار قبيلة بني ابراهيم فاحتفى بهم ، وكانت منطقتهم جبلية حصينة ، فتهددهم المنصور ، وطلب تسليم أبي الفهم ، فأبوا في البدء على أساس أنه « ضيف لا يسلم » ثم تراجعوا وطلبوا من المنصور أن يرسل اليه من يتسلمه « أرسل أنت اليه فخذة ونحن لا نمعه » وعندما صار أبو الفهم بين يديه ضرب ضربا شديدا وتفتت لحيته ثم قتل ومثل به تمثيلا غريبا وأصاب كتامة من جراء ثورته ، بلاء وذل وهوان بما حصل لهم في مصر نتيجة دسائس ابن كلس (46) ثم برجوان فيما بعد وقد تمت حركة الانتقام منهم ومن أبي الفهم بمحضر رسولي العزيز بالله اللذين صرفا بعد ذلك الى مصر منزعجين وقالوا للعزيز بالله « جئنا من عند شياطين يأكلون الناس »

44 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 345 القرظي : المصدر السابق 1، 263 ابن الأثير :
المصدر السابق 9، 19-20 الثوري : المصدر السابق 22 (قسم 1) ورقة 53 - 54
بيبرس النوادار : المصدر السابق 6، ورقة 266 .

H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 75

45 - نفسه 1، 346 - 347 ابن الأثير : المصدر السابق 9، 34 وقد قتل كل من يوسف
وابيه عبد الله الذي اتهم بأنه تسبب في ثورة الداعي أبي الفهم الغراساني وفي تفاقم
أمره من طريق التصغير من شأنه تفضيلا للمنصور . وقد نشبت اضطرابات كثيرة
أثر قتلها .

46 - القرظي : المصدر السابق 1، 261 .

(47) وعلى هذه الصورة انتهت حركة أبي الفهم ، وكانت نهايتها انتصاراً لأبي الفتح المنصور الذي دعم رأيه وأنزل ضربة قاصمة بعصبة الدولة ودعاتها في بلاد المغرب وبالتالي فشلت خطط العزيز بالله لاسقاط نظام الزيريين .

وتشير بعض النصوص الى سلبية العزيز بالله وتجاهله لما جرى في بلاد المغرب ضد كتامة وأبي الفهم ، وآل الكاتب وأبي العزم والوزان رسولييه الى افريقية ، اذ أرسل الى المنصور هدية تطيباً لخاطره واستمالة له من جديد (48) .

وقد برهن فشل حركة أبي الفهم في كتامة على عدم استطاعة الفاطميين في المستقبل السيطرة على بلاد المغرب أو مراقبة ما يفعله الأمراء الزيريون بواسطة عصبيتهم الكتامية ، لأن كتامة ضعفوا وذلوا واستصفيت أموالهم وهجرت عناصرهم القوية الى أماكن بعيدة ولعل ذلك هو منشأ سياسة التركيز على عنصر المشاركة والاهتمام بشؤون المشرق وبداية تضاؤل شأن الكتاميين في هذا العهد ولكن ذلك لا يعني - أن الفاطميين سوف ينصرفون عن سياسة الكيد للأمراء الزيريين بالاعتماد على عنصر كتامة أو بحركات تظهر في منطقتهم ويكونون قوتها وأساسها لوضع حد لانفصال أبي الفتح المنصور ، اذ يلاحظ أن الأمر لم يطل عقب فشل ثورة أبي الفهم وظهرت حركة أخرى في كتامة سنة 379 هـ / 989 - 990 م تزعمها داع اسماعيلي جديد يعرف بأبي الفرج وقد زعم أنه من نسل القائم بأمر الله الفاطمي ولذلك وجدت حركته تأييداً كبيراً من طرف كتامة الذين التفوا حوله ونصروه وهدفهم الثأر لما حل بهم وبأبي الفهم ، وكانت نتيجة تأييدهم له أن « اتخذ الينود والطبول وضرب السكة وجرت بينه وبين نواب المنصور وعساكره بميلة وسطيف حروب كثيرة ووقعات متعددة » بان أثناءها عجز ولاة الزيريين عن قمع الحركة فتصلى لها المنصور بنفسه وأنهاها بسرعة ، وقتل أبا الفرج شر قتلة « ونكب قبيلة كتامة وضيق عليهم ، ولم ينصرف عن بلادهم حتى نظمها تنظيمًا جديدًا فأخضعهم للمفارم والجبايات لأول مرة لأنه « لم يدخلها عامل قبل ذلك » ، وهكذا كان تأييد كتامة لثورة أبي الفرج (49) سبباً في تجريدهم من امتيازاتهم القديمة .

47 - نفسه : 263،1 ابن عذاري : المصدر السابق 348،1-349 ببيرس الدوادار :

المصدر السابق 6 ورقة 266 جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية 225 - 226

ابن الأثير : المصدر السابق 18،9 . H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 76-77 .

48 - ابن الأثير : المصدر السابق 18،9-19 .

49 - ببيرس الدوادار : المصدر السابق 6 ، ورقة 270 ، الثوري : المصدر السابق 22 ،

ورقة 54 وفيه « وقيل كان يهودياً » ابن الأثير 25،9 .

H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 78-79

G. Marcais : Op. Cit., p. 160

وكان موقف العزيز بالله هذه المرة شبيها بموقفه السابق ، تظاهرا بعدم الاكتراث لنتائج الحركة ، وأرسل الى أبي الفتح سنة 382 هـ / 992 - 993 م سجلا يتضمن ولاية العهد لابنه أبي مناد باديس (50) وفي نفس الوقت حرص في السنة الموالية 383 هـ / 993 - 994 م اثناء العرض العسكري الضخم الذي جرى بمحضر نائب المنصور ، واشترك فيه مائة وستون قائدا كل مع عسكره وحجابه وشاكريته ، أن يرى هذا الرسول مبلغ القوة والاستعداد فينهاي اخبارها الى المنصور حتى يتراجع عن اتجاهاته الانفصالية (51) وأرسل اليه مع جعفر بن حبيب 384 هـ / 994 - 995 م هدية سنوية ضمنها « فيل عظيم » (52) وعلى اثر ذلك وردت سفارة جديدة على أبي الفتح المنصور ، 385 هـ / 995 - 996 م اشرف عليها قاسم بن حجاج الذي صحب معه بعض رؤوس قتلى الروم في منطقة حلب (53) .

وقد هيا أبو مناد باديس بن المنصور هدية سنوية مع جعفر بن حبيب وأمر بأن يكون معها القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم استجابة لرغبة العزيز بالله الذي الح في إرساله رغم مرضه واستياء جمهور القيروان ، من ذلك لأن نائب أفريقية محمد ابن أبي العرب وجماعته فاجأوه و « هجموا عليه وحملوه ببساطه ، الذي كان مريضا عليه وفي ثيابه التي يلبسها في داره » ولما وصل ما يفيد وفاة العزيز بالله صرفت الهدية الى مصر ، وأرجع القاضي الى داره « مكرما معظما » وأصبح بسبب ذلك محل تجلة وتعظيم من طرف جماهير السكان الذين اعتبروا الأمر بمثابة نجدة غير متوقعة أو كرامة لهذا الفقيه المريض (54) .

وكانت حفاوة أبي مناد باديس برسول الحاكم ، القاضي الشريف الباهري الذي حضر من مصر في ربيع الآخر 387 هـ / ابريل 997 م عظيمة إذ خرج لاستقباله بجميع رجاله وعساكره بحيث « رأى مالم ير مثله » وكان الباهري يحمل ثلاث سجلات : سجل يتضمن تلقيب أبي مناد باديس بنصر الدولة واعتماده في نيابة أفريقية والمغرب وسجل عن ولاية الحاكم بعد وفاة العزيز بالله وفيه التعزية بوفاة أبي الفتح المنصور عدة العزيز بالله

50 - ابن عذاري : البيان : المغرب 1، 352 .

51 - القرظي : اتعاظ 1، 279 ، وقارن ذلك بالعرض الثاني الذي اشترك فيه مائة قائد فقط ، انظر 284 س 1 .

52 - ابن عذاري : البيان : المغرب 1، 353 .

53 - نفسه 1، 354 وقد قتلهم مارق الكلامي ، وفي بداية 386 هـ توفي أبو الفتح المنصور .
H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 79

Ibid : 86-87

54 - نفسه 1، 355 - 356 .

والسجل الثالث وهو أهمها كان يطلب بمقتضاه من نصير الدولة أن يجدد الولاء للحاكم ويأخذ البيعة له من زعماء صنهاجة وقد استجاب نصير الدولة وأخذ العهد بحضرة القاضي ثم جهزه بأموال كثيرة وهدايا وأذن له بالعودة إلى مصر ، ويبدو أن - الانطباع الحسن الذي نقله الشريف الباهري عن رحلته إلى المنصورية كان سببا في رضا أولي الأمر في مصر عن نصير الدولة فأرسلوا إليه في السنة الموالية (388 هـ / 998 م) هدية تشتمل على الجواهر والإعلاق النفيسة فتلقاها خارج المنصورية ودخلت بين يديه (55) . وهكذا استمرت العلاقة حسنة بين نصير الدولة والحاكم بأمر الله ، طيلة الفترة التي سيطر فيها الحسن بن عمار بوصفه وسيطا ، فلما آلت الوساطة إلى برجوان الصقلي تسبب بسياسته في توتر العلاقة بسبب التدخل في قضية طرابلس التي كانت منذ عصر العزيز امتدادا لنفوذ الزيريين ولم يكن دافعه لاثارة هذه المشكلة مصلحة الخلافة وإنما كان يهيمه أبعاد أبي الحسن يانس الصقلي عن مصر إلى برقة وطرابلس ، « لأنه كان ينافسه في الرئاسة » (56) . ويلاحظ هنا أن نتيجة النزاع حول طرابلس كانت هزيمة مرة للخلافة الفاطمية ونجاحا كاملا لأبي مناد باديس الذي دعم مركزه في طرابلس بعد فشل عسكر الخلافة وموت يانس وفشل ابن حمدون الأندلسي ، وتقلب بني خزرون الذين اعترفوا بالولاء لباديس بعد موت فلفل بن سعيد (ت 400 هـ / 1009 - 1010 م) ثم بني قررة الذين تأمروا على عسكر الخلافة واستمروا من هذا الوقت بسبب غدر الحاكم ببعض رجالهم عنصرا معارضا للخلافة الفاطمية ، وعونا لكل من وقف يناوئها في برقة وفي مصر ومن أشهرهم الشائر أبو ركوة (57) .

وتولى الحاكم بأمر الله بعد قتل برجوان ، مهمة ارجاع العلاقة إلى وضعها الطبيعي ، واقتضى الأمر المبالغة في تكريم أبي مناد باديس وتوسيع نفوذه في بلاد المغرب ، إذ تشير بعض النصوص إلى هدايا جمّة وصلت المهديّة لنصير الدولة ولأبنيه المنصور (58) فتلقاها الأخير رسميا مع وجوه

55 - ابن عذاري : البيان : المغرب ، 1، 356 - 357 ، محمد السراج : الحلل السنسية

1 ، 939 ياقوت معجم الأدباء ، 1، 218 .

56 - القرظي : اتعاظ الحنفا 2 - 34 .

57 - نفسه : 2، 35، 51-52 وقد سمع لتموصلت بن بكار بالاستقرار في القاهرة

ابن عذاري : المصدر السابق ، 1، 368 - 369 ، 372 ابن الأثير : الكامل ، 9، 58 ،

عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 245 - 253 جمال سرور : سياسة الفاطميين

الخارجية 226 - 227 .

58 - ابن عذاري : المصدر السابق ، 1، 373 ، وقد توفي المنصور سنة 406 هـ انظر 378

منه .

مدينة القيروان في قصر الماء ، بالطبول والبنود (59) وفي نفس الوقت ورد في (403 هـ / 1012 - 1013 م) سجل على أبيه نصير الدولة تضمن اضافة برقة وأعمالها الى دائرة نفوذ الزيريين الذي اتسع من عدوة طنجة الى بربرقة ، وكان يحمل السجل عبد العزيز بن أبي كدينة الذي استقبل خارج المنصورية استقبالا رسميا حضره القضاة والاعيان وكان يسوما مشهودا (60) وبقيت العلاقة ودية وتوطدت بنجاح باديس وأنصاره في احباط مؤامرة أموية استهدفت نظام الزيريين وكان مقررا أن يتجمع الانصار والمؤيدون للامويين في منطقة كتامة ابتداء من شهر صفر 404 هـ / 1013 م ليلبذوا الحركة ضد الزيريين (61) .

ومظهر حسن العلاقة وتبادل الثقة في هذه الفترة أن الحاكم بأمر الله لما عزم على تحويل النص عن ابنه ، الى قريبه أبي القاسم عبد الرحمن بن الياس بن أحمد بن المهدي أرسل في سنة 404 هـ سجلا بهذا المعنى الى نصير الدولة باديس فقريء بجامعي المنصورية والقيروان ونقش اسمه على السكة واثبت على الطراز والبنود الى جانب اسم الحاكم بأمر الله ورغم أن نصير الدولة استاء من هذا التصرف المخالف للتقاليد الفاطمية ، ولخص رايه امام رجاله بقوله « لولا أن الامام لا يتعرض على تدبيره لكانتبه الا يصرف هذا الامر من ولده الى ابن عمه » (62) ومع عدم موافقته على الامر فانه تمسك بالطاعة الواجبة للامام المعصوم وجهاز اليه في سنة 405 هـ / 1015 م هدية جليلة « شيعها بالطبول والبنود » كما جهزت أخته أم ملال هدية مماثلة للسيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وصحب الهدية - في البحر يعلى بن فرج حتى سواحل برقة حيث سطا عليها عرب بني قره وأخذوها ونجا يعلى بن فرج بنفسه وترك لهم

59 - نفسه 1 ، 374 .

60 - ابن عداري : البيان 374،1 القرظي : اتماظ الحنفا 2 ، 99 محمد السراج : الطلل السنديسية 1،939 عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 253 جمال سرور : المرجع السابق 226 - 227 .

61 - نفسه 1،374 ولقد اشرف على حركة التأمير تاجر اموي اتخذ التعليم ستارا ومنطقية كتامة مركزا للعمل .

62 - ابن عداري : البيان : المغرب 1،375 القرظي : اتماظ الحنفا 2،101 وورد اسمه هنا عبد الرحيم بن الياس بن أبي علي بن المهدي وقد امر الحاكم أن يسلم عليه بالعبارة التالية : « السلام على ابن عم أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين » وعين له مكانا لجلوسه في القصر ونقش اسمه على السكة كما باشر الاشراف على النظر في الظالم وولى دمشق سنة 409 هـ انظر 104،114 منه ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق 69 - 70 ، ويرد اسمه هنا «ابن الياس بن أحمد بن العزيز بالله » أبو المحاسن : النجوم الزاهرة 4،235 النويري : نهاية الأرب 26 ورقة 75 ابن حماد : اخبار بني عبيد 57-58-60 عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله 176-178 .

كل شيء (63) وقد كافأ الحاكم بأمر الله نصير الدولة فأرسل إليه مع عبد العزيز بن أبي كدينة خلما وسيوفا وتشريفا « يحمل معنى الاذن بولاية المنصور ، الذي لقب عزيز الدولة (64) قلما توفي 406 هـ / 1015 - 1016 م ولحق به أبوه في نهاية هذه السنة (65) وبويع المعز بن باديس على الاثر (66) ، اعتمد الحاكم ولايته وأرسل إليه في سنة 407 هـ / 1016 - 1017 م سجلا تضمن « تلقيبه بشرف الدولة فاستقبل المعز رسول الخليفة استقبالا حافلا ضربت فيه الطبول واطهرت البنود (67) ، وقبيل اختفاء الحاكم وصل الى المنصورية من طرفه الى شرف الدولة كل من أبي القاسم بن البريد ومعه سجل تضمن تشريفا لم يصل لاحد قبله « وهدية نفيسة تضمنت « حلة من لباسه لم ير مثلها » وسيفا مكلا بنفيس الجوهر فاغتبط شرف الدولة بذلك واستقبل رسول الخليفة استقبالا حافلا وبرز اليه في أجمل زي وأكمل هيئة، ومحمد بن عبد العزيز بن أبي كدينة ومعه سجل آخر تضمن الشكر على اخلاصه للدولة بتسقطه أخبار الأندلس الأموية وتزويد الخليفة بها ، ليكون على علم بما يجري فيها ومع هذا السجل أرسل اليه هدية رمزية تتمثل في خمسة عشر علما منسوجة بالذهب فاحتفل شرف الدولة بالهدية وطيف بها في مدينة القيروان وخلع على رسولي الخليفة : أبي القاسم بن البريد ، ومحمد بن أبي كدينة (68) ، وهذا الأخير هو الذي رجع مرة أخرى من طرف الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ، ومعه سجلات تضمنت اضافة لقب جديد للمعز بن باديس ، هو عضد الدولة ، وتشريفا ومدحا « ماوصل قبلها مثلها أجل حالا ولا أعلى مقاما » وأخبارا عن ميلاد ابنه : أبي الطاهر وعبد الله أبي محمد ، ومع كل هذه الالطاف أرسل اليه هدية معبرة منها « ثلاثة أفراس من خيل ركوبه ، وخلعة نفيسة من نفيس ثيابه » وجرى استقبال الرسول والهدايا ، على ابهة عظيمة وقرئت سجلات الخليفة ، على شرف الدولة وعضدها « ثم قرئت في جامع القيروان ، ونسخت منها نسخ أرسلت الى الأفاق ولقد عظم سرور شرف الدولة وعضدها بالسجل الأخير الذي ورد من مصر وتضمن انعاما جديدا عليه بلقب « الأمير »

63 - نفسه ، القرظي : انعاظ الحنفا 2، 110-111 ولعل عدم ارسال باديس لهدية باسم ولي عهد المسلمين كان مقصودا عبر به عن رايه الخاص في قضية النص .

64 - ابن عذاري : البيان : المغرب 1، 376 القرظي : انعاظ الحنفا 2، 111 .

65 - نفسه 1، 378، 384 .

66 - نفسه ، 1، 386 .

67 - نفسه 1، 388 .

68 - نفسه 1، 389 ، القرظي : انعاظ الحنفا 2، 115 عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 257 .

H.R. Idris : Op. Cit., T.I. p. 150.

وأصبح الرسم بالنسبة إليه أن يخاطب في المكاتبات بلقب الأمير شرف الدولة وعرضا « (69) » .

وقد عبر المعز بن باديس عن امتنانه لهذه الانعامات ، فجهز سنة 420 هـ - 1029 - 1030 م هدية جلييلة لم يسبق أن أرسل مثلها الى مصر وقد جلس الخليفة الظاهر في « الايوان » على السرير الذهب ، ليسمع مضمون كتاب المعز بن باديس وليرى هديته ويبدو أن الخليفة سره ما سمع وما رأى ولذلك أتحفه بهدية عظيمة « من دق تنيس ودمياط وطرائف الهند واليمن وزرافة وبخت خراسانية تحمل قبابا فيها جوارى وأشياء عظيمة » (70) .

ومع هذه المظاهر الودية بين الخلفاء والأمراء الزيريين التي بلغت غايتها في عصر الظاهر والمعز بن باديس فالذي يلاحظ أن العلاقة السياسية والمذهبية كانت يشوبها الحذر وسوء الظن وترقب المكروه . فالفاطميون لم يجدوا بعد فشل جميع مخططاتهم لاسقاط نظام الزيريين بالاعتماد على كتامة ، بدلا عن الاحتفاظ بعلاقات شكلية معهم مظهرها ارسال السفراء والهدايا الجمّة والانعام عليهم باللقاب الشرفية الرفيعة بقصد ابقائهم في دائرة النفوذ السياسي للخلافة الفاطمية وكان الزيريون بدون استثناء وحتى عصر المعز بن باديس يدركون نقطة الضعف في جانب الخلفاء الفاطميين فكانوا يردون على الهدايا بمثلها وبما هو اعظم منها ويستقبلون سفراء الخلافة وانعامات الخلفاء استقبالا رسميا حافلا ويتظاهرون بالولاء لهم وبرعاية مصالحهم في المنطقة فيقفون ضد اعوان الأمويين وينهون اخبار هؤلاء وأولئك الى الخلفاء في مصر وينفذون مقترحاتهم الخاصة بالوضع الداخلي ان كانت لا تؤثر على هيبتهم ولم يقصد بها الأضرار بمصالحهم الأسرية .

واستمرت الخطبة والسكة والطراز على الرسم القديم تعكس النفوذ الفاطمي ، هذا بخلاف الخراج والقضاء اللذين أصبحا من اختصاصات الأمراء الزيريين منذ فترة طويلة (71) .

واقدم المعز بن باديس بعد فترة اعداد وتمهيد على تحويل ما بقى من مظاهر السيادة الفاطمية في بلاد المغرب هو الذي كان وراء الأزمة الكبرى التي يعتبرها بعض المؤرخين قطعة نهائية او طلاقا بين المغرب والمشرق (72) .

69 - ابن عذاري : البيان 392،1 القرظي : اعناظ 132،2 ماجد : المرجع السابق 258 .

70 - القرظي : المصدر السابق 177،2-178 ط 1971 م .

71 - وقد أصبح ابو البهار بن خلوف منذ نهاية جمادي الاولى 414 هـ مفوضا في شؤون الجباية والجند والعمال فرأى شرف الدولة من حزمه وكفايته وعزمه وشهامته ما لم يقم به غيره - انظر ابن عذاري 393،1 .

72 - عبد النعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 258 الحاكم بأمر الله 163 وما بعدها عبد الحميد يونس : الهقالية في التاريخ والادب الشعبي 64-65 .

G. Marcais : La Berberie Musul et l'Orient 136 Sq.

وقد سبقت الازمة بعدة تحركات واعمال يأتي في مقدمتها :

1) اضطهاد الشيعة واقترن مباشرة بولاية المعز بن باديس وكانت فصوله المحزنة ما حصل في حومة درب المعلى بالقيروان ثم في المهديّة وسائر النواحي وشمل الشيعة ، ومن اشتبه في امرهم (73) لم يغن هؤلاء احتماؤهم بالمساجد أو بقصر الأمير خاصة بعد أن عثر في ديار المسالمة على بعض آثار الشيعة الفلاة كما لم يغن عنهم فرارهم من حواضر السنة الى المهديّة كمرحلة أولى للاتجاه الى صقلية فقد قتل كثير منهم في قرية كامل واعتدى على شرف نسائهم (74) كما قتل منهم نحو ثلاثة الاف في موضع القيروان بقى يعرف حتى القرن السابع الهجري ببركة الدم (75) . وعندما نجا كثير من الشيعة بأنفسهم وتحصنوا في مركز نفطة في أقصى الجنوب ، شدد الحصار عليهم وقتلوا عن آخرهم (76) ويبدو أن اعتصامهم بنفطة كان مقدمة لحركة لان هذه المدينة عرفت بأنها معقل هام للشيعة في أفريقية . ولا يستبعد أن والي المدينة لم يشتد معهم في بدء الأمر ومن ثم تشير بعض النصوص الى نكته ، في سنة 439 هـ / 1047 - 1048 م على يد المعز بن باديس الذي طالبه بمال كثير وأنزل به الدل والهوان كما نكب قاضي قفصة أحمد بن حجاج فافتدى نفسه بمبلغ مالي ضخم (77) وهكذا كانت حركة اضطهاد الشيعة ومن أظهر عظفا عليهم ، ذات صبغة شاملة ، عبر عنها مؤرخ أندلسي بقوله « وصاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت فقتلوا في سائر بلاد أفريقية » (78) .

وهذه الحركة تتجاوز في أبعادها مجرد محاولة لارضاء المالكية والسنة الذين اضطهدوا في عصر سيادة الشيعة في أفريقية أو حركة رد فعل لما وقع لهؤلاء في مصر على يد الخلفاء الفاطميين لا سيما الحاكم والظاهر لاعزاز دين الله ، الى ناحية أهم من ذلك وهي احساس شرف الدولة بأن الشيعة في

73 - ابن عذاري : البيان 387،1 النوري : المصدر السابق 22 (ق) 60 ح حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس 109-111 .

74 - نفسه 388،1 .

75 - نفسه 395،1 حسن محمود : محنة الشيعة بأفريقية 94 وما بعدها مجلد كلية الآداب القاهرة ، مجلد 1-2 ديسمبر 1950 ابن غليون : التذكار 20 ط . الزاوي .

76 - ابن الأثير : الكامل 160،9 .

77 - ابن عذاري 399،1 .

78 - نفسه 395،1 وهو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (529-135) م وقد عاصر ثلاثة امراء زيريين هم يحيى وعلى والحسن والآخر ألف كتابه التاريخي « كتاب - الديباجة في مفاخر صنهاجة انظر بالوت معجم الأدباء 64،7 .

بلاد المغرب عيون عليه وعقبة في سبيل تحقيق مشروع الاستقلال السياسي والمذهبي وأن ولائهم إنما هو للخلفاء الفاطميين في مصر (79) الذين يرتبطون بهم روحيا وليس للامراء الزيريين في افريقية .

ولذلك شجع على استئصالهم وتظاهر أمام الخلفاء بأنه يحاول الحد من تطرف المتطرفين . وفي هذا الظرف ، رجع بعض مهاجري صنهاجة من الأندلس الأموية ينزعمهم زاوي بن زيري بعد غيبة استمرت اثنتين وعشرين سنة فاحتفى بهم المعز وانزلهم المنصورية (80) ، ولعل ذلك كان عنوانا على علاقات جديدة بين فرعي الأسرة الزيرية الفرع السني في غرناطة والفرع الشيعي في بلاد المغرب .

ب) التحالف مع المالكية ومنذ وقت مبكر وقع المعز بن باديس تحت تأثير زعماء المالكية فكان أداة طيعة في يد معلمه المالكي أبي الحسن علي بن أبي الرجال الذي « أدبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة » ، فأصبح المعز بسبب ذلك يتوحد الى زعماء المالكية ويحرص على ارضائهم وتقريبهم قدر حرصه على معرفة آرائهم حول موقفه من الشيعة وتشجيعه الجماهير على التنكيل بهم (81) .

ومن بين الشخصيات المالكية الذين احتكوا بالمعز بن باديس وتحايل ليعرف آراءهم حول الوضع : أبو بكر احمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني ثم أبو عمران الفاسي .

فقد كلف المعز بن باديس من يسأل الخولاني عن صحة الصلاة بشباب عليها طراز الشيعة الفاطميين فكان جواب الشيخ مباشرا وجافا « هذا سؤال أحرق أخرق قليل المعرفة » أما رقيقة الفاسي الذي عرض عليه السؤال أيضا فقد كانت أجابته معبرة وفي نطاق التأدب مع مقام الأمير ومنها « إنما يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك » ولأن الأمير لم يتوقع اجابة الخولاني ، وتأثر لها فقد أراد التحقيق من دوافعها وأرسل الى الفقيهين يطلب حضورهما وفي المجلس أوضح الخولاني بأن اجابته فيها معنى التنبيه

79 - وكانت سياسة الخلفاء نحو المالكية في مصر استمرارا لسياستهم في المغرب فقد ضرب رجل وطيف به في القاهرة 381 هـ في عصر العزيز بالله لأنه يحفظ بموطأ مالك ابن انس (اتعاظ 1، 273) . أما الحاكم فقد اضطهدهم ثم قربهم وأمر بتدريس مذهب مالك (اتعاظ 2، 119) واشتد الظاهر في سياسته فنفاهم من مصر مع شهرهم من أهل السنة وأمر النعاة بتلقين الناس كتابي الدعائم والرسالة الوزيرية ثم بالتعدي للمناظرة حول المذهب مثلما حصل من قبل في بداية قيام الدولة في المغرب (اتعاظ 2 ، 175) .

80 - ابن عذاري 1، 389 .

81 - نفسه 1، 395 ابن الأثير : الكامل 9، 87-88 محمد السراج : المصدر السابق 1، 940 وفيهما أن مذهب أبي حنيفة كان قالبا حتى عصر المعز بن باديس .

على بقاء مظاهر أهم من ذلك تعكس النفوذ الفاطمي ومنها السكة والبنود ،
وعندما أوضح المعز بن باديس بأن السكة إنما أبقيت لمصلحة الحجاج
والمسافرين وأنه أمر بقتل الشيعة واضطهادهم وتأييد السنة وأراد الخولاني
التعقيب على كلامه منعه من ذلك وعندئذ تصدى أبو عمران الفاسي وأيد كلام
الخولاني في ضرورة محو بقية مظاهر التشيع وتساءل أمام الأمير لم لم تكتب
بمنع ذلك ؟

وكان هذا الاستفهام يعني رفضاً لحجة الأمير والمطالبة بالتعجيل بالانفصال
السياسي والمذهبي (82) .

ج) الوفاق مع كتامة : ولادراك المعز بأن مشاكل أسلافه سببها كتامة وزناتة
وان حركاتهم سوف تؤثر على مخططاته وتعوق جهوده في الانفصال ، مال إلى
سياسة اللين والوفاق معهم وقبل عروض الصلح التي تقدمت بها وفودهم ،
منذ سنة 417 هـ / 1026 - 1027 م وتفضي بأن يضعوا حداً للحركات
العدائية ، ويعترفوا بنفوذ شرف الدولة ويراقبوا الأمن في الطرق التي تمر
عبر بلادهم أو بجوارها . وقد حظي وجوه قبيلتي كتامة وزناتة باستقبال
حافل من طرفه كما حملهم بالهدايا والتحف قبل عودتهم إلى مناطقهم (83) .
وبينما التزمت كتامة بفحوى الاتفاق فلم تشر قلاقل ولم يؤثر أنها اشتركت في
حركة ضد نظام الزيريين ، تمردت زناتة من جديد وعادت إلى العمل الحربي
ضد صنهجة ونظام الزيريين في الوقت الذي كان فيه شرف الدولة يواجه
مشاكل خطيرة سببها انفصال حماد بن بلكين في القلعة منذ زمن طويل .
وان خطورة حركات زناتة والحماديين لتكمن في كونها تعكس الصراع السياسي
والمذهبي ويتجاوب معها جمهور السكان في بلاد المغرب وقد صارت الحرب
سجالاً بين الفريقين وتمكن شرف الدولة وابنه نزار من الحصول على
انتصارات ضد جموع زناتة (84) ، كما حاصر شرف الدولة قلعة بني حماد
طيلة الفترة ما بين 432 / 1040 م و 434 هـ / 1042 م وشدد عليها وأخذ
بمخنق حماد فيها « ويبدو أن ظروف الحرب ورغبة المعز في تملق مشاعر
أهل السنة في القلعة لكي ينهي المعركة ضد حماد هي التي دفعت إلى اظهار
الولاء للعباسيين منذ 433 هـ / 1041 - 1042 م وهو المبرر الذي يتمسك

82 - الدباغ : المصدر السابق 3 ، 209 وعن حياة الفاسي في القيروان وخروجه إلى
الحج سنة 425 هـ ووفاته بعد عودته من المشرق سنة 430 هـ انظر ابن عذاري 1 ،
396 - 397 .

83 - ابن الأثير : الكامل 13،9،133 (أحداث 417 هـ) .

84 - ابن عذاري : البيان 1،396-397 ابن الأثير : الكامل 9،141،168 .

به حماد للبقاء على وضعه الانفصالي (85) ، واستمرت المشكلة حادة حتى وفاة حماد بالقلعة أواخر 441 هـ / 1049 - 1050 م (86) .

د) التفتح على العالم الخارجي : ومظهره استقبال سفراء وهدايا من عدة جهات منها السودان وبيزنطة ، ودانية ثم بغداد .

ففي سنة 423 هـ / 1031 - 1032 م وصلت هدية ملك السودان وفيها رقيق كثير وزرافات وأنواع من الحيوان غريبة ، وبعد ثلاث سنوات وصلت المعز هدية الامبراطور البيزنطي « ولم ير مثلها في كثرة ما اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخر » (87) . كما استقبل سفارة من أمير دانية وجزر البليار وهو الموفق مجاهد العامري (ت 436 هـ / 1045 م قام بها قاضيه ابن أبي ريبال ثم أقبال الدولة) (ابن مجاهد (88) .

ومن دون شك انطلقت سفارات الأمير الزيري الى بغداد منذ وقت سابق على سنة 439 هـ / 1047 - 1048 م وكانت مهمتها استطلاع رأي الخليفة العباسي ، ومدى استعداده لاحتضان الدعوة الجديدة في بلاد المغرب ، واستجابة الخليفة القائم بأمر الله لرغبة المعز وأرساله الهدايا والتحف والألوية والبنود السوداء والتقليد بولاية المغرب وما ينضاف اليه بواسطة أبي الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي الذي لم يصل إلا بعد أن عانى محنة الاعتقال والتشهير واحراق ما معه من خلع وبنود في القاهرة ، هي التي فجرت الأزمة .

هـ) **التدخل في ميدان صقلية** : وهنا يلاحظ أن المعز بن باديس رغم أن تدخله في القضية كان بحسب الظاهر لفائدة سكانها المستضعفين فان مبادرته بذلك دون تكليف أو استئذان من صاحب السيادة العليا تعتبر غير شرعية

85 - نفسه 1، 197 وفارن بما جاء في القرزي : اتعاظ 2، 190 حيث يلاحظ بدء الدعوة للقيام منذ 435 هـ .

86 - نفسه : 1، 403 .

87 - نفسه : 1، 396 ويبدو انه ميخائيل الرابع (اتعاظ 2، 182) وهنا يلاحظ ان النصوص لا تشير الى غضب الظاهر من هذه الحركة لأن المعز لا بد أن يكون قد رد على هذه الهدية بما هو أفضل منها ، هذا بينما أشارت الى انكار المستنصر بالله علي كمال بن صالح المرادسي إرساله هدية الى امبراطور الروم سنة 446 هـ أي بدون اذنه وعن غير طريقه فتعجب الأمير واعتذر (اتعاظ 2، 229) .

88 - H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 176-177

ومن دانية واسرة مجاهد العامري انظر :

EI. Art Denia T. I p. 963

وهي في حقيقة أمرها توسع وحركة عدائية لأنها تمت وهو في وضع المتآمر ضد الخلافة في مصر وأولياتها في افريقية (89) .

(و) وتشير بعض النصوص الى علاقة مودة وصداقة كانت تربط المعز بن باديس بأبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ، أساسها اتفاق في الرأي حول نظام الخلافة الفاطمية ، وأن الامير أرسل اليه يظهر مودته وأن بقاءه على الولاء للخلافة إنما كان بسبب ذلك فانزعج الجرجرائي وكان قد تعرض لعقاب الحاكم من قبل وخشى أن يكون ذبوع هذه الرسالة سببا في تكبته من جديد ، ولذلك تبرأ من علاقته بالأمير الزيري وعمل ما وسعته الحيلة على تبرئة نفسه ولو بتوريطه (90) .

ويبدو أن هذه العلاقة تغيرت في عصر البازوري بسبب ميل المعز بن باديس الى التهوين من شأنه فلم يخاطبه حسب الرسم المعهود (91) ولم تنجح جهود البازوري عن طريق نائب المعز في القاهرة وهو أبو القاسم ابن الاخوة لارجاعه الى جادة الصواب او لاقتناعه بمعاملة الوزير بما يليق به بصرف النظر عن مركزه الاجتماعي القديم وكل حيل الوزير بقصد التأثير في موقفه زادت اصرارا وعنادا (92) . والهدف من هذا لتصلب واضح في بقية تحركات ابن باديس التي مهد بها للازمة واتخذ توتر علاقته بالبازوري سببا مباشرا للانفصال السياسي والمذهبي عن الخلافة الفاطمية في القاهرة ولإعادة بلاد

89 - المقرئى : اتعاف الحنفا 2، 221 حسن حسني عبد الوهاب : جزيرة قوصرة 61 ارشيبالد لويس القوي البحرية 363 وما تضمنه كل من المقرئى (اتعاف 2 ، 214) وابن ميسر (اخبار مصر 2، 5-6) من تحديد الثورة ضد الفاطميين بسنة 443 هـ إنما يشير فيما يبدو الى الرحلة الحاسمة التي ظهر اثناءها الروم عنصرا ايجابيا لفائدة الفاطميين بسبب ارتباطهم معهم بسياسة الهدنة .

90 - ابن غليون التذكار ورقة 11 ، خ رقم 889 المكتبة الاهلية ، باريس (22-23 ط . الزاوي) ومما رده في احد مجالسه قوله (لا تعجبوا من هذا الأمير صبي مغربي بربري) يجب أن يخدع شيخا بغداديا عربيا ، ابن سذاري 1، 398 المقرئى : اتعاف 2، 190 هامش 4 .

91 - ابن خلدون 4، 131 وكان يخاطب الجرجرائي ومن سبقه بعينه . اما البازوري - فخاطبه بصنيعته عبد الحميد يونس : المرجع السابق 66 .

92 - المقرئى : اتعاف 2، 212-213 ، وامام كل هذا خاطب البازوري نائبه في القاهرة بقوله « اكتب الى هذا البربري الاحمق وقل له ان عقلت واحسنت ادبك والا جطنا تاديبك بهذه » (أي نعل المعز المسروقة) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 263 - 264 الميناوي : المرجع السابق 189 سرور : سياسة الفاطميين الخارجية 227 - 228 .

المغرب الى حظيرة الاسرة السنية التابعة للخلافة العباسية في بغداد منذ
440 هـ (93) / 1048 - 1049 م .

وبدا التعبير عن الانفصال في عدة مظاهر هي :

— اظهر التبعية للخلافة العباسية والدعوة لنعباس وللخلفاء الاربعة
ولبقية الصحابة العشرة الذين كانوا محل لعنة في العصر الشيعي ، ثم دعى
للقائم بأمر الله في مرحلة تالية وأسقط اسم المستنصر بالله ولعن هو وبقية
الخلفاء الفاطميين في خطب الجمعة والأعياد في المنصورية والقيروان ، ثم
في سائر حواضر بلاد المغرب وتكفل أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي
بقراءة صيغة اللعنة في المنصورية ومنها « اللهم والعن الفسقة الكفار ،
المرائين الفجار ، أعداء الدين وأنصار الشياطين المخالفين لأمرك والناقضين
لعهدك » (94) .

— ومنذ شهر شعبان 441 هـ / ديسمبر 1049 م ضربت سكة جديدة
ليس فيها شعار الفاطميين وسبكت جميع العملة القديمة وأمر جميع
السكان بإزالتها (95) ، وحظر المعز التعامل بها في العلاقات التجارية وهدد
المخالفين بالعقوبة الشديدة (96) ، وكان من قبل قد أزال أسماء الخلفاء
من الرايات والبنود باحراقها (97) .

— وفي 442 هـ / 1050 - 1051 م أعلن ولاية العهد لابنه الأمير أبي الطاهر
تميم ، ويبدو أنه أوعز الى الخطيب بأن يدعو اليه بلقب جديد هو السلطان
لأول مرة وقد كان دعاء الخطيب له ولابنه معبراً عن الوضع الاستقلالي
لدولة الزييريين « اللهم اصلح عبدك ووليك » الظاهر تميماً بن المعز الظاهر
من كفر معد بن الظاهر (98) .

93 - ابن عذاري 1، 396 س 2 ، 399 س 5 القرظي : اتعاظ 2، 216 س 13 الدباغ
معالم 3، 241 وما بعدها الذهبي 3، 347 ابن الأثير 9، 195-197 وما جاء في ابن
ميسر 2، 5-6 ، القرظي : اتعاظ 2: 42 عيد المنعم ماجد : المرجع السابق 259 ،
ويلاحظ أن تمدد التواريخ تعكس ظاهرة التدرج في العداة .

94 - الدباغ : المصدر السابق 3، 241-245 ابن عذاري : البيان : المغرب 1، 401
عيد المنعم ماجد : المرجع السابق 260-261 .

95 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 402 ويشير الى ضرب دينار جديد عرف
بالتجاري .

96 - ابن عذاري : المصدر السابق 1، 403 .

97 - نفسه 1، 399 .

98 - نفسه 1، 404 نقلاً عن ابن شرف (ت 460 هـ) ، شاعر المعز بن باديس ومرافقه له
كتاب «الذيل» وقد أتم له تاريخ إفريقية والمغرب للرفيق القسرواني أنظر :
H.R. Idris : Op. Cit., T. I p. 15

– وفي جمادى الآخرة 443 هـ / أكتوبر 1051 م أشرف المعز بن باديس على احتلال شعار السواد محل البياض فأحضر الصباغين وأعطاهم أقمشة بيضاء وكلفهم بصبغها بالسواد ، ثم فصلت أثوابا ووزعت في حفل عام جرى بالقصر على الفقهاء والقضاة والمؤذنين وخطباء المساجد ثم نزلوا بأزيائهم الجديدة في شبه عرض عام وتوجهوا نحو مسجد القيروان حيث دعى للخليفة العباسي القائم والسلطان المعز بن باديس ولولي عهده تميم وصبت اللعنات على الخلفاء الفاطميين (99) . وفي نفس السنة انضم سكان برقة الى الثورة فدعوا للقائم العباسي ولعنوا الخلفاء الفاطميين وأحرقوا المنابر والرايات القديمة بحيث شمل الانفصال بلاد المغرب كلها من برقة حتى عدوة طنجة (100) .

وبينما كان ابن باديس « اللعين » يدعم مركزه ويرسي قواعد حركته الاستقلالية كان هناك في مصر خصم عنيد عاهد نفسه بدافع شخصي وتحت ستار الدفاع عن حقوق الخلافة على الثأر لشرفه وكرامته ، غير ان اليازوري وقد تفتقت ذهنيته عن مشروع خطير لحل مشاكل الخلافة مع الاعراب الرابضين على حدودها عن طريق تنظيمهم وحل خلافاتهم الداخلية والتنسيق بين زعمائهم وتجهيزهم ماديا وتحويلهم الى قوة هجومية دفاعا عن حقوق الخلافة في ميدان المغرب (101) ، الذي عانى سكانه طويلا من حركة الدمار والتخريب والفوضى التي ردها المعاصرون في نغمات حزينة (102) قد تجاهل :

– انه تصرف في القضية على غير سابقة تاريخية او مثال قديم .

– وانه بالغ في الاساءة الى الثقة التي أودعت فيه وفي استغلال السلطة التي خولت له من طرف الخليفة ، كما أسرف في حركة الرد على اهانة ابن باديس الذي لم يقتصر العذاب عليه وعلى أسرته ، وانما عم المنطقة بما فيها

99 – نفسه 1، 405 .

100 – نفسه 1، 416 أرشيبالد لويس : القوى التجارية والبحرية 363 – 364 .

101 – القرظي : اعطاء الحنفاء 2، 216 – 217 ابن عذاري : المصدر السابق 1 ، 418 ، ابن ظافر : اخبار النول المنقطعة ورقة 68 – 69 ، ابن الأثير : الكامل 9 ، 195 – 197 عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين 265 – 267 جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية 228 – 229 .

102 – ابن عذاري : المصدر السابق 1، 417، 423 نقلا عن ابن شرف وعن محمد بن سعدون (ت 485 هـ) في كتابه « تعزية اهل القيروان » الذي عرف ايضا بتعزية اهل الإيمان .

من مظاهر حضارية ، وعمرانية وبمن فيها من عناصر بشرية لا دخل لها في كل ما جرى (103) .

— وأن ميدان المغرب رحب فسيح وأن سكانه سوف يجدون بعد ذهاب اثر المفاجأة حلا مناسباً للآزمة ، على نحو يجعل هذه التفريفة عنصر قسوة وتطعيم ومدداً جديداً وجسراً لربط العلاقات من نوع جديد ومن ثم فلا طلاق ولا قطيعة نهائية لأن سيل الهجرات استمر ، كما أن العلاقات الشكلية بين الخلافة الفاطمية والأسرة الزيرية عادت سيرتها الأولى وتمثلت في هدية جمة أرسلها المعز بن باديس 452 هـ / 1061 م إلى المستنصر بالله تضمنت درقة مرصعة بالجواهر كانت للمهدي (104) ، وعندما توفي الأمير الزيري 454 هـ / 1062 - 1063 م خلفه ابنه تميم دون صعوبة (105) ، إلا من جهة شيوع ظاهرة نزعة الطائفية في نواحي المغرب التي تسبب فيها الأعراب (106) وقد أرسل الأمر سنة 505 هـ / 1111 - 1112 م هدية جيلة مع رسوله سوار إلى يحيى بن تميم بن المعز . الذي استقبل الهدية والرسول استقبالاً فخماً ، شيعه إلى مصر ، بهدايا مناسبة وأصحابه من الدخائر ، والالطاف ما لا يحيط به الوصف (107) وقد رد الأمر عليها بهدية أخرى أرسلت سنة 511 هـ 1117 - 1118 م إلى علي بن يحيى بن تميم ، (108) وتلقى الحافظ لدين الله هدية من الحسن بن علي بن تميم الذي أحبط مناورة قصد بها إفساد العلاقة بينه وبين الخليفة ، لفائدة التقارب مع العزيز بن المنصور الحمادي صاحب بجاية (109) وهكذا استمرت العلاقة الشكلية مع الأجزاء الشرقية من بلاد المغرب أما الأجزاء الغربية فقد تدعم فيها الانفصال لفائدة الخلافة العباسية بنهضة صنهاجة الجنوب وقيام دولة الفقهاء والمرابطين .

أما الذين أعادوا إلى المغرب وحدته الشاملة واعتباره الأدبي كمركز للخلافة فهم الموحدون الذين لم يرثوا فقط حقوق فرعي صنهاجة في الجنوب وفي الشمال وإنما أصبحوا بانتحالهم للمهدية وللقب أمرة المؤمنين ورثة لامتيازات الخلافتين الفاطمية والعباسية .

103 - القرظي : المصدر السابق 218،2 وفيه قوله « فخرت الفرقة بأسرها وصبروا البربر لهم خولا وقارن بما ورد في ابن عذاري 422،1 عن معاملتهم للأهالي ، فلم يطلقوا أحداً إلا بالفداء ، مثل أسرى الروم . وأما الضعفاء والمساكين فأمسكهم لخدمتهم » عبد الحميد يونس الهلالية في التاريخ 70 وما بعدها وقد لاحظ سيطرة بني هلال وقوة أثرهم الاجتماعي .

104 - نفسه 261،1 .

105 - نفسه 263،1 ابن عذاري : المصدر السابق 428،1 - 429 ، 431 .

106 - نفسه .

107 - ابن عذاري : البيان : المغرب 439،1 G. Marcais : Op. Cit., p. 231

108 - نفسه 442،1 .

109 - نفسه 450،1 - 451 .

وهنا يتساءل الباحث ، أين أولياء الفاطميين ؟

ولماذا ركزت ربح كتامة ؟

الم يكن ميسورا تنظيم ثورة في اقليمهم ضد ابن باديس ؟

او ارسال عناصر منهم ومن بقية اجناد الخلافة في المشرق لوضع حد لانفصاله مثلما جرى ذلك من قبل ضد بني الجراح في فلسطين وبني مرداس في حلب . ولماذا قبل المستنصر بالله الاستعانة بعرب بني هلال (110) وهم عناصر فوضوية وسنية ولم يوص زعماءهم بأن ينسقوا مع بقايا كتامة في المغرب بل أعطى قسنطينة وعمالتها وهي من مضارب كتامة وحواضرها الى الحسن بن مسرة من زعماء الأعراب ؟

ولتوضيح ذلك لابد من الاشارة الى أن عوامل كثيرة تحالفت ضد كتامة فأضعفتهم وأنزلت بهم الذل والهوان ، وصيرتهم في هذا العصر في المغرب وفي المشرق « من الرعية » وأوزاعا بدون زعامات وكانوا ينطوون على غضب شديد ، ولهذا لم يكن سهلا أن يطمئن المستنصر الى جانبهم في مصر فضلا عن أن يرسلهم الى الآفاق المغربية لمواجهة عناصر من بيئتهم وقد عبروا أكثر من مرة عن سخطهم ازاء سياسة الخلفاء الفاطميين العزيز والحاكم والظاهر ولا يستبعد أن يكون صدى ثورة ابن باديس حسنا في نفوسهم للثأر لكرامتهم وللشماتة في الفاطميين الذين وقفوا سلبيين ازاء حركة اذلال كتامة في المغرب على أيدي الزيريين الذين وجدوا من الخلفاء كل تكريم وحفاوة .

وقد أصبح اقليم كتامة بعد فشل الثورات السابقة - يعاني الفقر والخراب والحرمان والاحكام الجائرة والارهاق في الجبايات فلم يبق عند سكانه قدر كبير من الحرية والحركة . ولأن الولاء للخلافة أضرهم ولم يقدم لهم الحماية ، فقد مالوا الى السلم والموادعة مع نظام الزيريين وارتبطوا مع المعز بن باديس منذ 417 هـ / 1026 - 1027 م ، بسياسة الوفاق لان امكانياتهم لم تكن

110 - وقد شاع هذا الاسم على مجموعة القبائل التي هاجرت الى بلاد المغرب او بقيت في الشرقية وبالصعيد وذلك لفظة فرع هلال واستبداده بالرتاسة علي بني سليم وغيرهم ممن ينتمي الى قبيل عيلان .

وقد تضمنت التفريفة الهلالية عناصر من عرب الجنوب أيضا . ومع ان عرب بني هلال تمكنوا من السيطرة على الحياة السياسية في بلاد المغرب فانهم لم يتمكنوا من تأسيس نظام سياسي مستقل وقار . وقلوا على تقاليدهم القبلية يتقلبون بين اصحاب السلطان . طلبا للنفع المادي دون ارتباط باتجاه سياسي او مذهبي معين - انظر عبد الحميد يونس الهلالية 12،62،70،76 .

تسمح لهم في هذه الفترة بأية مخاطرة أخرى لفائدة الخلافة حتى لو طلب منهم ذلك رسميا .

واحساس الخليفة بهذه الاتجاهات التي تسببت فيها سياسة اسلافه هو الذي صرفه عن فكرة تدبير ثورة جديدة في كتامة واكتفى بالموافقة على الاستعانة باعراب بني هلال على أن تكون لهم أرض المغرب بما فيها مضارب كتامة التي كانت تابعة لسلطة الزيريين (111) .

وإذا كانت الفتن قد انجلت ، واستقبل سكان المغرب بعد فترة اضطراب عصرا جديدا ، فإن ما بقي من هذه المهود هو رصيد العداء لكتامة لتبنيهم الحركة الاسماعيلية واضطهادهم أهل السنة ، ويصور ذلك في عهد متأخر شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون بقوله « ونسب كتامة لهذا العهد بين القبائل المثل السائر في الذلة ، لما انكرتهم الدول ، من بعد الاربعمائة سنة ، لانتحالهم الرافضة ومناهجها الكفرية ، حتى صار كثير من أهل نسبهم يفرون منهم ، وينتسبون فيمن سواهم من القبائل ، فرارا من هجنته » (112) . بحيث كانت نتيجة جهودهم على مدى أكثر من قرنين شتاتا لعنصرهم في بيئة مصر ، والشام ، وعودة الى حياة الذلة والعزلة في بيئة المغرب .

111 - المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، 2، 218 عبد الحميد يونس : الهلالية 113 . ويذكر

هنا بناء على ما تضمنته « السيرة الهلالية » أن أبا زيد الهلالي وذيايا بن غانم

قد سيطرا على مجموع قبائل المغرب بما في ذلك زاوية .

112 - العبر 6، 307 - 308 .

الثامنة

ويتضح مما سبق :

— ان كتامة البرنسية ليست قبيلة فحسب بل حلفا كبيرا يشمل كتلة زواوة وتنتشر فروعه في مناطق مختلفة من بلاد المغرب ، ولها مراكز هامة وحواضر عظيمة بعضها باق حتى اليوم مثل سطيف ، وجيجل وبعضها اندثر مثل ايكجان وتازروت .

— ولقد اخذ الكتاميون بالاسلام قديما وتمسكوا به ولم يشتركوا في الفتن ، ولم تنتشر بينهم النحل المتطرفة الا ندورا ، واستمر ذلك حتى القرن 3 للهجرة .

— ومع ان شهرتهم منذ هذا القرن الذي تبو فيه الدعوة الاسماعيلية قامت على اساس انهم طبقة عسكرية ، فان الذي يلاحظ ان نشاطهم بعد ذلك لم يقتصر على الميدان العسكري بل كان لهم اسهام معتبر في ميادين الفكر ، والثقافة والادارة في بلاد المغرب ، فكان منهم الدعاة والسفراء والقضاة والولاة ، وفي مصر وبلاد الشام حيث احتفظوا لفترة طويلة بالمراكز القيادية وأهمها « خطة الوساطة » ، ونبع منهم مثقفون وفنانون . ومن اسرة ابن فلاح وحدها ، نجد ثلاثة شعراء : هم عميد الاسرة جعفر ، وابنه ابو تميم سليمان وحفيده صفي الدولة ابن علي بن جعفر .

— وهؤلاء وامثالهم من القادة المثقفين ، هم الذين قادوا المعركة السياسية والمذهبية ضد العناصر المعارضة ، عن وعي وادراك لاسباب التضحية واهداف العمل ، ونموذج هؤلاء القادة هو الذي يتوخى حاليا في الحروب القومية .

— وكان دور كتامة في تاريخ الفاطميين ، مزدوجا : سياسيا ومذهبيا وشاملا للمغرب وملحقاته ، « ولشا مصر » ، وملحقاته .

— ولم يكن تأييد بعض فروع حلف كتامة للدعوة الاسماعيلية نابعا عن اقتناع وعقيدة بقدر ما ارتبط في جملته بظاهرتي الولاء للحلف او للعصبية الكتامية الخاصة او البرنسية العامة ضد البتر والعرب ايضا .

وقد بقيت جيوب كثيرة على ولائها للمذهب القديم وناضلت في سبيله وهاجرت جماعات منهم الى مناطق بعيدة حفاظا عليه ، وتدل على ذلك مجموعات كتامة السنية في شمال المغرب الاقصى ، ومجموعات سدويكش وصدفيان الاباضية في جزيرة جربة .

ويبدو أن ظاهرة المقاومة للحركة الاسماعيلية هي التي استمرت بعد قيام الخلافة وظهرت على فترات متقطعة في بلاد المغرب ، والمشرق على السواء .

وظهور الحركات الثورية المضادة للخلافة الفاطمية بين عناصر كتامية او اشتراكيهم فيها وهم الاسماعيلية الذين يعرفون مبدا وجوب الطاعة المطلقة للامام المعصوم من عترة النبي ، وعصبية الدولة واساسها ليحمل معنى هو اقرب الى التناقض الصريح في مواقفهم ، والاضطراب في علاقاتهم التاريخية بالدعوة الاسماعيلية وبنظام الخلافة الفاطمية .

وقد طبعت مواقف الخلفاء الفاطميين ازاءهم بالتناقض أيضا ولا مبالغة اذا قلنا بأنهم بقدر ما سخروهم في اغراضهم واستفادوا منهم في كثير من مشروعاتهم بقدر ما اخسروهم لفائدة عناصر جنسية أخرى . فلقوا من الدل والمهانة والسخط وحركات التصفية في المغرب والمشرق من الخلفاء ما لقوه بعد على يد أعدائهم في عصر نهضة السنة بحيث لم تلق اية مجموعة قبلية أخرى ، ما لقيته مجموعة كتامة رغم عملهم الجاد ، وأهمية دورهم لفائدة هؤلاء وأولئك .

— فلقد عبد الكتاميون الطريق لسيادة العنصر البربري في بلاد المغرب الذي أصبح بدوره سيد مصيره فتعاقب على الحكم فرعا صنهاجة ثم تسلمه منهما حلف مصمودة بعد نضال عنيف .

وكان عصرهم هو عصر الوحدة المغربية التي عمرت طويلا وارتبطت بشا مصر برباط السياسة والمذهب وبفضلهم استمرت ظاهرة الوحدة ركيزة للانظمة السياسية بعدهم ، واذا كان الموحدون هم التعبير الشامل عنها في اطار المغرب ، فان فضل الكتاميين انهم وسعوا أفق التجربة فكان عملهم بحق أفضل مما تحقق على أيدي الموحدون في المغرب وأفضل مما تحقق على أيدي الايوبيين والمماليك في ميدان شام مصر أيضا .

— وكان الكتاميون هم حراس النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب التي بقيت طويلا على ولائها للخلافة ولا سبب لذلك غير ضغطهم وخوف الزيريين من حركاتهم الثورية .

وقد أعطى حلف كتامة للمغرب والمشرق أيضا ، دماء جديدة ففي مرة واحدة دخل رقادة مع أبي عبد الله الشيعي منهم نحو ثلاثمائة ألف ، ودخل مصر صحبة جوهر وحده نحو مائة ألف هذا عدا من ورد نجدة له مع كل من سعادة ابن حيان والحسن بن عمار ، أو رافق المعز لدين الله أو لحق به فيما بعد بحيث استمر سيل الهجرات هذه المرة على نحو غير مألوف . وبقاء اسم كتامة وآثارهم في مصر يحمل دلالة قوية على كثرتهم ومجدهم .

ومع أنه يؤخذ على كتامة غلوهم وتطرفهم وان عصر نهضتهم كان فاتحة لفصل حاد في ظاهرة الصراع المذهبي الذي ترتب عنه حركة اضطهاد المخالفين فإنه يلاحظ أن ظاهرتي الصراع والاضطهاد قديمتان ، وأن ما نتج عن حركة الصراع من آثار فكرية شيء هام استفادت منه الحضارة الإسلامية ، واستوعبه الفكر الإسلامي كما ترك نشاطهم الجسم آثارا وتقاليد طيبة ، لم يألّفها في غير عصر الفتوح الإسلامية وأهمها : الجهاد من أجل العقيدة والشهادة من أجل الرأي .

ولم ينج الكتاميون من سياسة الاضطهاد بعد أن ذلوا وانحط شأنهم بنهضة السنة وغدا تقليدا للأنظمة السياسية في المغرب والمشرق فالمرابطون نكلوا بزنانة رغم وحدة المذهب وترفقوا بالزيريين . والموحدون عفوا على آثار المرابطين والزيريين واعتبروا المرابطين مجسمة وملحدين . والأيوبيون قاموا بدور مشابه في مصر والشام بالنسبة لبقايا التشيع والشيعة .

وظاهرة التطرف والفلو التي تميزت بها عناصر كتامة في مصر والشام ونضالهم ضد المذاهب غير الشيعية وعداؤهم للمالكية لم تكن وليدة البيئة الجديدة وإنما كانت استمرارا لما الفوه في البيئة المغربية وكذلك سياسة الخلفاء المصريين لم تكن الا استمرارا لسياسة اسلافهم في الدور المغربي تجاه عناصر المالكية .

وموقف كتامة المعادي ، لحركات العامة ويمثلهم الأحداث ولحركات الطبقات العليا يمثلهم عنصر الاشراف في مصر وبلاد الشام صورة من موقفهم من جماهير السكان في حواضر افريقية السنية ومن الاسر المغربية المشهورة . ومع ذلك فقد تطورت علاقة كتامة بالسكان في مصر والشام ، ولم يبق طابعا عدائيا في كل الأوقات وإنما تخللتها فترات سلم وتعاون وثيق واندماج .

فقد ساند الكتاميون جماهير السكان في الفسطاط أثناء حادث حريقها الذي دبر في عهد الحاكم بأمر الله ونفذه عبيده (1) ، وتعاونوا مع الأتراك ومع سائر المعارضين للعبيد وأوقفوهم عند حدهم .

وإثناء صراع الأجناد ونزاع الكتاميين والأتراك في عصر الظاهر لاعزاز دين الله سنة 420 هـ / 1029 - 1030 م انضم السكان إلى الكتاميين وأيدوهم وبفضلهم انتصروا على أعدائهم .

وان بقاء اسم كتامة وآثارهم في القاهرة ، وفي بعض الأقاليم حتى وقت متأخر ليبرهن على تطور علاقتهم بالسكان من الجفاء والعداء إلى التعايش والآخاء والود .

أما في بلاد الشام فقد اندمج الكتاميون « البلديون » مع السكان في الفترة الأخيرة من الحكم الفاطمي وبدرجة أن أشهر أسرهم وهي أسرة ابن منزو أصهرت إلى أعرق الأسر الشامية في مدينة طرابلس وهي أسرة جمال الدولة بن عمار ، وقد تعاون أفراد هذه الأسرة في فترات مختلفة مع عرب بني كلب ومع سكان دمشق ضد بدر الجمالي .

ونظرا لطول العهد ، وبحكم الجيرة اكتسب الكتاميون صفات البيئة التي وجدوا فيها فأصبحوا من نوع « البلديين » وأشبه بالعرب الذين عرفتهم حواضر أفريقية والمغرب والأندلس بعد انتهاء حركة الفتح وأصبحوا يعرفون بعنصر « البلديين » . ومثلما كان حال العرب البلديين لم يفقدوا صلاتهم ببيئتهم القديمة بقي الكتاميون أيضا ، مشدودين لأصالتهم القديمة حتى في شكل أسمائهم وألقابهم . وهكذا نلاحظ أسماء كليلد ومنزو ، وملامان ومحساس وينيوط وعراس وابن الشيخ وغيرها مما هو دارج بعضه في بيئة كتامة حتى وقتنا الحاضر .

1 - ويرى عبد المنعم ماجد أن رواية حريق الفسطاط لا تغلو من اضطراب ، خاصة وأن سبب الحريق قد يكون إما الرد على سخرية السكان منه ، أو الانتقام منهم لما تضمنته أشعارهم من اتهامه بالكفر لجرد أنه دعاهم جبرا إلى الأخذ بمذهبه الإصلاحية الجديد . ويلاحظ أن الحاكم تبرا من فعل العبيد وكان حريصا على بعث الطمأنينة في نفوس السكان كلما ظهرت أشاعة حول ما يعتزم القيام به من أعمال انتقامية . وقد كان تدخله حاسما في إيقاف العبيد عند حدهم ولعل القصة قصد بها المبالغة في الإساءة إلى سمعته ومن ذلك شبهة ادعائه الألوهية التي وردت في بعض النصوص السنوية : أنظر الحاكم بأمر الله الخليفة المفسري عليه 49 وما بعدها .

ومن خلال الدراسة تتضح :

1 - مزايا الاقليم وفروع حلف كتامة وبقاياهم ورجالهم وأهم مراكزهم خاصة التي ارتبطت بها نشأة الحركة الاسماعيلية مثل تازروت واكجان وقد حدد موقع القلعة الأخيرة وهي دار الهجرة الشيعية الكبرى في المغرب ، وصورت بقاياها حيث هي بجوار قرية بني عزيز الجزائرية .

2 - عدم صحة الشبهة التي الصقت ببعض فروع كتامة خاصة في الميدان الاجتماعي .

3 - وأهمية دور كتامة في ميدان العلاقات الخارجية للخلافة الفاطمية . وقد مكن الكتاميين وجودهم في بلاد الشام - وكانت بحق ميدانهم الذي فتحوه وبقي مسرحا لنشاطهم حتى نهاية النفوذ الفاطمي - من تمثيل أدوار بالغة الخطورة ضد الروم والخلافة العباسية وعناصر المعارضة الداخلية ومنهم عنصر « الشطار » الذين أخذوا حيزا من العناية لأهميتهم وعلاقتهم مع عنصر الأشراف .

ولا مبالغة اذا قلنا بأن عمل كتامة من موقعها في بلاد الشام كان التطبيق العملي لما تضمنه بيان القائد جوهر ، خاصا بالجهاد المقدس ضد الكفرة والنضال لحماية الضعفاء والمسنضعفين ، وبالتالي فهو المبرر لمد النفوذ الفاطمي الى هذه البلاد .

ولقد احتفظ الكتاميون بأثر من نفوذهم في المغرب وفي المشرق حتى القرن الخامس الهجري الذي حمل معه نذر الشر ، وعلامات الانحطاط والتدهور لهم ثم للنفوذ الفاطمي في المغرب ، والمشرق .

ولقد يوحى تاريخ كتامة ، وتجربتها الفريدة الرائدة في ظل الخلافة الفاطمية بأن ما أمكن تحقيقه في العصور الوسطى ، بالاخلاص والتعاون والتنسيق يمكن انجازه في عصرنا ، بكل يسر ، ان توفرت الشروط وأهمها : أن تضم جهود بلاد المغرب لجهود مصر وبلاد الشام وسائر المشرق الاسلامي من أجل دفع عجلة الاحداث .

الخلفاء الفاطميون

خلفاء الدور الغربي 297 - 361 هـ / 909 - 972 م

- أبو محمد - عبيد الله المهدي 297 - 322 هـ / 909 - 934 م

- أبو القاسم - محمد (عبد الرحمن) القائم بأمر الله
322 - 334 هـ / 934 - 946 م

- أبو الطاهر اسماعيل - المنصور بنصر الله 334 - 341 هـ / 946 - 952 م

- أبو تميم معد - المعز لدين الله 341 - 361 هـ / 952 - 972 م

خلفاء المصريون - الدور الشرقي 361 - 567 هـ / 972 - 1171 م

- أبو تميم معد - المعز لدين الله 361 - 365 هـ / 972 - 975 م

- أبو منصور نزار - العزيز بالله 365 - 386 هـ / 975 - 996 م

- أبو علي المنصور - الحاكم بأمر الله 386 - 411 هـ / 996 - 1020 م

- أبو الحسن علي - الظاهر لاعزاز دين الله 411 - 427 هـ / 1020 - 1035 م

- أبو تميم معد - المستنصر بالله 427 - 487 هـ / 1035 - 1094 م

- أبو القاسم أحمد - المستعلي بالله 487 - 495 هـ / 1094 - 1101 م

- أبو علي المنصور الأمر بأحكام الله 495 - 524 هـ / 1101 - 1130 م

- أبو ميمون عبد المجيد - الحافظ لدين الله 524 - 544 هـ / 1130 - 1149 م

- أبو المنصور اسماعيل - الظافر بالله 544 - 549 هـ / 1149 - 1154 م

- أبو القاسم عيسى - الفائز بنصر الله 549 - 555 هـ / 1154 - 1160 م

- أبو محمد عبد الله - العاضد بالله 555 - 567 هـ / 1160 - 1171 م

بعض قادة كتامة في مصر وبلاد الشام

أ - أسرة ابن فلاح (358 - 414 هـ) = 968 - 1024 م .

فلاح



جعفر (ت 360 هـ) = 971 م



علي (ت 409 هـ) = 1019 م سليمان ت 391 هـ ابراهيم (ت370هـ)

الفضل (ت 358 هـ) .



صفى الدولة (ت بعد 414 هـ)

ب - أسرة ابن الصمصامة (361 - 416 هـ) = 972 - 1026 م
الصمصامة



جيش (ت 390 هـ) = 1000 م



أبو عبد الله محمد (ت بعد 416 هـ) ، 1025 م

ج - أسرة ابن ثعبان - ق 5 هـ / 11 م

ثعبان



سند الدولة ولي افامية وحلب سيد الملك (ولي تيس وحلب)
(ت 415 هـ) = 1024 م (ت بعد 416 هـ) = 1025 م

د - أسرة ابن منزو - ق 5 هـ / 11 م

النعمان



منزو



(ت في صور 458 هـ) = 1066 م

حيدرة



معلي (ت 481 هـ) = 1089 م

سنان الدولة

المسألة الأولى: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 200 - 115 = 115 - 328 \text{ و } 1024 - 2501 = 1$$

والجواب

$$1024 - 2501 = 1 - 179$$

$$1024 - 2501 = 1019 \text{ و } 1024 - 2501 = 1019$$

$$1024 - 2501 = 1$$

المسألة الثانية: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 1019$$

المسألة الثالثة: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 1019 \text{ و } 1024 - 2501 = 1019$$

المسألة الرابعة: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 1019$$

المسألة

$$1024 - 2501 = 1019$$

المسألة الخامسة: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 1019 \text{ و } 1024 - 2501 = 1019$$

$$1024 - 2501 = 1019$$

المسألة السادسة: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 1019$$

$$1024 - 2501 = 1019$$

المسألة السابعة: إيجاد قيم x و y في المعادلتين

$$1024 - 2501 = 1019$$

ملحق (1)

الحسينون وجعفر الصادق

أرسل أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق إلى عبد الله بن الحسن وسائر بني عمه كتابا يعزيهم عما صار إليه حالهم عندما حملوا خارج الحجاز بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (1) نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من جعفر بن محمد إلى الخلف الصالح ، والذرية الطيبة ، من ولد أخيه وابن عمه ، أما بعد فإن كنت تفردت أنت وأهل بيتك ، ممن حمل معك ، لما أصابكم ، فما انفردت بالحزن والغيظ والكتابة واليتم ، ووجع القلب دوني ، ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق ، وحر المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت إلى ما أمر الله ، وعزى به المتقين ، من الصبر ، وحسن العزاء حين يقول لنبيه : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت » ، وحين يقول لنبيه حين مثل بحمزة ، « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » ، فصبر رسول الله صلى لا نسألك رزقا نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى » ، وحين يقول « الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا أنا لله وأنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » ، وحين يقول « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، وحين يقول عن لقمان لابنه « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » (17) وحين يقول عن موسى « قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ، وحين يقول « الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ، وحين يقول « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال ، والآنفس ، والثمرات ، وبشر الصابرين » وحين يقول « واصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين » ، وأمثال ذلك من القرآن كثيرة ، وأعلم أي ابن عمي أن الله عز وجل ، لم ينل بضر الدنيا

1 - انظر : أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص 142 - 158 ، وقد حبسوا في الهاشمية ، وأنزلت بهم صنوف اللذ والمهانة ، وقتلوا بضروب من القتل .
الطبري : المصدر السابق ، ص 539،7 وما بعدها .

لوليه ساعة قط ، ولا شيء أحب الى الله ، من الصبر والجهد ، والأدى مع الصبر ، وانه تبارك وتعالى ، لم ينل بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أوليائه ، ويخنقونهم ، ويمنعونهم ، وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ، ولولا ذلك لما قتل زكريا ، ويحي بن زكريا ظلما وعدوانا ، في بني من البغايا ، ولولا ذلك لما قتل جدك علي ابن أبي طالب ، لما قام بأمر الله عز وجل (7ب) ظلما ، وعمك حسين بن فاطمة الزهراء عليهما السلام ظلما ظاهرا ، وعدوانا ، ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا ، وسرورا عليها يتكئون وزخرفا » . ولولا ذلك لما قال الله في كتابه « أياحسبون أنما نمدهم به من مال ، وبنين نسارع لهم في الخيرات ، بل لا يشعرون » ولولا ذلك لما جاء في الحديث « لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصا من حديد ، فلا يصدع رأسه أبدا » . ولولا ذلك لما جاء في الحديث « أن الدنيا عند الله ، لا تساوي جناح بعوضة ولولا ذلك ما سقى كافر منها جرعة ماء » ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث « لو أن مؤمنا على قلة جبل لبعث الله اليه كافرا أو منافقا يؤذيه » ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث « إذا أحب الله عبدا ، أو حرا ، صب عليه البلاء صبا ، فلا يخرج من غم إلا وقع في غم » ولولا ذلك لما جاء في الحديث « ما من جرعتين أحب الى الله عز وجل أن يجرعهما عبده المؤمن (8) جرعة كظم فيظ وجرة مصيبة عند حزن صبر عليها بحسن عزاء واحتساب ولولا ذلك لما كان اصحاب رسول الله يدعون على من ظلمهم بطول العمر ، وصحة البدن ، وكثرة المال والولد ، ولولا ذلك لما بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خص رجلا بالترحم عليه والاستغفار الى الله عز وجل استشهد . فعليكم يا عم ، وابن عم ، وابن عموتي واخواني بالصبر ، والرفق والتسليم ، والتفويض الى الله عز وجل والصبر على قضائه ، والتمسك بطاعته ، والنزول على أمره فرغ الله علينا وعليكم بالصبر ، وختم لنا ولكم بالسعادة ، وانقذنا وأياكم من كل هلكة بحوله وقوته ، انه سميع قريب ، وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي ، وأهل بيته » .

انظر :

زين الدين علي بن أحمد العاملي (ت 954 هـ) التنبهات الطيبة على وظائف الصلاة القلبية ، على مذهب الشيعة الاثني عشرية : خ خ . مكتبة حسن حسني عبد الوهاب ورقات : 6-8 ويوجد ضمن مجموع رقم 18335 بالمكتبة الوطنية (العطارين) تونس .

ملحق (2)

افتتاح مدينة تيجس (1) صلحا

وكان قد صار الى ابي عبد الله جماعة من هوارة أوراس الفحص ، من بني معاد ، وكان فيهم تشيع قديم ، كان منهم اسماعيل بن نصر المعادي لحق بالحلواني ، وأخذ عن أصحابه ، وأتى الى ابي عبد الله ، ودعا هو وجماعة من اهل بيته ، وجاء من اهل تلك الناحية جماعة الى ابي عبد الله ، وكان فيهم حمزة المزي ، وكان فيهم فارسا جلدا جسورا ، فاجتمع مع قوم من اصحابه ، فأداروا بينهم رأيا أن يخرجوا في جريدة خيل يغيرون على نواحي بلدهم ، حيث يعرفون ، واستأذن حمزة في ذلك ابا عبد الله ، فأذن له ، فأحجم عنه أصحابه ، وبدأ لهم بما عقدوا عليه معه وخافوا .

فمضى حمزة وحده مع غلام له متسللين فوافيا بفتح العرعار رققة ، قدمت من القيروان الى باغاية ، وفيها فرانق ، معه كتب من زيادة الله ليلا ، فهجما فيها - وقتلا جماعة من اهلها ، وأخذوا ما أصابا مع من قتلاه من المال ، وما قدرا عليه من المتاع ، وقتل الفرانق ، فيمن قتلا ، وأخذوا كتبه ، وقدموا الى ابي عبد الله ، فسره ذلك ، وكان سروره بالكتب وعلم ما فيها أكثر ، فلما نظر الى ذلك أصحابه ، الذين كانوا يختلفون عنه ، تسارعوا في ذلك ، فكانوا يضربون على نواحي باغاية الى تيجس ، وكانت لزيادة الله بتيجس رابطة خمسمائة فارس مع عبد من عبيده يقال له « يحفور » ، وكان ابن ركاب رئيسها قد سأل ذلك فأعطيه ، فلما رأى ، ورأى اهل تيجس ان الغارات صارت تجاور بلدهم ، وتضرب في نواحيهم ، وان المدائن كلها التي تليها قد افتتحت خافوا على نفوسهم فكاتب ابن ركاب ابا عبد الله وسأله اخراج عسكر اليه ، ليجد السبيل به من اهل الرابطة التي عندهم ، فأنفذ اليهم أبو عبد الله عسكرا قدم عليها مكداس الجميلي فنزل عليهم ،

1 - انظر عنها : اليعقوبي : البلدان 102 ، ابن حوقل ، صورة الأرض 84 ، 87 ، البكري : المغرب 53 ، 63 الأندلسي : وصف القرية 87 وتيجس بقرب مدينة سوق أهراس ، وكانت قديما من عمل باغاية ، ومن مضارب نقرة ، وموضعها اليوم عين البرج .

فلم تجسر خيل الرابطة أن تخرج اليهم فاحتصنوا في الحصن وهو منيع ، ولم يمكن ابن ركاب فيهم شيء ، فأقام مكداس أياما وانصرف ، ثم أرسل أبو عبد الله عسكريا ثانيا ، وقدم عليه يوسف بن سكرة الفيتمي ، فنزل على تيجس فحاصرها ، وصالحه أهلها على أن يدع العرض للرابطة التي عندهم ، وقالوا : هم أضيافنا ، ولا يمكننا أن نخيس بهم فأجابهم يوسف على ذلك ، وخرجت خيل الرابطة بجميع ما لها ، فنفذت إلى زيادة الله ، لم يتعرض لأحد منهم في قليل ولا كثير ، ودخل الأولياء تيجس صلحا ، فلم يعرضوا لأحد من أهلها بمكروه وانصرفوا ، فمضى إلى أبي عبد الله ، ابن ركاب ، وجماعة من وجوهها ، فدخلوا الدعوة ، وانصرفوا إلى بلدهم ، ووصلت خيل الأمان ، وشاع ذلك في أهل إفريقية ، وقد كان يشيع عندهم على أبي عبد الرابطة ، إلى زيادة الله ، وأخبروا بما كان من خبرهم ، وبما وفي لهم من الله وأصحابه الغدر والقتل ، وأنهم يؤمنون الناس ثم يقتلونهم ويعطونهم العهود ثم يخفرونهم فأكذب ما كان من فعلهم في الرابطة الذين كانوا بتيجس ، ما شنع من ذلك عليهم وأخبروا بذلك من إذاعة وكانت في ذلك عن أبي عبد الله وأصحابه عند العامة بإفريقية أخبار سالحة وسكنت أنفسهم اليهم ، ومالت نحوهم قلوبهم بعد أن كانت القلوب منهم نافرة لما كانوا يوصفون به عنهم واضطربت إفريقية وكثر خوض الناس بها ، وتوقعوا قدوم أبي عبد الله اليهم .

النعمان : افتتاح الدعوة : ورقة 120-123 .

ملحق (3)

بيان زيادة الله الأغلب للحد من اثر التوسع الشيعي

بسم الله الرحمن الرحيم ،

« من الأمير زيادة الله بن عبد الله الناصر لدين الله ، القائم بسنة رسول الله المجاهد لأعداء الله ، الى جماعة المسلمين ، بمدينة كذا ، وبواديه ، سلام عليكم ، فان الأمير يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله . أما بعد فان الله تبارك وتعالى اسمه وعز وجل اله قد تكفل بالفتح والاعزاز ، لأهل دينه ، والذابين عن رسوله على من ناوهم ، والتمكين ممن انتصب لهم وعاداهم ممن شاق ، ونصب له ، وبدل دينه ، وغير سنن أنبيائه وقد انتهى اليكم معشر المؤمنين عن هذا الكافر الصنعاني ، المبدل لدين الله المحرف لكتابه المستحل دماء المسلمين ، بغير حقها ، المبيح للفروج بخلاف حلها ، مرتكب المحارم فيها ، الاكل أموالهم مستلبا لها ، ما قد عرفتموه ، فما انتهى اليكم عنه ، وأنه آوى الى كتامة بربر اغتنام وجهال طعام فاستزلهم واستهواهم ، واستقر بهم واستفواهم فدعاهم الى تبديل دين الله فأجابوه وتحريف سنة رسول الله فأطاعوه بجهلهم بالدين والسنة ، وما أرادهم عز وجل من الشقوة والمحنة ، ولأنهم بمنزلة الحمر النافرة والأنعام السائمة ، فما زخرف لهم قبلوه ، وما رتب لهم اتبعوه ، وكل من كانت لهم مسكة ، أو علم شيء من الكتاب والسنة لم يجد غير الهرب اليها منه بدينه ، والمقام على حربه منتجزا وعد الله في هلاكه وقطع شافته كعادته في أمثاله ، ومن أسير ما يظهر من كفره ، وينشر من قبيح انتحاله وأمره وفشاعه وعرف به أطبق عليه دعوة من اتبعه اظهار لمن أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله ، صهره وخليفته ، وضجيعيه ، وعثمان ذي النورين ، زوج ابنتيه وطلحة والزبير وحوارييه ، وجماعة من أختيار صحابته ، ويزعم أن عليا كان يرى ذلك فيهم ، فيذهب اليه من أمرهم ، وقد براه الله من ذلك بحسن الصحابة لهم ، وجميل العشرة أيام حياتهم ، واتفاقه معهم على ما أَرْضَى الله عنهم ثم زعم الفاسق أن من لم يدين بذلك ويراه ويقوله ويعتقده ويتبرأ من أصحاب رسول الله السابقين ، فهو خارج من جملة المسلمين ، خلال دمه وماله وسبى ذراريه ثم سن شريعة غير شريعة الاسلام ، واستن سنة غير سنة محمد (ص) كتمها وأسر أمرها ، وأخذ العهود والمواثيق على من أطلعه عليها في كتمانها وترك التفوه بها وما يدل عليها ، لئلا يظهر الى

المسلمين فيستحلوا جهادهم عليها ، وافترض على كل امريء دخل امره ، ديناراً سماه دينار الهجرة ودرهما زعم أنه درهم الفطرة وجعل للنفر حقاً وأجبا في اموال الأمة ، وهدم المساجد وقطع الصلاة واستخف بحرمة الدين ، وبأن من جماعة المسلمين ، وقد رأى الأمير زيادة الله ابن عبد الله رغبة في ثواب الله جهاد الفاسق بنفسه ، والقصد اليه بحماه ، رجاله وأنصار دولته ، وانتهاز الفرصة فيه ، قبل أن يسبق اليه خبره ، الى الأمير أن أمير المؤمنين المكتفي بالله أطال الله بقاءه ، لما انتهى اليه خبره ، أمر باخراج العسكر اليه من قبله مادة للامير زيادة الله بن عبد الله ، وتقوية له ، والامير يرجو أن يظفره الله بالفاسق من دون ذلك ويجعل له سبباً للظفر به ، وفخره ، وثوابه واجده ، ويجعل ذلك ما يسره ويجمع ذكراً مع فخره لأمير المؤمنين بحسن نيته ، والامير زيادة الله بن عبد الله سهم من سهامه ، وشهاب من شهبه وما أظهره الله عليه ، وأظفره به فهو منسوب الى أمير المؤمنين ، وسبب من سببه ، وقد انتهى الى الامير ، ما انتشر قبلكم وفسا فيكم من الاشايخ عن أقوال المرجفين ، وزخارف المشنعين ، وتهويل المهولين أمر اللعين الفاسق ، لما بلغهم انصراف الجيوش عنه ، وتغلبه على ما دنا وقرب منه ، وزاد في ذلك المرجف والمهول ، وتشنع به الكذوب المبطل ، ولم يكن أكثر ما قالوا ، ولا بعض ما أرجفوا به وهولوه ، ولا بد في الحرب من الكرات والاقدام والهزائم والاحجام فقد قيل ، الحرب سجال مرة لك ومرة عليك ، وقد انهزم أصحاب رسول الله في غير مشهد وأحجموا في غير موقف ، ثم كانت العاقبة للمؤمنين كما وعدهم الله في كتابه المبين فليحسن بالله ظنكم ولتطمئن بما وعدكم قلوبكم وليظهر من قلة اكثرائكم بأمر هذا الفاسق ما يكون دليلاً على ثقنتكم بربكم وانفروا اليه خفافاً وثقالاً كما أمركم الله وجاهدوا بأموالكم وانفسكم كما افترض عليكم وادفعوا عن اباحة مهجكم ، وانتهاك حريمكم ولا تفتنوا في دينكم ، وكافحوا عنه من بدله ، وتبرؤوا ممن أحدث فيه وغيره وفقكم الله لما يحب وما يرضاه ويزدلف به اليكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

النعمان : الفتح الدعوة - ورفات 123-127 .

ملحق (4)

افتتاح مدينة الأرس ، وانهزام ابن أبي الاغلب

« ولما دخل فصل الربيع وطاب الزمان جمع أبو عبد الله العساكر ، واحتفل واستعد ، ثم زحف يريد ابن الاغلب بالأرس ، فخرج من أيكجان أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل مدينة باغاية ، وعرض من معه وأحصاهم فبلغوا مائتي ألف فارس وراجل وكان زيادة الله قد حشد وبدل العطاء ، وأوعب ، وأرسل إلى ابن أبي الاغلب عساكر ، فاجتمع بالأرس ، من العساكر ما لا يحصى عدده إلا الله . وسار أبو عبد الله من باغاية حتى انتهى إلى مسكيانة ، فأخذ مع الوادي حتى خرج إلى وادي مجانة ثم خرج إلى مرماجنة إلى وادي الرمل (1) فنزل عليه ، وأخرج خيلا إلى منيولة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة . فانهبوا منيولة ، ثم أصبح من غد يوم الجمعة فأخرج خيلا إلى سقيتارية ، فوافتها قبل منتصف النهار ، فقاتلوهم إلى وقت العصر ، ثم نزلوا اليهم على الامان وأتوا برجال من وجوههم إلى أبي عبد الله وكان أبو عبد الله قد أخرج ذلك اليوم جرائد الخيل فضربت جريدة منها إلى بني جودان فوافتها خيل كثيرة لابن أبي الاغلب فقاتلوهم ، فأسر رجل من الكتاميين فأتوا به ابن أبي الاغلب وعنده محبوب بن عبدون ، فسأله فيه فأبى ابن أبي الاغلب إلا أن يقتل فغضب ابن عبدون ، وقام عنه ، وأمر ابن أبي الاغلب بقتل الرجل فقتل ، ثم أصبح أبو عبد الله يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة ، فميز العساكر وعبأها فجعل في الميمنة بني بنطامين ، وفي الميسرة بني بيناوة ، وفي القلب ملوسة ومسالته ، وانتقى عشرة آلاف فارس من الدعاة ووجوه القبائل ، وأهل النكاية فجمعهم معه ، وزحف إلى الأرس فأصاب ابن أبي الاغلب قد عبأ عساكره ، فالتحم القتال ، ووقف أبو عبد الله بالعشرة آلاف فارس على كدية مطلة على المدينة وانتشب القتال في الفحص ، وأخذ الناس بعضهم وكانت معركة عظيمة وموافقة شديدة وقتل من الفريقين خلق كثير ، وأقام القتال بينهم من أول النهار إلى وقت صلاة العصر . وكلح أصحاب ايزاي ابن أبي الاغلب ولم يكن بقي بافريقية ونواحيها وأطرافها من عربها وبربرها ورجال زيادة الله أحد مذكور ،

1 - يقع على بعد اربعين ميلا من الفيوان : البكري 149 .

الا وكان مع ابن ابي الاغلب ، فنظر ابو عبد الله اليهم قد شقوا على اصحابه واحس من اصحابه بعض الفشل وخاف عليهم الهزيمة ، فقال لمن حوله من المشائخ انتقوا من الرجال من قدرتم عليه من خيارهم وابعثوهم يأخذون المسيلة ، مسيلة تعرف بالمغارة ، ويستقرون فيها حتى يضربوا في الخيل فلعلمهم ان يحركوهم فانتقوا من الرجال خمسمائة وخمسة وسبعين رجلا ، من اشد من قدروا عليه ، فتعروا عراة ، واخذ كل واحد منهم رمحين ودرقة ومشوا في تلك المسيلة . واتفق ان كان ابن ابي الاغلب قد رأى مثل ذلك الرأي ، ودبر مثل ذلك التدبير واخرج رجالة من قبله في تلك المسيلة ، فوافق بعضهم بعضا في موضع يعرف بالغزة البيضاء على طريق الارس الى شقبنارية ، فوافق اول رجل طلع من الكتاميين لقي رجلا من اصحاب ابن ابي الاغلب ، وتناشبا بالرماح ، وحمل كل واحد منهما على صاحبه فقتل الكتامي الخارج اليه من اصحاب ابن ابي الاغلب ، وحمل اصحابه على رجالة ابن ابي الاغلب ، فانهزموا وقامت الصيحة فيهم فانهزمت عساكر ابن ابي الاغلب وداخلت خيلها رجالة ابي عبد الله ، وحملت خيله عليهم فولوا منهزمين وقصد كل قوم منهم الى جهة بلدهم ، واخذ ابن ابي الاغلب ومن معه من رجالة زيادة الله واهل افريقية على جبل الحراقين واخذت لواته وكزناية وملكانه على طريق (حشر مسن ؟) واخذ عامة العبيد وخلط الناس من اهل افريقية طريق القيروان ، واخذ محبوب بن عبدون مع هواره ونفزة على بني بشير ، واتبعهم الاولياء بكل ناحية يقتلونهم ويأسرونهم ويغنمون ما معهم وقصد قوم منهم الى المدينة فقتلوا بها من وجدوه وانتهبوا ما قدروا عليه الى ان غربت الشمس ودخل الليل فانصرفوا الى مناخهم ، فناموا فيه ، واصبح ابو عبد الله فأمر بقصد مدينة الارس ، وذلك ان أهلها اضرمو نارا واصروا مع ابن ابي الاغلب فدخلها الاولياء بالسيف فقتلوا بها من الخلق مالا يحصى وانتهبوا ما بها ، واقاموا بها يوم الاحد وانصرف ابو عبد الله بجميع العساكر يوم الاثنين فأخذ على دقة (2) يزيد الى قموده ، والناس يقولون يريد قسطنطينية .

النعمان بن حيون : افتتاح الدعوة . ووفات 146-149 خ مكتبة الجامعة
رقم 24088 .

2 - مدينة اثرية قديمة بجمهورية تونس على بعد ثلاثة اميال ، جنوب غربي مدينة
تبرسق .

ملحق (5)

ظروف سقوط الامامة الرستمية في تاهرت ، وموقف الطوائف
المذهبية وتحرير المهدي وحصار بني وارقلان من خلال رواية
أبي زكريا يحيى بن أبي بكر في السيرة وأخبار الأئمة

خروج الحجاني (1) لعنه الله من كتامة

حدث بعضهم أن الحجاني لما وصلته رسل سيده بالكتب متواترة أن
يخرج اليه بمن أطاعه من الناس وقد علا الحجاني في نفس كتامة ، وعظمت
درجته عندهم ، وكان ذا علم عظيم بحساب النجوم ، وكانت حاله عندهم
مرضية ، لا يأمرهم بشيء إلا فعلوه وبلغنا أنه تعلم عنده من فتيان كتامة
نحو من أربعمئة غلام ، قال : فمكث في ذلك إلى أن قال لهم يوما من الأيام ،
لعامة من علمه من فتيانهم ، ليس مرادي التعليم ، وإنما مرادي الملك ،
قال : فأجابوه لذلك واتبعوا على قوله ، فلما تمكن أمر بالخروج إلى
سجلماسة وأظهر لهم من نفسه أنه وجد في العلم أنه سيلي سجلماسة وأنه
سيفلب الأمير الذي كان عليها . فخرج متوجها يريد سجلماسة . وحدث
بعض أصحابه أن دوسرا بنت يوسف بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب
رضي الله عنهم ، لما قتل أبوها وقدره بنو يقظان . خرجت متوجهة إلى
الحجاني مع أخ لها فلما وصلته أخبرته بقصة أبيها وما انتهك من حرمة ،
فلم يشتغل بها ، فلما رآته كذلك وعدته من نفسها أن هو أخذ بثأرها
أن تزوجه من نفسها . ثم أن الحجاني ، أخذ في طريقه إلى تاهرت . فلما
كان بالقرب منها خرج إليه وجوه أهلها من المخالفين والشيعة والواصلية
ومن الصفرية ، وتلقوه وشكوا إليه أمارة يقظان ، ووعدوا له العون من
أنفسهم على جميع الرستميين ، وأمره باستئصال شأفتهم ، وتوهين
شوكتهم . فأرسل الحجاني رسله إلى يقظان وبنيه أن أخرجوا إلي ، فلما
وصلت رسله إلى يقظان خرج وبنوه ، فتلقوه على مسيرة أميال من تاهرت
فلما قدموا عليه سأل الحجاني يقظان عن اسمه فقال له أسمي يقظان ،
فقال له الحجاني بل اسمك حيران . فكيف قتلت أميركم وسلبتم لأنفسكم
ملككم ، فأطفيتم نور الاسلام والقيتم إلينا بأيديكم بغير قتال ولا حصار ؟

1 - يقصد به أبو عبد الله الداعي .

فأمر به وبنيه فقتلوا عن آخرهم ، فلما ايقنت دوسرا بنت يوسف بقتلهم تغيبت وهربت من الحجاني مخافة أن يتزوجها وطلبها حتى عبي فلم يقدر عليها . ثم أن الحجاني دخل المدينة وانتهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيرا من أهلها وجعل أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . وذكروا أنه وجد بها صومعة مملوءة كتباً ، فاستخرجها كلها واقتنى منها كل ما يصلح للملك والحساب ، وأضرم النيران في بقيتها ، وذكر بعض أصحابنا أن يعقوب ابن أفلح لما سمع بأقبال الحجاني خرج من تاهرت متوجها إلى وارجلان ..

ثم أن عبيد الله انتخب من عسكره أولى القوة والعدة وانفذهم إلى يمن معه من عساكره يريد عبده الحجاني والرسول تختلف بينهما بالكتب . فلما قرب التقاء العسكرين أرسل الحجاني إلى عبيد الله ، أنا إذ التقينا بالفد فاخرج إلي من صف العسكر ، وأخرج إليك وإذا التقينا نزلت وقبلت يدك . فاتفقا على ذلك ، فلما كان بالفد تراءى العسكران وتدانى بعضهم من بعض ، فخرج الحجاني إلى عبيد الله من الصف فنزل عن دابته وقبل يده وركبته فتحامت لذلك كتامة . فقال لهم الحجاني : إنه مولاي وسلطاني وسلطانكم ومن ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لا نعرف لأنفسنا سلطانا سواك فقال لهم : هو سلطاني ومولاي فسمعوا له وأطاعوه فالتأم العسكران لعبيد الله .

ثم أن عبيد الله انتخب من عسكره أولى القوة والعدة وانفذهم إلى وارجلان فتوجه بهم العامل ، فلما وصل إلى وارجلان ، وقد سمع أهل وارجلان بأقباله توجهوا إلى (كريمة) وهي كدية عظيمة لا ترام فحفروا فيها مواجل للماء فملاءوها فلما وصلهم حاصرهم أشد الحصار .

السيرة واخبار الائمة

خ غ - ميزاب - ورقة 32 - 33

انظر خ دار الكتب رقم 9030 ح ، ميكروفيلم

رقم 1655 .

ملحق (6)

المز لدين الله وكتامة في مجلس خاص

بعد أن انتهت أيام الختان (1) ، استقبل المز لدين الله جماعة من كتامة وخاطبهم بقوله : « والله ما فوق محلكم عندي محل ، وما أحد من ولدي بأحب منكم ، إلا من جعل الله الخبيثة فيه منهم ، وأن ذلك مما يوجب ما جرى لكم معنا من صحبة الاجداد للاجداد ، وصحة الآباء للأباء ، والابناء للابناء ، وأنتم خاصتنا ويطانتنا وأحب الخلق إلينا لو أعنتمونا بسمع وطاعة ، وامثال أمر ، وإن كنا لا نشك في حسن اعتقادكم لولايتنا وصفو نياتكم لنا ، ولكن الدنيا ربما استمالت كثيرا منكم بحطامها والحمية والهوى ربما مال بكثير منكم عن أمرنا ، لاسيما ما يعترى بعضكم لبعض من الحسد والمنافسة حتى تصبروا في مواضعكم إلى الحروب والقتل وهتك الحريم ، وذلك وإن يشفي به بعضكم من بعض فانه مما يغمنا وينكينا فيكم وكان الواجب عليكم أن تدعوا ما تحبونه من شفاء غيظكم وبلوغ شهواتكم لما نحبه من حقن دمائكم وصلاح أموركم ، وبقاء نعمة الله عليكم ثم ما تصنعونه من أنفسكم لمن لم يجعل عليكم حكما ، ومن أنتم أفضل منه ممن يدعي أنه يستعطفنا عليكم ويستدر احساننا إليكم ، ويتقرب بذلك إليكم ، ويمن به عليكم ، ويستطيل . والواجب عليكم وعلى جميع من أنتم بنا ، وعرف فضلنا أن يكون نظره واعتماده على أمرنا فمن قدمناه عليه ، وأمرنا باتباعه وطاعته ، وضع له خده تسليما لأمرنا وطاعة لنا ، ومن لم نرفعه ، ولم تقدمه عليه ، لم يلتفت إليه ، ولم يوجب له ما لم نوجبه ، ولم يتخذ دوننا ولائح ، فوالله ما احوجناكم إلى أحد ، ولا يعلق منكم أحد علي بآني احوجته إلى أحد غيري ، ويرى أنه ينفعه ، أو يضره عندي ، حتى يتحمل له ما كان يتحملة كثير منكم لمن غضب الله عليه ولعنه (يعني اللعين قيصر) ، فيروح ويفدو إليه قبل الفدو والرواح إلينا ، فكان ذلك هو الفرض عليه ، ونحن النافلة عنده ، وما وصل إليه من فضلنا رأى أنه انما وصل إليه بدوننا ، عسى أن يعطيه دوننا خيانة وسحتا يملكه به ، ويعظم له

1 - بدأ هذا الحدث في شهر ربيع الأول 351 هـ . وعنه وعما صرف في أيامه ، وانفق من أموال . انظر ، النعمان : المجالس والسايرات 2 ، ورقة 654 وما بعدها ، القرظي : اتعاف الحنفا ، 1 94 . ط 1967 .

صدره ويتسع فضلنا عليه ، والله لدرهم نعطيه احدكم فيأخذه منا يشكر لأعظم فضلا وبركة وأزكى عند الله من الدنيا بما فيها ، من غير وجهها مع ما في ذلك من سرور الانفس وكرم الاخلاق ، وقد اتصل بنا بعض مشائخنا المستجيبين لدعاتنا أنه كان يجري عليه من قبل داعيه فضل يصل اليه منه ، وأن بعضهم لقيه يوما فذكر له أنه عرض بذكره عند ذلك الداعي ، فأمر له بشيء كان يجريه عليه فقال : وقد بلغت مبلغا لا أذكر فيه ، حتى تذكرني أنت ، لا أبقاني الله الى يوم أكون منسيا فيه عندي ، أرجوه الى أن يذكرني غيري ، فهكذا أريد أن تكون أنفسكم وهممكم بقدر مكانكم مني ومحلكم لدي ، اني احب أن اباهي واكثر بكم في الدنيا والآخرة ...

وما احب ان يأتي امثالي لقوم صالحين وآتي انا لقوم لا خير فيهم .. فسكت القوم ورأيت (النعمان) ان ذلك قد خفض منهم ، فقلت قد وعظ امير المؤمنين عبيده وأبلغ في الموعظة ونبههم وتفضل عليهم ... فقال : انهم لو لم يكونوا عندي بمحل من نحب صلاحه ونشتهي رشده لم أقل لهم مثلما قلت ، ولولا ما أخشاه عليهم لمعرفة مكانهم عندي وكيف محلهم من قلبي ، ولو أشاء لعاقبت المذنب عقوبة مثله ، ولقتلت من نحن في صلاح الدولة قتله ، وأبقيت من ينتفع فيها به ، ولكني حملت الامر على ما أوجبه الزمان لي ، وجزت به عادة الله الجميلة عندي ... ولقد سبق من آباتكم من الآباء ، وأجدادكم مع الأجداد ، من يقول للناس : انهم بسبقكم أفضل منكم ، ما أقول أنا الا انكم أفضل ممن تقدمكم بما فضلكم الله به في أيامي ، ورحمتي وحياتي ، وان كان من تقدم من الآباء لم ينالوا احسانا وفضلا ، لمن كان في عصرهم ، وان كان ما كان منهم اليهم من التادب لما فيه صلاح جميعهم ، فلكل زمان رجال ...

فاعرفوا قدر ما من الله عليكم به ، واشكروه يزدكم من فضله . فقال بعض من حضر وكيف لنا بشكر ما أولاه امير المؤمنين ؟ فقال : « ان الذي أولى الله عباده أجل وأعظم فأخلصوا نياتكم ، وما يريد منكم الا الاخلاص » . فقبلوا الأرض مرارا بين يديه وشكروا بما قدروا عليه ، وانصرفوا ، فخلع يومئذ على جميع من حضر المجلس خلعا رفيعة وكان يوم سرور ختم أيام الطهور .

النعمان : الجالس والمسائرات 2 ، ورقة 665 وما بعدها .

ملحق (7)

المعز لدين الله يوجه شباب كتامة بقوله :

« أما والله لو تعلمون ما لكم ولجميع أوليائنا عندنا من الرضى والمحبة لاستفزتكم المسرة وما نعرض عنم نعرضه منكم ، ونعاقب من نعاقبه ، الا تأديبا وتقويما ، لكي يزدادوا من الفضل والخير ، ولو علم آباؤكم ومن مضى من أسلافكم قبل أن تموتوا ما لحقهم فيكم من بعدهم لتمنوا الموت في أيام حياتهم لما تطيب به انفسهم لكم من بعدهم ، اذ كانوا في دون ما أنتم فيه في أيامنا ، وان كان الأئمة لم يتركوا في الاحسان اليهم ، فلم يبلغوا معهم ما بلفتم انتم معنا ، ولكل زمان حال توجبها الحكمة ، وتجري فيها بالعقوبة والرحمة انا والله ان قتلناكم فما نريد بكم الا الحياة الدائمة اذ أوجب تطهيركم بالقتل في العاجلة وان عاقبناكم بدون ذلك فما نعاقبكم حنقا عليكم ولا مقنا وبغضا لكم ، ولكننا نفعل ذلك بأيدينا تطهير لكم ، وان عفونا عنكم ، واحسنا اليكم ، فنحن اهل العفو والاحسان ، فأنتم والله معنا في كل الاحوال وعلى جميع الامور كيفما تصرفتم ، وجرى تدبيرنا فيكم على سبيل نجاة وخير وسلامة وغبطة ، فاعرفوا حقنا وفضلنا وسلموا لحكمنا وامرنا ، ولا ترتابوا فينا ولا تشكوا فيما نأتيه ونذره من امركم كيفما جرت الاحوال بكم معنا تسلم صدوركم وتظفروا بحظكم في دنياكم وآخرتكم .. فشكروا له بما قدروا عليه ، وقبلوا الارض بين يديه وقالوا : نحن يا أمير المؤمنين عبيدك وصنائعك والمعترفون بفضلك فما أصبنا بتقويمك وتأديبك وما أخطأنا فيه فنحن نرجو فيه رافتك ورحمتك فقال (عم) يعصمكم الله من الخطأ بتأديبنا وتقويمنا ، اذ لا نرى لأحد منكم زلة الا نبهناه ، ولا غفلة الا ايقظناه ولا تخلفا الا حركناه ، ولا تقصيرا الا وعظناه فليس يهلك مع هذا الا الشقي الذي غلبت عليه شقوته ، والله يعيدكم من الشقوة بولايتنا وجميل رأينا فيكم ان شاء الله تعالى . »

النعمان : الجالس والمسائرات 2 ، ورقة 584 وما بعدها .

ملحق (8)

اخلاص شباب كنامة وشيوخها كما عبر عنه المعز لدين الله

« والله ما يتخالجني الشك في اعتقاد صغيركم وكبيركم وحرمكم وعبدكم وذكركم وأنثاكم ولا يتناول اجتماع قلوبكم على محبتنا على ذلك ، نشأ صغيركم وعليه كبيركم قال أحدهم والله لو قد يسمع مولانا ما يلفظ به نساؤنا وعبيدنا وصبياننا من القول بولايته والمحبة له ونشر فضله لعلم أنهم على ما ذكره فيهم ، فقال المعز :

منا الحظ الأوفر في المحبة لهم ، والاشفاق عليهم ، والمودة لصغيرهم وكبيرهم وما لم يكن لهم مثله من أحد من آبائنا مع ما وهب الله لهم في أيامنا من المعز والأمن والسعة والسلطان وعلو الكلمة ما لو أدركه من مضى من أسلافهم ، ثم أمرناهم أن يلجوا النار بين أيدينا لولجوها ، فرد أحدهم : « انا لنقول ذلك ، ونتمنى لمن مات من آبائنا وأخواننا أن لو مد في أعمارهم حتى يكونوا بلغوا هذه الأيام وأروا هذه النعم وشملهم هذا الفضل ، لقد كان مما يزيد في بصائرهم وتعظم به نعم الله عليهم على أنا لا نرى بمن بقى منهم تقصيرا في الولاية والطاعة . . فرد المعز : « لا والحمد لله ما بهم في ذلك تقصير ، وأنهم في الثبات لعل أفضل حال ممن مضى من سلفهم ولكنهم ربما أرادوا رضانا بالشيء فأخطوه وربما تعلقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة اليان ، لا والله ما جعلنا لأحد عليهم في ذلك من سبيل ، ومن مثل هذا دخل ما دخل على من مضى من أسلافهم .

النعمان : المجالس والسيرات I ، ورقة 154 وما بعدها .

ملحق (9)

ثناء المعز لدين الله على كثامة لميزات خاصة بهم

« هؤلاء اولياؤنا وخالصتنا ، هؤلاء حزبنا وزمرتنا ، هؤلاء اتباعنا وعمدتنا هؤلاء خاصتنا واهل مودتنا ، هؤلاء الذين يكونون في الجنة معنا ، كما كانوا معنا في الدنيا ، ما أسرني بهم ، وأبهجني برؤيتهم ، وأحسن في عيني منظرهم ، اني لارى جماعتهم ، وكانهم عندي صورة واحدة قد تساوا في الجمال الهيبة والبهجة حتى اذا خالطوا الناس من غيرهم ، فالواحد منهم متى رأته بين الجماعة من غيرهم كان عندي كالعلم السني ، والسراج المضيء ، أما اني لأقول في نفس كثيرا ، اذا رأيت ذلك منهم أن ذلك لفرط محبتي لهم ، فلذلك اراهم كذلك ، فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا : « يقول مولانا ما يقوله بفضله علينا ، فأما نحن في موالاتنا اياه ، ومحبتنا له فلانفسنا سعينا ، ورضى ربنا بذلك اردنا ، وما ذلك منا بالتكلف ، ولا بشيء نكره انفسنا عليه ولا نرى عليه مشقة ، ولا كلفة فيه ، وما ذلك فينا دون بنينا وخدمنا وعبيدنا ، والله ما يحلف اطفالنا وخدمنا الا بحق مولانا وفضله ، ولا على السننهم ولا لهم غيره ، ولا يعرفون لهم مولى سواه وما نشأ منا ومنهم من نشأ الا على ذلك وعليه يموت ان شاء الله والله لقد حاز العدو أيام الفتنة من حاز ، وأمن النساء والأطفال ، ولقد كانت وصاياهم وكتبهم تأتينا يأمرونا بالصبر مع ولي الله ، وان لا نعطي لكانهم الدنيا لأعداء الله ، فصبروا على السراء والضراء ، والسبي والأسر حتى أظهرنا الله تعالى بولييه واستنقذناهم قسرا بحول الله وقوته » .

النعمان : المجالس والمسائرات 1 ، ورقة 150 وما بعدها .

ملحق (10)

المعز لدين الله وتطور الدعوة الاسماعيلية في شبه جزيرة الأندلس

من خلال « وثيقة الأتهام » التي تضمنت صورا من شهادة جمهور غفير ، ضد أشهر دعاة الاسماعيلية في قرطبة . وهو أبو الخير ، تتجلى حقيقة الصراع المذهبي الحاد بين الاسماعيلية وطبقة الفقهاء المالكية والصراع السياسي بين الخلافتين الفاطمية والأموية في عهدي المعز لدين الله والحكم المستنصر الأموي . وقد روي أبو الأصبح عيسى ابن سهل بن عبد الله الأسدي (1) (ت 486 هـ / 1093 م) في « الاعلام بنوازل الأحكام » قصة مواجهة أبي الخير بأقواله التي أدت الى قتله وصلبه على النحو الآتي :

« شهد عنه قاسم بن محمد صاحب أحكام الشرطة بقرطبة ، وقاضي كورة استحله وقبره محمد بن عبد الله التجيني أنه سمع أبا الخير يسب أصحاب النبي (ص) أبا بكر ، وعمر ، وغيرهما وسمعه أيضا يقول : أن عليا بن أبي طالب كان أحق بالنبوة من محمد النبي (ص) ويرى الخروج على الأئمة رضي الله عنهم وسمعه أيضا يقول : أن الخمر حلال ، وأنه أتاه الى السوق فقال له محمد بن عبد الله : أن السلطان ظل الله في الأرض ، ياوي اليه كل مظلوم وقال أبو الخير : ما كان أملي من الدنيا الا خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء وأقتل من بها وأقوم بدعوة أبي تميم ، وكذلك يكون ، فقال له محمد بن عبد الله : ليس أنت من الاسلام في شيء ، لأن النبي (ص) يقول : من أظهر علينا السلاح ، فليس منا ودفعه عن نفسه .

وشهد محمد بن أيوب بن سليمان بن ربيع أنه سمع أبا الخير يقول: الناس كالعشب رطب ويابس ، ثم لا حساب عليهم ولا عقاب ، فقال له محمد بن أيوب: فأين قول الله عز وجل؟ فإذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون، وقوله تعالى : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، فقال له أبو الخير : بعض

1 - من فقهاء المالكية المحققين ، ولي خطة الكتابة للقاضي أبي زيد الحشا في طليطلة ، ثم لأبي بكر بن منظور في قرطبة التي ولي فيها خطة الشوري ، فترة ثم تقلب بين قضاء الدعوة ، وقرنطة ، وبها توفي معزولا سنة 486 هـ - 1093 م . انظر ابن بشكوال الصلة ، 2 ، 415 ، ترجمة رقم 942 ، وقد غدا كتابه « الأحكام الكبرى » مصدرا اعتمد عليه الونشريسي في كتابيه الولايات ، والمعار العرب انظر :

Lévi Provençal : Op. Cit., T. III p. 116 n° 2.

القرآن خرافة ، وبعضه لا شيء وانما الصيف يضم الناس الى الاقرار بهذا ، وسمعه يطعن على ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ويطعن في خلافة امير المؤمنين الحكم اعزه ويقول : لو كانت تسعة اسياف لكنت العاشر وعدد عليه شرب الخمر فقال له ابو الخير : هو اجل من الماء للشرب والظهور .

وشهد حسان بن محل انه سمع ابا الخير يقول : الخمر حلال في كتاب الله عز وجل ، ويحتج بقوله « تتخذون منه سكرا ، ورزقا حسنا » فمن قال غير هذا فهو كاذب ، ويعرفه تاركا للصلوات الخمس في المساجد ، وتاركا لحضور الجمعة ، وشاربا للخمر محلا لها وسمعه أيضا يقول في الملائكة انهم بنات الله .

وشهد علي بن عبد الله الحجري انه سأل ابا الخير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال دعها فعليها لعنة الله ، لقد كانت من شدة احتراقها وافصح اقبح من هذا القول فيها وفي رسول الله ، حتى يصلي الصبح في الضحى ، واجتمع به في مقبرة معه فقال له شهدت علي قال نعم فقال له ابو الخير مستهينا بشهادته وشهادة من شهد عليه : اسمع ما أشهدك به على نفسي اني ازني والوط ، وأشرب واسمع العود ثم قال له وقفني على هذه متى احببت فاني اخذت بهذا عن نفسي كما اخبرتك .

وشهد أحمد بن سعيد بن بشر الأموي انه يعرف ابا الخير هذا من اهل الطعن على السنن واهلها كادسا فيها ، لا يرى امامة أحد من أئمة المسلمين هازلا بكتاب الله عز وجل طاعنا فيه .

وشهد سليمان بن منبه انه يعرف ابا الخير من اهل المروق والتهمتر في الدين وسمعه يقول : لله درقرش عفر هذه الوجوه المنتنة بالتراب ، وسمعه أيضا يمدح الخمر ويقول : « لقد ظلم محمد في تحريمها ولقد أحل أشياء كانت الخمر خيرا منها » .

وسمعه محمد بن عمر بن محمد بن عذرة في انصرافه من تشييع خال له خرج الى الحج ولقيه ببلاط مغيث وسأله من أين اقباله فأعلمه فقال ابو الخير : ما أحقق الذين يتعبون ابدانهم ويخرقون ثيابهم ويقصدون حجارة صماء !! .

وشهد مسعود بن عمر بن خيار الانصاري انه سمع ابا الخير والناس يصلون وهو يقول : القوم يرفعون استاهم ويخفضون رؤوسهم . . وسمعه يتأول حديث النبي في السواك يقول : في هذا الحديث معنيان أحدهما ظاهر والآخر باطن ، فأما الظاهر فهو سواك الغم والثاني فيما أستر الله يعني الفاحشة .

وشهد محمد بن يحيى الحضرمي انه سمع ابا الخير يقول في النبي (ص)
ان عليا كان أحق بالنبوة منه وأن محمدا غصبه اياها وأن محاربة بني أمية
أحق من محاربة الشرك .

وشهد عبد الله بن بشر القشيري ، انه سمع ابا الخير هذا وهو يتكلم مع
نصراني في لحم الخنزير ويسأل النصراني ان يأتيه به فقال وكيف تأكله ؟
فقال له ابو الخير : لست على دين محمد ولا أعتقده وسمعه سمى الجامع
دار البقر ويحل الخمر .

وشهد اصبح بن عيسى العيني انه سمع ابا الخير هذا يقول : لو استطعت
ان أقلع الكعبة وأترك المسلمين بلا قبلة لفعلت .

وشهد محمد بن أحمد بن الحداد القروي انه يعرف ابا الخير هذا مستهزئا
بديانة الاسلام ، يزري على سلف هذه الأمة وخلفهم ويقول ليس في جملة
الصحابة الا ستة : عليا وعمارا ، والمقداد ، وأنسيت الثلاثة وغيرهم على
ضلال ، وأنهم أرتدوا وعادوا كفارا ، وجميع من تبعهم من جملة المسلمين
هم معهم على ضلال وباطل ورايت له كتابا جاوز فيه حدود الاسلام الى
معاني التعطيل ، وذاكرته ما بلغني عنه من ذلك ، وأشباهه فأقر بجميعه ،
ثم أظهر بعد ذلك النسك في أطمار صوف يطلب الصدقة ، ولم يمض به عام
أو نحوه حتى اتصل بي عنه شرب الخمر ، والبهتان العظيم ، والنفاق ،
وأفعال الفساق فأجتمعت به في طريق فقلت له يا ابا الخير ، ما هذا الذي
أنت فيه وبلغني عنك ؟ أين التوبة ؟ وما كنت تظهر من الزهد والتوبة فقال :
انما تبت تقية وخوفا ، ولو أمنت لناظرت على أكثر مما كنت قلت ولا تمت
الحجة في ذلك فقلت له ليست هذه ديانة ، ولا فعل من يؤمن بيعت ولا
حساب ، فقال لي هذه الأخبار الباردة ، وهذا المحال أخرجك من بلدك
فقلت له أخرجني الهروب ، من الكفر وطلب السنن من أهل السنة فقال
لي : الذين خرجت عنهم كانوا أهل الحق والسنة ، لا الذين أنت معهم لأن
أولئك أهل السب ، ولا ينجيك الفرار منهم .

وشهد عبد الرحمن بن سعيد الأنصاري انه سمع ابا الخير يسب ابا بكر
وعمر وأصحابهما وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ويرميها بالبهتان ،
ولما قدم عبد الرحمن بن سعيد هذا من المشرق سأله ابو الخير من أكثر
بالمشرق العلوية ، أو العثمانية ، أو البكرية ، فقال له لقد ظهر الآن العلويون
فقال له ابو الخير : هذا الحق ، كأنك ترى الأولوية خارجة من داري .

وشهد أبو حفص الرعيني انه سمع ابا الخير يقول لو كانت تسعة أسياف
لكان سيفي العاشر ثم أضع سيفي من باب القنطرة فلا تبقي أحدا .

وشهد يوسف بن سليمان بن داوود الأموي انه يعرف ابا الخير هذا وضع كتابا رد فيه على أهل السنة ، يعلنها في كتابه وأقر عنده بالكتاب .

وشهد أصبغ بن عبد العزيز انه اجتمع بأبي الخير هذا في سبته فسمعه يقول بانكار الشفاعة وتخليد المنين من الموحدين في النار .

وشهد عبد الله بن حرب الله السكسكي انه يعرف ابا الخير هذا بشنتمرين ، وسمع رجلا استفناه في جارية عنده رهينة ان كان يحل له وطؤها . فقال وطؤها حلال فكذبته .

وشهد معاوية بن مسلمة السبائي انه سمع ابا الخير هذا يقول بمذاهب المشاركة عليهم لعنة الله وفضبه ويذهب مذهبه وأن الملحد الشيعي أمير المؤمنين وفخر عليه ان جرایة الشيعي عليه وعلى أصحابه جارية .

وشهد رشيد بن بخت انه سمع ابا الخير هذا في بعض المجالس وقد دارت بينهما مناظرة فقال له ابو الخير أين تلتزم في السوق ، وما هو متجرك ، فذكر له رشيد موضعه ومتجره فقال له ابو الخير : للسلطان اليكم سبيل فقال له رشيد : بلى فقال له ابو الخير : أنت ممن يقرأ القرآن فقال له بلى فقال له / ألم تسمع الله تعالى يقول : ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فرضيت بأن تكون من أهل النار ، فرد عليه رشيد في ذلك بما استطاع من الرد فقال له ابو الخير : ليس هو من الأئمة الذين تحقق أمامتهم ولا معاملتهم ولو استطعت محاربتهم لجاهرتهم وكان جهادهم عندي أفضل من جهاد العدو وكذلك فقهاء هذا الزمان بهذه الصفة عندي .

وشهد بدر مولي أحمد بن خيار انه سمع ابا الخير اذا خرج من الطبق ، يقول وقد سمع صباح صبيان ، ما كنت أشتهي الا أن أخرج بسيفي هذا ، السيف كان معه ، فأقتلهم صغارهم وكبارهم الى باب القنطرة وترجع بدر على ما كان من جوهر من أهل فاس ، فقال ابو الخير أما تقرأ القرآن : « اذا جاء نصر الله والفتح » فهذا نصر الله قد جاء الى المغرب ، والفتح يأتي بعده .

وشهد عبد الله بن عمران انه سمع ابا الخير يحل الخمر ، وقال لقاسم بن محمد ، صاحب الشرطة ، اسحاق بن منذر بن السليم « تثبت من آثار أبي الخير هذا فانه أبو الشر ، فاتق الله فيه وأنا شريكك في ترابه ، وان شئت أن تفردني بالثواب فافعل ، فاني أتولى صلبه بيدي » وائمه في عنقي . وكانت شهادة جميع الشهود المسمين في هذا الكتاب على عين أبي الخير وبمحضره ، وعرفوه حين شهدوا عليه بما ذكر عنهم من شهادتهم في هذا الكتاب ، فقبل صاحب الشرطة شهادة ثمانية عشر شاهدا من هؤلاء وأجازها لمعرفته بهم . . . فقال الفقهاء قاضي الجماعة منذر بن سعيد واسحاق بن

ابراهيم وصاحب صلاة الجماعة احمد بن مطرف وغيرهم ، نرى والله الموفق للصواب انه ملحد كافر قد وجب قتله بدون ما ثبت اليه ، من أن يعذر اليه فيمن قيلت شهادته بعد أن ننهي ذلك الى أمير المؤمنين أعزه الله ، وأشار عليه بعض من حضر من أهل العلم بأن يعذر اليه في ذلك فأخذ الناظر في أمره « قاسم بن محمد » يقول : من رأى أن يقتل بغير اعدار اليه ، اذ كان ذلك رأيه أيضا ومذهبه مه وأنهى قاسم بن محمد الى أمير المؤمنين « الحكم المستنصر » أعزه الله جميع ما نظر به من ذلك فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله : أن الحق والصواب في قول من أشار بقتله بلا اعدار لما استفاض من الحاد هذا الملحد ، وانتشار ذلك عنه ، فأمضى ذلك فيه ، وأمر بصلبه غضبا لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ليكون تشديدا لمن ذهب الى مذاهبه أو ثبت عليه سبب من أسبابه التي ثبتت على أبي الشر هذا لعنه الله ، وكتب أمير المؤمنين أعزه الله الى الوزير (عيسى بن فطيس) كتابا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يؤخذ برأي القاضي واسحاق ، وصاحب الصلاة ، فجازاهم الله عن الدين والذب عن السنة خيرا . وقد صرفت الوثيقة لتكون في البيت ورأيت هذا الأمر قد كثر وكان ممنوعا مطروحا فتقدم الى القاضي والحكام بالأخذ على أيدي الناس في هذا فمن خالف مذهب مالك بن أنس رحمه الله بالفتوى أو غيرها ، وبلغني خبره أنزلت به من النكال ما يستحق ، وجعلته سدادا ، وقد اختبرت فيما رأيت في الكتب أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب ولم أر في أصحابه ولا فيمن تقلد مذهبه غير السنة والجماعة فليتسك بهذا ففيه النجاة . ولما نفذ عهد أمير المؤمنين بصلب أبي الشر هذا ، ظهر من سرور العامة والخاصة بذلك ما لم يظهر فيهم الا يوم أصبحوا الى خلافته أعلاها الله .

الاعلام بنوازل الاحكام ، وفقر من سير القضاة والحكام ، ويعرف ايضا بالاحكام الكبرى . خ . مكتبة حسن حسني عبد الوهاب .

انظر عنه حوليات الجامعة التونسية عدد 1 ، 1964 م ص 61 وما بعدها . ويوجد المخطوط في المكتبة العامة بالجزائر تحت رقم 1332 .

ملحق (11)

يشير النعمان بن محمد الى وصول سفير امبراطور الروم واقتراحه مبدا اقرار الهدنة المؤبدة على اساس الجزية على اهل قلورية والى رفض المعز لدين الله لذلك ، على اسس دينية واضحة بقوله :

« وقدّم اليه (ص - ع) بطريق من بطارقة الروم وأشرفهم رسولا عن طاغيتهم صاحب القسطنطينية بما أوجبه على نفسه ، من مفرم الجزية عن أرض قلورية ، كما يبعث ذلك لكل سنة ، وجاء منه بهدايا كثيرة ، من آنية الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ، وديباج ، وحرير ، وبرذون ، وغير ذلك من نفيس ما عندهم ، وبكتاب من مرسله ، يخضع فيه اليه ، ويرغب ويسأل ، ويطلب الكف عن حربه ويسأل الموادعة وبعث بعدد كثير من أسارى أهل المشرق ، ما لم يكن قط قبل ذلك طاغية الروم بعث بمثلهم ، الى ملك من ملوك المغرب ولا الى أحد من مضى من الأئمة قبل المعز ، ولا أن طاغية الروم يؤدي خراجا ولا جزية عن أحد من أهل ملته الى غيره ، فقبل ذلك الرسول الأرض مرارا بين يدي المعز ، ومثل قائما بين يديه فأدى اليه رسالة مرسله ، ودفع اليه كتابه وأستأذنه في ادخال هديته ، وذلك بعد أن وصل مال الجزية ، الى عامل صقلية ، على الرسم المقدم الجاري ، فأذن له أمير المؤمنين في ادخالها ، وأسعفه بقبولها ، وكان أكثر ما أدى اليه الرسول عن طاغية الروم وما جا في كتابه اليه سؤاله الهدنة مؤبدة على ما أجراه من الخراج والجزية على أهل قلورية وبأن رسولا من قبله ، ليسر بذلك ، ويفعل فيه ما يجب على مثله لمحبتته بزعمه وميله فأجاب المعز رسوله عن ذلك . بأن الدين والربيعة يمنعان من الذي سأله من الهدنة المؤبدة ، لأن الله إنما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وأقام الأئمة من ولده ، يدعون الى دينه ، ويجاهدون من خالفه حتى يدخلوا فيه و « يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » داخلون في حكم أمام أهل الاسلام وذمته ، وأن الموادعة إنما تجوز لمدة معلومة ، على ما يراه أمام المسلمين ، صلاحا لهم وللدين ولو كانت مؤبدة لبطل الجهاد المفروض على العباد ، وانقطعت دعوة الاسلام وخولف حكم الكتاب ، وعرفه أنه مما ينهض لمثل من كان في محل ملكه الذي أرسله الا يغيب عنه مثل هذا من شريعة من يخاطبه ، ويكتابه ، والا يسأل ما لا توجبه الشريعة ، لما سأله فاعترف العالج بذلك على

مرسله ، وسأل الزيادة في مدة الهدنة عنه له ، فقال المعز : جواب هذا في كتابنا المقدم معك ، قبل اليوم اليه ، انه ما دام على ما شرطناه عليه ، وأوجبه لنا على نفسه لم نبدأه . . . حتى ننبذ اليه عهده ، أو بعد أن تنتضى مدة المودعة ، بيننا وبينه لا نخفر ولا نفدر ، كما تخفرون أنتم ، وتفدرون ، وعدد عليه أشياء من ذلك فعلوها ، فاعتذر منها من ملكه ، بأن ذلك لم يكن من فعله وأنه أنكره وطالب من فعله فقال له المعز : فإذا كان الأمر على ما تصفه من ملكك انه يغلب على أمره ويعجز عن خالفه وغلب عليه من أهل ملته فأني فائدة في مودعته ، إذا كان عاجزا مغلوبا ؟ ولكن هل لك وله في أن أعقد له ما يتفق معه على ما عقده على من يرى انه في غير مملكتي ممن يقابله من جهة المشرق كابن حمدان وغيره ، فان خرجوا عما أعقده عليهم ، فلا عقد بيني وبينه ، فأما من حوته مملكتي وحدود طاعتي فقد علم وعلمت أنهم أقدر على أهل دينه ومملكته وبلده لو أرادوا الخفر والفدر كابن حمدان ، فهل بلغه أو بلغك أن أحدا منهم تصدى لي فيما جعلته له أمرا ، وخالف شيئا منه ، فجعل العاج يعترف بذلك ، وبالفضل لولي الله ، ويسأل ويرغب اليه ، فاعرض المعز عن جوابه عن ذلك ، وجعل يسأله عن كيفية الحال بينهم وبين أهل طرسوس ، وابن حمدان في حروبهم ومعاملتهم أياهم ، في حديث أطاله . وكل ذلك والعلاج يجيبه عما يسأله من ذلك عنه فنظر بعض من في المجلس الى بعضهم كمن لا يدري ما معنى السؤال عن ذلك . والمفارقة فيه ؟ . ثم عاود العلاج في سؤال رسول يرسله الى الملك ، وذكر له تواتر رسوله عليه وعلى آبائه ، من أفضى الله بالأمر اليهم وأنه لم يمض رسول منه ، ولا منهم اليه . فقال المعز : ان أحدا من الناس لا يرسل رسولا الى أحد الا لحاجة له اليه ، أو لأمر يجب له عليه ، ونحن نحمد الله فلا نعلم أن لنا الى صاحبك من حاجة ولا له علينا أمر واجب ، فلماذا ترسل اليه ، اللهم الا أن يكون أمر من أمور الدين ينبغي لنا مراسلة ومفاوضة فيه وهو من المباح في دينه ولكن نظن انه يكبر عليه ، فان نحن أرسلنا فيه اليه فعلت انه يجيبنا فيه سهل عليه أن يرسل اليه رسولا كما سأل وسألت عنه ، فلولا أن ذلك لله ولدينه لم نفعل ذلك له ولا ينبغي لنا أن نفعله الا بعد أن يتحقق عندنا انه يجيب عليه ، لانا لا نرى أن نسأل أمرا ، وان كان لوجه الله فنجيبه فيه ، ولأن ذلك لو كان لكانت سوء عاقبته عليه ونحن لا نلزمك الجواب في ذلك عنه والقطع فيه عليه ، ان ذلك مما لا يلزمك ولا ينبغي لك ، ولكن تأمر ؟ بذكر ما نريد ذكره لك وتنصرف وتقف على ذلك منه ، فاذا علمت منه بالحقيقة انه يجيب اليه عرفتنا ذلك عنه فيسهل علينا أن نرسل اليه ولو كان ذلك فيما حوته الدنيا بحذافيرها أو اشتملت عليه بأقطارها لما سهل علينا أن نرسل فيه رسولا من قبلنا ، ولكنه لما كان لوجه الله وابتغاء ثوابه سهل علينا ووجب لدينا ، فاستعظم العلاج القول في ذلك ، وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح والشكر حتى خرج في قوله ذلك الى الكفر والتشبيه الذي

يعتقده ، فرد ذلك المعز عليه وتواضع لله كما يجب ان يتواضع له ، وعرفه ذلك ليعلم أنه لم يرضه من قوله ، وان كان عند نفسه انما قصد به تعظيمه ، ورأى ان ذلك مما يجوز عنده ، ثم أمره بالانصراف الى المكان الذي انزله فيه ، فانصرف ثم عطف على من كان في المجلس كأنه اطلع على ما كان في قلوبهم فقال : لعل بعضكم أنكر ما اطلنا بسؤاله عنه عن أمرهم مع اهل المشرق ولم نرد بذلك منه الحديث والمذاكرة ولكني علمت أنه رسول قد لقن ما يقول وأوقف عليه وعلى ما يجيب فيه فلعل من أرسله علم أنه سيسأل عنه ، فأتيناها من مكان نعلم أنه لم يتقدم اليه فيه ، ولم يعلم مرسله انه يسأل عنه ، حتى أخذنا من قبله ما تقوم به حجتنا عليه من وجه كذا ، ووجه كذا ، وعدد وجوها كثيرة مما سمعناه جرى بينهما لم ندر أن في ذلك حجة حتى ذكره فاذا فيه حجة وكيدة .

النعمان : المجالس والمسائرات 1، 244 - 254 .

ملحق (12)

الحاكم بأمر الله والقرامطة

تتضمن رسائل حمزة صيغة لرسالتي تهديد احدهما : وجهها زعيم القرامطة الى الحاكم بأمر الله والثانية تمثل رد الحاكم بأمر الله على أمير القرامطة :

ونص رسالة القرمطي : (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد

فقد وصلنا بالترك الخراسانية والخيال العربية والسيوف الهندية والدروع الداودية ، والدرق التبتية ، والرماح الخطية ، وقد خف الركاب ، فتسام البلد ، وتكون آمنة على النفس والمال والأهل والولد والسلام .

وكان رد الحاكم عليه :

أما ما ذكرته من خفة ركابك ، فذلك من قلة صوابك ، وذلك لأمر مختوم في كتاب معلوم ، لأننا قد نظرنا في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، أن أرضنا هذه لأجسادكم أجداث وأموالكم وأماكنكم لنا ميراث فيجب أن تعلم أن قد أحاط بك البلاء ، ونزل بك الفناء فما أنت جئت بل الله جاء بك ، ليظهر معجزة فيك ، وفي أصحابك ، وأنا حامد الله على ما منحني من

1 - نص الرسالة كما جاء في مخطوطي تونس ودار الكتب مطابق لما نقله دي ساسي عن مخطوط المكتبة الأهلية في باريس في كتابه « الأنيس المفيد » . وقد ناقش عبد النعم ماجد قضية « رسائل الدعاء » فأثبت أنها ملفقة ، ومدسوسة لاعتبارات منها ، تنافر المعنى واختلاف أشكال الخبر الذي كتب به المتن والهامش ، وتحمل بعض الرسائل تواريخ متأخرة عن وفاة حمزة الهادي ، فضلا عن أن بعضها كتبه بعض الدروز الذي تحول الى المسيحية ، وما قيل حول مضمون هذه الرسائل من طرف مؤرخي السنة لا يعتد به لظنة الهوى . انظر الحاكم بأمر الله الخليفة المقترني عليه 122 وما بعدها .

أخذكم على مضي ثمان ساعات من نهار يوم الإثنين ، حتى لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . والسلام على من أتبع الهدى
وخشي عواقب الردى ، وخاف الله في الآخرة والأولى وهو حسبنا وكفى
وإليه يشر كل من دعا .

انظر : سجلات موحدية . خ تونس رقم 8289 (ورقة 23-24) مع من كتاب
العروز 2 ، 81-82 ، وقد نشره دي ساسي ضمن « كتاب الأنيس المفيد
للطالب المستفيد وجامع الشلور من منظوم ومنتور » ، رسائل الحاكم . .
« عقيدة العروز » ورقة 9 - 11 ، خ دار الكتب رقم 133 - الكلام والنحل
الإسلامية .

* * *

المصادر والراجع

أ - مخطوطات

- أحمد بابا الأرواني - السوداني :
السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية : مخطوط خاص
أطلعت عليه في دائرة الطباعة والنشر بالشركة الوطنية بالجزائر
(S.N.E.D.)
- الإسحاقى - محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح النوفى ت . بعد
1033 هـ - 1623 :
- لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول . خ دار
الكتب رقم 2269 وبالمكتبة الأهلية بباريس رقم 1839 وبمعهد
المخطوطات بالجامعة العربية رقم 1949 .
- ابن الأنبري - ت . بعد 1277 هـ - 1860 م :
علاج السفينة في بحر قسنطينة . خ . بمكتبة بلدية قسنطينة ،
وتوجد منه نسخة عند أبي القاسم سعد الله في جامعة الجزائر ،
وهي التي اعتمدت عليها .
- الباجي السعودي - أبو عبد الله محمد . ت . 1297 هـ - 1879 م -
1880 م :
- الخلاصة النقية في أمراء أفريقية . خ . بمكتبة العطارين بتونس
تحت رقمي 459 - 16041 .
- مجهول :
- برنامج فيما بمدينة سوسة من الجوامع والأولياء والمعاصر والديار .
خ . حسن حسني عبد الوهاب ، وقد آل إلى مكتبة العطارين بتونس
ويوجد تحت رقم 18669 .
- ابن الجوزي - شمس الدين أبو المظفر يوسف غيزاوغلي التركي
الهيبرتي المعروف بسبط ابن الجوزي - ت . 654 هـ - 1257 م :
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : خ . دار الكتب المصرية رقم 551 ،
وقد استشرت الجزئين : 12،11 منه .

— الجودي محمد :

قصة القيروان : مخطوط مصور على الورق بمكتبة العطارين تونس
رقم 18397 .

— حمزة بن علي — (وآخرون) ت 411 . هـ — 1020 م :

سجلات موحدية . خ — بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب ، وآل إلى
المكتبة الوطنية (العطارين) . تونس رقم 18289 ونظيره يوجد في
دار الكتب المصرية بعنوان (رسائل الحاكم و « عقيدة الدرور »)
تحت أرقام مختلفة منها 20 علم كلام الشيعة . و 133 الكلام والنحل
الإسلامية .

— الدرجيني — أبو العباس أحمد بن سعيد ت . بعد 650 هـ — 1252 م :

طبقات المشايخ . خ بمكتبة العطارين تونس رقم 2524 ويوجد بميزاب
وغيرها وقد رجعت إلى نسخة تونس ثم نسخة خاصة على ملك أحد
بني ميزاب .

— الذهبي — شمس الدين محمد بن أحمد ت 748 هـ — 1347 م :

تاريخ الإسلام : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 396 تاريخ . وقد
رجعت إلى الجزء الثالث منه ، ويتناول الأحداث ما بين (350 —
500) هـ .

— أبو زكرياء — يحيى بن أبي بكر الوردجاني ق 5 هـ — 11 م :

كتاب السيرة وأخبار الأئمة . خ بميزاب ، ويوجد في دار الكتب تحت
رقم 9030 ج ميكروفيلم رقم 1655 — وقد ترجم إلى الفرنسية على
يد مسكراي ثم لوتورنو ، وهادي روجر ادريس في المجلة الأفريقية .

— السلمي — يوسف بن علي :

عقد النور في أخبار الإمام المنتظر . مخطوط بمكتبة حسن حسني
عبد الوهاب وآل إلى المكتبة الوطنية تونس رقم 16050 .

— ابن سهل — أبو الأصبح عيسى ت 486 هـ — 1093 م :

الإعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام — قطعة منه
استخرجت من مخطوط حسن حسني عبد الوهاب . نشر القطعة
بإذن منه فرحات الدشراوي . مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر
رقم 1332 .

- الشرقاوي عبد الله ت 1227 هـ — 1812 م :
- تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين** . مخطوط مكتبة
جامعة القاهرة رقم 21432 .
- لجهول :
- شرح لعة من اخبار المعز لدين الله وتسييره عساكره الى مصر** .
خ مكتبة جامعة القاهرة رقم 24022 .
- صالح عبد الحليم — ابو علي :
- كتاب الانساب** . خ بالخزانة العامة بالرباط رقم 1275 ك . تحت
عنوان الانساب لابي حيان .
- ابن ظافر — جمال الدين ابو الحسن علي ت 623 هـ — 1266 م :
- اخبار الدول المنقطعة** : خ بدار الكتب المصرية رقم 890 تاريخ .
- ابن ظهيرة — جمال الدين محمد — ق 10 هـ — 16 م :
- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة** . خ بدار الكتب المصرية
رقم 5560 .
- انعامي — زين الدين علي بن احمد ت 954 هـ — 1547 م :
- التنبيهات الطيبة على وظائف الصلاة القلبية على مذهب الشيعة**
الاثنى عشرية خ بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب . وآل الى المكتبة
الوطنية تونس رقم 18335 .
- العيني — بدر الدين محمود — ت 855 هـ — 1451 م :
- عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان** : خ بدار الكتب رقم 1584 تاريخ
وقد استشرت الجزء 19 باقسامه المختلفة .
- القضاعي — ابو عبد الله محمد بن سلامة القاضي — ت 454 هـ —
1062 م :
- عيون المعارف وفنون اخبار الخلفاء** . خ بدار الكتب رقم 1779
تاريخ .
- ابن الكردبوس — ابو مروان عبد الملك التونسي — من علماء القرن
السادس الهجري — 12 م :

الاكتفاء في أخبار الخلفاء . خ بمكتبة العطارين تونس رقم 18593
و بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم 900 (ميكروفيلم) وقد صور
على نسخة الشيخ الشاذلي النيفر من علماء جامع الزيتونة .

— المقريري — تقي الدين أحمد بن علي — ت 845 هـ — 1441 م :

المفنى الكبير . خ بدار الكتب المصرية رقم 5372 تاريخ . وهو في
أربعة أجزاء وقد صور على أصل يوجد تحت رقم 1366 بالمكتبة
الأهلية بباريس .

— ناصر خسرو ت 481 هـ — 1089 م :

رحلة ناصر خسرو في مصر : خ بمكتبة جامعة القاهرة رقم 9393 —
ترجمها الى العربية يحي الخشاب — القاهرة 1945 م .

— النعمان بن محمد بن حيون التميمي — أبو حنيفة . ت 363 هـ —
973 م :

افتتاح الدعوة وابتداء الدولة . خ بمكتبة جامعة القاهرة رقم
24088 .

وقد نشر أخيراً في بيروت 1970 ، بعناية وداد القاضي . انما
بدون أن ترجع الى نسخة مكتبة الجامعة ، وهي تحتوي على
207 ورقات .

— المجالس والمسائرات خ بمكتبة جامعة القاهرة رقم 26060 :

— النويري — شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن — ت 732 هـ —
1332 م :

نهاية الأرب في فنون الأدب . خ بدار الكتب المصرية رقم 549
معارف عامة ، وقد رجعت الى الجزء 22 بقسميه ، ثم الى الجزء
26 ، وتوجد نهاية الأرب في المكتبة الأهلية بباريس تحت أرقام
1574 ، 1575 ، 1576 وغيرها .

ب - مطبوعات عربية او معربة

- ابن الأبار - أبو عبد الله - ت 658 هـ - 1260 م :
- الرحلة السيرة - دراسة ونشر الطباع - بيروت 1962 ونشرها
حسين مؤنس في جزئين - القاهرة 1963 وقد استشرت الطبعتين
معا .
- ابراهيم العدوي - دكتور :
- بلاد الجزائر تكوينها الاسلامي والعربي - القاهرة 1970 .
المختار من كتاب « الولاة والقضاة للكندي » .
- ابراهيم جلال :
- المعز لدين الله الفاطمي وتشبيد مدينة القاهرة - سلسلة (1000)
الف كتاب . القاهرة 1963 .
- ابن الأثير الجزري - عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني
ت 630 هـ - 1238 م .
- الكامل في التاريخ ط . بولاق 1874 م وطبعة حديثة مصورة عنها -
بيروت 1965 - دار صادر .
- الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل - تحقيق عبد القادر طليمات -
القاهرة 1963 .
- اللباب في تهذيب الأنساب . ط . السعادة - القاهرة 1356 -
1357 هـ .
- أحمد الكناسي :
- أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب من القرن العاشر (هـ)
الى النصف الأول من القرن الحالي - تطوان .
- أحمد فكري - دكتور :
- مساجد القاهرة ومدارسها ج 1 - العصر الفاطمي - القاهرة 1965 .

- ابن الاخوة — محمد بن احمد القرشي — ت 729 هـ — 1329 م :
- معالم القرية في احكام الحسبة** . نشر دوين ليفي — كمبريدج 1938 .
- الادريسي — ابو عبد الله محمد ت 560 هـ — 1164 م :
- وصف افريقية الشمالية والصحراوية** — قطعة من نزهة المشتاق
نشرها هنري بريس . الجزائر 1957 .
- ارسطو :
- كتاب السياسة** . تعريب — الاب بربرة اوغسطين — بيروت 1957 .
- الاسحاقي — محمد بن عبد المعطي — ت بعد 1033 هـ — 1623 م .
- لطائف اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول ط 1 ،**
1341 هـ .
- لجهول — عاش في اواخر القرن السادس بعد الهجرة — 12 م :
- الاستبصار في عجائب الامصار** — حققه ونشره سعد زغلول عبدالحميد
الاسكندرية 1958 .
- اسامة بن منقذ — مؤيد الدولة ابو المظفر بن مرشد الكتاني الشيزري
ت 584 هـ — 1189 م :
- كتاب الاعتبار** — حققه ونشره فيليب حتي برنستون 1930 .
- اسماعيل سرهنك — الاميرلاي — ت 1924 م :
- حقائق الاخبار عن دول البحار** . ط الاميرية 1312 — 1341 هـ .
- ارشيبالد لويس :
- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 — 1100م)**
تعريب احمد عيسى ومراجعة شفيق غربال — القاهرة 1951 م .
- الاصطخري — ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكوفي
ت 346 هـ — 957 م :
- المسالك والممالك** — نشر محمد جابر عبد العالي الحيني ومراجعة
شفيق غربال القاهرة 1961 .

- الاصفهاني – علي بن الحسين – ابو الفرج ت 356 هـ – 916 م
مقاتل الطالبين . ط . النجف 1353 هـ .
- اماري ميخائيل – ت 1889 م – 1307 هـ .
- الكتبة العربية الصقلية . ط . ليبسك 1857 ، و ط . مصورة
عنها نشرت في بغداد – المثنى .
- امين واصف :
الفهرست ومعجم الخريطة التاريخية للمالك الاسلامية – القاهرة
1916 م .
- الانطاكي – يحيى بن سعيد ت 458 هـ – 1066 م :
ذيل تاريخ سعيد بن البطريق (ت 328 هـ) نشرة كراتشوفسكي
وفازلييف في مجموعة : Patrologia orientalis
- ابن اياس الحنفي – محمد بن احمد ت 930 هـ – 1523 م :
تاريخ مصر المعروف « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ط 1 بولاق
1311 هـ .
- نبذة من نشق الأزهار في عجائب الاقطار . نشرة لانجلس – باريس
1807 م .
- ابن ابيك الدواداري – ابو بكر بن عبد الله صاحب صرخه ت :
736 هـ – 1336 م :
- الذرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية – وهي الجزء السادس من
كتاب كنز الدرر . نشرها : صلاح الدين المنجد . القاهرة 1961 م .
- الباجي السعودي – ابو عبد الله مجيد، ت 1297 هـ – 1879 – 1880 م
الخلاصة النقية في امراء افريقية ط 1 ، 1283 هـ .
- الباروني النفوسي – سليمان :
الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية – القسم الثاني منه ط .
الأزهار – القاهرة .
- البرغوثي – صالح :
الوزير اليازوري – دار الفكر . القاهرة .

— بروكلمان — كارل :
تاريخ الشعوب الإسلامية . تعريب منير البعلبكي ونبية فارس .
بيروت .

تاريخ آداب اللغة العربية — تعريب منير البعلبكي ونبية فارس .
بيروت .

— بريس — هنري — دكتور :

المستحسن من البدع — نصوص مستخرجة من كتاب « المعيار
العرب » للونشريسي . الجزائر 1946 م .

وصف أفريقية الشمالية والصحراوية « من » نزهة المشتاق
للادريسي . الجزائر 1957 .

— البرادي — أبو القاسم بن ابراهيم الدمري ت بعد 792 هـ — 1390 م :
الجواهر المنتقاة فيما اخل به صاحب الطبقات . ط . الأزهار
الرياضية البارونية — القاهرة 1302 هـ .

— ابن بسام الشنتريني — أبو الحسن علي ت 542 هـ — 1147 م :
الذخيرة في محاسن الجزيرة . القسم الاول من المجلدين 1 ، 2 تحقيق
ونشر عبدالحميد العبادي ، وعبدالوهاب عزام — القاهرة 1939 —
1942 م .

— ابن بشكوال الخزرجي — خلف بن عبد الملك بن مسعود أبو القاسم
ت 578 هـ — 1183 م :

الصلة — مجلدان — نشرة عزت العطار القاهرة 1955 م .

— بطليموس القلوذي :

كتاب الجغرافية — الترجمة العربية فاعة الدراسات الشرقية
بمكتبة جامعة القاهرة .

— البغدادي — ابن عبد المؤمن ت 839 هـ — 1338 م :
مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع . ط حديثة في 3 اجزاء .

- البكري — أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487 هـ — 1094 م :
- المغرب في وصف بلاد افريقية والمغرب** — وهو جزء من كتاب المسالك والممالك — نشرة البارون دوسلان ط 2 ، الجزائر 1911 م . و ط 3 باريس 1968 م .
- جغرافية الاندلس واوروبا** — منه — حققها ونشرها عبد الرحمن الحجى بيروت 1968 .
- البلاذري — أحمد بن يحيى بن جابر ت قبل 302 هـ — 914 — 915 م :
- فتوح البلدان** . ط . القاهرة 1959 .
- شارل بلا — دكتور :
- وصف المغرب** — مستخرج من كتاب « أحسن التقاسيم للمقدسي » الجزائر 1950 .
- بلاشير — ريجنسنت — دكتور :
- منتخبات من آثار الجغرافيين في القرون الوسطى** باريس 1932 م
- البيدق — أبو بكر الصنهاجي — ق 6 هـ — 12 م :
- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين** — نشرة ليفي بروفنسال باريس 1928 م .
- تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني :
- غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار** — ط . بولاق 1310 م .
- تامر عارف :
- خمس رسائل اسماعيلية** — سلمية سوريا 1956 م .
- تشركوا كيليا سارانللي — دكتور
- مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري** . القاهرة 1961 .

- التميمي — أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم . ت 333 هـ — 944 م :
- طبقات علماء افريقية** ، نشرة ابن شنب الجزائر 1914 م ونشر حديثا بتونس 1968 بعناية نعيم اليافي وعلي الشابي .
- التمبكتي — أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي السوداني . 963 هـ 1555 م :
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج** — وهو على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ط 1 ، القاهرة 1329 هـ .
- توفيق المدني :
- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا** ط . الجزائر 1934 م ط 2 . صقلية 1970 .
- كتاب الجزائر** ط 2 الجزائر 1963 م .
- الثعالبي أبو منصور عبد الملك النيسابوري ، ت 429 هـ 1037 م :
- يتيمة الدهر** . ج 1 ، ط القاهرة 1934 م .
- ابن جرير الطبري — أبو جعفر محمد 311 هـ — 922 م :
- تاريخ الامم والملوك** — ط الحسينية 1326 هـ ، و ط دار القاموس بيروت وهي مصورة عنها .
- الجنحاني — الحبيب — دكتور :
- القروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية في المغرب العربي** . تونس 1968 م .
- العزيزي الجوزري : أبو علي منصور ق 4 هـ — 10 م :
- سيرة الأستاذ جندر** — تحقيق ونشر محمد عبد الهادي شعيرة ، وكامل حسين دار الفكر القاهرة 1954 .
- جولد زيهر — اجناس :
- العقيدة والشريعة في الاسلام** — تعريب محمد يوسف موسى بالاشتراك . القاهرة 1946 .

- جوليان — شارل أندريه :
- تاريخ افريقية الشمالية — تعريب محمد مزالي وابن سلامة
تونس 1969 .
- تاريخ افريقية — تعريب عوضى اباضه — مراجعة عبد المنعم ماجد
سلسلة (1000 كتاب) 1968 .
- جوتيه — اميل فيلكس :
- الصحراء . تعريب احمد كمال يونس — ومراجعة كمال دسوقي
سلسلة (1000 كتاب) القاهرة 1957 .
- الجيلالي — عبد الرحمن :
- تاريخ الجزائر العام . ط 2 بيروت 1965 .
- ابن حجر العسقلاني — شهاب الدين ت 853 هـ — 1449 م .
رفع الاصر عن قضاة مصر — القسم الثاني منه — نشرة حامد
عبد المجيد وراجعه الابياري القاهرة 1961 .
- ابن حزم الظاهري — ابو محمد على بن احمد ت 456 هـ — 1064 م :
- جمهرة انساب العرب — نشرة ليفي بروفنسال القاهرة 1948 .
الفصل في الملل والأهواء والنحل — في مجلدين ط . بسيرت
وبهامشه : الملل والنحل للشهرستاني .
- نقط العروس في تواريخ الخلفاء — رواية الجميدي — نشرة شوقي
ضيف مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد 13 ج 2 ديسمبر
1951 .
- حسن محمود — دكتور :
- قيام دولة المرابطين — القاهرة 1957 .
- حسن ابراهيم حسن — دكتور :
- تاريخ الدولة الفاطمية ط 3 . القاهرة 1964 .
- عيد الله المهدي — بالاشتراك — القاهرة 1947 .
- المز لدين الله بالاشتراك — القاهرة 1963 .
- النظم الاسلامية ط 3 ، القاهرة 1962 .

- حسن حسني عبد الوهاب ت 1968 :
- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية . 3 أجزاء تونس
1965 - 1966 .
- مجمل تاريخ الأدب التونسي ط 3 . تونس 1968 .
- خلاصة تاريخ تونس . ط 3 تونس 1953 .
- حسن الباشا - دكتور :
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار - القاهرة 1957 .
- حسين الهمداني (بالاشتراك) دكتور :
- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن - القاهرة 1955 .
- ابن حماد - أبو عبد الله محمد بن علي القلعي ت بعد 628 هـ -
1231 - 1232 م .
- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم - نشره فوندرهايدن - الجزائر
1927 .
- ابن حوقل النصيبي - أبو القاسم محمد ت بعد 367 هـ - 977 م .
- كتاب صورة الأرض - ط . بيروت 1962 ، المكتبة الجغرافية -
بريل ، ليدن 1967 .
- ابن خرداذبة - أبو القاسم عبيد الله قاسم بن عبد الله ، ت 272 هـ -
885 م :
- المسالك والممالك - المكتبة الجغرافية - بريل - ليدن 1967 .
- الخشني - أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ت 361 هـ -
971 - 972 م :
- قضاة قرطبة وعلماء أفريقية - نشر ، عزت العطار . القاهرة
1372 هـ .
- ابن الخطيب السلماني - لسان الدين ت 776 هـ - 1374 م :
- الإحاطة في أخبار غرناطة . نشرها عبد الله عنان - القاهرة 1955 .
- رقم الحال في نظم الدول - ط . تونس 1316 هـ - 1899 م .

اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام - القسم الثالث منه ، نشره مختار العبادي ، و ابراهيم الكتاني . الدار البيضاء 1964 .

- ابن خلدون - ابو زيد عبد الرحمن ت 808 هـ - 1405 م :

المقدمة . ط 3 بيروت 1900 م ، و ط عبد الواحد وافي .

كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، ط . بولاق 1284 هـ وبيروت 1958 م .

تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب - جزآن ، هما 6 ، 7 من كتاب العبر في ط بولاق . نشره وترجمه الى الفرنسية : البارون دوسلان الجزائر 1847 م .

- ابن خلكان - شمس الدين احمد بن ابراهيم الشافعي - ت 681 هـ - 1281 هـ :

وفيات الاعيان وانباء الزمان ط 1892 م ثم ط محي الدين عبد الحميد 1948 .

- خليل ابن ابيك الصفدي ت 764 هـ - 1362 م :

امراء دمشق في الاسلام - نشره صلاح الدين المنجد . دمشق 1955 م .

- الدباغ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ت 696 هـ - 1296 - 1297 م :

معالم الايمان في معرفة اهل القيروان - 4 اجزاء في مجلدين . تونس 1902 م - 1330 هـ .

- ابن دقماق - ابراهيم بن محمد بن ايدير العلائي ت 809 هـ - 1407 م :

الانتصار لواسطة عقد الامصار - الجزآن 4 ، 5 ط . الاميرية بولاق 1309 هـ .

- الدوري - عبد العزيز - دكتور :

مقدمة في التاريخ الاقتصادي - بيروت 1969 .

- ابن أبي دينار الرعيني — محمد بن أبي القاسم من علماء القرن 12 هـ :
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ط 3 . تحقيق ونشر محمد شمام
تونس 1967 .
- ذو النون المصري :
عمارة اليمنى — القاهرة 1966 م .
- ابن رسته ، ت بعد 290 هـ — 903 م :
الأعلاق النفيسة — لندن — 1891 .
- ابن رسول — الملك الأشرف عمر بن يوسف الفسائي :
طرفه الأصحاب في معرفة الأنساب . نشرها ترستين دمشق 1949 .
— رشيد رضا .
- السنة والشيعه** : القاهرة 1347 هـ .
- الرقيق القيرواني — أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم ت بعد 418 هـ —
1027 — 1028 م :
- تاريخ إفريقية والمغرب** — قطعة منه — نشرها المنجي الكعبي —
تونس 1968 .
- ريزيتا نوامبرتو :
تاريخ الأدب العربي في صقلية — عمان 1956 .
- الزاوي — أحمد الطاهر :
تاريخ الفتح العربي في ليبيا — القاهرة 1963 .
- الزركشى :
تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية : نشره محمد ماضور — تونس
. 1966
- الزركلي — خير الدين :
الإسلام ط 2 ، 1954 — 1959 .

- ابن ابي زرع الفاسي – ت بعد 724 هـ – 1324 م :
- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ، وتاريخ
مدينة فاس . ط . حجرية ، فاس 1303 هـ .
- زكي حسن – دكتور :
- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى – القاهرة 1945 .
- زمبساور :
- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي جزءان ،
تعريب زكي حسن ، وحسن محمود القاهرة 1951 .
- الزباني – ابو القاسم ت 1249 هـ – 1833 م .
- الترجمة الكبرى في اخبار العمور برا وبحرا – نشره عبد الكريم
الفيلاي ، الرباط 1967 .
- ابن الساعي البغدادي : علي بن انجب ت 674 هـ – 1275 – 1276 م .
- مختصر اخبار الخلفاء . وهو في مجلد واحد مع كتاب « غاية
الاختصار » لتاج الدين الحسيني ط . بولاق 1310 هـ .
- السخاوي – محمد بن عبد الرحمن ت 902 هـ – 1496 م :
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – نشره القدسي ، دمشق 1930 م .
- سركيس – يوسف اليان :
- معجم المطبوعات العربية والعربية مصر 1928 – 1929 .
- سرور جمال الدين – دكتور :
- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس
بعد الهجرة ط 2 ، القاهرة 1959 .
- مصر في عصر الدولة الفاطمية سلسلة (1000 كتاب) القاهرة .
- سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة 1967 .
- الدولة الفاطمية في مصر : سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في
عهدها . القاهرة 1970 .

— السراج — محمد بن محمد الأندلسي . ت : 1149 هـ — 1736 —
1737 م :

العطل السنديسية في الأخبار التونسية — نشره محمد الحبيب
الهيلة ، تونس 1970 .

— سعد زغلول عبد الحميد — دكتور :

تاريخ المغرب العربي — 1965 .

— ابن سعيد الأندلسي — علي بن موسى ت 673 هـ — 1275 م :

المغرب في حلي المغرب — نشره شوقي ضيف بالاشتراك . القاهرة
1953 .

— سعيد عبد الفتاح عاشور — دكتور :

مصر في العصور الوسطى — من الفتح العربي حتى الغزو العثماني —
بالاشتراك — القاهرة 1970 .

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ج 1 ط 1958 ، وط 5 ، 1971 .
السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة . سلسلة اعلام العرب رقم 58
القاهرة 1966 .

— السلاوي الناصري — ابو العباس أحمد بن خالد ت 1315 هـ —
1897 م :

الاستقصاء في اخبار دول المغرب الأقصى 4 أجزاء ط . 1305 هـ
ثم ط . الدار البيضاء في 9 أجزاء سنة 1954 .

— السمعاني الروزي — أبو سعد عبد الكريم ت 562 هـ — 1167 م :

كتاب الأنساب — نشره مرجوليوت وليت — ليدن 1912 و ط .
حديثة بمطبعة المثني — بغداد .

— ابن سوذه — عبد السلام :

دليل مؤرخ المغرب الأقصى ط 2 في جزئين — الدار البيضاء 1960 .

— سيدة اسماعيل كاشف — دكتورة :

مصر في عهد الأخشيدين ، القاهرة 1950 .

- السيوطي – جمال الدين عبد الرحمن الكمال ت 916 هـ – 1505 م :
- تاريخ الخلفاء – مجلد واحد ط 1308 هـ .
- حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة – ط . القاهرة 1321 هـ .
- لب اللباب في تحرير الانساب . ط . المثنى – بغداد .
- أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل – ت 665 هـ – 1267 م :
- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين : القاهرة 1287 هـ .
- الشرقاوي – محمود :
- البحرية الأندلسية – رسالة ماجستير 1938 .
- الشرقاوي – عبد الله : ت 1227 هـ – 1812 م :
- تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ط 1281 هـ
وطبع على هامش كتابي لطائف اخبار الاول للاسحاقي وفتوح
الشام للواقدي .
- شعيرة محمد عبد الهادي – دكتور :
- المرابطون – تاريخهم السياسي – القاهرة 1969 .
- الشماخي – أبو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد ت 928 هـ –
1521 – 1522 م :
- كتاب السير ط 1301 هـ .
- الشهرستاني – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 هـ – 1153 م :
- الملل والنحل – وهو على هامش كتاب الفصل لابن حزم ط . بيروت،
في مجلدين .
- الشوكاني – الامام محمد بن علي – ت 1250 هـ – 1834 – 1835 م :
- قطر الولي على حديث الولي – تحقيق ونشر ابراهيم هلال –
القاهرة 1969 .
- الشيال – جمال الدين – دكتور :
- مجموعة الوثائق الفاطمية م 1 – القاهرة 1958 .

- تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي - القاهرة 1967 .
- أبو بكر الطرطوشي ت 520 هـ - 1127 م القاهرة 1968 .
- سلسلة اعلام العرب .
- الشيرزي - عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشافعي - ت 589 هـ - 1193 م .
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة . تحقيق ونشر الباز العريني - القاهرة 1946 .
- صالح عبد الحليم - أبو علي :
- نص جديد عن فتح المغرب الأوسط ، نشر ليفي بروفنسال ، تعريب حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد - مجلد 2 سنة 1954 .
- ابن الصغير - من علماء المالكية في نهاية القرن الثالث بعد الهجرة :
- اخبار الأئمة الرستميين - تحقيق ونشر موتلنسكي - اعمال المستشرقين - 14 لسنة 1905 ، مجلد 3 القسم الثاني .
- أبو الصلت - أمية بن عبد العزيز الاندلسي : ت 528 هـ - 1133 - 1134 م .
- الرسالة المصرية - ضمن سلسلة نوادر المخطوطات - تحقيق ونشر عبد السلام هارون - القاهرة 1951 .
- ابن أبي الضياف - أحمد - ت 1291 هـ - 1874 - 1875 م :
- اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - ج 1 ط تونس 1963 .
- طالب محمد - دكتور :
- تراجم أغلبية - مستخرجة من ترتيب المدارك لعباس ، تونس 1968 .
- ابن طباطبا - فخر الدين محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي - ت 709 هـ - 1309 - 1310 م .
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية .

- الطرطوشي — أبو بكر محمد بن الوليد — ت 520 هـ — 1126 م :
الحوادث والبده — تحقيق ونشر محمد طالبي — تونس 1959 .
- ابن طولون — شمس الدين محمد — ت 953 هـ — 1546 م :
الشذرات الذهبية في تراجم الائمة الاثني عشرية عند الامامية .
تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد — بيروت 1958 .
- ابن ظهيرة : جمال الدين محمد ق 10 هـ — 16 م :
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة — القاهرة 1969 بعناية
فؤاد المهندس والسقا .
- عادل العوا — دكتور :
منتخبات اسماعيلية — دمشق 1958 .
- عبد الباقي اليماني — تاج الدين :
تاريخ اليمن المسمى : بهجة الزمن في تاريخ اليمن — تحقيق ونشر
مصطفى حجازي مطبعة مخيمر القاهرة 1965 .
- عبد اللطيف البغدادي : موقف الدين ت 629 هـ — 1231 — 1232 م :
**كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض
مصر** . ط 1 — وادي النيل 1286 هـ .
- عبد الرحمن فهمي — دكتور :
موسوعة النقود العربية وعلم النميات — القاهرة 1965 .
- عبد الحميد يونس — دكتور :
الهلالية في التاريخ وفي الأدب الشعبي — القاهرة 1956 .
- عبد الرحمن زكي — دكتور :
القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر انقائد الى الجبرتي المؤرخ .
القاهرة 1966 .
- عبد الرحمن بن زيدان : ت 1946 م :
اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ط 1 ، الرباط
1932 م .

- عبد الحميد العبادي :
- المجمل في تاريخ الأندلس** — القاهرة 1958 المكتبة التاريخية .
- ابن العبري — أبو الفرج غريغوريوس الملطي — ت 685 هـ — 1286 — 1287 هـ .
- تاريخ مختصر الدول** — نشره أنطون صالحاني — بيروت 1890 .
- ابن عبد الحكم — عبد الرحمن بن عبد الله القرشي ت 257 هـ — 870 — 871 م :
- فتوح مصر والمغرب** — القسم التاريخي — تحقيق ونشر عبد المنعم عامر — القاهرة 1961 .
- العبدري — محمد بن محمد بن علي بن مسعود — بدأ الرحلة سنة 688 هـ — 1289 م :
- الرحلة المغربية** — تحقيق ونشر أحمد بن جدو — مط . البعث . قسنطينة 1964 .
- عبد الفتاح عبادة :
- سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعناها في الاسلام** — مطبعة الهلال — بالجميلة 1913 م .
- عبد المنعم ماجد — دكتور :
- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر** . جزآن — القاهرة 1953 — 1955 .
- السجلات المستنصرية** — نشر وتحقيق — القاهرة 1954 .
- الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدى عليه** — القاهرة 1959 .
- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى** — بيروت 1966 .
- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر** — القاهرة — دار المعارف 1968 .
- مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي ط 2 ، 1964** .
- الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي** — بالاشتراك — القاهرة 1960 .

- عبد الله رجراجي وعلوش :
- فهرس المخطوطات العربية بالخرزاة العامة بالرباط** — باريس 1954 .
اشراف ليفي بروفنسال .
- عبد العزيز سالم — دكتور :
- المغرب الكبير ج 2** — العصر الاسلامي — القاهرة 1966 .
- عبد الجليل الطاهر — دكتور :
- المجتمع الليبي** — دراسات اجتماعية واقتريولوجية — بيروت
1969 .
- عبد الوهاب بن منصور :
- قبائل المغرب ج 1** — الرباط 1968 .
- ابن العديم — كمال الدين أبو حفص الحلبي — ت 660 هـ — 1261 —
1262 م :
- زينة الحلبي في تاريخ حلب** — تحقيق ونشر سامي الدهان — دمشق
1951 .
- ابن عذاري — أبو عبد الله محمد المراكشي — من علماء نهاية القرن
السابع بعد الهجرة 13 م .
- البيان المغرب في اخبار المغرب** — جزءان — ط . المناهل . بيروت
1947 — 1950 .
- عريب بن سعد القرطبي — كان موجودا سنة 331 هـ — 942 — 943 م :
- صلة تاريخ الطبري** — وهو الجزء 12 من كتاب تاريخ الامم للطبري —
ط . دار القاموس — بيروت .
- ابن عسكر — محمد بن علي بن مصباح . ت 986 هـ — 1587 — 1588 م
دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر
فاس 1309 هـ :
- ابن عساكر — أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت 571 هـ —
1175 م :
- تاريخ دمشق** . مجلد 2 من القسم الأول نشر وتحقيق صلاح المنجد
دمشق 1954 .

- العقاد — عباس محمود :
- فاطمة الزهراء — دار الهلال — القاهرة — دون ذكر تاريخ الطبع .**
- على ابراهيم حسن — دكتور :
- تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله — ط 2 القاهرة 1963 .**
- على باشا مبارك — ت 1311 هـ — 1893 م :
- الخطط التوفيقية الجديدة ج 1 . ط . بولاق 1306 هـ :**
- عمر بن محمد الكندي — كان موجودا في النصف الثاني من القرن الرابع بعد الهجرة .
- فضائل مصر — تحقيق ونشر ابراهيم احمد العدوي وعلي محمد عمر القاهرة 1971 .**
- عمارة اليمني — نجم الدين ابو محمد بن ابي الحسن — ت 569 هـ — 1174 م :
- النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية ج 1 ، تحقيق ونشر درنبورغ — باريس 1897 .**
- عمر كمال توفيق — دكتور :
- مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي — ط 2 ، القاهرة 1967 .**
- ابن العماد الحنبلي — ابو الفلاح عبد الحي ت 1089 هـ — 1678 — 1679 م :
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب — القاهرة 1951 م**
- العمري — ابن فضل الله : ت 749 هـ — 1349 م :
- مسالك الابصار في ممالك الامصار — نشر وتحقيق احمد زكي باشا ج 1 القاهرة 1924 .**
- عنان — عبد الله :
- الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية — القاهرة 1937 .**
- مصر الاسلامية وتاريخ الخطط — ط 1 ، القاهرة 1936 .**

— عياض اليحصبي — القاضي أبو الفضل السبتي — ت 544 هـ —
1149 م .

ترتيب المنارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك .
4 أجزاء في مجلدين نشر وتحقيق أحمد باكير محمود — بيروت
1967 ومنه استخراج محمد طالبي كتاب « تراجم أغلبية » .

— ابن غازي العثماني — أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المكناسي
ت 919 هـ — 1513 — 1514 م :

الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون — تحقيق ونشر عبدالوهاب
بن منصور — الرباط 1964 .

— الغبريني — أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ت 714 هـ — 1314—
1315 م :

عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية .
تحقيق ونشر ابن شنب الجزائر 1910 ط 2 ، بيروت 1971 .

— الغزالي : أبو حامد ت 505 هـ — 1111 م :

فضائح الباطنية — تحقيق ونشر عبد الرحمن بدوي — القاهرة
1964 .

— ابن غلبون — أبو عبد الله محمد بن خليل ت 1133 هـ — 1720 —
1721 م :

التذكار فيمن ملك طرابلس ، وما كان بها من الاخبار المسمى تاريخ
طرابلس الغرب . تحقيق ونشر الطاهر أحمد الزاوي . القاهرة
1930 .

— فؤاد سيد :

فهرس المخطوطات المصورة بالجامعة العربية — القاهرة 1959 .

— فازيليف :

العرب والروم — تعريب محمد عبد الهادي شعيرة — دار الفكر
العربي .

— فانيان :

فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الجزائر — باريس — 1893 م .

- الفتح بن خاقان – أبو نصر القيسى – ت بعد 529 هـ – 1134 –
1135 م .
- مطمح الأنفس ومسرح التانس في ملح أهل الأندلس . ط . الحوائب
القسنطينية 1302 هـ .
- أبو الفداء – عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد صاحب حماة
ت : 732 هـ – 1331 م :
- المختصر في أخبار البشر – ط 1 – الحسينية 4 أجزاء في مجلد
واحد – ثم طبع حديثا اعتمادا على الطبعة الأولى .
- ابن فرحون اليعمري – أبو الوفاء ابراهيم بن علي بن محمد – 799 هـ –
1396 – 1397 م :
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . ط 1 ، السعادة . القاهرة
1329 هـ .
- فلهوزن يوليوس :
- تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الأموية –
تعريب أبو ريده القاهرة 1958 .
- ابن الفقيه الهمداني أبو بكر أحمد بن محمد – ت بعد 290 هـ / 902 –
903 م
- مختصر كتاب البلدان – المكتبة الجغرافية ط ابريل – لندن
1967 .
- ابن قتيبة الدينوري – أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 276 هـ –
889 – 890 م .
- كتامة الامامية والسياسية . جزآن .
القزويني – زكرياء بن محمد – ت 682 هـ – 1283 م .
- آثار البلاد وأخبار العباد . ط . بيروت . دار صادر 1960 م .
- ابن القلانسي – أبو يعلى حمزة بن أسد – ت 555 هـ – 1160 م :
- ذيل تاريخ دمشق – تتلوه نخب من تواريخ الفارقي وابن الجوزي
والدهبي ط . بيروت 1908 تحقيق ونشر أمدروز .

- القلقشندي - أبو العباس أحمد بن علي - 821 هـ - 1418 م .
نهاية الأرب في معرفة انساب العرب - تحقيق ونشر ابراهيم
الابيارى ط 1 ، القاهرة 1959 .
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان - ط 1 ، تحقيق ونشر
ابراهيم الابيارى . القاهرة 1963 .
- صبح الاعشى في صناعة الانشا . ط حديثة مصورة عن الطبعة
الأميرية . دار الكتب 1915 م .
- ابن القيسراني الشيباني - أبو الفضل محمد بن طاهر ت 507 هـ -
1113 - 1114 م .
- كتاب الانساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط - وبه
تذييل لأبي موسى الاصفهاني - تحقيق ونشر دي جونج ط بريل -
ليدن 1865 م .
- كامل حسين - دكتور :
طائفة الاسماعيلية - المكتبة التاريخية - القاهرة 1957 .
في ادب مصر الفاطمية - ط 2 - القاهرة 1970 .
المجالس المستنصرية للداعي ثقة الامام علم الاسلام - سلسلة
المخطوطات الفاطمية دار الفكر .
- المؤيد في الدين داعي الدعاة الشيرازي .
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة .
- ابن كثير الدمشقي - أبو الفداء الحافظ - ت 774 هـ - 1372 -
1373 م .
- البداية والنهاية في التاريخ . 14 جزءا في 7 مجلدات . ط 1 ، بيروت
1966 م .
- الكرمانى - أحمد حميد الدين حجة العراقيين ت 411 هـ - 1020 -
1021 م .
- المصاييح في اثبات الامامة - تحقيق ونشر مصطفى غالب - بيروت
1969 .
- الرسالة الواعظلة في نفي دعوى الوهية الحاكم بأمر الله - نشر وتحقيق
كامل حسين - مجلة كلية الآداب . مجلد 14 لسنة 1952 .

- كراتشوفسكي — اغناطيوس — 1370 هـ — 1951 م :
- تاريخ الأدب الجغرافي** — القسم الأول — تعريب صلاح الدين عثمان هاشم — الإدارة الثقافية — القاهرة 1963 — 1965 .
- الكعك عثمان :
- مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 م إلى القرن 19 م** — معهد الدراسات العربية القاهرة 1958 .
- الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط** — القاهرة 1965 .
موجز تاريخ البربر — تونس .
- كزار ماريوس — دكتور :
- نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني** .
 الجزائر 1934
- الكندي — أبو عمر محمد بن يوسف ت 350 هـ / 961 م .
- كتاب الولاة والقضاة** — تحقيق ونشر روفي جست بيروت 1908 م
 ومنه استخرج إبراهيم العدوي مجموعة تراجم للولاة والقضاة في مصر في العصر العباسي (1)
- المؤيد في الدين** — داعي الدعاة الشيرازي — ت 470 هـ / 1077 —
 1078 م .
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة** — ترجمة حياته بقلمه — تحقيق ونشر كامل حسين القاهرة 1949 .
- لقبال موسى :
- الحسبة الذهبية في بلاد المغرب العربي** — نشأتها وتطورها — الجزائر . 1971
- المالكي — أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله — من مؤرخي المغرب في القرن 5 هـ / 11 م .
- رياض النفوس** ج 1 تحقيق ونشر حسين مؤنس — القاهرة 1951 .
- مبارك الملي — الهلالي :
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ط 2 — بيروت 1963 .

— أبو المحاسن — جمال الدين بن يوسف بن نغري بردي — ت 874 هـ /
1469 م .

النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة — ط . دار الكتب
1932 ، وط . حديثة مصورة عنها .

— المجيلدي — أبو العباس أحمد بن سعيد — ت 1094 هـ / 1682 — 1683 م
التيسير في أحكام التسعير — تحقيق ونشر موسى لقبال — بيروت
1970 .

— محمد بن عبد القادر الجزائري :

تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر — جزآن في
مجلد واحد ط 2 تحقيق ونشر مدوح حقي — بيروت 1964 .

— محمد بن الشحنة الحلبي — أبو الفضل :

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب نشره يوسف سركييس ط . بيروت
1909 .

— محمد النيفر :

عنوان الأريب عما نشأ بالملكة التونسية من عالم أديب — جزآن ط 1
تونس 1951 .

— مختار باشا : اللواء :

**التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية
والقبطية** — ط 1 ، بولاق 1311 هـ .

— محسن الأمين :

أعيان الشيعة — تحقيق ونشر ولده حسن الأمين — عدة أجزاء بيروت
1960 .

— ابن مريم — أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف المليتي التلمساني ت بعد
1014 هـ / 1605 — 1606 م .

البيستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان — تحقيق ونشر محمد بن
شنب — الجزائر 1908 م .

- مرتضى العسكري :
- ابن سبا – القاهرة .
- المسعودي – أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت 346 هـ / 957 –
958 م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر** – ط بولاق 1283 هـ و ط حديثة
مصورة عنها .
- ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد ت 321 هـ / 1030 م :
- تجارب الأمم** – تحقيق امدرود – ط القاهرة 1915 .
- مشرفة مصطفى مشرفة – دكتور :
- نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين** – ط 1 ، القاهرة 1948 .
- مصطفى غالب :
- اعلام الاسماعيلية** – بيروت 1964 .
- تاريخ الدعوة الاسماعيلية** – ط 2 ، بيروت 1965 .
- مفاخر البربر** – لجهول – الفها سنة 712 هـ – 1312 م .
- تحقيق ونشر ليفي بروفسال – الرباط 1934 – مطبوعات معهد
الدراسات العليا – المغربية .
- المقدسي – شمس الدين أبو عبد الله محمد – ت 387 هـ / 997 م .
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** – المكتبة الجغرافية ط ، بريل
ليدن 1967 .
- ومنه استخراج شارل بلا منتخبات بعنوان وصف المغرب .
- المقرئ – أبو العباس – ت 1041 هـ / 1631 – 1632 م .
- نفع الطيب من غصن الاندلس للطبيب وفي اخبار شاعرها لسان
الدين بن الخطيب** – ط دار المأمون 1936 ، ثم ط محي الدين
عبد الحميد .

- المقرزي — تقي الدين أحمد بن علي — ت 845 هـ / 1442 م .
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** — ج 1 ، تحقيق ونشر جمال الدين الشيال 1967 ، وج 2 ، تحقيق ونشر محمد علي حلمي — تحت رعاية لجنة احياء التراث الاسلامي — القاهرة 1971 .
- الخطط . ط ، حديثة في مجلدين — مصورة ثم ط ، القاهرة 1325 هـ .
- البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب** — تحقيق ونشر عبد المجيد عابدين — القاهرة 1961 .
- شذور العقود في ذكر النقود** — نشر تشن .
- اغاثة الامة بكشف الغمة** — ط دار ابن الوليد حمص — سوريا 1956 .
- ابن منجب الصيرفي — امين الدين تاج الرئاسة أبو القاسم علي — ت 542 هـ / 1147 م .
- الإشارة الي من نال الوزارة** — 1 — القاهرة 1924 .
- المنجد صلاح الدين — دكتور :
- مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة** — منتخبات — بيروت 1967 .
- المنياري — محمد حمدي — دكتور :
- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي** — القاهرة 1970 — دار المعارف .
- ابن منظور — جمال الدين ت 711 هـ / 1311 — 1312 م :
- لسان العرب** — ط حديثة مصورة عن ط بولاق — الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الموسوعة البصرة** — لمجموعة — بإشراف شفيق غربال — القاهرة 1965 .
- ابن ميسر — محمد بن علي بن يوسف بن جلب — ت 677 هـ / 1278 م .
- أخبار مصر** — ج 2 ، تحقيق ونشر هنري ماسية القاهرة 1919 .
- ميتز آدم :
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (هـ) ترجمة عبد الهادي أبو ريذة** — القاهرة 1940 .

- نبيلة ابراهيم – دكتورة :
- سيرة الاميرة ذات الهممة – القاهرة دون ذكر تاريخ الطبع .
- أبو النصر :
- تفريفة بني هلال – ط 2 – القاهرة 1960 .
- النشار – علي سامي – دكتور :
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام – ج 2 ، شاة التشيع وتطوره – ط 4
القاهرة 1969 .
- النعمان بن محمد أبو حنيفة (ت 363 هـ / 973 – 974 م) .
- الهممة في آداب اتباع الائمة – تحقيق ونشر كامل حسين – القاهرة
دون ذكر تاريخ الطبع .
- تربية المؤمنین أو تاویل دعائم الاسلام ، ضمن «منتخبات الاسماعيلية»
لعادل العوا – دمشق 1958 .
- الرسالة المنهبة – ضمن « خمس رسائل اسماعيلية » عارف تامر
سلمية 1956 .
- نقولا زيادة – دكتور :
- الرحالة العرب – سلسلة (1000 كتاب) بالقاهرة 1956 .
- نور الدين عبد القادر :
- صفحات في تاريخ مدينة الجزائر – نشره كلية الآداب جامعة الجزائر
1965 .
- النيسابوري – احمد بن ابراهيم – أواخر القرن 4 هـ / 10 م .
- استتار الامام – تحقيق ونشر ايفانوف . مجلة كلية الآداب – القاهرة
مجلد 4 ج 2 – ديسمبر 1936 .
- هويدى – يحيى – دكتور :
- تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية – ج 1 – في الشمال الافريقي
– القاهرة 1966 .

- هيرودوت – أبو التاريخ :
- تاريخه** – ج 1 تعريب حبيب افندي سيثرس – بيروت 1886 –
1887 م .
- الواقدي – محمد بن عمر – ت 207 هـ / 822 – 823 م .
- فتوح افريقية** – ط تونس 1315 هـ ، طبعة حديثة في جزئين على
على نفقة الصناديلي .
- الواسعي – عبد الواسع بن يحيى – من علماء القرن 14 هـ .
- تاريخ اليمن** (فرحة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن) القاهرة
1946 المطبعة السلفية .
- الورقلاني – أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم – ت 570 هـ / 1174 –
1175 م .
- الدليل لأهل العقول لباني السبيل بنور الليل** – تحقيق مذهب الحق
بالبرهان والصدق . مط البارونية 3 اجزاء في مجلد واحد ، القاهرة
1306 هـ .
- وداد القاضي :
- رسالة افتتاح الدعوة** – للنعمان – بيروت 1970 م . نشر وتحقيق .
- الورتيلاني – الحسين بن محمد ت 1193 هـ / 1779 – 1780 م .
- نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتيلانية**
– تحقيق ونشر محمد بن شنب – الجزائر ، مطبعة فونتانا 1908 م .
- ابن الوردى – أبو حفص زين الدين عمر – ت 749 هـ / 1348 – 1349 م .
- تاريخ ابن الوردى المعروف بتممة المختصر في أخبار البشر** – مط
الوهبية 1285 هـ
- الونشريسي – أبو العباس احمد بن يحيى التلمساني – ت 914 هـ /
1508 – 1509 م .
- العيار العرب والجامع المغرب في فتاوي اهل افريقية والانديس
والمغرب** – ط فاس 1314 – 1315 م ومنه استخرج هنري بريس ،
« المستحسن من البدع » .

- اليافعي – أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليمني – ت 768 هـ /
1366 – 1367 م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان – المعروف
بتاريخ اليافعي ط بيروت 1970 . 4 أجزاء .
- ياقوت الحموي ت 626 هـ / 1229 م :
معجم البلدان – ط 1906 .
- ارشاد الاديب الى معرفة الاديب (– معجم الادباء) ط ، القاهرة
1906 م .
- يحيى بن الحسين بن علي – ت 1100 هـ / 1688 – 1689 م :
غاية الاماني في اخبار القطر اليمني – تحقيق ونشر سعيد عبد الفتاح
عاشور ، مراجعة مصطفى زيادة – القاهرة 1968 .
- يحيى بن حمزة العلوي ت 745 هـ / 1344 م .
الافحام لافئدة الباطنية الطغام – تحقيق فيصل بدير عون ، ومراجعة
النشار – الاسكندرية 1971 .
- اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح – ت
284 هـ / 897 – 898 م .
- البلدان – ط . 3 النجف الاشرف 1957 .
تاريخ اليعقوبي : النجف 1358 هـ .
- اليمني – محمد بن محمد – كان موجودا في اواخر القرن 4 هـ / 10 م .
سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله
الى سجلماسة وخروجه منها الى رقادة – تحقيق ونشر ايفانوف
– مجلة كلية الآداب – القاهرة مجلد 4 ، ج 1 مارس 1936 .

ج - مراجع اجنبية

BASSET R.

Art Ketama — dans l'Incy — de l'Islam, p. 909.

BEL A.

La Religion musulmane en Berbérie. Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse. T I. Etablissement et développement de l'Islam en Berbérie du VII^{me} au XX^{me} siècle, Paris 1938.

BENACHENHOU A.

Hassan Ben Mohamed El Ouazzane dit Léon l'Africain, l'Algérie en 1515. Alger 1969.

BENCHENEB MOHAMED

Art. Ashir, EITIP 489-490. Ibn Muti. T II. P. 431.

CARRA DE VEAU B.

Art Dai. EITI. P. 918-919.

Cahen. (CL) Art. Ahdath EI. T. I p. 264 Nouvelle Edition 1965
COURTOIS Chri.

Les Vendales et l'Afrique. Paris 1955.

DACHRAOUI F.

La Captivité d'Ibn Wasul.

Le rebelle de sidjilmassad après le cadî An-Numan.

Cahiers de Tunisie, 1956. T IV. N° 15.

Tentative d'Infiltration, site en Espagne musulmane sous le règne d'Al Hakem Revesta Andalus. T 33, 1958.

DEMOMBINES G.

Art Aghlabides EI. T I. P. 185-186.

DIEHL et G. MARCAIS.

Histoire du Moyen Age. T. III, le Monde Orientale de 395 à 1081, Paris 1936.

CAHEN (C.L.).

Exposé de la Religion des Druzes, T I, Paris 1964.

Christomathie Arabe ou extraits de divers écrivains arabes tant en prose qu'en vers 3 V, Paris 1826-1827.

DE SLANE (Le Baron).

Histoire des Berbères et des Dynastie Musulmane de l'Afrique Septentrionale. Nouvelle édition publiée sous la direction de Paul Casanova. 4 V, Paris 1925.

DESPOIS (J.).

L'Afrique Blanche française. T I, l'Afrique du Nord. Paris 1949.

DOZY (R.).

Supplément aux Dictionnaires Arabes. 2 éditions, Paris 1927.

EVER (G.).

Art Djidjelli, E I T I. P. 1073-1074.

Art Bougie E I T I. P. 785-786.

Art Djerba E I T I. P. 1066-1068.

Art Bône E I T I. P. 761-762.

Art Zeb T 4. P. 1246-1247.

FERAUD (L.).

Histoire des Villes de la Province de Constantine, Bougie, Jijeli, Philippeville, Sétif, Constantine 1869-1875.

FYZEE (A.).

Art Al-Numan, E I T 3. P. 1019-1020.

GAUTIER E F.

Le Passé de l'Afrique du Nord, les Siècles Obscurs. Paris Payot 1942.

GABRIELLI (G.).

Manuale di Bibliographia Musulmana. Rome 1916.

HUART Cl.

Histoire des Arabes. T I. Paris 1912.

HOUTESMA M th.

Art Abu Abd-Allah. E I T I. P. 76.

IDRIS H. R.

Une des phases de la lutte du Malikisme contre Siisme sous les Zirides, Cahiers de Tunisie. T 4, N° 16, 1956.

La Berbérie Orientale sous les Zirides X - XII^{me} siècles. 2 Vol. Paris 1962.

La Chronique d'Abu Zakaryya (2 partie) traduction annotée. Revue Africaine T C V, 1961.

Encyclopédie de l'Islam, ancienne et nouvelle édition.

JULIEN Ch. A.

Histoire de l'Afrique du Nord. T 2. 2^{me} édition. Paris 1961.

LAROUÏ — A —

L'Histoire du Maghreb, un essai de Synthèse Paris 1970.

LEON L'AFRICAIN J.M. 944 H/1537.

Description de l'Afrique 2 Vol, nouvelle édition par E., Epaulard. Paris 1956.

LE TOURNEAU — R —

L'Occident Musulman du Milieu de VII^e siècle à la fin du XV^e siècle — Annales de l'Institut d'Etudes Orientale TX VI, 1958.

La Chronique d'Abu Zakaryya, al-Warglâni traduction annotée Revue Africaine T C V 1961.

LEVI PROVENÇAL — E —

Histoire de l'Espagne Musulmane 3 Vol. Paris 1950-53.

Art Zirides E I, T 4. P. 1299-1300.

Art Ziyani E I, T 4 P. 1269-70.

MARCAIS (G.).

Art Rustomides E I T 3 P. 1270-71.

Art Zenata E I T 4 P. 1270-71.

Art Les Rébats de Sousse et de Monastir, Cahiers de Tunisie T IV N 13. 1956.

MAGUED A.M.

Le personnel de la Cour Fatimide en Egypte, Annales, faculté des Lettres. Université d'Ain Chams Vol. 3. 1955.

De quelques juridictions Fatimides en Egypte. L'Egypte contemporaine n° 266 janvier 1960.

Art Al Hafiz, E I, nouvelle édition T 3 P. 56-57, Livraison 41-42.

MASQUERAY — E —

Chronique d'Abou Zakariyya livre des Beni M'Zab. Alger 1878.

MOTYLINISKI (A. de).

Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Fustemides de Tahert dans Les Actes du XIV^e congrès Internationale des Orientalistes. Alger 1905 3^e partie P 3 Sqq Paris 1968.

Art Abadites E I T 1 P. 3-4.

Art Abu — L. Khattab T 1 P. 98-99.

Abu Hatem T 1 P. 94-95.

MASSIGNON (L.).

Les Sept Dormant d'Ephèse en Islam et en Chritienté.

Revue des Etudes Islamiques année 1954.

NEGRE — A —

La fin de l'Etat Rustemides Revue d'Histoire et Civilisation du Maghreb n° 6-7 juillet 1969 - Alger.

PEARSON (J.D.).

Index Islamicus 1906-1955 Cambridge England 1958.

SAUVAGET.

Introduction à l'Histoire de l'Orient Musulman 2^e édition par Claude Cahen. Paris 1961.

TALBI — M —

L'Emirat Aghlabide, Histoire Politique. Paris 1966.

VONDERHEYDEN M.

La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benoû L-Arlab, Paris 1927.

WIET — G —

Histoire de la Nation Egyptienne, l'Egypte Arabe T 4 Paris, 1937.

YAHIA EL KHACHAB

Nasiré Hosrow, son voyage, sa pensée religieuse, sa philosophie et sa poésie (thème principale) Le Caire 1940.

ZABY M.H.

Les Tulumides, étude de l'Egypte Musulmane à la fin de IX^e siècle 868-905 Paris 1933.

د - الدوريات

- ابراهيم أحمد العدوي - دكتور :
الحمام الزاجل في العصور الوسطى - المجلة التاريخية المصرية مجلد
2 عدد 1 مارس 1949 .
- إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن 9 الميلادي - المجلة
التاريخية المصرية مجلد 3 عدد 2 - أكتوبر 1950 .
- تبادل الاساتذة بين الجزائر ومصر في القرن 15 م - مجلة كلية
الآداب جامعة الجزائر عدد 2 سنة 1970 .
- الاهواني - عبد العزيز - :
سيرة جوتز - صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مدريد مجلد 1 :
عدد 3 سنة 1955 .
- بدوي جلول :
ابن حماد الصنهاجي - مجلة الاصاله - وزارة التعليم الاصيلي -
الجزائر عدد 1 - مارس 1971 .
- ابن تاويت الطنجي :
دولة الرستميين اصحاب تاهرت - صحيفة معهد الدراسات
الاسلامية مدريد مجلد 5 عدد 1 - 2 سنة 1957 .
- التازي عبد الهادي :
تاريخ بناء جامعة القرويين - المجلة التاريخية المصرية مجلد 8 سنة
1959 . وانظر أيضا مجلة كلية الآداب - الاسكندرية مجلد 16
سنة 1962 .
- الامام داوود بن ادريس من خلال الوثائق - مجلة كلية الآداب -
الاسكندرية ، مجلد 15 ، سنة 1961 .

- جمال الدين الشيال — دكتور :
- نظام الوزارة في العصر الفاطمي** — مجلة الثقافة عدد 638 مارس 1951 .
- العلاقات الثقافية بين المغرب ومدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي**
مجلة كلية الآداب — الاسكندرية مجلد 15 سنة 1961 .
- حسن أحمد محمود — دكتور :
- محنة الشيعة في افريقية في القرن الخامس الهجري** — مجلة كلية الآداب — القاهرة مجلد 12 ج 2 ، ديسمبر 1950 .
- حسن أمين — دكتور :
- تاريخ العراق في العصر البويعي** — مجلة كلية الآداب — الاسكندرية مجلد 17 سنة 1963 .
- ح . ح . عبد الوهاب :
- قصة جزيرة قوصرة العربية** — المجلة التاريخية المصرية — مجلد 2 عدد 2 أكتوبر 1949 م أعماله بقلمه — حوليات الجامعة التونسية عدد 6 سنة 1969 .
- حسين مؤنس — دكتور :
- غارات النورمان على الاندلس بين 229 و 245 هـ** — مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مجلد 2 عدد 1 مارس 1949 .
- الجغرافية والجغرافيون في الاندلس** — صحيفة معهد الدراسات الاسلامية — مدريد مجلد 7 — 10 من 1959 — 1961 .
- الدشراوي فرحات :
- اقريطش في عصر المعز لدين الله** — وهو نص من نسخة خطية .
- للمجالس والمسائرات . توجد في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب — حوليات الجامعة التونسية عدد 2 سنة 1965 .
- زاهر رياض — دكتور :
- اتجاهات مصر الافريقية في العصور الوسطى** — مجلة كلية الآداب القاهرة ، مجلد 20 ، ج 1 ، سنة 1958 .

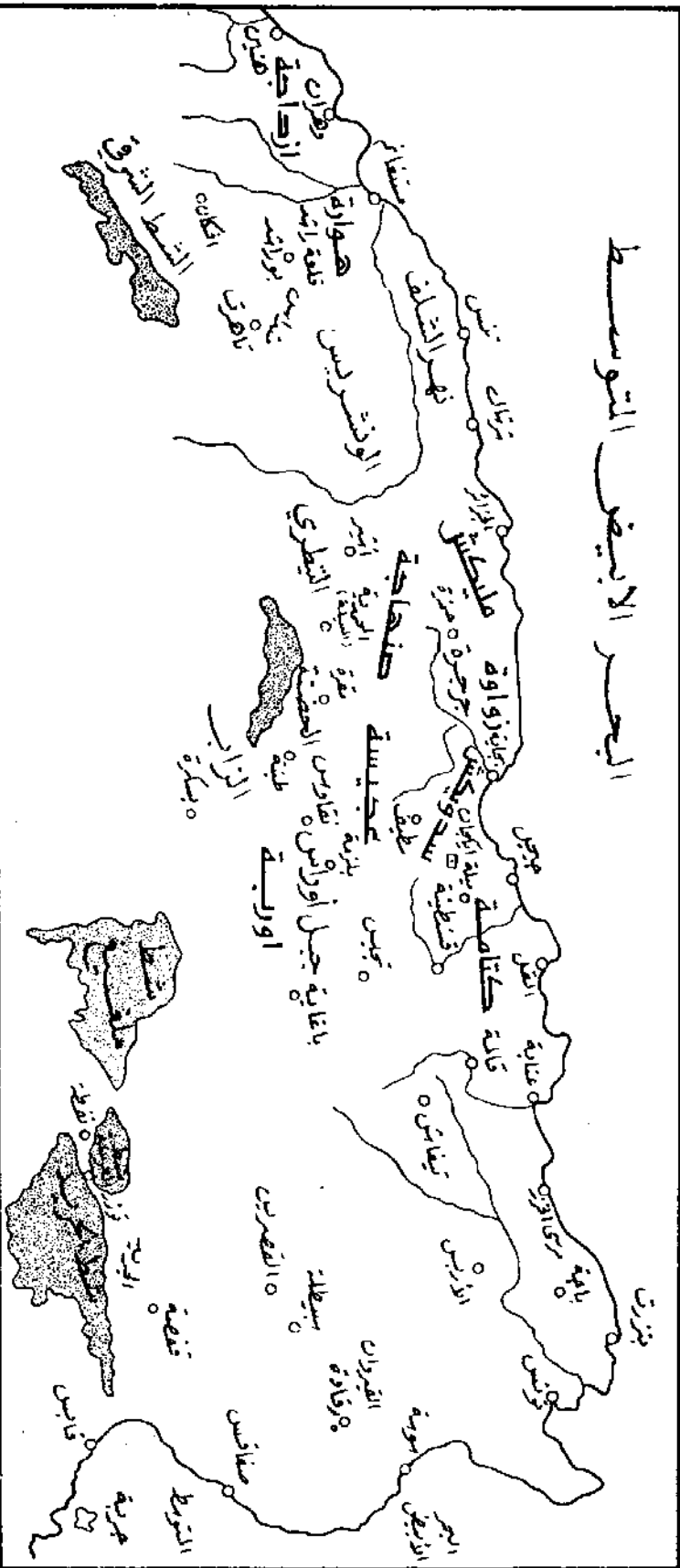
- سعد زغلول عبد الحميد — دكتور :
- فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية**
— مجلة كلية الآداب . الاسكندرية مجلد 16 سنة 1962 .
- سعد الله أبو القاسم : دكتور :
- علاج السفينة في بحر قسنطينة** — مجلة كلية الآداب الجزائر عدد
2 سنة 1970 .
- سعاد ماهر — دكتورة :
- جامع الاولياء بالقرافة الكبرى** — الاهرام 27 / 10 / 1971
- شعيره محمد عبد الهادي — دكتور :
- الممالك الحليفة ، وممالك ما وراء النهر والدولة الاسلامية الى
ايام المعتصم** — مجلة كلية الآداب — الاسكندرية مجلد 4 ، سنة
1948 .
- الشاذلي بويحي — دكتور :
- شعر ابن رشيق** — حوليات الجامعة التونسية عدد 6 سنة 1969 .
- عبد الوهاب حمودة :
- نظرية الأنساب في الميزان** مجلة كلية الآداب القاهرة سنة 1952 .
- العبادي مختار — دكتور :
- سياسة الفاطميين في المغرب والاندلس** — صحيفة معهد الدراسات
الاسلامية مدريد 1957 .
- عبد الرؤوف علي يوسف — دكتور :
- خزافون في العصر الفاطمي واساليبهم الفنية** — مجلة كلية الآداب
القاهرة مجلد 2 ج 2 ديسمبر 1958 .
- عبد العزيز سالم — دكتور :
- طرابلس الشام تاريخها وآثارها في العصر الاسلامي** — مجلة كلية
الآداب — الاسكندرية مجلد 16 لسنة 1962 .

- عبد الكريم حليم :
من هو مؤسس مدينة فاس – مجلة المغرب – عدد 2 – 7 ديسمبر
1967 .
- عبد المنعم ماجد – دكتور :
اهداف السياسة الحربية للفاطميين – مجلة المجاهد الثقافي –
عدد 7 الجزائر 1968 .
- اصل حفلات الفاطميين بمصر – صحيفة معهد الدراسات الاسلامية
مريد مجلد 2 سنة 54
- موقف المصريين من حكم الماليك في العصور الوسطى – مجلة كلية
الآداب جامعة عين شمس عدد 12 سنة 1969 .
- النقود الفاطمية حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس مجلد 2 ،
سنة 1953 .
- الغنيمي أبو الوفاء – دكتور :
الطرق الصوفية في مصر ، وفي آخره كتاب « الطرق الصوفية بالديار
المصرية للبكري » – مجلة كلية الآداب – القاهرة مجلد 25 ج 2
ديسمبر 1963 .
- محمود علي مكي – دكتور :
التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية – صحيفة
معهد الدراسات الاسلامية – مريد مجلد 2 سنة 1954 .
- تعليق حول : ثورة غلام العطار المعروف بالفصيح – صحيفة معهد
الدراسات مريد – مجلد 9 – 10 سنة 1961 – 1962 .
- محمد المنوني :
المصادر الذهبية في تاريخ المغرب – مجلة البحث العلمي عدد 10
السنة الرابعة يناير – أبريل 1967 عدد خاص – الرباط .
- محمد اليعلاوي :
قصائد لابن هانيء – لم تنشر – حوليات الجامعة التونسية عدد 6
سنة 1969 .
- محمد عبد الله ماضي – دكتور :
دولة اليمن الزيدية نشأتها وتطورها – علاقاتها – المجلة التاريخية
المصرية مجلد 3 عدد 21 مايو 1950 .

— المؤيد في الدين — داعي الدعوة الشيرازي — 470 هـ / 1077 —
1078 م .

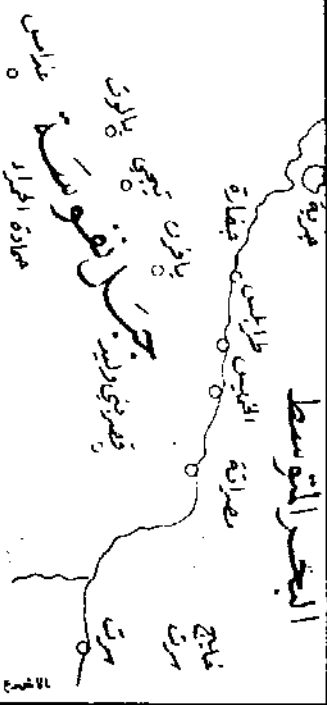
— سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة — ترجمة حياته بقلمه — تحقيق
ونشر كامل حسين القاهرة 1949 .

البحر الأبيض المتوسط

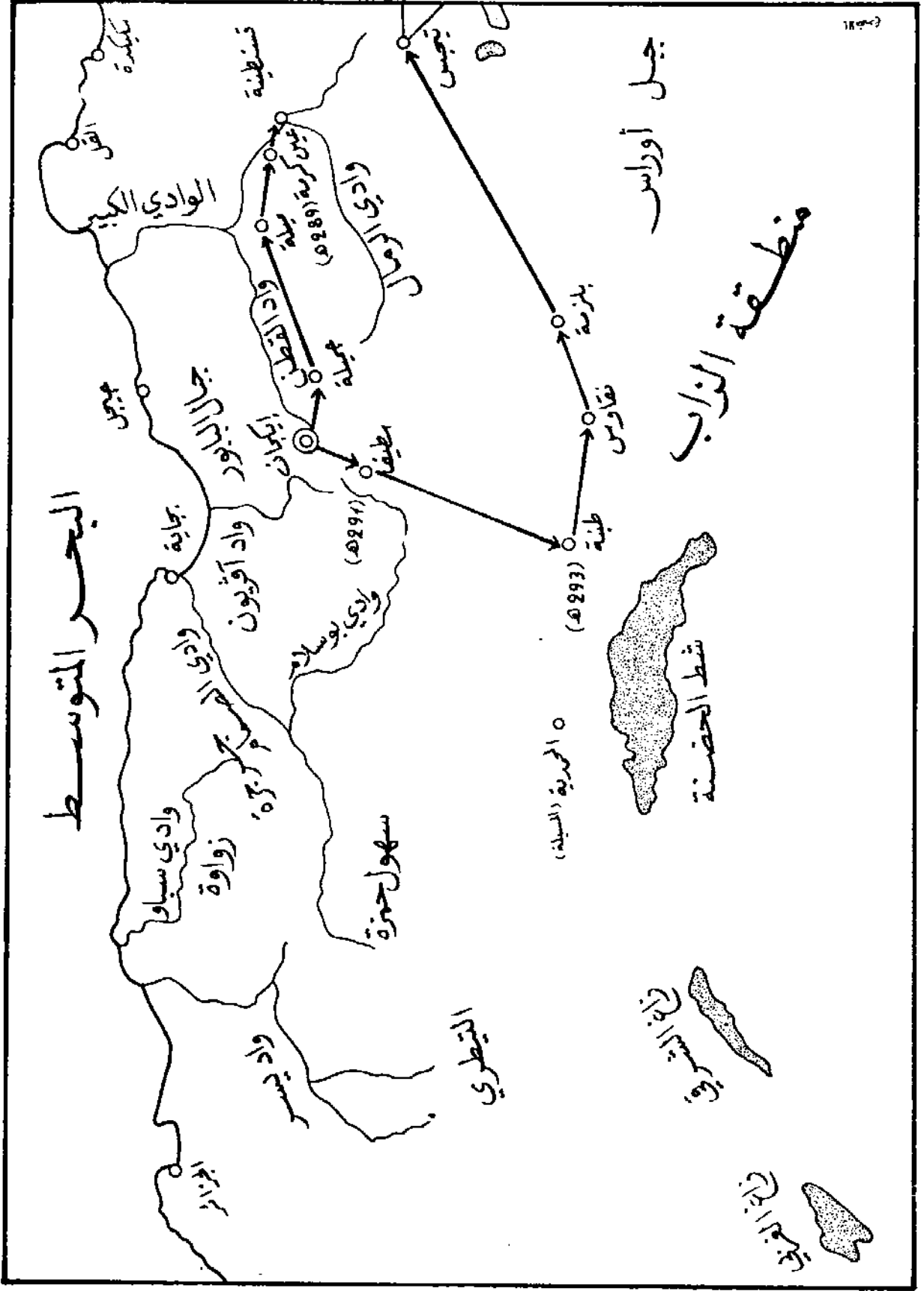


1 - خريطة

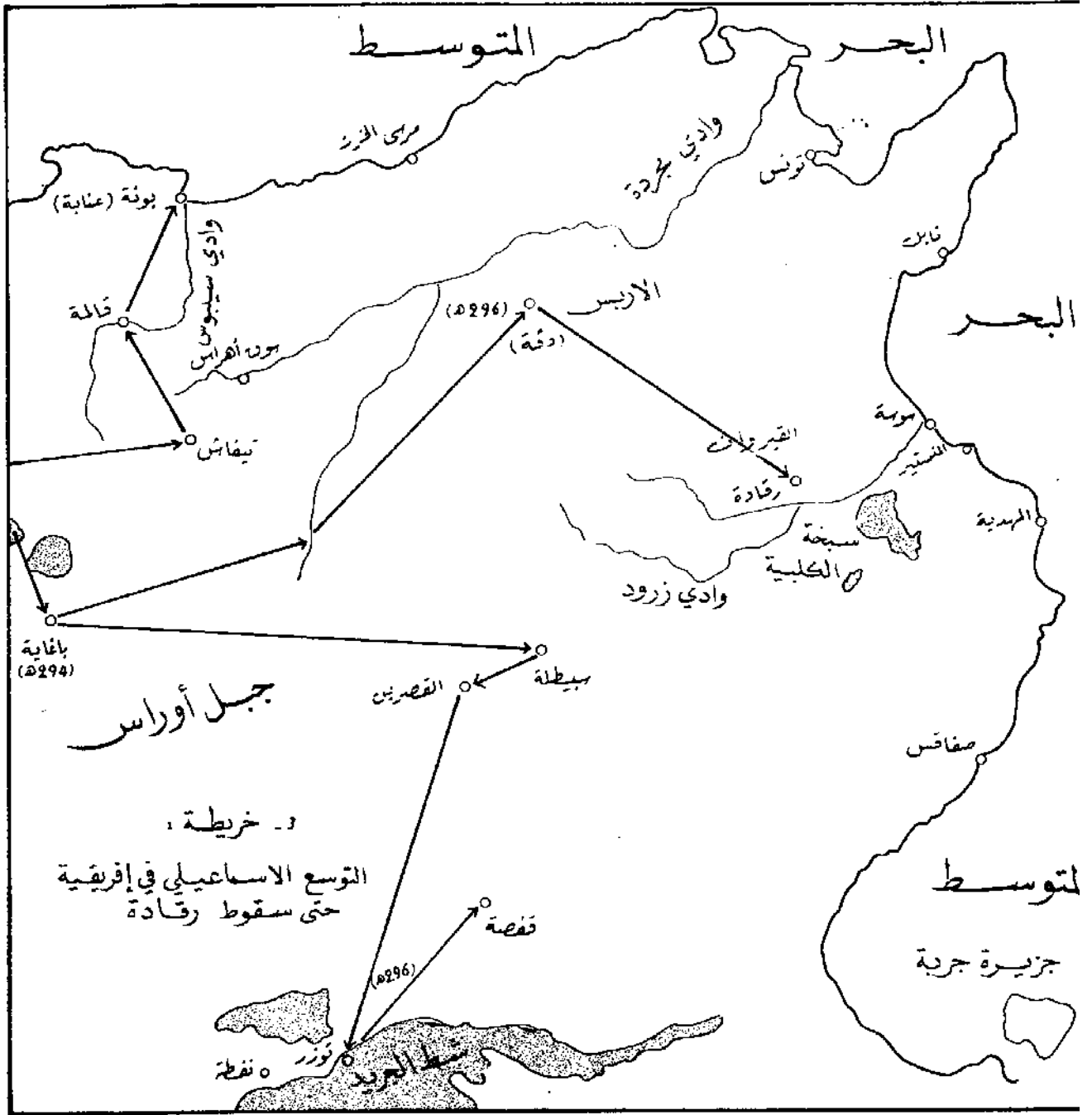
أهم قبائل فرع البرانس



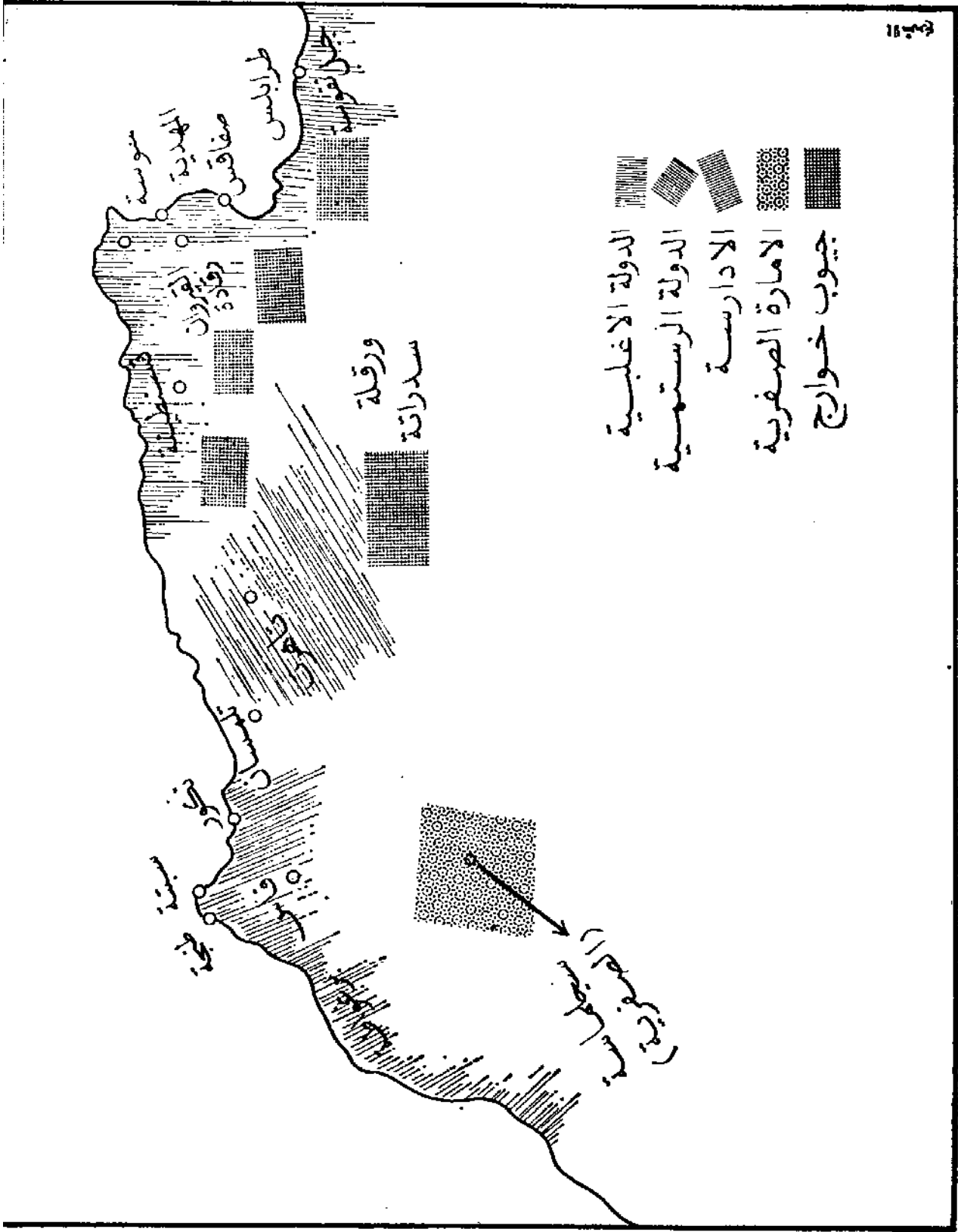
1 - خريطة : أهم قبائل فرع البرانس



2 - خريطة ، التوسيع الاستعماري من قاعدة إيكجان في إقليم الزاب



3 - خريطة : التوسع الاسماعيلي في إفريقيا حتى سقوط رقادة



4 - حواضر المغرب الاسلامي في القرنين 13 و 14 م

فهرس الأعلام

- ١ -

- أبراهيم بن أحمد : 16 - 154 - 189 - 190 - 220 - 224 - 225 - 227 - 288
- أبراهيم بن الاغلب : 188 - 189 - 297 - 298 - 299 - 300 - 301 - 303 - 309
- أبراهيم بن محمد البربري : 25 - 211
- أبراهيم بن ميمون : 134
- ابن ابراهيم (اسحاق) : 385
- ابن ابراهيم داود : 358
- ابن ابراهيم (فهد) : 507
- ابن ابراهيم الكلابي : (عبد العزيز) 479
- ابن أبي ثوبان : (أبو سعيد) 493
- ابن أبي راشد (سالم) : 32 - 393
- ابن أبي دينار : 39 - 177
- ابن أبي خنزير (الحسن) : 388 - 389 - 413 - 418 - 419 - 441 - 445 - 468
- ابن أبي الرجال : (أبو الحسن) 33 - 599
- ابن أبي زرع : 177
- ابن أبي سلام : (عمران) 492
- ابن أشنهو : 152
- ابن أبي الصارم : (شبيب) 298
- ابن أبي طالب : (جعفر) 465

- ابن أبي العافية : (موسى) 212 - 357 - 358 - 359 - 366 - 373 -
374 - 375 - 376 - 415 - 446 - 611
- ابن أبي عامر : (أبو زيد الكتامي) 131
- ابن أبي العرب : (محمد) 593
- ابن أبي عصفور : (سليمان) 412
- ابن أبي عقب : 229
- ابن أبي الفتوح : (يحيى) 516
- ابن أبي قنة : (رجاء) 301 - 404
- ابن أبي كدينة : (عبد العزيز) 599
- ابن أبي كناوة : (مهدي) 445
- ابن أبي مسلم : (يزيد) 182
- ابن أبي الملاحف : (عبد الله) 234
- ابن أبي المنهال : (اسحاق) 420 - 423 - 414 - 589
- ابن أبي المهاجر : (اسماعيل) 180 - 181
- ابن أبي لوليد : (أبو إبراهيم) 428
- ابن أبي يعلى : (أبو القاسم الشريف) 528 - 554
- ابن أبي اليقظان : 340
- ابن الأثير : 17 - 39 - 310
- ابن أحمد : (المنتصر) 534
- ابن أحمد : (أبو مالك حبش) 470
- ابن أحمد الضيف : 391 - 392 - 422
- ابن ادريس : (عمر) 373
- ابن ادريس : (عبد الله) 212
- ابن ادريس : (عيسى) 211
- ابن ادريس : (القاسم) 374

- ابن ادريس : (يحيى) 214 - 373 - 385
- ابن اسحاق : (ابو العباس خليل) 394 - 395 - 405 - 430 - 468
- ابن اسحاق الكوفي : (محمد) 589
- ابن اسحاق : (يعقوب) 397
- ابن الاصم الاجاني : (ابو يحيى) 246
- ابن افلح : (ابو اليقظان) 338 - 341
- ابن افلح : (ابو بكر) 337 - 338
- ابن افلح : (هرون) 327
- ابن افلح : (يعقوب) 338
- ابن الياس : (عبد الرحمن) 511 - 553
- ابن الانبري : 148 - 176
- ابن باديس : (عبد الحميد) 91
- ابن بحر : (احمد) 424
- ابن بدر : (هلال) 470
- ابن البديل : (محمد) 230
- ابن البرذون الضبي : (عبد الملك) 412 - 419
- ابن بركاس : (سهل) 256
- ابن البريد : (ابو القاسم) 226 - 595
- ابن بطريفة : 420
- ابن بكار : (عوصلة) 409
- ابن بلكين : (المنصور) 149 - 372
- ابن بهلول : (ابو اسحاق) 352
- ابن تميم التميمي : (تمام) 189
- ابن تميم الكتامي : (محمد) 513
- ابن تميم : (حي) 264 - 285

- ابن ثعبان : (سند الدولة - الجميلي) 485
ابن ثعبان : (سديد الملك) 561
ابن الجارود : 187 - 188
ابن الجراح : (دقفل) 555 - 556 - 557 - 559
ابن جرير : 198
ابن الجزائر : (احمد) 29 - 421
ابن الجسطار : (احمد) 548
ابن جعفر الحسني : (ابو الفتوح) 465 - 559
ابن جواس : (حميدان) 555
ابن الجوزي : 24
ابن حاتم : (يزيد) 186
ابن الحبحاب : (عبد الله) 182
ابن حبشي : (ابراهيم) 193 - 277 - 279 - 281 - 282 - 283 - 294
ابن حبوس الكناسي : (مصاله) 345 - 352 - 353 - 363 - 365 - 374
ابن حبوس : (يصل) 354 - 357
ابن حبيب الفهري : (عبد الرحمن) 185 - 188
ابن حبيب : (جعفر) 593
ابن حبيب : (نصر - الهلبي) 178
ابن حجر : (علي) 224
ابن الحداد : (ابو سعيد عثمان) 412 - 414 - 415 - 416 - 418 - 419
ابن حديج : (معاوية) 223
ابن حرب الكندي : (الحسن) 185
ابن حزر : 27 - 35 - 114 - 117 - 203
ابن الحسن : (احمد) 397 - 398
ابن الحسن : (عبد الله) 196

- ابن حفص : (عمر هزارمرد) 183
 ابن حفص : (محمد) 420
 ابن حفصون : (عمر) 381 – 341
 ابن حماد : (ابو عبد اله) 430 – 203
 ابن حمدان : (حامد اللوزي) 515 – 442 – 374
 ابن حمدان : (ناصر الدولة) 534 – 530
 ابن حمدون : (يحيى بن علي) 430 – 377 – 362
 ابن حمدون : (جعفر بن علي) 456 – 379 – 362
 ابن حنبل – القيرواني : 419
 ابن الحنيفة : (ابو هشام) 199
 ابن حوشب : 204 – 205 – 222 – 224 – 230 – 234 – 239 – 242
 ابن حوقل النصيبي : 26 – 28 – 81 – 104 – 117 – 120 – 348
 ابن حيان : (جابر) 197
 ابن حيان : (سعادة) 474 – 484 – 497 – 536 – 611
 ابن حيان : (محمد) 423
 ابن حيدرة : (ابو الحسن عبد الواحد) 567
 ابن حيدرة : (حصن الدولة معلي) 574 – 569 – 567 – 566
 ابن حيران : (فرج) 264 – 258 – 146
 ابن الخامي : 391
 ابن خزر : (عبد الله) 355
 ابن خزر : (محمد) 220 – 349 – 350 – 351 – 355 – 356 – 357
 430 – 378
 ابن خزر : (الخير) 359
 ابن خزون : (وانودين) 371

- ابن الخطيب : 40 - 166
 ابن خلاد : (أبو ريده) 424
 ابن خلدون : (عبد الرحمن) 16 - 23 - 37 - 55 - 62 - 67 - 444
 ابن خلكان : 20 - 455 - 482
 ابن خليفة اسحاق : 355
 ابن خليفة الملياني : (يحيى) 409
 ابن خبرون : (أبو جعفر محمد) 378 - 418
 ابن الدلقية : 509
 ابن ومرزوم : (كريم) 190 - 225
 ابن مرزوق : (كريم) 190 - 225
 ابن دقماق : 39 - 518
 ابن ذلال : (عبد الله) 492
 ابن رجال البغائي : 439
 ابن رستم : (عبد الرحمن) 183 - 333
 ابن رستم : (عبد الوهاب) 333 - 334
 ابن رسول : 31 - 97
 ابن رمضان : (محمد) 220-228
 ابن روح : (الفضل) 187
 ابن الزبير : 174-175-176
 ابن سبأ : (عبد الله) 200
 ابن سحنون : (أبو سعيد) 412
 ابن سعيد : (فلفل) 409-594
 ابن سلمان : (أبو جعفر) 251 - 295
 ابن سلمان الداعي : (علي) 207 - 408
 ابن سلمى : (أبو عبد الله يحيى) 284-349

- ابن سليمان المكناسي : (منيب) 425
ابن سماك المهداتي : (حماس) 270
ابن سهل : (احمد بن بكر) 375
ابن شراره : 545
ابن الشمي : (القسنطيني) 132
ابن شهرين : (احمد) 424
ابن الشيخ : (ابو الفتح) 567
ابن صالح : (شكر) 183
ابن صالح : (الفضل) 495 - 568
ابن الصانع : (عبد الله) 270-272-293-307-308-309
ابن صفوان الكلبي : (حنظله) 294
ابن الصمصامة : (ابو عبد الله) 566
ابن الصمصامة : (جيش) 22-503-504-505-506-557-570
ابن صولات : (او حميد دواس) 345-346-445
ابن صنبارة (ماكنون) 245-257-259-301-406
ابن طاهر الحسيني : (عبد الله) 479
ابن طالوت القرشي : 408
ابن الطيني (ابراهيم) 444
ابن الطيني : (هرون) 286 - 288
ابن طفج : (احمد) 460
ابن طفج : (الحسن بن عبيد الله) 465 - 470 - 472 - 525 - 533
ابن طولون : (العباس بن احمد) 33-337-474
ابن طيب : (احمد بن يحيى) 419
ابن ظافر : 19-20
ابن العاهة : (محمد بن ابي ايوب) 419

- ابن العباس : (موسى) 258-248
- ابن عبد السلام : (عز الدين) 135
- ابن عبد الله : (يحيى) 198
- ابن عبد الله (يخلف) 507
- ابن عبد الله : (يوسف) 590
- ابن عبد الملك : (سليمان) 369
- ابن عبدون : (محمد) 227
- ابن عبدون : (منصور) 571
- ابن عبيد الله : (عبد الله) 539
- ابن العجوز : (عبد الرحيم الكتاحي) 131
- ابن العجوز : (عبد الرحمن) 165-33
- ابن عذاري : 272-190-180-179-77-36-35-24-22-21
- ابن عزة : (سليمان) 307-479
- ابن عسلوجه : (أبو حبيب جعفر) 151
- ابن عصودا : (محمد) 536
- ابن عصور : (اسحاق) 536
- ابن عطاء : (واصل) 207
- ابن عطاء الله : 454
- ابن علي (الحاجب جعفر) 327
- ابن علي : (حمزة) 510
- ابن علي : (ريحان) 374
- ابن علي الكبي : (الحسن) 380
- ابن عليان : (سنان - البناء) 561
- ابن عمار الكلبي : (الحسن) 500-499-497-495-488-474-397 - 503

- ابن عمار : (جمال الدين) 38
 ابن عمر : (يحيى) 230
 ابن غازي (ابراهيم) 424
 ابن غزوي : (ابو عبد الله) 129
 ابن غلبون : 22
 ابن قائد الزواوي : (نصر) 137
 ابن الفرات : (ابو الفضل جعفر) 484-482-476-465
 ابن فروخ اللهيصي : (ابو مدين) 468-445-442-407
 ابن فروخ الطبني : (الاحرب احمد) 313
 ابن الفضل : (علي) 239-235-205-204
 ابن فطيس : (عيسى) 384
 ابن الفقون : (ابو علي) 132
 ابن فلاح : (ابراهيم) 569-540
 ابن فلاح : (جعفر) 504 - 490 - 485 - 477 - 474 - 456
 508 - 526 - 535 - 537 .
 ابن فلاح (صفي الدولة) 561
 ابن فلاح : (علي بن جعفر) 569 - 567 - 508 .
 ابن فندين : (يزيد) 333
 ابن القاسم : (المسالتي جبر) 493 - 485 - 454 .
 ابن القاسم : (يحيى) 373 .
 ابن قتيبة : 35 - 177 - 178 - 179 - 180 .
 ابن القديم : (عبد الله) 588 - 439 - 405 .
 ابن القرلين : (محمد القرشي) 405 .
 ابن قرهب : (احمد بن زيادة اله) 391 - 390 .
 ابن القطان الكتامي : (ابو علي) 412 - 130 - 129 .
 ابن القمودي : (ابو بكر) 423 - 412 - 315 .

- ابن قنفل : 176 .
- ابن قنون : (الحسن) 386 - 387 .
- ابن كافي : (سليمان الخادم) 468 - 471 .
- ابن كامل : (مقلد) 563 .
- ابن كثير الدمشقي : 20 .
- ابن الكحالة : (ربيع بن سليمان) 423 .
- ابن كرادليس : (منصور) 567 .
- ابن الكلاعي : (محمد) 412 - 419 .
- ابن الكلبي : 79 - 95 .
- ابن كلس : (يعقوب) 19 - 465 - 485 - 492 - 513 - 522 - 591 .
- ابن كليب المجاني : (عبد الله) 299 - 467 .
- ابن كليد : (جعفر) 562 - 563 - 587 .
- ابن كناوة : (مهدي) 254 - 255 .
- ابن كيداد : (أبو يزيد مخلد النكاري) 70 - 343 - 356 - 412 - 426 - 428 - 432 .
- ابن ليون الدنهاجي : 485 .
- ابن لقمان الكتامي : (علي) 408 .
- ابن ليفه (حبيب) 299 .
- ابن مازيغ (بر) 79 .
- ابن الماورد : (علاء) 547 - 548 - 564 .
- ابن محمد : (عبد الله) 590 - 591 .
- ابن محمد الكتامي : (موسى) 355 .
- ابن مرداس : (ثمال بن صالح) 651 .
- ابن مرزوق : (شمس الدين) 137 .
- ابن مرزوق : (الكفيف) 13 .

- ابن مرزوق : (محمد بن ابي بكر) 71 .
- ابن مسلمة الصدفي : (ابو يوسف جبله) 421 - 422 .
- ابن مصالة : (منهل) 358 .
- ابن مصال اللكي : 516 .
- ابن المضاء : (يعقوب) 227 .
- ابن معارك : (تمام - ابو زكي) 945 - 403 - 404 - 441 - 445 - 257 - 316 .
- ابن المعتز : (المنتصر بن محمد) 365 .
- ابن المعتصم المنجم : 260
- ابن المعز : (يحيى بن تميم) 605 .
- ابن المغربي : (ابو الفرج) 559 .
- ابن مفرج : (ابو علي حسن) 419 .
- ابن مفرج : (ابن القاسم الحسن) 420 .
- ابن مفرج : (حسان) 540 - 556 - 561 .
- ابن مفلح : (حميد) 492 .
- ابن مليكة : (ابو علي الحسن) 133 .
- ابن ملهم : (ابو الجيش حامد) 572 .
- ابن ملهم : (مكين الدولة) 563 .
- ابن المنبت : (العجل) 272 .
- ابن المنذر : (ابو عبد الله) 187 - 188 .
- ابن منزو : (معلى بن حيدرة) 24 - 524 - 573 .
- ابن منصور : (عبد الوهاب) 118 .
- ابن منصور الحفصي : (خلف بن معمر) 423 .
- ابن منظور : 97 .
- ابن المهدي : (احمد) 356 - 480 .

- ابن يمران : (أبو صالح جنون) 342 .
- ابن يوسف : (جعفر) 400 .
- ابن يوسف : (الملاحى) صدقة 273 .
- ابن يوسف : (أبو داوود حياصة) 406 .
- ابن يونس : (محمد) 245 .
- ابن يونس : (محمد) 245 .
- ابن يونس : (هرون) 245 - 264 - 275 - 283 - 412 - 416 - 439 .
- أبو ابراهيم : (ابن موسى) 259 .
- أبو البقاء : (خالد) 137 .
- أبو بكر الصديق : 413 - 414 - 419 - 427 - 428 - 496 - 572 .
- أبو بكر المالكي : 33 .
- أبو البيان الصقلبي : 512 .
- أبو جعفر الخراساني : 478 .
- أبو جعفر المنصور العباسي : 195 - 207 .
- أبو حاتم يوسف : 338 - 340 .
- أبو حشمة : 319 .
- أبو الحسن علي : 130 - 164 - 472 .
- أبو حيون : 240 .
- أبو الخطاب : 335 .
- أبو طاهر اسماعيل : 462 - 496 .
- أبو الطاهر بن باريس : 603 .
- أبو الطاهر الزهلي : (القاصي) 477 .
- أبو العباس عبد الله : 190 - 225 - 257 - 261 - 262 - 263 - 268 - 283 .
- أبو عبد الله الشيعي : 31 - 36 - 93 - 121 - 189 - 193 - 201 .

- 416 – 403 – 282 – 234 – 131 – 224 – 222 – 220 – 218 –
 . 500 – 590 –
 . أبو العرب تميم : 428 – 427 – 220 – 412 – 32
 . أبو العزم الكتامي : 591 .
 . أبو عمران الفاسي : 599 – 33
 . أبو الفداء – مؤرخ : 481 – 243 – 24
 . أبو حنيفة النعمان : 16 – 15
 . أبو حيون : 220
 . أبو الخير الداعي : 414 – 385 – 381 – 383 – 380
 . أبو ركوة : 572 – 508
 . أبو زرارة : 471
 . أبو زرجونة : 187
 . أبو زكرياء : 624 – 133 – 24
 . أبو زيد القيرواني : 131
 . أبو العباس المهدي : 198
 . أبو عبد الله محمد بن أبي العباس 259
 . أبو سفيان الحسن بن القاسم : 221 – 219 – 218 – 217 – 21
 . 242 – 239 – 237 – 235 – 234
 . أبو الفرح الاسماعيلي : 592 – 586 – 205
 . أوفريدن : 467 – 443
 . أبو الفهم الخراساني : 592 – 591 – 591 – 590
 . أبو القاسم الزباني : 50 – 49
 . أبو قضاة : 230
 . أبو مجدل : 301
 . أبو المحاسن : 23

- أبو محمود ابراهيم : 566 – 549 .
 أبو مدين اللهيصي : 301 – 295 – 108 .
 أبو مدين : 86 .
 أبو المسك الاستاذ : 472 – 456 .
 أبو مسلم منصور بن اسماعيل 298 – 270 .
 أبو مضر زيادة الله : 303 .
 أبو المقارع حسن . . بن نافذ : 313 – 285 – 283 .
 أبو اليسر الشيباني : 324 – 307 .
 الأجدع : (أبو الخطاب – الاسدي) 267 – 197 .
 الاحول : (أبو عبد الله) 275 – 268 – 266 – 265 – 264 – 263 .
 . 283 – 277 –
 الادريسي : (الشريف) 142 – 127 – 104 – 91 – 28 – 26 – 25 .
 . 219 – 149 –
 ارشيبالد : 602 – 580 – 579 .
 اسماعيل بن جعفر الصادق : 203 – 201 – 200 .
 اسماعيل العلوي : (سلطان) 202 – 130 – 78 .
 افتكين : 570 – 556 – 555 – 542 – 541 – 503 – 495 – 484 .
 افريقش : (بن قيش) 96 – 50 .
 افلح بن عبد الوهاب : 337 – 336 – 76 .
 باسيل الثاني المقدومي : 562 .
 الباهري : (القاضي الشريف) 594 – 593 .
 بختيار البهويهي : (عز الدولة) 534 .
 ابن بدر الجمالي : (الافضل) 574 – 573 .
 الاغلب بن سالم : ... 185 .

— ب —

- برجوان الصقلبي : 502 — 503 — 504 — 505 — 506 — 550 — 586 .
- بروفنسال : (ليفي) 447 .
 - البساسيري : 586 .
 - البطال : (محمد) 175 .
 - بطليموس القلوذي : 195
 - البغدادي : (أبو الفضل محمد) 603 .
 - أم عبيد الله المهدي : 313 .
 - أم موسى (بنت الحوائي) 220 .
 - الاوربي : (أبو ليلي اسحاق) 207 .
 - أنو شتكين الذبري : (منتج الدولة) 1562 .
 - أنوجور : (أبو القاسم) 472 .
 - الايادي : (علي) 230 .
 - اينال الطويل : 506 — 508 .
 - باديس : (أبو مناد) 29 — 44 — 372 — 593 — 593 — 594 .
 - باديس بن وريري : 589 .
 - باديس بن المنصور : (أبو مناد) 409 .
 - بارختكين : 505 — 558 .
 - بكجور : 550 — 555 — 557 .
 - البكري : (عبيد الله) 27 — 69 — 77 — 91 — 118 — 142 — 143 .
 - بلكين زيري 66 — 70 — 122 — 361 — 362 — 370 — 409 — 456
 - 583 — 587 — 590 .
 - البلوطي : (منذر بن سعيد) 384 .
 - الباوري : (زهير بن قيس) 176 — 291 .
 - البلوري النحاس : (أحمد) 424 .

- بومبي : (جنايوس) 170 .
- البوني : (ابن علي القطان) 139 .
- بيان بن صقلاب : (علي) 248 - 249 .
- بيبرس الدوادار : 20 - 251 .

- ت -

- التسولي : (أبو الفتح) 375 .
- أبو منصور تكين : 468 - 469 - 470 .
- التميمي : (أبو الفضل محمد) 601 - 603 .
- التميمي : (النعمان) 22 - 413 .
- التميمي : (هشام بن الربيع) 419 .
- توران شاه الأيوبي : 523 .
- تيودور : (امبراطور) 565 .

- ث -

- الثعالبي : 23 .

- ج -

- الجرجاني : (أبو القاسم) 512 - 562 - 602 .
- جرجير : 297 .
- الجزري : (أبو جعفر) 313 .
- الجزولي : (عبد الله بن ياسين) 371 .
- جعفر الحاجب : 40 - 322 - 392 .
- جعفر الصادق : 196 - 197 - 200 - 201 - 203 - 204 - 214 - 217 - 223 - 224 .
- الجناوني : (أبو عبيدة) 336 .
- جني الصفواني : 470 .

- جوزر الصقلي ، الاستاذ : 112 - 356 - 431 - 446 - 455 - 456 - 480 - 468 .
- الجوزري : (ابو المنصور العزيزي) 447 .
- جوليان : (شارل) 64 - 170 - 183 .
- جوهر الصقلي : 20 - 21 - 367 - 373 - 376 - 377 - 450 - 474 - 485 - 486 .

- ح -

- الحاضلي : (أبو الفضل جعفر بن علي) 327 .
- الحاكم بأمر الله : 22 - 24 - 29 - 494 - 499 - 542 - 558 - 567 - 594 .
- الحجام : (الحسن بن محمد) 385 .
- حريث الجيملي : 250 .
- حسان بن النعمان : 173 - 176 - 293 .
- الحسن بن سليمان بن علي 209 .
- الحسن بن علي بن أبي طالب : 194 - 197 - 198 - 202 .
- الحسن : (ادريس بن ادريس) 208 .
- الحسن : (ادريس بن عبد الله) 198 - 199 - 207 .
- الحسين بن علي بن أبي طالب : 194 - 198 - 202 - 326 .
- الحسين الكلبي (الحسن بن علي) 395 - 396 - 397 - 398 .
- الحلواني : 193 - 220 - 221 - 234 - 235 - 237 - 239 - 241 - 242 .
- حماد بن بلكين : 70 - 71 - 600 - 601 .
- حمزة الهادي : 23 .

- خ -

- ختكين الراعي الضف : 53 - 572 .
- خسرو : (ناصر) 29 .
- الخشني : 32 .

- . خنزير : (الحسن بن أحمد) : 246 .
- . الخولاني : (أبو بكر أحمد) 599 - 600 .

- د -

- . الدباغ : (عبد الرحمن) 33 - 415 .
- . الدرجيني : 24 - 186 .

- ذ -

- . ذككا الاعور : 468 - 469 .
- . الذهبي : 22 .

- ر -

- . رشيق الحمداني : 498 .
- . الرقادي : (محمد) 412 .
- . الرقيق القيرواني : (إبراهيم) 10 - 21 - 29 - 176 - 177 .
- . روجر ، ملك : 26 .
- . روند : (امرأة) 313 - 314 .
- . ريحان الكتامي : 442 .

- ز -

- . زاوي بن زيري : 140 - 599 .
- . الزبيدي : (إبراهيم بن اسحاق) 235 .
- . زروال بن نصر : 585 .
- . زيادة الله : 16 - 193 - 258 - 259 - 263 - 269 - 171 -
- . 273 - 274 - 275 - 277 - 279 - 281 - 283 - 290 .
- . زيد بن علي : 195 - 207 .
- . زيدان : (مولى القائم بأمر الله) 471 .
- . زيري بن مناد : 362 - 364 - 456 .

— س —

- ساس : (سلفستردى) 24 .
- السبائي : (أبو اسحاق) 427 .
- ست الملك : 510 – 595 .
- ستيوس : 170 .
- السرديغوس : 393 – 396 .
- سعدون الورييني : 230 .
- السكتاني : (صولات) 299 .
- سكرديد بن زوفي : 173 .
- السلاوي (أبو العباس) 177 .
- السمعاني : 67 – 133 .
- السيوطي : (جلال الدين) 20 – 31 .

— ش —

- شاور بن مجير السعدي : 522 .
- شبيب بن أبي شداد : 280 .
- الشذوني : (محمد) 419 .
- شرقاوي : (عبد الله) 483 .
- الشماخي : 25 .

— ص —

- صابر الفتى : 393 .
- الصديني : 270 .
- الصفار : (علي) 412 – 423 .
- الصليحي : (علي) 513 .
- الصغاني : 231 – 270 – 289 – 319 .
- الضيف : (أبو سعيد) 420 .

- ط -

- طارق بن زياد : 8 - 119 .
- الطائع : (الخليفة العباسي) 547 .
- الطبري : 19 - 22 - 79 - 95 .
- الطوزي : (أبو القاسم) 420 .

- ظ -

- الظافر : 516 .
- الظاهر لاعزاز دين الله : 512 - 513 - 561 - 572 - 595 .
- العاقد : (خليفة) 517 .
- عبد الرحمن الناصر ، الأموي : 353 - 377 - 381 .

- ع -

- عبد الوهاب : (حسن حسني) 226 - 402 .
- العبدري : 150 .
- عبدويه : (عبد الله بن الجارو) 187 .
- عثمان بن عفان : 83 - 84 - 174 - 419 .
- العذري : (أحمد بن عمر) 27 .
- عرويه بن يوسف الملوسي : 257 - 288 - 301 - 309 - 311 - 313 -
- 404 - 406 - 435 - 438 - 439 .
- العزير بالله : 399 - 485 - 490 - 493 - 541 - 557 - 588 -
- 590 - 593 .
- عسلوج بن الحسن الدنهاجي : 454 - 484 - 492 - 493 - 507 .
- العشماء : (إبراهيم بن محمد) 427 - 428 .
- عضد الدولة بن بويه : 549 .
- عطاف الأزدي : 395 .
- عقبة بن نافع : 172 - 175 - 176 - 180 .

- العلاء بن سعيد : 187 - 188 .
- علي بن أبي طالب : 83 - 84 - 195 - 200 - 205 - 208 - 225 .
- علي بن أبي طالب : 315 - 413 - 427 .
- علي الرضا : 199 .
- عمر بن الخطاب : 415 - 419 - 472 .
- عمر بن العاص : 76 - 105 .
- عياض اليعصبى (قاض) : 23 - 33 .
- عبدوس : (مؤذن) 420 .
- العيني : 22 - 24 .

- غ -

- غالب : (مصطفى - الصقلبي) 443 - 446 .
- الغبريني : (أبو العباس) 30 - 132 - 133 .
- الغزالي : (أبو حامد) 35 .
- غوثيه : 142 .

- ف -

- فحل بن نوح : 256 - 259 .
- فحلون الكتامي : (أبو معلوم) 425 - 571 .
- الفزاري (أبو القاسم) 420 .
- كاس : - (نقفور - أمبراطور : 397 .
- فيروز : 317 .
- الفيروز بادي : 97 .

- ق -

- القائم بأمر الله : 22 - 133 - 230 - 357 - 364 - 376 - 421 -
- القائم بأمر الله : 425 - 428 - 470 - 471 - 585 .
- القرشي : (أحمد بن محمد) 421 .

- القرطاس : (زيري بن عطية) 361 .
- القضاعي : 20 .
- القطان (ربيع بن سليمان) 427 - 428 .
- القلقشندي : 455 - 520 .

- ك -

- كافور الاخشيدي : 464 - 465 .
- الكهنة : 294 - 430 .
- الكرمانى : (احمد حميد الدين) 34 .
- الكعب بن مقابل : 189
- كنزة - جارية : 199 .

- ل -

- الليثى : (يحيى) 264 .

- م -

- ماجد : (عبد المنعم) 398 .
- الماذرائى : 470 .
- ماسنيسا : 103 - 169 .
- مالك بن انس : 139 - 197 - 207 - 385 - 419 .
- مالك بن المرحل : 53 - 56 .
- المأمون خليفة : 199 .
- الماوطى : (كادو بن معارك) 441 - 442 .
- محمد الاحول الاغلبى : 263 - 264 .
- محمد بن اسماعيل : 23 - 204 .
- محمد بن سليمان : 211 - 212 - 213 .
- محمد النفس الزكية : 194 - 223 .

- المخطوم ابو العباس : 274 - 313 - 316 - 327 - 412 - 417 - 418 .
- المدني : (احمد توفيق) 117 .
- المرادي (عمر) 182 .
- مرمازوا : 442 .
- المروزي : (محمد بن عبد الاعلى) 225 - 307 - 314 - 378 - 414 - 415 - 417 - 220 - 423 .
- المروزي : (محمد عمر) 412 .
- المستعلى بالله : 24 - 516 .
- المستنصر بالله - الفاطمي : 20 - 23 - 24 - 28 - 513 - 515 - 563 - 574 .
- المستنصر بالله : (هشام المؤيد بن الحكم) 383 - 384 .
- مسعود الفتى : 392 .
- مسلم العلوي : (الشريف ابو جعفر) 476 - 477 - 482 .
- مسلم العلوي : (عبد الله) 482 .
- مسلم السجلماسي : (ابو سعيد) 327 .
- مشير الاخشيدى : 477 .
- المطيع - الخليفة العباسي : 478 - 534 - 535 .
- مظفر الخادم : (ابن الذكاء الاغور) 450 - 468 .
- معاوية : 194 .
- المعتز بالله : (ابو احمد) 370
- المعتضد بالله : 289
- المعز بن باديس : 583 - 585 - 595 - 596 - 598 - 599 - 601 - 606
- المعز لدين الله : 16 - 20 - 23 - 24 - 83 - 164 - 200 - 202 - 214 - 357 - 362 - 398 - 464
- المقتدر بالله : 308 - 309 - 467 - 469
- المقدسى : 26 - 28 - 152 - 162

- المقري : (ابو العباس) 16 - 23 - 132
المقريزي : 16 - 18 - 24 - 153 - 324 - 519
المكتفي بالله العباسي : 258 - 281 - 289 - 290 - 319
مناد بن منقوس : 88
منجو تكين : 484 - 485 - 503 - 550 - 558 - 571 - 586
المهدي : (عبيد الله) 19 - 195 - 213 - 215 - 218 - 225 - 328 -
241 - 260 - 316 - 322 - 326 - 349 - 364
موهوب العقيلي : (ظالم) 558 - 570
المؤيد بالله : (هشام بن الحكم) 370 - 388
موسى بن نصير : 173 - 176 - 177 - 178 - 179 - 223 - 369
موسى الكاظم : (ابو الحسن) 200 - 201 - 202
مؤنس الخادم : 467
ميسور الفتى : 358 - 359 - 376 - 430
الميلي : (محمد بن أبي سعيد) 439

- ن -

- النايلسي : (ابو بكر) 540
نحرير شوبزان : 476
نحرير الارغلي : 477
نزار بن المعز : 24

- ق -

- القاضي النعمان : 33 - 103 - 104 - 112 - 113 - 153 - 201 -
237 - 290 - 49 - 508
النفطي : (محمد بن عمران) 219
النفطي : (محمد بن رمضان) 219

- ن -

- النفطي : (هذيل) 272
النويري : 16 - 20 - 21 - 24 - 153

- ه -

- الهادي العباسي : 194
هارون الرشيد : 188 - 198 - 199
الهدلي : (محمد بن العباس) 419
هرثمة بن أعين : 188
هشام بن عبد الملك : 182 - 195
الحواري : (أبو جعفر بن نصر بن زياد) : 420
هيردوت - أبو التاريخ : 46

- و -

- الوارقلاني : 24
واسول : (الفتح بن ميمون بن مدرار) 367
الواقدي : 174
الوراق : (ابن يوسف) 27 - 167 - 218
الورثيلاني : (الحسن بن محمد) 30 - 126
ورفجومة : 187 - 188
الورفجومي : (أبو القاسم) 240
الوزان : (محمد بن ميمون) 591 - 592
وزمار : 83
الليد بن هشام : 381
الونشريسي : (عبد الواحد) 130 - 415

- ي -

- اليازوري : 602 - 604
ياقوت الحمودي : 29 - 152 - 168 - 391
ياسر الصقلبي : (أو الحسن) 409 - 594
يزيد بن معاوية : 194
اليسع بن مدرار : 274 - 319 - 320 - 321 - 322 - 323 - 324
583
يعقوب بن حبيب الهواري : 185
يعقوب الكتامي : 135 - 468
يعقوب : (أبو سليمان) 342
اليعقوبي : (ابن واضح) 69 - 116 - 150 - 211
يعيش الكتامي : 398 - 399
اليفرني : (يعلى بن محمد) 360
يوسف : (صلاح الدين) 517
يوشع بن نون : 50
يوغرطة : 101 - 170
يوليوس قيصر : 170

فهرس الاماكن والبلدان

- ١ -

- اجدايية : 406 - 409 - 494 - 589
الاحساء : 539 - 540 - 541 - 554
الاخضرية : 210
اخميم : 539
الاريس : 16 - 193 - 217 - 263 - 271 - 282 - 291 - 225
الاردن : 562
ارزيو 89
ارشقول : 212 - 375
أريس : 99
أزمور : 129
الاسكدرية : 467 - 468 - 469 - 475
أسوان : 494
الاشمونين : 469 - 470 - 481
اشيس : 82 - 88 - 363
أصيلا : 164 - 166 - 167
أغائي : 392
أفامية : 564
افريقية : 20 - 162 - 143 - 151 - 161 - 162 - 173 - 181 -
189 - 238 - 339 - 402 - 590 - 591
افريقيا : (قارة) 26 - 86 - 88 - 97 - 443

- افكان : 360
اقبو : 107 - 115
الاقحوانة : 562
اقريطش : 402 - 455 - 465
البيرة : 119
امزاقة : وادي 171
اميسون : (جبل) 145
الانبار : 585
انطاكية : 557 - 564 - 565 - 580
انكبردة : 393 - 401 - 587
انوغيس : 99
اودغشت : 89
الاوراس : 98 - 99 - 160 - 161 - 172 - 271
اوربا : 67 - 72 - 73 - 74 - 118 - 178
ايدوغ : (جبل) 139
الاندلس : 39 - 141 - 145 - 153 - 162 - 167 - 168 - 197
584 - 197
ايطاليا : 139 - 388 - 392 - 393
ايكجان : قلعة 97 - 28 - 40 - 45 - 99 - 102 - 112 - 152
153 - 155 - 157 - 233

- ب -

- بابور : (جبل) 95 - 125 - 158 - 171
باجة : 425 - 426
باغاية : 45 - 149 - 160 - 217 - 264 - 287 - 591
باليرم : 119 - 391 - 392 - 393 - 394 - 397

- بانياس : 574
 البثنية : 554
 بجاية : 86 - 88 - 89 - 100 - 102 - 111 - 132
 البحر الابيض المتوسط : 38 - 458
 البحرين : 204 - 223 - 289
 برج بوعريريج : 110
 برغواطة : 223
 برقة : 293 - 403 - 406 - 407 - 409 - 446 - 446 - 456 -
 459 - 468 - 595
 بسكرة : 27 - 262
 البصرة : 158 - 164 - 166 - 167 - 232 - 334 - 539 - 585
 بعلبك : 554
 بغداد : 472 - 481 - 482 - 530 - 585
 بلبيس : 499 - 562 - 564
 بلزمة : 190 - 191 - 220 - 225 - 227 - 262 - 264 - 281
 بنو عزيز : (قرية) 158 - 159 - 160
 بونة : 29 - 45 - 98 - 139 - 139 - 147
 البويرة : 123
 بيزنطة : 172 - 393

- ت -

- تازا : (رباط) 87 - 374
 تاوروت : 28 - 190 - 152 - 154 - 155 - 159 - 162 - 193 -
 221 - 242 - 245 - 250 - 257 - 318 - 609
 تامدلت : 85

- تامنراست : 89
- تاهرت : 75 - 89 - 108 - 210 - 334 - 335 - 336 - 337 -
425 - 340 - 339
- تبسة : 77 - 217 - 296
- ترغة : 89
- ترمولة : 393
- تروحة : (قرية) 476
- تلكاتة : 80 - 84 - 87
- تلمسان : 25 - 27 - 83 - 210 - 346 - 349 - 375
- تنس : 27 - 210 - 213 - 439 - 445 - 446
- تنبس : 477 - 509 - 538
- توات : (واحة) 372
- توزر : 298 - 318 - 319
- تونس : 23 - 88 - 135 - 185 - 188
- تبتري : (جبال) 82 - 99
- تيجس : 160 - 281 - 288 - 295
- تيطاوان : 168
- تيفاش : 295 - 296 - 298 - 299 - 307

- ج -

- جبل طارق : (مضيق) 54
- جراوة : (مدينة) 178 - 293 - 358
- جربة : (الجزيرة) 119 - 125 - 610
- جرجرة : 99 - 115 - 123 - 145
- جرجنت : 391 - 392 - 393 - 394 - 395
- الجريد : 217

الجزائر : 90

جزائر بني مزغنة : 81 - 82 - 101 - 146 - 151

جزولة : 89

الجزيرة الخضراء : 29 - 168

جمار : (سوق) 221 - 240

جمة : (جزيرة) 227

جميلة : (مدينة) 106

جنوة : 393

جيجل : 28 - 45 - 95 - 98 - 100 - 110 - 142 - 143 - 144
609

جميلة : 106 - 107 - 111 - 153 - 156 - 172 - 241 - 247 -
257 - 267 - 298

- ح -

الحجاز : 30 - 198 - 223

الحضنة : (جبال) 70 - 199

حلب : 554 - 561 - 562 - 563 - 564 - 565 - 580 - 593 - 606
حمزة : 82 - 88 - 212

حماة : 554

حمص : 527 - 554 - 563 - 567

حوران : 554

حيدرة : 296 - 297 - 299

- خ -

خراسان : 590

الخربتن : (قرية) 229

الخرز : (مرسى) 98 - 138 - 139 - 380

خورستان : 233

خنشلة : 99

- د -

الدجاج : (مرسى) 146 - 147 - 152 - 212

دجلة : (نهر) 194

درعة (وادي) 87

دقة : (قرية) 305

دلس : 70 - 98 - 99

دمشق : 23 - 57 - 181 - 505 - 506 - 525 - 526 - 527 -

535 - 564 - 568 - 570 - 574 - 587

دمياط : 477

دنهاجة : (قصر) 112 - 117 - 165 - 578

دور مدين : 299 - 300

- د -

الرحمان : (جبال) 142 - 143

رشيد : (مدينة) 469

الرصافة : 168 - 586

رقادة : 151 - 190 - 191 - 215 - 221 - 226 - 257 - 306 -

346 - 403

الرقة : 308 - 557

رمطة : 397 - 401 - 402

الرملة : 308 - 465 - 506 - 525 - 536 - 556 - 558 - 560

الريف : 86 - 168 - 221

ريو : 395 - 397

- ذ -

- الزاب : 16 - 95 - 26 - 27 - 85 - 150 - 151 - 160 - 161 -
162 - 172 - 184 - 185 - 187 - 410 - 434
زغوان : (جبل) 302
زكار : 78
زناتة : 65 - 66 - 84 - 162 - 163 - 177 - 184 - 208 - 213 -
320 - 344 - 349 - 381
الزهراء : (مدينة) 352 - 383
زواوة : 114 - 115 - 116 - 117 - 119 - 122 - 123 - 127 - 128 -
134 - 136 - 171 - 257
زويلة : 481 - 498 - 520 - 522
الزيتونة : (مرسى) 142

- س -

- سبنة : 69 - 129 - 131 - 164
سببية : 145 - 217
سيطلة : 297
سجلماسة : 88 - 218 - 219 - 274 - 280 - 313 - 314 - 319 -
321 - 340 - 341 - 344 - 349 - 410
سرت : (جبل) 406 - 589
سرقوسة : 399
سطيف : 27 - 28 - 45 - 98 - 121 - 133 - 151 - 179 -
591 - 609
سكيكدة : 91 - 100 - 141 - 142 - 148 - 170
سلمية : 222 - 223 - 234 - 242 - 258 - 268 - 274 - 317 -
318 - 457
سلا : (مدينة) 204

- السند : 223
السنغال : 81
السوس : 214 - 218 - 313 - 375
سوسة : 307 - 309 - 311 - 314 - 380 - 391 - 421 - 421 - 444 - 429
سوققمار : (نهر) 20 - 221
سوق أهراس : 99 - 100 - 160 - 221
سوماطة : 241
سيبوس : (نهر) 139
سيرتة : 101

- ش -

- الشمام : 98 - 290 - 318 - 454 - 471 - 477 - 484 - 487 - 505
508 - 526 - 530 - 532 - 534
شرشال : 78
الشلف : (نهر) 90 - 210 - 354 - 356
الصعيد : 539
صفاقس : 391
صقلية : 102 - 120 - 122 - 139 - 140 - 167 - 230 - 307

- ص -

- صنعاء : (اليمن) 133 - 231 - 262 - 398 - 400
صنهاجة : 65 - 66 - 67 - 68 - 70 - 79 - 81 - 82 - 84 - 118 - 139 - 163
صور : 564 - 571 - 574
صيدا : 555 - 567
الصين : 96

- ط -

- الطاهير : (مدينة) 108
طبرقة : 549 - 556
طبرمين : 37 - 401 - 402
طبرية : 554 - 557 - 562
طينة : 70 - 95 - 183 - 186 - 187 - 188 - 271 - 281
طرابلس : 76 - 95 - 114 - 115 - 120 - 185 - 188 - 219 -
306 - 308 - 589
طرابنش : 391
طرطوس : 469
طنجة : 33 - 90 - 118 - 164 - 165 - 182 - 219 - 344 -
363 - 460 - 595

- ع -

- العراق : 223 - 231 - 471 - 545
العريش : 562
عسقلان : 504
العلمة : 152
عنابة : 78 - 91 - 99 - 100 - 116 - 139 - 141
عياض : (جبل) 71
عين شمس : 504
عين كرمة : 266 - 267 - 278

- غ -

- غدامس : 82
غرداية : 348
غرناطة : 70 - 599

غروس : (جبل) 110

غليزان : 90

غمارة : 69 - 72 - 86

- ف -

فاس : 69 - 118 - 130 - 164 - 168 - 208

فج الاخيار : 291

فرجيوة : 113

الفسطاط : 469 - 470 - 476 - 477 - 493 - 497 - 612

فلسطين : 556 - 559 - 561

الفيوم : 467 - 468 - 469 - 470

- ق -

قابس : 327 - 337 - 407 - 408 - 454 - 474

القالاة : 98 - 99 - 133 - 146

قالاة : 25 - 100 - 116 - 221 - 223 - 299 - 300

القاهرة : 23 - 475 - 482 - 497 - 527 - 528 - 540

قرطبة : 25 - 27 - 93 - 94 - 341 - 352 - 386

قسطنطينة : 28 - 29 - 45 - 98 - 99 - 111 - 148 - 606

القسطنطينية : 565 - 637

قسطيلية : 217 - 217 - 219 - 224 - 272 - 298 - 305 - 318 - 349

قصر الافريقي : (مدينة) 160 - 295 - 296

القصرين : 296 - 297

قفصة : 193 - 224 - 296 - 298

القل : 99 - 121 - 126 - 141 - 142 - 170

قلمة بني حماد : 70 - 71 - 86 - 139 - 145 - 22 - 600

قلورية : 391 - 393 - 395 - 399 - 400 - 401 - 578 - 579 - 587
قمودة : 297 - 299 - 303 - 324
قوصرة : 578
القيروان : 161 - 173 - 175 - 178 - 181 - 185 - 187 - 219 -
240 - 272 - 289

- ك -

كربلاء : 194
الكركور : (دوار) 70
كيانة : (قلعة) 432
الكوفة : 534 - 585
كينونة : 278 - 279 - 280

- ل -

لمبيس : 172 - 174
لواتة : (حصن) 105 - 381

- م -

ماسيليا : (امارة) 148 - 169 - 170 - 171
مالقة : 352
متيجة : 82 - 210
مجانة : 446
مجرس : 265 - 266 - 275
المحلة : (مدينة) 520
المحمدية : 82
المدينة المنورة : 197 - 200 - 572

- مراكش : 174 – 134 – 135 – 132
مرماجنة : 296 – 225 – 221 – 220 – 218 – 217 – 216
مزالة : 157
مسكيانة : 296 – 216
المسيلة : 356 – 110 – 82 – 70
مسينا : (مضيق) 189–395
مصالة : (فج) 116–114–113
مصر : 120 – 132 – 136 – 159 – 174 – 109 – 319 – 322 –
475 – 307
مصمودة : 610 – 165 – 164 – 85
مطماطة : (واد) 211
المعاضيد : (جبل) 71
مفراوة : 399 – 357 – 354 – 350 – 349 – 344 – 84 – 83
المغرب الإسلامي : 189 – 182 – 136 – 122 – 120 – 119 – 118 –
197 – 268 – 530 – 554 – 584
المغرب الأقصى : 169 – 163 – 162 – 153 – 137 – 132 – 129 –
198 – 208 – 363
المغرب الأوسط : 211 – 176 – 163 – 128
مغنية : 211
مكة : 559 – 532 – 237 – 234 – 227 – 222 – 220
مكناسة : 360 – 353 – 352 – 323 – 163 – 162 – 130 – 129
مليانة : 210 – 70 – 22 – 78
المنصورية : 589 – 482 – 477 – 433 – 401
المنوفية : 518
المهدية : 429 – 360 – 354 – 227

موريطانيا : 72
موريطانيا : (السطيفية) 171 - 143
موريطانيا : (القيصرية) 798 - 171 - 143
الموصل : 585 - 534
ميلة : 403 - 188 - 10 - 149 - 134 - 98 - 29 - 28
الميلية : 591 - 219 - 108

- ن -

نابل : (نابلي) 396 - 393
نابلس : 541-23
الناطور : 221 - 220 - 219
ندرومة : 212
نفزاوة : 220 - 187
نقطة : 225 - 220 - 219 - 218 - 217
نفوسة : 403 - 339 - 337 336 - 335 - 334 - 76
نقاوس : 77
نكور : 358 - 352 - 344 - 211 - 69
نمالتة : (مدينة) 211
النوبه : 472
نوميديا : 171
النيجر : 85
نيني : (وادي) 294

- ه -

هرغة : 68
هسكورة : 68

الهند : 223

هواره : 75 - 77 - 78 - 79 - 80 - 177 - 179 - 184 - 300 -
356

- و -

وادي الرمل : 122 - 303 - 305 - 310

وارجلان : 24-342-626

واري (مدينة) 392

وانوغة : 90

وجدة : 174 - 211

الونشريس : (جبال) 28-88-354-425

- ي -

يسر : (قرية) 90

اليمامة : 223

اليمن : 96 - 204 - 205 - 224 - 231 - 234 - 239 - 289

فهرس الموضوعات

10 - 9	- الأهداء
13 - 11	- التصدير
44 - 15	المقدمة
	نقد المصادر

الفصل الأول

حلف كتامة وبرانس أفريقية والمغرب الأوسط في العصور الوسطى 45 - 191

البربر - التقسيمات الاجتماعية - فرع البرانس - مضارب برانس المغرب الأوسط - ازداجة - عجيسة ، أوربة ، هواره - صنهاجة ، بقاياهم وآثارهم - كتامة ، الاسم ومدلولاته - الأصل النسبي - ضبط الكلمة - حدود القليم كتامة وخصائصه وبعض عادات سكانه - فرعاً كتامة : غرسن وبسوده ، بطون كل منهما - زاوية فرع من كتامة - بطونهم - مناقشة رأي ابن خلدون حول كتامة وزاوية - بيوتاتهم في الأندلس - احصاء كتامة في عصر الإدريسي وتوجيهه . بقايا كتامة وزاوية في عصر ابن خلدون - علماء وفقهاء كتامة وزاوية - مراكز كتامة في أفريقية والمغرب الأوسط : مرسى الخرز - بونة ، سكيكدة - القل - جيجل - بجاية - مرسى الدجاج - مرسى بني جناد - تدلس - قسنطينة - ميله - سطيف - ايكجان موقعه - تيجس - توبوت - باغاية - أوراس - الزاب - مراكز كتامة في المغرب الأقصى والأندلس : قلعة ابن خروب - سوق كتامي - قصر دنهاجة - البصرة - أصيلا - قصر كتامة في الجزيرة الخضراء - كتامة من خلال المصادر التاريخية حتى أواخر القرن الثالث بعد الهجرة - آفاق المرحلة التالية .

الفصل الثاني

كتامة والدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب حتى قيام الخلافة الفاطمية

193 - 329

التشيع - حياة العلويين وحركاتهم حتى نهاية العصر العباسي الأول - بيت جعفر الصادق الحسيني : الاثنا عشرية والإسماعيلية - الدعوة الإسماعيلية في المشرق - سلمية - اليمن - بلور الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب - أهمية مراكز العلويين في المغرب الأوسط والأقصى ، ودور الإدارة في التهيئة - فجر الحركة الإسماعيلية في بلاد المغرب : العمارة الأوائل : أبو سفيان - الحلواني وجهودهما : تشيع الرجال - القصص الأدبي والتشيع - التنجيم والتشيع ، الشعر والتشيع ، الشعراء والتشيعيون ، شخصية

أبي عبد الله الشيعي - الشيعي وكتامة في مكة - الشيعي في قلعة إيكجان - الشيعي في نازروت ، تنظيماته الخاصة ، مشاكله - حرب الحلفاء ، حصار نازروت وفشله - سقوط ميلة وردود الفعل الخارجية ضد الداعي : جهود الأحوال الاغلبية ضد نازروت وميلة واثارها : إيكجان دار هجرة جديدة . إيكجان قاعدة انطلاق ضد حواضر كتامة والزاب ، سطيف - حملة ابراهيم بن حبشي ضد إيكجان - معركة كينونة نتائجها : ولاء قسنطينة ، ضم طينة بلزمة - تيجس - تيفاش - باغاية - باغاية انطلاق وسطى ضد قسطنطينة وقمودة وقصور قفصة - ردود فعل اغلبية ناجحة ضد تيفاش - معركة دور مدين - تمرد القبائل ضد الداعي - حركة اغلبية ضد باغاية ، موقعة الأريس ونتائجها ، فرار الأمير الاغربي زيادة الله وسقوط الإمارة الاغلبية اجراءات سريعة وهامة قبيل تحرير عبيد الله من سجنه في سجلماسة - اجراءات عبيد الله بعد وصوله الى رقادة - قيام الخلافة الفاطمية في المغرب - آفاق الفترة التالية .

الفصل الثالث

كتامة وحركة التوسع السياسي ، والصراع الذهبي ، منذ قيام الخلافة الفاطمية حتى أواخر القرن الرابع بعد الهجرة
456 - 331

مسؤوليات جديدة للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب - حركة التوسع في المغرب - تصفية الإمامة الرستمية في تاهرت واثارها - مقاومة زناتة ، تصفية إمارة بني مدرار الصخرية في سجلماسة واثارها في تاريخ الخلافة الفاطمية - تصفية نفوذ الإدارة في المغرب الأقصى ومواجهة حركات الروانية وعملاتهم - حركة الداعي ابن الخير في قرطبة وغيرها ، قمة نجاح للخلافة الفاطمية في عصر المعز لدين الله - حركة التوسع في الشرق ، صقلية والنشاط الثفري ضد الروم - طرابلس وبرقة ، والنشاط الثفري ضد العباسيين في مصر - كتامة والصراع الذهبي في بلاد المغرب - التشيع وأساليب نشره - الجدل - الدعوة - القوة - محنة السنة والمالكية خاصة عصر الشهداء - المالكية حلفاء أبي يزيد النكاري شيخ المسلمين - آثار الحلف الجديد - ضم كتامة ورجالهم في نظام الخلافة في الدور المغربي حتى عصر المعز لدين الله - كتامة الجيل الثاني ، وفتح مصر ، جعفر بن فلاح - عنوان عصر ذهبي لكتامة .

الفصل الرابع

كتامة والنفوذ الفاطمي في مصر وبلاد الشام منذ الفتح الى نهاية القرن الخامس بعد الهجرة
576 - 457

الوجهة الشرقية للحركة الاسماعيلية - المحاولات السياسية والعسكرية ضد مصر حتى 358 هـ - قيادة الحملة الكبرى (358 هـ) . جوهر الكاتب ، شخصية جعفر بن فلاح - كتامة والإدارة المدنية والعسكرية في مصر - كتامة والخلفاء المصريون - آثار وبغايا كتامة في القاهرة وفي الاقاليم - كتامة وميدان الشام ومشاكل الحكم الفاطمي فيه - القرامطة - الشطار - عرب الشام وأمراؤهم الولاة الكتاميون في بلاد الشام منذ الفتح حتى ظهور قوة الأتراك السلاجقة في نهاية القرن الخامس بعد الهجرة .

الفصل الخامس

اثر كتامة في علاقات الخلافة الفاطمية خاصة مع الامراء الزيريين
577 - 607 .

ميدان الطلاقات - دار الاسلام - دار الحرب - نظام الزيريين في بلاد المغرب منذ رحيل
المعز لدين الله الى مصر حتى منتصف القرن الخامس بعد الهجرة .

609 - 613 الخاتمة

614 ثبت باسماء الخلفاء

615 ثبت باسماء قادة كتامة في مصر والشام

616 - 627 - 653 الملاحق

654 - 696 المصادر والمراجع

686 الخرائط

691 فهرس الاعلام

733 فهرس الموضوعات

* * *

تَرْجِمُهُ اللهُ

وحسن عونه

رقم النشر : 847 / 80

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
3 شارع زيفوت يوسف - الجزائر
(طبع بمطبعة زبانة)

مكتبة طريق العلم

كنامة ، هي احدى القبائل الكبيرة التي شكلت مضاربها جزءا هاما من هذا الوطن ، وساهمت بقسط وافر في صنع احداثه وتوجيه تاريخه . .

فعلى اكتافها قامت دولة الفواطم ، وبفضل سواعد ابنائها اتسعت وامتدت شرقا وغربا .

فتحت لواء المذهب الاسماعيلي تحركت هذه القبيلة في حركة توحيدية للدويلات الاسلامية التي كانت منتشرة على امتداد العالم العربي . .

ان هذه الدراسة الجادة هي اول دراسة من نوعها باللغة العربية عن هذه القبيلة ، متتبعة لأصولها ، ملاحقة لفروعها ، مقسومة لجهودها ، جامعة لشتات اخبارها ، مشيدة بأعمال ابنائها .